

مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

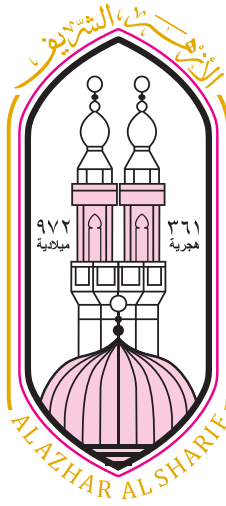
مَجَلَّةُ شَهْرَةِ جَامِعَةِ

تصدر عن شيخ الأزهر رَفِيَّ أُولَ كُلِّ شَيْءٍ عَرَبِيٍّ

٣٥

المجلد الثالث والثلاثون - القسم الثاني

السنة ١٣٨١ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المحلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المحرران
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدلاً للاشتراك

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
المدارس والطلبة يتفويضوا

الجزء السادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ — نوفمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

الفهرس

١٢
٢٢٢٢٢٢

| صفحة | صفحة |
|--|--|
| ٦٥٢ عاش شقيا بالدنيا . . ومات سعيدا بالدين | ٧٣٣ مرا كز اللغة العربية في الهند - ٢ - |
| للاستاذ أحمد حسن الزيات | للأستاذ محمد اسماعيل الندوي |
| ٦٥٥ أمانة القومية العربية في ذمة الأزهر | ٧٤١ مع قضايانا : إتنا عائدون - ٣ - |
| للامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت | للأستاذ أحمد القرباصي |
| ٦٥٨ مقارنة لغوية : في ضمائر الجنس والعدد | ٧٤٦ ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع |
| للأستاذ عباس محمود العقاد | للأستاذ محمد محيي الدين السيري |
| ٦٦١ كيف دخلت في الإسلام الدكتور : أندريه روماني | ٧٥٠ مقارنة بين الفريعة الإسلامية والشرائع الأخرى |
| ٦٦٥ الأزهر في نظامه الجديد | للأستاذ عباس طه |
| للأستاذ الدكتور محمد المهدي | ٧٥٣ مها كس مستقلة |
| ٦٦٩ اشتراكية الإسلام | للأستاذ عباس محمود العقاد |
| للأستاذ محمد محمد للدني | ٧٥٧ الإسلام والتقدم قصيدة لشاعر العراق : |
| ٦٧٥ للطامع مئثار الفرقة بين الناس للأستاذ عبد الطيف السبكي | معروف الرصافي |
| ٦٧٩ دراسة تاريخ العلم عند المسلمين واجب السكليات | ٧٥٩ الكتب : |
| للاستاذ فتحي هتمان | للأستاذ محمد عبد الله السمان |
| ٦٨٣ دراسة عن علي مبارك - ٣ - | ٧٦٥ بريد المحلة : رسالة الإمام الأكبر للسيد نائب |
| للأستاذ محمود الشرفاوي | رئيس الجمهورية بشأن الرقابة على الأفلام السينمائية |
| ٦٩١ مدينة كانوا أكبر مرا كز الإسلام في إفريقية القرية | ورد السيد نائب الرئيس عليها - تأنيث أفضل |
| للأستاذ محمد جلال عباس | على فعل - حول عقوبة الإعدام - كل بما زعم |
| ٧٠٠ عبوة في حياة أديب | للأستاذ محمد رجب البيومي |
| للأستاذ محمد محمد خليفة | ٧٠٧ رائد القضاء |
| ٧١٤ الفقه في الدين أمان من الزلل | للأستاذ علي العماري |
| ٧١٩ فريضة الصلاة تطهير للنفوس | للككتور محمد غلاب |
| ٧٢٤ العرب في أندونيسيا - ٢ - | |
| للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري | ٧٢٧ أبناء الأزهر |

عاش شقيًا بالدنيا... ومات سعيدًا بالدين بقلم: أحمد حسن الزيات

من الرضا في نفسه، ويصح من الهوى
في اعتقاده .

عرفت وأنا في سن الحداثة رجلا في
أعقاب العمر كان يعيش في قرية مجاورة .
كنت أراه وهو يمر بقريتنا على الطريق
الزراعي العام ذاهبا إلى البندر في الصباح ،
أو آييا منه في المساء ، فيلفتني إليه جسته
الضخمة على بغلته السوداء ، وعمامته المكمورة
على رأسه الخلق ، ووجهه الجرداء على جسمه
البدين ، ووجهه المظلم على صدره العريض ،
وبطنه المنتفخ على بردته المضلعة ، فأملأ
هيني من منظره للعجيب ، وأتبعه بصرى
إلى أن يغيب .

وكان في موعدى غدوه ورواحه أدق
ضبطا من قطار الصباح في ذهابه إلى دمياط ،
ومن قطار المغرب في عودته إلى المنصورة ،
فكان أصحاب الحقول الواقعة على جانبي
طريقه يوقنون بهما فيقول أحدهم الآخر :
سأعلق الساقية أو سأحل المحراث عند مرور
الشيخ على .

سعادة في سقاء :

لا أريد بالسعادة ما تناله من لذات
العيش فتانا أو على أجزاء كلقاء صديق بعد
فرقة ، أو وصال حبيب بعد قطيعة ، أو قضاء
ساعة في ملهى ، أو انبساط قلب في نزهة ،
أو انتشاء نفس في منادمة ، أو استغراق
حس في جمال ؛ فإن تلك الحالات فلتات
عرضية كالانطلاق والضحك والأنس ،
تنهك ولا تلزم ، وتنقطع ولا تدوم .

إنما أريد بالسعادة تلك الحال التي تغلب
على المرء في أكثر عمره فيستلذ معها ألم
التعب وذل الحرمان ومض اللوم وقبح
السبعة ، وهي حال لا أستطيع تعيينها بحد ،
ولا توضيحها بتعريف ، وقصارى ما أستطيعه
أن أسوق إليك مثلا من أمثالها الكثيرة
المختلفة ستجد في ذاكرتك من غرائبها
ما يؤكد لك أن السعادة لا تعرف الإطلاق ،
وإنما هي بالإضافة إلى كل إنسان ما ينبثق

الباب . فإذا اطمأن قلبه على أو لك كله نسل إلى حجرة نومه دون أن يتدبّر الفرصة لزوجه الصابرة فتطلب النفقة ، أو لأولاده التسعة فيشكوا الضيق ، فينام نوم المهموم الفلق حتى يطلع الفجر فيصلى ، ثم يجد الخادم قد وضعت بجانبه على العادة موقد الكحول وبكرج اللبن ، ورغيفين من الخبز الرقيق اليابس ، فيشعل النار ويغلي الحليب ويفت الخبز ويفطر ، ثم يتبأ للانتقال إلى حجرة العمل . فيختبر في طريقه إليها الأبواب ويفحص الأقفال ثم يفتح الخزانة باسم الله ويمد عينه ويده إلى كل موضع من مواضعها الظاهرة والباطنة ، حتى إذا لم يجد ما يريه أخرج النقود المطلوبة على حسب البيان الذي كتبه في الليل مبروك ، وجاء المقرضون بعد بزوغ الشمس ليقبض كل منهم المبلغ الذي قدره له ورهنه وشأنه . ثم تقف بغلة الشيخ في ميادها المألوف على الباب فهدكها إلى المنصورة ، ليقدّم إلى المحامي مستندات قضية ، أو ليحضر معه جلسة الحكم في نزاع ملكية .

لم يكن الشيخ على يدوق اللحم إلا مدعوأ ، ولا يشتري الثوب إلا مضطراً . ولا يعرف الانس في أسرة ولا مجلس ، ولا تمتع الحديث في قهوة ولا دار ، فيثبت زوجته من عطفه فانصرفت إلى الدجاج والبط ، وقط أولاده من عونه فتصرفوا في الربا وللتجارة ، وحصر هو دنياه في البغلة

وترددت بحكم الجوار القريب على قرية الشيخ على فعلت أن له في حياة الناس شأنًا لا يقل عن شأن القدر والحظ . كانت بغلته كبغلة العشر التي توزع الذهب والجوهر على الموعودين في ليلة عاشوراء كما تقول الأسطورة . كان خرجها كواصل الطير يغدو فارغا إلى البنك ثم يروح ملآن إلى القرية ، فيجد أصحاب الحاجات من رجال ونساء قد تكدسوا أمام الباب وفوق المصطبة ينتظرون ساعة الفرج ومع كل منهم قطعة من نحاس في يده ، أو حلية من ذهب في جيبه . فيدخل الشيخ الحجرة الخاصة ويتبعه كاتبه مبروك أقنذى ، فيجلس بجانب الخزانة المغبرة ويقعد الكاتب أمام المنضدة العتيقة ، ثم يدعو المنتظرين واحدا بعد واحد ، فمن كان رهنه ذهباً وضعه في الخزانة ، ومن كان رهنه نحاساً ألقاه في الخزن ، ومن كان رهنه عقاراً أخذ منه سند الملكية ، ويختم الراهن أو يوقع على بياض ثم ينصرف . حتى إذا خلت المصطبة والزقاق من المأزومين والمعوزين صلى المرابي الهشاء وتبلغ بشيء من الخبز الجاف مفتوتا في اللبن الحليب ، ثم أخذ يباشر هو والكاتب تحقيق الأشخاص وتقويم الرهون وتقرير السلفة وتقدير الفوائد وتحرير الصكوك ، حتى ينقضى المزيغ الثاني من الليل فيصرف الكاتب ويعمد هو إلى الخزانة فيحكم القفل ، وإلى الخزن فيوثق الرتاج ، وإلى الدهليز فيغلق

أفندي صني معه الحساب فوجد ما خسره في المضاربة هو كل ما ربحه من الربا ، فانبعث في صدره إيمان كان قد مات ، وتيقظ في ضميره شعور كان قد رقد . ورأى أن هناك غير المال الذي عبده لها آخر لا يضيع في البورصة ولا يغيب في المصيبة ولا يتخلى في الشدة ، فرجع إلى الله وأصبح يصلي ووجهه إلى القبلة . بعد أن كان يصلي ووجهه إلى الخزانة . ثم ضم زوجته إلى قلبه ، وآوى بني إلى عطفه ، وأطلق أيديهم فيما بقي من ثروته وهي الأرض الطيبة والتجارة الحلال ، وتفرغ هو لاستقبال التوجيه الساوي للخير ، فمسح بالصدقة دموع الربا ، وفرج بالمعروف كروب المنكر ، وتغير في ذهنه مدلول السعادة فاعتقده في إشار الغير لا في أثره للنفس ، وفي بسمه الشاكر لا في دمة المحتاج وانحصرت في دنياه حدود للغبطة فلم تعد الإيمان بالله والإحسان إلى الناس ، خج البيت وتطهر فيه ، وبني المسجد ووقف عليه . ثم تنفس به العمر حتى شارب المائة فانتقل إلى جوار ربه . وحياته الخافقة بالكسد والدأب ، والرج والخسارة ، والشر والخير ، مصداق لقول الرسول الكريم : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » ، نغمده الله بالغفران على ما أساء ، ومن عليه بالرضوان على ما أحسن .

أحمد حسن الزيات

والخادم ، وفي الخزانة ومبروك ، وفي المحكة والمحامي ، وفي البورصة والسمسار ، فأصبح لا يجد سعادة نفسه ولا لذة عيشه إلا في مال يقبضه ، أو حكم يكسبه ، أو ملك ينزعه ، أو عقار يشتريه . أما الألم الذي يسببه الحرمان ، والذل الذي يجلبه الطمع ، والندم الذي يبعثه الضمير ، فقد مات ذلك كله في شعوره وغاب أثره عن باله . عنده البنون ولا يحسد فيهم عزاً ولا زينة ، وفي بيته الخير ولا يبلغ به رضا ولا سكينه ، وفي يده المال ولا يأكل في الدار إلا الخبز في اللبن ، ولا في القهوة إلا السمين في الشاي . وكل عزه وغاية رضاه أن يرى المحتاجين يتراهم على بابه باكين أو ضارعين يتوسلون إليه أن يجعل السلفة أو يؤجل السداد أو يرفع الحجز وهو يزور عنهم ويتدلل عليهم رافعا رأسه من التيه ، لا ويا شدة من الكبر .

ومرت الأعوام على خطوات البغلة وصغفقات المرابي غرقت دور لتعمر دوره ، وغاضت موارد لتفيض موارده ، وطفحت الخزانة بالذهب فترك البغلة وركب القطار ، وأنكر المنصورة وعرف الإسكندرية ، وأفرغ خزانة النقود ، ليضارب في بورصة العقود ، فلم يحل عليه الحول حتى خسر تسعين ألف جنيه عينا . وحينئذ أحس بالشقاء وشعر بالفراغ وأدرك أن كل شخص يزدرية ، وأن كل شيء يعوزه . فلما رجع إلى مبروك

أمانة القومية العربية في ذمة الأزهري

للإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت

ولقد كان التراث الإسلامي الأصيل الذي انتشر في أنحاء العالم هو الجبل السماوي الذي ربط الأمة العربية من جميع أطرافها . وكان تدوين هذا التراث باللغة العربية ، فإنها اللغة التي عبر بها المسلمون عن شتى جوانب الفكر في حياة المجتمع الإسلامي والعربي .

والمنتجع لاتجاه هذا التراث في كل نواحيه يجد منبعه من القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل من القرآن الكريم وأقوال الرسول عليه السلام بلسان عربي مبين ، هذه العربية التي كانت لغة التنزيل ووسيلة البيان للرسول هي التي وحدت بين الأمم التي شاع فيها نور القرآن ، وتآلق فيها هدى النبي عليه السلام ، وبذلك تعرب كثير من المسلمين ، ورواوا في اللغة العربية وسيلة اتصالهم بهذا الدين الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

وكم من شعب غير عربي صار بالإسلام والقرآن عربيا .

وجهت إلينا مجموعة من الأسئلة تدور حول القومية العربية ، ومدى ما يمكن أن تؤديه في توجيه العالم إلى نواحي البر والخير ، ومكان الجامعة الأزهرية في كل هذه النواحي ولا بد أن نقدم بين يدي الموضوع بحقائق تمهد له وتلقى مزيداً من الضوء عليه ، فإن لكل أمة شخصية حسية تتصل بالجو والإقليم والمساحة وطبيعة الأرض ونظام البيئة ، وما يتبع ذلك من تأثير هذه العوامل في أبنائها من حيث الطول والعرض واللون وما إلى هذه السمات من الأوصاف الحسية الملبوسة أو الأصول التي تنتسب إليها .

ولكل أمة كذلك شخصية معنوية تتمثل في إيمانها ومبادئها وأهدافها وخططها التي تسير عليها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها .

ولاشك أن الشخصية المعنوية للأمة تقوى بمقدار قوة الروابط القلبية والعقلية والشعورية ، وكلما قويت هذه المعاني في أمة كان لها بين الأمم المركز القوي والمكان السامي .

وللقومية العربية الآن رائدها البصير وقائدها المهتم الرئيس جمال عبد الناصر ، فإنه آمن بها ورأى فيها القوة التي تتحطم على صخورها الصلدة قوى الأمم الظالمة الطاغية التي حبست معاني الحياة عن الأمم الضعيفة أو الآخذة في أسباب القوة .

إن القومية العربية هي التي ستوقف نشاط التسلح الذي تتسابق في ميادينه دول دأبها الاعتداء ودول تقوم على أكتاف دول الاعتداء ، إنها تقف وراء كل دولة ضعيفة تناصرهما وتشد أزرها وتذود عنها ، وهي إلى ذلك تقيم الاقتصاد العربي على دعائم قوية .

فقد أتى على الاقتصاد العربي حين من الدهر غط في نوم عميق واعتدى بغاة كل زمن عليه ، وكنا في هذه الحقبة من الزمن نكاد ننسلخ عن مقوماتنا في حياتنا العربية القومية الأصيلة ، إذ تدفقت عليه تيارات جارية وأمم مستعمرة محطمة ، فسارع كثير منا إليها وارتعوا في أحضانها ناسين أصلهم العريق ومجدهم التالذ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة .

وإذا كانت هذه التيارات التي تدفقت علينا شأت أن تحطم كياناتنا وإذا كان الرائد الأول جمال عبد الناصر ، قد جعله الله منقذا لقوميتنا . فقد وقف الأزهر في هذه الحقبة من الزمن وقفة الصامد الذي لا تزحزحه

وعلى هذا النحو التمت العروبة والإسلام في محيط الثقافة التي تدفقت من القرآن لهذه الأمة ، وامتزجتا كل الامتزاج ، وأصبحتا لا انفكك لأحدهما عن الآخر ، بل كانت ترابطهما ترابطا فعالا قويا وعلى هذا الأساس تواصلت الأمم الإسلامية واتحدت أهدافها وتقاربت أغراضها ، لأن العربي غير المسلم يفزع بقلبه إلى القرآن ، ويتجه بشوقه إليه . إن المسلم من غير العرب يميل بقوة نحو القرآن ، لأنه الذي يذكر إيمانه ، ويغذى دينه ، ويروي جذور عقيدته ، فذلكم هو الرباط القوي الذي ربط الله به بين الأمم العربية فكان أقوى من رباط اللون ، ورباط الجس ، فإذا تألق نجم القومية العربية الآن وازدهر فذلك للمعاني القلبية التي أذكاهم المخلصون من أبناء هذه الأمة ، إنما هي كوامن راسخة في الضمير ومعان ثابتة في الشعور والتفكير .

إن العربية التي تحركت وسارت الآن بخطى واسعة وانطلقت في عمل متصل لتحقيق معاني البر والخير للعرب وللإنسانية ، ليست عربية الجو ولا عربية الإقليم ولا عربية النسب إلى العرب ، إنما هي عربية الشخصية المعنوية التي تتكون ملاحظها من طبيعة الشعور والضمير والتفكير .

هذه هي الأسس التي قامت عليها القومية العربية وستظل تروى من هذا المعين الذي لا ينضب .

من ماء الحياة فيها ، وهو ماء لا يعرف الفرة
وإنما يتجه إلى الوحدة الشاملة والغايات
المتحدة والقوى المترابطة ، فالأزهر يبنى هذه
المعاني في كل هذه الدول .

فهمة الأزهر ليست مهمة محلية من حيث
الدراسات في بعض نواحي الإنسانية العامة
التي يتناولها الناس جميعا ، وإنما هي مهمة
تجاوزت ظاهر الحياة إلى باطنها في كل نواحيها ،
تجاوزت توصيل المعرفة إلى الأفراد والجماعات
إلى تنمية العلاقات بين الشعوب والأمم عن
طريق القلب والإيمان والشعور القوي
بمهام الأمور ودقائقها .

إن رسالة هذه الجامعة الكبرى هي القوة
المتينة والحبل الممدود من السماء إلى الأرض
المعهد للسياسة العربية والمهد للرجال الحيوي
لشعوب لتسلك السياسة .

هذا هو دور الأزهر في مجال القومية
العربية ، وإنه اليوم لأصلب عودا وأقوى
شخصية بمقدار ما يبذل رجال ثورتنا الخالدة
ويمنحه له قلب هذا الرجل القوي في إيمانه
وفكرته : جمال ، الذي يحرص على أن تكون
جامعة الشعوب (الأزهر) في أبهى ثيابها
وأجل معانيها وأقوى أهدافها لتواصل
السير بالأمم العربية والإسلامية إلى الأمام ،
إلى القمة والذروة العليا .

الخطوب ولا تهدد الأحداث ، وكان من بين
المراكز التي قامت على خدمة الشخصية العربية
بلى كان هو المركز الوحيد الذي يعد الآن
مركزا عاما هاما للدراسات الإسلامية وما
يتصل بها من دراسات عربية لجميع الشعوب
الإسلامية والعربية .

فرسالة هذه الجامعة من يوم أن أنشئت
هي المعارف الإلهية التي رسمت بها السماء
شخصية الأمة الإسلامية ، وإذا قلنا الإسلامية
دخلت فيها العربية بكل معانيها ، كما بينهاها
ووفينا الكلام فيها .

إن الأزهر في الواقع هو الجامعة التي ألقى
على كاهلها منذ أنشئت الاحتفاظ بهذه
الشخصية المعنوية لهذه الأمة .

إنه المعهد الذي سلبت إليه أمانة الاحتفاظ
بالقومية العربية .

هذا الأزهر بالرغم من وجوده وحياته
في قلب الجمهورية العربية المتحدة له طابع
دولي وعربي هام ، إذ هو المناوئة العالمية
التي تتوجه إليها أبصار طلاب المعرفة من كل
مكان ، والباحثين عن الحقائق العربية
والإسلامية في كل زمان .

إن الجامعة الأزهرية تعتبر في كل نواحيها
مصدر الإشعاع الدائم والتوجيه المتواصل
لخدمة شعوب العربية .

فمثل دول العربية وكل دول المسلمين
التي نشأت من منهل هذه الجامعة واستقت

مقارنة لغوية

في ضمائر الجنس والعدد

للأستاذ عباس محمود العقاد

بلا استثناء ، وإنما من أقدم اللغات جميعا إذا شملنا بها اللغات المنتشرة التي تعرف بالتعليم ولا يجرى بها الخطاب اليوم بين الأمم الحية . وبهذا القياس أيضا يمكن أن يقال إن اللغة العربية أعرقها تطورا وتدرجا في الاستعمال على حسب الحاجة ، فليست مزيتها الكبرى أنها قديمة معرفة وحق ، ولكنها تضيف إلى ذلك مزية أخرى وهي تمام التطور في استعمال الضمائر حيث تظل اللغات الحية ناقصة أو جامدة لا تقبل النمو على جنورها الحية من جديد . أما إنها أقدم اللغات الحية بدلالة الضمائر والأسماء الموصولة فهو ظاهر من احتوائها عليها جميعا وبقاء أصولها جميعا فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التي تناسبها .

فالضمائر في اللغات الجرمانية واللاتينية هائية أو ذالية أو لامية ، ونعني بالهائية ما يظهر فيها حرف الهاء ، وبالدالية ما يظهر فيها حرف الذا ، ومقابلاته في اللغات الأخرى ، وباللامية ما يظهر فيها حرف اللام كما يظهر في الآلف واللام الموصولة عندنا .

ففي اللغة الانجليزية تستعمل he (هي) لضمير المذكر الغائب (هو) باللغة العربية

من أقدم ألفاظ اللغة الضمائر وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ، لأنها وجدت مع أقدم الأسماء في وقت واحد ، لتتوب عن اسم الشخص المخاطب والغائب ومن هو في حكمه ، فيقول المتكلم لمن يخاطبه (أنت) ويقول عن الغائب أو الحاضر الذي لا ينتج إليه الخطاب (هو) ويستغنى بذلك عن إعادة الأسماء في كل خطاب أو إشارة . ولا يخفى أن الأسماء لا توجد في القدم دفعة واحدة ولا تزال في ازدياد وتغير مع تطور اللغة واتساعها ، فهي - لهذا - لا تصلح كلها للمقارنة بين اللغات المختلفة ، وبخاصة مقارنة اللغات التي يراد بها الدلالة على القدم أو على أحوال اللغات في مادتها الأولى .

أما الضمائر فهي محدودة معدودة لا يصعب إحصاؤها أو تتبع أدوارها في تطوراتها وتبدلاتها ، فهي - لهذا - موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللغات وأحداثها وهي أدل من الأسماء على عراقة اللغة وتطور استعمالها على حسب الحاجة إليها .

وبهذا المقياس من مقاييس المقارنة يمكن أن يقال إن اللغة العربية أقدم اللغات الحية

فالجنس في الأغلب الأعم من اللغات الهندية الأوروبية ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مذكر ومؤنث ومحايد، أى ليس بالمذكر ولا بالمؤنث.

وهذا وضع عقلى مخطئ ، لأن التقسيم الصحيح في الجنس المتميز أنه مذكر ومؤنث وليس هناك جنس ثالث متميز يسمى بالمحايد بل هناك أشياء لا جنس لها أصلاً يستعار لها الجنس على سبيل المجاز ، فتلحق بالمذكر أو بالمؤنث على حسب المناسبة عند وضعها ، وليس هناك جنس ثالث ولو على الشذوذ كما يعرض للذكر المشكل أو للأنثى المشكل ، فإنهما في حقيقة التقسيم ذكر غير متميز أو أنثى غير متميزة ، ولا ثالث للجنيين يسمى بالجنس المحايد بينهما .

وفي اللغة العربية تميز بين الضمائر في حالات الأفراد والجمع لا يعرف لغيرها بعمومه ودقته وتنوع تصريفاته ، ف (هم) لجمع المذكر و (هن) لجمع المؤنث ، و (أنت) بفتح التاء للخطاب المفرد و (أنتن) للخطابين والمخاطبات، المفردة و (أتم) و (أنتن) للخطابين والمخاطبات، وهذا عدا التمييز بين علامات جمع الأسماء كالمؤمنين والمؤمنات والمتكلمين والمتكلمات، وعدا التمييز بين الضمائر في حالات الفعل النحوية والصرفية بالنسبة للجنيين .

ولا توجد لغة حية تلتزم التفرقة على قواعد المطردة كما تلتزمها اللغة العربية . ومن أدق الفوارق العقلية الملحوظة في

وكانت (هيو) تستعمل لضمير المؤنث الغائب heo إلى القرن الثاني عشر ، مقابلة (هى) باللغة العربية .

ومن أسمائهم الموصولة what (هوأ) يضم الهاء ، و whose (هوذ) وهى تستعمل عندهم كثير فى مواضع الذى والذى والإضافة للملكية . وفى اللهجات الجرمانية والتيتونية تستعمل (زى) Ziz فى الدنمركية و (زيو) فى السكسونية القديمة و (زو) فى الإيسلاندية بمعنى (هى) العربية .

وفى اللغات اللاتينية تستعمل (ال) IL بمعنى (هو) وتدخل (ال) التعريف بلفظها ومعناها على بعض الأسماء الأسبانية .

ولا يجوز أن ننسى حرف (التاء) فى هذا المقام ، فإنها - وإن لم تثبت مع كلمات الضمائر كحروف الهاء والذال واللام - إلا أنها تعم فى اللغة العربية للدلالة على التأنيث وتأتى عرضاً فى بعض اللغات للدلالة على التأنيث والتذكير معا كما جاءت فى (توا) toi الفرنسية و thou الانجلاوية ، وغيرها .

ويدل هذا على أنها أصيلة فى اللغة العربية مستعارة - أو عرضية - فيما وردت فيه من اللغات الأخرى .

وعلامه التطور أظهر من علامة القدم فى استعمال الضمائر وتحديد مواضعها ، كما هو ظاهر فى الدلالة على الجنس والدلالة على العدد ولا مثيل للغة العربية فى كلتا الدالتين .

ليس بالمفرد ولا بالجمع ، فإن اثنين لا يكونان جماعة من الناس أو غيرهم ، والواحد لا يقابل حالة الجمع وحدهما بل يقابل أيضا حالة الواحد مع واحد آخر لا أكثر ، وليس واحد واحد وواحد بالكثرة الجماعية ، ولكنهما واحدان غير منفردين .

والدقة للبالغة في اللغة العربية أنها لا ترى لزوما عقليا لتنويع ضئائر الثلاثة وما فوقها ، لأن الفرق بين الثلاثة والأربعة كالفرق بين الثلاثة والعشرة والعشرين ، ليس فرقا في كنهه (الجمعية) أو في الخاصة الجمعية ، ولكن في فرق في صغر الجماعة وكبرها ، فالثلاثة جماعة صغيرة والآلاف جماعة كبيرة ، وقد تكون الآلاف جماعة صغيرة بالقياس إلى عشرات الملايين ، وكلها (جماعة) من وجهة الحد العقلي أو الحد المنطقي ، وإن كانت من وجهة الحساب جماعة صغيرة وجماعة كبيرة وجماعة أصغر أو جماعة أكبر ، على حسب المقدار الحسابي الذي لا يحصر في تحديد معنى الجمع والثنائية والإفراد .

وقم الدقة حين نلاحظ أن اللغة العربية تستدرك للفرقة بين الضئائر بالانفردة بين جموع القلة وجموع الكثرة ، فإن الفرقة بين الثلاثة والآلاف بضمير خاص غير معقولة في باب الفرقة بين الجماعة وغير الجماعة ، ولكن الفرقة بين جمع القلة وجمع للكثرة هو المعقول (البقية على صفحة ٦٦٤)

مسألة الجنس أن اللغة العربية لا تفرق بين الدلالات الجنسية بتقسيمها إلى مذكر ومؤنث أو محايد بين الجنسين ، ولكنها تفرق بينها بتقسيمها إلى ما يدل على العاقل وما يدل على غير العاقل ، وهذا هو التقسيم العقلي المنطقي الصحيح مستقرا في تكوين اللغة لأنها لغة منطقية بالاستعمال إلى ما يناسب الكلام والتفكير ، فالفرق بين (من وما) في اللغة العربية هو فرق بين عاقل وغير عاقل وليس فرقا بين جنس مذكر أو مؤنث وجنس محايد بينهما لا هو بالمذكر ولا بالمؤنث ولا بالمشكل الذي يحسب مذكرا تارة ومؤنثا تارة أخرى .

ولولا أننا نتكلم هنا عن الضئائر لاستطردنا إلى السمكيات التي تطلق على الجنسين ويعملون لها عندهم جنسا نحويا يسمى بالجنس المشترك Common ولكن ببحث آخر نرجسه إلى غير هذا المقال لأنه يحتاج إلى تفصيل يستوفيه مقال خاص .

ومن علامات التطور في ضئائر اللغة العربية دلالتها الصحيحة على العدد كدلالتها الصحيحة على الجنسين أصلا واستعارة .

فالضئائر في اللغات الهندية الجرمانية لا تعرف غير حالتين لضمير العدد هما حالة الإفراد وحالة الجمع .

ولكن اللغة العربية تعرف لها حالة ثالثة هي حالة المثني وهو من وجهة التفكير المنطقي

كيف دخلت في الإسلام

للدكتور أندريه رومانى

مقدمة :

كاتب هذا المقال لم يولد من أبوين مسلمين حتى يقال « إنه ورث الإسلام عنهما بدون نظر أو تفكير » . . ولم ينشأ في بيئة إسلامية حتى يقال . . « إن عوامل البيئة قد أثرت في عقيدته الدينية ، لكنه ولد لأبوين مسيحيين ومكان ميلاده : (كازولا آن لونيغيانا — توسكانا — إيطاليا) .

وزمن الميلاد هو عام ١٩٠٤ ، وقد تلقى في إيطاليا تعليمه الابتدائي والثانوي والجامعي ونال شهادة البليوم والدكتوراه في الطب . . وكذلك في علم النفس .
ولقد بدأ قراءته الواعية اليقظة لسكتب القديس توما الإكويني الكاثوليكي الأكبر لعقيدة التثليث ولم يستطع عقله أن يقبل هذه العقيدة فاتجه إلى التفكير في عقيدة التوحيد وأعلن إسلامه وأبشأ يعلن رأيه في عقيدة التثليث . ولما ألوانا من الأذى والاضطهاد من بني جنسه . حتى أنه سجن زمنا طويلا أيام الفاشست . مما دفعه إلى أن يسافر إلى فرنسا ، ثم يتجه إلى إفريقيا فيزور السنغال والكونغو وتنجانيقا ومنها رحل إلى آسيا بحثا وراء المعرفة ليقيم باليابان زمنا ثم ينتقل إلى أندونيسيا وينتهي به المطاف إلى الصومال ، هذا البلد الذي يعتنق أبناؤه جميعا عقيدة الإسلام عن إيمان وتدير فأنس إلى أبناء البلاد . وأقام بينهم وتزوج إحدى فتياتهم وهو الآن يعمل مدرسا لغة الإيطالية بمعهد الدراسات الإسلامية بمقديشيو ابتداء من العام الدراسي الحالي .

ولاني أعرفه ويعرفني منذ سنوات لسكننا لم نشترك في عمل واحد إلا في هذا العام وأذكر أنه لما تقبني في المهد أول يوم عمل فيه ، أقبل على ممانقا وشده على يدي وقال :
الآن وجدت الطريق لأتعلم اللغة العربية وأتزوّد من ثقافة الإسلام على أيديكم .
إن أمنيته أن يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة حتى يستطيع كما يقول أن يقرأ كتاب الله الكريم باللغة التي أنزل بها على محمد بن عبد الله . وما هي ذي ترجمة مقالته التي كتبها بالإيطالية . . .
(عبد الرحمن النجار)

١ - الطريق إلى الإسلام : سواء أكان ذلك لمزاجي وطبيعتي الخاصة

لقد كان طريقاً طويلاً ذلك الذي أدى بي إلى الإسلام ، وأستطيع أن أؤكد أن التحول جذوراً دينية عميقة وأسباباً ثابتة التي تميل إلى نوع من البحث الفلسفي أم لميل فطري إلى التوحيد ذي الفكرة الدينية النقية الصافية ، فمنذ شبابي الباكر أحسست دائماً

إلى الإسلام، دين الوحدانية الرائع الذى هو أكثر الأديان صفاء وانطلاقاً .

وكان الدليل الروحى لى فى هذا المسير كتابات كبار الموحدين زمن النهضة الأوربية أمثال سوشينودا سيننا ، والأسباني سيرفيتو أكبر المفكرين لفكرة تثليث الإله . وقد عملت وسائل بييتشى ديلا ميراندولا التى كتبها ضد مذهب الصور والتماثيل الوثنى - ذلك الذى طالما أثار فى الاشتزاز - عملت هذه الرسائل على إقناعى بصحة تفكيرى ، ولقد أحسست دائماً نحو الإسلام - وبصورة تكاد تكون طبيعية ومقدرة من السابق - بميل شديد وانجذاب قوى فعال ، وكنت أرى فى إيطاليا أن عدداً قليلاً جداً من الناس يعرف هذا الدين للشريف العظيم ، الذى تعتبره الأغلبية هناك ديناً للمتعبين وقتلة المسيحيين . وعندما وصلت فى دراسى إلى الجامعة كان من حظى متابعة دروس دالدوبراندينو مالمازى ، أستاذ الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامى الذى ربما يمكن اعتباره حتى اليوم أكبر دارس للإسلام فى أوروبا كلها ، إنه لا يبالغ فى عظم ولكنه غير معروف فى الصومال .

٢ - هكذا عرفت الإسلام :

وهكذا عرفت الإسلام بعمق ، فى تاريخه وشريعته وأحكامه ، وفى مبادئه الإلهية السامية وعرفت أن الإسلام ليس مجرد مظاهر زائفة كما روج المسيحيون قروناً ،

باهتمام بالأعمال ، الدينية للإنسانية ، وقد كنت أستند بوجه خاص إلى تاريخ مختلف الأديان ، ولأننى ولدت فى أسرة شديدة المحافظة على التعاليم الكاثوليكية فقد أرغمت منذ طفولتى على القيام « بالواجبات » الطقسية الكاثوليكية ، وأعترف بأننى شعرت دائماً بنفور شديد وكراهية عميقة لبعض الطقوس القائمة أساساً على الاعتقاد فى الصور ... والتماثيل ، لقد كانت مظاهر ترك فى نفسى فراغاً روحياً حاداً وعدم رضاء متواصلاً دائماً ، وفى أثناء تلك « الواجبات » كان هقل يصرح غريزياً فى الطقوس الوثنية ويميل إلى أن يرى الدين الكاثوليكي للوثنية الفعلية تحت شعار المسيحية .

وأضى قدما فى دراسة الآباء الكبار لكنيسة روما : الأمر الذى كان يقوى فى نفسى - أكثر فأكثر - يقينى بوحدانية الله !!! إن الله واحد وليس له ولد !!!

وليس هنا مجال مناقشة فكرة « تثليث الإله » الكاثوليكية ، التى هى فى بعض أجزائها ... بروتستانية أيضاً .

وقد دفعتنى القراءة الواعية الیقظة لكتب القديس توما الإكوينى العالم النظرى الكاثوليكي الأكبر لعقيدة التثليث ، دفعتنى - أكثر دائماً - نحو فكرة « وحدانية الله ، القوية الثابتة .

لأننا طريق قطعها بمشقة وتعب ، أبعدتنى عن الكاثوليكية وقربتنى ، بدون انتباه ،

يدهو إلى التوحيد في قوة ، ويسمح بالقرب المباشر ، دون وسطاء بين الإنسان والخالق ، دين ذي روح عالمي وشعور عال بالتضامن بين المؤمنين المخلصين .

وواضح أن الإسلام فقط هو الذي كان بإمكانه أن يقدم إلى ما طلبت من تهدئة روحى المعذبة .

ومن قبل أن أترك البلد الذي نشأت فيه كنت أحس بنفسي مسلما ، وكان القرآن يمثل قراءتي المفضلة المتروية ، بإنسانيتي وبوثناتي وانطلاقاتي الروحية الصافية الخالصة العظيمة نحو الله ، الرحيم القوي .

لقد كان على منضدتي الصغيرة بالقرب من السرير وفي متناول اليد .

وليعلم جيدا أنني جمعت إلى الصومال كسمل لأمارس بحرية عقيدتي بين إخواني ولم آت لمنصب أو لجاء أو نفوذ . لأننى مسلم باقتناعي العميق وليس من أجل استجداء شيء من أحد وقد توصلت إلى الإسلام عن طريق دراساتى وتجاربى القاسية في البيئة الكاثوليكية وهن طريق مختلف الاضطهادات التي لاقيتها والتي استمرت أيضا في الصومال البلد الإسلامى .

٣ — أنا مؤمن بالله وأمر :

أنا مؤمن بالله واحد لم يلد ولم يولد ، مؤمن بأنبيائه مؤمن بمحمد خاتم رسله العظام وإن رسول الله عيسى ليظهر لي الآن إنسانا عظيما أوحى

ولكنه كان وما زال مظهرا لفكرة ديفية صافية خالصة تشكل من نفسها حضارة كاملة ، وإنه لمن الغريب أن يعرف الأوروبيون القليل عن الإسلام والحضارة الإسلامية ، وهم الذين عاشوا قرونا على اتصال بالمسلمين ١١ .

وفي أوروبا يتحدث الناس عما يسمى بالتمصب الإسلامى ، ولكنهم ينسون أن يقولوا إن المسيحيين استطاعوا أن يواصلوا الحياة بين المسلمين بينما لم يقدر المسلمون أبدا على أن ينالوا حظا من ذلك . ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين في أسبانيا وصقلية لنصمت عما بقى كله ، هذه هى الحقيقة .

وبالرغم من أننى أجبرت على أن أظهر ، كاثوليكية (وفي إيطاليا من الضروري أن أظهر ، فقط لا أن تكون) ، بالرغم من ذلك يمكننى أن أعلن وأنا واعى الضمير أننى لم أكن أبدا كاثوليكية لنفور طبيعى أشعر به نحو المبادئ الأساسية لهذا الدين ونحو الفكرة اللاهوتية للتثليث ونحو مذهب الصور والتماثيل الداعى إلى الوثنية .

إن ثقافتى الواسعة وتجاربى الالئية في الحياة ، والاضطهاد الخاص الذى عانيت منه في البيئة الكاثوليكية الإيطالية - هذه كلها دفعتنى - أكثر فأكثر - وبلا انتباه تقريبا في طريق الإسلام بسبب حاجتى إلى دين

شيء المقرر لكل شيء. والمقدر له ،
ومع كل المرارة التي عاينتها والإهانات
التي كابستها في الصومال وفعل مواطني القدامى
فإن هذه السنوات التي أمضيتها في هذا البلد
المضياف بين إخوتي المسلمين كانت أجمل
وأصفي وأهدأ سنى حياتي .

٤ - ماذا وجدت في الإسلام ؟

لقد وجدت في الإسلام أخيراً سلام نفسي
وسكينة روحى وأشكر الله القوى الرحيم .

الدكتور أندريه رومانى

ترجم المقال الأستاذ محمد على ناصر
المدرس بالمدرسة الوسطى (بمقدشيو)

الله إليه فأناز قلبه وليس تلك الصورة القائمة
للإله أو ابن الإله ، الشخص الثانى فى عقيدة
(التثليث) كما يعلم الكاثوليكون وكابريهون .
إن الصلاة الإسلامية التى هى عامل خضوعى
عظيم ترضى روحى تماماً وتسكنها بجعلها
على اتصال مباشر بالله ، وفى صلاة الجماعة
بالمسجد راحة لى وطمأنينة فهمى تجعلنى أشعر
بتضامن الأخوة الإسلامية .

وهكذا أخيراً أسبغت على وجودى صفاء
ووضوحاً إلهيين . ونظراً لعدم استطاعى
التسليم بأن للإنسان (إرادة حرة) -
اعتنقت الدين العظيم ، الدين الحق دين
الإسلام والخضوع لأوامر الله العالم بكل

(بقية المنشور على صفحة ٦٦٠)

متشابه يرجع إليه ارتباط كل وزن من هذه
الأوزان بمعنى القلة أو بمعنى الكثرة . وقد
يكون للأصل الصوتى ارتباط بالإشارة
المصاحبة لإظهار الحيز أو الصورة المقلدة ،
والمسكثرة على حسب المشاهدة بالنظر ، وكل
ذلك مما يصعب تحقيقه الآن ونحاول أن
نحقق بعضه على التقريب جهده المستطاع ،
ولكنه يشير على جميع الحالات إلى القوانين
العريقة التى عملت فى هذه اللغة الجميلة الوافية
عملها العميق ، فبلغت مبلغها الذى لا مثيل له
بين اللغات من التطور الوافى والتمييز المفيد ؟

عباس محمود العقاد

فى حساب الفكر وفى حساب الأرقام على
السواء ، وإن السامع ليدرك من مجرد السماع
أى الجمعين يدل على القلة وأياً يدل على
الكثرة مع اختلاف الأوزان بين بعض
الكلمات ، فلا التباس بين دلالة أبسطة وبسط
ولا بين دلالة أرغفة ورغفان ، ولا بين
دلالة أقفل وقفل ، لأن السامع العربى
يفهم على الأثر أن أبسطة وأرغفة وأقفل
للقلة وأن (بسط ورغفان وقفل) للكثرة
مع اختلاف أوزان فَعُول وفَعْلان وفعل
بضم الفاء والعين .

ولا بد لهذا الأثراد فى الاستعداد لفهم
هذه الفروق من أصل صوتى أو اصطلاحى

الأزهر في نظامه الجديد

للاستاذ الدكتور محمد البهي

ومنذ أن ابتدأ تكون لهم ثقافة إسلامية . وكذلك كلما تعددت جوانب حياة الإنسان المعاصر - عن طريق تقدم العلم ، وكثرة مشاكل الحضارة الحديثة - كلما اشتدت دواعي الفهم للإسلام ولتعاليمه ، وكلما برزت الحاجة إلى الملاءمة بين هذه التعاليم وبين الحياة التي يعيشها المسلم في زمن العلم ومشاكل الحضارة .

وترتبط على ما للمسلمين من ماضٍ في التراث الثقافي والفكري يجب أن تتوفر الدراسة عليه ، وتحديد مناهج الباحثين والمفكرين المسلمين فيما مضى ، وتوزن نتائج بحوثهم وتفكيرهم في ضوء الإسلام نفسه وفي نطاق الأحداث التي مرت بالمسلمين في ماضيهم ، كما يجب أن يدخل في الاعتبار ما للعلم الحديث من قوانين أو نتائج ، وما للحضارة الإنسانية من مشاكل .

وهنا يجب على الذي يحاول فهم الإسلام ويحاول تطبيقه في الحياة أن يعيش في الماضي والحاضر على السواء ، لا يقف عند الماضي ، ولا يتركه ليقيم في الحاضر وحده .

٢ — وماضي المسلمين في التراث الثقافي

١ - لكي يحكم أي إنسان على نظام الأزهر الجديد الذي حدد إطاره القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وكذلك لائحته التنفيذية التي تطبق ابتداء من اليوم الرابع من شهر نوفمبر الجاري يجب أن يقف على أهداف رسالة الأزهر وأولاً . ورسالة الأزهر - من تاريخه ومن أطوار هذا التاريخ التي مرت عليه - هي : العمل على فهم الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، ثم نقل هذا الفهم إلى المستويات المختلفة بين المسلمين . وهذا الفهم ونقله معاً للمستويات المختلفة هو : عبارة عن الملاءمة بين تعاليم الإسلام وبين الحياة التي يعيشها الإنسان المسلم في أي جيل . على معنى ألا تكون هناك فجوة - فضلاً عن أن تكون هناك فجوة - بين الإسلام وبين حياة الإنسان المسلم . وبذلك يبيق إيمان المسلم بالإسلام في مستوى بعيد عن التردد أو الاهتزاز .

وهذا الفهم للإسلام وتعاليمه مع ملامته لحياة المسلم ، كلما بعد الزمن الذي يعيش فيه المسلمون عن عهد القرآن والسنة كلما اتسع نطاق مراجعة التراث الفكري والثقافي الذي كان للمسلمين والذي كونه المسلمون - عرباً وأعاجم على السواء - منذ أن ابتدأوا يتفقهون

من بين المسلمين المعاصرين إلى المزاوجة في الدراسة وفي تحصيل المعرفة ، كما يدفعه إلى أن يقف موقف صاحب الحكم على ما مضى وعلى ما يجرى في حاضره . لا يكون مقلدا لماضيه ولا تابعا ليومه أو غده . وإنما يكون صاحب ملكة وصاحب بصر : صاحب ملكة في فهم الإسلام ، وصاحب بصر فيما يدفع إليه من نتائج وقوانين باسم العلم ، أو فيما يقع فيه من مشاكل باسم الحضارة والمدينة .

٣ - وإذا حددت رسالة الأزهر بفهم الإسلام ، وبملائمته مع أحداث الحياة ومشاكلها ، وإذا ارتبط ذاك الفهم وهذه الملائمة بما مضى من تراث ، وبما يجد من علم أو أحداث - فالنظام الجديد للأزهر الذي قام على أساس من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٩ إذ أعان الأزهر على تحقيق هذه الرسالة كان نظاما صالحا في نفسه ، وكان الخير من ورائه في اجتماع كل القوى على تنفيذه :

(١) تناول النظام الجديد الوضع التعليمي فيما ساء من مراحل التعليم المختلفة من التعليم الابتدائي إلى التعليم الجامعي . وفي هذا الوضع التعليمي في جميع المراحل زواج بين الماضي والحاضر : حرص على المستوى الثقافي الذي يؤهل الطالب ليكون ذا صلة وثيقة بالإسلام

والفكرى كان متنوع الجوانب وكان مختلفا في مستوياته : منه مذاهب الفقه في المعاملات وفروض العبادات ، ومنه مدارس المتكلمين في أصول العقيدة ، ومنه معرفة العلماء في الرياضة ، واتجاهات المفكرين في شرح الكون وعمله ، وفي تحليل الطبيعة وعناصرها ، ومنه المحاولات والتجارب الإنسانية لتحديد طبيعة الإنسان المادية والمعنوية ، ومنه تحديد منهج البحث والتفكير ... إلى غير ذلك من المعارف اللغوية والاتجاهات الأدبية التي كانت تبث ، لخدمة فهم القرآن وشرح تعاليمه ككتاب أنزل بلسان عربي مبين .

أما حاضر المسلمين فهو ذلك الحاضر الذي يزدهر فيه العلم على الدين بمنهج بحثه ونتائجه التجريبية ، وهو ذلك الحاضر أيضا الذي تتقدم فيه الآلة وتكاد تستعبد بتقدمها الإنسان في منطقته وفي سلوكه معا ، وهو كذلك الحاضر الذي تتصارع فيه الاتجاهات التوجيهية وتتغالب فيه وسائل الإعلام المختلفة كي تتميز اتجاهها توجيهيا على اتجاه آخر ، أو كي تحاول الإقناع بمذهب معين أو بعقيدة معينة . ذلك كله في حاضر المسلمين مضاف إلى قوى الاستعمار المختلفة في الأسلوب والصورة ، وإن اتحدت في الأهداف والغايات .

وماضى المسلمين وحاضرهم معا يدفع من يحاول أن يكون صاحب معرفة إسلامية

وذا صلة بمواطنيه وبمجيرانه في الوطن القريب أو البعيد . وبذلك يكون هذا الطالب ذا استطاعة خاصة لا لفهم الإسلام وحده ، وإنما كذلك للوقوف على الطريق الأقوم في الريادة ، التي هي رسالته كطالب تخرج في الأزهر .

فإذا أنشأ هذا القانون كليات عملية ، أو كليات علمية بجانب الكليات الإسلامية والعربية فإنه لا يكون - بناء على ماضى - متجنبا على المستوى الثقافي والعربي ، أو محاولا الانقاص منه . بل على العكس في إنشائه لهذه الكليات ساعد على توسيع نطاق المستوى الإسلامي والعربي في التعليم ، كما ساعد على توسيع نطاق الريادة للطلاب الأزهرى . فلكليات الطب والهندسة والزراعة ، وكلية المعاملات والإدارة ستقوم بتزويد طلابها بالمعرفة الإسلامية والعربية فوق ما تقدمه لهم من معرفة رياضية وطبيعية وطبية واقتصادية وتجارية .

والطالب بالأزهر الذي ستزيد سنو الدراسة بالنسبة له سنة في المرحلة الإعدادية وستين في المرحلة الثانوية سيكون طالبا فريدا في الجمهورية العربية وفي البلاد الإسلامية . أو بعبارة أخرى سيكون الطالب الذي تقتضيه ظروف حياتنا هنا وحياة المسلمين فيما وراء وطننا العزيز . وربما يتميزه بذلك يصبح التعليم في الأزهر تعليما نموذجيا يحتذى هنا وهناك . ومن الخطأ أن يظن أن الطالب الأزهرى

ومبادئه ، وذا إدراك لأساليب اللغة العربية في فهم نصوص القرآن والسنة النبوية ، وفصوص كتب السابقين فيما درّوه عن تراثنا الفكري الإسلامي . وبهذا عمل على إعداد له ليكون رائدا في فهم الإسلام ، وفي طريقة هذا الفهم .

كما حرص هذا النظام في الوضع التعليمي في جميع المراحل أيضا على أن يفتح الطالب عينيه على ما يجرى من أحداث أمامه في حياته اليومية ، وما يواجهه من مشاكل في هذه الحياة ، وما يلتقي به من توجيهات يدفعها الأثير ، وتدفع بها المطابع ودور النشر ، وما يطلع عليه من نتائج علمية ترصدها التجارب ، ومعامل الاختبارات .

لم يغفل هذا النظام الجديد القرآن وحفظه ، بل أكدّه فيما خطط من منهج . ولم يضعف من شأن العلوم الإسلامية بل خلصها عما يعوق الطالب عن فهمها ، كما زاد في مادتها وموضوعاتها . ولم يهمل شأن علوم اللغة وآدابها وتاريخ المسلمين ومجتمعهم الإسلامي والعربي ، بل في ذلك كله عنى بالتجلية والتوضيح والزيادة .

وأضاف في منهاج الطالب علوم الرياضة والطبيعة - وهي علوم اليوم والغد - وجغرافية العالم البشرية والاقتصادية والتاريخية ومذاهب الفلسفية ومنهجها في البحث ، كي يصل الطالب إلى أن يكون ذا صلة بالمجتمع الحاضر ،

المجتمعات في صورة طالب وافد يعد ، أو مبعوث أزهرى يرسل ، أو كتاب ينشر ، أو مجلة تطلع على الناس في فترات معينة برأى الإسلام في مشاكل المسلمين ومشاكل العالم .

* * *

٤ — وبهذا الوضع الجديد للأزهر في النظام التعليمي ، وفي دائرة البحث يستطيع الأزهر أن يدفع إشعاعه في قوة أكثر ، وأن يصل برسالته إلى أعماق المجتمعات الإسلامية والعربية على السواء ، كما يستطيع الطالب المتخرج فيه أن يكون أبا ورائداً لا خصماً يخاصم الآخرين ويخصمونه ، وينازعونه الرأي وينازعهم ، فوق أنه يصبح ذا صلاحية لأن يعيش في الحياة عن غير الاحتراف برسالة الإسلام .

وذلك كان شأن المسلمين الأول أيام هزتهم وفهمهم للإسلام فهماً صحيحاً ، وبطبيعة في حياتهم اليومية : فلم يكونوا أصحاب حرقة بالدعوة ، وإنما كانوا أصحاب رسالة يؤدونها في سبيله . ولم يكونوا ذا عزلة عن أفراد المجتمع الآخرين ، وإنما كانوا منهم وذوى ريادة لهم .

هذا هو هدف النظام الجديد للأزهر نرجو الخير العميم من ورائه ، وندعو للذين صنعوه ، ودفعوا به إلى الوجود بتسديد الخطى ، والثواب الكبير عند الله .

الدكتور محمد البهري
مدير جامعة الأزهر

سيتحمل عبئاً زمنياً في حياته الدراسية أكثر مما يتحمله الطالب الآخر في نظام تعليمي آخر فليس نظام التعليم في العالم نظاماً واحداً ، وليس نظام الإعداد ذى السنوات الثلاث والنظام الثانوى ذى السنوات الثلاث أيضاً هو الأوحده أو الأمثل في نظم التعليم المدرسية في إدارة التربية والتعليم في الأمم والشعوب المختلفة . على أنه من جانب آخر كان التعليم في الأزهر على أساس النظام الماضى قبل هذا القانون هو التعليم المتميز بزيادة السنوات الثلاث في مرحلتين من مراحل نظام التعليم الجارى في الجمهورية العربية المتحدة ، ومع ذلك لم يقل أحد أن الطالب الأزهرى رغم ذلك يتحمل عبئاً زمنياً أكثر مما يتحمله غيره .

ب — وتناول هذا النظام الجديد أيضاً وضع اتصال الأزهر بالمسلمين في مستوياتهم المختلفة ، ومعاونتهم على فهم الإسلام في مبادئه ونظامه في الحياة فأنشأ مجمع البحوث الإسلامية ، وحدد جهازه التنفيذى فيما سماه بإدارة الثقافة والمبعوث . والتجمع في تخطيطه في ظل هذا النظام أكاديمية للبحوث الإسلامية تعكس صورة الأروقة التى تجمع المتفرغين للبحث لذات البحث ، ولخدمة المبادئ والمثل التى يمثلها الإسلام في نظامه للفرد والجماعة ، وعلى جهازه التنفيذى أن يدفع بمستويات البحوث المختلفة التى تؤدى فيه إلى مستويات العقول والأفهام في مختلف

اشتراكية الاسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

١ - العالم والنظام الطبقي :

لقد جعلت عنوان هذا البحث « اشتراكية الإسلام » ، لأنني أؤمن بأن للإسلام منهجا خاصا يمثل ما لا يمكن أن يرقى إليه الفكر الإنساني من تصور اشتراكية عادلة منصفة ملائمة للطبيعة ، لاهي مصنوعة ولا موضوعة . فإنه إذا قام مجتمع ما على أساس إنكار طبائع الأشياء أو وجد فيه من أحكام التعامل والسلوك ما ينافرها ويغالباها ، فذلك هو المجتمع المصطنع الذي لا يلبث أن تأباه الطبيعة وتقارمه ، فلا يستطيع أن يثبت أمام مقاومتها .

ومن مزايا التشريع الإسلامي أنه يدرك هذا الأمر حق الإدراك ، وأنه يجري على مقتضاه جريانا كلياً ، لا يختلف أسلوبه فيه مهما تعددت الأحكام ، وليس ذلك بعجيب فهو تنزيل الحكيم الحميد ، الذي يعلم السر في السموات والأرض .

إن أول أساس من أسس هذه الاشتراكية الإسلامية هو المساواة بين الناس .

ولكني نعرف المدى الذي وصل إليه الإسلام في شأن المساواة ، يحسن بنا أن نعرض الصورة التي كان عليها العالم قبل الإسلام بما هو ثابت في تاريخ الأمم والشعوب قبل الإسلام : إن الناس كانوا منقسمين إلى طبقات ، كما كانوا يعتقدون أن الدماء الآدمية تختلف ، ويعتبرون أن الحقوق تبعاً لذلك تتفاوت ، فلهذه الطبقة من الحقوق ما ليس لتلك ، ولهذا الدم أن يحكم وأن يورث الحكم . وبهذا فترت لهم ، وانحلت العزائم ، لأن الناس أصبحوا يدورون في فلك ضيق ، فالطبقة المستعملة لا تشعر أنها في حاجة إلى أن تسلك في الحياة سبيلاً قوياً لأن أحداً منها لا يخاف أن يضع مجده أو ينزل إلى مرتبة العامة ، والطبقات العامة لا تسمو نفوسهم إلى حياة أرفع لأنهم يأسون من ذلك في ظل هذا المجتمع الطبقي ، ومن ثم استرخى هؤلاء وهؤلاء ، وصار العز والرفعة ميراثاً يصل إلى الأبناء ، عن طريق الآباء ، كما صار الفقر وللشقاء ميراثاً لقوم آخرين . هذا النظام الطبقي هو النظام الذي كان يعرفه

وأجناسه هذا لتفريق العجيب ، وبذلك انهم ركن المساواة الذى هو أهم ركن من أركان المجتمعات المثالية .

فماذا فعل الإسلام بإزاء هذا النظام الطبقي الظالم الذى ساد العالم كله شرقيه وغربيه ؟

٢ - المساواة فى الإسلام :

بسم الله تعالى للناس أنهم جميعا متساوون فى أمرين أساسيين :

أحدهما : أنهم مخلوقون لإله واحد هو الله وبهم الذى وبهم الحياة وهياهم لها ومنهم جميع أسبابها ، وإذا فسبتهم إليه جل جلاله واحدة لا تفاوت فيها بين أفرادهم وطبقاتهم فليس لأحد أن يزعم أن له امتيازاً فى هذه الناحية على أحد ، ومن ثم لا يوجد فى الإسلام كهنوت ، وليس رجال الدين فيه إلا كغيرهم فالكل مربوبون لله وليس بينه وبين عباده أية واسطة فهو أقرب إلى كل منهم من حبل الوريد ويمكن لكل إنسان أن يدعوه دون توسط أحد فى هذا الدعاء فيسمع طاه ويستجيب له ، ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . . . وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . .

الامر الآخر : أنهم جميعا ناشئون من أصل واحد . . . ولنا خلقناكم من ذكر وأنثى .

العالم ، ويرضخ له ، وكانت الشعوب تسير على مقتضاء مسخرة . ولا تعرف الأكرية فى ظله حقاً ، ولا تستطيع من طول ما أصابها من الذل أن تفكر فى التخلص منه .

وكانت هذه الطبقة تظهر آثارها متمثلة فى المناصب ومن تسند إليهم ، وفى الأرض ومن يملكها ، وفى العقوبات واختلافها بحسب مراكز المستحقين لها إلى غير ذلك .

وكذلك كان للعرب فى جاهليتهم على نحو من هذا النظام الطبقي : فيهم قبائل رقيقة ، وفيهم قبائل أقل شأنًا ، فنرى للفرزدق الشاعر يفاخر بقبيلته جريرا فيقول :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير الجماع

ونرى غيره يوازن بين قبيلة (نمير) وقبيلتي (كعب وكلاب) فيقول :

ففض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وبلغ من أمرهم أنهم كانوا يعتقدون أن دماء الأشراف تشفى من دماء الكلب ، وفى ذلك يقول شاعر منهم .

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

هكذا كان شأن العالم قبل الإسلام ، يستوى فى ذلك العرب وغير العرب : عالم تسوده الطبقة وتفترق بين أفرادها وقبائله

في البر والبحر ، تصوير لمظهر العلو وأن الإنسان مخدوم محمول حيثما حل : سخر الله له في البر ما يحمله وسخر له في البحر ما يحمله . وقوله تعالى : د ورزقناهم من الطيبات ، تصوير للمستوى الرفيع الذي عليه الإنسان في مطعمه ومشربه ومسكنه وملبسه وهو ما يمتاز به على ما سواه من الأجناس الحية .

وقوله تعالى د وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، إجمال للمزايا الإنسانية والمواهب التي فطر الله عليها هذا النوع ، مواهب العقل والقدرة على متابعة التفكير وإدراك الروابط الحسية والمعنوية والاستعداد للارتفاع بما في هذا الكون ، وغير ذلك من ملكات انفرد بها أو امتاز فيها فكان من أجل هذا مفضلا على غيره من أصناف المخلوقات الحية ، هذه هي الأسس الثلاثة العظمى التي أقام الإسلام عليها صرح المساواة . الناس جميعا متساوون أمام الخالق — الناس جميعا ناشئون من أصل واحد — الناس جميعا مشتركون بالكرامة الإنسانية ومظاهرها التي فاض عليهم بها الجود الإلهي .

ولكن هل تركت هذه الاشتراكية في المساواة دون أن يرد عليها أى قيد وبعبارة أخرى هل تقتضى المساواة أن يترك الناس أحراراً ولو انتهت بهم حريتهم إلى لون أو ألوان من الفوضى ؟ .

(كلكم لآدم وآدم من تراب) بهذين الأصلين استقر في الناس أن إنسانيتهم واحدة وربهم واحد فلا يمكن أن يمتاز فرد من أفرادهم أو طبقة من طبقاتهم أو جنس من أجناسهم أو لون من ألوانهم أو سكان لإقليم من أقاليمهم أو سلالة شعب من شعوبهم امتيازاً مرجعه إلى الدين أو السلالة والدم .

والقرآن الكريم يقرر مبدأ الكرامة الإنسانية ويجعلها حقاً من حقوق بنى آدم التي فاض بها الجود الإلهي عليه كما فاض بتقويمهم في الخلق وتمييزهم بالعقل وتسخير كل شيء في السموات والأرض لهم . يقول الله تعالى : د ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، فهذا تكريم شامل مستغرق لجميع هذا النوع من الخلق ، ولذلك اتخذ لهم فيه أعم عنوان ، وهو كونهم (بنى آدم) فلا تمييز فيه بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين آرى وسامى ، ولا بين شرقي وغربي ، ولا بين ذكر وأثى ، ولا بين قوى وضعيف ، ولا بين غنى وفقير .

هذا هو مبدأ الكرامة الإنسانية تقرره الجملة الأولى في هذه الآية واضحا حاسما ، أما الجمل الثلاث بعدها فتذكر المظاهر الرئيسية لهذا التكريم الإلهي ، فقوله تعالى : د وحملناهم

٣ - اشتراكية العلم والمعرفة :

إن عقيدة الإسلام وجميع معارفه النظرية والعملية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وهي من أجل ذلك كلاً مباح لكل ذى عقل مفكر ، فليس هناك سر مقصور على رجال يعرفون بأنهم رجال الدين ، بل ليس هناك رجال بهذا الاسم ، فكل عالم بصير منصف هو رجل دين كما هو رجل دنيا ، ورجل علم . ومن هنا نستطيع أن نقول : ليس في علم الإسلام كدين أى احتكار ، أو أية طبقية أو إقطاعية ، إذا صحت هذه التعابير .

بل إن الإسلام على العكس من ذلك يوجب على كل رجل أن يعلم ، وعلى كل امرأة أن تعلم وينسك التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ويرفع أولى العلم إلى أسنى مكانة حين يجمع بينهم وبين الله وملائكته في الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط ، أى أنهم هدول في أعظم قضية ، وأكبر شهادة . يقول جل شأنه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، ويقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

ويصل الأمر بالإسلام في تكريم العلم ، والإقرار بشأن البرهان العقلى إلى أن يقول القرآن الكريم : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه ، فن

المعلوم أنه لا برهان أبداً على شريك مع الله ، وأن واقع الأمر هو الوحداية . ولكن القرآن مع ذلك يفرض المحال - تعظيماً لشأن البرهان وإقراراً بسلطان العقل - ويقرر أن الأمر حتى في هذا أمر برهان وحجة : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » ، إلى هذا الحد يحكم الدليل وما يؤثر من علم وحجة وما ذلك إلا تعظيماً لشأن العقل والعلم .

والقرآن الكريم يقرر أن الله لا يرضى باحتكار العلم وكتابه وأنه سبحانه قد أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، كما يقرر لعنة الله والناس على كاتمى العلم إلا أن يتوبوا ويبينوا فيقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وينبوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

والفقه الإسلامى يقرر أحكاماً كثيرة على أساس أن العلم حق لكل إنسان لا يجوز حده عنه :

وسبحان ربنا الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

٤ - الحرية :

إن المساواة والكرامة يتولد منهما أعز شئ فى هذا الوجود ، وهو « الحرية » ، ذلك بأن الاستعباد إنما يكون حيث يعترف بفارق بين سيد ومسود ، فى الأصل والمنشأ ، أو فى الصلة بالرب الذى خلق وأنعم ، أو فى الكرامة والاهواز بالنفس .

ولذلك كان الإسلام منطقيا حين قرر الحرية ، بعد أن قرر المساواة والكرامة الإنسانية .

فالإنسان حر منذ ولده أمه ، وفى ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) والإنسان حر فى عيادته « لا إكراه فى الدين » . حر فى إبداء رأيه « وأمرهم شورى بينهم » ، حر فى تأييد الخير والصالح وإنكار الشر والفساد « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، حر فى اختيار الأسلوب الذى يريده فى العمل « قل كل يعمل على شاكلته » ، إلى غير ذلك من مظاهر الحرية التى كفلها الإسلام للناس .

ولكن هذه الحرية إنما هى الحرية التى تعطى لصاحب الشخصية المسؤولة ، وليست هى حرية الفوضى من التكاليف المتحيلة والضوابط .

فالابن له أن يخرج لطلب العلم المفروض ولو بدون إذن والديه ، وللزوجة هذا الحق ولو بدون إذن زوجها إذا أجاز أن يعلمها ما افترض الشارع عليها من علم .

ونفقة طالب العلم واجبة على أبيه المورس ولو كان الطالب قادراً على الكسب .

وكتب العلم لأصحابها من طلاب وطلما هى من الحوائج الضرورية كالدار والطعام واللباس فلا تدخل قيمتها فى نصاب الزكاة .

ولا يلزم أصحابها أن يبيعوها لأداء فريضة الحج وإذا أفلس مدين يبيع عليه كل شئ .

إلا كتب العلم للعالم أو الطالب فلا نباع عليه . والسر فى ذلك كله أمران : أحدهما أن الإسلام واثق من حقائقه وقضاياه ، فهو يمرضها على العقول مطمئنا إلى أنها ستؤيدها .

والأمر الثانى : أنه يدرك تمام الإدراك أن هظمة الإنسان ، بالقياس إلى غيره - حتى الملائكة - إنما ترجع إلى علوه واستعداده لمناجاة التفكير ، واستنباط المجهول من المعلوم .

هذا قليل من كثير فى بيان (اشتراكية العلم) فى الإسلام ، وحسبنا أن الله تعالى علم نبيه وصفوة خلقه أن يدعو بقلوبه : « وقل رب زدنى علما » ، وأنه يقول لخلقته من لدن خلقهم إلى أن تقوم الساعة « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

ومنها أن يعرف الإنسان أن هناك رقيباً عليه ، يعلم سره ونجواه ، ويتقاضاه حقوق التقوى ، وحقوق الأرحام التي بين بني الإنسان ، ولذلك يختم القرآن الكريم بعض آيات المساواة بقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً .

والناحية التوجيهية في هذا الختام ذات شعبتين :

إحداهما راجعة إلى العقل ، وهي الأمر بتقوى الله ، الذي خلقهم ورباهم بنعمته ، والذي له بحكم الفطرة في نفوس خلقه كل مهابة وإجلال .

والشعبة الأخرى راجعة إلى العاطفة ، فإن الإنسان إذا عرف أن بينه وبين إخوانه في الإنسانية أرحاما ، تتحرك عاطفته ، فتسكون الرحمة ، ويكون الحنان ، ويكون التعاون . والأرحام دائرة مقسمة :

فالزملاء في علم بينهم رحم من هذه الزمالة يجب أن ترعى ، والزملاء في زراعة كذلك ، وفي تجارة كذلك ، وفي وطن كذلك ، وفي جوار كذلك ، وهكذا تعدد الأرحام بتعدد الصلات والزملات ، فتسكون منها روابط عاطفية من شأنها أن تيسر أمر المجتمع ، وتعينه على أن يشق طريقه في الحياة ، قويا عادلا متعاوناً متراحماً .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

يقول القرآن الكريم : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وفي هذا الختام يتجلى المعنى الذي يريد به الإسلام أن يوجه الحرية إلى العمل للصالح والسلوك القويم ، وذلك بقية تضى أموراً أساسية .

منها أن يستمتع الفرد بحريته إلى الحد الذي لا يخرج به من إنسانيته ، إلى الحيوانية المندفعة في مراتع الشهوات ، أو مزلق الغضب والانتقام ، وفي هذا ضمان دون الانفلات باسم الحرية ، إلى ما يعرف بالوجودية ، تلك التي تريد أن تجعل من الإنسان ، بهيماً لا صلة له بالمعاني الروحية .

ومنها أن يلتزم الإنسان في حريته عدم التعدى على حقوق الآخرين في حريتهم وإلا كان بانياً نفسه على أنقاض غيره ، وقد عنى الإسلام بتهذيب النفوس من هذا الخلق حيث اعتبر من دعائم الإيمان ، أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يكره له ما يكره لها ، وبذلك أعطى كل إنسان ميراثاً خاصاً يعدل به حريته بالنسبة لغيره .

ومنها أن يعرف الإنسان أن مبدأ المساواة والكرامة مجال يتحقق فيه تكافؤ الفرص أمام العاملين ، وبذلك يسعى إلى اكتساب الميزات ودرجات الفضل ، ويؤمن بالقيم ويستهدف المثل .

نَفَاحَةُ الْقُرْآنِ

المطامع مشار الفرتة بين الناس

لِلْأَسَاذِ عَبْدِ اللطيف السبكي

- ١ - « قُلِ الْآتِفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولُ ٢٠ - فَاتَّقُوا اللَّهَ
- ٣ - وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ . ٤ - وَأَطِيعُوا اللَّهَ
- ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

والراحة ، كما أن للروح نصيبها الختمى من التزود بالعلم ، والتدين ، وتوثيق الصلة بالله والتعلق بمتاع الآخرة .

وبين الدين والدنيا وسط منشود والوسط هو طابع الإسلام ، ومنهجه الصحيح وانظر - معى - فى موقف المسلمين الأولين من تطلّعهم إلى عرض الدنيا : فأهل بدر وهم أهل السبق إلى ساحات الجهاد ، وأصحاب الحظ الأوفر من رضوان الله : حينما فرغوا من جهاد عدوهم ، وأطاحوا بكثرة من جيش الكافرين تطلّعوا إلى الغنيمة التى وقعت فى أيديهم من أموال العدو المهزوم .

وبدأ الشيوخ والشبان عن كانوا فى مواجهة الكافرين بالمحمة ، أو كانوا فى الحراسة ، يتفاضلون فى استحقاق الغنيمة ، ويختلفون على قسمتها : مساواة . أو تمييزا ١١

ولولا دين يحكمهم ، واطئنان إلى هدى

تسكاد لا تجد ثغرة من خلاف ، ولا تصدعا بين قوم : إلا وجدت المطامع ، والنزاحم على إشباع الرغبة سببا أول فى المشادة والالتواء ، والتدابير والقطيعة ... وهؤلاء هم أصحاب الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - وطلبة المجاهدين معه ممن آثروا التضحية بالروح فى سبيل العقيدة والوطن ، لم يتجردوا من التعلق بالمال ، ولم يتحرروا أول أمرهم من النزوع إلى النفعية ، والجنوح إلى حطام الدنيا إلا بعد أن صقلهم الإسلام ، وتعاهدهم الرسول بالتهذيب حتى تبدلت فيهم النزعة ، وأصبح لبعضهم عزوف عن متع الحياة المشروعة ، وخيل إليهم أن التفرغ من الدنيا لأجل العبادة هو الدين كله .

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم - يعلمهم أن الإسلام دين ودنيا ، وأن للطبيعة البشرية حظها من الزاد ، والتبسط ، والنوم

(٣) وأطيعوا الله ورسوله .

فتقوى الله بتجنب ما يغضبه ، وعمل ما يرضيه ، وحينما يعمر القلب بالتقوى يكون تعلقه بأعراض الحياة معتدلاً ، ولا تجرفه فتنة المال ، ولا شيء سواه من زخرف الدنيا ويكون دائماً على نور من ربه فلا يستهويه شيطان ، ولا يدافع الناس عن خير مشترك .

(٢) والأمر الثاني - إصلاح ذات البين -

إصلاح العلاقة التي تربط بين الناس ، وصيانتها من شوائب الخلف ، والتلطف مع الغير لتظل الأنفس قريبة إلى بعضها ، فلا تتسع بينهم فجوة الغضب ولا يزداد الأمر سوءاً بالتقاطع فإن دين الله يدعو الناس إلى الجماعة ، ويعلمهم الرسول أن من شذ عن الجماعة شذ إلى النار .

وكم علمتنا الحياة أن الشقاق لا يعود بخير أبداً ، إن لم يجلب الشر حتماً .

فتوجيه القرآن إلى إصلاح ما بيننا ، وتوثيق الإخاء فيما توجيه إلى ما تقتضيه الحياة التي ننشدها لأنفسنا إن كنا بأنفسنا رحماً .

(٣) الأمر الثالث - إطاعة الله ورسوله في ناحية الأموال والروابط وسواهما من كل ما نعرف عن الدين ، والاستئناس بهدي الدين ينير لنا سبيل السعي في دنيانا ، فنسير في حياتنا آمينين الانحراف ، والعثرات التي يتردى فيها من يتخبط في ظلمات الضلال وراء شهواته وشيطانه .

هذه الدعائم الثلاث - التقوى والإصلاح -

الرسول فهم لكان للأمانية ، وغلبة المطامع شأنهما في تفرق المسلمين ، وتمزيق وحدتهم الجديدة التي يقفها الرسول بالتكوين والتقوية .

ولكن رجعتهم إلى الرسول في بيان تقسيم الغنيمة جنبهم تصدع وحدتهم ، من فتنة المال وهم جماعة حديثو عهد بالإسلام لم تتأصل فيهم زهادة المتدين المتعفف المحب لغيره ما يجب لنفسه ، تداركهم الله ، فأرعى إلى رسوله « يسألونك عن الأنفال » ، « قل : الأنفال لله والرسول » .

يعني تقسيم الأنفال - وهي الغنائم - موكول إلى حكم الله الذي يبلغه الرسول إلى الناس ، وليس منوطاً برأيهم ، ولا متروكاً لتقديراتهم حتى لا يختلفوا في استحقاق ، ولا في مقدار صطاء . عندئذ خشعت أصوات الجدل ، واطمأن نفوس الجميع ، مع أن هذا أول موقف يغتم المسلمون فيه مالا في حرب عدوهم ، ومع أن نزعتهم إلى المال كانت نزعة مشبوبة متحكمة ، ولكنها كلمة الله نزلت بين قوم عاهدوا الله ، وأوفوا بعهده على الطاعة والسمع .

غير أن القرآن في هذا المقام أرجأ تفصيل الحكم في استحقاق الغنيمة ، وبيان سهامها ، وسارع بالدخول في أمور جوهرية ذات شأن في حياة الجماعة - تلك الأمور : ثلاثة :

(١) اتقوا الله .

(٢) وأصلحوا ذات بينكم .

ألزم لهم ، وأضمن لاستقامة الأمر فيهم وهو الخيط الذي ينتظم فيه عقدهم .

ثم يعود القرآن في مقام آخر ويبين لهم تفصيلا تقسيم الغنائم ، واعدلوا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ، الآية .

وحينا خوطب النبي وأصحابه في هذا الشأن كان ملحوظا بالضرورة أنه خطاب لجميع

المسلمين على اختلاف أزمتهم ، وجنسياتهم .

ولئن كان إيمان الصحابة يومذاك إيمانا حقا

- ولا ريب - فمقام التعليم يتناول حاضري

المسلمين ، وغائبهم ، واقضى ذلك تذكير

الناس بالحق ، والاستنهاض بقوله سبحانه :

« إن كنتم مؤمنين » .

وليس في هذا الشرط تشكيك فيهم ،

ولا ريب في إيمانهم ، وإنما القصد أن

الإيمان الحق يستلزم الرجوع إلى حكم الله ،

والأخذ بدينه ، والحفاظ على سلامة الجماعة

من التفرق ، ولن يستطيع أحد أن يرتاب

في حقبة تعاليم القرآن ، ولكنها مطامع

الدنيا تغلبهم ، وتفرق بين جماعتهم

وقديما كان الطمع مشأمة على أبيهم آدم

وزوجه ، حينما بواهما الله الجنة يعيشان في

نعيمها ، ويهتنان في ظللها ، آمنين من مذلة

الحاجة ، وشقوة الحياة الدنيا ، واثقين من

كفالة الله لهما ألا يمسهما سوء ما دام على

عهد الله : « يا آدم ، اسكن أنت وزوجك

الجنة ... إن لك ألا تجوع فيها ، ولا تعرى ،

وملازمة الطاعة هي المبادئ الجامعة لعناصر

الدعوة الإسلامية كلها ، وهي المسالك التي

تمثل فيها الإنسانية بالنسبة لموقف العبد من

ربه وحسن سيره في منالك الحياة مع الناس .

وقديما درج عليها أسلافنا ، ودرج عليها

صالحو المؤمنين ، فكانوا خير مثل يحتذى ،

وكانت محامدهم أنشودة التاريخ .

وعجيب : أن تكون هذه المبادئ هينة

في ذاتها ، وأن تكون من وحى الواقع الذي

نلبسه ، ثم نرمي أنفسنا في صدد عنها كأنها

ظنون مشكوك ، أو فكرة مرجوحة ، وهي

لا تكون واهنة كذلك إلا عند من لا يفتن

إلى ما يلامسه ، وهند من يستقبل دعوة الدين

بغير ثقة ، ولا اطمئنان .

وكان من تنبيه القرآن على خطر الأمر

في ذلك التوجيه أن يختم الله نصحه هذا بقوله :

« إن كنتم مؤمنين » .

يعنى : هذا نصح واجب الاتباع ، إن كان

إيمانكم صادقا ، فإن أثر الإيمان الحق هو

السمع والطاعة . . . وإلا كان إيماننا واهنا

غير وثيق .

ثم انظر : موقف من المواقف بين المسلمين

يغريهم حب المال فيه بالتسابق في الاستحقاق

يكون خطراً على مجتمعاتهم إلى أمد بعيد ، حتى

إن القرآن ينزل بتفصيل البيان في شأن الغنيمة

التي كانت سببا ، ويبادر إلى تثقيفهم بما هو

الأكل من الشجرة فكانت حرمانا له من كل ما يغمره من خير ومتاع ، وراحة وأمان ، ونزلا مع الشيطان إلى الأرض يلاقيان فيها ما قدر عليهما ولهما ، في الأرض استقرار بين عداوات ، وبين شقاء ، أو متاع إلى حين . ذلك هو الطمع الذي يساورنا دائما ، والذي يجعل الكثير قليلا في أعيننا ، وينسينا ما وراءه من شغب ، ومن أكدار ، وخصومات ، ونغص في هذه الدنيا .

ومن هذا الحديث يتضح لنا الوجه في رعاية الله بتركيز الروح الديني في نفوس المسلمين ، ليتخذوا من دينهم مقاومة للأناثية بينهم ، وليحاولوا أن يحتمعوا دائما على السمع والطاعة في ظل النظام الإسلامي الكفيل ببقائهم كالبنين المرصوص .

وبهذا البيان من جانب الله يعرف المسلمون لو تجمعوا أن يكونوا أمة مريرة الطم في أفواه خصومها ، وأن لا يكونوا طعاما مستساغا تتداعى عليه الأكلة من وحوش الإنسانية .

أو لا يظل المسلمون مخادعين لأنفسهم بحسن الظن فيمن علينا الله أنهم لا يريدون بنا إلا خبالا ، وذلة ، وضياعا ديا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم - أصدقاؤكم من أعدائكم - لا يآلونكم خبالا - لا يترددون في الإضرار بكم ، والهداية من الله .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

وأنت لا تظما فيها ، ولا تضحي .. ، وليس بعد ذلك من عهد أكيد يعطيه الله على نفسه - سبحانه - لآدم وزوجه ألا يتقصهما تعالى من طعام وشراب ، وكساء وراحة من المجهود ، والتعرض للشمس في سبيل الكد كما هو شأن الكادحين في العيش ، كلا منها وغدا حيث شئنا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .

لم يكلف الله آدم ولا زوجه بشيء غير تحذير من الأكل من شجرة خاصة لا يريد الله أن يأكل منها ، ولكن نزعة الطمع ، والرغبة في المزيد إلى غير حد لم تدع للقناعة أثرا عند آدم ، وما كفاه أن تنسج له ولزوجه جنة فسيحة حافلة بخير لا يحصيه غير خالقه القادر ، الكريم البديع الصنع .

ومن هذه الثغرة النفسية - ثغرة الطمع - استطاع إبليس أن يفتن آدم وزوجه ، ونصحهما أن يأكلا من هذه الشجرة ليضمنا الخلود في هذا النعيم الفضفاض وأقسم إبليس كاذبا على صدقه في نصحه ، فخدعهما حتى نسيا عهد الله عليهما ألا يأكلا من هذه الشجرة ، ونسى آدم كذلك أن هذا الشيطان عدوهما الذي حذرهما الله من كيده ، وأنه هو للشيطان الذي تمرد على أمر الله بتعظيم آدم ، وطرده الله من رحمته ، وسجل عليه لعنته إلى يوم القيامة بسبب احتقاره لآدم . نسي آدم كل هذا ، واندفع طامعا إلى

دراسة تاريخ العلم وبخاصة عند المسلمين واجب الكليات العلمية بجامعة الأزهر للأستاذ فتي عثمان

ولو عقل الناس كلام علامتنا الكبير لما استغربوا كيف يجمع الأزهر في كلياته التجريبية الجديدة بين العلم التجريبي والدراسة الإسلامية، لأن عصرنا قد عرف الحاجة إلى (الثقافة) بجانب الحاجة إلى (العلم)، ولأن عصرنا قد بات يشكو متاعب التخصص المحدود، ولأن عصرنا يشاهد تطعيم العلم (بالإيديولوجيات) المذهبية في جامعات الشرق والغرب على السواء. وأذكر أن قراراً قد اتخذ بشأن تدريس (تاريخ العلم عند العرب) في جامعات الجمهورية العربية المتحدة، وهو قرار يحد بحالاً طيباً لتنفيذه في جامعة الأزهر العتيقة، بحكم تاريخها العريق.

ونحن نجد في القرآن فاتحة مباركة لتاريخ العلم عند المسلمين . . .

لقد فتح القرآن العيون على الكون العظيم، فكانت عقيدته هي (العلم بالكون)، وعبادته هي (العمل في الكون). تقرأ في سورة واحدة من القرآن - سورة فاطر - هذه الآيات:

« والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً، فسقناه إلى بلد ميت، فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور. »

« والله خلقكم من تراب، ثم من نطفة، ثم جعلكم أزواجاً، وما تحمل من أنثى ولا تضع

في نهاية عام ١٩٤١ م، كتب علامة العرب المعاصر الدكتور على مصطفى مشرفة - نغمده الله برحمته - يقدم كتاب الأستاذ قدرى حافظ طوقان « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك »، فقال: « في يونية من عام ١٩٣٥ م كتبت في جريدة (الجهاد) تحت عنوان (ثقافتنا العلمية)، فذكرت أننا في مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا، ثم نتركها عائمة لا تمت بصلة إلى تاريخنا، ولا تتصل بترقيتنا. وقلت: إن شجرة المعرفة يجب أن تطعم على أسس من ماضينا فتصل اتصالاً طبيعياً بمناخ ثقافتنا، ودعوت إلى نشر المؤلفات العربية المخزونة في بطون المسكاتب وبين جدران المعاهد الأثرية، وإلى إحياء ذكرى علماء العرب بين ظهرانينا، فعندئذ يمكن وضع ثقافتنا العلمية على أسس متينة، وعندئذ يمكن أن تتطور هذه الثقافة تطوراً طبيعياً من شأنه أن يعيد إليها مجدها وقوتها ومهابتها ... »

إن هذا الكلام النفيس من العلامة الكبير يجب أن يكون دستور نهضتنا العلمية.

ولو عقله الناس لما استغربوا في شيء أن يتطور الأزهر فيضم كليات الزراعة والهندسة والطب، لأنهم يعلمون أن الأزهر يعود إلى ماضيه الواهر يوم كان منار العلم بكل فروعه وألوانه.

دنياهم . وقد بحث الكثيرون في إعجاز القرآن فيما أتى به من حقائق علمية ... وأسرف كثيرون في اعتساف التأويل حقا ، ولكن هناك قدراً أساسياً من الحقيقة تنطق به آيات القرآن نفسه ، ولا تحتاج إلا إلى الإشارة اللمحة والعرض الواعي من راسخ في العلم . يقول الأستاذ محمد محمود إبراهيم أستاذ الجيولوجيا وهندسة التعدين بجامعة القاهرة في الجزء الثاني من كتاب « إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض » .

« ... نرجع بتاريخ الأرض وقت أن انفصلت عن الشمس ، وكانت على هيئة سديم ودخان ملتهب في سماء ملكوته ، فأوحى بالانفصال ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » . « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي » . انفصل من الشمس الأولى الكواكب ومنها الأرض . « أنتم أشد خلقاً أم السماء ؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحّاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها ، — أى بردت الأرض من الغاز إلى السائل بعد انفصالها من الدخان ، وقد كانت وهي في حالة السيولة تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فأصبحت بيضاوية الشكل كما في قوله تعالى

إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير » . وما يستوى البحرين . هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملحٌ أجاج ، ومن كل ثأكلون لحما طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . يوج الليل في النهار ، ويوج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » .

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمرٌ مختلفٌ ألوانها ، وغرايب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

وهكذا كان الإسلام لإعلاننا لنضوج العقل البشري ، ودعوة لالتماس الدليل في الكون الفسيح ، بالمنهج الرشيد ...

لقد أورد القرآن ملامح قصة الكون ... ومضات مشرقة تثير الرغبة في البحث والكشف عن المستور ، لكنها لا تعج بالتفاصيل التي تزحم للعقل وتسد عليه السبيل . ومن هنا كان أسلوب القرآن في قصة الكون غير أسلوب التوراة مثلاً في سفر التكوين ، كان أسلوب القرآن مساهراً خطته في فتح الأبصار والبصائر على الكون ، وترك المجال فسيحاً للعقل البشري ، إذ الناس أعلم بأمور

ذهاب به لقادرون ، ... يفسر الغلاف الجوي على الكواكب : فمنها ما فقد الماء ، ومنها ما لا يزال الماء فيه بخاراً لم ينزل على سطحه حتى الآن ، وفيها ما ضاع منه جزء من الماء ، وفيها ما احتفظ بالماء جميعه ... وقد فقد كوكب المريخ الكثير من بخار الماء .

وبهذا التوجيه العلى للحواس والعقول ، وجد المسلمون أنفسهم أمام دهوة وبانية للعلم ، ولم يجدوا أنفسهم أمام طائفة متناهية من المعلومات تعطى لإيهم كحقائق نهائية كاملة لا سبيل إلى العلم بغيرها . ومن هنا أقبل المسلمون على البحث للتجريبى ، وأدركوا أن العلوم لا تتقدم بمجرد النظر والتخمين بل لابد من امتحان الطبيعة بالتجارب العملية ، وابتكروا آلات للرصد الفلكى والتجربة المعملية . وحسبنا شهادة الفيلسوف الرياضى العظيم برتراند رسل فى كتابه (النظرة العلمية) « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق — وبخاصة فى الكيمياء ... وقد حمل العرب تقاليد المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل فى أن بعض المسيحيين مثل روجر بيكون قد حصّلوا كل المعارف العلمية التى تهيئت للشطر الأخير من العصور الوسطى . ومن هنا كانت مدائن المسلمين منارات للعلم فى كل مكان ، يقول لين-پول : « كانت عقول أهل قرطبة كقصورها فى الحسن والروعة فإن

والأرض بعد ذلك دحاها ، .. وإن تلك الأجرام السماوية وهى ملتهبة عند انفصالها لا تشعر بليل أو بنهار رغم أنها تدور حول محورها أمام الشمس ، فهى نفسها مضئنة ، ولكنها إذا بردت تتجلى حكمة الخالق فى قوله « وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، — أى أصبحت تشعر بالليل والنهار وهى تدور حول محورها أمام الشمس . ولما وصل قوامها إلى السيولة أصبحت تشبه الدحية أو البيصنة ، ثم فقدت حرارتها تباعاً حتى أصبحت ملائمة لاستقبال الماء . فالترتيب وحده الوارد فى الآيات الكريمة له دلالة .. بل إذا نظرنا بعين العرفان نجد أن الآية الكريمة « أخرج منها ماءها ومرعاها ، أى أن الماء أخرج منها لما بردت وأصبح لها قشرة صلبة ، وكون الماء منها نتيجة لازمة للتفاعلات الكيميائية التى حدثت أثناء تصلب القشرة الأرضية ، وهذا ما يحدث فى تكوين السكتل النارية التى تعطى الصخور النارية . والمياه النارية المختلفة من الصخور النارية ، أو وجدت الثروة المعدنية القاطعة للصخور ... وفى البداية كانت المياه على هيئة أبخرة عالقة فى جو الأرض أو غلاف ملازم لها حتى بردت القشرة ، وسمحت لأبخرة الماء أن تتكاثف وتسقط من السماء على الأرض ، فالماء منها وإليها . « وأنزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه فى الأرض ، وإنا على

العلوم وأبجد العلوم وكشاف اصطلاحات الفنون ومفتاح السعادة . ومن مراجع تاريخ العلم عند المسلمين المراجع (البيوجرافية) أى كتب التراجم : مثل أخبار الحكماء للقفطى وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وطبقات صاعد الأندلسى وما إلى ذلك . أما الكتب الحديثة فى هذا الباب فقد برز فيها سارتون على وجه الخصوص ، وهناك كتابات عربية لقدرى طوقان (الرياضيات والفلك) ومصطفى نظيف (الطبيعيات) والخالدى (الكيمياء) وعبد العزيز إسماعيل وكثير من الأطباء (الطب) وقنواتى (الصيدلة) وقد عرض كاتب هذه السطور لمن عالجوا موضوع (الجغرافيا) عند المسلمين فى تقديمه المسهب لكتاب الأستاذ نفيس أحمد د جهود المسلمين فى الجغرافيا ، الذى ترجمه الكاتب إلى العربية ونشرته وزارة التربية والتعليم ضمن سلسلة الألف كتاب .

إن فى تطوير الأزهر تصحيحا لمفهوم الإسلام نفسه

إنه رجوع بالأزهر إلى مجده بكامعة ، ورجوع بالإسلام والعلم الإسلامى إلى معناه الشامل وأفقته الواسع . إنه رجوع إلى الحق وهو النور المبين .

فتى عثمان

علماءها وأسانذتها جعلوا منها مركزاً للثقافة الأوروبية ، فكان الطلبة يقدون إليها من جميع أنحاء أوروبا ليتلقوا العلم عن جها بذتها الأعلام . وكان يدرس بقرطبة كل فرع للعلوم البحتة ، ونال الطب بكشف طباء الأندلس وجراحها من النمو والازدهار نصيباً أعظم مما ناله من قبلهم منذ أيام جالينوس وكان أبو الطيب خلف جراحا ذائع الصيت فى القرن الحادى عشر (الميلادى) ، وبعض عملياته الجراحية يطابق اليوم العمليات الحديثة . وجاء ابن زهر بعده بقليل فكشف عن أساليب كثيرة فى العلاج والجراحة ، أما ابن البيطار للعالم النباتى فإنه سافر إلى كل بقاع الشرق للبحث عن العقاقير الطبية ، وألف فى ذلك كتاباً جامعاً ، ويقول هرفشو : « لقد انتقل أثر هذه الثقافة العربية إلى أوروبا النصرانية من طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا ، فكان من العوامل القوية فى انتهاء العصور الوسطى وانبثاق فجر العصور الحديثة » .

وقد ضمت المكتبة الإسلامية مراجع متخصصة فى تاريخ العلم ، منها المراجع (البيليوجرافية) التى تسجل أسماء الكتب : مثل الفهرست لابن النديم وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة ، والمراجع التى تتعرض للعلوم : مثل مدينة

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوى

- ٣ -

ملاحظات وما أخذ :

مع ما نعرف ونشهد به من سعة العلم ، وغزارة المعرفة عند علي مبارك . وما نجد من أثر هذه السعة في كتبه . وخاصة الخطط التوفيقية ، و « علم الدين » فنحن نقع له على ما أخذ أو أخطأ يعجب الإنسان لوقوعه فيها .

وليس من اليسير ، ولا من المستساغ ، أن نصف هذه المآخذ بأنها أخطاء . وأن نجعل أو نخطئ من كان في منزلة علي مبارك ومكانته من العلم والمعرفة والدرس . لذلك آثرت أن أسميها ملاحظات على علي مبارك ، وهي ملاحظات يسيرة هينة ، إذا ذكر بجانبها ذلك الفيض الغزير من العلم الصادق والمعارف الحقة المفيدة . والمباحث التاريخية الغزيرة الهامة التي جمعها بين دفتي كتابيه هذين .

وقد أشرنا في المقال السابق ، لما ذكره

بعض مؤرخيه من أنه كان يطلب إلى بعض أصدقائه من القادرين أن يجمعوا له ، أو يعينوه ، على جمع شيء من المواد التي ضمنها كتبه وإلى تلك الإشارات في كتبه ، التي

تدل على صحة ذلك ، أو ترجيحه على الأقل ، فلعل هذه المآخذ أو بعضها مما وقع فيه هؤلاء المعاونون ، ضمها علي مبارك لما كتب أو جمع ، من غير مراجعة ولا تمحيص . من هذه المآخذ أنه يقول عن الفيلسوف العظيم المشهور ، ابن رشد ، أنه من الموصل^(١) والذي نعرفه ويعرفه المؤرخون جميعا ، أن ابن رشد ، وأباه ، وجده ، كانوا في الأندلس . وأن فياسوفنا الذي يقصده ، ولد في قرطبة . وتولى قضاءها ، مثل جده ، وقضاء أشبيلية . وأنه عاش في الأندلس . ثم زار المغرب وأقام فيه بعضا من الزمن . ولقي ، في مراكش ، سلطانها الفيلسوف أبا يعقوب الموحدي . فهو إذن لم يولد بالموصل ، ولم يعيش فيه ، ولم يزره ، ولم يعرفه ولم يعرف غير الأندلس ، وطنه ، ومراكش التي زارها ، كما قلنا ومات فيها .

[١] ص ٣٣٥ من كتاب علم الدين . الجزء الأول . ونص عبارته هو : وكان في القرن الثالث عشر من الميلاد بالموصل العالم الكبير . والعلامة الشهير ابن رشد شارح مؤلفات أرسطو .

يغيب ذلك عن المهندس العظيم على مبارك ، وهو الذى خصص جزءا من خططه للحديث عن النيل وما أقيم عليه من القنوات والترع والجسور والقناطر . والذى أقام بنفسه أو أشقرك ، فى عدد كبير من هذه المشاريع الهندسية على النيل ، بل تحدث هو نفسه عن منابع النيل وأسباب فيضانه حديثا علميا^(١). ومن هذه المآخذ أنه ، وهو يتحدث عن العرب . ويجعل هذه الكلمة عنوانا على المسامرة التى خصصها لهذا الحديث ، يذكر أسماء غير عربية ، ويتحدث عن رجال ليسوا منهم مثل تيمور لك .

ومع تلك الدعوة التقديمية التى رأيناها فى حديث على مبارك ودعوته لأن تتعلم المرأة وتعمل وترج وتفتج . نراه فى مكان آخر^(٢) يدافع دفاعا قويا عن تعدد الزوجات وعن الترسى . ويزعم أن الشيخ بهاء الدين تحدث فى ذلك إلى حسان باريس وحاجهم فى ذلك حتى ألخمن وأصبحن من رأيه فى أنه لا ضرر على الحياة العامة ولا مهانة للمرأة فى تعدد الزوجات والترسى .

ولست أدري كيف يمكن ، أن يذهب مفكر إلى أن تتعلم المرأة وتعمل . ويكون لها بذلك

على أن على مبارك يجعل ابن رشد أيضا من رجال القرن الثالث عشر الميلادى . وهو لم يكن من رجاله ، بل من رجال القرن الثانى عشر . فقد ولد فى سنة ١١٢٦ ومات فى سنة ١١٩٨ قبل أن يبدأ القرن الثالث عشر .

ومن هذه الملاحظات أنا نجده يقول ، على لسان الشيخ علم الدين : لأنه عند ما هاجر من بلده إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر ، كان كلما سمع شيئا من حوادث الفرنسيين عند ما غزوا مصر ، قيده . حتى جمع فى ذلك كتابا . ثم نجده بعد سطور قليلة يذكر حوادث الفرنسيين فى مصر ، وأحداث حملتهم فيها ، وحرهم لأهل القاهرة ، وما فرضوه على أهلها من الضرائب . نجده يذكر ذلك كما سجله الجبرتي فى كتابه عجائب الآثار . بل ينقل بعض حديث الجبرتي عن ذلك بنصه وحره .

ومن هذه المآخذ أنه جعل الشيخ علم الدين فى حديثه عن نهر النيل ، يقول : إن من مزايده أو من خواصه ، أنه لا يعلم مبدؤه ،^(٣) ويقول مرة أخرى : لأنه يحى من الجنة .

ونحن نعلم أن منابع النيل قد كشفت قبل تحريره هذا الكتاب ، وعرفت ، فى عهد إسماعيل ، البحيرات التى يتجمع منها ماؤه ، ويسيل نهرا جاريا . ولست أدري كيف

[١] ص ٣٥ — ٣٨ من كتابه نخبة الفسرك فى تدبير نيل مصر .

[٢] للمسامرة السادسة والثمانون . ص ٩٧٣ -

٩٨٢ ج ٣ من علم الهين .

[٣] ص ١٣٨٦ من الجزء الرابع .

محمدًا عليًا وكان أكبر خصومه وأشدّهم عليه خطراً ، سافر إلى إنجلترا ، وصحب معه عدداً من قومه . وأقام في تلك البلاد أكثر من سنة ثم عاد ، وهذا الأمير هو محمد بك الآلاني . ولعل بحاملة علي مبارك لابناء محمد علي وحرصه على أن يسند له أولهم كل فكرة جديدة أو عمل مبتكر ، هو الذي حمله على أن يهمل أمر الآلاني .

إهماله ترجمه عمر مكرم :

علي أن هناك إهمالاً تعجبت منه عند ما أدركت أمره عند علي مبارك . وتحيّرت في أن أجد له سبباً مقبولاً لا يسيء إلى مكانة علي مبارك وأماته كعالم مؤرخ منصف ، ذلك هو إهماله ذكر للسيد عمر مكرم والترجمة له . والسيد عمر مكرم كان زعيماً جليل المكانة عظيم المنزلة في تاريخ مصر الحديث ، هو الذي مكن لمحمد علي من الاستقلال بحكم مصر ، وهو الذي أعانه بسعيه ومكانته وإخلاصه على أن يغلب كيد خصومه الكثرين الأقوياء . كان محمد علي يكثر من زيارته في بيته ، ويناديه « بيا والدي » ، وعرض عليه ، في السنين الأولى من حكمه ، أن يقيمه نائباً عنه في ولاية مصر فأبى السيد عمر . وبمعاونة عمر مكرم وتدريبه استطاع المجاهدون في رشيد أن يصدوا الحملة الانجليزية الأولى على مصر ، وكان محمد علي عنده ما علم نبأها خارج

لستقلال فردى واقتصادى . ثم ترضى بالضرة والسرية ... (١) .

ولا أستطيع أن أفهم كيف يؤمن الأوروبيون ، على أى وجه من الوجوه ، بأنه لا بأس على حياتهم من تعدد الزوجات ، وأنه لا ضرر منه ولا مهانة للمرأة فيه ... أو في التسرى .

ولو أن علي مبارك قال : إن بهاء الدين أقنع بهذا رجلاً من الأوروبيين ، لكان الخطب أيسر . على بعده أو استحالة . ولكن العجيب أن يزعم أن الشيخ الشاب تحدث حديثه هذا عن تعدد الزوجات ، إلى « حسان جارس » ، وأنه أقنعه . حتى أصبح من رأيه . وحتى آمنَ بالأضرار على الحياة العامة ، ولا مهانة للمرأة في تعدد الزوجات ، ولا في التسرى . وهذا هو الأمر المستحيل الذي لا يمكن تصوره .

ومن هذه الملاحظات أنه يقول - في ثنائه على محمد علي - ولم يعلم قبله ، أى قبل محمد علي ، أن أحداً من المصريين سافر إلى بلاد أوروبا .

ولكننا فعلم ، ولا بد أن علي مبارك يعلم أيضاً ، أن كبرا من أمراء الماليك ، عاصر

[١] السرية الأمة التي جعل لها سيدها بيتاً خاصاً عن القاموس المحيط .

«طنطا». وعندما تحدث عن مدينة أسيوط^(١) التي كان ينتسب لها مكرم، لم يتحدث عنه بشيء. وقد ذكرت منذ قريب، أنه من العسير أن نجد سبباً لهذا الإهمال لا شيء إلى على مبارك. إذ لا يمكن أن يقال أبداً: إنه يحمل مكانة السيد عمر وسيرته، وضرورة الترجمة له في كتاب يؤرخ لمصر ويتضمن سير رجالها. وليس هناك سبب مقبول لهذا الإهمال سوى الحرص على ألا يتعرض لسيرة محمد علي بما يشيها، والحرص على إرضاء توفيق بالألا يذكر من كان جده كارها له وخصياً، وعليه حاقداً^(٢). ومن ملاحظتنا على على مبارك أنه عندما جعل السائح الانجليزي يطلب إلى الشيخ علم الدين أن يرافقه إلى أوروبا. فرض له على نفسه عشرين جنيهاً في كل شهر. فوق مؤننه ومؤنة ولده بهاء الدين. وقال إنه سيؤدي له هذه الأجر كله مدة رحلته معه جميعها^(٣). وغريب أن يفرض هذا السائح أو يفرض على مبارك، هذا الأجر الفاحش للشيخ وولده فقد ذكر هو نفسه ما يشعرون بقيمة النقد ومستوى الحياة المادية التي كان الناس يحسونها في عصره.

(١) ص ١٠٣ - ١١١ ج ٢.

(٢) انظر ترجمة السيد عمر مكرم في كتابنا: [دراسات في تاريخ الجسبرتي، مصر في القرن الثامن عشر] الجزء ٣.

(٣) ص ٢٢٦ من الجزء الأول من علم الدين.

القاهرة يوشك أن يترك مصر كلها إلى الشام. وبمؤنة السيد عمر ومكانته لدى الشعب. استطاع محمد علي أن يقهر كيد الألفي ويقل من عزمه وعزم جيوشه الكثيرة التي جمعها وكاد أن يخرج بها محمد علي من مصر. كما استطاع أن يرجع كفة محمد علي على كفة منافسيه جميعاً من المالكي، وأعدائه من العثمانيين.

فلما استقر الأمر لمحمد علي، تنكر لوالده السيد عمر مكرم، وتصدى له بالشر والأذى وأخرجه من القاهرة منفياً إلى دمياط ثم إلى طنطا. ولم يأذن له بالعودة إلى القاهرة إلا وقد أصبح شيخاً كبيراً فانيا لا يخشى خطره. وبعد أن صارت مصر كلها في قبضة محمد علي القوية.

السيد عمر مكرم. وله هذه المسكنة والمنزلة في تاريخ مصر، ولتصرفاته ومواقفه هذا الأثر البين البارز في أحداثها الجسام. لا نجد له ترجمة فيما كتب على مبارك، وبين تراجم هؤلاء المئات الكثيرة التي تحدثت عن حياتها وسيرها في خططه. والتي نجد عشرات كثيرة منهم لا تداني منزلها منزلة عمر مكرم ولا تطاولها. بل تقع منها موقعاً صغيراً جداً.

لا نجد في خطط على مبارك غير إشارة عابرة ذكر فيها السيد عمر مكرم في حديثه عن مدينة

الإقليمي على سكان البلاد بأن تكون لهم أخلاق خاصة، تغاير أو تناقض تلك الأخلاق التي يتصف بها أهل البلاد الباردة . فسكان البلاد الباردة بعيدون عن الظنون والأوهام ، عالون عن الكذب والنفاق والخداع والمكر ونحوها ، ^(١) وسكان البلاد الحارة أخلاقهم تغاير ذلك . وكلما بعدت البلاد عن هذا المناخ البارد ، كلما بعدت أخلاق أهلها عن هذه الصفات الطيبة . وكذلك للعكس . أما النشاط البدني والعقلي فهما يدوران حيث تدور البرودة والحرارة . فأهل « البقاع المعتدلة لا تبات لهم على حال » . فطورا في الفضائل وطورا في الرذائل . يغشون كل ناد ، ويهيمنون في كل واد . وكلما زادت درجة الحرارة ضعفت القوى البدنية ويتعدى ذلك إلى القوى العقلية . فتساوى لديهم الأمور ، فلا تنبعث خواطرهم إلى شيء ، ولا يهتمون بشيء ، ويغلب عليهم الكسل ، ويتحملون العذاب في الدنيا بلا ملل ، ولا يجتهدون في الدنيا بعقولهم في سياسة أنفسهم فيكون في ذلك استرقاقهم ، ويرون الرق أهون عليهم من العمل ، ^(٢) ومن الأدلة التي ساقها على صدق رأيه هذا أن « سكان جزيرة سيام يقولون : إن النعيم الأبدى هو كون الإنسان لا يجبر على الحركة وإمتاع الجسم .

ألم يقل إن أهله عندما هاجروا من قريتهم باعوا كل ما يملكون بأربعة جنيهات ؟ . ألم يفرض له وإخوانه من أعضاء البعثة التي سافرت إلى باريس ، مع أنجال محمد علي جنيهان ونصف في كل شهر ؟ .

بل نجد من أحاديث علي مبارك نفسه ، أن بعض موظفي الحكومة كان مرتبه أربعين قرشا . وبعضهم كان مرتبه مائة وخمسين . وأن بعض أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة كان مرتبهم ثلاثمائة وستين قرشا . وكان مرتب « الصاغ » عشرة جنيهات .

فكيف أوقع السائح الإنجليزي في هذا « الشطط » وجعله يفرض على نفسه لصديقه الشيخ هذا القدر الجسيم من المال في كل شهر ؟ .

المحصلة والموقع الجغرافي :

وعلى مبارك داعية جهير الصوت لتطوير الحياة الشرقية ، وإلى أن ينهج أهل الشرق منهج الغربيين في العلم والتقدم الصناعي بل في الحياة الاجتماعية نفسها . ولكننا نجد في فصل من فصول كتابه « علم الدين » يتحدث عن البيئة الجغرافية وأثرها في سكان البلاد ، فيقول إن البلاد الحارة يقضى مناخها وتقضى بيئتها الجغرافية على سكانها بأن يقفوا عند حدود خاصة من التقدم والدراية والمعرفة . كما تحكم هذه البيئة الجغرافية وهذا المناخ

[١] ص ١٢٠٧ من الجزء الرابع من « علم الدين » .

[٢] ص ١٢٠٢ من الجزء الرابع من « علم الدين » .

ما ينقض هذا الرأي - أو هذه الدعوى - نقضاً باتاً . والأمر الثاني : أن على مبارك بتقريره هذه النظرية أو هذه الدعوى الفاسدة - قد ناقض نفسه ، ونقض رأيه الذى دعا إليه بالصوت الجهير . وهو تطوير الحياة الشرقية ودفعها إلى أن تسير حيث سارت الحياة الأوروبية . وكيف يكون ذلك وبين أهل الغرب وأهل الشرق هذا التناقض البين فى الصفات والكفاية الذاتية والأخلاق والنشاط والرغبة فى العمل والحرص على الحرية ... ؟ .

لقد سلب على مبارك من أهل البلاد المعتدلة والحارة كل سبب للحياة الحرة ، والرغبة فى العمل ، والإقدام عليه ، بله النشاط ، وجعل الجنة التى يحلمون بها هى ألا يجبروا على حركة ولا إغراب جسم ، وجردهم من كل خلق كريم . وجعل هذا كله قاصراً على أهل البلاد الباردة . فإذا يجدى أهل الشرق أن يدعوم على مبارك لحياة القوة والحرية والعلم والنشاط ، مادام هذا حالهم الذى لا حيلة لهم فى الخروج منه مهما فعلوا ... ؟ .

وبما يلاحظ أيضاً أن كثيراً من الآراء والنظريات يعرضها على مبارك بلسان الشيخ أو السائح الانجليزى أو أحد رفقاءهما . ويجعل بعضاً منهم يعارضها ويردها . ولكنه فى هذا رأى الذى قرره من الأمم ، وعن

فلذلك كان السكون وعدم الاشتغال عندهم أمراً مرغوباً فيه فى تلك البلاد الحارة المضعفة لجميع القوى . ولأن الراحة عندهم أمر طبيعى هو المقصود بالذات ،^(١) وهو يجعل أيضاً أهل البلاد الباردة أقوى أجساماً ، وأسلم أعصاباً من الشرقيين .

وهنا نلاحظ أمرين . الأول أن على مبارك يردد ويؤكد تلك الدعوى التى كان يروج لها المستعمرون من الأوروبيين : من أن البلاد الشرقية بوضعها الجغرافى والمناخى مقضى عليها إلى الأبد بالجهالة والذل ؛ لأن أخلاقها وطبائع أهلها لا تجعلهم أهلاً لغير ذلك . وأنه لا حيلة لهم فى ذلك لأن أجواءهم ومناخاتهم لن تتغير . وهى التى حكمت عليهم بهذا الوضع . وليس بخاف ما فى هذه الدعوى من العنصرية الطاغية . وأنهم لم تقم ، ولم يروج لها حتى تصبح قاعدة من قواعد العلم المقررة ، إلا لأن أهل الغرب يريدون أن يثبتوا سلطانهم على بلاد الشرق وأن يجعلوه دائماً قائماً على حكم الله أو على حكم الطبيعة التى لا فكك منه ولا مخرج . ولأنهم يريدون أن يبدؤوا أهل الشرق حتى يقبلوا هذا الوضع ولا يحاولوا أن يخرجوا عليه أو يغيروا منه شيئاً . وقد رأينا فى أول هذا القرن . وفى السنوات العشرين الأخيرة منه خاصة .

[١] ص ١٢٥ من الجزء الرابع من « علم الدين » .

الأزهر يائسا حزينا ، شاهد حشرة من حشرات الأرض تحاول الصعود إلى مرتقى صعب عسير فوقعت . ولكنها عادت تصعد مرة أخرى ، فوقف الشيخ يرقبها وهي كلما وقعت عادت الصعود ، حتى تمكنت آخر الأمر مما تريد . فقال في نفسه واقه لا أكون أعجز من هذه الحشرة .

وهذه قصة النملة القديمة المعروفة ، التي رواها الرواة من قديم ، ولعلمهم فسبوها إلى تيمورلنك

هذه ملاحظات لنا على كتابي علي مبارك الخطط ، وعلم الدين . وهما ، كما قلنا ، أعظم أعماله الأدبية وأجلها شأنًا ، وهي ملاحظات أجده من العسير ومن غير المستساغ ، كما سبق القول ، أن نقول إنها أخطاء ، ولا أن نجمل بها علي مبارك أو نقتص من مكانته السامية وقدره الشايع في تاريخنا الحديث .

على أن هذه أخطاء أو ملاحظات أدركتها في بدوات القراءة ، فإن لم أتقص له الأخطاء ولم أتعبق الأغلاط والمآخذ والهفوات .

البر بالفرع :

ومن العواطف الكريمة والدعوات البارة التي نجدتها عند علي مبارك ، عطفه على الفلاح والتنبية إلى رعايته والبر به ودعوته « ولي الأمر » إلى أن يخص (١) أهل الفلاحة بمزيد

الشرق والغرب ، جعله مما اتفق عليه الشيخ وابنه والسامح الانجليزي . وما أيدته كل واحد منهم تأييدا قويا جازما .

على أننا نجد بعد ذلك بقليل رأيا له ، يدحض هذا الرأي الشعبي وينقضه . ولا يجعل العامل الجغرافي سببا للتخلف والتأخر . نجد هذا الرأي المناقض في مسامرته العاشرة بعد المائة (١) .

ونجده في كتاب « نخبه الفكر » يقول رأيا آخر يغير هذا الرأي ، بل يناقضه ، فهو يتحدث عن « أصل سكان مصر وأخلاقهم ، فيقول : (إن البقعة المصرية لا تقتضي بطبعها شيئا من الأخلاق المخلّة بنظام الهيئة الاجتماعية أصلا ، ولا يقوم لاحد على ذلك دليل ، وإنما هي الحوادث الدهرية قد وجهت سهامها نحو هذه الديار السيئة الحظ ، فتوالت عليها غارات المتغلبين) (٢) .

وقد روى علي مبارك في تلك الوصية التي وصى بها الشيخ علم الدين ابنه عند ما نزع لطلب العلم في الأزهر ، روى أن بعض المشايخ « لقي أول طالبة العلم في الأزهر عناء شديدا وجانبه فتوح الله وتوفيقه حتى ينس من الفلاح وفترت همته في الطلب وعزم على أن يعود إلى قريته ، فلما هم بأن يرحل من

[١] مسامرة « السلف والخلف في الإسلام » ص ١٣٤٧ - ١٣٥٩ من الجزء الرابع من « علم الدين »

[٢] ص ١٧٤ من الكتاب .

مبارك لأن يكتب هذا الذى كتب كأنه يقصد به إسماعيل وشيعته . وأدركنا أيضا ما كان عند على مبارك من شجاعة استطاع بها أن يكتب هذا . وما كان عنده من حيلة ولطف مدخل ، حين وضع هذا الحديث على لسان عالم فرنسى يتحدث إلى الشيخ علم الدين وأصدقائه .

ولم يكن عطف على مبارك على الفلاح وبره به دعوة مجردة . بل كان له مع هذه الدعوة عمل دائب ماثب يتحدثنا عن كثير منه من قبل . ونذكر فوق ذلك أن إحساسه بالكرامة الإنسانية التى يجب أن تصان للفلاح وللواطن المصرى على العموم . هذا الإحساس جعله يحزن ويتنفس لما رأى من حال السجون المصرية ويعمل على تحسينها يقول إن هذه « الحبوس ، كانت « حواصل ، مظلمة لا يدخلها النور إلا قليلا . وكان المحكوم عليهم . اختلاف جرائمهم . يحزنون فيها كالأمته . وداخلها يحتق بمجرد استنشاق هوائها . فوضع على مبارك نماذج لسجون صحية نظيفة وأقرت الحكومة مشروعه . وبنى منها فى عهده سجن فى الشرقية وآخر فى المنوفية .

وكذلك كانت المستشفيات فى الأقاليم تقام كما يقول فى « ورشة ونحوها وأكثرها متهدم والسليم منها كمرط البهائم ، فوضع كذلك مشروعا لبناء كثير منها بالتدريج وتم منها فى عهده واحد فى الدقهلية وآخر فى الغربية .

محمود الشرفادى

للعناية والالتفات . لأنهم الحاملون لأنقائه القائمون بمصالحه وأعماله إذ لولاهم لما كان للملك قوام ، ولا تم له نظام . ويجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات ومساعدتهم بأنواع المساعدات وتطبيب قلوبهم والرافة بهم . وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه (١) .

ومن الكلمات التى يقف القارىء عيها ليتأمل ما وراءها هذه الكلمات : « إن أقوى الأسباب لتأخر الزراعة — على الرغم من أنها قوام حياة الأمة — احتقار الفلاحين وعدم الالتفات إليهم ، وترك التبصر فى أحوالهم ، وارتكاب ما تضيق به ثمرات الفلاحة من تسخير أهلها بالعسف والقهر والتعدي عليهم بما يقهر حالهم ويفسد عليهم أعمالهم . وكانغالى فى الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو . خلافا لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة ، (٢) .

وإذا ذكرنا كيف كان حال الفلاحين يوم كتب على مبارك هذا السلام . وكيف السادة والحكام ينظرون إليهم . ثم ذكرنا كذلك سرف إسماعيل وكيف كان يتفق مال الفلاحين فى اللهو والزينة . والانكباب على اللعب واللهو إذا ذكرنا هذا وذلك ، أدركنا شرف هذه العاطفة التى دفعت على

[١] ص ١٠٣٦ - ١٠٣٧ جزء ٣ من علم الدين .

[٢] ص ١٠٣٣ جزء ٣ من علم الدين .

مَدِينَةُ كَانُو

أكبر مراكز الإسلام في إفريقيا الغربية

للمؤلف محمد جلال عباس

التي ظلت محتفظة بمركزها الأول حتى وقتنا الحاضر .

وسوف نتناول في هذا المقال دراسة موجزة لنشأة المدينة وتطورها ثم تحولها إلى مركز إشعاع إسلامي في نيجيريا ، واعتلائها مركز الصدارة بين المدن الإسلامية في إفريقيا الغربية لما مر بتاريخها من حركات تجديد وإحياء للثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإسلام فضلا عن مركز المدينة في وقتنا الحاضر .

نشأة المدينة وتطورها :

كانت هناك قتان ترتفعان عن الأرض المحيطة بهما بضع مئات من الأمتار على خط العرض الثاني عشر شمال خط الاستواء وإلى الشرق قليلا من تقاطع هذا الخط بخط الطول الثامن شرقي جرينتش وتطل هاتان القمتان على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى إلى شمالها ، وعلى الأطراف الشمالية من نطاق حشائش السفانا — الذي يعرف باسم النطاق السوداني — إلى جنوبيهما ، وفي وقت مبكر من القرون الأولى للميلاد اكتشفت الجماعات

مقدمة :

أخذ الإسلام ينتشر في إفريقيا الغربية منذ القرن التاسع الميلادي بعد أن أقام الكثير من التجار العرب والمهاجرين من قبائل البربر في مدن الإقليم ومراكزه التي نشأت عند نهايات الطرق التي تعبر الصحراء الكبرى وتسير فيها القوافل إلى بلاد السودان آتية من الشمال الإفريقي ، وقد ترتب على ذلك أن تحولت بعض هذه المدن إلى مراكز للثقافة الإسلامية ، ونقط ارتكاز للدعوة ، وكعبة يحج إليها الراغبون في التزود من علوم الدين والتفقه فيه من أبناء القبائل التي تسكن إفريقيا الغربية والتي اعتنقت الإسلام .

وأول تلك المدن التي برزت كمراكز إشعاع للثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا هي مدينة « تمبكتو » أو « تنبكت » ، على نهر النيجر ، ثم مدينة جاو وجني المجاورتين على النهر أيضا ، إلى الجنوب قليلا من « تنبكت » ، ومنذ القرن الخامس عشر اضمحلت مدن النيجر نتيجة لتعرضها للفتن والحروب والغزوات وتحول مركز إشعاع الثقافة الإسلامية إلى مدينة كانو

وأول من عرف من ملوك كانوا هو الملك وجودا حفيد بايزيد وقد عاش في أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، وتتابع بعده ثمان وأربعون ملكا ، وقد ظلت كانوا صغيرة إلى أن تكونت بها منطقة السوق (جاكارا) وأخذت تنمو حولها المساكن وأصبح سوق كانوا أحد الأسواق الرئيسية التى تفتح عندها طرق قوافل الصحراء ، حيث كانت « تلى » ودالأوجورون ، تعتبران دليلا لهذه القوافل . وفى القرن الثانى عشر بنيت أسوار المدينة

القديمة لحمايتها من الغزوات التى كانت تأتى إليها من الجنوب والشمال واستطاعت المدينة بذلك أن تؤمن داخل أسوارها تجار القوافل القادمين من الشمال الإفريقى .

وظلت السلطة فى المدينة يتنازعها زعماء الحدادين وهم السكان الأصليون والهاوسا السكان الوافدون إلى أن اعتنق ملوك الهاوسا الإسلام واستطاعوا فى ظل هذا الدين الجديد ونظامه الدقيق أن يوجهوا الحكم فى المنطقة الوجهة التى أكسبتهم كل نفوذ وسلطان ، وقد تطورت المدينة فى عهدها الإسلامى تطورا تدريجيا حتى احتلت مكان الصدارة بين مدن غرب إفريقية .

فجر الإسلام فى طائفة

علينا أن أساطير الهاوسا تجمع على أنهم

المشتغلة بصهر وصناعة الحديد أن تربة هذين التلين — دالا وجورون — غنية برواسب الحديد ، فأخذت تتجمع عندهما أسرا الحدادين التى تزعمها فيما بعد رجل يسمى كانوا حول هذه التجمعات العارضة إلى محلة صغيرة عند سفوح تل دالا أو دارا ، وأخذت هذه المحلة تنمو تدريجيا إلى أن أصبحت مدينة واشتهر سكانها باسم أباجازاوا (١) وهو الاسم الذى ما زال يطلق على طبقة الحدادين حتى وقتنا الحاضر .

ولقد ظلت مناطق شمال نيجيريا تسكنها عشائر متفرقة إلى أن أتت إليها هجرات القبائل الشهيرة المعروفة باسم الهاوسا والتى تكون الغالبية العظمى من سكان الإقليم الشمالى فى نيجيريا ، وفى عهد هذه القبائل أخذت مدينة كانوا تنمو وتتطور تطورا سريعا حتى أصبحت مدينة لها مركزها الهام بين مدن الإقليم .

وتحكى أسطورة الهاوسا أنهم أبناء بايزيد حفيد أحد خلفاء بغداد ، وقد تزوج من ابنة ملك بنو فأنجب منها سبعة أبناء توزعوا فى البلاد وكون كل منهم إمارة من إمارات الهاوسا السبع : هاوسا وبوكوى وهى جو بير ، وكانو ، ورانو ، وكانسينا ، وداورا ، وزاريا (٢) .

[١] سير آلان بيرنز ص ٤٨ .

[٢] نيفين ص ٣٦

قد اعتنقوا الإسلام ولكن بأعداد قليلة نتيجة الاختلاط بالمسلمين ولكنهم أقبلوا على الإسلام منذ أن اعتنقه ملكهم باجي وأخذ يبنى المساجد ، ويحكم البلاد وينظم العلاقات والمعاملات ، على أساس النظم الإسلامية ، فلما شاهد الهاوسا حسنات الإسلام أقبلوا عليه بل تحولوا بعد ذلك بقليل إلى دعاة لهذا الدين بين القبائل البدائية التي كانت تسكن إلى جنوب كانو في حوض نهر النيجر ، وقد سبق شعب كانو بذلك سائر إمارات الهاوسا بقرن ونصف من الزمان في اعتناقه للإسلام (١) .

ازدهار كانو في ظل الإسلام :

وفي عهد الأمير يعقوب (١٤٥٢/١٤٦٣م) وهو الملك التاسع عشر ، حدثت هجرة كبيرة انتقل فيها إلى كانو الكثير من جماعات الوانجارا ، وهم من العناصر الرئيسية التي كونت امبراطورية مالي ، وذلك بعد أن زاد ضعف الغزوات الخارجية على هذه الامبراطورية الإسلامية العظيمة من الموصى في الجنوب ومن المغاربة والطوارق في الشمال وكان هؤلاء المهاجرين الجدد بعد أن اختلطوا بسكان مدينة كانو أثرهم الكبير في تعميق جذور العقيدة الإسلامية عند الهاوسا .

يرجعون أصلاً إلى أحد أحفاد ملوك بغداد المسمى بيازيد الذي وفد إلى البلاد في أواخر القرن العاشر الميلادي ، ويدل ذلك على أن الهاوسا كانوا منذ بداية عهدهم مسلمين ، غير أن الرواية التاريخية تدلنا على خلاف ذلك ، فإن الهاوسا في شمال نيجيريا ظلوا حتى القرن الثاني عشر يدينون بديانة قبلية وأن الإسلام بدأ ينتشر بين شعب الهاوسا تدريجاً منذ ذلك القرن ، وأن أول ملوك الهاوسا الذين اعتنقوا الإسلام هو الملك باجي .

وفي معرض هذا الخلاف ، وفي ضوء الظروف التي كانت تحيط بمدينة كانو خاصة وبلاد الهاوسا بصفة عامة يمكننا القول إن الإسلام أخذ ينتشر بين قبائل الهاوسا نتيجة لاحتكاكه مع شعب البرنو في الشرق وشعوب مالي في الغرب والمهاجرين من الطوارق والتجار العرب الوافدين من الشمال ، وكانت كل هذه الشعوب قد اعتنقت الإسلام منذ وقت سابق في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين .

أما فيما يتعلق بملوك كانو فلم يرجع أن بعضهم كان يعتقد الإسلام على يد رجال الحاشية ، وكان أغلبهم من المسلمين ، واستعان بهم ملوك كانو لتنظيم الملك وإرساء الحكم في بلادهم على أساس النظم التي أتى بها الإسلام .

وواقع الأمر أن بعض الهاوسا كانوا

من قبائل السكوارارافا البدائية في الجنوب .
والغريب في الأمر أن هذه الغزوات كانت
تساعد على تقوية مركز كانو وتحولها
إلى مركز إشعاع إسلامي في الغرب الأوسط
من إفريقية ، ويرجع ذلك إلى عاملين :

الأول : أن غزوات أسكيا محمد امبراطور
السنغاي واشتداد مقاومة شعب كانو قد
أكسبا هذه المدينة وشعبها احتراماً لدى
أسكيا محمد ، جعله يوقف هذه الغزوات
ويعقد مع كانو هدنة يقصر بمقتضاها إمارة
كانو ويزوج أميرها بإحدى بناته مما أعطاها
قوة واستقراراً .

الثاني : أن هزيمة قبائل السكوارارافا ، أمام
قوة الهاوسا في كانو ، ومشاهدة هذه القبائل
الغازية المهزومة للنظم الدقيقة والحياة الرفيعة
التي يحياها سكان هذه المدينة جعلتهم يقبلون
على الإسلام ويستوفدون المسلمين من الهاوسا
لنشر تعاليم هذا الدين القيم ثم أوقفوا بعد ذلك
غزواتهم .

كانو تصبح ملجأ العلماء :

وبما ساعد على ازدهار الحياة العلمية
الإسلامية في كانو أن تعرضت تمبكتو
وجاو وجنى للضعف نتيجة لغزوات البربر
والمغاربة التي شغلت بها زمناً ، فاضطر
الكثير من علماءها إلى الهجرة إلى كانو التي

وفي عهد محمد رومفا ، الملك العشرون
لكانو ، (من ١٤٦٣ إلى ١٤٩٣) وأشهر
ملوكها المسلمين . بلغت المدينة ذروة مجدها
وبدأ فيها عهد إسلامي جديد سادت فيه كل
مظاهر الحياة الإسلامية فكان إحياء رمضان
بالصوم والتعبد وكانت الاحتفالات بالأعياد
الإسلامية المختلفة ، كما أقامت حركة تنقيّة
عقيدة الهاوسا مما شابها من أفكار وعقائد
الحياة القبلية السابقة .

مهدد الأزهر :

وقد ساعد على ازدهار الإسلام في عهد
محمد رومفا أن استوفد عدداً من علماء
الأزهر من مصر ليعلموا وينشروا مبادئ
الإسلام الصحيح في المدارس العديدة التي
افتتحها والمساجد العظيمة التي أقامها ، وفي
مجلس بلاطه العلبي الذي كان يعقد في قصره
العظيم الذي شيده في جبل والا ، وما
يذكر بالفضل للملك محمد رومفا أنه أعاد
تنظيم الحكم في كانو وتوابعها على أساس
إسلامي مقتبسا النظم التي كانت متبعة في ذلك
العهد في مصر .

واستمر ازدهار الحياة العلمية الإسلامية
في كانو في عهد الملك محمد كيسوكي (من
سنة ١٥٠٩ إلى ١٥٦٥) ، وذلك رغم غزوات
السنغاي وتعرض البلاد لغزوات أخرى

والكفر وأقام زمنا يعلم الفقه وأصول الدين وكتب لأمر كانو كتابا بعنوان « واجبات الأمير » ويدل كتابه هذا على إلمامه الكبير بشئون الحكم ومشكلاته ومتابعه، وقد كتب كتابه هذا بالعربية مما يدل على أنها كانت لغة منتشرة في تلك البلاد في ذلك العهد. ومما يذكر أيضا أن جلال الدين السيوطي العالم المصرى المشهور قد زار كانو وأقام فيها بضع سنين يعلم القرآن ويفقه في الدين وعاد منها إلى مصر عام ٨٧٦ هـ .

العهد الفولاني في كانو :

ظلت مدينة كانو تعيش في ظل أمراء الهاوسا كمدينة إسلامية ، وكسوق للتجارة ، وك محطة للقوافل الآتية من الشمال عبر الصحراء الكبرى ، وقد كانت بلاد الهاوسا كلها ابتداء من القرن الخامس عشر تعرض لهجرات سلمية آتية من الغرب تحمل جماعات مسلحة بعضها يشتغل بالرعى وبعضها يحترف التجارة . فنزل الرعاة من هؤلاء المهاجرين في مهامه السافانا يرعون أبقارهم جنباً إلى جنب مع الهاوسا الذين كانت غالبية أهل القرى منهم تشتغل بالزراعة وقد عرف المهاجرون الرعاة باسم بورروجى أى الفولاني البقارة أو أهل البقر ، وعرف التجار الذين نزّلوا الم المدن الكبيرة ومنها مدينة كانو باسم فولاني جيداً أى فولاني

كان الإسلام قد استقر فيها وازدهر في عهد محمد رومفا ، ومن هؤلاء العلماء الذين نزّلوا بكانو وأقاموا فيها يعلمون الدين والفقه الحاج أحمد التنبكتي ومخلف بن على ومحمد ابن أحمد ، ولكن أشهرهم جميعاً محمد بن عبد الكريم المغيلي الشهير باسم البغدادى أيضا .

اشتهر المغيلي بين قبائل الطوارق كداعية للإسلام ولا يزال اسمه يلقي بينهم احتراماً وتقديساً ، ولكن الفتنة التى أحدثها اليهود أدت إلى قتل الكثير منهم في طوات وغيرها من واحات الصحراء الكبرى واستغلال اليهود لها باتهامه بتدبيرها جعله يؤثر الهجرة إلى بلاد الهاوسا^(١) حيث أسلم على يديه ملوك كاتسينا ثم انتقل إلى كانو بعد أن كتب لأميرها خطاباً يقول فيه :

إن الكفار ببلادكم ما زالوا بين المسلمين في الأسواق والمنازل فإن لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر في رمضان كان ذلك ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعفة العقول من عامة شعبكم ونسائه^(٢) .

فدعاه ملك كانو لينقى البلاد من الشرك

[١] إوارد هوين ص ٧ و ٨ .

[٢] عن حسن محمود في كتابه تاريخ انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقية .

فديو تفقه في الدين ، وتعمق في علوم القرآن والحديث والشرائع والأصول على يد علماء تعلموا في الأزهر أو في المدينة المنورة أو في الزيتونة بتونس أو في مسجد القرويين بالمغرب ، وقد بدأ حياته معلما ثم جمع حوله الأنباغ وبث فيهم روح الكساف من أجل تخليص البلاد من كل شوائب الحياة القبلية ، ونشر الإسلام بين من لم يسلم منهم ، والعمل على توحيد البلاد في ملك إسلامي يقيم شرائع القرآن ويحيي أجداد الإسلام ، ومن ثم أعلن الجهاد على ما كان هناك من بدع ، وعلى التفريق وعلى القبلية القديمة .

وهكذا بدأ الجهاد لتوحيد الإمارات في مملكة واحدة قوية تكون مصدر إشعاع لهذا الدين القويم ، وبدأت الدعوة من سوكونو ، ولكن كانوا سرعان ما انضمت إلى اللواء الذي عقده لها أمير المؤمنين أو ساراكين مسلماني كما يسمى بلغة الهاوسا وكانت هي المدينة النيجيرية الوحيدة التي قبلها اللواء دون صراع بين الزعماء ودون حاجة إلى غزو أو حرب أو معارك وذلك لإدراك أهلها أن الوحدة هي سبيل تحقيق الأهداف العظمى من نشر الإسلام وتنقية العقيدة (١) .

وعاشت كانوا في اتحاد إمارات الفولا قرنا

الحضر (١) ، وقد كان هذا التوزيع للسكان محققا لنوع من التكامل الاقتصادي في حياة الهاوسا وبخاصة كانوا والمنطقة المحيطة بها الخاضعة لها ، ذلك أن الهاوسا الزراع والبورورجي أو الفولاني البقارة تعاونوا في مناطق الريف ، كما أن فولاني جيدا أو فولاني الحضر قد ساعدوا على زيادة ازدهار الصناعات القائمة في مدينة كانوا واستطاعوا أن يتاجروا بها لمسافات بعيدة عبر الصحراء في الشمال أو على طول امتداد نطاق السفانا إلى ساحل الأطلس في الغرب .

إلى جانب التعاون الاقتصادي الذي قام بين الهاوسا والفولاني نجده أن الوثام والاختلاط بل الاندماج الكامل قد ظهرت بوادره منذ أن بدأ المهاجرون الجدد من الفولاني يفدون إلى بلاد الهاوسا ، ولم يجد الهاوسا والفولاني أي نوع من الصعوبات تحول دون اختلاطهم فكلهم مسلمون ينتمون إلى دين واحد ويتبعون شريعة القرآن وقد ساعد ذلك على ظهور اتجاه جديد نحو دراسة الدين والتفقه فيه والتعاون من أجل إحياء سنته وشرائعه والعمل على نشره بين القبائل التي لم تكن قد استظلت بظله أو تفتحت أعينها على نوره .

وفي مطلع القرن التاسع عشر ظهر على مسرح الحياة في نيجيريا الشمالية رجل يدعى عثمان دن

ثم أنهار الاستعمار :

ومنذ منتصف القرن التاسع بدأت كانو تشهد طلائع الاستعمار البريطاني ، بمثابة الشركات التجارية التي أخذت تعقد الاتفاقات التجارية مع الأمراء ، ولكن هذه الشركات لم تستطع أن تتغلغل بنفوذها في مدينة كانو على الرغم من أهمية موقع كانو التجاري ، إلا أن شركة النيجر الملكية لم تستطع إقامة مركزها هناك بل اتخذت من كادونا المدينة الناشئة مقرا لها وظلت تعمل في شمال نيجيريا إلى أن أعلنت الحماية البريطانية على هذا الإقليم الشمالي عام ١٩٠٠ ورفض أمراء الفولا في كانو وبعض مدن الشمال الأخرى الخضوع للنفوذ البريطاني فاضطر اللورد لوجارد أن يرسل حملات لإخضاع هذه المدن ولقيت هذه الحملات رغم قوتها وتسليحها بأسلحة حديثة مقاومة شديدة من شعب الهاموسا والفولا في كانو وغيرها من مدن الشمال ، وقد استمرت هذه المقاومة حتى سنة ١٩٠٣ . ثم تغلبت القوة بمساعدة الخونة وقامت السلطات البريطانية بخلع أمير كانو وتقسيم آخر اضطر لتوقيع اتفاقية الحماية . وبدأت السلطات الاستعمارية تعمل على خلق المشكلات وإثارة الفرقة بين الأهالي فشجعت هجرة الكثير من عناصر الإيبو وهيات لهم السكن في كانو على وجه الخصوص وكانت تهدف من وراء ذلك إلى خلق خلاف

كاملا حفل بالاستقرار والازدهار في ظل نظام إسلامي دقيق تعاون أمراء الفولا مع شعب الهاموسا على إقامته والحفاظة عليه ، وقد زادت شهرتها كمركز تجارى ، واستقر بها الكثير من تجار الشمال الإفريقي من العرب والمغاربة ، كما زارها كل الرحالة الذين ارتادوا مناطق غرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر وكتب عنها الرحالة الألماني بارث يقول : « إنها مدينة صناعية تجارية تأتيا القوافل من الشمال من ساحل البحر المتوسط ، ومن الغرب من ساحل المحيط الأطلسي ، وتمتد شهرتها في آفاق بعيدة ، (١) .

ومن أهم الصناعات التي ازدهرت في كانو صناعة المنسوجات القطنية وصباغة الأقمشة ، وكان تجار غدامس يحملون إليها المنسوجات الخام من المغرب لتصبغ في كانو ، ويعودون بها في ذلك الطريق الطويل ويتكبدون هذه المشقة والتكاليف الباهظة ليحصلوا على نسيج مصبوغ صباغة جيدة بألوان جميلة ثابتة ، وإلى جانب صناعة المنسوجات والصباغة اشتهرت كذلك بدبغ الجلود وذاع صيت جلود كانو في بلاد المغرب وكانت تستورد لتستخدم في صنع الأحذية في مراكش .

في نيجيريا الشمالية من أبناء المسلمين من الهاوسا والفلولا الذين تخرجوا في معهد عربي أنشأه السلطان محمد السنوسي أمير كانو السابق سنة ١٩٣٤ وقد ساعده في إنشاء هذا المعهد تاجر من الإقليم المصري كان يقيم هناك ويعلم إلى جانب تجارته علوم الدين وهو الحاج أحمد أحمد أبو السعود ، واستوفد الأمير السنوسي بعض العلماء من مصر والسودان للتدريس في هذه المدرسة التي كانت تسمى في أول الأمر باسم مدرسة الشريعة الإسلامية ثم تحولت فأصبحت تسمى مدرسة العلوم العربية ، وتخرج منها طليعة الزعماء الذين قادوا الحركة السياسية في نيجيريا الشمالية وأكثرهم كانوا معلمين أو قضاة ، وما يزال هذا المعهد قائما حتى يومنا هذا يتطلع إلى التدعيم وإلى التخلص من آثار النفوذ الاستعماري التي دخلت إليه بمثابة رجال إدارته الذين عينتهم وزارة التعليم في العهد الاستعماري في نيجيريا فما يزال وكيل المعهد انجليزيا . وهذه المدرسة تتطلع في تدعيمها إلى هون للبلاد العربية والإسلامية لتقوم على أقدامها كمرکز للتعليم الإسلامي والدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا .

يوم كانو وغرها :

والآن كانت مدينة كانو اليوم هي أكبر المدن الإسلامية في غرب إفريقيا إذ يبلغ عدد

كبير بين السكان الأصليين المسلمين وبين هؤلاء المهاجرين من القبائل غير الإسلامية وقد نجحت في ذلك حيث حدثت اصطدامات عنيفة بين الفريقين أدت إلى تدخل السلطات الاستعمارية ، واتخذ البريطانيون أيضا من وجود هؤلاء المهاجرين ذريعة لإدخال التبشير إلى هذه المناطق الإسلامية الصرفة بحجة تعليم هؤلاء السكان الذين لا يقبلون على التعليم الإسلامي وهي حجة واهية في الواقع لأن الكثير منهم بعد أن اختلطوا بالمسلمين وشاهدوا محاسن الإسلام أقبلوا على الدخول في هذا الدين القويم ولكن الاستعمار أوقف هذا التيار بخططه الهادفة .

وما يذكر أن مدينة كانو قد شاركت مشاركة فعلية في الحركة التحررية بنيجيريا فكانت مقر حزب شعوب الشمال وكان زعماءها يؤمنون بوحدة نيجيريا التي أراد الاستعمار تفتيتها وقد استقبلت كانو الرئيس الدكتور نامادي أزيكوي استقبالا رائعا من جانب الشعب والزعماء وتم في هذا الاستقبال اتفاق بين حزب شعب الشمال وحزب وحدة نيجيريا على النضال المشترك من أجل استقلال نيجيريا ووحدتها .

مدرسة العلوم العربية في كانو^(١)

وكان معظم الذين قادوا الحركة التحررية

[١] معلومات من بعض أبناء نيجيريا في الأزهر الشريف .

- ٤ — وجود أقليات من أبناء نيجيريا وجهات إفريقية أخرى يشغلون بعض الوظائف ومختلف الأعمال في مصانع وشركات مدينة كانو الأمر الذي يمكن أن يكون عاملا يساعد على انتخاب صفوة منهم يعملون أصول الإسلام ويتفقهون في الدين ليعودوا إلى قبائلهم التي لم تنعم بعد بنور الإسلام دعاة صالحين لهذا الدين القويم .
- وهكذا نجد في قلب القارة الإفريقية مركزا من مراكز الإسلام ينتظر له مستقبل زاهر في الدعوة إلى الإسلام وتنقية العقيدة وتثبيت شريعة القرآن ونظم الإسلام ومبادئه في عقول الإفريقيين وحياتهم .
- محمد مهول عباسي**
- ١ — الاستعداد الكبير لدى شعبها وأمرائها لمواصلة الكشف عن أجل نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة بين شعوب نيجيريا والبلاد المجاورة .
- ٢ — وجود أكبر معهد ديني إسلامي في غرب إفريقيا بها وهو مدرسة العلوم العربية التي يمكن أن تكون في المستقبل نواة لجامعة إسلامية تتعاون مع الأزهر الشريف وجامعات الشمال الإفريقي على إحياء التراث الإسلامي وإعداد الدعاة والرواد والمعلمين .
- ٣ — موقعها الجغرافي الذي يسهل اتصالها بجهات إفريقيا الأخرى .

فضل الاقتصاد

أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة يسألونه في دية فصادفوه في حائط يتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده عن رديئه ، ويجعل كل صنف منها على حدته فهموا أن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عند هذا خيرا . فلما فرغ من حائطه كلبوه فأعطاهم . فقال رجل من القوم : لقد رأيتك تصنع شيئا لا يشبه فعالك وأخبروه . فقال : إن الذي رأيتم من صنيعي قضيت به حاجتكم .

السَّكُّ قَبْلَ الْإِيمَانِ

عَبْرَةٌ فِي حَيَاةِ أَدِيبٍ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ رَجَبِ الْيَوْمِيِّ

الناشي. المتطلع ، كتب رسالة الدكتوراة عن (حال المرأة في الإسلام) كتابة لا تسير مع الحق في طريق ، ثم قدم إلى مصر فثارت عليه الثائرة ، وأتاح الله له من دعاه إلى سبيله ، بالحكمة الحسنة والموعظة الصائبة ، فعرف الحق من الضلال ، وتبرأ مما أسلف في غربته براءة يغمرها الندم ، وتوقظها النفس اللوامة ، ثم تغلغل الإيمان في قلبه فأصبح بحمد الله من أقوى المسلمين غيرة على محارم الإسلام ، وأشدهم دعاية إلى سنته وآدابه ، وهكذا جاء يقينه الثابت عن دراسة فاحصة ، وبحوث متعقبي ، فتمكن من نفسه تمكينا لا تزعه الشكوك ، ولا تعبت به الأراجيف ، وفي هذا كله عبرة بالغة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

يقول أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ من مجلة الأزهر : دأ ذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى السوربون عن حال المرأة في الإسلام نال فيها

في حياة كل إنسان ، جل أو هان ، موضع للعبرة ، ومجال للتأمل ، وحياة الأديب المفكر بنوع خاص ، أفسح مجالا ، وأدعى مناسبة للعبارة والاعتبار ، فهو باطلاعه الثاقب ، وإحساسه الثائري يأتي من الآراء ويبدى من الأعمال ما يتسع للنقاش والتعليل ، ووب موقف صغير من مواقفه الحسية يستحيل في رأى الدارس المحلل فكرة معنوية ، لها مكانها البارز في دنيا التعليل والاستقراء ، حتى لتفرد لها الشروح المتنوعة وتوضع المبررات المحتملة ، وكأنها حدث خارق قلب وجه التاريخ .

وسنعرض اليوم إلى مفكر معاصر ، تربي في المدارس المصرية في أظلم عهود الاستعمار تربية مدنية لا تمت إلى التربية الروحية بسبب ، ثم انتقل إلى باريس فدرس تعاليم الإسلام ممسوخة شائنة على أناس يضطغنون عليه ، ويحاولون أن يطفئوا نور الله بأيديهم حتى إذا فعلت مفترياتهم السامة فعلها في نفس

والشيخ على الزفكلوني : هؤلاء الذين يمثلون رجل الدين الحقيقي ، في عقولهم وعلومهم ، فبدأت أتخلص من الزيف لأعود إلى حظيرة الدين والحمد لله .

ثم يفصل الدكتور منصور الطريقة التي شرح الله بها صدره للحق فيقول في موضع آخر ، نقلا عن مجلة لواء الإسلام عدد شوال سنة ١٣٧٨ هـ مانصه :

« لقيت المرحوم الشيخ الأكبر حصونة النواوي حين زرته في منزله ، فوجدت شيخا وقورا يملأ القلب بمباهته وتقواه وكنت أسمع الكثير عن شجاعته وهيمته ، واستهانته بشئون الدنيا ، فلما قدمت إليه ، قال لي : أنت الذي يقال هناك إنك ملحد ؟! فقلت : نعم يا مولاي ! فربت على كتفي وقال لي : اقرأ القرآن وقرأ البخاري إن لم تكن قرأته ، فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحيت ألا أفهمدي ، فمكثت على قراءة البخاري ، وعجبت لغفلي الأولى ، وجدت حكما ونظما ، وأخذت أقارن ذلك بما درست من فلسفة ، فوجدت ما جاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الإلهام الصادق يبدو في كل حديث ، فلم أجد إلا أن أقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . هذا هو كلام الدكتور رحمه الله عن نفسه ،

من خلق الرسول وشرعه وسلوكه ، فلما أفكر عليه من أنكر استدل على كل ما ادعى بأحاديث مروية في (طبقات ابن سعد) وفي (الشفاء) للقاظمي عياض ، ولما ردوا حجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدريني أنها موضوعة ! والكتب التي نقلت عنها معتمدة متداولة .

وأستاذنا الزيات - كما يعرفه تلاميذه - إنسان كمله الله بالأدب والذوق ، فلم يشأ أن يصرح باسم صديقه الكبير الدكتور منصور فهمي ، ولكن الرجل رحمه الله قد شاء لنفسه غير ما شاء الأستاذ الزيات إذ تحدث كثيرا عن سابقته هذه حديث من لا يفوته اصطلياد العبرة من حوادث الزمن وتصاريف الأيام ، فقال في صراحة محبة نقلا عن مجلة «حياتك» ديسمبر سنة ١٩٥٨ :

« كانت رسالتي في الدكتوراة عن المرأة في الإسلام ، واندفعت أكتب بحرارة للشباب المندفع ، ويظهر أنني انهرفت قليلا حيث كانت معلوماتي عن الإسلام طفيفة ، وحين قوبلت في مصر بضجة كبرى ازددت عنادا ، ولكن الله كتب لي أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء من ذوى الأفق الواسع والصدر الرحيب من أمثال الشيخ حصونة النواوي والشيخ مصطفى عبد الرزاق

لما يختلج في صدره من أوهام ، ومن نكد الطالع أن الذي أشرف عليها من أساتذة السوربون هو الأستاذ (لينى بريل) وهو معروف في دوائر الاستشراق بتعامله المغرص على الإسلام ، وقد وجد من الشباب المتحمسين بحجة لينى في يده ، يفعل بها ما يشاء فأخذ يحمده بما يدخر الاستشراق من روايات موهومة وأراجيف مزعومة ، وافتراضات متخيلة ونتائج مزورة ، ليكون ذلك كله مادة شططه ومطية جموحه ، حتى جاز له أن يقول مثلاً ص ١٦ عن رسول الله مترجماً عن النص الفرنسى (١) .

« وهكذا نجد أنه - محمداً - بعد أن ينام نوماً عميقاً ، يقوم ليؤدي صلواته دون أن يحدد طهوره ووضوءه على حين أن المؤمنين الآخرين كان عليهم الشروع في وضوء وطهور جديدين ، ومن أجل أن يبرر الاستثناء الذي عمل لصالحه اكتفى بأن قال : إن عيني تنام وأن قلبي لا ينام أبداً . »

ثم يقول في ص ١٨ « وقد حد النبي من نظام تعدد الزوجات ، إلا أنه تعدى بالنسبة لنفسه ما وضعه من حدود للآخرين ، فمع أن بقية المؤمنين لم يكن في مقدورهم

وإن نستخلص منه وجه العبرة النافعة إلا إذا استمرضنا ظروف رسالته الجامعية ، وما أحاط بها من ملابسات مصرية وفرنسية ، جعلته يشتت في آرائه شططا يدفع به إلى الانحراف ، حتى إذا ذهب غشاوة الضلال عن عينه أبصر الفجر الوضئ فخرج إلى النور من الظلمات .

لقد سافر الدكتور إلى باريس سنة ١٩٠٨م وهي السنة التي توفي فيها المصلح الاجتماعي قاسم أمين محرر المرأة بعد أن ترك وراءه دويهاً ثلثا يتردد صدهاء في كل مجتمع ، وقد جذب إلى آرائه الاجتماعية فريقاً كبيراً من جبهة الشباب المندفع ، وفهم من درس آراء الرجل في بقعة وانتباه فصرف ما لا يريد وما يريد ، وفهم من فهم عن قاسم فهماً يعوزه التبصر والروية ، فاعتقد - مخطئاً - أنه يرجع تأخر المرأة وجهلها إلى مبادئ الإسلام وتعاليم الشريعة !! وما هكذا يقول قاسم ، ولكنها فرية مزورة عزاها إليه المرجفون ، وتناقضها متوسطو الثقافة وأصحاب القشور من الدراسات تنافلاً أعان عليه أعداء الإسلام بما اختلقوا من مزاعم ، وعللوا من أشياء ، وقد رسخ هذا الوهم في نفس الدكتور منصور عن قصور في الاطلاع ، وأخذت جذوره المريضة تمتد في نفسه حتى اختار أن تكون رسالته الجامعية عن (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها) فجاءت تنفيذاً

(١) ترجم هذه الفقرات الأستاذ محمد السيد كيلاني في كتابه « فصول ممتعة » ص ٦ ، ٧ .

الدكتور مقاومة تنسلح بالمنطق والدليل ، فوضعوا الأمر في نصابه وجعلوا أفلامهم منارة تهدي الطريق ، وقد انتقلوا جميعا إلى رحمة الله ، ولم يبق في جيلنا من يذكر لهم غيرتهم في الدفاع وسابقتهم في الهداية ، وقد قرأ الدكتور منصور فهمي ما كتبه هؤلاء ، ثم اهتدى بمجالسة أصحابه من العلماء ، قتيبن في أسف لاذع خطورة ما ورطه فيه أستاذه للسوربوني ، وانتدب نفسه للدفاع المخلص الحار عن نبي الإسلام ، وشريعة القرآن ، فانضم إلى الجمعيات الإسلامية محاضرا ومؤسسا ، ورفع صوت القرآن في الجامعة المصرية مكافئا من يزعمون إلى الغواية والاهوجاج ، حتى جاز للجلة الجديدة أن تنعته بالرجمية المتأخرة ، وأن تذكر في بعض أعدادها أن الدكتورين منصور فهمي وعبد الوهاب عزام أصبحا رمز التخلف والجنود في كلية الآداب ، وإذا هاجمت المجلة الجديدة أستاذا من أسانذة الفكر فهمته الأولى لديها هي الوفاء للعروبة والإسلام !!

أجل ، لقد رجع الدكتور عن آرائه رجوع المقتنع الدارس ، فنزل اليقين من قلبه نزول الطود الراسخ فما يستطيع أن يلم به شك يززع استقراره ، وكأنني به وقد استشعر غيظا أليما لما كان ، فاندفع من أقصى

أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمدا أن جاز لنفسه أيتزوج بأكثر من ذلك . . ثم تبالغ الرسالة السوربونية في مثل هذا الشطط الأرعن لتنتهي إلى القول بأن الإسلام قد ساعد على تأخر المرأة وانحطاطها ، وأن اللاتق بالأمم الإسلامية أن تأخذ من أوربا مثالا حيا لنهوض المرأة واختلاطها بالرجل في المتجر والمصنع وأماكن النزهة والترويح ، ليسعد المجتمع الإسلامي في الشرق سعادة المجتمع المسيحي في الغرب ، وإلا فعلى المسلمين العفاء !!

هذه نماذج قليلة مما تورط فيه صاحب هذه الرسالة ، وبعضه اختلاق محض كالقول بصلاة الرسول دون وضوء والبعض جهل بدقائق التشريع في حكمة التعمد من ناحية ، واهتمام الإسلام بتربية المرأة وثقيفها من ناحية ثانية ، وقد كانت جريدة المؤيد ما بين شهرى يناير ومارس سنة ١٩١٤ معرضا فسيحا للرد على هذه المزاعم بقوة وإخمام . ولسنا نحتاج اليوم إلى إيضاح الحقيقة فيها ، فكل مسلم قارىء يعرف الآن حكمة التعمد ، ويطلع صحفا ميسرة مما خط في هذا المضمار !! ولعل من الوفاء أن نذكر أن الأسانذة الأفذاذ محمد فريد وجدى ومحمد لطفي جمعة وطنطاوى جوهرى قد قاموا هذه الأراجيف حين صدورها في رسالة

المضمار لكان سفرا جليلا من أسفار النبوة ،
والأعمال بخوانيمها كما يقال .

أما نظرتة إلى المرأة في ظل التقاليد
الإسلامية فقد انقلبت بعد الدراسة الفاحصة
من النقيض إلى النقيض ، فلم يعد الإسلام
في رأيه عامل تحجر وجمود ، بل أصبح تهاقت
المرأة في أوروبا على الأعمال للشاقة مهزلة
ألمة تهدم بناء الأسرة ، وتحول أمنها المنتظر
إلى اضطراب قلق لا بهجة معه ولا ارتياح !
وقد نشر الدكتور في مجلة الرسالة الغراء
بالمعدين (٤٠٤ ، ٤٠٥) السنة التاسعة بحثا
ضايفيا عن وجهة نظره الأخيرة في هذا
الموضوع بقرؤه القاري فيجد تأييدا حارا
لنداء الإسلام ، وتأكيذا قويا لما ارتطمت
فيه أوروبا من انحلال ، وتوضيحا صريحا
لموقف قاسم أمين من المرأة فهو كصالح
اجتماعي لم يرد لها التبذل والانحراف ،
ولأنما كان يعتقد أن المرأة قد تسمو
إلى ما تشده لها من المسكنة لو كملت تربية
النساء على مقتضى الدين ، وقواعد الأدب ،
ووقف بالحجاب عند الحد المعروف في أغلب
المسائل الإسلامية (١) .

ثم إنه ينتقد الحضارة الأوروبية انتقاداً
مريرا إذ دفعت بالمرأة إلى ميادين العمل

اليسار إلى أقصى البين في حماس متأجج ،
وانضم إلى نوادي الإيمان ومحافل العقيدة
ليوضح للشباب - ما أمكنه الوقت - في محاضراته
وتعقيباته محاسن الإسلام ومبادئ الشريعة ،
فكشف عن كثير من العيون ما ران عليها
من هشاشة تطمس أمامها خداع المدنية
السكاذبة ، وتمويه الحضارة الزائفة ، وترتها
الباطل ممتسحا بوشى خلاب تغمره الزخارف
والأضواء ، وقد كان ينتهز المناسبات الدينية
فيفيض في الحديث عن نبي الإسلام إفاضة
مسهبة ثم يعدد ما يفترى عليه المغرضون
في ألم نفسي تنعكس صحابته على وجهه -
المنفعل المعبر ، والدكتور منصور إذا
كتب ، فهو في للكتابة فيلسوف متعقل
يزن المعاني الدقيقة ويقدر لها ما يناسبها من
اللفظ الموجز والتعبير الفاضل ، أما ارتجاله
الخطابي فبحر عجاج متدفق ، وكنت أنخيله
وأنا أسمع في جمعية الشبان المسلمين داعية
دينيا من رجال الوعظ والإرشاد لا أستاذا
في الفلسفة من السوربون ! وكانت المجلات
الإسلامية تتراحم عليه في مناسبات الهجرة
والمولد والغزوات - وبعضها دون مستواه -
فيجيبها عن سماحة وإقبال ، يميل بمحذيه إلى
جلاء موقف رائع من مواقف صاحب
الرسالة ، ولو جُمع ما سال به قلبه في هذا

(١) مجلة الرسالة العدد [٤٠٤] تحت عنوان
[نساءنا بين التقاليد والتجديد] .

أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج وذلك لكي تتجه النساء وجهتهن فيما خلقن له من إسماعد الأسرة ، ودهم أسسها ، ومن إغناش جو المحبة ومن إشاعة نيات السلام ، وذلك ما يوافق تعاليم الإسلام^(١) .

وقد أفاض الدكتور في بحثه المركز بالرسالة في الحديث عن مغريات العصر الزائف وسوء فهم الناس للحرية وانقلابها إلى فوضى عارمة تحفل بمعاول الهدم في المجتمع ، وتحدث عن قيود الأسرة في عهود الهرمية الأولى قبل الإسلام ، ومبررات من يزعمون الاتئناس والهمجة في اشتراك النوعين ، ثم ندد بالاختلاط تنديدا صارما حين قال^(٢) .

« فقد يزدحم النساء والرجال في مجتمع من مجتمعات الشاي والخمر ، فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للترين والأناقة ، وإلى مضمار للتألق بالأقوال الرخيصة ، وبذل التطرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المناققة ، وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر في المرتبة عن زينة الأخريات ، فسرعان ما تفيض القلوب بالغيرة والحسد ، أوتدق دقات الزهو الأجوف ، وإذا كان في هذه المجتمعات من تعوزه بقطة الفضيلة

الشاق فزاحت الرجل في ميدانه دون أن تتسلح بمواجهه وبأسه وقوة عضلاته واحتمال أعضائه ! يا لله ! هذا الكلام حينه اعتراف صريح بتخطئة الأسس العلمية التي استندت إليها رسالة السوربون ! فقد كانت دعوة صاخبة إلى إنقاذ المرأة من هذوتها الساكن ، والزج بها في أتون العمل والكفاح الشاق كأختها الأوروبية سواء بسواء ، والدكتور يهاجم وضع المرأة الأخير في أوروبا مهاجمة من تبرأ من قول إلى قول فهو يقول بصدد ذلك : « فقد يغمر العصر الحاضر بالنساء حين يدفعهن إلى ميادين من الأعمال الشاقة كان من الخير أن يزاولها الرجال وأن يتحملوا أوصابها وتبعاتها دون النساء حرصا على أن تسلم وظيفة الأمومة التي هيئت لها المرأة ، ووقاية من الزج في الجهود المضنية التي تعطل فيها صحة أنسجتها العضوية ، وتفسد عليها رقة الطبع وسلامة الأعصاب ، فحكاكتسا للغروب تدفع نساءنا للحديثات إلى كل ميادين العمل الاجتماعي ، ليسرن في هذا السبيل من غير قيد ولا حذر ، وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التماذي في التغرير بالمرأة ، وتوريط المجتمع في كوارث اقتصادية وخلقية حتى إن « أوجست كومت ، وهو رأس من رموس فلاسفة الغربيين كان يرى من واجب الهيئة الاجتماعية

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٠٥ .

(٢) مجلة الرسالة العدد ٤٠٤ .

التجربة المريرة والفحص المتعقل - على ما انحدرت إليه المرأة في مضمار العمل الشاق والاختلاط الدائب من أهوال ، فمرف الفرق بين الواقع الذى يعيشه الناس ، والمثال الذى يحلم به قاسم !! ورأى فيما كتبه الأستاذ وجدى منطقاً واقعياً يضع للعلاج ويرسم الطريق فاستشهد به عن اقتناع !!

إن من يعرف أن الدكتور منصور فهمى كان فى حياته العلمية متأثراً أشد التأثر بفلسفة كانت ، الألمانى التى تقوم على التفكير العميق فى ترجيح الشئ وضده ، ليقدر تمام التقدير أى تفكير حاد عنيف بذله الرجل فى سبيل المعرفة حتى اقتطف ثمرة إيمانه اقتطافاً حياً ، فوجد برد الراحة فى يقينه ، وعاش بقية عمره مثلج الصدر قرير النفس ، ولماذا لا نشبهه بالإمام الغزالى حين تعرض لنوبة عارمة من الشك حبست لسانه فى حلقه وألجأته إلى صومعته الموحشة حتى إذا سطع نور اليقين على فواده أصدر كتابه (المنقذ من الضلال) فكان آية الآيات فى قوة اليقين وسلامة الاعتقاد ، والفرق بين الرجلين واضح بعيد ، ولسكننا نقرن شكاً بشك ويقينا بيقين .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بمعهد المعلمات بالقىوم

وصلابة الخلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيثة لنزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح اللغواية ، ومآسى الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث فى هدم سعادة الأسر . . . الخ . . .

وفى اعتقادى أن هذا البحث المنصف على إيجازه الدقيق فقد شديد لاذع لرسالة السوربون ؟ وكان الأقدار العادلة شامت للرجل أن يتولى هدم مزاعمه بنفسه ليقوم على أنقاضها فى كهولته العاقلة بناء أصيلاً ينهض على الدعائم الراسخة والأركان الوطيدة ، وما لاحظته على الدكتور أنه استشهد غير مرة فى بحثه الأخير بأراء الأستاذ محمد فريد وجدى فى كتابه « المرأة المسلمة » مع أن الأستاذ وجدى رحمه الله قد ألف كتابه هذا قبل أن يخط الدكتور رسالته الجامعية . وربما لو قرأها إذ ذاك لصححت وجهة نظره ، أقول ربما فقط ، لأن كتاب قاسم أمين كان ذا سحر أعاذ فى نفوس الشباب من أمثال الدكتور ، فقارنه الشاب يغمض هيفه ليحلم بجنة مثالية للمجتمع الإسلامى تصبح بها المرأة حورية طاهرة قديسة !! ثم يفتح عينه ليرى القيود والسدود فتندفع أشواقه إلى اللجنة البعيدة ، والمجتمع المثالى !! وقد كان الدكتور كذلك ثم فتح عينيه - بعد

رائد الفضاء

للأستاذ محمد محمد خليفه

القدرة التي فوق كل قدرة . إنها قدرة الله .
لقد شاهدت الأرض بعد احتجاب أشعة
الشمس وأحسست بالجمال: جمال المنظر وجمال
الألوان وجمال المشهد نفسه ، فقل لمن يحدد
الصانع الحكيم : إن هذا الجمال الذي يشاهد
في المنظر والألوان والمشهد أسمى وأعظم من
أن يصنعه البشر وإن طبيعته تشير إلى صانع
تولت قدرته إبراز المناظر في صور تذهل
اللب وتسحر الناظر ، وكيف لا وذلك
الجمال من صنع الله ؟ .

ورأيت الأرض تسبح في مدارها مقيدة
بفلكها لا تخرجها عنه غضبة الطبيعة ولا
يؤرجعها ثوران الأنواء بل هي أبدا تبدو
ساكنة لا تحس لها قلقاً ولا اهتزازاً ، فقل
لمن كفر بنعمة الخالق في جعلها ساكنة وهي
جياشة هادئة وهي دائرة لينعم البشر فوقها
بالسكون والاستقرار . إنما دبّر ذلك المدبر:
من بيده ملكوت كل شيء . من له مقاليد
السماوات والأرض .

حدث يا رائد الفضاء عن ذلك الفضاء
الواسع الذي تضل في تحديده العقول بل تعيا
فيه الأوهام والظنون وقد رأيت ما حول
الأرض من فراغ . . فراغ يقصر عن بلوغ

حدث يا رائد الفضاء لعل حديثك يهدي
الساشرين في ظلمات الحيرة الغارقين بين
مناهاش الشكوك والظنون ، إلى الحقيقة التي
هوئك معالمها في الفضاء ، إلى الحقيقة التي
أذهلتك حين شاهدت الأرض معلقة وليس
هناك ما يحملها وكل ما حولها فراغ . . . فراغ .
إلى الحقيقة التي جعلتك تسأل نفسك في
دهشة ترى ما الذي يبقها هكذا معلقة هناك .
إلى الحقيقة التي فوق طاقة الدنيا وما في
الدنيا ومن في الدنيا . حقيقة القادر الذي
يمسك السماوات والأرض أن تزولا .

حدث يا رائد الفضاء عن الكرة الأرضية:
عن جبالها ووديانها وبحارها ، وعن ظلها
الذي عشت فيه ساعة من الزمن وعن المحيطات
الشاسعة التي تنخللها وتحيط بها ثم عنها جميعها
وهي معلقة في الفضاء كما نشاهدنا على
(الخريطة) ثم سلى المنكرين معي ! قدرة
من تلك التي جمعت الياابس والماء وجعلت
منهما كرة معلقة تدور في هذا الفضاء ؟ .

وأية قدرة هذه التي أمسكت الماء فلم يطغ
على الأرض حين دورانها وصانت الأرض
فلم يحطم الماء على الأحقاب صخرها ولا أذاب
تراها ؟ فإن طلبوا الجواب فقل لهم : إنها

أحد من البشر قبلك على مثل هذه السفينة المزودة بأجهزة الإرسال والاستقبال والتصوير والحساب وغير ذلك وعلوت بها إلى ما عجز عنه الطيران المختلف وقضيت في الفضاء خمسا وعشرين ساعة درت فيها حول الأرض دورات ، فحدثنا : هل رأيت تحت السماء عمداً تعتمد عليها وتصون فوقها عوالمها وهل صورت أجهزة السفينة شيئاً من تلك العمدة التي عساها قد خفيت على سكان الأرض ثم هل رأيت في تلك السماء التي عملت فيها يد القادرة البناء شيئاً من الفطور أو التفاوت في أجزاء ذلك البناء ؟ فإن لم تكن شاهدت للسماء عمداً ولا رأيت في خلقها فطوراً ولا تفاوتاً فقل لمن وهبوا للعلم حياتهم وكرسوا له جهودهم : إنكم أولى الناس بالإيمان بهذا القادر الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . رفع سمكها فسواها وأغطش ليها وأخرج ضحاها .

وقد رأيت القمر في موضعه من الأرض والشمس ، ورأيت أشعة الشمس تنفذ إلى صفحته ثم تنعكس إلى الأرض فضية لامعة وفي ومضة تحدث حركة الاستقبال والانعكاس على البعد الذي بين الشمس والقمر ثم الذي بين القمر والأرض فمن ذا الذي جعل في أشعة الشمس ذلك النفاذ وفي صفحة القمر الاستقبال والانعكاس ؟ إنه الحكيم تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقرأ منيراً

مداه علم البشر ولا يصل إلى غايته ما يصنعه من سفن وغير سفن ، فقل للتطالعين إلى ذلك الفضاء : لا أحد يعلم مداه ، إنما علم ذلك عند من مد للفضاء ، عند العزيز الجبار ، عند الله .

ثم لماذا كانت عوالم الفضاء تنتظر خيال الشعراء وأقلام الرسامين ولا تنتظر عقول العلماء والمفكرين ليلتقوا هنالك وليسرحوا أبصارهم وليسلوا بصائرهم تجول فيما وراء هذا الكون تستكشف الحقيقة من العوالم البعيدة عن هذه الأرض التي غيرت المادة وظلماتها كل ما فيها وصرفت عن التفكير فيمن له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

لقد دارت بك سفينة الفضاء واقتربت بها من النجوم فرأيتهما أكثر تألقاً وسطوعاً ورأيتهما معلقة كما رأيت للقمر كذلك فقل للرتابين والمشككين إن صاحب القدرة التي خلقت النجوم والقمر والشمس وأدارتها في أفلاكها بإحكام فهي لا تصطدم أبداً وهي لا تنحطم أبداً حتى يحين انشقاق القمر وتكوير الشمس وكندرة النجوم وانتثار الكواكب وانفطار السماء وزلزلة الأرض ، صاحب هذه القدرة خليق بأن تعنوله الوجوه وتؤمن به النفوس هو الحى القيوم هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

بارئهم الفضاء :

لقد بلغت بسفينتك من السمو ما لم يبلغه

في الحق : إني ما رأيت الله ولكني رأيت آياته البينات التي تشير إليه والتي تنطق بأن هنالك قوة أعظم من النجوم والقمر والشمس والسماء ، هي القوة الخالقة ، وأن هذه القوة تتحكم في كل ذلك وتدير وتدير كل ذلك .

وصاحب هذه القوة خالق بأن يدين له الكون ومن فيه ، وخالق بأن يؤمن به الناس لأنه رب الناس ملك الناس .

أيها الرائد الذي تجرد حيناً من ظلمات الأرض حين رآها معلقة لا يحملها شيء فسأل ما الذي يبقها هكذا ليمسك بأول خيط الحقيقة ، قل لقومك ما قاله أعظم رائد عرفته الأرض والسماء حين راد قومه إلى الله فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت للناس جميعاً ما كذبتكم ... إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ... يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

أيها الرائد :

قل لرواد الفضاء الذين ستنتقل بهم السفن بعد : تتبعوا هنالك الآيات وأرسلوا عقولكم وراءها تستجلى الحقيقة التي أطل من كل آية على الأبواب التي تخيم عليها ظلمات الجحود أو التقليد ثم عودوا إلى عالمنا فهزوا موجات الأثير بصيحات الحق : الله أكبر ، الله أكبر ؟

محمد محمد خليفه

المدرس في الأزهر

ولقد كنت تخشى في رحلتك سبل النيازك ونشاط الإشعاع الشمسي ، فقد آمنت بقوة النيازك وخطر الإشعاع الشمسي ، وآمنت وراء ذلك بأن القوة الحرارية المودعة في الشمس تخيف وتحرق وتدمر كل من يتطلع إلى طبقات الفضاء العليا ، فسل أولئك الذين جنحوا عن رب الشمس والقمر والأرض والسماء : من الذي خلق النور والحرارة في الشمس ؟ ومن الذي أمم القمر بنور الشمس ومن الذي أودع القوة الحرارية الجبارة في الشمس وجعلها في بعد بحيث ينتفع بالطاقة التي يحتاجها الإنسان والنبات والحيوان فإن أخرسهم طغيان الجحود فقل لهم : هو الله الذي سخر لكم الشمس والقمر والنجوم .

أيها الرائد :

كنت رائد قومك إلى الفضاء ، إلى الكشف عما غاب من عوالمه عن البشرية من الأجواء والأنواء والنيازك وحالة الشمس ونشاطها الإشعاعي ، فكن رائد قومك إلى خير الدنيا والآخرة ، إلى الإيمان بمن خلق السموات والأرض .

إن الأرض التي كانت معلقة فوق رأسك وأنت تدور آية من آيات الله .

وإن القمر والنجوم والشمس التي تعلقت كلها في هذا الفضاء من آيات الله وإن الكون الذي لا ندرى مداه كله من آيات الله .

فقل لكل من نجاه العناد عن التفكير

الوَجْدَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي شِعْرِ الرَّصَافِي لِلْأَسَازِ الْحَسَنِيِّ عَبْدِ الْمَجِيدِ حَاشِمٍ

وبمقدار حب النفوس للحرية وتعطشها
لحقيقها نرى قوة الدفاع عن حياتها والدعوة
إلى رحابها. وقد أشرقت روح الحرية والقوة
واضحة جليلة أخاذه في شعر الرصافي فقد حمل
علم الثورة على أعداء الحرية والعروبة
فتنار على الحدود المصطنعة والخطوط الوهمية التي
رسمها الاستعمار بدساتسه وقتنه وغدره ليجمع
منها حاجزاً ضيقاً وسوراً حديدياً بين أمم
العروبة التي يجمعها لسان عربي مبين .
والمتصفح لديوان الرصافي يجد تحمسه القوى
ودعوته الحارة للوحدة العربية في كل مناسبة
وأنه لم يمل العزف بهذه للنغمة الحبيبة .
وتحرك ذلك الوتر الحساس في وقت كان
فيه الاستعمار له سطوته وصولته يتحكم بها
في الشعوب ولذاتها وأرزاقها . وقد رأينا
من جراء هذا الاستعمار الاستعماري وتفرقه
بين الشعوب كثيراً من الشعوب الإسلامية
وزعمائها ، ولغتهم القرآن العربي المبين ،
لا يستطيعون التحدث بالعربية لأن الاستعمار
قرض عليهم لغته وعزلهم عن أبناء جلدتهم
بالأعبيه وقتنه .

شاء الله للرصافة الواقعة شرقي دجلة في
بغداد أن تسمو مكاتها بشاعر عربي حر
يحمل اسمها وضاء يرف سناه في كل مكان
بنور الحرية والعروبة ، إذ بها شاعرنا العربي
« معروف الرصافي » .

والشاعر الصادق إفسان شفاف الإحساس
حاد الذكاء قوى الإدراك يحب لأمته الخير
يرجو لها النهوض والتقدم ويدفعها إلى اعتناق
المثل العالية وإلى العمل على تحقيق الغايات
السامية . وشاعرنا في طليعة خول الشعراء
الذين ضربوا بسهم وافر في التحلي بهذه
المفاخر جميعها .

وللشعر عين لو نظرت بنورها - إلى الغيب
لاستشففت مافي بطونه . والعبقريات للفذة
والنفوس الطلعة تعرف مقدار ما للإنسانية
من سمو واحترام ، وتعرف أن الله خلقها حرة
طليقة في هذا الوجود ومن حقها أن تنفس عبير
الحرية وتستظل بأدواحها الوارفة وتنتقل
بين أفتانها النابضة بالحياة وتعبر عن وجودها
في قوة وثبات .

وتطرب في البيت المقدس صخرة
وترتاح في البيت المحرم أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب
فيحمدها شيخ ويشكر مطران

شاعر العراق يبايع مصر بالقيادة :

وشاعرنا مؤمن بالعروبة والوحدة
السكبرى أمر طبيعي ، فلا بد أن تشرق شمسها
وضاءة المحيا في يوم من الأيام ، وكأنه كان
يستشف بذكائه وشاعريته أحداث المستقبل
المشرق فهو يسلم لواء القيادة لمصر تاج العروبة
إذا العروبة حلت عرش دولتها

فصر تاج لها قد صيغ من ذهب
والشاعر الرصافي يدين لمصر بالحب والولاء
يزف لها التحايا متصلة ويترجم لغة الأمواج
في دجلة والفرات بأنها تحية للنيل رب الشعر
والخطب ، ومصر تاج العروبة يصاغ لها
من أندر المعادن وأكرمها ، قامت بها دولة
السيف مثل دولة العلم منذ طلعت شمسها في
الشرق عند الفتح الإسلامي من أفق الفسطاط :
منى إلى مصر ذات المجد والحسب

تحية ذات ود غير مقتضب
تدلى بها دجلة اللسان هن مقة
منها إلى النيل رب الشعر والخطب
إذا العروبة حلت عرش دولتها
فصر تاج لها قد صيغ من ذهب

وشاعرنا لا يرضى بهذه التفرقة بل يدعو
إلى الاتحاد والتعاون والإخاء وإنكار الذات
ونسيان الأحقاد والفوارق الدينية في سبيل
رفعة العروبة ووحدتها .

فيقول :

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة
لسان ، وأوطان ، وبالله إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة
بها قال إنجيل كما قال قرآن . ؟
نتمسك إلى المجد المؤئل تغلب
كما قد نتمسك للسكرام غسان
فلا تنكروا عهد الإخاء وقد أتت
تصالحكم فيه نزار - وعدنان
أجب أيها الغدب المسيحي مسلما
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
ألا فانهضوا نحو العلا وكلا كما
لصاحبه في المأزق الضنك معوان
والنهضة الحقيقية عند الشاعر هي التي
تضرب خيامها البيضاء على مغاني العروبة
جميعها وتشرق في سمائها الصافية وحدة أساسها
الإيمان والإخلاص والأخوة والتضامن
لرفعة العروبة .

سنهض للجد المؤئل نهضة
يقرها دحوران، عينا ولبنان،
وتعتز في أرض الشام دمشقها
وتهتز من أرض العراقين بغداد

إذ أصبحوا كبنى الأعيان تجمعهم
 لله وحدتهم في كل مطلب
 ما كانت الناس في أيام دولتهم
 إلا سواسية في الحكم والرتب
 من أجل ذلك الرعايا فيهم اندمجوا
 مستعربين وما كانوا من العرب

طرابلس الغرب :

وهي العاصمة الثانية للملكة الليبية المتحدة
 التي تضم تحت لوائها ثلاث ولايات : برقة ،
 وطرابلس الغرب ، وفزان . وطرابلس
 مدينة جميلة مشيدة البناء بها كثير من الآثار
 التاريخية تقع على ساحل البحر الأبيض ولها
 تاريخ مجيد في الكفاح والبطولة ولقد لمست
 في أهلها الأخلاق الكريمة وحبهم العظيم لمصر
 وقائدها الزعيم جمال بطل العروبة ولقد شهدت
 هذه المدينة المعارك الدامية منذ سنة ١٩١٢
 ضد الاستعمار الطلياني وشاهرنا يسهم في المعركة
 بصعره فيقول :

للك الله يا قتلى طرابلس التي
 بها حكم الطليان أسياهم غدرا
 أداموا بها قتل النفوس نكابة
 إلى أن أحالوا كل بيت بها قبرا
 ولما أحاط المسلمون بجيشهم
 فعاد الفضاء الرحب في عينهم شبرا

كم قام للمجد في أرجائها علم
 تهفو ذوابته بالعلم والأدب
 قامت بمعترك الأسياف دولتها
 من قبل معترك الأقلام والكتب
 من أفق فسطاطها في الشرق قد طلعت
 شمس إذا غاب قرص الشمس لم تغب
 إني أرى مصر والتاريخ يشهد لي
 تحيا بعرف بها من صنضى العرب
 يمت للعرب ماضيها وحاضرها
 بنسبة غضة في المجد والحسب
 وشاعر الوحدة العربية يعيش بقلبه ونفسه
 وسط أحداث العروبة وبلدانها فتراها يصدح
 ويحلق في أجوائها ، ونحن هنا نذكر طرقا
 من أشعاره كنماذج للثروة الضخمة التي حل
 بها جيل بلدانها .

الجزيرة العربية :

يتحدث الشاعر عن الجزيرة العربية مشرق
 صاحب الرسالة وحامل لواء الوحدة الشاملة
 الذي غمر العالم بأضوائه الربانية ووجد بينهم
 فأصبحوا بنعمة الله إخوانا :
 كفى الجزيرة فخرا من مفاخرها
 قبر أناف بها قدرا على الشهب
 قامت بصاحبهم للعرب نهضتهم
 تذكو بعزم لهم كالنار ملتهب
 قد وحدوا الله عن علم فوحدهم
 روحا غيلوا لأم كلهم وأب

خليل قوما في نطاطي* ره وسنا
إلى جذث تغزو لمن ضم أجيال
لدى الحدث للفرد الذي فيه قد ثوى
من الملك الفرد ابن أيوب رثبال
حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
لينض ثاو في مطاويك مفضل

الوحدة العربية طريق الفهم :

وعند الرصاص أن الطريق العمل لنجاح
العرب وفلاحهم هو السير قدما في ضوء
الوحدة العربية وأن من العار الاستسلام
للتفرقة التي قيدت بها بعض دول العرب بخالفة
بذلك الطريق القويم والتعاليم السماوية :

لا تكسفوا بافتخار في أوائلكم
فنشوة الخمر لا تغني عن العنب
بل فانفضوا للبعالي مثل نهضتهم
واستعصموا باتحاد محكم السبب
كانت أوائلكم في وحدة تركت
أعداءهم قددا في قبضة الرعب
سلوا بذلك لليرموك واديه
فإنه بسوى ما قلت لم يجب
عن خالد بطل الأبطال يخبرنا
لأذل جيش العدا بالقتل والحرب
والقادسية عن سعد محدثه
بقتل رستم رب العسكر اللجب
إذا علمنا بأن النصر طالهم
من أفق وحدتهم ، لم يبق من عجب

الحسيني عبد المجيد هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق الديني

تقهقر يبغي في البلاد تحصنا
ففرها من خشية الموت^(١) واستدري

تونس :

وشاعر العروبة يشعر بأواصر المحبة
والصدقة بين بلدان العروبة ومغانها التي تجمع
بينها روابط قدسية توحّد بين صفوفها رغم
التيارات السياسية المفتعلة التي لا ثبات لها
أمام قوة الحق :-

أتونس لمن في بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب
إلى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
نواصع آية سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وإن قضت السياسة بالبعداد
وإن المسلمين على التآخي
وإن أغرى الأجانب بالتعادي
يحبيك العراق برافديه
تحية مخلص لك في الوداد

وقفه أمام بطل الوحدة صلاح الدين الأيوبي
يدعو الشاعر العرب ليحيوا بطل العروبة
صلاح الدين الأيوبي وهو بذلك إنما يدعوهم
للوحدة والتكتل في وجه الغرب .

الفقه في الدين أمان من الزلزل

للأستاذ علي العماري

يقول فيه بغير علم ، ويتقحم على الفتوى
بغيرا كثرات .

ونحن لم نقل أبدا : إن دراسة الدين قصر
على طائفة دون طائفة ، ولا إن في الإسلام
كهنوتا كما يحلوا دائما لبعض الناس أن يقولوا
على رجال الدين ، وهي تهمة اعتاد العايشون
بتعاليم الإسلام أن يلحقوها في وجه كل عالم
يريد أن يردم إلى الصواب ، أو يعاسرهم
الحساب على ما يترقون من نكر حين
ينشرون في كتبهم أو في مقالاتهم ما لا يتفق
وفصوص الدين .

قال مؤلف مرة في أحد كتبه : إن ضرب
الرجل زوجته من شريعة الغاب ، ولما قيل
له وماذا تقول في قول الله تعالى : « واللاق
تخافون نشوزهن فمظوهن واهجروهن في
المضاجع واضربوهن » هل يكون تشريع الله
وحشية وافتئاتا على حقوق الإنسان ؟
لما قيل له ذلك صاح : لا كهنوت في الإسلام ،
كأنه يريد أن يقول دون أن يجد من يقول
له أخطأت ، ومن يدعو إلى رده إلى الصواب
حتى لا يفسد عقائد الآخرين ، والناس في
كل عصر وفي كل مصر يقفون في وجه كل

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ،
هذا حديث نبوي كريم ، وهو من أصدق
الحكم وأنفعها ، وأحقها بأن يتمثله المؤمن
في كل صباح ومساء ، حتى يحقق لنفسه
الحخير ، ويضمن لعقيدته السلامة ،
ولعمله القبول .

وإذا كان الدين ضرورة لازمة لحياة الفرد ،
ولحياة المجتمع الإنساني بأسره حياة سعيدة
كريمة ، فإن فهم الدين على حقيقته أكثر
لزوما . وما ابتلى العالم الإسلامي بشيء أشد
من ابتلائه بفهم الإسلام فهما سطحيا ساذجا ،
ولو أنه بعض المسلمين ممن فاتهم الدراسة
العميقة وقفوا عند علمهم ، ورجعوا إلى
أهل العلم في المشاكل الدينية أو حاولوا
أن يستكملوا ما نقصهم ، ثم تصرفوا
وكتبوا على قدر ما يعرفون لأننا كثيرا
من الأخطاء .

والناس - إلا قليلا - أحرص على سلامة
أبدانهم منهم على سلامة أديانهم ، ولو تعهد
المؤمن دينه كما يتعهد أى شأن من شؤون
دنياء لمشي على الماء ، ولكن أمر الدين
من الهوان عند بعض الناس إلى حد أنه

أمور الدين فلما رجع إلى كتبه تبين له خطأ فتواه ، فأمر من ينادى في مصر والقاهرة ، من أفتاء العز بكندا فلا يعمل به ، فقد أخطأ .
أما نحن فكل لإنسان يدعى لنفسه الحق في الحديث عن الدين ، وعن أصول الشرع ، وإن لم يكن له باع قصير أو طويل في الدراسات الإسلامية .

وسأضرب أمثلة من هذه (التورطات) لنرى إلى أي حد تجنى الجراءة على دين الله على أصحابها ، وعلى المجتمع .

مسألة الفقر والغنى مسألة عاجلها الإسلام معالجة صريحة واضحة ، ولا يوجد إنسان فيه معنى الإنسانية ، ولا يوجد مؤمن صحيح الإيمان ينكر على الفقير حقه في مال الغنى ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ما آمن بالله من بات شعبان وجاره بجواره طاو » .
وقد شرع الإسلام وسائل كثيرة بعضها عن طريق الإلزام وبعضها عن طريق الاختيار تسكفل للفقراء حقوقهم ، وتوفر لهم أقواتهم وأقوات من يعملون ، ولم يتوان أحد من رجال الإسلام المخلصين لدينهم في تنفيذ هذه السياسية الإسلامية الرشيدة وقد شن أول خلفاء الإسلام حرباً ضروساً كان سببها الأول منع الزكاة وقال في ذلك قوله المشهورة : « والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه » .

من يحاول أن يفسد على الناس شئون حياتهم ، فكيف ينكر على العلماء أن يقفوا في وجه من يحاول أن يفسد على الناس دينهم ؟
ولا أدري لماذا يلجأ الناس إلى كبار الأطباء ليعالجوا أمراضهم الجسمية ، ولا يلجأون إلى كبار العلماء ليعالجوا أمراضهم الروحية ؟ ولماذا يتخرج صغار الأطباء من إجراء عمليات جراحية خطيرة ، ويحيلونها على أساتذتهم ، ولا يتخرج أصحاب الدراسات الضحلة في الدين من القول فيه بغير علم ؟ .

إننا نؤمن بأن دين الله للجميع ، وأن علوم الدين حرم مباح لكل من يريد أن يوسع دراسته الدينية ، ولكننا نقول مع ذلك إن القول في الدين يحتاج إلى تخصص ، وإلى دراسة عميقة واعية متأنية ، وأنه ليس من حق كل من قرأ آيات من القرآن ، ونظر في بعض كتب السنة أن يقول ما شاء .

إن بعض العلماء السابقين كانوا - مع طول دراستهم في علوم الدين ، وحمية أفعالهم - يتورعون في كثير من الأحيان عن الفتوى ، ويحجمون عن تولي القضاء ، وكان العالم منهم إذا أخطأ في فتوى أعلم للناس بخطئه ، ولم تأخذه العزة والكبرياء أن يقول : إني أخطأت ، وقد حدث أن أفتى العز بن عبد السلام - وكان يلقب بسلطان العلماء - أفتى رجلاً في أمر من

معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا .

فهل بعد هذا يحملنا التمس لإعطاء الفقير حقه أن نقول : إن شيئاً في هذه الحياة ليس من الله ، وإنما هو أمر صنعه الناس ، ووضعوه في أذهان الفقراء ، فنسكرك بذلك نصاً صريحاً في كتاب الله .

إن الله الذي قال : د ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً ، أمر في الوقت ذاته هؤلاء الأغنياء أن يعودوا بفضل ما لهم على الفقراء وأمر الحكام أن ينظروا في مصلحة الرعية ، وأن يأخذوا من أغنيائهم ليردوا على فقرائهم فلا منافاة بين بين قضيتين ، الله هو المقدر للغنى والفقر ، وهو الذي جعل الناس طبقات ، وبين أن يأخذ كل إنسان حقه من مال الله الذي في أيدي الأغنياء ، وإذا وجد من الناس من غفل عن إحدى هاتين القضيتين فينبغي رده إلى الصواب ، ولكن لا يكون ذلك بإنكار القضية التي يتبسط في الحديث عنها ، وإنما يكون بوضع القضية الأخرى بجانبها ، وبذلك تسلم المؤمن عقيدته ، ويؤدى حكم الله كما نزل ، فإذا وجد من أشباه العلماء في القديم أو في الحديث من ذل للطبقات المستعيلة وأخذ يعينها على استغلالها وجبروتها ، ويخدر

وَجَرى كبار الصحابة على هذه السنة ، وعمل فقهاء المسلمين على وضع الأسس السليمة في هذا الشأن ، وخلّصتها : أن المسلمين لو عملوا بتعاليم دينهم على وجه مرض لما وجد فقير يشكو الحاجة .

كل هذا نحن نؤمن به ، وندين الله عليه ، ونود - دائماً - أن تنفذ أحكام الإسلام حتى يتحقق للمجتمعات الإسلامية ما كفله لها الإسلام من عيشة راضية طيبة ، وحياة رغدة سعيدة .

ولكن للسألة وجهاً آخر ، ذلك أمر يتصل بالعقيدة ، فنحن - المسلمين - نعتقد أن كل شيء من الله ، ونؤمن بما تضمنه هذا البيت ، وهو مشهور في كتب العقائد . وكل شيء بقضاء وقدر

وكل مقدور فما عنه مفر ونحن نؤمن بهذا ، فالصحة والمرض والغنى والفقر ، والذكاء والبلادة ، كلها مقدرات من عند الله وفي القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة تدل على هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى : (وأنه هو أغنى وأقنى) وقوله تعالى : د له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم . وقوله تعالى : د الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز ، وقوله : د أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم

والعمل للدنيا واجب ، وهو في طبيعة الإنسان ، والعمل للآخرة واجب كذلك ولكن الآخرة خير من الأولى ، والمسابقة يجب أن تكون إلى مغفرة الله ورحمته ولينظر من يشاء في هذه الآيات : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . » « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، وكيف يكون القول بأفضلية الآخرة على الدنيا انحدارا بنا وبالإسلام إلى أن يصبح لا شيء . هذا عجيب ! .

ونحن حين نلتبس لأعمالنا سندا من نصوص الإسلام أو من روحه إنما نريد أن يطمئن المسلم إلى هذه الأعمال ، ولا ينفر منها ، واطمئنان الناس إلى أي عمل هو الدعامة الأولى لنفعه وبقائه ، فلا ينبغي أن نلجأ إلى التخيلات لتزويد بها أعمالنا ، وقد قلت : إن للإسلام وسائل كثيرة لإيصال حق الفقير إليه ، وهذه الوسائل بين أيدي

الطبقات المستندية ، ويفهمها أن حالنا لن نحول ، فالإسلام يرى من هؤلاء ، لأن الله الذي قدر المرض أوجد الدواء للشفاء منه فالمرض مقدر والبحث عن الدواء مطلوب . ومثل آخر :

القضية المعروفة عندنا في الإسلام أن الآخرة خير وأبقى ، وأن رحمة الله خير مما يجمع الناس من الأموال ، وأن للغاية من كل عمل يعملها المسلم الصادق الإسلام إنما هي طلب ما عند الله من الثواب ، وبذلك جاء الإسلام ، ونصوصه صريحة واضحة ولكن كاتباً - لا أسميه - أخذ يعيد ويزيد ليفهم القراء أن « الدنيويات مفضلة على الأخريويات ، وإن قلنا بغير ذلك » تخلفنا عن ركب الحضارة وانحدارنا وانحدار الإسلام معنا إلى حيث لا يكون شيئا ، و « أن الدنيويات المباحة المطابقة لروح الإسلام سابقة في الأفضلية على الأخريويات . »

كل هذا كلام لا يتفق ونصوص الإسلام ، ولا يتواءم مع روحه ، فآله سبحانه يقول : « فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، ويقولون يخاطبوا بسوله الكريم : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير مما يجمعون » ونصوص أخرى كثيرة .

الدليل المادى على ذلك ، كانت الرأسمالية من روح الإسلام . وهكذا تجمع روح الإسلام بين نظامين اقتصاديين متناقضين .

* * *

ولا أدري لماذا يتعرض الإسلام لخملات ظالمة من بعض الكتاب ، إلا إذا كان الغرض من ذلك أن تترك هذا الدين ، أو تترك تعاليمه مع أنه ليس في تعاليم الدين ما يحول دون أى إصلاح اجتماعى معقول ، ولكن يحول لبعض الناس أن يرى الإسلام بالجمود والتخلف ، ويرى علماء بالانحراف عن سواء السبيل ، فهذا كاتب يهذى ويقول : إن الشعور الدينى من أكبر الدعائم التى يعتمد عليها كل انكسار وطنى واجتماعى خطير ، وطبيعى أن يقتذف الأزهر ، وهو المربى لهذا الشعور الدينى ، بعوراء منكرا فيقول : والتعليم الأزهرى صورة منحرفة من صور استغلال الدين والاعتماد عليه كأداة لتعطيل التطور ، بل يرمى التراث الإسلامى بكلمة نكراء فيقول : إن التراث الإسلامى نشأ في أحضان حكام ظالمين .

أى جهل هذا ؟ وأى تجبن على الحقائق ؟ أنا لا أعرف خطأ وخبطا مثل هذا إن لعلماء الإسلام السابقين الذين وضعوا التراث الإسلامى مواقف جليلة فى خدمة البشرية ، والذي يقرأ كتبهم يوقن بأنهم وضعوا أدق (البقية على صفحة ٧٣٢)

العلماء والدارسين ، ولكن كاتباً أراد أن يشرع لنا تشريعاً جديداً ، فأضرب ذلك القضية أكثر مما نفعلها لأنه بناها على كليات استنبطها هو ، وهذه الكليات تحكم الفطرة فى حدود تتسع لما يمكن أن يبلغ الإنسان من تطور فى حالات حياته ، وأول هذه الكليات أن الإسلام قد جعل من أجل الإنسان ، ولم يجعل الإنسان من أجل الإسلام ، وإذن فكل إصلاح اجتماعى أو تشريعى تقوم الهلالة المادية على أنه من صالح الإنسان يكون بذلك من روح الإسلام .

أليس هذا كلاماً غريباً ؟ مصادر التشريع عندنا هى : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولا نعرف أحداً أقر أن يفتى أحد دون أن يعرف هذه المصادر ، فضلاً عن معرفته بوجوه المثابة .

فمن أى مصدر من هذه المصادر أخذ الكاتب فتواه هذه ؟ مصلحة الإنسان شئ جميل ، ولكن من يقدر هذه المصلحة ، أظن أن المصلحة كانت مكفولة فى كثير من الأنظمة القديمة التى لا تمت إلى الإسلام بصلة . وإذا شاء قائل أن يقول : إن الدلالة المادية تقوم على أن مصلحة الإنسان فى الشيوعية كان معنى ذلك أن الشيوعية من روح الإسلام ، وإذا أراد آخر أن يقول : إن مصلحة الإنسان فى الرأسمالية ، وقيم

فَرِيضَةُ الصَّلَاةِ تَطْهِيْرُ النَّفْسِ

لِلدَّكْتُورِ مُحَمَّدٍ غَلَّابَ

الصاخبة ، لن يستجيبوا لنا ، وأن الحكمة تقضى علينا بأن نشغل بشئٍ مشرٍ بدلا من هذا العبث المحقق وأن نغنى بأمر منتج كعلاج الآلام المادية للفقر والمرض مثلا فإن نتائج جهودها أسرع ، وثمار العمل في حقولها أنفع ولكن هذا خطأ ، فاقترناص الثمرة العاجلة ليس من الحكمة دائما إذ أنه عندما يهدد النهر مثلا قرية من القرى فإن ارتقاب الثمرة العاجلة يقتضى من أهل تلك القرية سرعة إنقاذ أمتعتهم من طريق الفيضان . بينما أن الحكمة أو الإذعان للبادئ العالية يتطلب منهم أن يتجهوا فوراً إلى التعاون والتضافر على تقوية الحاجز العام الذى يقى قريتهم وغيرها من قرى الدولة ، من الغرق . وإذن يجب أن تتجه الآمال نحو المبادئ العالية ، وصوب صالح الجماعة ينبغى أن تسير كل الجهود متكاتفه متعاونة مبتدئة من تعاليم السماء ، منتبهة إلى تطهير المجتمع من أدوائه الخلقية ، وذلك لعمري أدخلت الجهودات ، وأنفع الثمرات ، وقصوى الغايات وعليا السعادات .

ليس لهذه الكلمات هدف آخر غير دعوة

سنحدث فى إلساعات عاجلة هن الحكمة والحقيقة والعدالة والسكينة والنبيل الخلقى الذى بلغ حد الكمال ، وقد يبدو غريبا - إن لم يكن داعيا إلى السخرية فى هذا العصر - أن يتحدث المرء عن هذه المبادئ الرفيعة وأن يدعو إلى السكينة الروحية فى وسط هذا القلق النفسى الذى يكثف العالم ، وذلك الشقاء المعنوى الذى يحرق به إحداق السوار بالمعصم . أو أن يتحدث عن العدالة المثالية فى وسط ذلك الخضم الدولى المائج بالمظالم ، المغمم بالأنانية والوحشية والطغيان . ولكن رسالتنا فى هذه الحياة تحتم علينا ألا نغفل أى مبدأ من هذه المبادئ السامية لنحارب أضدادها بكل ما أوتينا من قوة ، وإلا جارينا غيرنا من أهل العصر فى الاستهتار ، أو فى الإغضاء عن الرذائل ، أو فى الاكتفاء بالسخط القلبي عليها وهو أضعف الإيمان ، قد يأخذ علينا البعض أننا نغنى بالمبادئ الرفيعة فى عصر بل فى عالم أصبحت الأكثرية الغالبة من أهله عملية بل مادية ، وأن نصائحنا مستذهب صرخة فى واد أو نفخة فى رماد ، وأن الناس فى وسط ضوضاء هذه المدنية

تستطيع أن تظهر بالاعتدال والانجام والثراء الخلقى الذى هو وحده الوسيلة المثل التى ترفع الإنسانية ، لأن التقدم الحقيقى هو تقدم النفس لا تقدم الجوانب الدنياء فى الإنسان . ولا غرو فتلك المبادئ الإسلامية التى سنمر بها معك ، كانت كلها منابع طهر وسمو ونور ظهرت فيها عناصر الفضائل الخلقية والفوائد الاجتماعية على يدى ذلك النبى الجليل الذى كان يريد الرحمة للساوية التى أفضت البشرية من أدوائها وأقالتها من عثراتها ورسمت لها طرق سعادتها وهنائها . ومن الوسائل التى أراد الله بها السعادة للبشر تلك الفرائض التى أمرهم بها أمر المستغنى الذى لا يناله شيء من تلك العبادات وإنما أمرهم بها لتطهيرهم وتسييرهم نحو المثل الأعلى فى الكمال كالصلاة التى ستحدث عنها اليوم والتى كان لها فى فجر الإسلام أثر رائع يقينه الباحث فى تاريخ هذا الدين واضحاً جلياً .

فى ليلة المعراج التاريخية الساطعة فرضت الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ إنها هى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والتى لو لم تنتج هذه النتيجة لم يزد فاعلمها من الله إلا بعداً ، والتى ليست مجرد حركات ظاهرية لا روح فيها ولا حياة إذ لو كانت كذلك لكانت عبثاً رخيصاً يرفع عنه أقل عقلاء البشر

ذوى الاستعدادات الصالحة ، والنيات الصادقة ، والمقاصد الخيرية إلى التثقيب من أصول الفضائل النفسية العظمى التى نبعت من مبادئ الإسلام الفطرية ، والتى توجد عناصرها فى الكتاب الكريم والسنة الغراء ، والتى برزت للعيان فى تلك المبادئ الرائعة وهائيك الشعائر الساطعة ، وإلى التأمل فى دلالاتها التى تنتهى حتماً إلى مضاعفة القوى الآمنة التى لا تقبل الفساد ، ولا يلحقها الدفس ، والتى إذا غذيت بالتأمل تمت لها للسيطرة على الحيائين الباطنية والظاهرية . ويبان هذا أن النفوس البشرية فى أمس الحاجة إلى الهدوء والسكينة ؛ لأن ضجيج الحياة المادية وعجيج الرغبات الحسية وصلصلة أصوات الآثرة والأنانية ، تجفف النفوس ، وتجعلها أشبه الأشياء بالأرض الفاحلة المقفرة فى نهاية الصيف القانظ حيث تكون فى أشد حالات الاقتتار إلى الماء الذى يعيد إليها حياتها وخصوبتها . ومن ثم فإن تلك النفوس قد أصبحت دائبة التطلع إلى المثل العليا التى تقدم إليها هذه المعونة اللازمة لسكبتها التى فقدتها فى وسط تلك الضوضاء الحيوانية . ومن ثم أيضاً كان كل ما يعينها فى العثور على طريق هذا الملجأ الخفى ، ويقدم إليها مفاتيح سر الحياة الباطنية ، هو الذى يحقق لها تلك السكينة المنشودة ، وهناك فقط

وبعبارة أوضح موضع طريق الفوز والنجاة ، وعلى أثر وصول المؤمن إلى هذه المرتبة تبدأ درجات صعوده نحو الكمال . وفي الحق أن هذه الدرجات التي تحققها الصلاة الحقة للمصلين الذين يبتغون وجه الله وحده ، ليست بالشئ الهين إذا تأملنا في أولئك الذين لا يراقبون أنفسهم ، ولا يعنون بتطهير أرواحهم من أدناس الرغبات المحظورة ، ولا يحاولون الاعتدال في الانانية ، أو في حب الظفر بأكبر قدر ممكن من أعراض الحياة إذ نحن نعرف أولئك الذين لا يكادون يستيقظون في الصباح الباكر حتى يقدفوا بأنفسهم بين زوابع الحياة العملية التي لا تكثرث بالمعنويات ، ولا تعنى بأوامر السماء ، ولا تلتفت إلى أى جانب من جوانب الحياة الروحية التي هي أولى بميزات البشرية عن بقية الكائنات الأخرى ، بل هم ينتقلون من عمل إلى عمل ، ومن موضوع إلى آخر انتقالات سريعة بل مشوبة بالحدة والعنف كأنهم آلات ميكانيكية ليس للعقل فيها مجال إلا بالقدر الذي يحقق لهم النجاح والربح والامتلاك والاستيلاء بل الابتلاع الجشع الذي لا يعرف الوقوف عند حد من الحدود الفاصلة بين المباح والمحظور وعندما تتاح لأحدهم لحظة هزلة وهذوء يكون من الممكن أن يستعملها في الاختلاء بنفسه أو في التفكير

فضلا عن أحكم الحاكمين ، الذي ليست قصوى حكمة الحكاء إلى جانب حكمته سوى قشور أو طفولة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإنما مرماها الحقيقي هو ألا يهمل الإنسان نفسه تتيه في ضلالات المادة ، وتغمس في بحار الرغبات الدنيا غافلة عن ربها وضميرها متناسية مبدأها ومصيرها .

ومن هذا يبدو أن من أبسط التعريفات التي يمكن وضعها للصلاة هو إدامة التفكير في النفس ، ووزن مقادير اقترابها من خالقها وابتعادها عنه بسبب مزاولتها للفضائل والردائل ، والثقة بأنها تمثل خمس مرات في اليوم بين يدي من : د يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

ولا ريب أن هذا المشول المتكرر بين يدي الله يحفز أقى القلوب ، وأجف النفوس إلى الشعور بسلوكها والحتجل من آثامها ، والندم على ما فرط منها من ذنوب وسيئات ، والتصميم على عدم العودة إلى مخالفة هذا الإله الأعظم الذي سيمثل بين يديه في الصلاة الآتية بعد قليل . وبهذا يظل نحو ربه على ذكر دائم لا يعتوره النسيان رغم تلك للفوضى النفسية الناشئة عن ضوضاء المادة ، وضجيج الرغبات وتلك أولى مراتب الطمأنينة والسلام .

إليها نظرات المهانة والازدراء . بينما لو لم
تحقق في لقتلى الضجر والضييق . وكأني
شخص أطبقت عليه الهموم من كل جانب ،
وأصبح في أشد الحاجة إلى أن يتجرع
الكحول ليغيب عن صوابه فلا يحس بآلامه
المنوالية . ولكن ماذا ينتوي هؤلاء التمساء
أن يصنعوا بعقولهم التي تقضى عليهم الضرورة
بسترها عن طريق مغيبات الأعمال المادية
التي لا تفتر ولا تدع مجالا للروحانية التي تحقق
الفوارق بين الإنسان وبقية الكائنات الدنيا .
أجل إن هذا النوع من الحياة المادية
الهاجنة المضطربة التي اجتاحت كثيراً من
شعوب العصر الراهن ، يبدو أنها ستنتهي
إلى إقامة حواجز سميكة بين الأرواح البشرية
والمثل العليا ، بل إلى تكميم تلك الأرواح
وحجبها نهائياً عن التأمل في منشأ ومصيرها
ولهذا فإن الإسلام ينبذ هذه الحياة البهيمية
نبذاً تاماً . ولنا نحن نهيب بالصفوة من
المهيمنين على الشؤون العقلية والدينية في الأمة ،
أن يبذلوا كل ما في وسعهم من جهود لتحقيق
سيادة القوى الروحية وإعطائها القيادة
والسيطرة وأن يوقنوا بأن علماً أقصيت منه
الروحانيات لا يكون سوى تمهيد للحياة
الجهنمية .

ومن ثم فإن تلك اللحظات السعيدة التي
تحقق الصلاة فيها العزلة الباطنية ، هي المنابع

في روحه ، هو يستخدمها في تقييد ما دبحه
أو في كتابة ما عسى أن يربحه لو أنه اتبع
خطة أشد حرصاً ، وأكثر مكرًا وأبعد
خداعاً ، وأدخل في باب المداهنة والمراوغة .
وفيما بين ذلك هم يأكلون ويشربون ، ويمعنون
في إشباع رغباتهم وإذا أقام بعضهم لبعض
المأدبات ، فإنما يرمون من ورائها إلى أهداف
تدر عليهم ما يساوي عشرات أو مئات
أضعاف قيمة نفقاتها . وإذا أرهقت الجهود
المتواصلة قوى الواحد منهم أسلم نفسه إلى
نوم عميق شاق يتعب ولا يريح ، ويغمس
النفس في الظلام بدلا من أن ينتقل بها إلى
طام الرؤى والأحلام التي تزيل الغواشي بينه
وبين الملأ الأعلى .

وعندما يرى المتأمل في الحياة المعنوية
أولئك التمساء - وهم في أكثر الأحيان من
ذوى المكنات العالية - تبدوله نفوسهم
كأنها عجوز قهيرة كسيحة سجيئة في حجرة
حقيرة مظلمة من حجرات قصر الحياة المعنوية
المغمورة في النور والسعادة دون أن يعي بها
أحد من قاطنيها الهائنين .

وأكثر من ذلك أن فريضة من الشعاعين
منهم بهذه الحياة البائسة ، يرد على ناقديه من
المتعقلين بقوله : إن سعادتي في هذه الزوابع
المضطربة المستمرة ، وفي ذلك الهياج الجنوني ،
وفي تلك الأعمال المادية التي تفننونها وتنتظرون

وسبباتها لا يربح شيئاً بل يخسر كل شيء حتى موقعه الذى كان له قبل أن يصل إذ هو يتقدمقر إلى الوراء خطوات وخطوات لأن الخالق أحكم من أن يفرض الصلاة لهذه الحركات الرياضية التى روح فيها ولا حياة وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة وهل يمكن أن يرضى أحكم الحكماء عن مصل يقوم فى كل يوم بتلك الحركات الظاهرية وهو يبلغ فى الكذب والخيانة والغدر والفساد والإيقاع والملق والرياء وما إلى ذلك من الآثام؟ وهل من يحل غير الله وينظر إلى غير وجهه، ويخشى غير سلطانه يحقق فى صلاته معنى تلك الآية الكريمة التى يرددها فى كل ركعة وهى : «إياك نعبد وإياك نستعين» . أولاً يعلم أن تقديم «إياك» فى هذه الآية هو بمثابة ميثاق بينه وبين ربه يتعهد فيه بقصر تقديسه واستعانه على القوة الإلهية وحدها دون أن يعمل حساباً لغيرها ، أيا كان سلطانه بل طغيانه وهل يعتبر من المصلين هؤلاء الرؤساء الذين يجابون ويجورون ، وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون فى المزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإتقان وإخلاص؟

الدكتور محمد غنوب

الصامته التى تتعطر فيها أرواحنا ، وتظفر بالحزم وقوة الإرادة على تجنب الرذائل ، وسلوك سبيل الاعتدال فى الحياة المادية التى لا بد منها . وفى هذه الحالة المطمئنة تستمتع الروح التقية بالسعادة الناشئة عن الانحداد العميق المنيع مع العالم اللامرئى دون أن تفصم عرى علاقتها بالعالم المرئى ثم تظل تحيا حياة مليئة بالأشعة النورانية التى تظفر بالغبلة على سلطان الرغبات فتكبح جماحها وتكرهاها على الاعتدال والاتزان .

وعندما تنخفض ضوضاء أصوات الرغبات الحيوانية ، تستطيع النفس أن تنحنى على حياتها تدرسها وتأمل فى بواطنها حيث تجدها تحتوى على مزيج من مظاهرها كالذى ينظر وهو على مقربة من النهر فىرى أمامه خليطاً مما قذفت به أمواجه على الشاطئ من حقير ونفيس فينتقى منه ما يحلوه ، فإذا وقع اختياره على الحقير الضئيل أى تلك الحياة الصاخبة فكأنما اختار الرمال وإذا فضل الحياة الروحية فقد اختار التبر . وهناك فريق آخر بين بين أى أنه يقوم بالمظاهر الخارجية للصلاة ويقتصر على حركاتها الرياضية من قيام وقعود وركوع وسجود دون أن تنال من نفسه أدنى منال فلا يظفر منها إلا بالمشقة المادية إذا صح أن تكون المشقة العابثة ظفراً وفوزاً . ونحن نهزم بأن المصل الذى لا انتهاء صلاته عن آثام الحياة

العرب في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

— ٢ —

إلى جانب التعاليم الإسلامية ولغة القرآن
المبادئ النظرية في العلوم الطبيعية .

وكانت أولى المدارس هي : (جمعية خير)
بجاكرتا ، ومدرسة حضرموت والخيرية
بسرابايا ، وشمال الهدي بفاكالوغان ،
والمدرسة العربية الإسلامية بصولو ، ومدرسة
المعاونة بشانجور ، والمدرسة العربية الإسلامية
بياپوواغي . وقام بالتدريس فيها أساتذة
أكفاء ، ومن أشهرهم : الأستاذ محمد بن هاشم
ابن طاهر العلوي ، والأستاذ أحمد بن عبد الله
السقاف العلوي ، والأستاذ طاهر الدباغ ،
والأستاذ رباح حسونة ، والأستاذ عبد القادر
بلفقيه العلوي ، والأستاذ حسن ناصر ،
والأستاذ عيروس بن سالم الجفري العلوي .
وغيرهم من العرب والأندونيسيين .

تعاون وتساند العرب المخلصون
على إقامة هذه المدارس بالتكاتف وإخوانهم
الأندونيسيين وبعض أفراد الجاليات الأخرى
كالهنود وغيرهم .

إنشاء مدارس إسلامية حديثة :

بالرغم من كل ما تقدم ظل الذين يهمهم
نشر الدين والثقافة الإسلامية وصيانة ذلك
الميراث المقدس بهذه الأقطار ، ظل أولئك
يقاومون سياسة الاستعمار والتبشير الغربيين .

لأنهم عندما رأوا المدارس الحكومية
والتبشيرية بدأت تجتذب أبناء المسلمين وبناتهم
وتتجه بهم إلى ثقافة لا شرقية ولا غربية
بل استعمارية لعينة من نتائجها بذر التحقير
والاستهانة بالدين والخط من شأن العرب
وما يقوم بإنشائه المسلمون من كتابات
ومعاهد ، لقاء نشر ثقافة ومدنية غابتها المظاهر
الخلافة الفارغة والتفريج البغيض . قرروا أولئك
المخلصون أنه لا بد من مجاراة الزمن لتلايخرف
بتيارده النشء الحديث وهم غير مزودين
ولا مسلحين بمناعة من العقائد الإيمانية
والمبادئ الضرورية للرجل المسلم . ففتحوا
المدارس على الطراز الحديث ودرسوا فيها

أبعد الأثر في تأسيس جمعيات إسلامية عظيمة بأندونيسيا مثل الجمعية المحمدية . فقد كانت صلات رئيسها ومؤسسها الأول الشيخ الكياهي دحلان بالسيد محمد المذكور صلات وطيدة قوية ، كما كانت نفس هذه العلاقات بينه وبين الزعيم الوطني الكبير الحاج عمر سعيد الذي تعاون معه على تأسيس الجمعية الإسلامية الوطنية : شركة إسلام ، التي صمدت لمقاومة السياسة الاستعمارية في مظاهرها المتعددة من سياسية ودينية وغيرها . فقد كان السيد محمد المذكور معروفا بشدة غيرته الدينية . يخطب في الجموع المحتشدة ويأهب الحماس الديني بين الأندونيسيين . وعليه فقد كان محسوبا له حسابه من جانب المستعمر الهولندي . وكانت بين رئيس جمعية خير هذا وبين الشيخ أحمد السوركتي وهو إذ ذاك بالحجاز اتفاقية على أن يأتي إلى جاوة ويعلم التعليم الديني في مدرسة (جمعية خير) ، وكان كل ذلك وتم الأمر وبوشر العمل . فرأت الحكومة الاستعمارية في هذا زيادة توسع في النشاط الإسلامي يتعارض مع مصلحة الاستعمار .

فما عزم أن مضت أشهر من مباشرة الأستاذ السوركتي لوظيفته كمدرس ، وابتهج بذلك المشتغلون بقضايا التربية والتعليم ، حيثئذ بدأت هولندا تنصب شبكاها المسمومة ، فأوفدت مستشارها الديني المستشرق سنجرليك

وأخذت هذه المدارس تزدهر وتجتذب الطلاب ، وتوثق أكلها وتنسج وتتعدد في المدن والقرى . وشرعوا يجلبون لها الأساتذة الأكفاء من خارج أندونيسيا فقد جرى بالأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتي السناري السوداني من مكة ليعلم في جاكرتا ، وجرى بالأستاذ محمد المكي التوندي ليعلم في صولو ، وهكذا ظل العرب وحدة متماسكة ، متعاونين على العمل للمحافظة على مقوماتهم وواجباتهم نحو الدين والتربية الصحيحة واللغة العربية .

وقد نبغ من خرمجي هذه المدارس طائفة يشار إليها بالبنان في المجتمع الأندونيسي ، كالأستاذ الجنرال عمر الصنداوي الذي صار قائداً لكتيبة (سيلى واغى) في الجيش الأندونيسي الباسل ، والحاج محمد دمياطي الذي أسس المدارس السلفية في مقاطعة سوراكرتا بجاوة الوسطى ، والأستاذ الكبير هلي بن يحيى العلوى ، والأستاذ الشاعر هلي أحمد باكثير المقيم حالياً بالقاهرة . وغيرهم ممن لا يتسع المقام لحصرهم .

مستعمار بحرك السباك :

كانت إدارة مدرسة جمعية خير بجاكرتا تحت رئاسة السيد الشريف محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى أحد زعماء العرب ممن يحملون روحا إسلامية كبيرة ، كان لها

زملائه دفع مصاريف العودة ، بل قرر الإقامة بجاوة حتى بعد الاستقالة .

وهكذا كان ! ثم ما مضت إلا أيام قليلة حتى انتقل إلى دار أنخم ، وافتتح قسماً داخلياً ومدرسة للتعاليم الإسلامية واللغة العربية اتضح أن ميزانيتها تعتمد على نصيب خاص من اليا نصيب الحكومة يدفعه لإدارة المستشار الديني سنجريك - الأمر الذي لم يسبق له نظير من قبل . وقد ازداد استياء زملائه والوطنيين المخلصين من الأندونيسيين لهاجاء في تصريحاته الصحفية التي أدلى بها في الحجاز حينما أتتحت له فرصة زيارتها من امتداح وثناء على مسلك السياسة الهولندية في مستعمراتها في الهند الهولندية حتى ضجت الجرائد إذ ذاك بالاسقياء . وبرزت أول مدرسة من نوعها في جاكرتا في الربع الأول من هذا القرن العشرين وسميت مدرسة الإرشاد والإصلاح . في تلك الأثناء نشرت صحيفة (صولوانديا) الملايوية أسئلة موجهة إلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتي تتضمن هذه المسائل :

- ١ - حكم مسألة : الكفاءة في النكاح .
- ٢ - حكم مسألة : التفاضل .
- ٣ - حكم مسألة : تلقين الميت بعد دفنه .
- ٤ - حكم مسألة : زيارة القبور والآبفة عليها .

الهولندي وهو معروف بروحه المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين يتعلق للشيخ الأستاذ السوركتي بأساليبه الخلابة ويتردد على منزله في مظهر وداعة المرید المستفيد تارة وتارة بمظهر المعجب المغرم بمفاهيمه . وازداد هذا التردد ، وبدأ زملاء الشيخ السوركتي يستريبون من هذه الزيارات المتكررة مما جعل كثيرا منهم من بينهم السيد محمد بن عبد الرحمن نفسه يفتح الأستاذ السوركتي بهذا الشأن عذرا لإياه من هؤلاء المستشرقين سيما من كان منهم في خدمة حكومتهم الاستعمارية رسميا مثل ذلك المستشار الديني . وبدلا من أن تقل الزيارات ، إذا بالأستاذ السوركتي يحفل للمستشار الهولندي أوقانا خاصة يظهر فيها المستشرق بمظهر التلميذ الذي يريد دراسة اللغة العربية بتعمق . فساور الجميع قلق تحقق لما بدأت الخلافات بين الشيخ السوركتي وبين إدارة جمعية خير بشأن مطالبة الأستاذ بزيادة مرتبه الشهرى وبمسكن أحسن وبمبلغ معين كإعانة له على الاقتران وغير ذلك مما تضيق به ميزانية الجمعية ولم يرد الشيخ السوركتي أن يميل كثيرا في الأمر ، بل لوح وهدد بالاستقالة ، الأمر الذي تخوف زملاؤه أن يكون من بواعث التأثير بالسياسة الهولندية الخلابة . وعندما جس النبض تبين أن الأستاذ لا ينوى العودة إلى الحجاز إذا استقال ، فإنه رفض عرض

ولكن الجواب وسياقه في صورة الجواب ،
 حول هذه المسائل وجعل أنها من الشرك
 والكفر والخروج عن الإسلام . وأن الذين
 يدافعون عنها قد أضلوا الأمة الحضرمية
 بهذه البدع وأنهم فرضوها على العامة وألصقوها
 بالدين ، وأن الدين برىء منهم . هذه التهويلات
 والتصويرات كانت تطلنا مجلة الأستاذ أحمد
 السوركتي (الذخيرة) الصحيفة الأولى لجمعية
 الإرشاد والإصلاح التي أسسها الشيخ في تلك
 الأيام ، وانضم إلى تلك الجمعية كثير من أرباب
 الثراء وشبابهم بجاوة ، وصدرت بعدها مجلة
 (المصباح) و (الدهنا) وكانت باللغة الدارجة
 وعندما نشرت الاعتراضات والردود من قبل
 الجانب الآخر ركزت هذه الصحف حملاتها
 على العلويين أجمع من سلف منهم ومن خلفه ،
 ووجهت إليهم الهجوم القاسي الغنيف فضورتهم
 بصور الدجالين الضالين المضلين المستعبدين
 للشعب الحضرمي بهذه الخلافات والضلالات .
 وبلغت هذه الاستفزازات إلى حد قذف
 الآباء والأجداد وذكر الأنساب وأن هؤلاء
 العلويين ليسوا من السلالة النبوية وإنما هم
 من مجوس الفرس ، إلى غير ذلك من الفحش
 والسباب .

بمرو الفتنة تنمر :

تأسست جمعية الإرشاد والإصلاح برئاسة
 الشيخ أحمد محمد السوركتي السناري السوداني

٥ — حكم مسألة : إهداء ثواب القراءة
 والتهايل لروح المتوفى .

٦ — حكم مسألة : تأميم لقب الشريف
 ولقب السيد .

٧ — حكم مسألة : تقبيل اليد .
 ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صدر الجواب
 المسمى : « صورة الجواب » ، للشيخ الأستاذ
 أحمد محمد السوركتي في كتيب صغير مطبوع ،
 وزع في جميع المدن والقرى في المساجد
 والداكاكين والشوارع بالمجان . وشرح بعض
 العلماء من العلويين وغير العلويين ، شرعوا
 يردون ويعترضون وينتقدون على أجوبة
 الشيخ التي يشتم فيها الغمز والتلويح والاستفزاز ،
 فنههم من يجرؤ ويعدل رواة أحاديث استدلالة
 ويضعفها ويصححها ، ومنهم من يقابل
 بفتاوى العلماء الآخرين . ومنهم من يشير
 صراحة إلى الغايات والعواقب التي ترمى إليها
 إثارة مثل هذه المسائل الخلافية في الوسط
 الإسلامي الذي يسوده الإخاء والتعاون
 والوئام .

استفزاز مقصود :

والحق أن العمل بهذه المسائل التي قدمت
 إلى الأستاذ الشيخ السوركتي كان شائعاً
 في حضرموت والمهجر كشيء عادي درجوا
 عليه منذ أجيال ، والخلاف في حكمها الديني
 معروف لا يستلزم حدة الخصومة والشقاق .

في جاكارتا (بتاوى إذ ذاك) ، ومن ضمن مواد قانونها الداخلى الأول مادة تنص على أن لاحق (للسيد) — وكان هذا اللقب المصطلح عليه لا يطلق إلا على كل علوى أو منتسب إلى أحد سبطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذاك الحين في حضرموت والمهجر وغيرهما من الأقطار — تنص المادة: أن لاحق السيد أن ينتخب كممضر في إدارة الهيئة المركزية ولا فروعها — كأنهم ليسوا من المسلمين ! ثم عدل القانون أخيراً بعد أن قرروا تعميم لقب : « السيد » لكل رجل مسلم وكافر ، وأبدل هذا اللفظ الصريح بنص آخر .

أما كان من الأجدر بالاستاذ الشيخ السوركتى والأولى به وقد أسس تلك الجمعية التي تحمل اسم الإرشاد والإصلاح الدينى أن يسلك غير هذا المسلك الوهر الذى أطاح بوحدة أبناء العروبة ؟ نعم . وما أحوج الأمة الحضرمية في مهجرها إلى جهوده ونشاطه وعمله ، لو سلك طريق الهدى الصحيح ويسر ولا عسر ولا فقر ، وقارب ولا فرق . فرحم الله أمير الشعراء إذ يقول :

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى

روح العدالة في الشباب ضئيلاً

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة

جاءت على يده البصائر حولاً

وإذا أتى الإرشاد من قبل الهوى

ومن الغرور فسمه التضليل

وأخيراً تطورت جمعية الإرشاد والإصلاح عن صيغها إلى واقعها وتأنجها ، فتمخضت عن تكوين طائفة عنصرية بعد أن تسكثل فيها المهاجرون والمتأخرون من الحضارم الذين واتهم الظروف لجمعوا الأموال وأثروا بشتى الوسائل ، وهم من عرفنا تديننا وثقافتهم ومركزاً اجتماعياً وكفاءة . وأصبح العلويون بطبيعة الحال يمثلون هم ومن والاهم طائفة أخرى . وبات الحضارم حتى الساعة الراهنة طائفتين . هما: الإرشاديون والعلويون ورغم المحاولات والوساطات التي قدمها العلويون لإعادة توحيد الصفوف والعمل على صعيد واحد ، فإن الأمور كانت بأيدي أناس ليس من صالحهم الشخمي التصافى والاتحاد . ورحم الله الأستاذ الشاعر المرحوم أحمد ابن عبد الله السقا إذ يقول في قصيدة أنشأها وتلاها في حفل بمدرسة الإرشاد بصولو بمناسبة افتتاحها عام ١٩٣٨ ميلادى قال :

ليس منا من لا يريد الوثاماً

أو يرى الخير فرقة وانقساماً

وطن واحد ويعرب جند الله

كل والكل يخضع للإسلاما

وهكذا نجحت سياسة الاستعمار الهولندى بواسطة المستشار الدينى المتملق ، وفعلت

القول إلى الفعل ، حينما بدأ الإرشاديون فى إراقة دماء العلويين ، فهوهم شيخ من أسرة آل الحداد يوما لإثرووجه من المسجد وقتل ، وهوهم عدد من العلويين فى مسجد بقرية (بندووسو) بجارة الشرقية فى المسجد وهم فى صلاتهم فى شهر رمضان وقتل منهم ثلاثة !

الرابطة العلوية :

ألفى العلويون أنفسهم وحدهم فى ميدان الكفاح الإسلامى . ولهم رسالة دينية ومنشآت إسلامية تتطلب منهم التعاون والتكاتف على صيانتها وتقديمها وحياتها ، فأنشئوا الرابطة العلوية كجامعة تجمع شتاتهم وقلم شمتهم وتوحد صفوفهم : غايتها نشر التعاليم الإسلامية ولغة القرآن الكريم فى الناشئة ، ومبادئها كفالة الأيتام ومساعدة الأراامل والتعاون مع الجماعات والأفراد المسلمين على رفع مستوى المجتمع الأندونيسى والحضرى كما هو منصوص عليه . وهى وإن كانت فى اسمها طائفية ، لكنها فى غايتها ومبادئها إسلامية خيرية عامة . وانضم إليها الكثير من غير العلويين ممن يرون رأيهم بعد أن فهموا الحقيقة بل كانت من مؤسسيها المخفور له الشيخ الوقور سالم باوزير . والواقع المشاهد يبرر ذلك ويبرهن عليه ، فها هى مدارسها

صومها مفعولها فى تفكيك هرى النشاط الإسلامى الذى وجه إلى غرس المبادئ الدينية القوية بتعاليمها فصرف إلى حملات الانقسامات والفتن فى الصفوف الإسلامية ولم يستفد من ذلك إلا المستعمر وأذناؤه وزعائفه .

كان على العلويين أن يفوتوا الفرصة على المستعمر :

إن العلويين قد أخطئوا وفارقهم التوفيق لما اضطروا إلى الدفاع عن أنفسهم حينما هاجتهم صحف الإرشاديين بكل عظمة . فأخذت صحيفة العلويين (حضر موت) تنافح وتكافح ، وتضطر فى سبيل هذه المناخفة إلى ذكر ما لهم من أعمال وأجاء مفيدة مشرفة ... تأججت فى الجانب الآخر من أجل ذلك كوامن الكره وانقدت فيران البغضاء فزادت الطين بلة والابالة ضغنا . فجعلت هذه المكافحة والمناخفة والمقارنة الفتنة نارا فظلى واشتد أوارها وقوبل بمزيد من الإغراق فى السباب .

ولو امتلك العلويون الضغط على هواطهم وكظموا غيظهم وقابلوا هذه الأمور بحصافة ومرونة أكثر جدارة بمن لهم صلة نسب ودم إلى السكاظمين الغيظ والمفاين عن الناس ، لربما جبرت الأمور فى غير مظهرها المحزن المؤسف من التطاحن العنيف والمهارة العلنية التى تطورت وخرج الأمر فيها من

مصلحة خاصة في بقاء هذا الخلاف الذي تجاوز كل الحدود الخلافية بين المذاهب الإسلامية في كل أصقاع العالم الإسلامي ، وهي التي لم تخل من وجود مذهبين أو أكثر مختلفة ولم تضق ذرعا بوجود ذلك شأن ما كان بجواره وتحت الحكم الهولندي .

وجاء العلامة مفتي حضرموت السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف بصلح عرضه على الطرفين فقبله العلويون ورفضه الإرشاديون .

وجاءت محاولة من جانب جمعية الرابطة الشريفة فقدمت شروطا للصلح قبلت من الطرفين ابتداء ، ثم ردها الإرشاديون بعد ذلك تحت ضغط ما .

وجاء للشيخ عوض بن عبد الله بن شجبل وسعى سعيا حثيثا قابله العلويون بالقبول ولم يحظ لدى الإرشاديين بما يضمن نجاح مسعاه ، حتى كان خلاف بينه وبينهم عظيم وقد كتب الشيخ عوض المذكور مذكراته عن قضايا الخلاف بين الحضارم في تاريخه عن الحركات الإسلامية بجأوة مدعاه بوثائق ومستندات واضحة تضع الجهر المبين على أصابع هولندة الاستعمارية في إغراء الإرشاديين واغتيالاتهم وإبقائهم الخلاف على أشد حدته ، ولحكمة من تصاريه القدر توفي للشيخ قبل إعداد مذكراته للطبع

ودور أيتامها خاصة بأبناء المسلمين من أندونيسيين وعرب بما فيهم ممن كان ولم يزل آباؤهم متحمسين للعنصرية الإرشادية . وما هي إدارات مدارسها على رأس بعضها رجال من غير العلويين كما تمثله إدارة مدارس الرابطة العلوية بصولو .

محاولات للصلح :

وطبعا : كان لهذه الحوادث المؤسفة صدى عظيما من الآسى في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ممن يعينهم أمر الإسلام وإخوانهم في الدين . فكانت محاولات مختلفة متعددة لإقامة صلح بين الحضارمة الذي سبق أن كانوا دطامة من دعاتهم نشر الإسلام في هذه الربوع النائية من الشرق الأقصى والذين ساءت أحوالهم بفعل السياسة الاستعمارية الهولندية المعروفة بعداتها الحاد للإسلام والمسلمين ، فجاءت محاولة المكتب الدائم للجنة العليا بفلسطين وعلى رأسه سماحة الحاج أمين الحسيني ، فانتدبوا مفتي الشافعية بفلسطين لأن يزور جزيرة جاوة للإصلاح بين عربها المتنازعين . ولكن هذه المحاولة قتلت في المهد ، إذ أن قنصل هولندة وجد أمرا من حكومته بأن لا يؤشر على جواز مفتي الشافعية بالدخول إلى أندونيسيا - جاوة . واتضح بذلك لذوى النظر أن هولندة

«واقب وهيمه :

طرب الاستعمار الهولندي وصفق لهذه الظاهرة
فقالا أنصارها الذين وجدوا العيش الطيب
في هذا الماء العكر ، وتفرقت جهود
الحضارم وتمزقت قوتهم لقي طالما وقفت
صفا واحداً في وجهه فتنازعت وضابقتها ،
وما هي أموالهم تبذل في سبيل المؤامرات
وإصدار الصحف العفنة واستئجار الأقلام
وشراء الضمائر لبذر بذور للفرقة
والانشقاق ، بل تأليف لجنة الاغتيال
وسفك الدماء وغرس البغضاء والعداوة
حتى في الناشئة الغضة وفي ادور التي بنيت
باسم العلم والإسلام ، وتسويد صفحات
التاريخ بالحوادث الوحشية .

وفتحت مدارس وسارت على برامج مرتجلة
يملها الهوى ، وتخطها الانانية ، وحشر
لها المعلنون الذين كان منتهى ثقافة
أكثرهم الارتفاع عن مستوى الامة .

وتناسى الحضارم في هذا الضجيج واجهم
نحو وطنهم القديم وموطن آبائهم وأبنائهم
ونسائهم ، تناسوا ذلك في غمرة هذا الشرف
والمجد والعلم والنهضة وللتقدم المزيف !
لعلهم إن تذكروا ذلك الوطن البائس بعثت
لهم الذكرى صوراً مفزعة في الحياة من
شظف العيش في الأرياف والجبال ووراء
الجمال ... !

رحمه الله ، فقد كان شخصية لها مكانتها
المرموقة لدى الحكومة الجمهورية الأندونيسية
بما للبخفور له من دور جده مشرف ناصح
لبان الثورة الأندونيسية حتى إلغاء الحكومة
الجمهورية .

وقدمت مشيخة الأزهر الشريف نصيحتها
وكلبتها ، رحب بها الجانب العلوي كل الترحيب
ولم تقابل من الجانب الآخر بما يقرب
التهادن والتصالح .

وأدلى السيد العلامة محمد رشيد رضا دلوه
ورضى العلويون بما ارتآه ، ولم يقابله
الإرشاديون بالرضى ، حتى يئس الأمير
شكيب أرسلان من إمكانية إقامة صلح
بين الطرفين في رسالة كتبها قال فيها : بعد
اليأس لستم بأول قارورة كسرت في الإسلام
يخاطب الحضارم .

تتابعت هذه الأحداث في جارة ، وكان
موقف العلويين فيها موقف الحريص على
إيقاف هذه الخصومة غير الشريفة التي وقفت
سدا قويا دون تأدية رسالة الإسلام ونشر
مبادئ الدين الحنيف ، ولكن تأثر تلكم
الدوائر العليا التي كانت لها القوة والسلطة
هي التي كانت مصدرا لهذا الفشل المتوالى في
كل تلكم المحاولات .

هو الباعث ، والحب هو السائد ، والإخاء هو الداعي ، ورضا الله هو الغاية ، لوحد أولئك المعلنون صفوف الأمة وأزالوا دواعي الفرقة ، وحطموا ما يعترض سبيلهم من عوارض الإنشقاق . ووحدها المدارس وساروا بالناشئة إلى الغايات السامية . على أيدي رجال أكفاء وأساتذة صلحاء ومعلمين هداة ، فأصبحوا ولهم من الجامعات العلمية والشركات الاقتصادية ما يجعلهم في نظر إخوانهم الأندونيسيين في مستوى القادة والزعماء ، فقد مهد الإسلام لهم في هذا الشرق سبيل النجاح وصقل وسائل الإصلاح وسكن لو الضيف ضيعة اللبن . **عبد القادر عبد الله الجفري** (البقية في العدد القادم)

لهذا لم ينتفع الوطن بثروة أبنائه واجتمع الجهل والغنى والأناية والحرية القانونية .. أما نتائج المعارف والمدارس فسيل من الشباب غير المؤهل للكفاح في معركة الحياة شباب مذبذب الأخلاق ، جاهل لمعنى الدين بعيد عن العروبة وشيمها ، أناني أجوف ، يفر القماوى ، ويعمر البارات ، ولا يأقف عن الاستجداء ، ولا يتورع عن اللصوصية وتدهور في الحضيض ! !

ناهيك بأربعين عاما نخرت فيها أمراض الانقسام على هذا الوضع جسم العرب ، المضرمين بأندونيسيا . والنتيجة الأخيرة هي : أنت إرشادى أم علوى ؟

أما لو أن الإصلاح والإرشاد الحقيقي هو الدافع ، والدين هو الوازع ، والإخلاص

(بقية المنشور على صفحة ٧١٨)

هو ذنب الذين يستغلونه لمآربهم الشخصية . والتعليم الأزهرى ليس صورة منحرفة من استغلال الدين ، بل هو الذى حفظ لهذا الدين جده ، وهو الذى جعل من مصر زعيمة للعالم الإسلامى بحق .

إننا لندعو مخلصين كل من يريد أن يكتب في صميم التعاليم الإسلامية أو من يتحدث عن التعليم الدينى أن يتفقه فى الدين ، فإنه حينئذ سيأمن الزلل فى القول ، وفى العقيدة .

واقه الهادى إلى سواء الصراط ؟

على العمارة

الأحكام ، وأحسن النظم التى يقوم عليها مجتمع فاضل سليم ، ولو أن الكاتب قرأ تاريخ أبى خيفة وأحمد بن حنبل ، وأشباههما ، وعرف مواقفهم من الخلفاء والحكام لما قال : إن التراث الإسلامى وضع فى أحضان حكام ظالمين .

ولو تفقه فى الدين حق التفقه لعرف قيمة الشعور الدينى فى إيجاد مجتمع فاضل ، فإذا وجد المصلح استطاع أن يستعين بهذا الشعور على كل إصلاح سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى ، ولكن الشعور الدينى حين يستغل للانتكاس لا يكون الذنب ذنب هذا الشعور ، وإنما

مراكز اللغة العربية في الهند

للاستاذ محمد اسماعيل الندوي

— ٢ —

الإسلامية إلى مناهج الجامعات الهندية المعاصرة أيضا كإضافة . أما هذه الجامعات الرسمية فلا صلة لها بالمدارس العربية ؛ لأن المدارس العربية تقوم على تبرعات الشعب الإسلامي الهندي . ومن الجامعات المعاصرة ، جامعة عليكرة ، وجامعة كلكتا ، وجامعة مدراس وجامعة لكهنؤ وجامعة الله آباد والجامعة العثمانية . هذه الجامعات الخمسة تمتاز باهتمامها باللغة العربية ولكن مستواها دون المستوى في المدارس العربية . ولم تنجب هذه الجامعات شخصيات كبيرة في الأدب العربي والدراسات الإسلامية ، كما أنجبت المدارس العربية أدباء وباحثين في اللغة العربية .

المركز الثاني :

« الجهود في إبراز المصنفات العربية ، ونحن نعتبر المركز الثاني للغة العربية في الهند هو الجهود الشخصية التي قام بها علماء الهند في ميدان التأليف والبحث . فقد قام الشيخ أحمد علي السهارنبوري بالشرح والتعليق والاختصار لكتب الأحاديث وطبعها ونشرها . وقد علق على صحيح البخاري تعليقات

إن المدارس العربية وإن كثرت في عددها وضخامتها ، فإن لها ميزة هي التخصص في المنهج والنظام . كما وجد التخصص في أوروبا وفي الجامعات الحديثة . فأصبح الطالب يذهب إلى أكسفورد لدراسة الإنسانيات ، أو إلى كبرج لدراسة العلوم الدقيقة أو إلى باريس ، أو روما ، أو برلين ، أو هافارد ، ليجلس أمام أساتذة متخصصين ، لينهل من منبع الجدول المتدفق - كذلك وجد نوع من التخصص في المدارس الهندية ، وعرفت بعض المدارس بالعناية بفرع من العلم والبراعة فيه ، وبدأ بالتدريج التخصص في العلوم التالية :

١ — الصرف والنحو والحديث والفقه ، في ديوبند ومهارنبور ، ودلهي ،

٢ — المنطق والفلسفة . في رامبور .

٣ — الأدب والبلاغة واللغة والتفسير . في دار العلوم لندوة العلماء في لكهنؤ .

٤ — القانون واللاهوت في فرنكي محل في لكهنؤ .

٥ — المناظرة والتجويد في الفرقانية ودار المبلغين في لكهنؤ .

وقد أضيفت اللغة العربية والدراسات

العصر لفضي عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر ، وإنني لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ رأيت خطباء مساجد الأزهر وغيره يذكرون الأحاديث في خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع ، مثلهم في هذا الوعاظ والمدرسون ومصنفو الكتب ، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بإنكار مثله على أهل بلدي طرابلس قبلهم ، - (مقدمة مفتاح كنوز السنة) . وقد ألف الشيخ خليل الرحمن السهارنبوري شرحاً قيمياً على صحيح الترمذی وسماه ببذل المجهود وشرح الحديث الكبير أنور شاه الكشميري صحيح البخاري وسماه « بفيض الباري » . وشرح الشيخ شبير أحمد العثماني صحيح مسلم . وهو أوفى وأحسن من شرح النووي ويعرف بفتح الملمم ، وشرح الشيخ محمد لإدريس مشكاة المصابيح وسماه : « تعليق الصحيح » ، وشرح الشيخ محمد زكريا الموطأ في هدة مجلدات ، وهو شرح ضخم في السنة ، وشرح الشاه ولي الله الدهلوي قديماً الموطأ للمالك رحمه الله . وقد اشتهر حميد الدين الفراهي (المتوفى سنة ١٣٣١ هـ) في علوم اللغة العربية والبلاغة والتفسير ، وكان يفسر القرآن على وجهه نظره الخاصة ، وكان يرى أن آيات القرآن

مفيدة في ضوء فتح الباري للعسقلاني . وكذلك طبع ونشر كثيراً من كتب الأحاديث بمجهوده لولوعه بالحديث . وصنف الشيخ عبد الحى الكهنوي مئات من الكتب العربية ومن أشهرها شرحه للهداية وهو من أمهات كتب الفقه الحنفي . والامير السيد صديق حسن خان (المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ) لا يزال يعترف بفضل في كتبه الكثيرة مثل :

(١) أبجدية العلوم . (٢) الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد . (٣) الانتقاد والترجيح في شرح الاعتقاد الصحيح . (٤) البلغة في أصول اللغة . (٥) حصول المأمول من علم الأصول . وكتب أخرى مشهورة في أوساط المشتغلين بالفقه والحديث ، وقد انتهى بهؤلاء القرن التاسع عشر الميلادي .

وفي مستهل القرن العشرين ظهر أدباء وكتاب ومؤرخون في اللغة العربية . وبلغ هؤلاء شهرة لا تضارع في هذا المضمار ، وقد اشتهر العلامة محمد شبلي النعماني بكتابه الشهير « الانتقاد على التمدن الإسلامي » ، ويعتبر هذا الكتاب من أقيم وأوفى ما كتب في إظهار دسائس المسيحيين العرب ضد الإسلام .

ولا تزال الهند تزعم حركة الحديث منذ العصور الوسطى ، وقد أسدى العلماء الهنود خدمات جليلة في السنة ، قال المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : « ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا

محمد السورقي والأستاذ عبد العزيز الميمنى ،
أما الأستاذ الميمنى فهو غنى عن التعريف ،
وهو أشهر أديب هندى فى اللغة العربية ،
اعترف بعلمه وفضله جميع أدباء العرب ، وقد
ألف وحقق كتباً قيمة فى الأدب العربى مثل :

- (١) أبو العلاء المعرى ماله وما عليه .
- (٢) سبط اللالكى شرح أمالى القالى .
- (٣) إقليد الخزانة .
- (٤) شعر أبى العلاء .
- (٥) شعر المتنبى .
- (٦) النكت فى شعر ابن رشيق وابن شرف .
- (٧) ديوان حميد بن ثور (جمع شعره) .
- (٨) كتاب الفاضل للبرد .

وهو يعتبر من القلة الذين لهم معلومات
واقية فى الشعر الجاهلى ومقدرة عظيمة فى
التحقيق والتحصيل والتنقيب ونظرة دقيقة
فى المخطوطات العربية النادرة .

وبعد منتصف القرن العشرين اشتهر من
الجيل الحديث أدباء وكتاب فى اللغة العربية
وعلى رأسهم الأستاذ أبو الحسن على الندوى
وقد طبعت له مقالات قيمة فى المجلات المصرية
مثل الفتح والرسالة والثقافة ، وألف كتباً
قيمة فى اللغة العربية مثل :

- (١) ماذا خسر العالم بالمخطوطات المسلمين .
 - (٢) تاريخ رجال الفكر والدعوة .
 - (٣) روائع إقبال وكتيبات عديدة .
- والأستاذ مسعود الندوى وضع كتباً قيمة

يفسر بعضها بعضاً وإذا عاقه شيء فى فهم
القرآن كان يلجأ إلى الشعر الجاهلى فى تفسير
مفردات القرآن ، إذ لم يكن يثق بالقواميس
العربية حتى لسان العرب ، وله ملاحظات
على القواميس العربية ، وكان يرى أن علماء
اللغة لم يهتموا بالشعر الجاهلى فى شرح
المفردات العربية ، وآراؤه تستحق أن تبحث
فى أوساط الأدب واللغة ، وقد ترك لنا
مؤلفات قيمة فى اللغة العربية أمثال :

- (١) مفردات القرآن .
- (٢) جهرة البلاغة .
- (٣) تفسير نظام القرآن .
- (٤) الإمعان فى أقسام القرآن .

(٥) الرأى الصحيح فى من هو الذبيح .
وقد اشتهر فى التاريخ والسير والجغرافية
الشيخ السيد عبد الحى الحسنى الذى وضع
فى تراجم علماء الهند وأدبائها وشعرائها كتاباً
قيماً فى تسعة مجلدات ، وقد طبع هذا الكتاب
بأسم « نزهة الخواطر » وجرى فيه على منوال
ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » وله
كتب أخرى قيمة مثل :

- (١) جنة المشرق .
- (٢) معارف العوارف فى أنواع العلوم
والمعارف .

(٣) تلخيص الأخبار ومنتهى الأفكار
فى شرح تلخيص الأفكار .

وظهر فى الأدب والشعر الشيخ أبو عبد الله

الجمهورية مجلة عربية شهرية لنشر الثقافة الهندية وإظهار جهود علماء الهند في ميدان الثقافة العربية . وهي تصدر من نيودلهي باسم ثقافة الهند .

وهذه الجهود التي قام بها أبناء الهند وأحباء اللغة العربية في الهند تحتاج إلى تشجيع وتقدير أبناء الأمة العربية ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة وهي القلب النابض للعروبة ومن جامعة الدول العربية التي تحمل لواء الثقافة العربية .

المركز الرابع : المكتبات الهائلة :
ونحن نعتبر المركز الرابع للغة العربية في الهند المكتبات الهائلة المنتشرة في أنحاء الهند . وهي تحتوي على آلاف من الكتب العربية خطية ومطبوعة . ولا يمكن لنا أن نحصر المكتبات المنتشرة في أنحاء الهند في هذه العجالة .

وتقع معظم هذه المكتبات في المدارس العربية التي ذكرناها منذ قليل . ولكن نكتفي هنا بذكر أشهر المكتبات التي نعتبرها سندا لحركات التحقيق والتأليف والتنقيب . وهذه المكتبات العديدة تنفرد ببعض المخطوطات النادرة التي لا توجد إلا في الهند . ويحتاج طلاب اللغة العربية لشدة الرحال إلى تلك المكتبات للاطلاع على المعارف العربية . ومن هذه المكتبات :

في التاريخ الإسلامي الهندي والدعوة الإسلامية ، وقد أضاف إلى القاموس الجديد الذي وضعه الباحث الكبير العلامة السيد سليمان الندوي كلمات عربية دخلت حديثاً في اللغة العربية وشرحها بالأردية .

المركز الثالث : الصحاف العربية

ونتحدث الآن بعد هذا البحث الطويل عن حركة الصحافة العربية في الهند . وقد صدرت أول مجلة عربية في الهند سنة ١٩٣٢م كان اسمها الضياء خريجو دار العلوم لندوة العلماء . وأشرف عليها الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي (مدرس اللغة العربية في دار العلوم في ذلك الحين) وتولى رئاسة تحريرها المرحوم الأستاذ مسعود الندوي . كانت هذه الثقافة على مستوى علمي وأدبي كبير . وأثنت عليها كثير من المجلات العربية في مصر ودمشق ولبنان مثل الفتح والمجمع العلمي وغيرها . وبعد فترة توقفت هذه المجلة . ثم أعاد نشرها خريجو ندوة العلماء باسم البعث الإسلامي سنة ١٩٥٤م . وتولى إدارتها وتحريرها الأستاذ محمد الحسن ، ويشرف عليها الأستاذ أبو الحسن علي الندوي . وهي تعتبر الآن طليعة المجلات العربية التي تصدر في غير البلاد العربية لنشر الثقافة العربية والوعي الإسلامي . ثم أصدرت الحكومة الهندية بعد قيام

العثمانية مؤسسة كبيرة باسم دائرة المعارف العثمانية وقد بحثت هذه المؤسسة عن آلاف من المخطوطات العربية النادرة في أنحاء العالم ، وحصلت عليها ثم طبعتها خدمة للغة العربية وحرصا على إحياء التراث الإسلامى المجيدة وتعتبر هذه أكبر مؤسسة عربية لإحياء التراث العربى الإسلامى ، وتنفق عليها الحكومة الهندية المركزية وهذه المؤسسة فريدة في نوعها . وقد اهتم مؤسسو الدائرة والقائمون عليها بما ألف قبل القرن التاسع الهجرى أو الرابع عشر الميلادى فنقب مجلداتهم عما أبقته طوارق الزمن من أمهات المراجع في العلوم المختلفة فطبعوها ونشروها . وطبع من هذه الأمهات أكثر من مائة وأربعين كتابا تقع فيما يزيد على ثلثائة وخمسين عددا ، هذا إلى الأمهات الأساسية في الأدب واللغة والتاريخ والسير والتفسير والحديث والرجال والفقه والطب والفلك ، والتصوف ، والمنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والهيئة والطبيعات ، وهذه الكتب العربية كانت راجئة في القرون الوسطى ، وبعضها لم يكن يوجد منه إلا أصل واحد أو قطعة مخطوطة . ومن أهم هذه الكتب النادرة التى طبعت في الهند في هذه المؤسسة .

١ - صور السكواكب لآبى حسين عبد الرحمن الهصى (المتوفى سنة ١٢٧٦هـ) .

(١) « مكتبة خدانجش » ، في ولاية بهار في شمال الهند ، وتعتبر أكبر وأضخم مكتبة .
(٢) المكتبة المركزية في كلكتا ، وهذه أيضا أكبر مكتبة تشرف عليها الحكومة .
(٣) مكتبة آصفية في مدينة حيدر آباد التى أنشأها ملك حيدر آباد سنة ١٣٠٠ هـ وتحتوى هذه المكتبة بين جناحيها على أكثر من ستين ألف كتاب . منها مخطوطات عربية نادرة اهتمت الحكومة بالحصول عليها اهتماما بالغا .

(٤) مكتبة دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكهنؤ في شمال الهند وتعتبر هذه المكتبة أيضا من المكتبات الشهيرة في ضخامتها واحتوائها على مطبوعات قيمة . ومخطوطات نادرة يبلغ تعدادها أكثر من ألفى كتاب أما ، المطبوعات فتبلغ أكثر من ستين ألف كتاب :

(٥) مكتبة دار المصنفين بمدينة أعظم كره في ولاية يوبى شمال الهند . وبها كتب مختارة وكلها تعتبر من المراجع والأمهات . ولا يقصد إلى هذه المكتبة إلا كبار الباحثين والمحققين .

المركز الخامس : مؤسسات الطبع والنشر
أنشئت مؤسسات عديدة في منتصف القرن العشرين لطبع ونشر وتأليف الكتب العربية وقد أسس ملك حيدر آباد في المملكة

ولبنان وغيرها - ووعده جماعة من كبارهم في مؤتمر المستشرقين في استانبول سنة ١٩٥١ بإعانتها عليها وفيها . والمكتبات الكبرى فقد فتحت أبوابها لإمداد الدائرة بنفائسها الخطية وبالصور الشمسية والأفلام النادرة والمواد المبكرة .

والمؤسسة الثانية هي مؤسسة دار العلوم لندوة العلماء للتأليف والطبع والنشر . وقد اهتمت هذه من بداية إنشائها اهتماما بالغا بتدريس اللغة العربية على أوسع نطاقه من ناحية الأدب والنقد والفنون الأدبية . ولذلك كانت المدرسة في أشد الحاجة إلى وضع كتب المبادئ المتوسطة لتثقيف الطالب الهندي وتقريبه إلى الذوق العربي السليم ، وتكوين ملكة واسخة للإنشاء والترجمة في هذه اللغة لأن المدارس العربية في الهند لاتزال تواجه صعوبات في استيراد الكتب الأدبية من البلاد العربية .

ولأن المنهج السائر والكتب الأدبية المتداولة في البلاد العربية لا توافق طبيعة الطالب الهندي الذي يدرس اللغة العربية بعد نضوجه في لغته القومية . وتدرس هذه اللغة وتوطيد الملكة الراسخة في الطالب الهندي يتطلب جهودا متضافرة غير الجهود التي يعانها أبناء العرب الناطقين باللغة العربية . ولذلك ألف أسانذة مدرسة دار العلوم لندوة العلماء كتابا دراسية في الأدب والإنشاء والصرف

٢ - كتاب التيجان للملك حمير لابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨هـ) .

٣ - القانون المسعودي للبيريوني (المتوفى سنة ١٠٤٨م) .

٤ - كتاب الحاوي في الطب في تسعة مجلدات لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى سنة ٩٢٥م) .

٥ - كتاب الجرح والتعديل في تسعة مجلدات لأبي حاتم الرازي (المتوفى سنة ٩٣٨م) .

٦ - كتاب الأنواع لابن قتيبة (المتوفى سنة ٨٧٩م) .

٧ - تذكرة الحفاظ للذهبي في أربعة مجلدات (المتوفى سنة ١٣٤٧م) .

٨ - ديوان ابن ثناء الملك للتقاضى عبد القاسم هبة الله المصري (المتوفى سنة ١٢١٢م) .

٩ - كتاب المعاني الكبير للبخاري .

وكتب أخرى مثل كتاب مفتاح السعادة ، وكتاب الخيل ، والأمالى لأبي عبد الله البزدي ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، والحامسة لابن الشجري ، والفائق للزحشرى ، والسنن الكبرى للبيهقي وكنز العمال لعلي المتقي وميزان الاعتدال للذهبي .

وقد استقبلت مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بالحفاوة والعناية من قبل الدوائر العلمية والجامعات الكبرى والمراكز التحقيقية - في إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وتركيا ومصر والحجاز والشام

من اللغة العربية إلى الآردية وبالعكس . وقاموسه مصباح اللغات (من العربية إلى الآردية) لا يضارعه قاموس من العربية إلى اللغات الشرقية . وهو أضخم وأنفس قاموس . وقد جرى المؤلف فيه على منوال المنجد . وقد نال مؤلف هذا القاموس جائزة الحكومة الهندية تقديراً وتشجيعاً لخدمته الباهرة . وقاموسه في متناول أيدي ناطقي اللغة الآردية في الهند وباكستان .

وقد بقي لنا الآن أن نذكر مؤسستين كبيرتين وهما دار المصنفين في مدينة « أظم كره » ، وندوة المصنفين في مدينة نيودلهي . وقد ترجمت في هذه المؤسستين عدة كتب عربية إلى اللغة الآردية كما نشرت فيها بعض الكتب للعربية .

وتقوم جميع هذه المؤسسات بنشاطها على نفقات الشعب الإسلامي بالهند ما عدا دائرة المعارف العثمانية . لأن المسلمين في الهند لا يزالون يعتقدون أن التراث العربي هو تراثهم القومي . وإذا لم يحافظوا على هذا التراث فلن يبقى لهم أي كيان في الهند ، وهذه المؤسسات والمدارس العربية والمراكز الأخرى التي ذكرناها تحتاج إلى تشجيع من الأمة العربية جميعاً ولا سيما الأزهر الشريف وجامعة الدول العربية ؟

محمد اسماعيل النوري

والنحو والبلاغة . وقد قام الأستاذ أبو الحسن علي الندوي (مدرس دار العلوم لندوة العلماء في ذلك الحين) بوضع كتب دراسية في الأدب للرحلة الابتدائية والثانوية . وألف سلسلة من قصص البنين في مادة النصوص للرحلة الابتدائية والإعدادية ومختارات الشعر والنثر للرحلة الثانوية . ثم قام عدد من الأساتذة في المدرسة بإعداد كتب في الإنشاء والترجمة والصرف والنحو . وشرح هؤلاء القواعد العربية باللغة الآردية لكي يفهم الطالب هذه القواعد الصعبة بلغته القومية . لأن اللغة القومية تعتبر أسهل طريق لتدريس اللغة الأجنبية . وقد تلقت معظم هذه المدارس العربية في الهند هذه الكتب بالقبول والترحيب وتدرس هذه الكتب في أنحاء الهند .

وقد أنشئت مؤسسة أخرى في مدينة لکهنو لتدريس وتسهيل اللغة العربية وسميت هذه المؤسسة بإدارة تعليمات الإسلام . ووضعت هذه المؤسسة عدة كتب لتدريس اللغة العربية بطريق المراسلة . وهذا المنهج أيضاً أقاد كثيراً في تعليم اللغة العربية . واستطاع بهذا الطريق مئات من الطلبة في المدارس والجامعات ومن الموظفين أن يتعلموا اللغة العربية في مدة لا تتجاوز ثلاث سنين . ومن الإنصاف أن نذكر الأستاذ عبد الحفيظ البيلياوي (أستاذ اللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء) بتأليفه القواميس

مع قضايانا إِنِّسَاعَادُونَ للأستاذ أحمد الشرباصي

امرأة فرعون ، فوقعت بحبته في قلبها ، بينما أصبح فؤاد أم موسى فارغا من الهول ، وحرّم الله عليه لمراضع ، وأعادته إلى أمه بقوته وقدرته وحكمته .

وإن الإنسان ليتخيل أم موسى وهي تلقى بوليدها ووحيدها وفلذة كبدها إلى الماء ، والموت يترصد له في كل جانب ، ولغد أمامها غيب مغيب ، ثم يتخيل هذا الوليد وهو يتأرجح فوق الأمواج ، يصلو تارة ويهبط أخرى ، ثم يتخيله وهو يقع بين أيدي الذين يبحثون عنه جادين ، ليعجلوا به إلى الهلاك والدمار ، ولكن يد الله العمل الأهل تتدخل فتجعل الخوف أمنا ، والعدو حارسا ، والموت حياة ، ثم توسع خيرها وبرها فتحمل هذا الوليد إلى الأم التي ظلت لحظاتها الماضية بلا استقرار وبلا فؤاد :

« فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا

إتنا عائدون إلى فلسطين العربية الإسلامية لأن كتاب ربنا تبارك وتعالى - وهو القرآن المجيد - يحدّثنا عن العودة والرجوع ، حتى في تاريخ السابقين من الأنبياء لنبيننا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فهو يقص علينا قصة موسى ، فيقول فيها : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فآلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

روى ابن كثير في تفسيره (١) أن دار أم موسى كانت على النيل ، فالتحذت تابوتا ، ومهدت فيه مهدا ، وجعلت توضع ولدها ، فإذا دخل عليها أحد من تخافه ذهبت فوضعتة في ذلك التابوت وسيرته في البحر ، وربطته بجبل عندها ، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه ، فذهبت فوضعتة في ذلك التابوت ، وأرسلته في البحر ، وذهلت أن تربطه ، فذهب مع الماء ، واحتمله حتى أتى به على دار فرعون ، فالتقطه الجوارى ، وذهبن به إلى

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٨٠ .

أليسوا هم الذين قال في شأنهم القرآن الكريم :
 « ولما قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني
 وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ، فلما زاغوا
 أزاغ الله قلوبهم وانه لا يهدي القوم الفاسقين » .
 ونحن المسلمين نجل شأن موسى ونعظمه
 ونوقره ، فهو عندنا نبي من أنبياء الله ،
 ورسول من رسله ، ومن أولى العزم منهم ،
 وهو كلم الله جل وعلا ، ونحن مأمورون
 بالإيمان به وبما جاء به من عنده ، ونحن
 نتعبد بتلاوة آيات في القرآن تمجد موسى
 ونزهه ، مثل قول الله تعالى عن موسى :
 « واصطنعتك لنفسى » . وقوله : « ولما بلغ
 أشده واستوى آتيناه حكما وعلا » وكذلك
 نجزي المحسنين ، . وقوله : « وأنا اخترت
 فاستمع لما يوحى » . وقوله : « ولقد آتينا
 موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون
 الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم
 يتذكرون » . وقوله : « قلنا لا تخف إنك
 أنت الأعلى » .

فنحن إذن أولى بموسى من اليهود ، ونحن
 أولى منهم بتمجيد ذكره وتمطير موارثه
 بالتمجيد والتقدير .

وإننا عائدون إلى فلسطين لأننا أخرجنا منها
 من قبل وعدنا إليها ، ولقد أقبل الصليديون
 إقبال الوباء المنتشر ، فانزعوا فلسطين من

وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى
 فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على
 قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لاخته قصيه
 فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون .
 وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل
 أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له
 ناصحون . فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا
 تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم
 لا يعلمون .

فهذه عودة بعد فزع ومله ، وهذا رجوع
 بعد تعرض لأخطار جسيمة وأحوال عظيمة
 وهذه طمأنينة على حق تعرض للضياع والهلاك ؛
 ونحن أولى بموسى من اليهود الصهاينة الذين
 آذوه وعصوه ، وفعلوا به الأفاعيل ، أليسوا
 هم الذين قال الله لهم : « ولقد جاءكم موسى
 بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأتم
 ظالمون » ؟ أليسوا هم الذى قال الله فيهم :
 « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا
 بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون
 بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك
 بما عصوا وكانوا يعتدون » ؟ أليسوا هم الذين
 عصوا موسى حينما حرضهم على الجهاد ودعاهم
 إلى موقف الحق : « قالوا يا موسى إننا لن ندخلها
 أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا
 إنا ههنا قاعدون » . قال رب إني لا أملك إلا
 نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ،

إني نزلت بدار الخلد في رغد
 بين الخنائل فيها والرياحين
 في جنة ما بها خوف ولا حزن
 لولا رثاء لحال العرب يشجيني
 قامت عليهم وحوش البغي قاطبة
 من ثعلبان ومن دب وتنين
 فما انتظاركم والحق حقكم
 يعسدي عليه ليعطى للبلهين
 لا تطلبوه احتكاماً في مجامعهم
 بل استردوه قسراً في الميادين
 والمسلمون جميعاً من ورائكم
 بأندونيسيا وباكستان والصين
 لا تندبوني فإني لم أمت ضرعاً
 فإن علمتم على الذل فابكوني
 وإن تريدوا لوجه الحق تكرموني
 فابغوا الشهادة للدنيا وللدن
 فإن الوليد على اليرموك يرقبكم
 وليث أيوب يرعاكم بحطين^(١)

* * *

وإننا عائدون إلى أرض أبنينا وأبي العرب
 وأبي الأنبياء إبراهيم عليه وعليهم وعلى نبينا
 الصلاة والسلام ... سنعود إليها لكي نعيد
 «حساء الخليل» إلى بلد «الخليل»، ونجعل
 هذا «الحساء» كما كان طعاماً للغادين والرائحين،

أيدي المسلمين، وظلوا فيها قرابة مئة عام،
 ثم أقبل البطل الإسلامي الفاتح صلاح الدين
 الأيوبي، واسترد فلسطين بجيش الإسلام
 والعروبة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة،
 وفلسطين المحتلة الآن لم يمض على احتلالها
 مائة سنة ولا خمسون عاماً، ولا ثلاثون،
 وإنما مضى على احتلالها ثلاثة عشر عاماً،
 ولم تخمد النار ولم يهدأ الجرح بعد، وإنما
 لتتحفز للعودة ولن ننام عنها ولن نتأخر
 فيها: «إنهم يروّنه» بعيداً ونراه قريباً،
 وفي طبيعة أمتنا العربية المسلمة ألا تصبر
 على الضيم والحوار، وألا تستقيم للذل
 والصغار، وقد تضطر فتركب الشطط من
 أمرها حيناً، ولكنها ما تكاد تجدد الثغرة
 للانطلاق والانفتاح والتحرر والتسامي حتى
 تنطلق، فلا تثبت حتى تبلغ غايتها وتقف
 ثمرتها ...

حتى شهداؤنا في قبورهم يأبون علينا ذلك،
 فهم يهتفون بنا من وراء الغيب أن اغسلوا
 العار وطهروا الديار، وهذا هو الشاعر
 «باكشير» يقول على لسان أحد شهدائنا
 مخاطباً مؤبنيه:

فيم احتشادكمو هذا؟ لتأبيني؟
 أنتم أحق بتأبين الوري دوني
 فما الشهادة إلا مية كرمت

هن مية الداء أو عن مية الهون

[١] كتاب المحفوظات الأزهرية ج ١ ص ١٤.

فقد حرص أبناء بلدته « الخليل » منذ عهد بعيد على صنع نوع من « الحساء » يسمونه « حساء إبراهيم » ، ويقدمون هذا الطعام للغادى والرائح ، وللعاجزين وللقادرين على السواء ، فينال الناس قدراً منه إثارة للذكرى والتماساً للبركة ؛ ولقد زرت « الخليل » مرة ومرة ، ورأيت الحساء بعد النكبة ما زال يقدم ؛ ولكن أى حساء ؟ ..

إنه حساء الفقراء واللاجئين يقدم للمشردين حساء هزيل غير دسم ، يقبل عليه اللاجئون ويقفون صفوفاً في انتظار غرفة أو غرفة منه ، لا تسمن ولا تغنى من جوع . فنحن يجب أن نعود ، لنعيد حساء إبراهيم الخليل ، كما كان شهياً دسماً مغذياً ، ينال منه الأهلون ، وينالون منه القادمون ، وينال منه المرتحلون ، ويمتد به تاريخ السخاء والعطاء مزرعاً ناضراً في هذه الديار .

وإننا لعائدون إلى فلسطين لنحو تلك السبة التي لا مثيل لها في التاريخ ، سبة التشريد لهؤلاء اللاجئين الذين أخذ الشعراء يقسمون بجوعهم وصرهم ، فيقول أحدهم :

قسماً بجوع اللاجئين وعرى سكان الخيام
لنصار عن الموت من أجل الوصول إلى المرام
وإني لأذكر الآن اليوم السادس من شهر
ديسمبر سنة ١٩٥٣ حيث كنا في المؤتمر
الإسلامي بالقدس من أجل فلسطين ، وفي

ومن لم ينله منهم دفعا لجوع أو مسغبة ،
ناله بعثاً للذكرى أو التماساً للبركة ...

وما قصة « حساء الخليل » ؟ .

إن له لقصة تروى ! ...

« الخليل » بلدة من بلاد فلسطين ، وفيها دفن إبراهيم عليه السلام ، وسميت البلدة باسمه ، وروى أن إبراهيم كان كريماً مضيافاً ، وقد يؤيد القرآن الكريم ذلك حين يقول :
« هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ،
إذ دخلوا عليه فقلوا سلاماً قال سلام قوم
منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ،
فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، ١٤ .

وروى أن إبراهيم كان لا يتناول طعاماً إلا مع ضيف يشاركه ، فقدموا إليه الطعام يوماً ، فطلب ضيفاً يأكل معه ، فلم يجدوا له إلا شخصاً كافراً ، وبينما هما على الطعام فهم إبراهيم أن ضيفه كافر ، فلم يطق الطعام معه وطرده . فأوحى الله إليه ما معناه : يا إبراهيم ، أنا قد احتملت هذا الكافر في كوني طفلة ما مضى من عمره ، أفلا تحتمله أنت ساعة من الزمان على مائدتك ١٤ .

وتقول القصة إن إبراهيم بحث عن الكافر حتى أعاده ، وقص عليه ما أوحى إليه ، فأعجب الرجل بدين إبراهيم ، وسارع بالدخول فيه ! ...

ولما كان إبراهيم مشهوراً بالكرم والجود

إننا عائدون ... نقولها بصيغة الجمع ، لأن القضية قضيتنا جميعاً ، لا قضية أبناء فلسطين وحدهم ، ونحن بوحي عقيدتنا وديننا أمة واحدة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إنما المؤمنون إخوة » ، « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ، « المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، « مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحى والسهر » .

وسنعود إلى فلسطين ، وهناك نصلى « صلاة الفتح » ، فقد روى ابن القيم في « زاد المعاد »^(١) ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى ثمانى ركعات من أجل فتح مكة . وذكر ابن القيم أن سنة الفتح أن تصلى عنده ثمانى ركعات ، وكان الأمراء يسمونها « صلاة الفتح » . وذكر الطبرى فى تاريخه عن الشعبى قال : لما فتح خالد بن الوليد « الخيرة » ، صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لم يسلم فيهن ثم انصرف ... اللهم هي لنا من أمرنا رشداً ، ولا تطل علينا أمداً . واجعلنا صادقين محقين حين نقول : إننا عائدون ! ...

أحمد الشرباصى

هذا اليوم زرننا قرية « أدنة » الفلسطينية ، وهى من قرى الخطوط الامامية ، على الحدود الوهمية التى يسمونها حدود إسرائيل ! . وهناك جلسنا والشمس شاحبة اللون تدنو من الغروب ، وكأنها بشحوبها ودنوها شيئاً فشيئاً من المغيب تنفض يدها من تراب رمس سوته منذ قليل . وكان جلوسنا فى مدرسة قرية « أدنة » ، واجتمع أهلها ليقولوا ويسمعوا ، وتقدم صبى من تلاميذ المدرسة ، وخلفه زملاؤه فى صفوف ، وأخذ العصبى ينشد نشيداً يبدأ بقول الشاعر : « قسماً بجمع اللاجئين وعزى سكان الخيام ، وما كدت أسمع هذا المقطع حتى انخرطت فى البكاء ، وانقرط عقد التماسك ، فلم أستطع مقاومة الدموع ، فقد تجسم أمامى بؤس هؤلاء الصبيان وشقاؤهم بضياح بلادهم ، وتذكرت أولادى ، وتصورت أنهم قد ينالهم ما نال هؤلاء » ، وكلنا فى الهم شرق ، كما قال شوقى ، ورددت بينى وبين نفسى قول العزيز المهيمن : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » .

وهنا هتفت لنفسى : إن القول السديد هنا هو أن نردد فى عزم وتصميم : إننا عائدون إلى فلسطين ، إذ يجب علينا أن نعود .

(١) زاد المعاد ، ج ١ ص ٩٣

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

— ٢ —

الابن خلدون في آراء ابن خلدون :

ذلك هو الغرض من المقدمة وتلك هي مسائلها وهذا هو أثرها في تاريخ ابن خلدون وقد سبق أن أشرنا إلى أنه مؤسس علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ ومؤسس مدرسة تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً ، ونحن قد قدمناه على أنه مؤسس علمه ومبتكر مباحثه . بل هو يخص نفسه بذلك فيقول : « إن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أثير عليه البحث وأدى إليه الغوص ^(١) » ، فيلجأ إلى حد يعتبر مبتكراً . وما أثر آراء السابقين عليه فيما كتب .

لقد أحس ابن خلدون بأن دعواه هذه لا بد أن تعترضها مثل تلك الأسئلة فتولى الإجابة عنها قال : « هذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس

مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب إثبات اللغات أن الناس يحتاجون إلى العبارة من المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع ^(٢) . »

ويذكر ابن خلدون أسماء الذين سبقوه في الإشارة إلى جزئيات هذا العلم الجديد فيشير إلى الموبدان وأنو شروان ثم يقول : « إن في الكتاب المنسوب لأرسطو في السياسة ، المتداول بين الناس جزءاً صالحاً منه إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره . »

وقد أشار ابن خلدون إلى أن في هذا الكتاب بعض حكم عن تطورات الدولة مصوغة في قالب الحلقات المفرغة ... وكذلك نجد - في كلام ابن المقفع - وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات -

[١] المقدمة ص ٣٧ .

[١] مقدمة ابن خلدون ص ١٣٦

وهناك غير الطرطوشى : الفارابى ، أحمد ابن عبد الله ، ابن مسكويه ، الماوردى ، الطقطقى ، الغزالى ، أبو الفضل الدمشى . وقد تناول هؤلاء طرفاً مما تناوله ابن خلدون فى بحثه ، فنجد الفارابى يتحدث فى كتابه عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع وعن نشأة القرى والمدن ، ونجد أحمد بن عبد الله يطرق موضوعات تقسيم العلوم والصنائع وتأثير طبيعة البلدان فى الأخلاق . ونجد ابن مسكويه يتحدث عن التضامن ، والغزالى عن النفوذ والجاه وأبو يوسف عن موضوع الخراج وغير هؤلاء كثير .

إلا أن ذلك كله لا يقلل من ابتكار ابن خلدون ، فمن تقدم ذكرهم تناولوا جزئيات من الموضوع الواسع . أما ابن خلدون فقد أراد أن يكون من الجزئيات كلا ومن المنفرقات نظاماً متماسكاً (Systeme) . وقد امتاز كذلك بتجاربه العملية فى سياسة الدولة وهو ما لم يتح لكثير منهم . وآية ذلك أنك تجد الطرطوشى مثلاً يتكلم عن مسلك السلطان نحو الرعية ونحو الأموال العامة ونحو الجند وعن الظلم وعواقبه وهى موضوعات تكلم عنها ابن خلدون . ولكن طريقة تناول كل من المؤلفين مختلفة عن طريقة الآخر ، فالطرطوشى يجتهد فى تأييد أقواله بالحكم والأقوال المسأورة . بينما يلجأ ابن خلدون

للكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهنه إنما يجليها فى الذكر على منحنى الخطابة فى أسلوب الترسل وبلاغة الكلام... (١) .

وكذلك حوم القاضى أبوبكر الطرطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومثاله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب للشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة إنما يوب الباب للسألة ثم يستكثر من الأحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكام الفرس... والهند... وغيرهم من أكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق قناعاً ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حججاً ، إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواظ وكأنه حوتم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسأله ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً ، وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره ، فإن كنت قد استوفيت مسأله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنعماءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتنى شيء فى إحصائه واشتبهت بغيره مسأله فللناظر المحقق لإصلاحه ولى الفضل لأننى نهجت له السبيل وأوضحته له الطريق والله يهدى بنوره من يشاء (٢) .

٢ — الغلاء المفرط المجحف بالسكان .
 ٣ — ذبوع النقد المنحط .
 وفي هذه الفصول شبه كبير بما كتبه
 ابن خلدون عن الظلم والعمران والغلاء
 والسكة وانتشار الغش في النقود . ولا غرو
 فالمقرئ يـ تـلـيـذ ابن خلدون وقد أخذ عنه
 حين قدومه إلى مصر .

تفوق ابن خلدون :

هذا هو المكان الممتاز الذي يشغله ابن
 خلدون بين من سبقه ومن تلاه من علماء
 الحضارة الإسلامية . ولا يرجع ذلك فقط
 إلى طرافة ما عالج من المواضيع وسبقه الغير
 فيها وإنما تستند شهرته إلى طريقة معالجته
 للموضوع كذلك . فأسلوبه قوى لا يعتمد
 فيه السجع وموضوعاته حسنة التبويب
 منطقية التقسيم تجد البحث يتسلسل من سابقه .
 ومع ذلك يتجنب الاستطراد والحشو ، كل
 ذلك يطبعه طابع على متين^(١) . وهو يتجلى
 على الخصوص في إدراكه لقانون السببية
 ونظرية النشوء والارتقاء ودرجة الترابط
 بين العلوم الاجتماعية المختلفة .

إلى الطريقة العلمية الحديثة وهي الاستنباط
 والاستقراء من الوقائع والتجارب^(٢) .
 ويحمل ما تقدم أن ابن خلدون لم يكن
 مبالغاً فيما ادعاه لنفسه وهو رجل يعرف
 قيمة نفسه ويحاور بها إلى جانب مظهر
 التواضع الذي يتخذه شعاراً . حقيقة أن
 تحصيله من سبقه كان له تأثير فيما أنتج إلا أن
 الابتكار في كتابته واضح لا نزاع فيه
 على أنه يا حبذا لو أن كتب العلماء المشار
 إليهم وكتب غيرهم درست بعناية على ضوء
 البحث العلمي الحديث إذأ لكانت المقارنة
 أسهل طريقاً وأثبت نتيجة .

وإذا كان هذا موقف ابن خلدون بالنسبة
 لمن سبقه فالأمر على خلاف ذلك بالنسبة لمن
 تلاه . ونحن نلـس تأيـر مقدمته وتاريخه
 في المقرئى والقلقشندى . على أن أثره
 الأكبر يظهر في كتاب المقرئى «إغاثة الأمة
 بكشف الغمة» ونجد المقرئى في هذا
 الكتاب على غرار ابن خلدون ينسب بؤس
 القـطر المـصرى إلى :

١ — الفوضى السياسية وانتشار الرشوة
 وانتقال الحكم إلى أيدي الجهال .

(1) Unlike some of his brilliant
 successors he shows a remarkable
 freedom from bias, innuendo, carp-
 ing criticism and extravagant praise"
 N. Schmidt p. 15.

(1) "Le caractère principal de
 l'œuvre d'Ibn Khaldoun est qu'il a
 donné résolument le pas à l'observa-
 tion sur le raisonnement abstrait..."
 G. Bouthoul, la philosophie so-
 ciale d'Ibn Khaldoun. P. 83.

النشوء والارتقاء الأساسية فقد سجل د تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام

وأحوال الأمم وعواندهم ونحلهم لا تقوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال (١) .

آراء النعمان العربي في ابنه خلدون :

لقد تبوأ ابن خلدون مكانا رفيعا في فطر علماء الغرب . فاعتبره هؤلاء السباق الأول إلى علم الاجتماع وعلم التاريخ . وأطلقوا عليه الفيلسوف والمؤرخ العظيم ، وأعظم رجال المدنية العربية .

وأجمع فريق منهم (٢) على أن ابن خلدون هو مؤسس فلسفة التاريخ كما أنه سبق دور كهم (Durkheim) وغيره من مؤسسي علم الاجتماع الحديث بمخمسائة سنة . وفي المقدمة التي كتبها لتاريخه الكبير وضع فلسفة للتاريخ تعتبر من غير شك ، أعظم ما وضعه من نوعها أي عقل في أي زمان أو مكان .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧ .

(2) Charles Issawi : Ibn Khaldoun. Toynbee : A study of History III, 322. Khaldoun, An Arab philosophy of history, wisdom of the East, John Murray.

أما إدراكه لترايط العلوم الاجتماعية المختلفة فيشهد عليه فكرة المقدمة نفسها فهي مجموعة مباحث اقتصادية واجتماعية ومالية وسياسية وتهديبية وأخلاقية ... والاتجاه الحديث يتجه إلى إظهار الوحدة والترايط بين هذه العلوم الاجتماعية المختلفة ... وبعد ما كانت النزعة إلى تأكيد استقلال كل علم أخذت هذه النزعة تزول وتحل محلها فكرة الاتحاد والارتباط بين هذه العلوم المختلفة ذات الموضوع الواحد وقد نظر إليه من زوايا مختلفة الا وهو العمران البشري .

وأما إدراكه لقانون السببية فواضح في كثير من أقواله من ذلك قوله : « إنا نشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والأحكام وربط الأسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض (١) . » وقد أدرك أن تراحم الظواهر أو تعاقبها والبحث عن المقنع في تباينها أو تناصبها (٢) : يؤدي إلى كشف للقوانين الخاصة بها وقوانين تراحم الظواهر هي قوانين السكون وقوانين تعاقب الظواهر هي قوانين الحركة .

كذلك لاحظ ابن خلدون عناصر نظرية

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الأول ص ٩١ في حقيقة النبوة .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤ :

يرى في سيرة الحضارة تناسقا داخليا منظما^(١). ويقول الأستاذ كلوزيد إنه « من حيث الجنس الذي انحدرو منه والبلد الذي ولد فيه والحضارة التي ينتمى إليها - يمكن أن يوضع في صف عظماء الرجال الذين يتبوءون في التاريخ أسمى مكان »^(٢).

ثم يقول الأستاذ كلوزيد في مؤلفه : « إن كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع تجعله في مقدمة فلاسفة التاريخ ، فإن فهمه للدور الذي يؤديه العمل والملكية والأجور يجعله في مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين » .

ويرى الأستاذ شميدت أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ويتفق مع جملوفتز في أن الاجتماع وجد قبل أوجست كوفت بمصور وأن ابن خلدون ذهب في تفسيره إلى حدود لم يذهب إليها كوفت ، وأنه فيما يعالج من خواص العادة والإقليم والأرض والغذاء قد سبق مونتسكيو وسبنسر وغيرهم^(٣).

[١] قلا من المؤلف السابق ص ١٠٠ .

De Boer. Geschichte der philosophie im Islam (1901).

(2) S. Colosio-Contribution à l'étude d'Ibn Khaldoun. Revue du Monde Musulman XXVI, 1941.

(البقية على صفحة ٧٥٨)

ويقول الأستاذ جملوفتز « لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كوفت بل قبل فيسكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوروبي جاء مسلم تقي فدرس للظواهر الاجتماعية بعقل مقزن ، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع »^(١).

ويقول دي بوير « لقد حاول ابن خلدون أن يؤسس نظاما فلسفيا جديدا لم يحل بذهن أرسطو ، وأن يجعل من التاريخ نظاما وهو يقول لنا : إن هذا النظام إنما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها ، وثقافته الفكرية ، ومهمته هي أن يبنى كيف يعمل الناس ، وكيف يحصلون أقواتهم ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة إلى الترف للناعم ، وتزدهر ثم تضحل وتفقض » .

ثم يقول دي بوير : إن ابن خلدون هو بلا ريب « أول من حاول أن يشرح بإفاضة تطور المجتمع وتقدمه لأسباب وعلل معينة ، وأن يعرف ظروف الجنس والإقليم ووسائل الإنتاج وما إليها وأثرها في تكوين ذهن الإنسان وعاطفته في تكوين المجتمع » وهو

(1) L. Gumplowicz. Ibn Khaldoun ein arabischer soziologe des 14 Jahrhunderts.

قلا من الأستاذ محمد مبداهة عن ابن خلدون ص ٢٠٢

مقارنته بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة

للأستاذ عباس طه

إما بنص كلام الله الذي ينزل به الوحي ،
أو باجتهاده فيما لم يكن فيه نص ، وقام مقامه
بعد انتقاله الخلفاء الراشدون ، فاجتهدوا
في تعرف الأمور التي تفرض عليهم ، فكانوا
يرجعون إلى كلام الله ، فإن لم يجدوا نصا
اتجهوا إلى المسأثور عن الرسول صلوات الله
عليه ، فإن لم يجدوا حكما والآراء وأجهدوا
العقول حتى يصلوا للحق وبه يحكمون .

من هذا تبين أن المصادر للفقه الإسلامي
كانت أربعة : الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والفقهى
وهو تطبيق حكم حالة منصوص عليها
على واقعة غير منصوص عليها ، والمصدر
الرابع الإجماع لقوله صلى الله عليه وسلم :
(لا يجتمع أمتى على ضلالة) . ولما كان باب
الفهم واسعا رجع لما يتجه له كل مجتهد من
الفهم لاحتمال الألفاظ لاكثر من معنى واحد
كما يرجع إلى الاختلاف في رواية حديث ،
فمنهم من يرى أن الشواهد كثيرة على صحته ،
ومنهم من يرى العكس ، غير أن اختلافهم
لم يكن ناشئا عن تعصب ولا تعسف بل كان
في سبيل الله والحقيقة ، وتحرى الصواب ،
والوصول إلى قانون شرعى يطبق على المجتمع .

من حق الأمة الإسلامية أن تزهى بعراقتها
وأن تتيه بمبادئها السامية ، فوق ما لها من
تراث هو أبقي على الزمن الباقي من الزمن ،
وأخذ في صحيفة الأيام أثرا ، ذلك هو شريعتها
الحالدة بالقياس إلى الشرائع الأخرى السابقة
وهي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله
الأعظم ، فكانت للناس مثالا يحتذى ، وقبسا
يستضاء به في الظلم الخوالك ، فهى شريعة
حافلة بالعظائم معروفة في المبادئ والمكارم
جد حريصة على صيانة الحقوق ، والآداب ،
والأخلاق ، عرفت الإنسان مدي واجباته
وحقوقه في دائرة الحق الطبيعي ، والنظام الحكيم .
وقد أسبغ الله على شريعته ففاضت بأرقى
أنواع الجمال : قال جل من قائل : « اليوم
أكملت لكم دينكم وأنمت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الإسلام ديناً » . فكان محمد
صلى الله عليه وسلم أول قاض قضى بين الناس
بهذا القانون الكامل بموله تعالى : « فاحكم
بينهم بما أنزل الله » ، وقوله : « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما » .
وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يتقاضى

ولبيان ذلك نسوق المثل الذي أورده (جيوس) ، وهو يتلخص في أن شخصا قطع أشجارا لجاره بغير حق فذهب الرجل لرجال الدين يستلهمهم صورة الدعوى فأملوه الصورة الآتية: (أقول إن المدعى عليه قطع أشجارى بغير حق) ولكن المدعى عند ما ذهب للمحاكم القضاة وبدأ يلقيها لم يقل قطع أشجارى ولكن قال قطع كرومى فلما ظنا منه أن التخصيص أفضل من التعميم فترتب على هذا التغير اللفظى سقوط الدعوى وضياع الحق .

دع هذا وانظر للشريعة الإسلامية وما فيها من اليسر تبحر الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحوه ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما أضى له قطعة من نار) أليس في هذه المقارنة البسيطة ، ما يدل دلالة صريحة على أن الشريعة الإسلامية شريعة حق وعدل وإنصاف وأنها تعنى بإحقاق الحق لذاته ولا تعنى بالأعراض ؟ .

خذ مثلا آخر عن اليهود وما كانوا يلاقونه من مشقة وتعقيد ، كان الخصوم يستصحبون أصدقائهم وأقاربهم لتأدية الشهادة شفها طبقا لنصوص معروفة وشكليات مخصوصة ، فإذا امتنع شاهد عن تأدية الشهادة لفسان طرأ

وبسبب ذلك اتسعت دائرة البحث العلمى والفقهى ، وانطلق المسلمون في كل ناحية من نواحي الأرض لنشر الدعوة الإسلامية ، واستنباط الآراء للفقهية .

ولقد قام كثير من المشتغلين من المصريين بالعلوم القانونية بأوربا بمباحث قيمة في الشريعة الإسلامية كانت سببا في وقوف الكثير من علماء الغرب على نظمها وأحكامها ودلت على أنها أخصب مصدر للقانون المقارن . فإذا نحن أرسلنا نظرة إلى الشرائع الأخرى كالرومانية والرومانية نجد المدى بعيدا شاسعا بين الطرفين .

وعن الثانية يقول الأستاذ الأمريكى شيرمان : إن الفضل في عودة المدنية إلى أوربا بعد طوفان العصور المظلمة راجع إلى القانون الرومانى ، . ولما لنورد طرفا منها لتبين الفروق بينها وبين الشريعة الإسلامية .

كانت شريعة الرومان أول أمرها عبارة عن تقاليد مبينة على معتقدات كانت أساسا لنظام الملك ، وكان الملك هو الرئيس الدينى المشرع وهو القاضى الذى يحكم طبقا لهوى نفسه وإن لم يتفق حكمه مع العدالة وكان من يخالف حكمه يعتبر معرضا لسخط الآلهة وكانت طرق الادعاء مبينة على أساليب غريبة معقدة شاقة وإشارات وعبارات معينة أقل هفوة فيها كانت تضيع الحق على صاحبه .

الشريعة الإسلامية بدأت متمشية مع العدالة جنبا لجنب ، وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم في قوم أشداء مشركين طغاة ، متجبرين متكبرين ، فلما أودع الله فيه من صميم الحكمة ولباب الحق وبلاغة الحججة رفع علم الإنصاف والعدل ، فلا يرى في الشريعة الإسلامية من مبدئها للآن خرافة ، ولا يرى فيها عوجا ، وسنظل كذلك ليوم الساعة إن شاء الله .

لأن فلا مراء في أن الشريعة الإسلامية تسير كل زمن ، وتواكب كل جيل ، وتفتح صفحاتها . إما بالحسنات الطيبات والمثلاث الرفيعات . وإما بالسيئات والموبقات للأمة والأفراد والجماعات . ومعناه أن الشريعة الإسلامية بما حملت في أطوائها من خلود غير مصحوب بمحجود تفتح صفحاتها للحسنات فتجزيهم على ما قدموا من مثلات وما أسلفوا من عبر وعظات . ثم تفتح صحيفة أخرى لمن أساء فهمها وخرج على تقاليدها وتعمد مجاوزة حدودها والتناهي عن مبادئها الفاضلة وأحكامها المائلة بمعاقبهم وأخذهم بالجزاء الصارم جزاء وفاقا . فالشريعة ذات ناحيتين : ناحية ثواب . وناحية عقاب ، وذات أفقين : أفق طيب مرئى يسع الأبرار بمثلاته وطيباته وأفق يأخذ على يد الفجار المستهترين الذين خرجوا على حدود الله وجعلوا محاب الله ومراضيه ، فلما نعيم مقيم ، وإما جحيم أليم والعاقبة للمتقين . عباسي ط

عليه لطول عهد الحادثة ، أو لنسيان بعض كلمات الصيغة التي يملها عليه بعض رجال الدين فإن الشاهد يتعرض للجزء ، ذلك الجزء هو أن يذهب من طلبه للشهادة أمام داره ويلقى بعبارات هي في الواقع لعنات ولحطورة هذه اللعنات يخول للشاهد إبطال ذلك السبب إذا استطاع أن يثبت أنه لم يشهد زورا أو لم ير شيئا يشهد عليه .

وكان عندهم أن للدائن حق الاستيلاء على مدينه إن لم يدفع الدين أو لم يتم كفيلا للسداد وللدائن أن يبيع مدينه كالرفيق ، وأن يسترده إن سرق منه .

وكان عندهم أن السارق إن ضبط متلبسا فللمسروق منه أن يبيع السارق كالعبد .

شريعة قاسية في أحكامها عنيفة في مبادئها يقتل فيها المدين إن لم يسددها عليه من الدين ، كما أن للجنى عليه أن يقتص من خصمه بيده وكان عندهم أن من يدعى بدين على آخر ولم يثبته فللدعى عليه أن يدعو للبارزة ويثبت الحق في ذمة المخلوب . وكانت عقوبة الموت تنفذ شنقا أو حرقا أو بفصل الرأس عن الجسد أو بالجلد أو بالإلقاء من صخرة .

لعل معترضا يقول : إن هذه الإجراءات الخرافية والمنافية للعدالة كانت في بدء حياة الرومان ، وقد تحسنت حالتهم ووصلت بعد تطورها إلى الحالة العظيمة التي جعلت علماء الغرب يتغنون بذكرها - ونحن نقول إن

مَائِقَاتُ الْعَزَلِ سِلَاحُهُ

مراكش مستقلة - بقلم: روم لاندو

للاستاذ عباس محمود العقاد

في البلاد المراكشية بعد استقلالها ، وبخاصة فيما يترامى للراقبين الأوربيين الذين يزورون البلاد وينظرون إلى أثر الحضارة والحرية على قوة العقيدة الدينية بين الشبان المتعلمين . وقد كتب أحد السامعين الإنجليز مقالاً زعم فيه أن طوابع الأحوال كما رآها أخيراً تدهو إلى اليقين بانفصاض البلاد عن الدين وإقبالها على المراسم الأوربية بعد سنوات قليلة ، فيما يتعلق بنظم الحكم ونظم المعيشة التي تتصل بالمعاملات الأجنبية ، سياسية كانت أو اجتماعية . فكتب الأستاذ لاندو يرد على ذلك السامع بما وعاه من مشاهداته الكثيرة ، ومنها أحاديث المتعلمين في ولاية بمدينة مراكش حضرها وذكر أن الحديث على المائدة أوشك أن يدور على موضوع واحد وهو موضوع التصوف ، ثم قال :

« شجعتني موضوع هذا الحديث على إثارة السؤال عن حالة الإسلام في مراكش المستقلة ... فانبعثت كلباتي حماسية عظيمة وكاد الحاضرون أن ينطلقوا بالكلام معاً دفعة واحدة . ثم تكلم الحاكم نفسه - وهو أوفرهم نصيباً

الأستاذ روم لاندو هو أستاذ الدراسات الإسلامية ودراسات إفريقية الشمالية في جامعة المحيط الهادى بمدينة كليفورنيا ، وهو سامع باحث قديم عهد بالبحث في مسائل الديانة عامة والديانة الإسلامية خاصة ، وله مؤلفات كثيرة في هذه المسائل على تعدد أبوابها ، وبعضها مقصور على البحث في الحياة الإسلامية كما عرفها بين المسلمين من أبناء المغربين الأدنى والأقصى حيث قضى سنوات من حياته ، ولا يزال يقضى ما اتسع له من الوقت في إحدى حواضرها .

وفضيلة هذا المؤلف في كتاباته عن المسلمين أنه يشغل نفسه بالتفتيش عن الجانب السليم أو جانب الأمل من الحياة الدينية والدينية بينهم ، وليس كل شغلانه بالتفتيش عن الجوانب التي تبعث التشاؤم من الناحية الإسلامية وتبعث التفاؤل من الناحية الأخرى التي تقابلها : ناحية أولئك الذين يترصون بالإسلام الدوائر من كتاب التبشير والاستعمار .

وعلى سنته هذه جرى في الكتابة عن حالة المسلم المصري المثقف ، وغير المثقف ،

بمشاركتنا في حياتنا اليومية ... ،
وقد سرد الأستاذ لاندو في الكتاب
أحاديث شتى سمعها من الشبان والشابات ،
وروى جملة من المشاهدات التي مر بها اتفاقا
في مدن العواصم وقرى الريف ، ومن أعجبها
عنده أنه كان يتحدث إلى فتاة متعلبة تحسن
الكلام بالفرنسية كإحدى الفرنسيات ،
وكانت تشترك في أحاديث المجلس وهي مقنعة
بقناعها التقليدي فسالها : كيف توفقين بين
عادة البرقع وهذه الآراء العصرية التي تجهرين
بها . فكان جوابها أن الإنسان لا يعتقد
ما يعتقد بملابسه . وأنها تستطيع أن ترفع
القناع ولكنها لا تحب أن تؤلم أباهها وأما
بعدم لا يسترىحان إليه . وحكى أنه كان يركب
أحيانا إلى منازله المدن فيرى الفجى الناشئ
ينزل عن مطيته في موعد صلاة المغرب لينتحي
جانبا ويؤدى صلاته قبل مواصلة السفر
إلى وجهته ، وحكى عن طائفة الأتباع والخدم
الذين هرفهم في بيته أو في بيوت أصحابه
أنهم يعاشرون الأجانب زمنا ولكنهم
يقومون بفرائضهم ولا يشربون الخمر
أو يأكلون المحرمات .

ولم يتطع الرجل أن يحكم على الذين حادثهم
واختبر شئونهم من أبناء البلاد بحكم واحد
يشملهم جميعا ، ولكنه استطاع أن يقول
أن الأوروبيين المتعجلين يخطئون الظن خطأ
بعيدا إذا اغتروا بظواهر الفرنجة وحسبوا
علامة على المروق من العقيدة . فإن الظواهر

من التربية الأوروبية - فأفضى بما يعتبر الرأي
الفصل المتفق عليه بين الحاضرين ؛ وخواه
أن السائح الأجنبي يستحيل عليه أن ينفذ
إلى حقيقة الحياة الدينية الإسلامية . فإن الشاب
المراكشي قد يشرب ويطلق لسانه بالحديث
في مظاهر المعيشة الأوروبية ، ولكنه إنما
يفعل ذلك حبا للظهور أو لاختيار نوع
غريب من المعيشة . وقد يتخلف عن الذهاب
إلى المسجد ولكنه يؤدى الصلوات في مواقيتها
ويدين بالمهم الأساسى من الفرائض الدينية ،
وإذا احتاج إلى الهداية الروحية في أزمات
ضميره فإنما يتجه بطلب هذه الهداية إلى القرآن .
ولا تزال علاقته بأبويه وبأهله وبما يؤمن به
من فضيلة أو رذيلة هي تلك العلاقات التي
يستوحها من الآداب الإسلامية . وربما
خطر له أن يوقع في روع صاحبه الأوروبي
أنه رجل (متقدم) يتخلى عن القديم ليأخذ
بالجديد ، ولكنه ضرب من الدفاع عن الذات
أمام الغريب . إذ هو على يقين أن هذا الغريب
يجهل حقيقة الإسلام ويعتبره في عرفه مرادفا
للرجعية ... على أن الغرباء الأجانب إنما
يسمعون هذه الأحاديث من فئة قليلة بين الذين
يقال عنهم إنهم فكربون Intellectuals
ويجوز أن يكون بعضهم قد تحول عن ديانته
ليدين بالمذاهب الهدامة . إلا أن هؤلاء
الفكرين المزعومين لا يمثلون أحدا في الأمة
المراكشية غير أنفسهم . فإذا أردت حقا
أن تعرفنا - كما نحن - فإنما نعرفنا هذه المعرفة

الإسلام إلى ما انتهى إليه كل حياة . فإن العرض الواحد لا يكون من أعراض الشيخوخة عشر مرات .

حدث في أواخر أيام الخلفاء الراشدين أن المسلمين الذين انتقلوا إلى البلاد المفتوحة قتلوا بمحنة الحضارات المنحلة ، وقارفوا بعض منكراتها وهجروا بعض عاداتهم فخلل إلى أعدائهم كما خيل إلى بعض الغلاة منهم أنها نذر الضياع على قول فريق ونذر للقيامة على قول آخرين ، وجاء رد الفعل ، كما نقول في اصطلاح هذه الأيام غلوا من الخوارج في التشديد وإمعانا من الأعداء في الدس الخفي أو في العدوان الظاهر ، ثم انقضت الدولة كلها - وهي أول دولة إسلامية - وقامت بعدها دولة العباسيين على أساس من الغيرة للدين والنخوة لبית النبوة . وتكررت هذه الظاهرة على مثال أخطر وأكبر في إبان دولة للعباسيين ، فإن احتكاك العالم الإسلامي بعالم الحضارة الرومية وعالم الحضارات الشرقية المنحلة قد أفنى بين المسلمين من جميع الأجناس بدعا كهذه البدع التي يذكرها السائحون المعاصرون ويرد عليهم الأستاذ لاندر بما أجملناه ... كان الرجل منهم يتظرف بالزندقة ليقال عنه إنه من المتقدمين على اصطلاحنا في هذه السنين ، وكان الفسكيون المزعومون يلقى بعضهم بعضا بالسؤال عما يمتقده مذهبها له كائما كانت عقائد المذاهب ضربة لازب مع العقيدة

خداة في مسائل الدين التي تنطوى عليها الضمائر خلال عصور المحنة وليست هي بالعلامة الصادقة على الشعور الخفي الذي لا يدركه صاحبه أحيانا ، فضلا عن الغرباء عنه من أبناء وطنه أو أبناء الأوطان الأجنبية .

فربما شوهدت الغيرة على الإسلام بين أناس يحملون الشعائر ويخالفون الفرائض ولا يحرصون على التقاليد ، وربما كانت الغيرة الوطنية التي تستخدم في نفوس الكشفيين من الساسة المتطرفين قبسا من غيرة المسلم على حرمه وعلى تاريخه القديم ، ولا يجوز أن يفهم الأوروبي أن المسلم يتخلى عن نسبته إلى الإسلام إذا لاح عليه أنه قد تخلى عن بعض الشعائر والتقاليد .

والذي نحب أن نزيده على تعليقات الأستاذ لاندو أن أمثال هذه الظنون التي تخامر بعض الكتاب عن الإسلام قد سلفت في الأزمنة الخالية غير مرة منذ أوائل الدولة الأموية إلى هذه الأعوام الأخيرة ... وقد خفيت على مؤرخي القرون الخالية دلالتها العارضة ودلالاتها الدائمة ، فخطر لهم في كل مرة أنها نذير بزوال الدين أو عرض من أعراض النهاية التي يقدرونها لكل عقيدة كما يقدرونها لكل حضارة أو لكل نظام من نظم الاجتماع ، ولو أن المتأخرين استفادوا من عبر الماضي واجتنبوا الخطأ في رأي واحد بين سائر الآراء وهو خطأ الظن بأنها « الشيخوخة » قد عرضت للدين نفسه وأذنت بانتهاء حياة

الإسلامية العامة كما قال ميسرة بن حسان
السمري يسأل ابن أبي الشيخ :

دخلتنا الشكوك يا ابن أبي شيخ

بأى الأديان أنت تدين

ولم أياها تميل يا ابن أبي جعفر

كم ذا الهوى وذا التلويح ؟

وكان ، والتظرف ، يقضى على أديانته أن

يخطوا الهزل بالجدل في دعاوى المجوف

والحكمة وشواغل الأدب وغير الأدب

كما قال ابن الرومي في صاحبه أبي علي البصري :

قولا لطوط أبي علي

بصرينا الشاعر المنجم

المتندر المضحك المغنى

الكاتب الحاسب المعلم

الفيلسوف للعظيم شأنا

العائف القائف المعزم

المأمن الكاهن المعادي

في نصر إبليس كل مسلم

وظن ، السائحون ، قديما من قبيل

السائحين حديثا أن العالم الإسلامي مرق

من الإسلام وانطفأت غيرة الإنسان على

حوزته من قلوب المسلمين ، ولكن العالم

الإسلامي — هذا بعينه — قد وقف بعد

ذلك بحقبة قصيرة في وجه القارة الصليبية

وجاء بشعوبه من أقصى المشرق لرد القارة

بمثلها إلى قلب القارة الأوربية .

ولما مضت على هؤلاء المسلمين في شرق

القارة الأوربية بضعة قرون خيل إلى بقايا

الصليبيين أنهم قد د نضجوا ، للتبشير وقد

أصبحوا على استعداد للنزول عن شريعتهم

كما نزلوا عن أحكام معاملاتهم في تلك

الامتيازات ، الأجنبية ، التي سموها من أجل

ذلك « بالتنازلات ، Capitulations أو القسليات »

ولكن هذه التنازلات بعينها كانت بعد

ذلك صيحة الثورة على السيطرة الأوربية ،

حتى زالت الآن ورجعت عنها الدول

الأوربية بدلا من رجوع الإسلام بعدها

عن غيرها من معاملة وتقاليده .

فإذا كان شيوع التقاليد الحديثة أحيانا

باهتا من بواعث الأسف ودليلا من أدلة

التهاون ، فذلك حالة توجب على المسلمين ،

ولا ريب ، أن يبدلوا بها ما هو أوفق منها

للآداب الإسلامية ، بل للآداب الإنسانية التي

تحالفها التقاليد المعيبة كاتخالف حقيقة الإسلام .

ولكن التثاؤم منها يزيد على قدره الصالح

إذا خيل إلينا أنه تشاؤم من مصير الدين كله

ويزيد تفاؤل المتربصين به أيضا عن قدره

الصالح لم إذا اعتبروه عرضا إسلامياً ،

ولم يفهموا من حقيقته قبل ذلك أنه عرض

أجنبي يسرى من جانبهم ويوجب عليهم أن

يتشاءموا منه لأنفسهم ولا يقصروا شؤمه

على مستقبل الإسلام .

عباس محمود العقاد

مَحْذَرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

السلام والتقدم

لشاعر العراق: معروف الرضائي

يقولون في الإسلام ظلمًا بأنه
فإن كان ذا حق فكيف تقدمت
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
هل العلم في الإسلام إلا فريضة
لقد أيقظ الإسلام للجد والعلو
وحلت له الأيام عند قيامه
فأشرق نور العلم من حجراته
ودك حصون الجاهلية بالهدى
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى
وأطلق أذهان الورى من قيودها
وفك أسار القوم حتى تحفزوا
فخلوا طريقا للبداءة بجهلا
فدوت بمستن العلم نهضاتهم
وعما قليل طبق الأرض حكمهم
وقد حاكت الأفكار عند اصطدامها
ولاحت تباشير الحقائق فأنجلت
وما ترك الإسلام للبر ميزة
فليس لثر نقصه حق معدم
ولا فخر للإنسان إلا بسعيه

يصد ذويه عن طريق التقدم
أوائله في عهدهما المتقدم
فإذا على الإسلام من جهل مسلم
وهل أمة سادت بغير التعلم
بصائر أقوام عن المجد نوم
حباها وأهدت منظر المنجم
على وجه عصر بالجهالة مظلم
وقوض أطناب الضلال المخيم
لأهليه مجدا ليس بالمتهم
فطارت بأفكار على المجد حووم
نهوضا إلى للعلواء من كل مجثم
وساروا بنهج للحضارة معلم
كزهزع ريح أوكتيار عيلم
بأسرع من رفع اليدين إلى الفم
تلاقى برق العارض المتهمز
بها عن بني الدنيا شكوك التوهم
على مثله بمن لآدم ينتهى
ولا عربى بخمه فضل أعجمى
ولا فضل إلا بالتقى والتكرم

وليس التقي في الدين مقصورة على
ولسكنها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى
فهل مثل هذا الأمر بالاولى النهى
وإن لم يكن هذا إلى المجد سلبا
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنسكروا شمس الحقيقة إنها
علونا وكنتم سافلين فلم نسكن
ولم تترك الحسنى أو ان جدا لكم
فلا استدار الدهر بالأمر نحوكم
فلا تأمنوا الأيام إن صروفها

صلاة مصل أو على صوم صيم
يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
وما خصت التقوى بترك المحرم
يكون عشاراً في طريق التقدم
فأى ارتقاء بعد أم أى سلم
رويداً فتمد قارفتكم كل مأثم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبدى إليكم جفوة المتهم
وتلك لعمري شيمة المتحلم
كشفتم لنا عن منظر متجهم
كما هى إذ أودت بعاد وجرم

معروف الرصافى

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٩)

وقد بلغ من إعجاب الأستاذ كلوزبو بابن
خلدون أن قال مقارنا إياه بمكيافلى :
« إذا كان رجل فلورنسا الكبير قد علينا
كيف يساس الناس فإن طريقته فى ذلك إنما
هى طريقة الدبلوماسى والسياسى الخاذق بينما
نرى أن العالم التونسى قد نفذ إلى الظواهر
الاجتماعية ناظرا إليها نظرة الاقتصادى
والفيلسوف المتعمق فسمح له ذلك بأن يعالج

موضوعه بسعة أفق وروح نقد لم يعهد لها
نظير فى زمنه (١) . »
ولمنا ندعو رجال العلم أن ينهضوا لننفض
عن نفائسنا الغبار لتتخذ مكانها فى مجال العلوم
والمعارف ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى
تحقيق هذا الأمل العظيم .

محمد محيى الدين الطميرى

(1) S. Colosio-Revue du Monde
Musulman. XXVI, 1914. p. 319.

الكتاب

نقد وتعريف

بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - جرائم الحدود :

للأستاذ محمد عطية راغب

هذا الكتاب نشرته مكتبة القاهرة الحديثة تحت عنوان : جرائم الحدود في التشريع الإسلامي وللقانون الوضعي ، والمؤلف غير غريب عن مجلة الأزهر ، فهو يمدّها من حين لآخر بمقالاته المعنية بالدراسة القانونية .

ودراسة الكتاب تقع في أكثر من خمسمائة صفحة ، وهي دراسة في الفقه المقارن ، وقد يكون الكتاب الأول من نوعه في انفراده بعرض الحدود على ضوء الدراسة المقارنة ، والمؤلف يمهّد لهذه الدراسة بتعريف شامل لجرائم الحدود ، وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الجرائم التعزيرية من ناحية وبينها وبين جرائم القصاص من ناحية أخرى ، ثم تجيء موضوعات الكتاب في خمسة أبواب تناول فيها المؤلف : جرائم الحدود ، الزنا ، السرقة ، قطع الطريق ، القذف ، شرب الخمر . وفي كل باب يعرض الجريمة الحدية وحكمة

تجريمها ، وعدالة الإسلام في توقيع العقوبة على مرتكبها ، ثم يحلل أركانها ، وما يحوطها من شبهات ، وشروط أدلة الإثبات ويناقش ، العقوبة وتطوراتها في مجال الإسلام والتشريع الوضعي ، وهو في العرض والتحليل والمناقشة يعتمد على آراء الفقهاء المسلمين من أصحاب المذاهب المقلدة وغيرهم من المجتهدين ، ولم يمسأماً دقيقاً شاملاً بالموضوع حتى تأتي دراسة وافية كاملة .

المؤلف حصر الحدود في تلك الجرائم الخمس المتفق عليها تقريباً ، ولم يتعرض للردة وهي حد من حدود الله ، وقد أضاف ابن حزم أيضاً جحد العارية ، وذكر الأستاذ عبد القادر هودة في التشريع الجنائي أن الحدود سبعة أضاف إلى الخمسة : الردة ، والبغى ، وكذلك الدكتور عبد العزيز عامر في كتابه : التعبير في الشريعة الإسلامية ، وما كان يضير الكتاب أن يتناول المؤلف بقيمة الحدود المختلف فيها على أوسع نطاق .

الحقوقي الشاب بعقلية ناضجة وأفق واسع ،
وطاقة احتمال كبيرة في استيعاب النصوص .

٢ - عبد الله بن سبأ :

للأستاذ مرتضى العسكري

هذه طبعة ثانية من الكتاب نشرتها
مكتبة النجاح في بغداد . والمؤلف أحد علماء
الشيعة بالعراق ، والكتاب في حوالى مائتى
صفحة ، إلا أن قضية عبد الله بن سبأ لم تظهر
منها إلا بصفحات معدودة . وقضية ابن سبأ
هى الأصل في موضوع الكتاب .

والمؤلف في الدراسة الخاصة بابن سبأ
يرى أن ابن سبأ نفسه أسطورة ، وليس
حقيقة تاريخية ، ويعتمد على أن الطبرى
هو المرجع الأول في القصة أخف منه من
جاء بعده من المؤرخين ، كابن الأثير وابن
عساکر ، ومن المعاصرين كالشيخ رشيد رضا
والأستاذ أحمد أمين في « فجر الإسلام » ،
والطبرى اعتمد على رواية « سيف بن عمر
التميمي » ، وأخذ المؤلف في تجريح « سيف »
تجريحاً بالغاً مستشهداً بآراء جبهة من العلماء ،
كابن معين ، وأبي حاتم ، والفسائى ، وأبى
داود ، وابن عدى ، والدارقطنى ، والحاكم ،
وابن عبد البر ، وابن حجر ، والسيوطى ،
ولصيف بن عمر مؤلفان : الفتوح الكبير
والرقة ثم مسير الجبل وطائشة وحلى . .

والدراسة الخاصة بهذا الجزء نقدرها
ونحترم المؤلف فيها .

وقد خلا الجزء الخاص بقطع الطريق
من الدراسة المقارنة ، حيث لم يشر فيه إلى
رأى الفقه الوضعى ، كما أن الحواشى للكتاب
قد طغت طغياناً كبيراً على الدراسة الأصلية
في الكتاب ، وكان من الممكن ألا يعتمد
المؤلف إلى التركيز المبالغ فيه ، وكنا نود
أن لا يؤيد المؤلف أحد آراء الفقهاء مثلاً في
عبارة تسليمية سريعة دون أن يذكر أسباب
حكمه على رأى الذى أيد ، والرأى الذى
عارضه ، فعبارة « فأخذ بالرأى الأول أو
الثانى - مثلاً - لأنه أقرب إلى الصواب ، مثل
هذه العبارة التأييدية لا وجود فيها للبراهين
العلمية ، والمؤلف بعد ذلك أسرف في التبويب
لدراسة ، فاستهلك صفحات عديدة في تركها
بيضاء إلا من سطر أو سطرين ، ولا أظن
أن للقارىء يستريح إلى تنسيق الفهرست
الذى يعول عليه كثيراً من يعتبر هذه
الدراسة مرجعاً أصيلاً .

ولا نكران في أن الأستاذ محمد عطيه
واغب بذل مجهوداً ضخماً في تقديم دراسة
مقارنة ، تعتبر مرجعاً وافياً شاملاً ، وقد ألم
إلها ما دقيقاً بآراء فقهاء الإسلام ، وبآراء
فقهاء التشريع الوضعى في البلاد العربية ،
ولو أنه عرض لآراء الفقه الوضعى المعاصر
في الغرب لجاءت الدراسة فريدة في نوعها ،
ومع هذا فالدراسة التى قدمها تشهد للمؤلف

أو بنى العباس ، ولا لمن جاء بعدهم .
وبعد - فقد كنا نود أن يرحم الاسلام
اليوم من المناقشات الطائفية ، وهو المشخن
بالجراح من أتباعه وأعدائه على السواء ،
لا سيما أن المؤلف عالم جليل له قدرات كبيرة
في التحقيق العلمي ، وقد استطاع في الترجمة
للأهلام ، والتأريخ للحوادث ، أن يودع
مؤلفه جانباً من المعلومات تعتبر بمثابة مرجع
موجز سريع ، يفيد منه الدارس والقارى معاً .

* * *

٣ - الاسم . . . للصبيوية :

للأستاذ اسماعيل مظهر .

كتاب جديد لأستاذنا نشرته دار النهضة
العربية بالقاهرة ، وهو على صغر حجمه
يحمل بين دفتيه معاني كبيرة على جانب من
الخطورة ، هي في مجموعها عرض للخطوط
البارزة للإسلام الذي رضيه الله لعباده ،
ثم دقاع عنه موجه إلى أعدائه المتربصين به
الدوائر ، وإلى أتباعه المتخلفين من ركب
الحياة الصحيحة التي رسمها الاسلام نفسه .

فالإسلام دين الفطرة التي فطر الله للناس
عليها ، وهو دين الانسانية التي تقدر حياة
الفرد وكرامته وحرية .

ويناقد أستاذنا فكرة الاسلام ديناً
ودولة ، فيقرر أن الحقيقة الرائعة المستمدة
من طبيعة الرسالة الاسلامية وأصولها

إلا أن المؤلف - عفا الله عنه - يكشف
عن نفسه في بقية الكتاب ، فهو يقرر
بأسلوب سلس ، أن مؤامرة دبرت على رأسها
الشيخان : (أبو بكر وعمر) لتنجية (علي)
عن الخلافة ، ويأخذ عليهما أن أمر الخلافة
حملهما على أن يتركا رسول الله - صلوات
الله عليه - مسجى ، ويتهما بأمر جماعة
المسلمين ، ولا يقنعه : أنه كان من الممكن
أن يندلع طيب الفتنة ، لو لم يظهر حزم
عمر ، ويجمع أمر الجماعة على خليفة لرسول
الله ، كان صفيه وخليفه ونائبه في الصلاة
حين ثقل عليه المرض ، وقال عنه - صلوات
الله عليه : إن إيمانه يرجح إيمان الأمة بأسرها .
والعجيب أن الروايات والأحاديث التي
ساقها المؤلف ورأى فيها دليلاً على أحقية
(علي) بالوصاية على المسلمين ، ليس فيها رأى
قاطع أو شبه قاطع ، والتأويل يقوم بدور
خطير في القضية ، كما أن الروايات المتراخية
التي تشبك بها الشيعة ليست بأحسن حالا
من روايات وأحاديث (سيف بن عمر)
مبتكر أسطورة (عبد الله بن سبأ) .

وليس التشكيك في خلق (الشيخين)
وضميرهما بالشئ الحسين السلم ، وقضية
الوراثة في الخلافة الإسلامية في الحسك
عما لا يقره الاسلام في كثير أو قليل ،
ولا يرضاه الاسلام لبني هاشم أو بني أمية ،

تقيضان وشتان ما بين نظام يقوم على حرية الفرد والشورى والعدل والمساواة ، ونظام يقوم على الاستبداد الفردى وحرب الطبقات..! ولكن أستاذنا يقول فى صفحة أخرى :

إن حد الدين فى الإسلام شئ ، وحد الدولة شئ آخر ، والحدان بينهما برزخ ، حتى لا تبغى ناحية منهما على أخرى ... من هنا أعتقد اعتقادا جازما أن الدين والدولة منفصلان تماما فى مفهوم الإسلام ، وأنهما لا يلتقيان إلا فى ناحية واحدة ، هى أن ما شرع للدولة وما شرع للدين فى الإسلام ، كلها فرائض فى عنق المسلم ، من غير أن يكفى الدين على فرائض الدولة . وبالعكس .

ولست أدري كيف يستقيم هذا القول مع قول آخر للؤلؤف : الإسلام فكرة جامعة ، ومعنى الفكرة الجامعة أنه دين ودولة ، ومهما حاول البعض أن يخرج عن الإسلام هذه الصفة ، فسيظل فكرة جامعة تجمع الدين والدولة فى فكرة واحدة ، هى فكرة الدفاع عن المجموع الذى يستظل بظل الإسلام .. ؟

إن مصادر الإسلام السليمة وفى مقدمتها : الكتاب والسنة المعتمدة - هذه المصادر ، شرعت للدين أصوله ، والدولة أحد هذه الأصول ، ولا يشذ الأصل الخاص بالدولة عن استمداد تنظيماته من الدين ، وإذا فهمنا

وفروضها وسننها هى أن الإسلام : دين ودولة ، فى الرسالة لا ينفك إسلام عن دولة ، ولا تنفك دولة عن إسلام ، ورسالة الإسلام مخالفة لجميع الرسائل التى سبقتها ، ومن هنا كان المعنى المستفاد من أنها مكملة الرسائل وخاتمتها .

ثم يعد له المؤلف كليات الإسلام التى تتجه جميعها إلى خير الإنسان - والإسلام جاء من أجل الإنسان - وهى أولى الكليات ، والثانية أن الإسلام روح قبل أن يكون نصوصا ، والثالثة أن الدينيات المباحة المطابقة لروح الإسلام سابقة فى الأفضلية على الأخريات والرابعة أن رسالة الإسلام رسالة الحرية والاستقلال ، والخامسة أن رسالة الإسلام مرنة فيها طواعية لحاجيات البشر ، والسادسة والسادسة أن الإسلام رسالة لا تعقيد فيها ، والسابعة أنها رسالة العلم والفكر ، والثامنة أن الحكم فى الإسلام يقول على الشورى ، والتاسعة أن التقوى أساس المعاملة ، كما أن العدل أساس الحكم ، والعاشرة والأخيرة ، أن رسالة الإسلام دولة تقوم على هذه الكليات...

وبعد أن يعرض للغزوين اللتين وجهتا إلى الإسلام : الغزوة الاستعمارية ، والغزوة المادية الإلحادية الدموية ، يأخذ بنواصى الشيوعية ، ويفند أوهاماها ، ويأتى على أصولها ، ويقرر أن الإسلام والشيوعية

الثاني عرض بضعة وعشرين جانباً : في القدوة العملية ، فلسفة الاحتياج ، حاكم التوفيق ، قدسية العلم ومكانة العلماء ، بين الإنسانية والانانية ..

والأديب الحجازي ، يلجأ إلى ساحة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعرض المعاني الكبرى ، والقضايا الحية ، مستشهداً به في أسلوب تحليل خصب ، يمتزج بسلاسة اللفظ ، وعمق المعنى ، وقوة الحجج ، وبالقصة القصيرة لاستخلاص عظمة ، واستنتاج فكرة ، ويتجه نحو المعنى الإنساني ليعرزه إبرازاً ، ويحوطه بهالة من الجلال والعظمة .

إنه اتجاه جديد في إيصال معاني القرآن من أقرب طريق ، وفي أيسر أسلوب ، دون ما لجوء إلى مناقشة بينظيرية عملة ، أو تأويل مرهق للذهن ، أو غموض مشوش للتفكير . ولكن الكتاب الأديب في بعض الأحيان تحمله الغيرة الإسلامية على أن يسمح للأسلوب الخطائي بالتسلل إلى أسلوبه ، كما أن عنصر المناقشة الهادئة فقدناه كثيراً في كتابه ، إذ أن للبادئ والمثل العليا التي طرقها ما يقابلها من مبادئ ومثل دنيا ، كانت في حاجة إلى مناقشتها والخذلها بنواصيها لا سيما وأن الأستاذ جمال عود أسلوبه أن لا يطرق باباً من أبواب التزلف ، وألا يفتح نافذة من نوافذ النفاق ، والتزلف والنفاق

من القول الأول للأستاذ ، أن يكون الدين مجرد صلة بين العبد وربّه ، فلن يكون ثمّة فرق بين هذا المفهوم وبين مفهوم المحاولين لهدم كيان الإسلام عن طريق حصر الدين في أن يكون مجرد صلة بين العبد وربّه ، وترك الدولة تحت سيطرة أهواء وشهوات الحاكمين بأمرهم ! والمؤلف لا ينكر أن في التشريع قواعد أصولية تضمن للدولة أن تسير الحياة وتطورها ، وحيثما كانت المصلحة فثمّ شرع الله كما يقول الأصوليون .. وللمؤلف بعد ذلك تقديرنا لقلبه وفكره . . .

٤ - مبادئ ومثل :

للأستاذ أحمد محمد جمال

المؤلف أديب حجازي ، وعضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية ، وهو يواصل الكتابة تحت عنوان : (على مائدة القرآن) وحلقته هذه هي الحلقة الرابعة التي نشرتها في كتاب « مكتبة الثقافة » في مكة المكرمة .

جاء الكتاب في فصلين كبيرين ، تناول الأول ، مبادئ ومثلاً لإصلاح الفرد والأسرة ، وتناول الفصل الآخر : مبادئ ومثلاً لتوجيه المجتمع والدولة ، ولقد عرض في الأول بضعة عشر جانباً في الأبوة والأمومة ، الحقوق والمعقوق ، قضية المرأة ومشكلة الاتّمي ، قوامة الرجل ... وفي الفصل

عابرا دون أن نتال ما هي جدرة به من المناقشة ، وهي تمثل اليوم في اقتصادنا مشكلة قائمة هتيدة .

يكادان يمثان اليوم ومن قبل هناك ، جزاء من كيان معظم الأدباء .

٥ - بناء الاقتصاد في الإسلام :

٦ - برطانه الدماء :

للأستاذ زيدان أبي المسكارم

للأستاذ عبد الحليم حفنى بكرى
هذه دراسة فازت بجائزة وزارة الشؤون ،
والمؤلف شاب من خريجي كلية اللغة العربية ،
كانت دراسته حول (الثأر) واعتمد فيها
على واقع البيئة التي درج ونشأ فيها ، وهي
إحدى قرى الصعيد حيث يتفاعل الثأر في
حياة الناس هناك ، ويمتزج بكل أحاسيسهم
ومشاعرهم ، ويحتل جزءا مهما في كيانهم .
أعجبني في المؤلف عنايته بتقديم إحصائية
عن البيئة موطن البحث ، ودراسة موجزة
عن الثأر بين الشعوب ، وعادات تتعلق
بالثأر ، والثأر بين للتشريع الإسلامى
والقانون الوضعى ، ثم وسائل العلاج لهذه
المشكلة المستعصية ، ومن هذه الوسائل
التسك بالتشريع الإسلامى فى القصاص .
هدم الإفراج عن القاتلين إلا بعد انتهاء المدة
المقررة ، العناية بتكوين جماعات أهلية للصالح ،
نشر الثقافة فى المجتمع الرينى ، محاربة البطالة .
لقد اعتمد المؤلف على الوقائع التي حدثت
فى البيئة ، ومنج مناقشته بالآراء الإسلامية
والاجتماعية ، واستحق بذلك جائزة وزارة
الشؤون .

محمد عبد الله السماره

هذا الكتاب نشرته مكتبة دار العروبة
فى القاهرة ، والمؤلف عالم فاضل ومبعوث
وزارة التربية فى ألبانيا كمدرس فى جامعتها .

جاء البحث فى ستة فصول : الاقتصاد
فى مكة فى ضوء القرآن ، ثم فى ضوء السنة
والسيرة ، والاقتصاد فى المدينة فى ضوء
السنة أيضا ، ثم توجيه الإسلام للاقتصاد ،
ثم موقف الإسلام من علم الاقتصاد - هذا
وقد قدم لدراسته يبحث موجز عن
الروحية والمادية .

رى المؤلف أن الإسلام فى توجيهه
للاقتصاد ، رسم قواعد التخطيط ، فوضع
قانون التسعيرة ، وحرم الربا والاستغلال ،
وضمن كفالة الضعفاء .

الحق أن فضيلة الشيخ زيدان أبي المسكارم
استوعب بين دفتى كتابه فصوصا قرآنية
وأخرى من السنة والسيرة ، والسكن الذى
نأخذ على فضيلته أنه أسهب فى النقل دون
تعقيب مناسب ، كما أن دراسته خلت من
هتصر المقارنة ، فهو لم يتعرض منه قريب
أو بعيد للذاهب الاقتصادية المعاصرة ،
وموقف الإسلام منها ، وهذا نقص كنا نود
أن يتلافاه ، كما أنه مر بقضية الربا مرورا

بين الصحف والكتب

عهدت المجلة إلى الأستاذ عبد الرحيم فودة أن يقدم لقرائها تحت هذا العنوان مختارات مما يقرأ في الصحف والكتب ، وهي ترجو أن يجد فيها القراء مأدعة فكرية شبيهة واسعة متنوعة .

الحل الأول هو الحل الأخير :

في واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع لأن مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة إنسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل إلى حلها إلا بقرينة الشعور الإنساني في نفوس الجماهير وتوثيق أو اصر الأخوة الإنسانية بين البشر .

... ويسمع الأغنياء هذا فيقولون : قد سمعنا ووعينا فسنبذل لهم مختارين ما تطيب به نفوسنا من الإحسان ليعيشوا . فيردذو المهنة : ليس إحسانا ما نطلبه ولكنه حق لأنه ثمرة ما بذلنا من جهد ، وثمن ما نؤديه من عمل . ويسمع الوسطاء ما قال هؤلاء وما قال أولئك فيتسائلون فيما بينهم ، أيهم أصاب وأيهم أخطأ . ؟ أهو إحسان أم حق . ؟ ثم يميل بعضهم إلى هذا الجانب ويميل بعضهم إلى ذاك . وتتعدد الآراء . وتتعارض المذاهب ، وتصطرح العقول والقلوب . وتنشأ الجماعات المختلفة . تدعو كل جماعة منها لمذهب ، ويشغل الفلاسفة وأهل الفكر في كل أمة ليخترعوا نظاما ، يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية . والاشتراكية . والنازية . والفاشية . والشبهوية والفوضوية ، وعن نظم مادية أخرى لا يكاد يبلغها الإحصاء . وليس

ونقف نحن العرب والمسلمين في هذا الجانب من العالم نشهد الصراع الذي يدور بين الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب ، فنعجب أشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين في سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ؛ لأن مشكلة الفرد والجماعة التي حيرت كل المفكرين والفلاسفة في أوروبا منذ قرنين أو منذ قرون ، قد وجدت الحل الصحيح في بلادنا منذ ألف وثلاثمائة سنة .. منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو إلى الأخوة الإنسانية ، ويفصل مبادئ العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوي والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة . من غير طغيان على حرية الفرد ،

تدفعه إلى ما ينفعها ويشبعها ولو من طريق
الإثم والظلم والعدوان والظغيان ...
هذه الغرائز لا يكفي العقل وحده في صدّها
وردها إلى الحق والعدل والصرّاط المستقيم
بل إن هذه الغرائز قد تحكم العقل وتستخدمه
سلاحاً لهتك الحرمات وسفك الدماء .

ولو أن عاقلاً فاضلاً أو جماعة من العقلاء
الفضلاء استوحوا حاجة المجتمع إلى العدل
فوضعوا قوانين تمنع الظالم أن يجمع
والكاذب أن يضيع والمجرم أن يجرم .
والحاكم أن يظلم .. لكان الخضوع لها في
منطق المنحرفين — وما أكثرهم في كل بيئة
ومجتمع — خضوعاً لقوة ماثلة أو معادلة وغرماً
لا يقبلونه إلا مرغمين كارهين ، فإذا حانت
الفرصة التي تمكنهم من الانتفاض والانتفاض
— وكثيراً ما تمحّن — تمرّدوا واستأسدوا
وانطلقوا بكل قواهم يعصفون بكل القيم
والمثل وقوانين الأخلاق ...

ومن ثم كانت معجزات الأنبياء —
مع ما فيها من دلائل على أنهم صادقون فيما
يبلغون عن الله — تذكيراً بالقوة العليا التي
يتساوى الجميع في العجز عنها والفقر إليها ...
وكانت شرائع الأنبياء من عمل هذه القوة
التي تحكم ولا تظلم : « يا أيها الناس أقم
للفقراء إلى الله واقفه هو الغني الحميد . إن يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز » .

من جريدة الشعب « عالم »

ولا إذلال له . ولا إنكار لذاتيتة : « إن الله
يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .
ذلك هو النظام ، فليكتف المفسكرون
والفلاسفة بما بذلوا من جهد ، ولا يبحثوا
منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد
والمجتمع ..

إن عندنا الحل

الحل الأول الذي نزل به الوحي على نبيينا
منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وهو الحل الأخير
لمشكلة الإنسانية .

الرئيس جمال عبد الناصر

من كلمة كتبها لتقديم كتاب للعدالة الاجتماعية
(اخترنا لك)

الحاجة إلى هداية الرسل :

حاجة العالم إلى هداية الرسل كحاجة
الإنسان إلى العقل والقلب ...
فأنا وأنت وهو . وكل فرد بإزاء فرد في
مجتمع ، وكل مجتمع بإزاء مجتمع في أمة .
وكل أمة بإزاء أمة في هذا للعالم . تحكمنا
غرائز فردية وجماعية . فمن أثره جائحة طامعة
لا تشبع ولا تقنع .. إلى حب استعلاء
وكبرياء يدفع إلى ازدراء أقدار الضعفاء
واحتلال أرضهم واستئلال رقابهم .. إلى
آخر ما ركب في الإنسان من ميول وشهوات

طلع الصباح :

الله أكبر إن دين محمد

وكتابه أقوى وأقوم قبيلا

لأنذكروا الكتب السوالف عنده

طلع الصباح فأطفا أنقديلا

من كتاب الوحي المحمدي « البوصيري »

أعجب ما رأيت :

قيل للهلل بن أبي صفرة ما أعجب ما رأيت

في حرب الأزارقة « من الخوارج » قال :

فتى كان يخرج إلينا منهم في كل غداة .

فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عني لو درت

مقارعتي الأبطال طال نحيبها

إذا ما التقينا كنت أول فارس

يجمود بنفس أنقلها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلا أقعده ،

فإذا كان للغد عاد إلى مثل ذلك .

من مختار العقد الفريد

بعضه الرمال :

بعض الرجال حديد حين يقرعه

خطب وبعضهم أوهى من الخنزف

فلا تزعك الغواشي وهي مقبلة

فعل الجبان الذي يخشى من الخلف

ولا تقف في صهب الريح ملتويا

كالواو والياء بل قف وقفة الأسد

من ديوان الأسمر

محمد الأسمر

الأكراد عرب ! .

والكرد بالضم جميل من الناس معروف

والجمع أكراد ، وأنشد :

لعمرك ما كرد من أبناء فارس

ولكنهم كرد بن عمرو بن عامر

ففسهم إلى الين ١٠٠

« لسان العرب »

ألفاظ القرآن وألوانه الطيف :

وتقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها

من الشفوف والملاسة والإحكام والخلو

من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به

مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة

حديث ، كأنك لا تسمع كلاما ولغات ،

بل ترى صوراً وحقائق ماثلة . وهكذا

يخيل إليك أنك قد أحطت به خبرا ووقفت

على معناه محذورا . هذا ولو رجعت إليه

كرة أخرى لرأيتك منه يازاء معنى جديد ، غير

الذي سبق إلى فهمك أول مرة ، وكذلك ...

حتى ترى للجملة الواحدة ، أو الكلمة

الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو مختل

للصحة . كأنما هي فص من الحاس يعطيك

الفكر الحر :

أحب الفتى أن يستقل بنفسه
فيصبح في أفكاره مطلقاً حراً
وأكره منه أن يكون مقلداً
فيحشر في الدنيا أسيراً مع الأسرى
من ديوان الرصافي ،

عظيم في كل ميزان :

إن محمداً عظيم في كل ميزان . . .
عظيم في ميزان الدين ، وعظيم في ميزان
العلم ، وعظيم في ميزان الشعور ، وعظيم عند
من يختلفون في العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا
في الطوائف الأدمية إلا أن يرين الغضب على
الطباع فتتحرف عن السواء وهي خاسرة
بانحرافها ولا خسارة على السواء . .

إن حمل محمد لكاف جد الكفاية لتحويله
المكان الأسنى من التعظيم والإعجاب والثناء .
لأنه نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى
الإيمان بالله ، ولم تكن أصناماً كأصنام
يونان يحسب للعجب بها ذوق الجمال إن فاته
أن يحسب له هدى الضمير ، ولكنها أصنام
شائعات كتعاويد السحر التي تفسد الأذواق
وتفسد العقول . فنقلهم محمد من عبادة هذه
الهامة إلى عبادة الحق الأعلى ، ونقل
خالق الكون الذي لا خالق سواه ، ونقل
العالم كله من ركود إلى حركة . ومن فوضى

كل ضلع منه شعاعاً فإذا نظرت إلى أضلاعه
جملة بهرتك بألوان العطيف كلها ، فلا تدري
ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت
النظر فيها إلى غيرك رأيت منها أكثر مما رأيت ،
وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان ، يأخذ
منه كل ما يسره ، بل ترى محيطاً مترامياً
الأطراف لا تحده عقول الأفراد
ولا الأجيال .

(النبأ العظيم)

الدكتور محمد عبد الله دراز

أمام القضاء :

وشكا يهودي علياً إلى عمر بن الخطاب في
خلافه عمر . فلما مثلاً بين يديه خاطب عمر
اليهودي باسمه بينما خاطب علياً بكنيته فقال له
يا أبا الحسن ، حسب عادته في خطابه معه ،
فظهرت آثار الغضب على وجهه على فقال له
عمر : أكرهت أن يكون خصمك يهودياً .
وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة . . .
فقال علي : لا . ولكنني غضبت لأنك لم
تسوّ بيني وبينه ، بل فضلتني عليه إذ خاطبته
باسمه بينما خاطبتني بكنتي (والخطاب بالكنية
كان أسلوباً من أساليب التعظيم للخطاب) .
(من حقوق الإنسان في الإسلام)

الدكتور علي عبد الواهر داني

لا ترون لانفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظالم إنه ظالم .

الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق ، وقد ابضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة في إعلاء كلمة الحق التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من حياتها ، ألا فلتعلم الحكومة الانجليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر، ويتغلغل في لجج الدواهي والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعماري ولا يردده عن دينه وأداء فريضته .

إني أقول حقا . إنه لا يؤلمني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبي ، وأنها لا تحاكمني إلا لأن تزجني في السجون ، إذ هذا أمر لا بد منه . . وإنما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما . فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق الشهادة والقول الحق . يطلب منه السكوت عنه وكتان الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون المستعمرات يعاقب عليه .

أبو الكلام آزاد

من مجلة ثقافة الهند ، .

إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية كما لم ينقله قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات .

إن عمله هذا لكاف لتخويله المكان الأسنى . بين صفوة الأخيار الخالدين ، فما من أحد يضئ على صاحب هذا العمل بالتوقير . ثم يمجود بالتوقير على اسم إنسان . (من كتاب عبقرية محمد) (العقاد) .

مه قصص الانزهاام :

إني مسلم . . ولأني مسلم وجب علي أن أندب بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه . إن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس بالقوة ولا هو القوة بل الحق هو الحق ، وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويفطم ويسخرهم ، الناس كلهم متساوون في الإنسانية ، متساوون في الحق متساوون في الحياة ، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب ، وإنما معياره العمل وحده فأعلام قدرا وأكرمهم حسبا أحسنهم عملا وأتقاهم لله . إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الإنسانية ، فإن كستم

بريد المجتلة

مخالفات دينية في فيلم :

أرسل الإمام الأكبر رسالة إلى السيد كمال الدين حسين نائب رئيس الجمهورية الكتاب الآتي :

السيد كمال الدين حسين .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :
فإننا إذ نكتب إليكم اليوم نرجو أن يكون هذا الموضوع محل رعاية خاصة وتوجيه يحفظ هلينا ديننا ويبقى على مقوماتنا وحتى نكون عبادتنا محل احترام وقداسة .

نقل إلينا بعض من تثق فيهم أن إحدى دور السينما تعرض الآن فيلم (والإسلاماء) . وقد حدثونا أنه يعرض في بعض أجزائه للصلاة فيمرضها في صورة هزلية لا تعرف إلا هتد الأطفال أو المجانين ، ولا تصور حقيقة ولا تؤدي بكيفيتها التي جاءت إلينا من الرسول صلى الله عليه وسلم . إذ بعد تكبيرة الإحرام يهون ساجدين مباشرة من غير قراءة ولا ركوع .

وأنتم تعرفون مدى ما يتركه هذا الجهاز في نفوس أبنائنا وبناتنا ، فهو بهذه الصورة يدع الخطأ في العبادة يتسرب إلى أذهان من جهلوا الصلاة ، أو التشكيك في معلومات من

عرفوها وتعلوها . وما أخرى أجهزة الرقابة أن تكون على بصيرة من هذه الحقائق حتى تستطيع أن تحبس عن الجمهور ما يشكك في العبادات والحقائق الدينية ، بل يفغى أن تتخذ من هذا الجهاز وسيلة للتعليم وطريقا للتنذيب حتى يكون طريق خير ووسيلة لإصلاح لا وسيلة شر وسبيل لإفساد ، وحتى يعلن عنا أحسن إعلان وأطيبه .

كما نقلوا إلينا أنه قد عرض لشخصية إسلامية وطنية لها في نفوس العلماء والمسلمين الحب والتقدير والاحترام بما يهبط بمستواها في نظر الجماهير ، عرض للشيخ العز بن عبد السلام الذي كان له الموقف الوطني الرائع في القضاء على التتار ، وكان من جرأته أن ألقى فتواه المعروفة التي لم يخف فيها في الله لومة لائم ، فعله ووطنيته وقوته في دينه وسمو خلقه كل هذا يأتى أن يدع بحالا لخرج الفيلم أن يزعم على هذا العالم أنه حضر حفلا راقصا بمناسبة زفاف شجرة الدر ، وهذا لا يتناسب مع مركزه وعلمه ولا يتفق وكرامة العلماء من يدعون إلى الفضيلة ويوجهون إلى الخلق ويأخذون الناس إلى الاستقامة ، وينشئون الأجيال تنشئة صحيحة

الامة ، والملاحظات الاخرى التي نقلت
إليكم عن فيلم «وا إسلاماه» .

وإني إذ أشكر لفضيلتكم هذه الغيرة وهذه
اليقظة لأشارتكم الرأى فى ضرورة حماية
شباب الامة من كل ما يمكن أن يؤثر فى
تكوينهم وفى سلوكهم ، لىكونوا فى أمتهم ،
كما أراد الله ، جندا عاملين للفضيلة بناءً
لمستقبل الوطن ...

وقد اتخذت إجراءات عاجلة لبحث
موضوع هذه الملاحظات والعمل على تجنب
كل ما يمكن أن يتنافى مع الخلق والفضيلة
أو يصور الإسلام وأبطاله غير الصورة
الصحيحة التي نعتز بها وندعو إليها ، ونرجو
أن نكون قد وفقنا ...

والله يسدد خطانا فى كل ما نحاول للخدمة
أمتنا ووطننا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

نائب رئيس الجمهورية

إمضاء (كمال الدين حسين)

تأنيبُ أفعَل على فعلِي :

أستاذنا الكبير : الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله - وبعد

فقد وقفت فى عدد المحرم سنة ١٣٨١
على قولكم :

«وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى

قويمة . ولذا فإننا نرجوا أن تعملوا مشكورين
على حذف هذين الجزأين من الفيلم المعروض
الآن :

وبهذه المناسبة نأمل أن تعرض الأفلام
على الأزهر قبل عرضها على الناس ، أو على
الأقل أن يعين الرقباء على هذه الأفلام من
بين الأزهريين الذين تشهد لهم كفاياتهم
ومقدرتهم بالقيام بهذا العمل على الوجه
الأكمل . وذلك عن طريق مراجعة الأزهر
قبل تعيينه .

وبذلك نكون قد أرضينا الله وأسهمنا
جميعاً فى بناء مجتمعا على الوجه الذى يرضى الله
ورسوله وحتى تستطيع هذه الأجهزة أن
تكون أداة إصلاح وخير دعاية لنا فى العالمين
الإسلامى والعربى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

فأجابهم السيد نائب رئيس الجمهورية

هذا الجواب :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام
الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله - وبعد

فقد تلقيت الرسالتين اللتين تتضمنان
ملاحظات فضيلتكم على بعض الإذاعات
المسموعة والمنظورة فى الراديو والتليفزيون
وأثرها على الناشئة وتأثيرها فى مستقبل

أشكر الأستاذ الفاضل غيرته على سلامة اللغة وحرصه على مراعاة القواعد ، وأناقش المسألة من وجهين : أما أحدهما فإني أميل إلى الرأي القائل بأن تأنيث اسم التفضيل على فعلى سماعى لا يقاس وتوقيفى لا يطرد .

فلم يقل العرب فى الأبصر والأسمع : البصرى والسمعى ، كما قالوا فى الأكبر والأصغر : الكبرى والصغرى ، فما ورد عنهم من ذلك استعمالناه ، وما لم يرد سويناه فى صيغة الأفعال المذكر والمؤنث ، وهذا قول لا بد من عرضه على مجمع اللغة العربية ليرى رأيه فيه .

وأما الآخر فإن المزاوجة بين الألفاظ والموازنة بين الجمل تجيزان تغيير الكلمة ومخالفة القياس مراعاة لحسن النسق فى الأسلوب فقولى : « إن الظفر فى الصراع الدولى إنما يكون للرأى الأسد ، والقوة الأشد ، والسلاح الأحاد ، اقتديت فيه بسيد البلغاء ، وأفصح العرب : محمد صلوات الله وسلامه عليه إذ قال : « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة ، وهو يريد (ملة) » . وإذ قاله ارجعنى مأزورات غير مأجورات ، وإنما أراد (موزورات) من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصدا للموازنة وحملة المزاوجة ، وليس هذا للتغيير مقصوراً على الحديث الشريف .

ولما وقع أيضاً فى القرآن الكريم فقد قال

إنما يكون للقوة الأشد ، وفى عدد ربيع أول على قول سيادتكم : « إلى الغاية الأكرم » واسم التفضيل إذا كان مقترناً بأل يجب أن يطابق ما قبله فى التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

ولما كان تأنيث الأشد هو الشدّى والأكرم هو الكرمى وليس ذلك متداولاً مشهوراً بيننا . رأيت أن أبين : هل تأنيث اسم التفضيل يوقف عند المسموع منه أو هو قياس مطرد يجوز لنا ولو من غير سماع عن العرب .

لقد عرض النحويون لهذا : فى كتاب التصريح على التوضيح ١٠٤/٢ ، قال أبو سعيد : ولا يستغنى فى الجمع والتأنيث عن السماع فإن الأشرف والأظرف لم يقل فيهما الأشارف والأشرفى والأظارف والظرفى كما قيل ذلك فى الأفضل والأطول ، وكذلك الأكرم والأجود قيل فيهما الأكارم والأماجد ولم يسمع فيهما الكرمى والمجدى .

ويرى الرضى فى كتابيه شرح الكافية والشافية أن تأنيث اسم التفضيل قياس مطرد (شرح الكافية ١٥٥/٢ وشرح الشافية ٢٢٥/٢) .

ولعل مثل هذه البحوث تدعونا إلى تقدير جهود النحويين والعناية بآثارهم ؟

محمد عبد الحالى عضية

التي أوقف فيها حكم الإعدام على متهمين في اللحظات الأخيرة .

وأخذ الكاتب يعرض نماذج من تفكير الدول في محاولتها إلغاء الإعدام ، وتفكير الهيئات أيضا ، ومنها للكنيسة الانجليزية في لندن . .

ونحن لا ندري كيف يحملنا توقع خطأ لم يحدث في التاريخ إلا نادرا ، بل ربما لم يحدث في المائة السنة الأخيرة في شق أنحاء العالم إلا مرتين أو ثلاثا على أكثر تقدير - كيف يحملنا توقع خطأ نادر جدا - والنادر لا حكم له - على أن نلغي نصا قانونيا يؤمن حياة الألوف من البشر .

إن حوادث القتل الخطأ وغير المتعمد والتي يتدخل القدر فيها تقسح في حياتنا بالمشرات كل يوم ، حوادث الطائرات والسيارات وقطارات المسكك الحديدية والفيضانات والزلازل والبراكين . . ومعنى هذا أنه يجب ألا تقوم قائمة لهذه الوسائل ، وأن نبحث عن حل لتجفيف البحار وتثبيت الأرض حتى لا تختطف أرواح المئات من الضحايا البشرية ؟ ؟

و (الحائط المائل) دائما في نظر الكاتب وأمثاله ، هو التشريع الإسلامي ، فهو يقول في نهاية مقاله متسككا ، ومستعدبا على ما تبقى من النصوص الإسلامية :

شمس الدين بن الصائغ في كتابه (لأحكام الراى في أحكام الآى) : « وتبعت للأحكام التي وقعت في آخر الآى مراعاة للنسابة فعمرت منها على نيف وأربعين حكما ، نذكر نحن منها على سبيل المثال تقديم ما هو مؤخر في الزمان نحو وقف الآخرة والأولى ، والإفراد في موضع التثنية نحو « لا يخرجنك من الجنة فقتلى ، بدل فقتيان ، وتغيير بنية الكلمة نحو طور سينين بدلا من طور سيناء والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

أحمد حسن الزيات

حول عقوبة الإعدام :

منذ أيام كتب كاتب كبير في جريدة « أخبار اليوم » تحت عنوان جاء في شبه سؤال أو تساؤل « عقوبة الإعدام . . وهل تبقى أم تلغى » .

عرض الكاتب آراء المؤيدين لإلغائها ، وآراء المعارضين لهذا الإلغاء ، وحجة المؤيدين تكاد تنحصر في أنه إذا تبين فيما بعد أن المتهم برىء فما من سبيل لإصلاح الخطأ الذى وقع للقضاء فيه . . . الحكم بالغرامة أو الحبس يمكن لإصلاحه برد الغرامة والتعويض . . . أما الإعدام فلا حيلة فيه بعد تنفيذ الحكم ؟ ؟

وقد أمارت الكاتب القضية الأخيرة

أو اعتراف يبرر الحكم بالإعدام . . . إنه ليس بالدعوى قرينة قوية على ارتكاب المتهمين جريمة قتل القواء . . . وليس في القضية دليل من الأدلة الثلاثة التي يلزم توافرها للحكم بالقصاص شرعا ، وهذه الأدلة الثلاثة هي : الاحتراف والبيئة والقرينة القاطعة . والمحكمة أن تقدر الشبهة التي حاطت بالمتهمة وتوقع عليهما عقابا آخر خلاف القصاص الذي ينبغي أن يحتاط فيه بما لا يحتاط في غيره من العقوبات الأخرى .

أيهما أدق في الاحتياط وأبعد في الحرص على دماء المتهم ؟ وهذا هو التشريع الإسلامي ؟ نحن لا فسوق آراء رجال القانون التي تؤيد بقاء هذا الحكم - وهم أقدر على فهم وإدراك حاجات المجتمع -

السادة : المستشار كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة العليا ، والمستشار كامل الجهنساوي ، والأستاذ على نور الدين رئيس نيابة أمن الدولة يقولون بضرورة الإبقاء على عقوبة الإعدام ، بل إن إدارة التشريع بوزارة العدل تؤيد الإبقاء لأن العقوبة حماية للأمن وتطهير للمجتمع ، والإعدام عقوبة وقائية علاجية ولا يمكن لمجتمعنا الاستغناء عنها ، ورأى إدارة التشريع هو الذي بعث به إلى هيئة الأمم المتحدة التي طلبت آراء الدول الأعضاء في عقوبة الإعدام . . .

وأما القول بأن الشرائع المنزلة نصت على إعدام القاتل . . .

فيمكن الرد عليه بأن نفس هذه الشرائع السبائية نصت على قطع يد السارق ، ورجم الزاني والزانية بالحجارة حتى الموت .

فهل هناك من يعمل بهذه النصوص المنزلة أو يطالب بالعمل بها ؟

والكاتب يحفل تماما أن الشريعة الإسلامية لا تضارع بأية تشريعات وضعية في الاحتياط من تنفيذ القصاص . فإن فقهاء التشريع الإسلامي يشترطون شروطا في غاية الدقة لتوقيع القصاص على القاتل منها : التأكد من التعمد دون أية شبهة ، وموافقة أولياء الدم على تنفيذ القصاص ، والشرط الأخير ليس له وجود في الشرائع الوضعية ، والجريمة لا تثبت على المتهم إلا بأدلة قوية لا تقبل مجرد الريبة والشك .

والقضية المثارة في هذه الأيام بشأن المتهمين الذين أفلتا - مؤقتا - من حبل المشنقة ، كان للفتى الممثل للتشريع الإسلامي رأى يطالب بعدم توقيع عقوبة الإعدام على المتهمين ، ولما لم يكن رأى المفتى الديني إلا استشاريا فقد أهمل ، ولقد قال المفتى للصحف : إنه ناقش أدلة الانهاك فانهتج منها إلى هدم وجود شاهد رؤية للحادث فضلا على إنكار المتهم الأول ، مما يعدم وجود دليل

كل بما زعم الناعون صرهن :

تناقلت بعض الأفواه في المملكة السعودية والجمهورية التونسية نعي الأستاذ رئيس تحرير هذه المجلة ، فكتبت صفحتهما الفصول الطوال في رثائه ، وكان من هذه الصحف مجلة الجزيرة التي تصدر عن الرياض فكتبت مقالين صافيين أحدهما بقلم الأستاذ عبد الله ابن خميس رئيس التحرير ، والآخر بقلم الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل ، ثم كذبت الخبر في الصفحة الأخيرة من المجلة ، فلما اطلع الأستاذ على النعي والرثاء والتكذيب أرسل إلى المجلة كتابا نشرته في عددها الأخير ، وقدمت إليه بقولها :

الزيات بعقب على رثاء الجزيرة :

« على أثر الإشاعة السيئة الكاذبة التي أشيعت بموت الأديب الكبير أحمد حسن الزيات سكبت الجزيرة دمعة حارة لذلك ، وبعد أن اطلع أديبنا الكبير على هذا الرثاء تفضل بهذه الرسالة الرقيقة مد الله في حياته ومتعه بالصحة والسعادة . »

وهذه هي الرسالة :

أخوى الأحرار عبده الله بن خميس وعبد الرحمن بن فيصل بن معمر .

لأول مرة في تاريخ الإنساف يقوم ميت ليعذر من نعاه ويشكر من رثاه .

ولأول مرة في تاريخ الأدب يقوم كاتبان

أما إن الكنيسة الانجائية تطالب منذ سنوات بإلغاء عقوبة الإعدام وحجتها مستمدة من روح الدين المسيحي ، فلتوجه عظامها إلى حكومة بريطانيا ، التي سفكت ظلما ولا زالت تسفك دماء الألوف من سكان مستعمراتها في آسيا وأفريقيا .

أما إن برلمان نيوزلندة يناقش منذ أسبوعين فكرة إلغاء عقوبة الإعدام ، فالمؤكد أن مشروع البرلمان يناقش هناك فعلا التفكير في إعادة عقوبة الإعدام التي ألغيت منذ خمس سنوات ، ونشر هذا في أول أكتوبر في صحف القاهرة وبالأخص جريدة الأهرام .

أما منطق الكاتب في أن بعض نصوص الشرع لا تطبق ولا تجدد من يطالب بتطبيقها ، فلم الاحتفاظ بنص عقوبة الإعدام ؟ فقد كنا نود أن لا يتورط الكاتب الكبير فيه . فإذا فرض - كما يزعم الكاتب - أنه لا يوجد من يطالب بتطبيق جميع نصوص الشريعة الإسلامية الملغاة ، فمن يكون هذا مبررا لإلغاء ما تبقى من النصوص حتى ولو كانت ضرورية لصيانة أمن المجتمع ؟

إن توقف إحدى اليدين عن أداء وظيفتها بسبب الشلل مثلا لا يبرر قطع اليد الأخرى ، ما دام العلاج قد فشل في معالجة الأولى .

محمد عبد الله السحمان

في أنسكا حققنا لي أمنية لم تتحقق لحي من قبل ، وهي أن يقرأ الميت بعينيه ما كتب عنه بعد موته ، مد الله في عمري كما حتى تعودا فتجودا بصيب الرحمة وطيب الرثاء ثراى المحرور في مشواى الجديد ، والله يحفظكما .

أصحح حسن الزيات

حديث بين رئيس البعثة الأزهريّة في الصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية .

جربى بين رئيس البعثة الأزهريّة بالصومال ومدير التعليم بوزارة المعارف الصومالية حديث تناول مختلف الشئون ، وبما جاء فيه :
١ - كيف انتقلت من الأعمال الإدارية إلى ميدان التعليم ؟

من أهم الأشياء التي دفعتني إلى للتعليم حادثة أثرت في نفسى تأثيرا بالغا . . . ذلك أن حضر إلى طفل صومالى ، وأنا أشتغل بالإدارة في بربرة ، وكان معه رجل متنصر من الصومال . جاء الطفل وطلب منى ورقة ليؤذن له بالسفر إلى عدن .

فقلت له : لماذا يا بنى تذهب إلى عدن ؟ وأنت طفل صغير ؟ ؟
فقال . . لأصير كافرا ١١١ .

فعرفت من ذلك أنهم يريدون أخذه لمدرسة تبشيرية إلى عدن ... فسألته لماذا تصبح كافرا ؟ فقال . . لأنعلم الإنجليزية ،

يجوز عليهما ما يجوز على الناس في هذا العصر من كفران بالجلال ونكران للجميل فينثران معنى الوفاء ثرا كأزهار الروض عطر الألفاظ نضير الجمل على قبر كاتب غريب لم يرياه في مكان ولم يعايشاه في وطن ولم يلابساه في صداقة ، وكل ما بينهما وبينه صلة أدبية طامة يكفى في التعبير عنها إذا قطعها الموت كلبة بمجلة تكتب من وراء القلب فتنبى الحرج وتدفع الملام وتشغل حيزا من المجلة ، ولكن ما كسبتاه يا أخوى نمط آخر غير ذلك كله : عبرات من الكلام لا يسكبها إلا قلب ابن بار على أب حنون ، وزفرات من الأسى لا ينفضها إلا صدر مؤمن أسيف على أخ شهيد ، وشهادتان لذوى عدل كل ما أتمناه على أهل أن يدرجوهما في كفى لآلئى بهما الله .

أقدمت في (الجزيرة) وكل حى سيموت ، ولقد بعثت في (الجزيرة) وكل ميت سيموت . والبعث عمر جديد وأجل مستأنف . والمتنى عاش طويلا بعد أن بعث إلى سيف الدولة يقول :

يا من نعتت على بعد بمجلسه

كل بما زعم الناعون موتهن

كم قد قتلت وكم قد مت عندكم

ثم انتفضت فزال القبر والكفن

وشتان بين من نعانى ونعى أبا الطيب !

نعاه ناعيه للشهامة والصبرة ، ونعانى ناعى للأسف والحسرة . والفضل لك يا أخوى

نصيهم من الحضارة الحديثة ، أعتقد في تقديرى أن مبعثه الأزهر الشريف ، ولو سرنا نحو الحضارة بدون الأزهر ، لما كنا قد وصلنا إلى مانحن عليه الآن ، فالأزهر منتم لتلك الرسالة السامية ...

فقضية الأزهر اليوم هى : قضية آسيا وإفريقيا .

عبد الرحمن النجار

كيف تبني الأوطان ؟

حديث لفضية الإمام الأكبر مع محرر مجلة بناء الوطن .

بناء الأوطان ليس بالأمر السهل ، ولكنه أمر تذوب فيه القلوب وهو بحاجة إلى لبنات طيبة وعناصر صالحة ، وأهم ما تبني عليه الأوطان لبنتان : لبنة من العلم ، ولبنة من القوة .

فلبنة العلم تنير السبل أمام أرباب الوطن فيختارون مواد البناء والأيدى البانسة واللبنات التى يبنون بها .

وبالقوة نرد عن البناء عادية المعتدين ، ومن كل البناء وسويت اللبنات على هذا الوجه من العلم والقوة قام البناء بمهمته وأدى وظيفته فى الحياة من غمخ خوف عليه من

فأليت على نفسى من تلك اللحظة أن أترك الإدارة وأذهب إلى التعليم ، وأعلم الإنجليزية لأمثال هذا الطفل الذى يترك دينه ودين آبائه ليتعلمها ...

٢ - ما مدى تقديرك للأزهر ؟ ؟

أنا أعتبر أن إنشاء الأزهر ، كان هناية ربانية ، ومعجزة من المعجزات ، ونعمة من نعم الله . إتماما لقوله تعالى : : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لهافظون ، فالله تعالى لىكى يحافظ على كتابه يسر لإنشاء الأزهر ، وأمد به برعايته وجعل رسالته شاملة لجميع المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وذلك لىكى يوفى بحاجات الإسلام فى العصور التى كانت مقبلة على الإسلام بعد إنشائه .

ولأتى أعتبر حقا أن المصدر الحقيقى لإنقاذ العالم الإسلامى بما كان يراد به من جانب الاستعمار من إفساد العقيدة الدينية وقتل الروح البشرية هو الأزهر . . وأن جهود الاستعمار بمختلف أساليبه فى سائر أنحاء الأمة الإسلامية كان يمكن أن تحقق أغراضها لولا وجود التأثير الأزهرى الذى تمثل فى روح جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده وأمثالهما من أبناء الأزهر المكافحين .

فخافا أن ما نراه اليوم من التقدم فى العالم الإسلامى ، واسترجاع حرية أبنائه وأخذ

طريق البحث الجامعي الحر ، وهو من جهة أخرى يصل ما بين الطلاب الأزهريين وإخوانهم الطلاب في المدارس المدنية بعد أن فرقهم الزمن واعتبر كل فريق من الطلاب كأنه من أمة أخرى ، لا يجمعهما رباط ولا تشرق عليهما شمس .

والآن والحمد لله يجتمع أبناء المدارس مع أبناء الأزهر في دار واحدة ، وفصل واحد يستمعون إلى أستاذ واحد لفكرة واحدة ، هي فكرة الدين والوطن .

وحسبنا وحسب المسلمين جميعاً من هذا التطوير أن طلاب الثانوية العامة في مدارس الدولة تقدموا لامتحان القبول في كلية : الإدارة والمعاملات ، وأدوا الامتحان بنجاح في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية في العقيدة والأحكام ، وهذا ما كان ليتحقق إلا بعد أهوام وأهوام ...

فليهنأ المسلمون عامة ، وأبناء الجمهورية العربية المتحدة خاصة بهذا ... ونسأل الله التوفيق لهذه الجامعة والرجال الذين يهيمنون على المعاهد الدينية والمدارس ...

أعاصير الأحداث وأحداث الأعاصير .
فعلیکم أبنائی - وأعنی أبناء الصحافة
جیما - بملء القلوب بهذين العنصرين ، فبالعلم
البناء وبالقوة الحفظ والصيانة ، وصدق الله
العظیم إذ یقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخیل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وآخرین من دونهم لا تعلمونهم ،
الله یعلمهم » .

وقوله تعالى : « هل یستوی الذین یعلمون
والذین لا یعلمون » . وسئل رسول الله
صلی الله علیه وسلم عن القوة فقال : « القوة
الرمی وكررها ثلاثا ، فأطلق كلمة الرمی لتشمل
كل ما یرمی به دفاعا عن الدين وهن الوطن .
هذا رأي في بناء الأوطان ، وهي نصیحتی
لك وإخوانك الصحفيين ، فالصحافة مع
الأزهر یكونان جهاز الدعوة إلى الآديان
والأوطان ، وما لم تتفق جميع الأجهزة
وتسير في خط واحد فلن نصل إلى مقصودنا .
أما قانون الأزهر في واقعه وفي نظر من
یقرؤه ویدرس ما فيه ، فهو بدء مرحلة جديدة
تعلی من شأن الإسلام وتظهر مبادئه عن

the earth whether in mountains, seas, rivers, or skies, in his service and for his own profit. He is over and above endowed with all the treasures known or unknown to him and he is on his way to reveal them.

Man's place in the universe was determined as such because he was the creature prepared for gaining the profits of the universe and the creature perfectly shaped and modelled to attain that end.

"Who made all things good which He created, and He began the creation of man from clay; then He made his seed from a draught of despised fluid; then He fashioned him and breathed into him of His spirit; and appointed for you hearing and sight and hearts. Small thanks give you." (S. 32, V. 7 — 10).

Besides life (and breathed into him of his spirit) which is the power to enable man as well as all other living creatures to move and seek his living, man was endowed with hearing and seeing which are the most powerful means of realising what is around him. He also was given the heart which is the abode of belief and creed. Over and above he was endowed with the mind which is source of understanding and conceiving what is beyond touch and vision. By such gifts man was distinguished from all other creatures. For such peculiarities he was given

a special place in the life of this universe. Islam through the call to belief in one God aimed at reviving man's conscience as to such distinguished place and at arousing his sense of human dignity.

Thus the call to belief in one God is mainly a call to man to know himself and to know his peculiar place in this universe and to comprehend his value in this life. It is incumbent upon man out of dignity as a distinguished creature to know his proper place and to realise his inherent values. On the other hand it is rather degrading and humiliating to keep himself within the bounds of the inherited creeds which call for the Worshipping of gods other than Allah such as idols, images, and men who in the order of creation are either below him or on the same footing with him.

The call to monotheism is moreover a call to liberation and liberality, a call to dignity and might and a call to freedom in motion and research throughout the world to reveal its secrets and to solve its riddles. It is man's own right to move and seek in such universe, which the Supreme Creator has bestowed upon him, the mastery of its resources whether in heaven or on the earth and whether over ground or underground.

(Continued . . .)

ideals which are the perfected values. The endeavour to attain such sublimity can only be realised through the belief in Him only, through the belief in the absolute perfection in existence that is Allah. It is by the belief in Him only that one can rid himself from the humility of serving in his Worship a tangible creature, one can free himself from the slavery to a creature either below him in degree or on the same footing with him. The observance of human dignity requires to direct one's worship to a more sublime one than he is to a being over and above him. There is nothing over and above all existing creatures but Allah who is above all and "There is nothing like Him".

In the olden times man worshipped animals as well as idols made of stone. He too worshipped his fellow-man "They Worship besides Allah that which neither hurts them nor profits them, and they say: These are our intercessors with Allah. Say: Would you inform Allah of (some thing) that He knows not in the heavens or in the earth? Praised be He high exalted above all that you associate with Him". (Surah 10. V. 19).

Man had worshipped idols, images, animals and all sorts of things which we have counted and others

which we have not counted save Allah. He had tied himself and his future in life to these terrestrial beings which can not hear the prayers, or even if they could hear them could never respond because they are unable to understand or to act accordingly.

Mohamed's mission, may peace be upon him, called people to believe in one God. His call was the same as the call of the prophets who had preceded him before it was mutilated by the apologists of such religions "And We sent no messenger before you but We inspired him, (saying) There is no God save the (Allah), so Worship Me". (S. 21, V. 25).

In fact Mohammad was sent by God to readjust the human values to revive man's dignity and to correct his status in life and the universe. "He it is who created for you all that is in the earth". (S. 2, 29)".

"See you not how Allah has made serviceable unto you whatsoever is in the skies and whatsoever is in the earth and has loaded you with His favours both without and within". (S. 31, V. 20).

However man's place in life is such as ordained by God to be the sole owner of all that is in earth, to have all what is in Heaven and on

many inherent potentialities and so many latent drives. They all are cropped out to defend his own safety and his own existence by arming him with certain abilities to keep him either powerful to be feared and respected or to show him as a pugnacious warrior who can fight the oppressors.

The Islamic Society :

The Islamic society was formed to realise one end, that is to attain liberation and supremacy. In other words, it was formed to fight weakness and achieve power and authority. The Islamic society has a peculiar status in that it does not confine itself to a limited area or certain race. It is a society which comprises humanity at large. Thus it arises to liberate humanity from the bonds of superstition and soothsaying, to rid it from false beliefs in casuality and images, and in polytheism. It arises, on the other hand, to be free from such bonds and to lead a life of authority and power: an authority to overthrow oppression and slavery an authority to curb itself from ill-deeds, obscenity and adultery, and an authority through performing the duties, a power in spirit and conscience, a power in following the right and performing the good, and power in offering what leads to the achievement of ease and happiness of humanity at large.

As such the Islamic society is both liberal and moralistic.

1) The belief in one GOD.

To liberate humanity from all forms of weakness and humiliation, Islam makes it incumbent upon man in the Islamic society which will be the abode of freedom and liberality to offer his prayers only to Allah and to Him only and never to associate with Him any partner. Allah only is to be worshipped and he is the absolute perfection in existence. "Allah there is no God save Him. His are the most beautiful names".

The attributes of God, praise be to Him, are the traits of perfection for which He deserves to be our Lord and to be worshipped. "That is God, your Lord! There is no god but He, the Creator of all things: then worship you Him: and He has power to dispose of all affairs. No vision can grasp Him, but His grasp is over all vision: He is above all comprehension, yet is as acquainted with all things". (Sourah 6, V. 103).

The belief in one God is the turning point in the life of humanity. It is the turning point between shortsightedness in belief and conception which should disappear and go into oblivion and a far sightedness enabling man to set forth seeking the

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

The Society :

A human society is not a mere gathering of a certain number of people however their counting may be in a certain locality. The human society only exists wherever there is a common case which unites a certain people living in one locality. In contrast, the primitive people never form a society because they are only a collection of people without a common aim. They have nothing to unite their effort. They only live together while each is making his own living and satisfying his own needs of food, drink and sexual desire. Such people remain disintegrated until they find a certain aim for which they work together to achieve a common end. Whenever they realize such collective effort, they turn to be a human society.

The objective of a human society is the achievement of an end which is far beyond the mere satisfaction of any biological desire. It is

the realization of a common object which bears upon their common will as a group of individuals forming by their mutual endeavour the society which unites them all.

Such objective may be the seeking of sovereignty or the liberation from occupation or submission to others. A human being encountering another, he may either endeavour to submit himself to his rule or to struggle to get rid of such rule. Human societies as well through their old and recent history are working along the same lines. They realize their existence or self conscience either through the struggle for sovereignty and supremacy or through the struggle for liberation from the control of others. Thus it is evident that the objectives which the individual seeks to realize in his limited and private life are quite the same as those which the society as a whole seeks to achieve in public life. In each individual there exist so

indeed hearing, sight and heart, all these are favours for the right use of which one is responsible". (XVII, 38). "O you who have believed, if a reprobate comes to you with a report, make certain it is correct before taking action, lest you may injure honest people unknowingly and then you regret what you have done". (XLIX, 6). "O you who have believed, let not one group of people make mock of another; they are possibly better than they; and let not women make mock of other women, they are probably better than they; do not scoff at each other, or revile each other with nicknames Avoid much suspicion. Suspicion is sometimes a sin". (XLIX, 11/12). "Say to the believers that they cast down their eyes and guard their private parts. This is more becoming for them . . . And say to the believing women that they cast their eyes and guard their private parts and show not their ornaments, except so far as they (normally) appear, and let them throw their scarves over their bosoms" (XXIV, 30). "O you who have believed, do not enter houses other than your own until you have familiarised yourself to its inmates and saluted them; that is better for you . . . If you find no one there, do not enter until permission is given to you, and if you

are told to go away, go away" (XXIV, 27/28). "O you who have believed, when you are asked to make room in gatherings, make room; Allah will make room for you" (LVII, 12).

These are the major elements of the Islamic system for a prosperous and happy life. Islam has demanded that all men, subjects and rulers should cooperate towards the observation of these elements of its teaching and should fear God in them. The Qur'an reads, "O you who have believed, have piety, the piety due to Allah, and die not except as Muslims. Seek strength in the bond of Allah as one body and do not separate up . . ." (III, 97/98). "And let there be found of you a community inviting to good, urging what is reputable and restraining from what is disreputable." (III, 100).

This is Islam, and this is the religion of Allah. This is the life planned by God for His creatures. What else can we crave for? There can be no better system and there can be no better organisation. "O you who have believed, enter into the bond of peace altogether, and follow not the steps of Satan." (II, 204).

Wassalamu-alaikum warahmatu-llahi-wa barakatuh.

Therefore, licentiousness and immorality which are destructive to his institution are severely condemned, and abstinence from union outside the wedlock is not only virtuous but is also given the honorific name "Honour!" In this way Islam ensured full cooperation towards the fundamental goals through close-knit and well organised human relations.

Ties of Kinship result in small blood groupings, through which the immediate needs of the individual way be fulfilled. Such grouping, however, is limited in scope and naturally breeds racialism and prejudices. Islam therefore has established the bond of brotherhood which crosses the boundaries of blood and all the barriers of geography and nationalism. On the basis of this bond, Islam has established a nation - The Ummah of Islam - in which all citizens are equal regardless of their origin, their colour or their tongue.

The safety of this nation is the collective responsibility of all Muslims on earth, and measures for defending it against aggressors are to be adequately taken. Sura VII Verses 26-63 read, "Prepare for them whatsoever force and cavalry you are capable of gathering to overcome those who are the enemies of Allah and your

enemies as well as others besides them - whom you don't know but Allah knows. . . . And if they are inclined to make peace, make peace." (VII, 62-63).

In this nation or society of Islam all mutual rights and obligations are well defined, namely, between the individual and his kins, between the individual and his immediate neighbours, between the individual and the rest of the world of Islam and between the individual and his temporal authority. Manners of good conduct and courtesy are given an adequate importance. In this connexion the following passages are quoted; "O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger and those of you who have the command." (IV, 59). "The believers are nothing but brothers." (XLIX, 10). "Do not (be disdainful) screwing up your cheek to the people, and walk not boisterously upon the earth. Indeed Allah does not love any conceited boaster. Be moderate in your gait and lower your voice.." (XXXI, 17/18). "Do not walk boisterously upon the earth; indeed you will not make a hole in the earth, nor yet reach the mountains in stature," (XVII, 39). "Do not seek to peep through the privacies of others,

raïd the earth low for you; so walk about in the regions of it and eat of His provision . . ." and sura IV Verse 33 reads, "O you who have believed, do not consume your property among you in vanity, except there be trading by mutual consent on your part."

While Islam praises work for earning wealth it teaches moderation in spending and condemns extravagance and meanness. It encourages the practice of thrift, and urges those with wealth to be charitable and kind to under-privileged. Sura XVII Verse 28 — 29 reads, "And give to the kinsman his ritgh, and to the poor, and the follower in the way, but do not be extravagant at all. Verily the squanderers are the brothers of the Satans and Satan is to his Lord unthankful." Verse 31 of the same chapter reads, "And neither keep your hand chained to your neck, nor spread it wide open and so sit blamed and impoverished."

In this way Islam has solved the thorny problem of wealth, which for long threatened peace and has been causing endless troubles. Islam thereby has reduced the danger of the financial greed and destroyed the dangerous seeds of communism. It preserved the incentive for work and opened the gates for healthy competition in exploring the potentialities of nature and exploiting them

in the service of mankind. This is in addition to eliminating misery and promoting love and mutual understanding.

The teaching of Islam guides man in the way of communicating with his Creator and in the way of worshipping Him. All the details of worship are given, and they are made in such a way as not to encroach upon the needs of material life. They aim at fostering the ties of brotherhood, among the worshippers by the inspiration of peity and righteousness.

Islam, moreover, has made learning and seeking knowledge a most worthy pursuit. By learning here is meant to seek knowledge of the secret of the universe. Such knowledge strenthens the faith in the Almighty, and helps towards the progress and advancement of the society. In this connexion the Qur'an reads, "Of His servants only those woh have knowledge fear Him." [XXX, 25]. "Say: Ars those who have knowledge on the same footing as those who have not." (XXXIX,12). "Allah will raise up in honour and status, those who have believed and those to whom knowledge has been given." (LVIII, 12).

The stability of the family is of a paramount importance in Islam

series of the Prophets. He is related to have made the following simile, "I, as last, and all the Prophets who were sent by Heaven before me, resembled a house which the architects perfected and which they adorned with all sorts of decoration. A place for one stone was left out empty, however. People went inside the house and admired it. But they would say, how perfect and how beautiful the house is except for that empty space for one stone". The Prophet continued, "I am the stone and I am the seal of the Prophets".

* * *

By harmonising the physical and spiritual needs of the individual, Islam, as we have seen earlier, has assured a happy and prosperous life, and helped society to advance and to progress.

We now propose to discuss the elements in the Islamic teaching which aim at a harmonious and orderly social life where the needs of the individual and those of his community are guaranteed.

In the first place, Islam guided to the belief in truth, in the Unity of the Righteous and Benevolent Creator whom alone our devotion and prayers are to be addressed. The relationship between

man and his Creator, who sustains him and who provides for him, is direct, and there is no intercession or intermediary in Islam. This inspires the individual with the sense of dignity and self-respect, and with courage and justice. He would say the truth because it is the truth, and follows what is right because it is right.

In the second place, Islam encourages hygienic practice, and requires its adherents to be healthy and strong. Any practice and anything that is physically injurious is prohibited, and the believer is instructed to safeguard against infection and the causes of illness. Again, all practices that would adversely affect the intellectual power are not allowed. Therefore wine and opium are to be avoided. Sura V verse, 92 reads, "O you who have believed, wine, gambling, stone alters and divining arrows are simply an abomination, some of Satan's work..." V. (92).

The pursuit of earning by tilling the land or through trade or industry is highly praised, and is reckoned a kind of worship for which reward is assured. Sura LXIV verse 10 reads, "Then when the prayer is finished scatter abroad in the land and seek the bounty of Allah and call Allah frequently to mind..." Sura LXVII Verse 15 reads, "He it is who has

depends on the fulfilment of the needs of the body and the requirements of the soul. Physical enjoyment, however, should not encroach upon the spiritual needs, and the craving for spiritual purity and perfection should not lead to physical suffering or deprivation.

Man is therefore, allowed and even encouraged to enjoy within his means the pleasures of life without excess. He is permitted to eat good food, to drink what is not harmful and to wear elegant clothes. He is permitted to enjoy living in elegant houses, the accumulation of wealth and the company of the opposite sex. But he is forbidden from committing abomination and from seeking the fulfilment of his pleasure through means that would be in any way injurious to himself, to his family or to his society. On the other hand, man is guided towards spiritual purity, spiritual enjoyment and spiritual elevation through spiritual training in such practices as fasting, pilgrimage, meditation, reflection in God's greatness and creations, and through seeking communion with God in prayers!

In this connexion the following passages from the Qur'an are quoted :

Sura VII Verses 29 - 30 read.

"O children of Adam, take your adornment at every place of

worship and eat and drink, but do not be extravagant. Verily He loves not those who are extravagant. Say, Who has forbidden the adornment which Allah has produced for His creatures and the good things He has provided? ". The Qur'an continues, " Say, My Lord has only forbidden indecencies, both open and secret, and has forbidden evil and unjustified greed . . . ". Another verse reads, " O you who have believed, do not make forbidden the good things of what Allah made permissible for you; and do not transgress...." (V. 89). Another verse reads, " Say, My Lord had commanded justice. Set yourselves in order at every place of worship, and pray to Allah, associating no one with Him as an object of your devotion and worship.' (V. 28).

Thus, Islam, by harmonising the physical and spiritual needs of the individual, and by directing the fulfilment of these needs towards the well being and the advancement of society Islam has become the faith of the spiritual and material worlds at one and the same time. Islam is the last religion revealed from Heaven, and it was revealed with a system of life that has pushed man leaps higher on the ladder of progress and civilisation. The man who was the exponent of the faith; Muhammad, son of Abdullah, was the perfect and the last one in the noble

ISLAM AS A SYSTEM THAT ENSURES HAPPINESS AND PROSPERITY

Delivered by

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

During his visit to Malaya

For the benefit of those with "living hearts" and with righteous souls I offer this essay in which I give a brief analysis of the principles established by Islam as a means for a prosperous and successful life.

I pray that this essay will be intelligently studied, and that the readers and listeners would hold fast to the enanciated principles until good defeats evil and prosperity replaces misery, so that mankind may enjoy glory in this life and eternal happiness in the next.

* * *

God, in His grace, established the faith of Islam and has made it a system which ensures peace and prosperity both for the individual and society in this world, and which guides to success and to eternal happiness in the world to come.

There is nothing useful or beneficial or righteous in the world except that it is recommended and encouraged by Islam, and there is nothing harmful or evil in the world except that it is prohibited in Islam.

The guidance of Islam is comprehensive and embracing. Man is not left along in life to the physical pleasures or the material needs that would drive him away from the advantages of the immortal life, nor is he left alone to the attractions of the material needs and the legitimate enjoyment. The Islamic system is based on firm foundations, on the fact that man is a body and a soul, and on the recognition of the needs both of the soul and of the body.

The body has certain legitimate needs, and the soul has legitimate requirements; and Islam recognises that the ultimate happiness of man

Quran only : "Take what the Prophet has given you and avoided what he ordered you to avoid, and be pious if you believe in God".

The state system in the modern society regards as the area of influence the physical entity of man rather than his spirit. Perhaps it does so in order to leave to the church the "spirit" as its area of influence. The separation between church and state is in accordance with the division that took place at the time of the french Revolution.

But the system of society in the nation which God created regards man as a whole, his physical as well as spiritual entity, as the area

of its protection. Thus it took care of the body as well as of the spirit by considering man one unity which is under one leadership. This system encourages man psychologically to be creative by way of his conscience.

Perhaps the worst stain in the state system of modern society is that "dualism" of religion and state, the split into two authorities, the authority of the church as religious authority, and the authority of the state as the secular authority.

But in the nation the God created the society is not divided into two authorities. Instead, its system follows one leadership and one guidance : "The system of God which is the best system."

among the people are guided by co-operation, love and fraternity. This is the highest ceiling human society.

The nation which God created is not a divine one, nor is its society sacred or its ruling class holy because of their relationship to the Book of God. The individuals of this nation are rather human beings, its society is a human society and the ruling class are people apt to committing mistakes once in a while.

The government in the nation which God created is not a divine one does not have to be obeyed without question or heard without argument. It is rather a government which derives its decisions from consultation. This government may continue as long as it recognizes justice and nourishes good inter-relations among the people.

Man in the nation which God created is active. He practices his rights according to his qualifications. He may hit the target now and fail it the next time.

The only difference between this man and the man in the state which man made is the former is not conceited by his human qualifications nor is he deceived by the independence of his mind. He, beside

using his mind and human faculties, seeks consultation in the Book of God, God's Book is no more than general planning for the sake of mankind. Wherever is found any narrow limitation in interpreting the Book of God it should not be attributed to the quality of the Book, for interpretation is the work of man.

Until now, the Muslims in the Islamic oriental society cannot clearly comprehend that the dual system which in Europe led to the separation between state and church has no relation to either Islam or Its system.

Islam is not a church, its jurists and scholars are not priests. But Muslims are all equal. They are first of all Muslims, then People of vocations and professions. Islam has no group assuming divine authority or which spreads its influence over the people, physically or spiritually, in the name of God. They are all equal citizens of one nation. This nation is that to which the Quran referred in the saying: "You were the best nation created for man".

Islam, after all, is not responsible for the misinterpretation of Its instructions and general maxims. The responsibility of Islam lies in the

distinction. This group is the ruling class, the "people of decision", of whom God says: "Oh people, who believe, obey God and obey the Prophet and the people of decision among you. If you had any dispute over something, solve it in the light of the instructions given by God and the Prophet if you believe in God and the Day of judgement. This is the best for you". The people of decision are those who distinguish themselves by striving to understand what God revealed and endeavoured to comprehend the Book of God and distinguish themselves by their ability to apply analogy. They are the endeavorers and therefore their instructions are to be obeyed and followed and obeying this group is obedience to God and His Prophet.

Islam relates obedience of these instructions to obedience to God and His Prophet and therefore obeying the law becomes obedience founded on conviction and belief combined. Thus, deviation from law is minimized since law is not imposed from outside. It is neither limited nor codified by people whose merits lie in their humanity alone, but because they are pious scholars.

From this comparison between the state which man made and the nation which God created we infer that the system of government, or the system of guiding the individuals in human society, which depends on the existence of the three authorities - the executive, judicial and legislative authority - is found in both societies. This is because it is a prerequisite for the existence of any pattern of society. Later on some shortcomings crept into the government system of the modern society. These shortcomings made the system insufficient for reaching the ultimate goals of society which are: stable inter-relationships among the individuals and equal opportunities for them. Meanwhile this system looks at the individuals as groups of aggregates which should be pushed without considering the freedom of the individual and human dignity.

The system of government in the nation which God created, as we previously pointed out, corrected the defects existing in the state system. The nation of God recognizes the strong conscience of man and man's belief in God. From these two principles spring personal freedom and human dignity. At the same time the inter-relationships.

a result conscience is one's final resort in his judgement and talk. And this is how the judicial right is founded on conscience as well as on jurisprudence and the people know what God has allowed and forbidden, and revealed.

The judicial authority in the state system also relies on jurisprudence and conscience. But it is the jurisprudence and conscience of man. It is not law of God nor is it the conscience which springs from the fear of God. Add the difference between the defined and the unlimited. It is the difference between that which is not influenced and that which is influenced. The difference between the conscience of man and the conscience which springs from the fear of God is the difference between power limited by the factors of environment, heredity and the executive authority and the power which is above this limitation, for it is guided by God Himself.

The phenomena of jurisprudence and conscience in judicial matters are necessary factors in applying justice. But the kind of jurisprudence as well as the kind of conscience is more important in applying justice itself. It is, perhaps, the predominant

factor in doing or neglecting justice.

To evaluate conscience, which is founded on belief in and fear of God, and its value for doing justice the Prophet, peace be upon Him, says the following to two persons who had come to Him with an argument: "I am nothing more than a human being. It may happen that one of you will be more eloquent in presenting his case and thus I may do wrong by judging in his favor. The one, whom I may favor by giving him part of his brother's property is like the one who took a piece of fire".

3) Beside the executive and the judicial right in the nation of God there exists also the legislative right which is similar to the legislative authority of the state system in modern society. The legislative right is not delegated to a committee which is formed by way of national election or by way of appointment by the executive authority, but is delegated to a group which is formed by way of natural election, i.e. by way of personal distinction or personal qualification. These qualifications alone are the sign of selection and

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The director of Al-Azhar University in charge

— 2 —

2) The judicial right is also found in the nation of God in the function of installing justice as is supposed to be in the judicial authority which is the second pillar of the state system in modern society. The Glorious Qur'an says: "When you judge among people, judge justly. God's commandments are the best. God is the one who hears and sees." It also says: "When you speak, speak justly even when it concerns your relatives." Quran thus demands that among believers speech and judgement should be fair. Quran emphasizes its demand by saying that justice in judgement and talk should not be influenced by either emotion or relationship. It also demands justice even when the affairs concern unbelievers. It says: "Don't let your hatred lead you to do injustice. Doing justice is the shortest path to piety. Be pious for God knows what you are doing". But the existence of

the judicial right in the nation of God differs from the existence of the judicial authority in modern society and because of this differentiation the nation of God distinguishes itself for recognizing justice and strengthening the stability of the relationships among the citizens.

Islam, therefore, asks for justice in judgement and talk between believers and unbelievers and constantly mentions this jointly with the reminder of observing God and It demands that a judge or a speaker should remember God in his actions. The verses of justice in Quran, always end in: "The commands of God are the best." "This is what God entrusted you with." "Be pious for God knows what you are doing." Quran thus constantly reminds the people of God so that man, in his judgement, verdict or speech keeps distance from his emotional bias. As

of the Muslim life, clear the way in front of the Arabs to lead the way to their greatness and to restore their glorious past. Indeed, Al-Azhar is the university which undertakes to keep the immaterial personality of the Arab nations. It is the university which the united Arab Republic pays all its expenses and which peoples depend upon it to keep the Arab Nationalism.

Though Al-Azhaar university is on the land of the united Arab Republic, it has an important and an Arabic international position. This is because it is the source of the islamic and arabic studies, as it is the place which attracts the students who look for islamic and Arabic culture. Hence, Al-Azhar is the university which sends its rays to the whole world to lighten the way in front of all mankind and to guide them to the straight path.

Nearly, every Arab and Muslim nation has delegates of its students studying at Al-Azhar university, the nations send students to receive islamic and Arabic education to guide their people when they finish their studeis at Al-Azhar and return back to them. The studies of Al-Azhar teach students the virtue of unit in the different spheres of life and prepare them to face thier enemies, as well as it teaches them how to treat each other brotherly and kindly.

Verily, the role of Al-Azhar university is not a local one, it does not teach only the general human aspects, but also it teaches all the knowledges which benefit the human beings during their life and which lead them to the good in the Hereafter — Moreover, Al-Azhar university is performing an international part such as consolidating the relationship among the nations and the govnmnts. This is because, it purifies the people's hearts and plants good feelings in it, Hence, the message of Al-Azhar became the link which ties the sky to the earth, and which makes a way for the arabic policy that benefits the nations which follow it.

This is the duty of Al-Azhar university due to the Arab Nationalism. Al-Azhar — wheather in olden times or in the present times — is the international university which opens its doors for all Muslim students from all nations of the the world. This is — by the grace of our revolutionists and their leader Gamal Abd El-Nasser who is making his utmost to make. Al Azhar the unive-rsity of the peoples from everywhere, our leader also is doing his best to enable this university to preach and spread its messoge, to perform its duty completely and to lead Arab and Muslim nations to the top of glory and greatness.

is against tyranny and aggression wherever they are, it also spreads justice, equality and brotherhood. Hence, the imperialists are trying their best to destroy the economic system of these nations, but by the grace of the Arab Nationalism and the struggling of the faithful young men, the economical condition is now advancing to the better and people are leading their way to the complete prosperity and the full progress.

The Arab economical condition had passed through a crucial period of its history, it was the period of decline and the time of the weakness. Hence, the aggressors started to prepare their plots for the occupation of our land till they succeeded, and consequently, some of the ill-mannered people let their nationality aside, forgot their previous glory and greatness, and helped the imperialists who aggressed people and humiliated the free youngmen. In this respect the Quran says: "Those in whose hearts is a disease - thou seest how eagerly they run about amongst them, saying" We do fear lest a change of our fortune bring us disaster "Ah perhaps God will give (thee) victory, or a decision according to his will. Then will they repent of the thoughts which they secretly harboured in their hearts."

[Surah the Table, verse 55.]

At the time, while tyrants and the aggressors were making their utmost to destroy our glory and greatness, will of God was preparing for our benefits, God inspired some of our faithful youngmen, under the wise leadership of the president Gamal Abd El-Nasser, to revolt against those who aggressed our people, separated us, occupied our land and took our properties forcibly. At the same time, Al-Azhar university was performing honestly his divine message for the benefit of the Arab Nationalism, the professors and the students of Al-Azhar were facing these terrified events with faithful hearts and good spiritual souls. Hence Al-Azhar is considered in the sight of all people as the sole university which offers its services to all nations and societies. Moreover, it is an important organization for the islamic and the arabic studies, and as a result of this, students from all over the world came to have an islamic education in the oldest university on the earth, and this — by turn — leads them to know each other, to exchange opinions and to discuss with one another: How to solve their own nation's problems.

Surely, the university of Al-Azhar is performing its holy message, since more than one thousand years. This message includes regulations and rules which control all the aspects

Arab nations everywher to each other. No doubt that Arabic language is the one which expresses all the Islamic thoughts that prevail in the life of the Arab and the Muslim societies. Any one studies Islam, its teachings and prenciples, will observe that the Qur'an and the prophetic traditions are its main sources. And because Islam was revealed into arabic environment, and to the people whom language is arabic, this language became a tie and a motive for unit among the nations that embraced Islam and carried out the instructions of the Quran. Consequently, arabic Qur'an was the cause which attracted the non-Muslim Arab nations to be converted to Islam, this is because its language is their own. Moreover, many of the non-Arab Muslim nations became the greatest because of their inclination towards Islam and its language. Hence, Islam became the strongest tie among the Arab nations, and this tie is granted to them by God, so it is also stronger than any other kind of connections.

If we observe that Arab Nationalism has taken its position among the nations of the world, we must keep in our mind that this position is by the grace of the faithfulness which filled the hearts of the active, youngmen of our nation. Surely, Arab Nationalism, which reached to the highest top of glory and great-

ness, is reached to this rank by means of the Arabic immaterial personality, besides the faithfulness of its individuals' hearts.

As a matter of fact, the solid foundations which the Arab Nationalism had been built on, will last to be provided with the instructions of the two great sources of Islam "Qur'an and prophetic traditions", these sources will last forever. Surely, Arab Nationalism is the power which stands as an obstacle in the way of the imperialists who tried to humiliate the weak nations, occupied their lands, took forcibly their properties and treated them badly and unkindly. The leader of the Arab Nationalism "Gamal Abd El-Nasser" is always supplying the weak nations with activity, teaching the humiliated people how to be enthusiastic fighting openly against the tyranny and leading the peoples to the right way which enables them to live in suitable standard of living under the flag of freedom, fratirinity and peace.

Now every one can observe that Arab Nationalism is the obstacle which hinders the advancement of the aggressors, it also attempts to stop the race of the armament among the big nations. In fact, these big nations had built their glory and greatness on the shoulders of the other weak nations. So, Arab Nationalism supports every weak nation, it

AL-AZHAR IS THE PROTECTOR OF THE ARAB NATIONALISM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The following article is the answer to the question which was addressed to his eminence Shaykh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar University, by one of the newspapers correspondents.

Dear brother: On the pages of the newspaper which you work at, you have written a group of questions asking us to answer them. These questions are about the definition, the foundation and the guidance of the Arab Nationalism for humanity in the different aspects of the life which benefit people everywhere. And particularly, one of these questions was about the duty of Al-Azhar university due to all these aspects. Putting an answer for this question, I should firstly introduce the following facts:

Every nation has a materialistic personality which belongs to its climate, its area, the nature of its land and its environment, as well as it belongs to its individual's tallness,

fatness, colour and the other physical qualities.

Also every nation has an immaterial personality which is clearly centerized into its mottos, its convictions and its aims which it always defends with all its might. The more stronger is that the immaterial personality is the more powerful link which joins the individuals of the society to each other as it is the way which leads the nation to take its position among the other nations of the world.

As a matter of fact, the immaterial personality is the strongest link that ties a nation to a nation and which joins a society to another. Indeed, Islam, is the spiritual religion, is the best contact which links the

soldiers are living, their arms are not bombs but Qur'an, their mean is not death but life, their aim is not destruction but construction and their purpose is to spread among all mankind equality and peace. Because our leaders are making their utmost to realize the best leadership for their people's freedom, because they want to be the pioneers of the world peace, they should gather both the power of Al-Azhar camp and the power of the military camp to gether in one place. Hence, they will be gathering the materialistic arm to the spiritual one. Moreover, they will be establishing on the land where the imperialists erected up markets for slavery — minarets for guidance and refuge for freedom.

Surely, we have the opportunity to work, the land of Alrica is ready to be cultivated and Al-Azhar is, very eager to put the seeds. Hence it is the duty of our State to play the part of sendiog clouds to water the thirst african souls which are very keen to drink islamic knowledges and religious education. Afte that, Africa will has the ability to exist the faithful youngmen who understand the meaning of the real independence and who can offer proofs very obvious in front of the European peoples that man is known everywhere by his work and faith and never deffers or distinguishes according to natmionality, colour or race.

people, to lighten their minds and to guide them to the straight way when they return home.

Now, there are about three thousands of the foreigners students in Al-Azhar university, but this number is less than what actually the spiritual struggle needs in new Africa. Surely, the evacuation of the imperialists from Africa, will give a chance to those who struggle in the cause of African language and the islamic teachings to widen its area and to extend its land. Now, it is the duty of the State to support the university of Al-Azhar and to help it to carry out its plan through the fertile land of the new Africa, it is its role to enable Al-Azhar to preach its message by giving it money to realize its good hopes in this great Continent.

Supplying Al-Azhar university with money, and giving it a chance to preach its divine message among the african idolators, it will pick them out of the slavery of the spirit, mind, and body. As well as this matter is a great political profit that imperialists tried to gain it — wheather by tricks, by temptation, by the time or by shedding blood, but they had been evacuated out of this

good land which they humiliated its people, treated them unkindly, took their properties and wealth and let them living in a complete poverty, illness, ignorance and difficulty.

Indeed, Islam will improve all their conditions. it will change them completely from darkness to light, from poverty to richness, from illness to health, from disruption to good and from disintegration to unity and brotherhood. At that time, they will not find among them any one who is called master or servant according to his colour, but they will find that all people enjoy freedom, the national wealth will be divided among them justily and all of them live in a suitable standard of living and enjoy all the human rights.

If the african people understand Islam and believe in its teachings with faithful hearts, it will surely promote them to the highest top of freedom and humanity, where there is no distinction among the people because of nationality or colour, but there will be people like Abu Bakr, Omer and Othman beside Belal, Sohaib and Salman.

Really, Al-Azhar university can be considered as a camp, where God's

the Islamic institutes to pave the way for the french civilization to be spread here and there, and this will lead us to occupy the helpless nations".

This is the strength of Islam relegion in the christian preachers openion, and that is its effect in the imperialist's view. Indeed, Islam — is looks like the water which benetrates rocks and stones — passes through the viels and the obstacles of the nature so. But to give Islam the chance, to move forward very easy, and to enable it to trod over the hindrances which prevent its starting to spread its guidance and advices, we should remove these obstacles from its way, and this will help Islam to lead the way with complete easiness. To remove these obstacles and to obliterate them, we have to use an instrument which is Al-Azhar university. As a matter of fact, Al-Azhar university in Egypt and the first sanctuary in Mecca are the two things which combine the meaning of Islam in the minds of the African Muslims. The african Muslim considers that the sacred Mosque is the place where his faith is planted and at the same time considers that Al-Azhar university is the place where the Islamic teachings and principles can be obtained.

Verily, Al-Azhar university spares no effort to preach its divine message among the people of the african continent. For example : It sent some of its learned men, its professors and advisors to Somali land, to Abyssinia and to the other parts of the world. Moreover, Al-Azhar is surely doing its utmost to make the preachers who preach Isalm in Africa, of the youngmen of Africa itself, this will enable the preachers to preach Islam in the language of the african people themselves according to the Almighty God sayin "We sent not an Apostle except (to teach) in the language of his (own) peole, in order to make (things) clear to them. Now God leaves straying those whom He pleases and guides whom He pleases : And He is exalted in power, full of wisdom".

(Surah Ebrahim, Verse 5).

Al-Azhar university established the muslim foreigners hostel where all the foreigner students — who receive education at Al-Azhar — are residing. This hostel offers lodging and food — three times daily — for all those students freely. Also Al-Azhar gives them knowledges, prophetic traditions and provides them with all the means of preaching to transfer God's message to their

it is the natural easy religion, as it has no complexity or difficulties and also because it is the feature of monotheism, and faith which denies the intercession between man and his creator, Millions of people embraced it or gladly converted to it, for example: 3,245,390 persons from Abyssinia converted to Islam, 1,746,301 in Somali land, 300,000 in Zanzibar, 200,000 in Quenia, 1,500,000 in Tanganica, 138,000 in both Rovdisia and New Ziland, 650,000 in Mozambique, 88,000 in southern Africa, 7,500,000 in the french western Africa, 23,000,00 in Nigeria, 30,000 in Togoland, 150,000 in Ghana, 120,000 in Gambia, half million in Kamiron half million and four hundred thousands person converted to Islam in Liberia. These numbers are according to the last census for ten years ago, and it is very natural that Muslims have been increased during this period wheather it was by the new birth of the muslim infants or by the converted people to Islam.

The effect of Islam and its attraction for all these people had been surprised the christian preachers, wheather they are english, french, Belgian, Italian or American. They gathered together and asked each

other the following question: "Why did we fail to convert the idolators into christianity in spite of offering people many services like, drugs, money and education, while Islam succeeded to convert them to it without offering them any thing, also there is no government to support it or any society to help it?" Then the christian phelosophers and the specialized people of them made their utmost to study this matter, but they failed in getting any result. But at the end, they submitted, and determind that they will use Islam as if it is a way for the idolators to passe over it to christianity. Then they began to investe the inner power of Islam and they attempted to make it as a passage to get the primitive idolators out of the darkness, after that, they will try to attract them to their modern civilization and call them to faith in and embrace their christian religion. In this respect one of the historian of the church said: "Surely, Islam is the bridge which the african people used it as a way to passe over it from idolary to christianity. Hence, we should be very kind with Islam and help it to extend its message and preach it everywhere. We must offer money for mosques and

YOU, GIVE AL-AZHAR A CHANCE TO CONVEY HIS MESSAGE IN THE NEW AFRICA

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Since God created the earth and the people who are living on it, the inhabitants of Africa continent have lived in a complete darkness: ignorance, worshipping idols, slavery and imperialistic rule. But, fortunately, at the present time, we observe that Africa is getting up after its long sleep, striving hard to achieve a suitable standard of living after its complete poverty and struggling bitterly to realize its dreams and materialize its hopes which are: Freedom, dignity and peace. Indeed, Africa continent is influenced by the Egyptian Revolution which has, its effect, not only on Egypt and Arab nations, but also on the nations of the whole East.

In olden times, the African people had some knowledges about the guidance of Islam by means of

the Arab traders and the muslim emigrants, and consequently, some of them felt that there is the light which obliterates the darkness that they were living in, and that in the universe, there is Almighty God who sends his messengers to guide humanity to the right way and to spread among the people equality, morality and brotherhood. Hence, they refused to be humiliated or oppressed, but the guidance of Islam was very faint in their hearts because they did not know the Arabic language which is the language of the Qur'an and the prophetic Traditions. Surely, they recite some of the Qur'anic verses without understanding its meanings, they also perform the rites of Islam by imitation, without complete knowledge about the Islamic laws. Nevertheless, Islam found its way to the hearts of the idolators. This is because

يَشْرِكُ فِي الْقِيَمِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَقَّارُ
بَدَلُ الْأَشْتَرِ
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب يتفحصون

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
السنون
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة
٤٦٢١٤

الجزء السابع - رجب سنة ١٣٨١ هـ - ديسمبر ١٩٦١ م - المجلد الثالث والثلاثون

رسالة الإمام محمد باقر

رسالة الأزهر

في ضوء قانونه الجديد

للإمام الأكبر شيخ محمود شلتوت

واللغة والقيادة ، والتوعية والتوجيه ، كما
اكتسب اسمه بهذه الخصائص قداسة وجلالا
فانعظفت قلوب المسلمين من شتى أقطار العالم
الإسلامي إليه ، وقويت على تعاقب السنين
صلتهم به والالتقياد إلى رأيه . لا يطلبون
علوم الإسلام وأسباب المعرفة إلا في حلقات
درسه ومجالس علمه ، ولا يجدون ضالته
من فقه الكتاب والسنة إلا في أفواه علمائه
والسنة رواده ... فكان الأزهر بوصفه هذا
قبل أكثر من نصف قرن في مقدمة الحياة ،
يحد المجتمع مطالبه وحاجاته في تربيته ،

لقد عاصر الأزهر تاريخ ألف سنة من
حياة العروبة والإسلام ، بل كان روحا لهذه
الحياة وعاملا ذا أثر إيجابي فيها . وظل
خلال هذه السنوات الألف منارا للعلم
وحصنا له ، ودرعا للإسلام وعدة للدفاع
عنه ، وحي للعروبة وأميننا على لسانها ،
وحارسا لكياننا القومي ، وقلة شائعة في وجه
التربيين به ، كلما أطلت برأسها فتنة ، أو تهدد
الامة شر .

وعلى مدى ألف سنة اكتسب الأزهر
خصائص تميز بها في مجالات العلم والعقيدة ،

وكان نتيجة لذلك أن وقمنا في الخطأ مرتين:
أخطأنا مختارين أو مكرهين بترجمة نظم
التعليم والبعده به عن الحياة التي يجب أن نحياها .
وأخطأنا مرة أخرى — تساهلاً أو
انقياداً — حين اكتفينا في إصلاح التعليم
بالخلط والترقيع .

وفي كلا الحالين ظل الأزهر في مكانه بعيداً
عن الأفكار المترجمة والمعرّبة ، وبعيداً عن
الخلط والترقيع كذلك .

إلا أن وقوف الأزهر حيث هو ، والحياة
من حوله تتفاعل في نشاط متجدد وتطور
مستمر ، أضر بخريجيه إذ أرادهم على أن
يكونوا رجال دين لحسب ، يتخذون منه
حرفة ومهنة ويعيشون باسمه ورسمه .

وأضر الأزهر بخريجيه كذلك إذ فرض
عليهم وضعه هذا نوعاً من الانعزال عن
المجتمع الذي يعيشون فيه ، فقد وجدوا أن
ثقافتهم لا تواجه احتياجات النهضة ، ولا
تتفاعل معها وأن ميادين العمل والإنتاج
في واد وخبرتهم في واد آخر ، بل زاد في
انعزالهم عن المجتمع مشكلة التعطل التي
تواجههم ويتسع نطاقها عاماً بعد عام . هذا
جانب من المشكلة ، وجانب آخر أشدّ ضرراً
وأخطر أثراً ، فقد كاد وضع الأزهر هذا
أن يوهن عقيدة الناس ويضر المجتمع ، حين
يقع في وهم خريج الأزهر أن عالم الدين مصيره
التعطل ومآله الضياع لأن الدولة لا تعترف به

بل لم يكن لينهض بمطالب الحياة إلا خريجو
الأزهر ورواده يومئذ .

فلما بدأ عصر النهضة في مطلع هذا القرن
كان الناس يومئذ مشدودين إلى التقليد
والمحاكاة ، مأخوذين بكل غريب وافد ،
فأقبلوا على ترجمة كل شيء ، بل ترجموا الحياة
نفسها ، حتى نظم التعليم ومناهجه ، وبرامجه ،
قامت جميعاً على أفكار مستوردة وثقافات
مترجمة وطرائق معربة باعدت بيننا وبين
الحياة التي يجب أن نحياها ، وقطعت صلة
التعليم ببيئته وتراثه ، وتاريخه ودينه ، وكان
طبيعياً أن يعزل الأزهر هذه النهضة ،
وينفر منها ، فازوى عن المجتمع وتراجع
إلى ما وراء حاجاته ، ولم يندمج فيه لأن
الأفكار المستوردة والإنجازات المترجمة
أو المعربة لا تتلاءم مع طبيعته ، ولا تتفق
مع خصائصه ، ولكنها تقنأني مع ما أخذ
فحسه به وانطبع عليه . . ولما انتهت الحرب
العالمية الأولى قامت في أعقابها نهضة ،
وبدأت محاولة لتعديل نظم التعليم لم تحدث
تغيراً جذرياً في أسسه وفلسفته ونظمه
وخططه ، وإنما حدث خلط وترقيع لم يصلح
فاسداً وإنما زاد فساداً . حتى أن اللغة العربية
والدين — مع فرط العناية بهما في مدارس
الدولة — لم يتحقق لهما ما يرجوه كل مسلم للغة
ودينه ، ذلك لأننا بنينا على أساس غريب هنا
بعيد عن بيئتنا وتراثنا ، وعقيدتنا وتاريخنا .

فطرة سليمة ، وعقيدة مستقيمة ، ومثل من روح الإسلام وقيم من هدى القرآن .

ومن أجل ذلك كان تجديد الأزهر وتطويره ودعمه ، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة في الشرق والغرب .

وليظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتسع نطاق العالم به ويزدهر .

ومن أجل ذلك كان قانون الأزهر .

* ليتخرج فيه علماء ذوو عقيدة وخبرة ومعرفة يعيشون لدينهم لا بدينهم .

* ولتتحطم الحواجز والسدود بين خريجه وخريجي الجامعات والمعاهد الأخرى .

* ولنزول الفوارق بينهم وبين إخوانهم في كل مستوى .

* ولتتكافأ فرصهم جميعا في مجالات العلم ومجالات العمل .

وما كان للقانون الجديد أن يحقق الغاية المرجوة منه لو لم يأت على المشكلة من جذورها ويبدأ الطريق من أوله ، فعنى برعاية جمعيات المحافظة على القرآن الكريم وعهد إلى الأزهر بالإشراف عليها ، ورصد لها الأموال لتنهض بتبعاتها وتقوم بواجبها في إعداد العناصر الصالحة للالتحاق بالأزهر وتغذية معاهده .

كذلك ما كان للقانون الجديد أن يتجاوب مع المجتمع لو ترك التعليم في معاهد الأزهر نظريا بحثنا كما كان من قبل ، بهيئة عن مجالات الخبرة

والمجتمع يحاربه فلا يتسع له ، فيعزل الخريج الدولة والمجتمع ، حتى إذا ضاقت به الحياة كان حربا على الدولة وحربا على المجتمع .

وبالتالي فإن الناس لا يكادون يعرفون

الدين إلا في صورة عالم الدين ، فإذا كان هذا وضعه في المجتمع ومصيره ، فما أسرع أن تتشكك قلوب وأن تفسد عقائد ... كذلك

فإن بقاء الأزهر على وضعه القديم يصرف المسلمين عنه ، ويضعف صلتهم به . وأن

مركزنا القيادي في العالم الإسلامي ، لم يكن في يوم من الأيام بسبب تقدمنا وإمكانيتنا ، ولا بسبب ما فرضته علينا الحياة ... وإنما

باسم الأزهر وماضيها اكتسبنا ذلك المركز القيادي ، فيجب أن نظل بالأزهر نفسه هذه الصفة وتلك المكانة ، وهذا يجعلنا نفكر

فيما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي في حاضره ، فنمسخه مسحا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ونخطط التعليم في الأزهر خاصة بحيث يحقق للعالم الإسلامي مطالبه ، ويلبي حاجاته ، بعد

أن خرجت أمم كثيرة من تحت نير الاستعمار وبدأت تأخذ بأسباب التطور والنهوض ...

في ضوء هذا الواقع صدر قانون تطوير الأزهر ، يحمل لكل مشكلة حلا ... ويعد

لكل ميدان من ميادين العمل خبرة ، ويهيئ لكل مجال من مجالات الإنتاج طاقة ، ويربي

لمراكز الخدمات الإنسانية باحثين ودعاة وراة إنسانيين تهديهم جميعا إلى الحق والخير

وكلية أصول الدين، وكلية الدراسات الإسلامية للفتيات التي ستفتح أبوابها في العام القادم إن شاء الله .

ولقد روعي في هذه الكليات أن تنهض برسالة اللغة والدين وأن تحافظ على مستواها كما ونوعاً مع ضمان التنمية المستمرة وازدهار الرسالة العلمية الإسلامية في جامعة الأزهر ، هذا إلى جانب ما أنشأ وينشئ من كليات للإدارة والمعاملات والهندسة والصناعة والزراعة والطب .

كل ذلك كفله القانون ووضع له أسسه وخططه ، لإعداد طالب متفاعل مع بيئته ومجتمعه ، سواء في موطن الأزهر بالجمهورية العربية ، أو في الموطن الكبير الممتد إلى ما وراء الحدود في أرجاء الوطن العربي والإسلامي...

كذلك لم يغفل القانون وضع الرأي العام الإسلامي من الأزهر ، ووضع الأزهر من العالم الإسلامي ، فقرر إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية على نطاق دولي إسلامي يعيد إلى المسلمين الصورة التي عرفت عندهم باسم الإجماع . . لتناقش فيه البحوث الإسلامية على نطاق دولي ، ولتجدد ثقافة الإسلام وتتحلى في جوهرها الأصل ، ولتأخذ عنها كل دخیل غريب ، ولينقي عن العقيدة كل خبث يضر بها أو يكيد لها بما ينتحل باسمها أو ينسب إليها...

والدربة العملية ، فمياً الدراسة للطلاب بحيث تتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ في مدارس الدولة ليحصلوا على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية إلى جانب دراستهم لعلوم الدين واللغة ، وليحصلوا على شهادة الثانوية العامة بقسميها الأدبي والعلمي أو الثانوية الفنية في الزراعة أو الصناعة ، أو التجارة ، إلى جانب ما درسوا كذلك من علوم الدين واللغة . فإن شاء طالب الأزهر خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب وإذا شاء واصل الدراسة في المراحل العالية بكليات الأزهر أو كليات الجامعات الأخرى أو الكليات العسكرية وفق مواهبه واستعداده . كذلك لم يترك القانون كليات جامعة الأزهر لتصنع خريجها في هذا النطاق الضيق المحدود وأن تعيش بهم في بيئتها هي بعيدة عن المجتمع الأم منفصلة عنه ، فرجع بها إلى مجد سلف وماض تفتقده ، يوم كان علماء الإسلام علماء طب وفلسفة ، وأساتذة تاريخ ورياضة وأصحاب فن ومهنة يعيشون للدين ويشاركون في الحياة وبكثرة سجون منها ، فقد جعل القانون للدراسات العربية كلية تحفظ الثقافة العربية وتنميتها ، وتنتق منها ما أدخل عليها أو اندس فيها ، وجعل للدراسات الإسلامية كليات تزدهر في رجاتها ثقافة الإسلام ويتسع بها فهم الكتاب وفقه السُّنة وتزداد بدراستها معرفة الطالب للإسلام وهي كلية الشريعة ،

حكاية الشعر الجديد

بقلم : أحمد حسن الزيات

الإيطالي « تريسينو » سنة ١٥٢٥ فأنكره قوم وعرفه آخرون ، ولكن الأذان لم تلبث أن ألغته وصغت إليه فانتشر في أوربا ونظم منه شكسبير بعض دراماته . ثم تطور وهلا في التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من بعض أثقال العروض ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت يليه من أربع أو أكثر ، وذلك هو « الشعر الحر » . وكان أكثر ما يُستعمل النوعان في الملاحم والمسرحيات والمطاولات إشفاقا على الشاعر من جرائر القافية كالسكرار والحشو والغرابية . وكان من العوامل التي مهدت لقبول الشعر

كتب إلى السيد محمد رضا من أدباء الشعر بكرموز يسألني عن هذا النوع من الشعر الذي يقرأه من حين إلى حين في الصحف فلا يدري كيف ينسبه إلى بحر من بحور العروض ، ولا كيف يرجعه إلى فن من فنون القريض ، ويشكو من أن أذنه لا تسيغه وأن ذهنه لا يهضمه .. والسائل الأديب يقصد ولا شك تلك المقطوعات العاطفية التي ينظمها بعض الشعراء الشباب مطلقة من قيود القافية ، وذلك ما نسميه بالشعر المرسل ويسميه الأفرنج بالشعر الأبيض .

وكان أول من استحدث هذا النوع الشاعر

وبعد ..

بتبعات رسالة ، أو يحافظ على قداسة عقيدة إذا لم تملك هذه الرسالة وتلك العقيدة قلوب الداعين إليها والعاملين في سبيلها .

ومن قبل نادى دعاة الإصلاح بتطوير الأزهر ... وثار الأزهريون من أجل تطويره ... وما هو ذا بين يدي كل أزهري وكل مسلم أمانة حملها وخيراً دعا إليه .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
محمود سلتوت

فإن القانون الجديد قد كفل تخريج عالم عامل ذي خبرة وكفاية يقوى به الإسلام ويشهد ساعده وتنتشر به رسالته ، وتوسع رقعة ، ويزيد به معتقوه ، وتطمئن إليه قلوب الذين لم يبشروا به .

وما كانت القوانين لتصنع رجالاً أو تعد دعاة إذا لم يكن في الأزهرين غيرة على دينهم ولغتهم وأزهرهم ...

بل ليس في مقدور القانون أن ينهض

العصور الأولى أن يتخلص منها بالشعر
المرسل إلا ما روى أبو عبيدة لابنة أبي مسافع
وقد قتل أبوها يوم بدر :
فما ليث غريف ذو

أظافير وإقدام
كحي إذ تلاقوا و

وجوه القوم ألوان
وأنت الطاعن النجلا

منها مزبد آن
وبالكف حسام صا

رم أبيض خدام
وقد ترحل بالركب

وما نحن بصحبان
ولما ما روى غيره لغيرها من نحو قول
الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك
بملك يدي أن الكفاء قليل

رأى من رقيقه جفاء وغلظة
إذا قام يبتاع القلوص ذميم

فقال أقلا واتركا الرحل لأنى
بملكه والعاقبات تدور

فبيناه بشرى رحله قال قائل
لمن جل رخو الملاط نجيب

وهذان المثالان وغيرهما مما روى ولم
نطلع عليه إنما صدر عن ذوق متخلف وطبع

متكلف ، فلا دلالة فيه على مذهب نشأ ولاهلى
تطور حدث .

المرسل في العروض الأولى أن القافية
بمعناها العربى لم تكن عنصراً جوهرياً فى
الشعر الأفرنجى ، وإنما كانت القافية فيه
نوعاً من الاتحاد الصوتى بين الكلمة والكلمة
كما يكون بين كتاب ونظام وبين عظيم وقدير .

فلما اتصلد التروبادور ، وهم شعراء جنوب
فرنسا فى القرون الوسطى بعرب الأندلس
اقتبسوا منهم للقافية بحكم الجوار والحلاط .
قال المؤرخ الفرنسى د لويس فياردو ، فى

الجزء الثانى من كتابه تاريخ العرب والبربر
فى أسبانيا : « كان الشعر الفرنسى مضروباً

على مثال الشعر الأسبانى المأخوذ عن الشعر
العربى . لأن الأسبان لم يقفوا على الشعر

اليونانى ولا على الشعر الرومانى قبل القرن
الرابع عشر حتى يقلدوهما . . . ولقد أخذنا

صناعة الشعر ونظام القوافى عن العرب ،
جاءتنا مع التجار الأسبان عن طريق

مرسيليا وطولون . »

أما الشعر العربى فله خصيصتان يتميز بهما
على سائر الشعر : إحداهما القافية الواحدة

للقصيدة مهما تطل ؛ والأخرى بناء كل بيت
فى القصيدة على عدة التفاعيل التى قام عليها

بناء البيت الأول ، فتكون القصيدة كلها كاملة
أو مشطوبة أو مجزوءة على حسبه .

وللقافية سلطان طبيعى قوى على النفس
العربية . لذلك لازمت الشعر فى طوره الأرقى

وهو طور القصيد . ولم يحاول شاعر فى

ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة واستمسكت
القافية على عرك النقد وشدة التطور حتى
أتاح لله لها داعياً جديداً بعد فترة دامت
عشر سنين هو الأستاذ دريني خشبة فجدها
في « الرسالة » ١٩٤٣ وأيدها بقوة . ولكن
الأذواق لا تقارح بالمنطق ولا تجابه بالدليل
ولا تتغير بالأمر ، فظل الشعر الحر أمية
في بعض النفوس وحديثاً في بعض المجاس ،
حتى أصيب الغناء المصري في العهد الأخير
بالتجديد المسيخ المقتل فزيف شعور أهله
وقطع تيار ماضيه ووضع في الأغنية الواحدة
أنغاماً من كل لحن وأصواتاً من كل أمة .
والغناء أصل الشعر ، والشعر مادة الغناء ،
فتأثير أحدهما في الآخر تفاعل من عمل
الطبيعة يحدث من غير اكتساب ولا قصد .
فكما أراد بعض الملحنين أن يخضعوا الغناء
المصري للغناء الأوربي في الموسيقى ، أراد
بعض النساطمين أن يخضعوا الشعر العربي
للشعر الأوربي في العروض ، فأصبحنا نقرأ
ما ننسرك كما كنا نسمع ما ننكره .

وأكثر ما ينشر اليوم من الشعر المرسل
هو الشعر الحر الذي يتخلص غالباً من التزام
القافية ، ويتجرد دائماً من تساوي الشطرات .
والشعر الحر يقبل في الأغاني والموشحات ،
كما يقبل الشعر المرسل في الملاحم والمسرحيات .
واستعمالها في غير ذلك قلب للأوضاع ،
وحرب على الأذواق والأسباع ، ونزول
بالقصيدة الريضة المحكمة إلى مستوى هذه

على أن من شعراء الأندلس والعراق من
ضاق بتماثل النغمة وتكرارها في التزام روى
واحد في القصيدة المطولة فعالجوا ذلك
الرتوب بتنويع القافية على نحو ما فعلوا
في الموشح والزجل . ولكن شعراء هذا
العصر الحديث حيناً دفعوا بحكم التطور إلى
نظم الروايات المسرحية والمطولات القصصية
فأسوا من التزام القافية رهقاً شديداً وقعوا
منه في الغرابة أو الركاكة أو الفضول أو النبو ،
فدعوا إلى إرسال الشعر من غير قافية وقصروا
هذه الدعوة على الشعر القصصي والتشليل
وما في حكمهما من القصائد ذوات الحوادث
المتبددة والمواقف المختلفة .

بدأ ذلك الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنشر
في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٣ استفتاء في الشعر
المرسل كانت مادته ترجمة بالشعر المرسل
لخطبة أنطونيو في رواية يوليوس قيصر
لشكسبير ، فاستطار حولها الجدل وتقمع فيها
الرأى ، ومضى يؤيد رأيه بالعمل فنظم بالشعر
المرسل « مقتل سيدنا عثمان ، و « خسرو
وشيرين ، و « زهراب ورستم ، : وحذا
حفوه المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي
فترجم هذا الشعر رواية « ممنون ، لفولتير ،
و « ترنيمة أتون ، إبرستيد .

ومن قبل هذين الرائدين عالج للشعر المرسل
السيد توفيق البكري في قصيدته « ذات
القوافي ، وجميل صدق الزهاوى في « المؤيد ،
وهبد الرحمن شكرى في « الجريدة .

إنتاجه ، وتبعث الفن فيحيي بين إلهام الشاعر وإعجاب القارئ .

والواقع أن القافية لم يشكها شاعر مطبوع ولا ناظم مطلع ، فإن الطبيعة الغنائية للشعر العربي من جهة ، ووفرة الثروة اللفظية للشاعر من جهة أخرى ، تجعلان القافية من أخص لوازم الشعر وأسهل فنونه ولنا في الأراجيز القديمة والموشحات الحديثة وسائر ما استحدث المؤلفون من الأنواع القائمة على موسيقى للقافية دليل ناهض على ما نقول .

فإذا وقع شاعر اليوم في رهق من بناء القافية لقله محصوله من اللغة أو لمعالجته التمثيل أو القصص الطويل ، كان له في تنويعها مندوحة عن هذا النوع الذي تذبذب بين النثر والنظم فوقف من الأذن موقف الغصة من الحلق ! بذلك استطاع البستاني أن يترجم الإلياذة ، وتسنى لشوقي أن يبدع في مسرحياته .

* * *

وبعد فإني أفهم لماذا نيسر الكتابة ونسهل النحو ، ولكني لا أفهم لماذا نيسر الشعر ونسهل الغناء ، أليكون للناس كلهم مغنين وشعراء ؟ لا ، يا أخى ! المسألة في الفن استعداد واجتهاد وقريحة .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

أحمد حسن الزيات

الرقاعات الصوتية التي ينطبق عليها كل اسم تشاء ما عدا الغناء !

كل شيء يجوز النزول به إلا الفن . وكل فن يجوز التيسير فيه إلا الشعر . وكل تيسير يجوز النظر فيه إلا القافية . ذلك أن الشعر يتميز من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث : موسيقية شديدة الحساسية ، وصعوبة عسيرة التسهيل ، وقدرة على تثبيت الفكرة بلغظها في الذاكرة . فالشعر الحر يستطيع أن يدرك شيئاً من الموسيقية إذا زواج الشاعر بين الأبيات واستفاد من الحرية التي أوتىها ، فتخير الألفاظ وعدل الأقسام وألف الألوان وحرك المعاني ونوع الصور . وأخشى بعد أولئك كله ألا يرتفع عن النثر البليغ المحكم .

ولكن الصعوبة التي تلقى الشاعر في كل بيت عند القافية فيسلط عليها ذهنه وقته وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنه وهي تنتظر في غير صير ، بتلك الحيلة الفنية واللفتة الذهنية والكلمة الصادقة الموسيقية ، لانجدها في غير الشعر المقتنى . . كذلك يعجز الشعر الحر عن أن يهيء للذاكرة في التمثيل على الأخص ما تهيئه لها القافية من نقاط الارتكاز وعلامات الطريق حتى لا تجور ولا تضل .

على أن تسهيل الشعر بإلغاء القافية يخمد الذهن ويجذب القريحة ؛ لأن الصعوبة ترفع الفكر فيدق إحساسه ، وتوقظ العقل فيزيد

الصفة في اللغة العربية

لأستاذ عباس محمود العقاد

وهي إذا ردت إلى أصلها لم يكن لها معنى غير أنها شيء منسوب إلى جزيرة كما ينسب إليها الأحياء وغير الأحياء المنتمون إليها، ولكن هذه المناسبة البسيرة كافية لتكوين الأسماء أول الأمر ثم سيرورتها على الألسنة بغير بحث عن مناسبتها الأولى .

أما الصفات فلا بد من المطابقة بينها وبين الموصوفات في كل كلمة وكل مناسبة، ولا بد للغة الوافية من أن تستوفي أدواتها وتحسب لها حسابها، وإلا كان النقص في تكوين الصفة وتطبيق شروطها نقصاً أصيلاً في وسائل الدلالة اللغوية .

وليس في لغات الحضارة لغة تمت لها أدوات الصفة وشروطها كما تمت للغة العربية، فهي جامعة لكل ما تفرق من هذه الشروط بين أكبر اللغات وأوسعها انتشاراً في الزمن الحاضر، وفي الأزمنة المتقدمة .

إن الصفة تابعة للموصوف في اللغة العربية، مطابقة له في الإفراد والجمع، وفي التذكير والتأنيث، وفي التعريف والتشكيك، وفي مواقع الإعراب .

وقد يلاحظ بعض هذه المتابعات في بعض

الصفة من أقوى الدلالات على ضبط الأداء في لغة من اللغات .

وهي أقوى من الاسم دلالة على ضبط الأداء في المفردات وفي تراكيب التعبير، فما من لغة متقدمة أو متأخرة تخلو من الأسماء بعدد الأشياء التي يتحدث عنها أهلها، ولكن اللغات التي تقدر الصفات على حسب الموصوفات هي اللغات التي تطورت بقواعد التعبير والتمييز بين مواضع المعاني والألفاظ أو التطبيق بين الكلمة ومعناها .

والأسماء، كما هو معلوم، قد تكون توقيفية لا إرادة للتسكلم في وضعها وإطلاقها على مسمياتها، وقد تكون منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع شيء قليل من التعديل فيها، وقد تكون مع ذلك مطلقة في أصولها لأدنى مناسبة تشير إليها، كهذا الاسم الشائع باسم (كبريت) وأصله نسبة إلى جزيرة قبرس بمعنى القبرسي، لأنها كانت في الزمن القديم أشهر البلاد بمناجم الفوسفات التي تصنع منها هيدان الشقاب، ولولا الاستعمال لما كانت هذه المناسبة كافية لإطلاق هذا الاسم على مسماء عندنا... لأن الكلمة غريبة عن لغتنا

ومن ثم وجدت في اللغة العربية صيغة اسم الفاعل وصيغة الصفة المشبهة وصيغة المبالغة، وكلها أصل مقرر في اختلاف اللفظ واختلاف الدلالة على حسب معناه .

وقد يأتي لفظ الصفة تابعا لمعناها في علامات التذكير والتأنيث كما يأتي تابعا لهذا المعنى في بعض الأوزان .

فالصفة يجب فيها التأنيث إذا كان الموصوف مؤنثا على الحقيقة أو على المجاز، ولكنها تؤنث بمعناها ولا ضرورة لتأنيثها بلفظها إذا امتنع اللبس وبطلت الحاجة إلى العلامة اللفظية .

فلا حاجة إلى تاء التأنيث في مثل (حامل ومرضع وطالق) لأن اللبس بين التذكير والتأنيث ممنوع في هذه الصفات، ولكن التاء قد تلحق بالصفة إذا كان ملحوظا فيها الفعل ولم يكن الملحوظ فيها هو الحالة كما جاء في الشاهد المشهور .

أيا جارتا بنيني فإنك طالقــة
كذلك أمور الناس غاد وطارقه
وأيا كان الحكم في الخلاف بين الكوفيين والبصريين على سبب حذف التاء هنا، فالذي لا خلاف عليه أن حذفها ملحوظ فيه حالة دائمة وليست حالة وقوع الفعل لمرة أو عدة مرات .

فالبصريون يقولون « إنما حذف علامة

لغات الحضارة، ولكنها لا تلاحظ جميعا بقواعدها المطردة في غير اللغة العربية .

ففي الإنجليزية، وهي لغة يتكلم بها اليوم أكثر من مائتي مليون إنسان، تأتي الصفة سابقة لموصوفها، فيقال مثلا : « واحد عظيم رجل، بدلا من رجل عظيم، ويقال « عظيم رجال، بدلا من رجال عطاء، ويقال « عظيم نساء، بدلا من نساء عظيمات، ولا تتغير الصفة تبعا لتغير مواقع الإعراب بين موقع الفاعل أو موقع المفعول ومواقع الأسماء المجرورة .

واللغة العربية تعرف الفرق بين الصفة الملازمة والصفات المتعلقة بالأفعال والمرات. فهناك فرق بين كلمة « كريم، وكلمة « معطاء، في الصيغة وفي المادة وفي الدلالة، لأن السكرم صفة تتحقق بالخلق الذي تدل عليه، وبين الكريم وبين المعطى وبين المعطاء فروق في طبيعة الصفة لا تتوقف على عدد المرات ولا على مقدار العطاء، فن أعطى مرة واحدة فهو معط أو فاعل لفعل من أفعال السكرم وإن لم يكن كريما على الدوام، وكذلك المعطاء الذي يعطى مرات كثيرة ولا يلزم من ذلك أن يكون كريما أو أن يكون عطاؤه من عنده، فربما كان المعطاء، في معنى من معانيه مرادفا للصرف على هذا الاعتبار .

والعقاب باسم أم قدم مع الالتباس بين العقبان والنسور .

فليس هناك إبهام راجع إلى قصور اللغة وقواعدها ، ولكنه تغليب للدعى على اللفظ أحيانا حسب الصفة المقصودة بين السامع والمتكلم .

ومن استعمال المصدر في موضع الصفة يتضح لنا أن اللغة قد بنيت على التفرقة بين المعاني في التذكير والتأنيث وفي بعض الفروق الأخرى التي توافرت علاماتها ، ولا يمكن أن ينسب إغفالها إلى نقص في تلك العلامات . فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد في مدلوله ، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثيرين . فإن العدل ، مثلا عدل واحد في صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى إذا قيس رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل لأن الأسماء هنا في حكم المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى ، ولا تأنيث اللغة مع ذلك أن تستخدم العلامات أحيانا على حسب العرف المشهور .

ولا تظهر دقة اللغة في منطقتها الخاص بها من شيء في قواعدها ، كما تظهر في مواضع التسوية بين التذكير والتأنيث في بعض صيغ

التأنيث لأن قولهم طالق وطامث وحائض وحامل في معنى ذات طلاق وطمث وحيض وحمل على معنى النسب ، أي أنها قد عرفت بذلك كما يقال رجل رامح ونابل ... ولا خلاف هنا على التفرقة بين حالة الدوام وحالة الحدث المتكرر مرة أو مرات .

أما الأسماء التي يتساوى فيها المذكر والمؤنث فالغالب فيها أنها أسماء أخذت مأخذ الصفات المشتركة التي لا فارق فيها بين صدورها في المذكر أو صدورها في المؤنث ، كالضبع والفرس والعقاب والنعامة وما إليها من أسماء الحيوان المشتركة . فإن الضبع هنا أخذت صفة الجائحة التي تأتي على كل شيء كالسنة المجذبة .

أبا خراشة أما أنت ذا نفر

فإن قومي لم تأكلهم الضبع والفرس صفة من الفراسة والفرس أو التنفرس كأنها اسم جنس يطلق على الذكور والإناث .

ولم يأت هذا الإبهام عن قصور اللغة في التسمية ولا عن نقص في علامات التأنيث والتذكير ، فإن التأنيث قد تدخل على الضبع كما تدخل على الفرس ، وقد يسمى ذكر بالضبعان ويسمى ذكر الخيل بالحصان وتسمى نثاها بالحجر ، وقد عرف ذكر النعام باسم الظليم ، وعرفت أنثى النسر

المبالغة ، كما يتساوى رجل راوية وامرأة راوية ويتساوى رجل متلاف وامرأة متلاف ، ويتساوى رجل صبور وامرأة صبور ، فإن في المبالغة نوعا من الكثرة والزيادة يلحقها بكثرة الجمع ، ويجرى عليها ما يجرى على « كل جمع مؤنث ، من قبيل « قالت الرجال وقالت للنساء ، ، والعرب المستعربة والعرب المستعربين ... وهو التفات عجيب يدل على تناسق خفي وراء هذه القواعد يبعدها عن خلط المصادفة والارتجال .

ومثل هذا في الوضوح ظهور الفارق بين الكلمات التي تؤنث في اللغة العربية وهي خالية من علامات التأنيث وبين كلمات الجنس المشترك في اللغات الأجنبية ، فإن هذه الكلمات تبلغ المثات في اللغات الأجنبية لنقص في التمييز يعوضونه بإضافة ضمير في

ضمائر التأنيث ، ولكنها لم تترك عندنا بغير علامة مميزة لأن اللغة عاجزة عن تمييزها بعلامة من علاماتها للكثيرة ، بل هي متروكة لاعتبارها أصلا من المؤنثات المجازية أو المذكرات المجازية ، فليس السبب هنا راجعا إلى نقص العلاقات والصيغ أو إلى قواعد اللغة على العموم ، ولكنه راجع إلى التصور النفساني الذي يوحى إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك على حسب العوامل الكثيرة التي تعمل عملها في هذه التفرقة عند أبناء اللغات أجمعين .

وهذه مزية الصفة عندنا نضيفها إلى المزايا الأخرى التي تستحق بها اللغة العربية عندنا وعند غيرنا من المنصفين أن تسمى بأمر اللغات .

عباس محمود العقاد

من حكم شوقي

- اثنان من نعم الله عليك ، عدو تشغله كثيرا ، وصديق يشغلك كثيرا .
- إن كنت عصا فكن ليना ، وإن كنت سيفاً فكن قاطعاً .
- الإندام والجد إذا اجتماعا لرجل لم يقف له شيء في طريقه .
- من وثق بالله مشى على الماء .
- العلم أرفع النسب والعمل أرفع الحساب .
- في النفس ألف داء ، وفي القرآن ألف دواء له ودواء .
- لا أدب في أمة يقساب أدياؤها .
- من حدث الناس عن نفسه بما يرضى تحدثوا عنه بما يكره .

القوى الشعبية

وكيف تعباً نحو الاشتراكية العربية

للاستاذ الدكتور محمد البهت

مدير جامعة الزهر

بحث فلسفي قيم عاج فيه الأستاذ الكاتب تعبئة القوى الشعبية لتحقيق الاشتراكية العربية والإيمان بها وذلك بتحليل مصادرها المعنوية المختلفة من التاريخ والدين والفكر والتعبير ، ودور الأزهر الجديد في غرس هذا المفهوم الثوري الجديد في أذهان الشعب عن طريقه الخاص ، وقد نشرنا في هذا العدد هذا الجزء منه وسننشر بقيته في العدد القادم .

١ -

- وهي طبقة عمال المصانع بالذات - هي التي يجب أن تقول لها السلطة في المجتمع ، ويجب أن تباشر أمر السيادة فيه ، لأن ذلك هو نهاية الخط الذي تسير فيه أحداث التاريخ . فالمجتمع - كما يتحدث منطق الشيوعية - تغير وانتقل من وضع إلى تقيضه ، وما زال ينتقل من وضع إلى تقيضه ، وسيزال ينتقل من وضع معين إلى تقيضه ، حتى يصل إلى الوضع الذي يجعل من المجتمع مجتمعا عماليا . فالمجتمع الملكي - وهو الذي يعتبر فيه المال في صورته المختلفة ملكا للملك ، ومن عداه رعايا أشبه بعبيد له - انتقل من الوضع الملكي إلى الوضع الإقطاعي ، بعد أن تملك حكام الملك في المجتمع السابق الأراضي وأجروها للزارعين . وهذا المجتمع الإقطاعي بدوره انتقل من مجتمع إقطاعي إلى مجتمع رأسمالي استخدمت فيه الأموال في المصانع ، بعد

ربما أرى من الأوفق في تحديد هذه القوى أن أنتقل من مفهوم الاشتراكية العربية إلى بيان : ما هي القوى للشعبية ؟ أي عدد من الأفراد في قطاعاتها المختلفة ، أم هي بجانب العدد والكم قوى أخرى نوعية يحملها بعض الأفراد في تلك القطاعات ، وللبعض الآخر منهم صلاحيته لحملها وأدائها .

الاشتراكية العربية :

وهنا أود أن أسأل سؤالا : هل العامل في المصنع اشتراكي لأنه عامل ؟ - وعندئذ تكون الاشتراكية صفة للعامل تلازمه أينما وجد . أم الاشتراكية صفة ومعنى آخر يقوم بذات العامل إن وجد هذا المعنى فيه ، ويقوم بذات غيره إن وجد فيه هذا المعنى كذلك ؟ الشيوعية تجعل العامل شيوعيا واشتراكيا لأنه عامل إذ أنها قامت على أساس تفكير معين . قامت على أساس : أن الطبقة العاملة

يكون اشتراكيا عربيا ؟ ، هل الطبيب إذا قدم المشورة لمريضه وأخذ على ذلك الأجر المقرر يكون اشتراكيا عربيا ؟ . هل المدرس الذى يقوم بواجب التدريس فى مدرسته والأستاذ الذى يقوم بواجب أستاذه فى جامعته حسبما يخطط له ويأخذ كل منهما الراتب المخصص له يكون اشتراكيا عربيا ؟ هل التلميذ فى المدرسة والطالب فى الجامعة إذا واطب كل منهما على الحضور ونجح فى امتحاناته المدرسية أو الجامعية مقابل رعاية والده ومدرسته وجامعته إياه يكون اشتراكيا عربيا ؟ . هل الزوجة إذا قامت بالشئون الزوجية أو بدور الأمومة لقاء ما ينفق عليها من الزوج تكون اشتراكية عربية ؟ . وهل الزوج إذا قدم ما يجب عليه من إنفاق لقاء ما يأخذ من خدمات فى الأسرة يكون اشتراكيا عربيا ؟ .

إذا كانت الاشتراكية العربية هى إعطاء لقاء الأخذ، وخدمة مقابل الأجر فكل فرد من أفراد الشعب عندئذ اشتراكى عربى ، وبالتالي هو فرد من أفراد القوى الشعبية . لا أعتقد أن الاشتراكية العربية هى التحرك فى دائرة الأخذ والعطاء . وفى دائرة الأجر على قدر العمل ، أو بالعكس : العمل على قدر الأجر . وإنما الاشتراكية العربية - فيما أعتقد - هى : أن الفرد للجموع والمجموع للفرد .

أن هرب أصحاب الإقطاع من الأراضى الزراعية إلى المصانع ليوظفوا فيها أموالهم . وبتملك عمال المزارع الأراضى ، وبانتقال أصحاب الإقطاع بأموالهم إلى المصانع قام المجتمع الرأسمالى ، ثم هذا المجتمع الرأسمالى انتقل بدوره بعد الصراع بين أصحاب رؤوس الأموال وبين عمال المصانع إلى مجتمع عمالى من عمال المصانع أولا وبالذات .

وهنا يكون عمال المصانع - فى نظر الفكر الشيوعى - هم الاشتراكيون أو الشيوعيون : لكن هل الاشتراكية العربية هى هذه الصورة من الاشتراكية الشيوعية ؟ لا : لأن الاشتراكية العربية تبقى على الملكية الفردية ، بينما الملكية الفردية محرمة فى المجتمع الشيوعى أو المجتمع العالمى . الملكية الفردية سواء فى الأراضى ، وسواء فى المصانع ، وسواء فى التجارة باقية وتكون القطاع الخاص بجانب القطاع العام الذى تملك فيه الدولة بعض الأراضى وبعض المصانع وبعض المتاجر .

لذن نعود من جديد لنسأل عن مفهوم الاشتراكية العربية ، وعن الماصدق الذى تتحقق فيه ... هل هى المبادلة ؟ هل هى أداء واجب وأخذ حق ؟ . هل العامل فى المزرعة ، والعامل فى المصنع ، إذا أدى عملا وأخذ أجرا عليه يكون اشتراكيا عربيا ؟ هل الموظف فى مكتبه إذا أدى عمله وأخذ الراتب عليه

يعطيها إلا بعد دراسة ، وبعد عمق في هذه الدراسة وبعد تريض ، حتى لا يترتب عليها أذى أو ضرر لمريضه ، قد يكون هذا الفضل في الإرشاد والتنوير لمن هو في حاجة إلى الإرشاد والتنوير الطبي ، قد يكون في صورة أو صور غير هذه ، تكون نقابة الأطباء نقابة اشتراكية هربية إذا أعطت فضلا زائدا عن خدمات الأعضاء لقاء ما يجب عليهم أدائه من اشتراكات : إذا أسهمت في إقامة مستشفيات لأصحاب الحاجة بجانا ، إذا قدمت خدمات طبية بدون مقابل لسكان القرى ؛ إذا كانت حملات متعاقبة للتنوير الصحي في قرى الريف ، وقد يكون هذا الفضل الزائد في صور أخرى غير هذه ، ولكنها على كل حال صور تعبر عن معنى إنساني لا يقابله جزاء مادي .

والمدرس يكون اشتراكيا هربيا أيضا إذا زاد فضلا عما يجب عليه أن يؤديه مقابل ما يأخذ من حق له ، قد يكون هذا الفضل في مساعدة ضعيف على وجه خاص بين تلاميذه ، قد يكون هذا الفضل في إيقانه العمل ، قد يكون هذا الفضل في الإسهام مع آخرين من زملائه في مباشرة أمر التدريس في مدرسة لأبناء الشعب دون مقابل مادي ، حتى يكون من وراء ذلك تخفيف عن بعض تكاليف الحياة لمن هو صاحب حاجة من أبناء

كيف إذن يكون للفرد للمجموع ، وكيف يكون المجموع للفرد ؟ لا يكون الفرد للمجموع ، ولا يكون المجموع للفرد إطلاقا إذا كان تحرك الفرد هو التحرك في دائرة الإعطاء مقابل الأخذ ، والعمل على قدر الأجر . وإنما يجب أن يكون تحقيق ذلك بأن يكون هناك فضل زائد في العمل من كل فرد عن مقدار للتساوي بين الأخذ والإعطاء ، وبين الحق والواجب ، وبين الأجر والعمل . يجب أن يكون هناك فضل وراء ذلك ، وهو فضل غير مادي هو فضل إنساني هو مجهود بشري خالص في الدرجة الأولى ، قد يترجم هذا المجهود البشري في خدمة مادية أو خدمة معنوية في صورة محسوسة أو غير محسوسة . فالعامل — بناء على ذلك — يكون اشتراكيا هربيا إذا أدى — بجانب ما يجب عليه من إنتاج في عمله — خدمة زائدة على ذلك ، قد تكون في إيقانه العمل ، وقد تكون في مساعدته للضعيف في العمل ، وقد تكون في النصيحة والإرشاد لمن لا خبرة له ، وقد تكون في غير ذلك .

والطبيب يكون اشتراكيا هربيا إذا أعطى أيضا فضلا زائدا عن المشورة الطبية التي أخذ عليها الأجر . قد يكون هذا الفضل في إعطاء المشورة لفرد آخر عاجز عن الدفع دون أن يأخذ منه ، وقد يكون هذا الفضل في إيقان أمر النصيحة والمشورة ذاتها ، فلا

حقولا نموذجية للزراعة في أماكن متعددة أو أقامت بيوتاً ريفية نموذجية في قرى مختلفة أو أقامت معارض للإنتاج الحيواني في قطاعاته المختلفة أو غير ذلك مما يفهم منه أن النقابة لم تقصر خدماتها على أعضائها وإنما تجاوزت حدود هؤلاء الأعضاء إلى أفراد الشعب أنفسهم الذين ليسوا ممثلين في هذه النقابة .

والموظف يكون اشتراكياً عربياً إذا قدم فضلاً عن خدمة إنسانية أزيد مما يدعو واجبه الرسمي : إذا أسرع مثلاً في إنجاز حاجة أصحاب الحاجة ، إذا وفر للترددين على المصالح الحكومية وقتهم وأعفاهم من مشقة هذا التردد عليها ؛ إذا استقام فيما يبيده من رأى ... إلى غير ذلك من صور الخدمات الإنسانية التي لا يحاسبه عليها واجبه الرسمي ، وإنما تحاسبه عليها إنسانيته .

إذن الاشتراكية العربية هي أمران : عدل وتوازن بين الأخذ والإعطاء في علاقة الفرد للفرد ، وفضل وراء هذا العدل يعود أثره على المجتمع بدون مقابل ، وهنا يتحقق معنى أن الفرد للمجموع لأن نشاطه لم يقف عند حد ما يأخذه من الفرد الآخر ، ويكون المجموع للفرد لأن جميع الأفراد كانوا اشتراكيين على هذا النحو في خدماتهم الزائدة على واجباتهم في خدمة الفرد .
(البقية في العدد القادم)

دكتور محمد البهري

الشعب . تكون نقابة المعلمين نقابة اشتراكية عربية إذا خرجت من دائرة الخدمات التي توفرها للأعضاء مقابل اشتراكهم إلى خدمات أخرى تؤدي لأبناء الشعب كفتح بعض المدارس بدون مصروفات أو تخصيص بعض منح دراسية في الدراسات العليا لبعض المنفوقين من الطلاب أصحاب الحاجة ، أو نشر الوعي الثقافي ، أو إزالة الأمية في القرية يسهم فيه أعضاؤها عن طريق توفير الإمكانية لهم من الاشتراكات التي تدفع لصندوق النقابة .

والمهندس يكون اشتراكياً عربياً إذا أعطى من خبرته الفنية أزيد مما يؤثر عليه ويحدد له ؛ إذا أعطى خدمات فنية تعود على بعض أفراد الشعب بدون مقابل ، كما إذا أسهم مثلاً في تصميم أو في إقامة بيوت سكان الريف ، أو إذا توسع في التبصير والإرشاد لصغار المزارعين عن طريق تكرار الزيارة لهم سواء في مزارعهم أو في بيوتهم ، مما يشعر أنه لا يقف بخبرته الفنية عند حد الأجر وإنما يتجاوزها عما ينم عن معنى إنساني لم يقابل بأي جزاء مادي .

ونقابة المهن الزراعية تكون نقابة اشتراكية عربية إذا توسعت في خدماتها الفنية عما يعود على الأعضاء المشتركين فيها بالمنفعة الشخصية ، تكون اشتراكية عربية إذا أقامت

التكافل في الإسلام

للأستاذ محمد المدني

الآباء والإخوان من النسب أو لياح - أي نصراء وحلفاء - إن استحبوا الكفر على الإيمان ، وتوعد الذين يؤثرون أي علاقة نسبية أو منفعة مادية على الله ورسوله والجهاد في سبيله بالوعيد الشديد ، والآيات في ذلك مشهورة معروفة ومنها قوله تعالى (لا تجد أوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

ونحب أن نقف قليلا عند هذه الآية الكريمة الحاسمة في معناها البعيدة المدى فيما تقرره فهي تنفي أن يوجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم مع ذلك يبادلون المودة من خرج عن حدود الله ورسوله ، وهي تنفي أن يوجد هذا النوع حتى بين المتصلين بالصلات النسبية أو القومية من الأبوة أو البنوة أو العشيبة .

وبعد أن تنفي هذا بهذا الأسلوب الحاسم تلتفت إلى تقرير حالة المؤمنين الذين يسرون

لقد فرض الإسلام التكافل بين الناس على صودة واسعة النطاق تتناول جميع نواحي الحياة أدبية كانت أو مادية ، وقبل أن نبين ما قرره الإسلام في هذه النواحي ونقتبعه فرعا فرعا ، نحب أن نلفت إلى ظاهرة في أسلوب الإسلام الذي سار عليه في شأنها : ذلك أنه لم يفرض التكافل بمجرد الأمر به والنهي عما يخالفه ولكنه أقام المجتمع على أسس أصلية هي بذاتها تنتج التكافل وتنضج ثمراته وتجعلها دانية القطوف .

فأول هذه الأسس ما يقرره القرآن الكريم في غير موضع من أن المؤمنين أخوة ومن ذلك قوله تعالى : (إنما المؤمنون أخوة) ، (فأصبحتم بنعمته إخوانا) وأسلوب القرآن في إثبات هذه الأخوة هو أسلوب من يقرر حقيقة واقعة ثابتة لا تقبل التغير ، فكل امرئ يعلم أنه أخ للمؤمنين وأنهم جميعا أخوانه فيقول لنفسه : مادامت هذه هي حقيقة الصلة بيني وبينهم فلا بد من أن ألاحظها دائما في كل تصرف من تصرفاتي .

وأن أنزل على مقتضياتها في كل حال من أحوالي ، وقد قطع الإسلام كل صلة تتعارض مع أخوة الإيمان فنهى عن اتخاذ

وقرارة نفسه ولا فى أهدافه ومثله ولا فى أساليبه وطرق حياته فكيف يمكن أن تقوم بينهما مخالفة أو ماصرة ، وإذا قالمؤمنون هم أحق الناس بولاية المؤمنين ، ولذلك مقتضياته من التعاون والتكافل فى الشدة والرخاء كما هو شأن الحلفاء والنصرء .
فهذا هو المنبع الثانى الذى ينبع منه التكافؤ فى الإسلام .

والمنبع الثالث هو التكافؤ فى الدماء فليس هناك مؤمن إلا ودماءه غالية عزيزة كريمة وحياته من أجل ذلك مصونه محترمة ، فكلهم سواسية فى ذلك ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : المسلمون متكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

المنبع الرابع هو ما أمر الله به من المحبة بين المؤمنين ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : أحب للناس ما تحب لنفسك ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

هذه هى الأسس أو الينابيع التى ينبثق منها التكافل بين الناس ، وهى دوافع طبيعية يسوقها الإيمان فى جميع المجالات الحيوية التى نرى فيها التكافل واضحا بين المؤمنين .

بعد هذا نجول مع التكافل فى مجالاته المختلفة الى أجاله الإسلام فيها :

على مقتضاه فيقطعون جميع الصلات إلا صلة الإيمان فتصفهم بأوصاف أو تقرر فى شأنهم قرارات واضحة تقع فى سببع جل فى هذه الآية الواحدة :

« أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، وبدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

بهذا يتبين إلى أى مدى وصل الإسلام فى تقرير صلة الآخرة بين المؤمنين ، ونفى كل ما ينافيها وهذا هو المنبع الأول الذى ينبع عنه التكافؤ فى الإسلام .

المنبع الثانى هو ما يقرره القرآن الكريم فى شأن الولاية والتناصر بين المؤمنين : فهو يقرر أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض كما يقرر أن المنافقين والمنافقات بعضهم أولياء بعض وينهى عن اتخاذ الكفار أولياء . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) والأمر فى ذلك كله منطق تحكم به العقول الدليمة ، فما كان المنافق المذبذب المتأرجح بين الحق والباطل بصالح لأن يكون ولياً ونصيراً وحليفاً للمؤمن الثابت الإيمان الذى يؤثر الله ورسوله على كل ما سواهما ، إن كلا من المنافق والمؤمن لا يمكن أن يتلاقى مع صاحبه لا فى عقيدته

عيد الاضحى ، فالكثرة من الناس تذبح وتنحر ، وتأكل وتؤكل ، ويبدو الناس يومئذ فقراؤهم وأغنياؤهم كأنهم مدعوون إلى مأدبة عامة شاملة أنزلها الله ، من السماء .

ونجد الإسلام يحقق التكافل في صورة أخرى جميلة هي صورة إكرام الضيف وأصل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

ولا شك أن هذا لون من ألوان التكافل كريم في مظهره ومقصده وقلبا يعرف الأوربيون هذا اللون من الكرم فليس لهم حساب في الضيافة ولا الضيفان وليس في تقاليدهم أن ينزل إنسان على إنسان فيشاركه في طعامه وشرابه ويكون بذلك راضيا مسرورا معتقدا أنه أرضى ربه وأرضى الشهامة والنخوة وما أبدع ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الضيف (جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام بعد ذلك ولا يحل له أن يشوى عنده حتى يخرجه) وتفسير ذلك فيما ذكره العلماء أن الضيف له يوم وليلة بكرم فيها إكراما فوق العادة التي اعتادها أهل البيت وله بعد ذلك ثلاثة أيام يطعم فيها من طعامهم المعتاد ولا يحل له بعد ذلك أن يقم في هذا البيت الذي استضافه أهله حتى يخرجه ، وخذ الإخراج في كل بيت بحسب طاقة هذا البيت ومركزهم وظروف حياتهم ، أى أن الضيف عليه أن

١ - فتجد التكافل في المجالات المادية واضحا في الزكاة التي أمر بها الإسلام ، لا الاغنياء فقط ، ولكن جميع طبقات الأمة تقريبا ، وذلك أنه جعل لها نصابا هو نحو عشرة جنيهات يحول عليها الحول فيجب فيها ربع العشر ومن ثم نجدها فريضة يقدر عليها العدد الضخم في كل مجتمع ، بل الاكثرية أو ما يقرب من الاكثرية في الأمة ، وفائدة ذلك أن يعم الناس شعور واحد في التضامن والتكافل وبأنهم في أكثر الحالات معطون باذلون لإخوانهم مما آتاهم الله ، ولهذا الشعور لذة وعزة .

ونسبة الزكاة قليلة تسخوها النفوس ، ولا يكاد الشح يتسلط في شأنها على أحد يؤمن بالله ورسوله ، ثم هي عامل من عوامل الألفة والمحبة بين الناس حيث يشعر الذن يأخذونها بالمحبة والارتياح والعاطفة المشتركة ونظرة سريعة إلى العلائق الطيبة التي ننشئها زكاة الفطر مثلا ، وهي التي تخرج في ليلة العيد عن كل نفس كبيرة أو صغيرة وإن لم تكن من الغنى بمنزلة ملك النصاب ، نظرة سريعة إلى هذا اللون من التكافل الاجتماعي تعطينا فكرة عن المدى الذي يصل به الإسلام إلى تحقيق مبدأ التكافل والتضامن في المجتمع .

وقل مثل ذلك فيما يذبح من الأضاحي يوم

الإصلاح ودرء الفساد وذلك هو ما يسميه الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شأنه أن يحقق نوعا عظيما من التكافل بين أفراد الأمة، وأن يكون مجتمعات واعية، فيها ما يعرف الآن بالرأى العام المهيب الوجه الذى يؤيد الحق ويشد أزره ويحارب الفساد ويقلم أظافره، ولأن المجتمع إذا استقام أمره على الخير والصلاح وطهرت أرجاؤه من الشر والفساد عم الترفع فى ذلك جميع الأفراد وأصبحوا محاطين بسياج يدرأ عنهم التفكيك والانحلال المفضيين إلى الفناء والزوال وما أبدع ما يصور به صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حيث يقول (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقلوا لو أننا خرقنا فى ناصيتنا خرقالم تؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم — أى منعوهم من خرق السفينة — نجوا ونجوا جميعا .

أما بعد فهذه مثل من التكافل فى مجالاته المتنوعة التى أجاله فيها الإسلام ولم نرد الاستقصاء . ولكن أردنا التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل .

محمد محمد المدينى

يقابل ماله من حق بواجب التخفيف حتى لا يؤدى أمره إلى الإحراج .

ما أبدع هذا التكافل فى المعانى المادية والأدبية ، والقرآن الكريم ينمى على (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) والماعون : هو ما يتبادلله الناس بعضهم من بعض من الأوائى والمنافع وقد جمرت المجتمعات المتكافلة المتضامنة على تبادل مثل ذلك .

٢ — ونجد التكافل فى المجالات الأدبية فى صورة ما يسميه الإسلام فروض الكفاية التى يجب على المجتمع أن يهيئها ، ولو أنه أهمها لكان كل أفراد مشتركين فى الإثم . فمن ذلك أنه إن وجد وباء وجب أن يتعاون القادرون على درء هذا الوباء ، فيقوم منهم من يطعم الناس ضد هذا الوباء ولو تطوعا ، ومن ذلك أنه يجب على المجتمع تجهيز الميت إذا لم يكن له من يحامزه وتغسيه والصلاة عليه ودفنه .

ومن ذلك كل ما يوجبه الإسلام من الأعمال النافعة للناس من إماطة الأذى وإصلاح الطرقات وإنارتها وعلاج الفقراء ونحو ذلك .

وقد أصبحت كل هذه الفروض الكفائية تقوم بها الحكومات والهيئات البلدية ونحوها وفى ذلك تحقيق للفروض الكفائية على الوجه الذى يتبعه الإسلام .

٣ — ونجد التكافل فى مجال التعاون على

نفحات القرآن

كراهية الحق نزعة جاهليّة ونقيصة خلقية

لأستاذ عبد اللطيف السبكي

١ - « يجادلونك في الحق بعدما تبين .

ب - كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . »

فإن الإسلام بصفة عامة يقتضينا النشاط العقلي في غير تراخ ، ويشيرنا إلى التفكير بتقليب النظر في نصوصه ، ومفاهيمه ، وفي الكائنات المادية لنصل دائماً إلى الحق من الطريق المنطقي الحق .

ويأبى علينا التقليد الوراثي ، والاستسلام للتلقّي المطلق ، حتى لا نشتر في ضلالات الرأي الخاطي ، أو نتورط في المتابعة الذليلة .

٢ - وإن تكن للقمرآن في حظه على النظر ، وإذنه في الحجاج غاية متافقة أصيلة ، فإنه لا يتركنا نستمرس في الجدل ، ونتمادى في طريقه : لئلا يأخذنا حب الغلب ، حتى نتجاوز الحق ، زاعمين أننا نبعث عن الحق ، فنكون كما قال الشاعر المتنبي :

إذا استشفيت من داء بدء
فأقتل ما أعلك ما شفاك

١ - بين الناس تفاوت في الأفهام ولا شك - وصدى هذا التفاوت يبدو فيما يشور من جدل بينهم حول مفهوم على ، أو في تقدير أمر تشوبه الاحتمالات ، ويحتاج إلى تمحيص من الشبهات .

لذلك : لم يكن غريباً في حكم العقل قديماً ولا حديثاً أن نعتبر الجدل في الرأي ظاهرة اجتماعية لا مندوحة عنها في معترك الحياة : لأنها الوسيلة إلى التخلص من البداوة المحدودة الأفق ، وإلى تجلية الشبهات عن صواب يفشده العقل ، وتسريح إليه النفس الطامحة إلى المعرفة في وضعها الحق .

وفوق ذلك يعتبر النقاش والتمحيص استجابة للقرآن في كثير من توجيهاته ، ومسيرة للدعوة الإسلامية في منهجها التربوي .

إنهم يحبون بصره ، عما يتعرض له قبل التنفيذ ، ويقصون عليه ما ارتكبه من جريمة كانت سبباً في الاقتصاص منه ، ثم يسألونه عما تشتهى نفسه ... وكل ذلك تطف به من بشاعة الموقف ، مع تسببه في هذا بما اقترف ، فهذا هو وجه الشبه فيمن تتحدث عنهم الآية ، وعن كراهيتهم للحق وإحجامهم عن المبادرة إليه .

وبقدر ما يكون تمنعهم عن الحق تكون كراهية الله لهم .. فإن الله حق ، ومتصف بالحق ، وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما شرع لعباده إلا حقا وما كفهم ، ولا وعدهم وعدا إلا حقا .

فتجافهم للحق في شأن ما من شئونهم ، يكون محادة لله ، وفرة عما وصف به نفسه ، وارتضاء في هيمنته على خلقه وتديره للملكة .

٤ — فن هم ياترى أولئك القوم الذين أشخصهم الآية في هذا الموقف العنيف المزعج .

الأقرب إلى الذم أنهم الكافرون بالأنبياء وهم يمثّلون في الكفار بحمد عليه الصلاة والسلام — من قرش وسواهم

فهم على جلالتهم ذوو جدل كثير ، وما كان جدلهم عن رغبة في معرفة جديدة .. ولا وسيلة إلى اقتناع بحق ، ولا إظهارا لعلم عندهم يخرجونه للناس !!

والوقوف في الجدل عند الحق ، والكف عن تجاوزه إلى المراء المحظور هو ما وضع قصده في آية الموضوع .

٣ — فهي آية ناقدة لقوم من الناس كانوا يجادلون الرسول جدلا ملحا في شأن بَيِّن ، وضع الحق فيه ، حتى لم يعد للشك غبار عليه .

بل كانوا يعلونه حقا ، ولا يزعمونه خافيا عليهم ، ولكنهم يتمحلون المعذرة للإفلات من لزومه ، والمفروض أن الحق بعد ظهوره يكون الخضوع له لازما ، والأخذ به دينا ، والاتصار له مبدأ ، وخلقاً محمودا ...

وإن لم يكن للحق هذا المقام عندنا فأى فرق بنا وبين المبطلين ؟؟ .

أولئك قوم بلغ بهم التريث في قبول الحق أن صاروا في اعتبار القرآن كن يساق إلى الموت كرها ، وهو يراه شاخصا أمام عينيه ، أو يرى وسائله الحتمية .

وانظر إلى هذا التشبيه وما فيه من قوة التصوير لنفسية الكارهين للحق !! رأيت مشهدا يكون أبغض إلى الإنسان من مظهر الموت ينتظره وهو مسوق إليه في غير ترفق به ؟ .

نسمع أن المحكوم بإعدامه يساق من غرفة سجنه إلى غرفة الموت في هواة ، حتى

وقد وعد الله رسوله أن يتيح له إحدى
الفرستين من غير تعيين - التجارة أو هزيمة
العدو، ولكن غير التجارة أفلتت مع حراسها
الأربعين. ثم تجمعت قريش لاستقبال المسلمين
في حرب تنشفيها من الجمع الإسلامي الصغير.
وصار مفهوما أن وعد الله أصبح محصورا
في مجاهدة العدو: على غير ما كانوا يقدررون.

وعندئذ اضطرب الأمر فيهم، وخاف
كثير منهم الإقدام على معركة لم يستعدوا
لها اليوم، فلجروها إلى موعد بعد.

وابت الرأى فيهم حول هذا بين مد
وجزر. . حتى كانت الرغبة في التأجيل أشبه
بالإعراض عن الجهاد، وكانوا في تشبههم
بهذا أشبه بمن يساق إلى الموت وهو بادله،
وشاخص أمام عينيه.

وما كان لهم أن يتخوفوا، ويرغبوا
في التأجيل، والنصر مكفول لهم مع القلة
فيهم بمقتضى وعد الله سبحانه.

وكيف يكون الحق في وعد الله واضحا
لقوم يؤمنون، ويكون محصورا في منازلة
العدو ثم يجادلون في ذلك؟؟

كيف يتهيئون الحرب وخاصة بعد أن
تشبعوا بالدين الحق، وغدوا لا يضنون
بأرواحهم في سبيله، وقد كانوا من قبل
يتهافون على الحرب في سبيل الباطل،
والعصية الجاحدة؟؟

ولنما كان مرءا فاسدا، ودفاعا عن باطل
غمرهم من كل جانب، وتشبثا بتقليد أعمى
لقوم سبقهم إلى التورط في ضلالات،
وظلمات بعضها فوق بعض.

وربما كان لأوائلهم في الجاهلية عذر
يلتمس لهم، فهم في فترة من الرسل من عهد
إسماعيل عليه السلام.

وغيرهم من أهل الكتاب كان مأخوذا
بشيء من العصية لدياناتهم السابقة.

ولكن ما عذر العرب يومذاك وقد جاءهم
رسول منهم، يتلو عليهم آيات الله بلسانهم،
ويترقى في دعوتهم، ويسلك بهم كل سبيل
راشدة.

فليس كثيرا عليهم إزاء هذا أن ترميهم
الآية بما يجرهم، وأن تكشف ما هم عليه
من إلفك، ومرء.

غير أن سياق الآية التي معنا ليس حديثا
عن الكافرين.

ولنما هي في معرض الكلام عن المؤمنين
بل هم في طليعة المجاهدين مع الرسول في غزوة
بدر الكبرى.

أراد الرسول وصحبه أن يعترضوا قافلة
لقريش عائدة من الشام بتجارتهما إلى المدينة،
وكان مقصدهم الأول أن يظفروا بالتجارة:
لا أن يشتبكوا في حرب.

كثير منهم أن يرجعوا الحرب حتى يستعدوا لها ، ولا يعجلوا بها اليوم لئلا يظفر العدو بهم فيها ، خوفا على جماعتهم القليلة وحفاظا على دهورهم الناشئة ، وإبقاء على نهضتهم الفتنية .

ولكن القرآن يناشد المسلمين يومذاك أن لا يستجيبوا لخلجات أنفسهم ، وألا يحسبوا لهذه الاعتبارات حسابا ، وهم على يقين من وعد الله ، وأن خير البر عاجله .

وهو يعلمهم أن حكمة الله في هذه الحرب أنها معركة البداية في الجهاد المسلح ، وأنها وسيلة أولى في قمع الكثرة الباغية اليوم ، ووسيلة تمهيدية لاستئصال شأفتهم من مكة بعد ... وتودون أن غير ذات الشركة تكون لكم ، أى تريدون عروض التجارة من النافلة ، وليس في إحرازها كبير نفع لكم .

« ويريد الله أن يحقق الحق بكلماته ، يريد الله لكم أن يحقق وعده في خصوص الحرب ليهزمهم اليوم ، ويذلم غدا بإخراجهم من مكة وبقطع دابرهم منها ، وهم جبابرتها ، وسادتها وهذا كله لغاية عظمى وهى تركيز الإسلام فى الأرض ، وجهله ديننا خالداً وإن كان آخر الأديان ، ليحقق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره الجرمون ، ولقد حققت كلمات الله وعمرت الدنيا بكلماته ، ودينه ، وهو الذى نزل الذكر ، وهو الذى يحفظه إلى يوم لغائه .

لا شك أن الإحجام بعد أن خرجوا من المدينة يعتبر نكوصا عن الاضحية . وتردداً فى جهاد عدو بنى هاجم ، وطردهم من مكة ، ويتخاذلا عن البيعة التى عقدوها مع الرسول - غير مرة - ويطمع فيهم ذلك العدو من جديد ، بعد أن ينس منهم منذ هجروا مكة إلى المدينة وأصبحت لهم معقلا حصينا ، وردءاً مأموناً .

تغلب فيهم رأى الحق ، وانقطع الجدل ، ونشبت الحرب ، وصدق الله وعده ، فنصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

هـ — هذه غزوة بدر التى كانت على غير أهبة كافية ولكن الله أراد أن تكون الركيزة الأولى للرأية الإسلامية ، وأن يكون صداها مدويا فى آفاق الجزيرة العربية ، وأن يمتد ذلك الصدى إلى الأمم والأقطار الأخرى فيروع قلوب الصناديد من أبطال العرب ، ويهز عروش الحكم فى دولات عريقة ، ويتوجسون الخوف من ناحية هذا الدين الجديد : لم يكن تردد المسلمين نكوصا عن الدين ولا كان جدلهم من قبيل المراء فى مناصرة نبيهم الذى دعاهم إلى حق ، وآمنوا به فى صدق ، وتابعوه فى غير مداينة ، وأشربوا حب دينه فى غير هواة ، وإنما هو الرأى الصريح الذى تعودوه ، رجع لديهم أو لدى

ليقلعوا عن تلك الآفة : آفة اللجاج —
فقسا ليزدجروا . . .

وللقرآن كثير من التوجيهات في هذا
الجانب ، يذهبنا إلى أن اللجاج ظاهرة العنت
من أهل الشرك وهو تقيضة في الخلق ، ومفرق
للقلوب ، ومشقة للجاعة .

وكم يحكي القرآن لنا عن جدل قريش ،
وعن مرأى أهل الكتاب ، وعن سخط الله
على الممترين ، ولعلنا ندرك كثيراً مما يقع
بيننا أن هذا النوع من الجدل الجاف الذي
يثار فينا ، ولا يكون في رفق ، ولا يتف
عند صواب أنه في عرفنا خلق مسخوط ،
ورذيلة مستهجنة .

ومن أجل هذا كان تنفير النبي من الجدل
حتى ما يكون منه صواباً .

ومن حديثه في ذلك : أنا زعيم ببيت في أعلى
الجنة لمن ترك المراء وإن كان حقاً ، صلوات
الله عليه ، وسلامه ووهبنا حب الحق ، وعصمنا
من المراء وآثامه .

عبد الأليف محمد السكيتي

عضو جماعة كبار العلماء

٦ — وأنت ترى بعد ذلك الإجمال ،
وفي سياق ما سلف : أن الله عتب على المسلمين
جدالهم في الحق الواضح مع رسوله واعتبرهم
كن يساق إلى الموت وهو ناظرة .
ولكن عتاب في أسلوب تهذيبي ،
وتوجيهي ، فهو يجتث من أنفسهم حب المراء
ويحملهم على التخلق باحترام الحق مهما يكن
في سبيله من توضيحات .

ولم يكن عتابه سبحانه في أسلوب التهديد
بالعذاب ، وإعلان سخطه ، كما ترى مثل ذلك
في حديثه على السكافرين والمنافقين !!

فرق : بين جاحدين يسلكون في الجدل
مسلك إبليس ، ويأبون متابعة الحق ،
ويمارون فيه على غير هدى ، ويتعصبون للباطل
في شتى ألوانه ، وليس لديهم برهان . . . وبين
مؤمنين توافرت فيهم الثقة بالله ، وأخذ الإيمان
من قلوبهم مأخذه ، واستقرت في جوارحهم
عقيدة راسخة ، وإنما يجادلون فيما يظنون
أجدي عليهم ، وأسلم لهم ، ثم يتعمدهم الله
فيعتب عليهم عتاباً فيه شدة ، ولكنه حق ،
وفيه شائبة الغضب ، ولكنه غضب الرحيم

عبد الله بن عباس: إمام المفسرين للأستاذ محمد حسين الذهبي

ترجمته :

هو عبد الله ^(١) بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية . ولد والنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته بالشعب بمكة ، فأقرب به النبي عليه الصلاة والسلام فحسبه بريقه ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام في صغره ؛ لقربته منه ، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح ، وله من العمر سبعون سنة .

(١) من كتاب له تحت الطبع عنوانه - التفسير والمفسرون - .

مات بالطائف ودفن بها ، وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية ، وقال بعد أن سوى عليه القراب : مات والله اليوم حبيب هذه الأمة .

مبلغه من العلم :

كان ابن عباس يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه ، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله ، ولذا انتهت إليه الرئاسة في الفتوى والتفسير ، وكان عمر رضى الله عنه يجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويدنيه منه . وكان يقول له : إنك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم خلقا ، وأفقههم في كتاب الله . وقال في شأنه : ذاك فقي السكحول ؛ إن له لسانا سئولا ، وقلبا عقولا . وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول : لا أنكلم حتى يتكلموا . وكان عمر رضى الله عنه يعتد برأى ابن عباس مع حداثة سنه ؛ يدلنا على ذلك ما رواه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة قال : وإن عمر كان إذا جاءته الأفضية

الممضلة قال لابن عباس : إنما قد طرأت علينا أفضية وعضل ، فأنت لها ولا مثاها ، فكان يأخذ بقوله ، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه . قال عبيد الله : وعمر هو عمر في حذقه واجتهاده لله ولللسلين ، وما رواه البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكنان بعضهم وجد في نفسه وقال : لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه من أعلمكم فدعاهم ذات يوم فدخلني معهم ، فما رأيته أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ... » ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً ، فقال : أكن ذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح ، فذلك علامة أجلك . » فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ، فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول ، اه . وهذا يدل على قوة فهمه وجودة فكره . وقال فيه ابن مسعود رضي الله عنه « نعم ترجمان القرآن ابن عباس . » وقال فيه عطاء « ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس ، أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب

القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من واد واسع . » وقال عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة : « كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بهلم ما سبقه : وقفه فيما احتج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ، وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ولا أفته في رأى منه ولا أنقب رأياً فيما احتج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً التأويل ، ويوماً المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلاً قط سألته إلا وجد عنده علماً . » وقيل لطاوس لزمت هذا الغلام — يعني ابن عباس — وترك الأكاثر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، قال : « إنى رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تداروا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس . » وروي الأعمش عن أبي وائل قال : « استخلف على عبد الله ابن عباس على الموسم فقرأ في خطبته سورة البقرة — وفي رواية سورة النور — ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لاسلبوا ، وكان على ابن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس

ويقول : « كأنما ينظر إلى الغيب من صقر رقيق » .

وبالجملة ، فقد كانت حياة ابن عباس حياة علمية ، يتعلم ويعلم ، ولم يشتغل بالإمارة إلا قليلا لما استعمله على على البصرة ، والحق أن ابن عباس قد ظهر فيه النبوغ العربي بأكمل معانيه ، علما ، وفصاحة ، وسعة اطلاع في نواح علمية مختلفة . لا سيما فهمه لكتاب الله تعالى . وخير ما يقال فيه ما قاله ابن عمر رضى الله عنه : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد)^(١) .

أسباب نبوغه : ونستطيع أن نرجع هذه الشهرة العلمية ؛ وهذا النبوغ الواسع الفياض ، إلى أسباب نجمها فيما يلي :

أولا : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله : اللهم علمه الكتاب والحكمة ، وفي رواية أخرى : اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل ، ؛ والذي يرجع إلى كتب التفسير بالمأثور ، يرى أثر هذه الدعوة النبوية يتجلى واضحا فيما صح عن ابن عباس رضى الله عنه .

ثانياً : نشأته في بيت النبوة ، وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد التمييز فكان يسمع منه الشيء الكثير ، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التي نزلت فيها بعض آيات القرآن .

(١) انظر أسد الغابة ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٥ .

ثالثاً : ملازمته لا كابر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، يأخذ عنهم ويروى لهم ، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن ، وتواريخ التشريع وأسباب النزول ، وبهذا استعاض عما فاته من العلم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدث بهذا ابن عباس عن نفسه فقال : (وجدت عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار ، فإن كنت لآتي الرجل فأجده نائماً ، لو شئت أن بوقظ لي لأوقظ ، فأجلس على يابه تسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ وأساله عما أريد . ثم انصرف) .

رابعاً : حفظه للغسة العربية ، ومعرفته لغربها ، وآدبها ، وخصائصها ، وأساليبها ؛ وكثيراً ما كان يستشهد للبعث الذي يفهمه من لفظ القرآن بالبيت والأكثر من الشعر العربي .

خامساً : بلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعدم تحرجه منه ، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق ، دون أن يأبه للملامة لائمه وقد نافذ ، ما دام يثق بأن الحق في جانبه ، وكثيراً ما انتقد عليه ابن عمر جرأته على تفسير القرآن ، ولكن لم ترق إليه همة فقد ، بل ما لبث أن رجع إلى قوله ، واعترف بمبلغ علمه ، فقد روى أن رجلا أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى : « أولم ير الذين كفروا

ما توجه إليه معاصروه لينزل شـكوكهم ،
ويكشف لهم عما عز عليهم فهمه من كتاب الله
تعالى ، ففي قصة موسى مع شعيب أشكل على
بعض أهل العلم ، أى الأجلين قضى موسى ؟
هل كان ثمان سنين ؟ أو أنه أتم هـشراً ؟ ولما
لم يقف على رأى يـم شطر ابن عباس ، الذى
هو بحق ترجمان القرآن ، ليسأله عما أشكل
عليه ، وفى هذا يروى الطبرى فى تفسيره ،
عن سعيد بن جبـير قال : (قال يهودى بالكوفة
- وأنا أتجهز للحج - إني أراك رجلاً تتسع
العلم ، فأخبرني أى الأجـلين قضى موسى ؟
قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حـبر
العرب - يعنى ابن عباس - فسأله عن ذلك ،
فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك
وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس
قضى أكثرهما وأطـيبهما ؛ إن النبي إذا وعد
لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت
اليهودى فأخبرته فقال : صدق وما أنزل على
موسى ، هذا والله العالم) . ١ هـ (١) .

وهذا عمر رضى الله عنه يسأل الصحابة
عن معنى آية من كتاب الله ، فلما لم يجد عندهم
جواباً مرضياً ، رجع إلى ابن عباس فسأله
عنها ، وكان يثق بتفسيره ، وفى هذا يروى
الطبرى (أن عمر سأل الناس عن هذه الآية
يعنى داود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل

أن السموات والأرض كانتا رتقا
ففتقناهما ، (١) فقال : اذهب إلى ابن عباس
ثم تعال أخبرني ، فذهب فسأله فقال : كانت
السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض
رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه
بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره
فقال : قد كنت أقول : ما تعجبني جـرأة
ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن
قد علمت أنه أوقى علما .

هذه هى أهم الأسباب التى ترجع إليها
شهرة ابن عباس فى التفسير يضاف إلى ذلك
كونه من أهل بيت النبوة ، منبع الهداية ،
ومصدر النور ، وما وهبه الله من قريحة
وقادة ، وعقل راجح ، ورأى صائب ، وإيمان
راسخ ، ودين متين .

قيمة ابن عباس فى تفسير القرآن :

تعبين قيمة ابن عباس فى التفسير ، من قول
تليذه مجاهد : (إنه إذا فسر الشىء رأيت عليه
النور) ، ومن قول على رضى الله عنه يثنى
عليه فى تفسيره (كأنما ينظر إلى الغيب من
ستر رقيق) ، ومن قول ابن عمر : (ابن عباس
أعلم أمة محمد بما نزل على محمد) ، ومن
رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه
فى فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله فكثيراً

(١) تفسير ابن جرير ج ٢٠ ص ٤٣ .

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

تفسير ابن عباس يلقي من المسلمين إعجاباً وتقديراً ، إلى درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلى قول آخر ، وقد صرح الزركشي بأن قول ابن عباس مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير (١) .

مجموع ابن عباس إلى أهل الكتاب :

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير ، يرجعون في فهم معاني القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملابسات التي نزل فيها القرآن ، وكان رضى الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب يأخذ عنهم ، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفصلت في التوراة أو الإنجيل ، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلى أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيقة ، تتفق مع القرآن وتشهد له ، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به .

وأعتاب ... الآية (١) . فاجد أحدا يشفيه ، حتى قال ابن عباس وهو خلفه : يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسى منها شيئا ، فتلفت إليه فقال تحول ههنا ، لم تحقر نفسك؟ قال : هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال : أبود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله ، فخرقه أحوج ما كان إليه ، اهـ (٢) .

وسؤال عمره مع الصحابة عن تفسير قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » وجوابه بالجواب المشهور عنه ، يدل على أن ابن عباس كان يستخرج خفي المعاني التي يشير إليها القرآن ، ولا يدركها إلا من نفعه الله بنفحة من روحه ، وكثيراً ما ظهر ابن عباس في المسائل المعقدة في التفسير بمظهر الرجل الملمهم الذي ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، كما وصفه على رضى الله عنه ، الأمر الذي جعل الصحابة يقدرون ابن عباس ويشقون بتفسيره ولقد وجد هذا التقدير صداه في عصر التابعين فكانت هناك مدرسة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس . استقرت هذه المدرسة بمكة ، ثم غدت بعلمها الأمصار المختلفة ، وما زال

(١) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن جرير ج ٣ ص ٤٧ .

انحرافات مردودة :

عباس نفسه في أقواله حذر من الرجوع لإلهم ، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ، ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم ، ولم تكن التعاليم الكثيرة التي أمكن أن يستقيها ابن عباس ، والتي اعتبرها من تلك الأمور التي يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر ، مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية ، فقد كان يسأل كمبا عن التفسير الصحيح لآم القرآن وللرجحان مثلاً ، وقد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم - على العموم - في القرآن وفي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المعاني الدينية ، ورجعوا لإلهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد - من كل جهة - من سؤالهم (١) .

هذه هي عبارة الأستاذ جولدزهر في كتابه ، ومنها يتضح لنا مبلغ تحجنيه على الصحابة وعلى ابن عباس على الأخص .

وقد تابعه الأستاذ أحمد أمين على هذا الرأي ، حيث يقول في جفر الإسلام : (وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام ، فتنسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ،

نجد في كتاب (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن) اتهام مؤلفه (جولدزهر) لابن عباس بتوسعه في الأخذ عن أهل الكتاب ، مخالفاً ما ورد من النهي عن ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) ونرى أن نذكر عبارة المؤلف بنصها ، ليتضح مبلغ اتهامه لابن عباس ، ثم نرد عليه بعد ذلك . قال : (وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن ، كان - أي ابن عباس - يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدي ، الذي أنثى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب ، وعن ميمونة ابنته أنها قالت : كان أبي يقرأ القرآن في كل سبعة أيام ، ويختم التوراة في ستة ، يقرؤها نظراً ، فإذا كان يوم ختمها ، حشد لذلك ناس ، وكان يقول : كان يقال تنزل عند ختمها الرحمة . وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب في الاستفادة من التوراة .

ومن بين المراجع العلوية المفضلة عند ابن عباس ، نجد أيضاً كعب الأحبار اليهودي ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم ، ممن حذر الناس منهم ، كما أن ابن

(١) للمذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص ٦٥ - ٦٧ .

يقبلون كل ما يروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك ، بل كانوا يحكون دينهم وعقائهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدقوه ، وما خالف ذلك نبذوه ، وما سكنت عنه القرآن واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه . وبهذا المسلك يكون الصحابة - رضوان الله عليهم - قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام : (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا تخرج) وقوله : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار ، لما فيها من العظة والاعتبار ، بدليل قوله بعد ذلك : (فإن فيهم أعاجيب .) والثاني محمول على ما إذا كان المخبر به من قبلهم محتملا ، ولم يقم دليل على صدقه ولا على كذبه ، لأنه ربما كان صدقا في نفس الأمر فيكون في التكذيب به حرج ، وربما كان كذبا في نفس الأمر فيكون في التصديق به حرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعا بوقافه ، كما أفاده ابن حجر ونبه عليه الشافعي رضي الله عنه (١)

ثم كيف يستبجح ابن عباس رضي الله عنه لنفسه أن يحدث عن بنى إسرائيل بمثل هذا

ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح ، ولم يتخرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وليكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم) (١) .

فالاستاذ جولدزهر ، والاستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة - وبخاصة ابن عباس - لم يأبهاوا لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدقوا أهل الكتاب وأخذوا عنهم الكثير في التفسير ، وأن اللون لليهودى قد صبغ مدارس التفسير القديمة ، وبالأخص مدرسة ابن عباس ، بسبب اتصالهم بمن دخل في الإسلام من أهل الكتاب .

وهذا الاستهزام :

والحق أن هذا غلو في الرأى ، وبعد عن الصواب ، فابن عباس - كما قلت آنفا - وغيره من الصحابة ، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤا لهم عن شيء يمس العقيدة ، أو يتصل بأصول الدين أو فروعه ، وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا

(١) فتح الباري ج ٨ ص ١٢٠ .

(١) فجر الإسلام ص ٢٤٨ .

تخوف ، فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له :
هذه لغتنا . التخوف : التثقب ، فيقول له
عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟
فيقول له : نعم ، ويروي قول الشاعر :
تخوف الرجل منها تامكا قرداً

كما تخوف عودك النبعة السفن
فيقول عمر رضي الله عنه لأصحابه : عليكم
بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما ديواننا ؟
قال : شعر الجاهلية ؛ فإن فيه تفسير كتابكم ،
ومعاني كلامكم ، (١) .

غير أن ابن عباس ، امتاز بهذه الناحية
واشتهر بها أكثر من غيره ، فكثيراً ما كان
يسأل عن القرآن فينشده فيه الشعر ، وقد روى
عنه الشيء الكثير من ذلك ، وأوعب ما روى
عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها ،
وقد بلغت مائتي مسألة ، أخرج بعضها ابن
الأنباري في كتاب الوقف والابتداء ،
وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه
الكبير ، وقد ذكر السيوطي في الإتيان
بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع
وابن عباس ، وسرد مسائل ابن الأزرق

(١) النصة في اللوافات ج ٢ ص ٨٨ وليس
فيها ما يعارض ما جاء عن عمر من أنه لما سأل
عن الأب رجع إلى نفسه وقال : إن هذا هو التكلف
يا عمر ، لأن الآية التي معنا يتوقف فهم معناها على
معرفة معنى التخوف ، بخلاف الآية الأخرى فإن
المعنى الذي يراد منها لا يتوقف على معرفة معنى الأب .

التوسع الذي يجعله مخالفاً لأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كان ابن عباس نفسه
من أشد الناس تكبراً على ذلك ، فقد روى
البخاري في صحيحه عنه أنه قال : (يا معشر
المسلمين : تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم
الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث
الأخبار بالله ، تقرءونه ولم يشب ، وقد حدثكم
الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ،
وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : هذا من
عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً ، (٢) أفلا ينهاكم
ما جاءكم من العلم عن مسا.اتهم ، ولا والله
ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذي
أنزل عليكم ؟) ١٥ (٣) .

رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم :
كان ابن عباس رضي الله عنه يرجع في فهم
معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن
إلى الشعر الجاهلي ، وكان غيره من الصحابة
يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن ،
ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم ؛
ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية
الغريبة ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية
(٤٧) من سورة النحل : د أو يأخذهم على

(١) في الآية ٧٩ من سورة البقرة .

(٢) البخاري في كتاب الشهادات ج ٥ ص ١٨٥

من فتح الباري .

على قوة ابن عباس في معرفته بلغة العرب ،
والمسامحة بغريبها ، إلى حد لم يصل إليه غيره ،
مما جعله - بحق - إمام التفسير في عهد الصحابة ،
ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر
الذي وجد فيه ، وزعيم هذه الناحية
من التفسير على الخصوص ، حتى لقد قيل
في شأنه : (إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية
لتفسير القرآن) (١) .

هذا وقد بين لنا ابن عباس رضى الله عنه ،
مبلغ الحاجة إلى هذه الناحية في التفسير .
وحض عليها من أراد أن يتعرف غريب
القرآن ، فقد روى أبو بكر بن الأنباري عنه
أنه قال : (الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي
علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة
العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتسنا
ذلك منه) (٢) .

وروى ابن الأنباري عنه أيضا أنه قال :
« إذا سألوني عن غريب القرآن فالتسوه
في الشعر ، فإن للشعر ديوان العرب » (٣) .
فإن عباس رضى الله عنه كان يرى رأى
عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي ،
للاستعانة به على فهم غريب القرآن ،
بل كان أكثر الصحابة إلماما بهذه الناحية
وتطبيقا لها .

وأجوبة ابن عباس عنها ، فقال : « بينما عبد الله
ابن عباس جالس بغناء الكعبة قد اكتنفه
الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع
ابن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا
الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به ،
فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء
من كتاب الله فتفسرها لنا . وتأيتنا بمصادقة
من كلام العرب ؛ فإن الله تعالى إنما أنزل
القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس :
سلاني عما بدا لك ، فقال نافع : أخبرني
عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال
هزين » (١) قال : العزون : حلق الرفاق . قال :
هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت
عبيد بن الأبرص وهو يقول :

لجاءوا يهرعون إليه حتى

يكونوا حول منبره عزينا ؟
قال أخبرني عن قوله : « وابتغوا إليه
الوسيلة » (٢) . قال : الوسيلة : الحاجة ، قال :
وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ،
أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة

إن يأخذوك تسكحل وتخضبى
إلى آخر المسائل وأجوبتها (٣) ، وهى تدل

(١) الآية ٣٧ من سورة المارج .

(٢) الآية ٣٥ من سورة المائدة .

(٣) ص ١٢٠ من الإتيقان ج ١ .

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص ٦٩ .

(٢) الإتيقان ج ١ ص ١١٩ .

(٣) الإتيقان ج ١ ص ١١٩ .

الله عنه فيها قول أو أقوال ، الأمر الذي جعل نقاد الآثار ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التي تجاوزت الحد وقفة المرتاب ، فتبعوا سلسلة الرواة فعدلوا المعدول ، وجرحوا الضعفاء ، وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوة وضعفا . وأرى أن أسوق هنا أشهر الروايات عن ابن عباس ، ثم أبين مبلغها من الصحة أو الضعف ، لنعلم إلى أي حد وصل الوضع والاختلاق على ابن عباس رضي الله عنه . وهذه هي أشهر الطرق :

أولها : طريق معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وهذه هي أجود الطرق عنه ، وفيها قال الإمام أحمد رضي الله عنه : إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيراً (١) . وقال الحافظ ابن حجر (. . . وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس (٢)) .

وكثيراً ما اعتمد على هذه الطريق ابن

وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد التابعين ومن يليهم ، إلى أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة ، فأنكروا عليهم هذه الطريقة ، وقالوا : إن فلنتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن (١) ، وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم في القرآن والحديث ؟ .

والحق أن هذه الخصومة التي جددت في الأجيال المتأخرة لم تقيم على أساس ، فالأمر ليس كما زعمه أصحاب هذا الرأي ، من جعل الشعر أصلاً للقرآن ، بل هو في الواقع ، بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله تعالى يقول : إنا جعلناه قرآنا عربيا (٢) ، وقال بلسان عربي مبين ، (٣) ولهذا لم يتخرج المفسرون إلى يومنا هذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلي للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالى .

الرواية عن ابن عباس ومبلغها من الصحة:

روى عن ابن عباس رضي الله عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة ، وتعددت الروايات عنه ، واختلفت طرقها ، فلا تكاد تجد آية من كتاب الله تعالى إلا ولا بن عباس رضي

(١) ومن هؤلاء الإمام النيسابوري صاحب التفسير المجهول وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره ص ١٦ .

(٢) الآية ٣ من سورة الزخرف .

(٣) ١٩٥ من سورة الشعراء .

(١) الإقنان ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) الإقنان ج ٢ ص ١٨٨ .

الطعن الذي لا قيمة له ، فقد قند ابن حجر هذا النقد بقوله : (بعد أن عرفت الوسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك) ^(١) وقال صاحب إيثار الحق (وقال الذهبي في الميزان : وقد روى - يعنى على بن أبي طلحة - عن ابن عباس تفسيراً كثيراً ممثلاً ، والصحيح عندهم أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس ، وإن كان يرسلها عن ابن عباس فمجاهد ثقة يقبل) ^(٢) . وجملة القول : فهذه أصح الطرق في التفسير عن ابن عباس ، وكفى بتوثيق البخاري لها واعتاده عليها شاهداً على صحها .

ثانيها : طريق قيس بن مسلم للكوفي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه .

ثالثها : طريق ابن إسحق صاحب السير ، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وهي طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، وأخرج الطبراني منها في معجمه الكبير .

رابعها : طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، تارة عن أبي مالك ، وتارة

جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، بوسائط بينهم وبين أبي صالح ومسلم صاحب الصحيح وأصحاب السنن جميعاً يحتجون بعلى ابن أبي طلحة .

طعن بعض النقاد على هذه الطريق :

ولقد حاول بعض النقاد أن يقلل من قدر هذه الطريق فقال (إن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير) ^(١) وعلى هذا فهمى طريق منقطعة لا يركن إليها ، ولا يعول عليها .

وقد استغل هذا القول الأستاذ جولد زهير في كتابه (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن) فقال : (صرح النقدة المسلمون بأن ذلك الرجل - على بن أبي طلحة - لم يسمع التفسير الذي تضمنه كتابه مباشرة من ابن عباس . وهكذا فإنه حتى في صحة القسم الخاص بالتفسير الأكثر تصديقاً ، يحكم للنقدة المسلمون بهذا الحكم فيما يتعلق بصحة نسبته لابن عباس على أنه هو المصدر الأول له) ^(٢) .

تفسير هذا الطعن :

ويظهر لنا أن الأستاذ جولد زهير ، جهل أو تجاهل ما رده به النقاد المعترفون على هذا

(١) الإثنان ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) إيثار الحق ص ١٥٩ .

(١) الإثنان ج ٢ ص ١٨٨

(٢) ص ٧٧ .

أجزاء كبار . ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج ، روى جزءاً وهو صحيح متفق عليه .
سادسها : طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس ، وهي غير مرضية ؛ لأنه وإن وثقه نفر فطريقه إلى ابن عباس منقطعة لأنه روى عنه ولم يلقه ، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، فضعيفة لضعف بشر ، وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبي حاتم . وإن كان من رواية جوير عن الضحاك فأشد ضعفاً ، لأن جويراً شديد الضعف متروك . ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذه الطريق شيئاً ، إنما خرجها ابن مردويه ، وأبو الشيخ بن حبان .

سابعها : طريق عطية العوفي ، عن ابن عباس ، وهي غير مرضية ، لأن عطية ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذي . وهذه الطريق قد أخرج منها ابن جرير ، وابن أبي حاتم كثيراً .

ثامنها : طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني ، وهو المفسر الذي ينسب إلى الشافعي أنه قال فيه : (إن الناس عيال عليه في التفسير)^(١) ومع ذلك فقد ضعفوه ، وقالوا لأنه يروى عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما ، وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه

عن أبي صالح عن ابن عباس ، وإسماعيل السدي مختلف فيه ، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة ، وهو تابعي شيعي^(٢) . وقال السيوطي (روى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة ، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه ، غير أن أمثل التفسير تفسير السدي^(٣)) . وابن جرير يورد في تفسيره كثيراً من تفسير السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ، ولم يخرج منه ابن أبي حاتم شيئاً ، لأنه ألزم أن يخرج أصح ما ورد .

خامسها : طريق عبد الملك بن جريج ، عن ابن عباس ، وهي تحتاج إلى دقة في البحث ، ليعرف للصحيح منها والسقيم ، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم ، فلم يتميز في روايته الصحيح من غيره وقد روى عن ابن جريج هذا جماعة كثيرة ، منهم بكر ابن سهل الديلماني ، عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس ، ورواية بكر بن سهل أطول الروايات عن ابن جريج وفيها نظر . ومنهم محمد بن ثور عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، روى ثلاثة

(١) إنبار الحق ص ١٥٩ .

(٢) الإتيان ج ٢ ص ١٨٨ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٧ .

في الإتيان ، فإن انضم إلى ذلك - أى إلى طريق الكلبي - رواية محمد بن مروان السدي الصغير ، فهي سلسلة الكذب ^(١) ، وقال السيوطي أيضا في كتابه الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٤ : الكلبي : اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثكم عن أبي صالح كذب ، ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً ، وهو محمد بن مروان السدي الصغير ، وكثيراً ما يخرج من هذه الطريق الشعبي والواحدى .

هذه هي أشهر الطرق عن ابن عباس ، صحيحها وسقيمها ، وقد هرفت قيمة كل طريق منها ، ومن اعتمد عليها فيما جمع من التفسير عن ابن عباس رضى الله عنه .

التفسير المفهوب إلى ابنة عباس وقيمته :
هذا ، وقد نسب إلى ابن عباس رضى الله عنه جزء كبير في التفسير ، وطبع في مصر مراراً باسم « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » ، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشافعى ، صاحب القاموس المحيط ، وقد اطلعت على هذا التفسير ، فوجدت جامعه يسوق عند الكلام عن البسملة الرواية عن ابن عباس بهذا السند « أخبرنا

أحمد ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه ^(١) ، وتكلم عنه السيوطي فقال : (إن الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الردية ^(٢)) وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل فقال : (لا تنظروا فيه ، فقال السائل : ما أصنع به ؟ قال ادقنه - يعنى التفسير -) ^(٣) وقال أحمد بن حنبل : لا يعجبني أن أروى عن مقاتل بن سليمان شيئاً ^(٤) . وبالجملة فإن من استحسن تفسير مقاتل كان يضعفه ويقول « ما أحسن تفسيره لو كان ثقة » ^(٥) .

تاسمها : طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وهذه أوهى الطرق والكلبي مشهور بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشيع كما قال ابن عدى في الكامل ، ومع ذلك فإن وجهه من قال : رضوه في التفسير ، فقد وجد من قال : أجمعوا على ترك حديثه ، وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع . ومن يروى عن الكلبي ، محمد بن مروان السدي الصغير ، وقد قالوا فيه : إنه يضع الحديث ، وذاهب الحديث متروك ، ولهذا قال السيوطي

(١) إنبات الحق ص ١٥٩ .

(٢) الإتيان ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١١١ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ١١١ .

(٥) التفسير - معالم حياته - منهجه اليوم ص ٥ .

(١) الإتيان ج ٢ ص ١٨٩ .

الوضاعون من الجرأة على اختلاق هذه
الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس ،
وليس أدل على ذلك ، من أنك تلمس التناقض
ظاهراً بين أقوال في التفسير نسبت إلى ابن
عباس وأخرى رويت عنه . ويمكن
أن يقال - إن هذا التفسير المنسوب إلى
ابن عباس لم يفقد شيئاً من قيمته العلمية
في الغالب ، وإنما الشيء الذي لا قيمة له
فيه ، هو نسبته إلى ابن عباس .

أسباب الوضع على ابن عباس :

ويبدو أن السر في كثرة الوضع على ابن
عباس ، هو أنه كان من بيت النبوة والوضع
عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما
لو وضع على غيره ، أضف إلى ذلك أن ابن
عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون ، وكان
من الناس من يتزلف إليهم ، ويتقرب منهم
بما يرويه لهم عن جدهم ... وربما نعرض
لأسباب الوضع في التفسير ، وإلى القيمة
العلمية لتفسير الموضوع بصرف النظر عن
وضعه ، في مناسبة قربية ، إن شاء
الله تعالى .

محمد حسين الذهبي

عبد الله الثقة بن المأمون الهروي ، قال :
أخبرنا أبي ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمود
ابن محمد الرازي ، قال : أخبرنا عمار بن
عبد المجيد الهروي ، قال : أخبرنا علي بن
إسحق السمرقندي ، عن محمد بن مروان ، عن
الكلي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، .
وعند تفسير أول البقرة ، وجدته يسوق
الكلام بإسناده إلى عبد الله بن المبارك ، قال
حدثنا علي بن إسحق السمرقندي عن محمد بن
مروان ، عن الكلي ، عن أبي صالح ، عن
ابن عباس . وفي مبدأ كل سورة يقول :
وإسناده عن ابن عباس .

... وهكذا يظهر لنا جلياً ، أن جميع
ما روى عن ابن عباس في هذا الكتاب
يدور على محمد بن مروان السدي الصغير ،
عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ،
عن ابن عباس ، وقد عرفنا مبلغ رواية
السدي الصغير عن الكلبي فيما تقدم . وحسبنا
في التعقيب على هذا ما روى من طريق ابن
عبد الحكم قال : « سمعت الشافعي يقول :
لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شيء
بمائة حديث ^(١) . وهذا الخبر - إن صح عن
الشافعي - يدانا على مقدار ما كان عليه

الإسلام واللغة العربية

في مستقبل إفريقيا الجديدة

للأستاذ محمود الشرفاوى

الغربي الشرير مخرجا سهلا . بل خرج منها مرغما مقهورا . فقد كان هؤلاء المستعمرون يخلصون لسلامتهم وحيواناتهم ويعطفون عليها ويطعمونها ويدللونها أكثر مما يخلصون للادميين من أهل هذه البلاد الإفريقية ويعطفون عليهم ويطعمونهم . وقد نشرت الأنباء والصحف حديثا عجيبا أدلى به متحدث رسمي في مجلس اللوردات البريطاني يدل على قيمة الإنسان الإفريق عند هؤلاء المستعمرين :

تحدث لورد موم قبل أسابيع في هذا المجلس فقال : إنه « اشترى ، رجلا في السنة الماضية من إحدى مناطق الصحراء الكبرى التي تسيطر عليها فرنسا . وكان ثمنه سبعة وثلاثين جنيا وعشرة شلنات . . ! وكان غرضه من هذه الصفقة أن يثبت أن تجارة الرقيق مازال تمارس في المناطق الخاضعة لفرنسا .

وقال لورد موم إن العبد « إبراهيم ، كان جاثما كالكلب عند أقدام بائعه : « ميخائيل » . ثم انتقل فجثم عند قدمي اللورد ، بعد إتمام الصفقة . . ! وهذه شهادة مسئول إنجليزي كبير عن الدولة الصديقة لإنجلترا : فرنسا .

١ — منذ كتبنا مقالتنا : الدين والقومية في إفريقيا الجديدة ، ^(١) ونحن نجد في كل يوم مظهرا جديدا من مظاهر الحياة الجديدة في هذه القارة الجديدة : مظاهر الحياة التي تتطلع فيها شعوب هذه القارة وزعمائها وحكوماتها إلى مستقبل حر قوى كريم .

ففي هذه الفترة - على قصرها - نالت نحو عشرين دولة في هذه القارة استقلالها ، ودخل أكثرها مجموعة الدول العالمية في هيئة الأمم المتحدة . وزار كثير من زعماء هذه الدول التي نالت استقلالها بلادا كثيرة ، شرقية وغربية ، عربية وغير عربية ، يعملون لتوطيد هذا الاستقلال الذي نالته بلادهم ، ويسعون إلى مغاير جديدة يحققونها لأوطانهم ، ويوثقون الصلابة والروابط بين حكوماتهم وشعوبهم وبين أكبر مجموعة من الدول ، وبخاصة تلك التي تستطيع أن تمد يد العون المخلص لهذه الدول الإفريقية الناشئة .

هذه الدول الجديدة وشعوبها ، لم تنل استقلالها بثمان هين ، ولم يخرج منها الاستثمار

[١] عدد صفر ١٣٨٠ من هذه المجلة .

في أيسر تفسير (١) يحمل شحنات من القوى الروحية المباركة التي تدفع عزائم هؤلاء العالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنوياً ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها .

هذا ما قلناه في مقالنا الماضي عن السبيل الذي نستطيع به أن نعين هذه الدول الإفريقية الجديدة وأن نسدد خطاها وهي تتطلع إلى المستقبل .

ولكي ندرك بعض ما يحيط بسبيلنا هذه من المؤثرات والمعوقات نعرض بعض الحقائق المحيطة بهذه الدول ، وما يتناوشها من التيارات .

٣ — بعض هذه الحقائق أن الدول التي كانت تستعمر هذه الشعوب ، ثم خرجت منها مرغمة مقهورة ، تركت هذه الدول على حال من البلبلة والجهل والفساد بحيث لا نستطيع أن تستقيم لها حياة إلا بعد فترة طويلة من السنين ، وقصدت هذه الدول الاستعمارية أن تنعز دول إفريقيا الجديدة في سيرها وأن تلتوى بها المسالك ، حتى يسيطر عليها الشعور بالعجز ، والإحساس بأنها في حاجة لمعونة الدول التي كانت تستعمرها ، لا تستطيع أن تستغنى عن إرشادها وتوجيهها ، فيعود من النافذة من خرج من الباب ، كما يقول المثل الأوربي .

(١) أقول : وأكثره سداداً وحكمة ونها وإخلاصاً .

ونشرت الأنباء والصحف يوم ذاك تقريراً لهيئة الأمم المتحدة يقول إن القارة الإفريقية يباع فيها في كل شهر خمسة آلاف من الرجال والنساء والأطفال . ثم يهرب أكثرهم في حراسة القوافل المسلحة إلى خارج القارة .

٢ — هذه القارة للبكر التي خرج منها الاستعمار الغربي مرغماً مقهوراً ، ستجددوها الجديدة صعوبات كثيرة ، بل متاعب ومحن ، في سبيل الحفاظ على استقلالها ، وفي أن تقيم لأبنائها حياة كريمة حرة مستقرة . وهي ، لذلك ، تتطلع إلى صديقاتها من الدول الإفريقية بخاصة ، تطلب إليهن العون . ومن حقها أن تطلب وأن تجاب ، على أسس حكيمة مدروسة واعية .

وقد قلنا في مقالنا السابق نحدد بعض السبل لهذا العون : (... السبيل - أو أوضح السبل - لذلك ، ندركه من حديث مسئول في جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له : « إن شعوري بعد عودتي أن للإسلام جولة أخرى في معركة الحرية العالمية . وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التي زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هذا النصر . بل إنها تمثل العرب في مستهل فجر الإسلام . إن طريقنا الرئيسي أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم

المستعمرون : (ساحل الذهب) ، لأنهم لا يعرفون من هذا البلد إلا ذهبه وخيره وأسلابه وحطامه .
حتى أسماء الأحياء من الناس والزعماء ، يمحون عنها صبغتها العربية ، ويحولونها إلى صبغة أوربية :

فالزعيم الإفريقي (سيكوتورى) زعيم غينيا اسمه العربى - أواقبه - (شيخ الطريقة) فتحوّل كلمة : شيخ إلى (سيك) وكلمة : طريقة إلى (تورى) . والزعيم الآخر : (سيف الله ضياء الله) رئيس الجمعية الوطنية فى غينيا يتحول اسمه إلى (سيفولا ديالو) . والزعيم النيجيرى : (أبو بكر أبو عليوه) يتحول إلى : (أبو بكر باليوا) . ورئيس وزراء السنغال المسلم : (محمد ضياء) . يمسح اسمه إلى (ماما دوديا) . ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية (أحمد سراج الدين) يحى عنه هذا الاسم المشرق ، فيصبح (آمادو سردونا) . ورئيس جمهورية مالى ، التى تعيش فيها أكثرية مسلمة : المؤدب كيتا ، يصير (موديبا كيتا) . وهكذا يصنع الاستعمار الغربى ببلاد إفريقيا ليقطع صلتها بماضيها ويفقدها شعور الثقة والعزة الذى توجد عراقة الأصل والأرومة والدين .
وليربط حياتها وإحساسها به وحده .
ولو أن هذا الاستعمار أبقى لهذه الشعوب

ترك الاستعمار الفرنسى غينيا ولغتها فرنسية ، وليس فيها تعليم جامعى ولا فنى ولا ثقافى . حتى أن معظم الوزراء ، فى عهد استقلالها الجديد ، غير حاصلين على تعليم جامعى .

وقبل الاستقلال ، كانت فرنسا - باختصار - هى كل شيء ، هى الحكومة وهى الاقتصاد ، وهى الدولة والثقافة .

كان الاقتصاد الغنى فى يد مجموعة من الشركات الاستغلالية الفرنسية وبعض الشركات الزراعية الفرنسية أيضا .

هذا مثل . وقد ضربنا فى مقالنا السابق أمثلة أخرى .

وبعض هذه الحقائق أن الاستعمار الغربى قصد ، عن عمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن البلاد الإفريقية التى دخلها الإسلام ودخلتها اللغة العربية ، قصد ، عن عمد وإلحاح ومثابرة ، أن يمحو عن هذه البلاد صبغتها هذه الإسلامية والعربية . فالبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (مالى) وزاره ابن بطوطة وسماه بهذا الاسم وتحدث عن الإسلام فيه ، هذا البلد المسلم العربى يسميه الاستعمار : (غانا الفرنسية) و (السنغال الفرنسى) . والبلد الذى عرفه الناس قبل قرون باسم عربى هو (غانا) يسميه

النفوذ، والحيلولة دون غيرهما، ودون الاتصال بهذه الدول الإفريقية الجديدة. بما في ذلك الدول الإفريقية المستقلة، التي هي أولى الدول بأن تلجأ إليها وتستعين بها في هذا السبيل.

وصحف أمريكا تعلن ذلك ولا تخفيه، وهذا مثل مما كتبت في ذلك: (واليوم وقد نهضت أوروبا من كبوتها الاقتصادية وصارت تعامل أمريكا معاملة الند للند صرفت أمريكا الشرط الأوفر من اهتمامها إلى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. على أن اهتمامها بإفريقيا له المكانة الأولى لأسباب سياسية استراتيجية ظاهرة. وفي ذلك يقول ولتر ليبمان، المعقب الأمريكي المعروف، وهو يعرض لواجب التفاهم التام بين أمريكا وأوروبا الغربية: «إن هذا التفاهم بين ندين هو أوجب ما يكون في إفريقيا، إفريقيا الشمالية وإفريقيا الوسطى وإفريقيا الجنوبية. يلزمنا الاعتراف بأننا لا نستطيع أن نجرى في إفريقيا على سياسة أمريكية مستقلة لأننا لا نزال بعيدين عن النجاح في حل المشكلة المتعلقة بمواطنينا المنحدرين من أصل إفريقي. لهذا السبب، وهو سبب كاف وإن تمكن هناك أسباب أخرى تضاف إليه، يمكننا أن نمارس أعمال البر في إفريقيا، لا أعمال السياسة».

لغة دينها - العربية - لما صارت أسماء زعماءها وألقابهم إلى هذا المسخ.

هذه السياسة الشريرة التي كانت الدول الأوروبية تلتزمها وهي تستمر إفريقيا، وتسيطر عليها وتتحكم في حاضرها ومستقبلها: هذه السياسة الشريرة، ما يزال الغرب مصرا عليها للمستقبل أيضا. يضع لها الخطط البعيدة ويرسم لها الخطوط ويحدد الأوضاع.

يتحدث العالم الأوروبي عن السوق الأوروبية المشتركة، قبل شهور فيجعل إفريقيا من مجالات نشاطه وتخطيطه، ويضع عليها نظره لتكون سوقا محتكرة لهذه الدول. والنفوذ الاقتصادي له ما بعده من النفوذ السياسي والعسكري والثقافي وغيرهما من ألوان النفوذ.

وفي السكونغو عاد رجال الإرساليات المسيحية في أول من عاد بعد استرداد بلجيكا بعض نفوذها فيه.

ولست أوروبا وحدها هي التي تجعل بلاد إفريقيا محالا لنشاطها ومطامعها وتخطط لمستقبلها ونفوذها فيها. بل هناك أمريكا أيضا. ولأمور خاصة بأمريكا وأوضاع الملونين فيها، تستعين بالدول الأوروبية على بسط نفوذها على بلاد إفريقيا، ويتعاون الشريكان الحصيان المتوجسان على التمكن لهذا

وإسرائيل تدرك ما يمكن أن تصل إليه الدعوة الإسلامية في دول إفريقيا المستقلة ، وما يمكن أن تتأثر به شعوبها إذا قامت هذه الدعوة على أسس سليمة مدروسة مباشرة حكيمة .

وإدراك إسرائيل لآثر هذه الدعوة وما يمكن أن تتأثر به شعوب هذه الدول منها ، يجعلها - أى إسرائيل - تبادر بنشر الدعوة الإسلامية - عن طريقها - بين هذه الشعوب . وليس هذا غريباً على خبث إسرائيل . لأنها تحقق به لنفسها مكاسب كبيرة من السهل إدراكها .

فقد نشرت الصحف أن إسرائيل ترسل إلى الدول التي استقلت حديثاً في إفريقيا مدرسين يعلمون أبنائها الإسلام واللغة العربية وأن مدرسيها هؤلاء يشكلون خطراً غير قليل في بعض هذه البلاد ، ويمتد نفوذهم ، وبالتالي نفوذ دولتهم ، فيها ويستوغل . ونشرت للصحف أيضاً أن إسرائيل بنت على نفقتها مسجداً في سيراليون أهدته لمسلميها . . .

فإسرائيل تدرك أن المستقبل في دول إفريقيا للإسلام واللغة العربية . وأن هذا هو السبيل للتأثير على سكان تلك البلاد وكسب مودتهم والسيطرة على عواطفهم . ثم التحكم بعد ذلك في مصائرهم . والدول الأوروبية في ذلك من وراء إسرائيل ، ولنا من ذلك عبرة واضحة .

ولكن هذا لا يمنع أمريكا من أن تمارس أعمال السياسة ، عن طريق الدول الأوروبية الغربية ، إما فرادى وإما جمعا ، ونحن نعلم إذن ما تكون هذه السياسة .

وليست دول أوروبا وأمريكا وحدها هي التي تحاول وتجاهد في أن تنسلل إلى إفريقيا الجديدة لتبسط عليها نفوذها مرة أخرى . بل هناك إسرائيل : الخطر الأكبر على العرب والإسلام .

ففي مذكرة أذاعتها الأمانة العامة للجامعة العربية أنه يوجد في إثيوبيا وأريتريا ٤٨٠ خبيراً إسرائيلياً يعملون تحت ستار المعونات الفنية . وأن هؤلاء الخبراء الإسرائيليين يعملون مهمة ظاهرة لتشتيت أكثر من عشرة ملايين من أصل عربي من موطنهم الأصلي المتناخم لبعض الدول العربية ، وكلما بدت معارضة أو تكسلت ضد الصهيونيين كان مصير أصحابها السجن . و ذكرت مذكرة الأمانة العامة للجامعة عدة شركات صهيونية « تتحكم في الحياة الاقتصادية في هذين البلدين : أريتريا وإثيوبيا » (١) .

فإسرائيل إذن ، يساندها الاستعمار ويؤازرها ، تعمل وتجاهد لتسبق غيرها في التمكن من إفريقيا ، وسعيها هذا لا يذهب هبثاً ، كما نرى .

وقد اعتنق الإسلام على أيدي بعثات الجماعة أكثر من ٢٠ ألف نسمة ، معظمهم من مناطق جبال كرمي ، والتتل ، وكاركو ، وكندكرو ، وكندكير ، وضلبان ، وأبوصيبة ، والمندل ، واللصي ، والكاشة ، والشفر ، وكرره .

كما أسلم على يد بعثات الجماعة جميع نلاميذ منطقة سييلارا بالقرب من الدلنج .

وأنشأت الجماعة داراً في أم درمان خصصتها لإبراء ٦٠ طالباً من أسلموا في الجنوب ، وجاءوا لتلقي علومهم في الخرطوم على نفقة الجماعة (١) .

فإذا نظرنا إلى الناحية المقابلة نجد أن بعثة تبشيرية واحدة في مساحة لا تزيد عن عشرة آلاف ميل مربع من وسط أفريقيا — قد قامت فيها ٥٥٠ مدرسة ، و ٢٥٠ كنيسة .. في حين أن عدد أتباعهم الذين استألوم في هذه المنطقة لا يزيد على ١٨٠٠٠ وطني ، أي بمعدل كنيسة لأقل من ٥٠ شخصا ، ومدرسة لأقل من ٢٥ شخصا ١٠٠ (٢) .

ومع هذا التباين الكبير في الجهد والسعي والإتفاق ، نجد هذه النتيجة التي أسلفناها من انتشار الإسلام وتمكنه وشموله ، وهذا

ه — ولكن ندرك الاحتمالات القائمة في دول إفريقيا الجديدة نحو مستقبل الإسلام ، نذكر ما نشرته صحف القاهرة من أن أربعة آلاف في جنوب السودان دخلوا في الإسلام خلال أربعة شهور (١) وأن خمسين ألفاً في تلك البلاد أسلموا قبل ذلك . منهم عشرون من السلاطين . وأسلم في أسبوع واحد ، ثلاثمائة وخمسون .

وقد تكون هذه الأرقام محتاجة إلى الدقة . ولكن الوضع في إفريقيا كلها ، بلا شك ، لا يستنكر معه ذلك ولا يستبعد ، وكل الدلائل قائمة على صدقه ، كما هي قائمة على استمراره ودوامه .

وفي السطور التالية ننقل بعضاً من تقرير يؤيد ذلك ويؤكد : « وجماعة التبشير الإسلامي والإصلاح بالسودان تضم ٣٠٠ عضو يدفع كل منهم اشتراكاً سنوياً قدره خمسة وعشرون قرشاً ، وقد أصبح لها الآن مركز رئيسي في الدلنج في جبال النوبة غرب السودان يضم ٥ فروع في هذه المنطقة ، و ٣ مراكز أخرى في الجنوب في مناطق « ياي » و « كاجو كاجو » و « جوبا » .

ورغم ضآلة إمكانياتها المالية لقيت رسالتها إقبالا كبيراً من سكان المناطق المغفلة سواء في المديرية الجنوبية أو في جبال النوبة ،

(١) جريدة الأهرام : ١٣ فبراير ١٩٦١ .

(٢) نقلاً عن مجلة [تيم] الأمريكية .

(١) جريدة الأهرام : ٢٩ مايو سنة ١٩٦٠

فعندما يتطلع شعب الصومال هذا إلى معونة الجمهورية العربية المتحدة - وقد تطلع فعلا - لكي تعينه في ثقافته وتعليمه ، فإلى أى مكان من هذه الجمهورية العربية يتطلع ؟ .

وعندما يستعين شعب الجمهورية الصومالية - وهذا مبلغ تمسكه بالعقيدة وحرصه على حفظ القرآن وتعليم الدين - عندما يطلب هذا الشعب العون على تعليم أبنائه ما يريد لهم أن يتعلموا ويحفظوا ، فأى الهيئات هى التى تستطيع أن تلبى حاجته تلك وحاجة أبنائه ؟ .

الجواب واضح بّين .

وقد ثبأت جريدة بريطانية واسعة الانتشار هى صحيفة «سكوتسمان» ، بأن جميع المستعمرات والبلاد الهامة فى إفريقيا ستقال استقلالها قبل سنة ١٩٦٥ . وقد يكون ذلك أقرب من هذا الأجل القريب . ونقول نحن إن بلاداً كثيرة من هذه المستعمرات الإفريقية سيكون الوضع فيها بعد الاستقلال شبيهاً بهذا الذى نراه الآن فى الصومال ، أو قريباً منه .

ومن قبل تحدث سفير السنغال فى القاهرة فقال إن شعب بلاده هو أقرب الشعوب الإفريقية للعرب ، وأن كثيرين من أهله يعرفون اللغة العربية وأنه هو نفسه - السفير - يقول الشعر العربى ، ويحفظ للتبني وشوقي والبوصيرى . واسم هذا السفير : «التيجانى» ومن هذا الاسم نعرف أنه مسلم ، بل هو

أمر طبيعى لأسباب أهمها طيبة الإسلام نفسه ، ثم تليها طيبة الأوضاع فى دول إفريقيا المستقلة نفسها ، فبعض هذه الدول للإسلام فيها السيادة والقيادة . وبعضها يجد فيه الرجاء والأمل .

٦ - وقد زار صحفى عربى جمهورية الصومال قبل شهر ، فكان مما كتب عن شعبها وعقيدته وإيمانه ما يلى :

« وأهل الصومال مسلمون متعصبون لدينهم بدرجة كبيرة . والواحد منهم يبدأ حياته الدراسية دائماً بحفظ القرآن ، مهما كان مركزه ومهما كان مستقبله . ولقد حاولت بعثات التبشير هناك أن تحارب هذا بإمكانات ضخمة . بل إنها لجأت إلى إنشاء دار ضخمة ليقم فيها الأطفال ، ويتعلموا بحافاً مقابل أن تستطيع أن تخرجهم من الإسلام للمسيحية . ولكنها لم تفجح ، ولعل البلد الوحيد فى إفريقيا الذى سجلت فيه البعثات التبشيرية فشلاً ذريعاً هو الصومال . ولقد رأيت عدداً كبيراً من الصوماليين يبدأ من سن العشرين فى اقتصاد مبلغ من المال كل عام ليحج بيت الله الحرام » (١) .

وما يزال شعب الصومال يتبع التقويم العربى فى توقيته اليومى ، أى أن «النهار» يبدأ عندهم من طلوع الشمس .

[١] الأستاذ أحمد زين : جريدة الأخبار فى ٩ مايو سنة ١٩٦١ .

في كينيا (لا كبر دعاية مستأصلة له) - أى تريد أن تستأصل الإسلام من تلك البلاد . وشرح الزعيم الكيني وسائل الاستعمار والصليبية في ذلك .

ثم ننتقل إلى الوضع في (غانا) فنجد فيها مليونين من المسلمين ، أى ثلث سكانها . ونجد اللغة العربية فيها تزاخم الإنجليزية ، فهما اللغتان الدائعتان ، على رغم ما تجد العربية من هنت ومعاذلة ، وتجاهد الإنجليزية من معونة ومساندة . ونجد في كبرى مدنها : كوماسى مسجداً على طراز عربى يسع عشرة آلاف مصل .

وفي نيجيريا نجد ما هو أبين وأوضح ، نجد زائراً من مصر ومن الأزهر ، يقيم فيها فترة من الزمن باحثاً دارساً ثم يقول : (لى وجدت المسلمين في تلك البلاد - نيجيريا - على بعد الشقة بيننا وبينهم - يقدرون مصر حق قدرها ، من أجل الأزهر ، ومن أجل الأزهر فقط ، ويكونون له ولعلبائه كل تقدير وإجلال) (١) .

والمسلمون في نيجيريا متشددون متدينون ، يعتبرون يوم الجمعة هيداً ، وصلاتها مظهراً للفرح والبهجة والسرور . يلبسون لها أنفر ما عندهم من الثياب وأكثره نظافة . تسير

« شيخ طريقة ، التيجانية ، وكان أبوه شيخاً لها وزعيماً روحياً تلقى العهد على يديه أربعاً ألف سنغالى ، من ثلاثة ملايين .

وهذه حقائق يجب أن تدخل في الاعتبار ونحن نتحدث عن الإسلام والعربية في مستقبل الدول الإفريقية المستقلة ، وما يمكن ، بل ما يجب ، أن نفعله من ذلك لديتنا ولغتنا .

وقد زار القاهرة قبل شهر زعيم من زعماء المسلمين في كينيا : هو الشيخ على سنيدي ، رئيس اتحاد المسلمين فيها . وتحدث هذا الزعيم المسلم عن بلاده ووضع الإسلام فيها ، وفي هذا الحديث نجد عبرة تفيدنا فيما نحن بسبيله من حديث الإسلام في إفريقيا :

يقول الشيخ سنيدي إن المهاجرين الأولين من المسلمين - العرب والفرس - الذين دخل الإسلام إفريقيا معهم ، كان أول شيء فعلوه هو تعليم مبادئ الإسلام وأصوله لابنائهم . وتحفيظ القرآن أصغارهم ، وكبارهم ، رجالاً ونساءً ، وصبياناً وفتيات . حتى لا يوجد في سواحل كينيا من لم يحفظ القرآن ويكتبه ، لحفظ القرآن ودراسته إذن ، حملهم عن التعلم والتعليم ، وأزال عنهم الجهل والامية ، وعلمهم الحرص على اللغة العربية .

ثم جاء العصر الحديث ، عصر الاستعمار الغربى والغزو الصليبي ، فتعرض الإسلام

(١) من تقرير للدكتور محمد القمام . مجلة منبر الإسلام عدد ٥ السنة ١٩ .

من دخول المنطقة التي يحكمها . ويرفض أن يعقد اتفاقات معها .

فأى قوة أعظم من هذه العواطف وهذه العقيدة نستطيع أن نفيد منها وندرك المدى الفسيح الذي يمكن أن تبلغه دعوة الإسلام والعربية في مثل هذه البلاد .

٧ — وليست الأوضاع والحقائق وحدها هي التي ترسم الطريق وتحدد المعالم لمستقبل الإسلام والعربية في إفريقيا الجديدة . وتدعونا ، بل تصرخ فينا ، أن نفكر ونعمل ونبادر ، بل الطلائع والاتجاهات في تلك البلاد تدعونا لنعمل ونبادر .

من هذه الطلائع والاتجاهات أن المؤتمر السنوى الثانى للجمعية الثقافية الإسلامية في السنغال قرر مطالبة الحكومة باعتبار اللغة العربية في البرامج الدراسية ابتداء من الصفوف الأولى . وزيادة عدد المدارس العربية في مدن السنغال وقرائها ، والاعتراف بالشهادات الصادرة عن المدارس العربية .

ومن هذه الطلائع أن غينيا في عهد استقلالها بدأت تتطلع إلى المستقبل وتقيم له الأسس الراسخة ، ففرضت تعليم اللغة العربية لغة ثانية على طلبة المدارس الثانوية ، لأنها — كما قال الحسينى أيوب وزير استعلامات غينيا — : « اللغة الإفريقية الوحيدة المكتوبة ، وبما أن ثمانين في كل مائة من سكان غينيا

أماهم لصلاتها الطبول والمزامير ، في الذهاب والعودة ، ذلك مظهر من مظاهر تدينهم .

ويقول بعض من زار تلك البلاد إنه كلما تنصر واحد من أبنائها أسلم في مقابلة عشرة ، مع ما يبذل من السعى والجهد والمال لنشر المسيحية .

وهذه حقيقة معروفة ، نشرتها جريدة « التبو » التي تصدر في المكسيك فقالت : « إن الإسلام ينشر بسرعة في دول إفريقيا التي استقلت حديثا . وإن تعلم اللغة العربية يسير مع موجة انتشار الإسلام جنبا إلى جنب ، (١) » .

ونيجيريا هذه التي يقيم فيها عشرون مليوناً من المسلمين بين خمسة وثلاثين من السكان المسيحيين والوثنيين ، زعيمها ورئيس حكومتها مسلم مخلص متدين هو الحاج أحمد بللوسردونا . وهو ليس رئيس حكومة فقط ، بل هو ، إلى ذلك ، رئيس حزب وزعيم أمة ، يحفظ القرآن ويعرف أصول الإسلام ويتسكلم العربية فيحسنها ، وكان تدينه من أسباب زعامته وقيادته ورياسته .

وهذه العاطفة والمعرفة والعقيدة . هي التي جعلته يخاضع لإسرائيل ، ويمانع في تسلمها إلى شمال نيجيريا على رغم معاونة بريطانيا لها في ذلك ، وجعلته يمنع بعثات إسرائيل

مع معاني القرآن :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

كلمة « رب » تطلق في كلام العرب على معان ثلاثة يرجع إليها كل ما عداها من المعاني كما يقول فضيلة المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق : فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا .

والرجل المصلح للشيء يدعى ربا . والمالك للشيء يدعى بالنسبة له كذلك ربا . فربنا هو السيد الذي لا شبيه له ، وهو المصلح أمر خلقه بما أسبغه عليهم من نعمه ، وهو المالك الذي له الخلق والأمر .

ومن ثم لا تستعمل كلمة « الرب » بالآلف واللام في غيره تعالى ، لأن معناها المالك المتصرف في كل ما عداه . ولا يقدر على ذلك إلا الله ، وأما « رب » بدون أل فتستعمل في غيره تعالى مقيدة بما تضاف إليه ، فتقول رب الدار ، أي مالكتها ، ورب الأسرة ، أي القائم على رعايتها وسياستها .

وكلمة « قلب » تطلق القرآن على العقل ، وهو أداة التفكير والإدراك ، كما تطلق على هذا الجهاز الإلهي الذي نعرفه وهو مناط الشعور والإحساس .

والهداية هي الدلالة على المقصود بخفاء ولطف ، وهي لا تكون بالعقل وحده .

فقد يخطئ العقل وتخطئ الحواس ، وإنما تكون الهداية ويكون الانجاء إلى الخير والحق بالإحساس الراشد ينبعث من داخل النفس . وبالإلهام الخفي من الحكيم العليم ، وبالاغتصام بحبله ودينه مصداق قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » . ولعل في هذا بعض ما يفسر دعاءنا في كل صلاة بقول الله : « إهدنا الصراط المستقيم » . لأن الهدى كما يقول الله « قل إن الهدى هدى الله » .

والزيغ هو الميل والانحراف عن طريق الحق ودين الله الذي ارتضاه .

وهذا الدعاء ورد في القرآن على ألسنة الراسخين في العلم عن وفهمهم الله إلى الانتفاع بعقولهم وقلوبهم ، وآمنوا بيوم الحساب ، يوم يكون الثواب والعقاب . فهم يسألونه - ونسأل الله معهم - أن لا يزيغ قلوبهم بعد أن هداهم وأن يهب لهم من عنده رحمة - وهي تفسر بما ينشأ عنها من النعم - لأنه دون غيره المنعم الكثير الهبات ذو الفضل العظيم . وهم يؤمنون بيوم الحساب وهو يوم لا شك فيه ، لأن العدل الإلهي يقتضيه ، فلا يفلت مسىء من عقاب ، ولا يحرم محسن من ثواب ، ولأن الله وعد به عباده ، وخلف الميعاد نقص يستحيل عليه سبحانه . وهذا الإيمان يعبرون عنه بهذا الدعاء : « ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد » .

عبد الرحيم فودة

مكتبة النقد الأدبي في اللغة العربية

صحيفة بشر بن المعتمر

للككتور أحمد أحمد دبدوي

الحاضر ؛ لتبين تطور هذه الدراسات عبر
الآزمان ، ونرى كيف أثر السابق فيمن جاء
بعده ، وكيف استفاد الخلف من السلف ،
فصحوا ، وفصلوا ، وزادوا ، وبوبوا .

— ١ —

وإننا لنرى بذور النقد الأدبي منذ العصر
الجاهلي ، وإن لم يطلقوا عليها ذلك الاسم
الاصطلاحي ، فقد نقل الرواة ملحوظات
كان السامعون يبدونها على ما يلقى عليهم
من الشعر ، وآراء يحكمون بها على الشعر
والشعراء ؛ فهذا الثابتة الذباني مثلا كانت
تضرب له في سوق عكاظ قبّة حمر من جلد ،
وكان الشعراء يأتون إليه ، فيعرضون
عليه أشعارهم ، وحدث أن أنشد الأعمى
مرة ، ثم أنشده حسّان بن ثابت ، ثم شعراء
من بعده ، ثم أنشدته الحنساء قصيدتها
في رثاء أخيها صخر ، التي منها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن

سوف ندرس تحت هذا العنوان أهم
الآثار التي كتبت باللغة العربية في النقد
الأدبي ، وأعنى بالنقد الأدبي كل ما يقوم
النصوص الأدبية ، ويبين أسباب جمالها ،
ويدرس نواحي التأثير فيها ، فيشمل لذلك
ما نسميه اليوم بعلوم البلاغة ، فهي في حقيقة
الامر من صميم النقد الأدبي ، ومعيار من
معاييره ، لأنها تبحث في بعض وسائل التأثير
في النفس الإنسانية ، وتدرس بعض ألوان
الجمال في التعبير عن المعنى المراد ، ثم تجمّعت
مسائلها بعضها حول بعض ، وأصبحت هذه
المسائل تدعى بعلوم البلاغة ، وهي في الواقع
من فروع النقد الأدبي ، وأبحاثها من بين
أبحاثه الأصلية .

ولهذا سأجعل الكتب التي تناولت فنونا
من دراسات البلاغة من مكتبة النقد الأدبي ؛
لنتبين كيف كانت هذه الدراسات مبعثرة بين
مسائل النقد ، وكيف تبلورت واستقلت .

وسوف أتبع في عرض هذه المكتبة المنهج
التاريخي ، منذ العصور الأولى إلى وقتنا

من فنون القول ؛ أو عندما يصغون إلى ما ينتجه شعراء الإسلام ، والشعراء المخالفون لهم ، ويفضلون إنتاجا على إنتاج .

ويتقدم الزمن ، ويغزر إنتاج الشعر ، وتعدد مرا كزه بين الحجاز والشام والعراق وتشب خصومات بين الشعراء ، ويوضع علم النحر ، ويتدخل النحاة في تقويم الشعر ، كما يتدخل اللغويون في هذا التقويم ، ويكون من ذلك كله نشاط للنقد الأدبي تتمدد فيه الاتجاهات ، وتكثر فيه الموازنات ، وتعرض الأسباب لما يذكر من الآراء ، ويتناقل الرواة هذه الثروة النقدية جيلا عن جيل ، حتى أتى من أخذ هذا التراث فنظمه في كتاب يعد أول مؤلف جمع تلك الآراء المبعثرة ، فرتبها وألف بينها ، وحفظها من أن تضيع مع السنين ذلك هو ابن سلام مؤلف كتاب « طبقات خول الشعراء » .

كما تحتاج الدولة إلى الكتابة ، ويتعلم بعض أبنائها الخطابة ، ويضع رجال الأدب قواعد يجدر أن يتبعها الكتاب والخطباء . وبقى لنا من ذلك صحيفة لأحد رجال الكلام الذين كانوا يعنون بالجدل وبلاغة القول تؤثر في السامعين ، فيميلون إلى حيث يريد رجل الكلام أن يقودهم ، وتلك هي : « صحيفة بشر بن المعتز » .

أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدني قبلك ، لقلت : إنك أشعر الجن والإنس^(١) . وبذلك يكون النابغة قد حكم بأن الأعشى أشعر الذين أنشدوه ، ثم تليه الخنساء في جودة الشعر .

كما روى أن عمرو بن الحارث الغساني فضل حسان على النابغة ، وعلى علقمة بن عبدة ، وكانا حاضرين معه ، وأثنى على لامية حسان التي فيها :

لله در عصابة نادتهم

يوما بخلق في الزمان الأول
ودعاها البتارة التي بترت المدائح^(٢) .

كما كانوا يأخذون على النابغة الذياني الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى في القصيدة ؛ وعابوا على الشاعر أن يصف الشيء بغير ما هو له ، إلى غير ذلك من ملحوظات تتعلق بالمعنى حيناً ، وبالصياغة حيناً آخر ، وكلها يهذى إليها ذوقهم المتمرس بالشعر ؛ فيجعل في مكنتهم أن يدركوا جماله ، ويوازنوا بين قائله .

ويأتى الإسلام ، فيتسع المجال للنقد الأدبي عندما يستمعون إلى القرآن ، فيتذوقون بلاغته المعجزة ، ويوازنون بينه وبين ما عرفوه

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، لطف أحمد إبراهيم ص ١٢ .

[٢] للرجع السابق ص ١٤ . وخلق : دمشق .

- ٢ -

صحيفة بشر بهر المعتمر (*):

وقبل الحديث عن كتاب ابن سلام أرى من الخير أن أعرض لصحيفة بشر بن المعتمر فقد تعرضت مع إيجازها لمسائل من النقد يحسن بيانها:

١،

تعرضت الصحيفة أول ما تعرضت لوقت لإنتاج العمل الأدبي، وأوصى بشر أن يكون ذلك عند الرغبة في الإنتاج، فعلى الأديب أن ينتهز تلك الساعة، فإنها تنتج أبرك الثمرات يقول بشر:

«تُخذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ مالك، وإجابتها إياك؛ فإن قليل تلك الساعة أكرمُ جوهراً، وأشرفُ حساً، وأحسنُ في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلمُ من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة»^(١) من لفظ شريف، ومعنى بدیع، واهل أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك

الأطول، بالكدة والمطاوله^(١) والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً^(٢)، وخفيفاً على اللسان سهلاً، وكما خرج من ينبوعه، ونجم^(٣) من معدنه.

والجمله الأخيرة تدل على إيمان بشر بأن الإنتاج إذا كان ناشئاً عن رغبة في الأديب جاء طبيعياً واثخالا التواء فيه ولا غموض. أما إذا حمل الأديب على نفسه، وأكرهها على ما لا رغبة لها فيه، فهنا يسير الأديب في طريق وعر، يدفعه إلى التعقيد الذي يذهب بالمعنى، ويضيع بهجة الألفاظ، وفي ذلك يقول:

«وإياك والتوهر، فإن التوهر يسلك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك».

وكان بشراً بذلك يعقد صلة نفسية بين الوضوح في الإنتاج والرغبة النفسية، وبين الغموض والتعقيد وحمل النفس على الإنتاج قسراً. وهو رأى له صوابه.

وينحدث بشر عن اللفظ والمعنى، فيقول «ومن أراغ»^(٤) معنى كريماً فيلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف

(١) المطاوله : المغالبة .

(٢) قصد في العمل : استقام .

(٣) نجم : ظهر .

(٤) أراغه : أراده .

* فقيه معتزلى . مناظر ، تنسب إليه المطائفة البهريه من المعتزلة ، مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) [من الاعلام للزركلى] والصحيفة في الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين ص ١٠٤ (الطبعة التجارية السكرى سنة ١٩٢٦ م) .

(١) العين : خيار الشيء . والغرة : الشريف

أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وغيا سهلا ،
ويكون معنك ظاهرا مكشوبا ، وقريبا
معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة
قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة
أردت .

« والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني
الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون
من معاني العامة . وإنما مدار الشرف
على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة
الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال . »

« وكذلك اللفظ العاصي والخاصي ،
فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة
قلبك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك
على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة ،
وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتطف
عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت
البليغ التام . »

هذا هو الاختبار الذي يختبر المرء مقدرته
الأدبية ، فإذا استطاع أن يثبت فيه علم أنه
البليغ التام ، وعلم أنه موهوب عليه أن يتابع
خطاه .

أما الأدب التام فهو الذي تتحقق في ألفاظه
للعدوبة والرشاقة والفخامة والسهولة ،
وفي معناه الوضوح ، وأن يكون الكلام
مناسبا لما يتطلبه المقام ، وموافقا لما قيل لهم ،
فتختار ألفاظه من القاموس الذي تحيط به

ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما
ويهنئهما (١) وعما تعود من أجله أن تكون
أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس لظاهريهما ،
وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما .

وهو بذلك يوصى أن يكون اللفظ مؤديا
معناه في وضوح ، وأن على الأديب أن يبحث
عن اللفظ الموضح لفكرته ، حتى لا يفسد
المعنى واللفظ معا ، وتضيع بذلك الثروة
المرجوة من الكلام ، وهو نقل الإحساس
والشعور من الأديب إلى السامع أو القارئ ،
فإذا لم يوح اللفظ بالمعنى المراد أصبح الأديب
بعبارة المنقوصة أسوأ حالا منه قبل صياغة
نصه للغامض الهجين ؛ لأنه يوقع السامع
في ظلام بهم .

وسوف توضح الصحيفة ما يريده بشر
بالشرف ، حين تعرض لفكرة لا تزال تعرض
لشرحها إلى اليوم ، وهي فكرة الموهبة
في الأدب ، فالأديب في عقيدتنا اليوم موهوب
كما هو عند بشر ، غير أن هذه الهبة قد تكون
واضحة تبدو لأول وهلة وقد تكون
خفية يحتاج صاحبها إلى بحث وتنقيب .
وبشر يضع اختبارا به يعرف الإنسان نفسه
أم موهوب هو في الأدب أم غير موهوب ،
إذا يقول :

« فكن في ثلاث منازل ؛ فإن أولى الثلاث :

(١) هجن الاسم : قبحه

فإن المعنى لا يتضح بأن يكون من معاني العامة ،
ولكن المعنى الشريف هو المصيب النافع .
وإذا كان من السهل إدراك ما يراد بالإصابة
في المعنى ، بأن تكون الحقائق التي فيه يقرها
الواقع والتاريخ ، فإن إحراز المنفعة الذي
وصف به المعنى يحتاج إلى تريت في فهم معناه ؛
فهل يعد بشر تلك المعاني التي لاتعود بفائدة
على قرائها - غير شريفة ؟ وما معنى الفائدة
التي ينبغي أن تؤخذ من الأدب حتى نعد المعنى
شريفاً ؟ أو أنه المنفعة تحرز إذا أدرك المعنى
الصواب ؟ فيكون معنى للشرف حينئذ صواب
المعنى ؛ فإذا أخطأ الأديب في المعنى الذي
يريده ، فقلب الحقائق مثلاً ، أو وصف
الشيء بما ليس من صفاته ، لم يكن المعنى
إذاً شريفاً .

يعرف الأديب المطبوع نفسه بسرعة
استجابة المعاني له والألفاظ ، وهناك صنف
آخر من الأدباء لا يستجيب لهم القول في أول
وهلة ، ولا ينقاد لهم الكلام عند تطلبه ،
ولكن لهم مع ذلك موهبة الأدب ، فهؤلاء
عليهم أنه يعاودوا المحاولة ، فإن استجاب
القلم لهم أدركوا أن هناك هبة وطبعاً .
يقول بشر :

« فإن كانت المنزلة الأولى لا توانيك ولا
تعريك ، ولا تسمع لك عند أول نظرك ،
وفي أول تكلفك ، وتجسد اللفظة لم تقع

الطبقة المثقفة إذا كان الكلام قد أنشئ لها ،
وتنتقى كلماته سهلة قريبة التناول إذا كان للعامة
قد صيغ .

وهذه لفظة طيبة لبشر بن المعتز ، عندما
أدخل في حسابه الأدب يكتب لطبقة العوام ،
ولكنه مع ذلك لا يريد أن ينزل بالأدب ،
بل يريد أن يرتفع بمستوى العوام ، فيعد
من مقدرة الأديب أن يتلطف حتى يفهم
العامة معاني الخاصة ، ويصوغ ذلك في أسلوب
لا تنبو عنه أذواق الخاصة من المثقفين ،
وهو بذلك يحفظ الأدب سموه عن أن يكون
عبارة مبتذلة .

ولعل بشراً أراد برشاقة اللفظ وهذوبته
أن يكون متخير الحروف ، وبفخامته
ألا يكون سوقياً ، وبسهولته ألا يكون هناك
تنافر بين حروفه .

وإذا كان بشر يرى استعمال اللفظ العامي
في موضعه ، كاللفظ الخاص في مكانه ، كلاهما
قد وضع حيث ينبغي أن يوضع ، وهو بذلك
يستجيب لحاجات الجماهير الشعبية ، في أن يكون
لها أدب تستطيع أن تفهمه فإنه يفضل الارتقاء
بالأسلوب كما ذكرنا ؛ وذكره للجلال بين صفات
اللفظ يدلنا على أنه لا يقبل بحال أن تكون
العبارة سوقية مبتذلة .

وشرح بشر ما يريده بالمعنى الشريف ،
وأنه لا يقصد أن يكون من معاني الخاصة ؛

لا تقع موقعها إذا لم تفد معنى جديدا ، ولا تصل إلى قرارها إذا لم تكن دقيقة ، ولا تقال حقها من أماكنها المقسومة إذا لم يتبع في ترتيبها ترتيب المعنى في نفس قائلها ، ولا تحل القافية في مركزها وفي نصابها إذا لم تفد معنى ، وإنما جرى بها لإكمال الوزن لحسب ، ولا تتصل القافية بشكلها إذا اضطر الشاعر من أجل القافية إلى أن يأتي بها سهلة في بيت قد اختيرت كلماته قوية جزلة ، أو جزلة بين ألفاظ سهلة . أو غريبة بين كلمات قريبة مألوفة . وتكون قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها إذا أفسدت معنى البيت أو أضرت به . تلك عيوب الصياغة يقع فيها من يحتاج إلى دربة طويلة ، ومعاودة نظر فيما كتب ، ولكنه يصلح ما أفسد إذا عاود النظر ، ورجع إلى ما كتب فاستطاع أن يهذب ويقوم ، ويكون ذلك دليلا على أن لديه موهبة الأدب ، فله أن يستمر في عمله أدبيا منتجا . أما هذا الذي يعاود الكرة ، مرة بعد مرة ، من غير أن يستجيب قلبه لما يريد فذلك دليل على أنه غير موهوب ، وأن عليه أن يبحث عن عمل آخر غير الأدب ، يقول بشر : « فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛

وموقعها ، ولم تصل إلى قرارها ، وإلى حقها معي أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تسكرها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تسكلف اختيار الكلام المنشور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت تسلفتهما ، ولم تكن حاذقا مطبوعا ، ولا محكما لسانك ، بصيرا بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك ؛ فإن ابتليت بأن تسكلف القول ، وتتعاطى الصناعة ، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة ، وتعاصى عليك بعد إجلالة الفكرة ، فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك وسواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك ، وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة ولا المؤاناة (١) ، إن كانت هناك طبيعة . أو جريب في الصناعة على عرق ، وهنا يلح بشر على نقطة واحدة ، تلك أن يكون للكلمة عمل تؤديه كاملا في الجملة ، بأن تؤدى نصيبها في المعنى المراد ؛ فإذا لم تقم بهذا الأداء كانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها . وذلك العيب ينبعث من أمور كثيرة فصلها النقد بعد ذلك ؛ فالكلمة

[١] المؤاناة الموافقة .

برفق ، بحيث لا يطغى على ما هو أصيل .
وعليه أن يعرف أحوال من يستمعون إليه
أهم من العامة أم من الخاصة ، أمن الموافقين
أم من المخالفين ، أمن يتأثرون بالدين ،
أم ممن يتأثرون بالدنيا ، أمن الشديدي اللدد
أم ممن يسهل قيادهم ، إلى غير ذلك من
أحوال المخاطبين .

وعليه أن يعرف إلى جانب ذلك الحال التي
ينشأ لها خطبته ، والمقام الذي يتكلم فيه
فإنه إذا عرف أحوال المخاطبين من ناحية ،
و عرف المقام الذي من أجله وقف ليخطب
ثم كان ملأ بعناصر الموضوع ، ممسكا بأطرافه
استطاع أن يعرف أى العناصر تصلح لهؤلاء
المستمعين فحدثهم بها ، وأياها ينبغى أن يعرض
عنه فلا يذكر ، وأن يدرك ما يناسب المقام
من أفكار تقال وأخرى تطوى ، فكثيراً
ما يكون فى عناصر الموضوع ما يرتفع عن
مستوى السامعين ، فيكون ذكره عبثاً ، وقد
يكون فيها ما يضعف من المقام ، فلا تبلغ
الخطبة غايتها المرسومة .

ولما كان الخطيب مرتبطاً بالجمهور ،
ويقاس نجاحه وإخفاقه بمقدار تأثيره فى هذا
الجمهور ، كان لا بد من أن يدخل الجمهور
فى حساب الخطيب ، وأن يدخل المقام فى هذا
الحساب أيضاً ، وأن يوازن الخطيب بين
أفكاره وأن يختار منها ما يصلح للجمهور ،
وما يناسب المقام .

فإنك لم تشتهه ، ولم تنازع إليه ، إلا وبينك
نسب ، والشئ لا يحن إلا إلى ما يشاكله ،
وإن كانت المشاكاة قد تكون فى طبقات ؛
لأن النفوس تجود بمكنونها مع الرغبة ،
ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجوده
مع الشهوة والمحبة ؛ فهذا هذا .

فبشرى الأديب أحد رجلين : أديب
ينقاد له القول فى سهولة ويسر ، وآخر يحتاج
فى إنجازه إلى معاودة ما يعالجه ، حتى يستقيم
له ما يريد . وكلا الرجلين موهوب مطبوع .
ويعود بشر بعد ذلك إلى الحديث عن
المعاني ، وما ينبغى أن يؤخذ منها وما يترك ،
فيقول : « ينبغى للتكلم أن يعرف أقدار
المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين
وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة
من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ،
حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ،
ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ،
وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .
وتفسير ذلك أن المعنى الذى يريد الأديب
أن يتحدث عنه له عناصر شتى ونواح كثيرة
فينبغى للأديب أن يعرف هذه العناصر
والنواحى ، وأن يبذل جهده فى الكشف
عنها ، ثم يعرف قيمة كل عنصر وناحية ، فما
ما هو من صميم الموضوع يجب عليه أن يتناوله
بالعرض والدراسة والتحليل ، ومنها ما هو
هرضى ، ليس فى صلب الموضوع ، فيتناوله

أولا : وصيتها الصالحة باختيار وقت الرغبة في الإنتاج ؛ ليخرج النص الأدبي واضحا رائعا .

ثانيا : عني بشر أول ما عني بالنهي عن التوسع لأنه يؤدي إلى التعقيد الذي ذمه بشر ، وأبعضه .

ثالثا : شرط للأدب الرفيع أن يتصف بصفات . وأن يخلص من أخرى .

فيجب أن يتصف اللفظ بالرشاقة والعذوبة ، والفخامة والسهولة ، وأن يكون المعنى ظاهرا مكشوبا .

وأن يخلو من أن تكون الكلمة غير مؤدية نصيبها في المعنى ، وغير دقيقة ، وغير واقعة في مكانها من الجملة ، ومن أن تكون القافية غير مكتملة معنى البيت الذي وضعت فيه ، أو من طبيعة غير طبيعية أخواتها ، أو مضعفة لمعنى بيتها ، أو لا قيمة لها في هذا البيت .

رابعا : وضع أساسا عني به النقد من بعده عناية كبرى ، وهو مراعاة أقدار المستمعين وأقدار الحالات ، فقد تطور ذلك إلى تعريف البلاغة بأنها « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، وشرحوا ذلك « بأن مقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يبين مقام التعريف ، ... ومقام التقديم يبين مقام التأخير ، ومقام الذكر يبين

(ب) لقد مر بشر ومعه هذه الصحيفة بإبراهيم بن جبلة الخطيب ، وهو يعلم الفتیان الخطابة ؛ فدفعها إليهم ، وأعجب المدرس بما فيها ، ورأى نفسه محتاجا إليها أكثر من احتياج تلاميذه ، ولكن يظهر أن بشرا لم يكن قد أعد هذه الصحيفة متضمنة تعاليم الخطابة فحسب ، ففيها ما يتصل بقنون القول : شعره ، وكتابته ، وخطابته ، فالجزء الأخير من هذه الصحيفة ، وهو الجزء الذي يطلب فيه بشر أن يوازن المتكلم بين أقدار المعاني ، وأقدار السامعين ، وما يتطلبه المقام يرتبط ارتباطا وثيقا بالخطابة ، وإن صح أن يعنى به الكاتب والشاعر ، إذا تخيلا جمهورا يكتبان له واسكهما في كثير من الأحيان يتجهان إلى المعنى يريدان أن يبلغا فيه أقصى ما يستطيعان وأن يلبا بكل ما يجوز في نفسيهما من خواطر وإحساسات ، لأن الجمهور لا يواجههما ؛ فيضطران إلى إدخاله في الحساب .

أما باقي الصحيفة فتصل أوثق اتصال بالكتابة والشعر ؛ لأن فيه الوصية بانتهاز الفرصة للإنتاج ، وذلك إنما يكون في غير الخطابة التي يحدد وقت لقائها المقام والجمهور إذا كانت مرتجلة ، أما إذا كانت تصد وتسكتب فلها حينئذ حكم الرسالة والقصيدة .

ومتصل بالشعر أيضا عندما حدثنا عن القافية للقلعة في مكانها ، والناقرة من موضعها .

(ج) ويمكن أن نلخص المبادئ التي تضمنتها الصحيفة فيما يلي :

خامسا : أكدت أن الأدب هبة وطبع ،
وأن النص الأدبي قد يطبع الأدب الموهوب
في سهولة ويسر ، وقد يحتاج منه إلى معاودة
عند النشاط وفراغ البال .
وسوف نرى أثر هذه الأفكار فيمن جاء
بعده من الناقدين .

الدكتور أحمد أحمد بدوي
وكيل كلية دار العلوم

مقام الحذف ... وكذا خطاب الذكي يبين
خطاب الغبي (١) .
ولكنني أرى أساس بشر أوسع من
هذا الإطار الذي وضعه البلاغيون ؛ لأنه
يتناول ذلك ويتناول ما ينبغي أن يعرض
من العناصر ، وما ينبغي أن يترك .

[١] الإيضاح للقزويني ١ : ٢٦ للطبعة المحمودية
التجارية سنة ١٩٣٥ م .

(بقية المنشور على صفحة ٨٢٦)

ثلاثون ألفا من بين نصف مليون عربي
مغرب ، ثم يقول السيد جيمس إن الدعوة
الدينية لها فعلها وأثرها في النفوس .
هذا ما يقوله عربي مسيحي . عن أمريكا
ومن فيها من المغتربين العرب المسلمين .
فكيف بإفريقيا وشعوبها المبتدئة في سلم
الثقافة والمعرفة . . ؟

وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوي ،
وأحسن ، حين قال في حديثه بإذاعة
القاهرة : « إن حدود انتشار اللغة العربية
في إفريقيا هي حدود انتشار الإسلام ،
فنن للعسير ، بل يكاد يكون من المستحيل ،
الفصل أو الحجز بين الإسلام واللغة العربية . »
٩ — هذه الأوضاع والحقائق والآمال ،
هي التي ترسم لنا السبيل وتضيء الطريق
ونحن نتطلع إلى مستقبل الإسلام والعربية
في إفريقيا الجديدة .
محمود الشرفاوي

مسلمون ، فإن لهم الحق في تعلم لغة دينهم .
وقد فرضت اللغة العربية فعلا على جميع
الطلبة في مدارس غينيا الابتدائية والثانوية
من أول هذا العام الدراسي .

٨ — وهناك صيحة من بلاد أخرى بعيدة
تؤيد رأينا وتزكيه ، وهذه الصيحة نادى بها
مسيحي شرقي يقيم في أمريكا .

فنحن نعرف جميعا كيف تسيطر الصهيونية
على مشاعر الناس والحكام في أمريكا .
وفي مقاومة هذه الآفة وتصحيح الوضع
بالنسبة للعرب ، والحق والعدل والسلام
أيضا ، يرى السيد جيمس عنصرة ، الرئيس
التنفيذي للمغتربين العرب ، أن مما يجب
عمله لإحباط ذلك وتوثيق الروابط بين
المهاجرين العرب وأوطانهم ، اختيار أساتذة
وإرسالهم لنشر الدعوة الدينية وتلقيه المسلمين
في أمور دينهم ، والمسلمون في أمريكا الشمالية

جَرِيْمَةُ الزَّانَا هل تحرم المصاهرة؟

للأستاذ محمد سُعاد جلال

١ - المذاهب :

مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل وقول ابن القاسم من المالكية أن من زنا بامرأة حرمت عليه أمها وبناتها ، وتصير أصولها وفروعها في التحريم عليه كأصوله وفروعه وكذلك العكس ، شأنها في ذلك شأن الموطوءة بنكاح صحيح .

ومذهب الشافعي وأبي ثور وقول عبد الملك ابن الماجشون من المالكية وكذلك رأى ابن حزم - إلا في موضع واحد سنذكره - أن الزنا لا يحرم شيئاً وأن من زنا بامرأة فلا تحرم عليه ولا يحرم عليها أصولاً وفروعاً . قال في المبسوط (إذا وطئ الرجل امرأة بملك يمين أو نكاح أو فجور تحرم عليه أمها وبناتها وتحرم هي على آبائه وأبنائه) (١) .

وقال الشافعي في الأم (فأما الزنا فلا حكم للزنا يحرم حلالاً . فلو زنا رجل بامرأة لم تحرم عليه ولا على ابنه ولا على أبيه ، وكذلك لو زنا بأم امرأته أو بنت امرأته لم تحرم عليه امرأته . وكذلك لو كانت تحته امرأة

فزنا بأختها لم يحتجب امرأته ولم يكن جامعاً بين الأختين) (٢) .

وقال ابن حزم في المحلى : (ولا يحرم وطء حرام نكاحاً حلالاً إلا موضع واحد وهو أن يزني بامرأة فلا يحل نكاحها لأحد ممن تناسل منه أبداً وأما لو زنا الابن بها ثم تاب لم يحرم بذلك نكاحها على أبيه وجده . ومن زنا بامرأة لم يحرم عليه إذا تاب أن يتزوج أمها أو بنتها ، والنكاح الفاسد والزنا في هذا كله سواء) (٣) .

وبمقارنة هذا النص بنص الأم السابق تبين مخالفة ابن حزم للشافعي في الموضع الواحد الذي ذكره . وهو حرمة مزية الأب على فرعه . بل يخالفه في التسوية بين الزنا والنكاح الفاسد .

قال الشافعي في الأم : (وإن كانت الإصابة بنكاح فاسد احتمل أن يحرم من قبل أنه ثبت فيه النسب ، ويؤخذ فيه المهر ، ويدراً فيه الحد ، وتسكون فيه العدة ، وهذا حكم

(١) الأم ج ٥ ص ٣٢ .

(٢) المحلى ج ٩ ص ٣٢ .

(١) المبسوط ج ٤ ص ٢٤ .

وبنت بنته وبنت أخيه وأخته من الزنا .
في قول عامة الفقهاء (١) .

وقال في المعنى : (إذا زنا بامرأة حرمت
على أبيه وابنه وحرمت عليه أمها وبنتها كما
لو وطئها بشبهة أو حلالا . ولو وطئ أم
امرأته أو ابنتها حرمت عليه امرأته (٢) .
هذه خلاصة المذاهب الإسلامية في المسألة .
ولذلك الاستدلال على كل مذهب .

٢ — الأدلة :

(١) استدلل الشافعي ومن وافقه على
مذهبهم بالأدلة الآتية : —

أولا : بما روى عن ابن عباس أنه سئل النبي
صلى الله عليه وسلم ممن غشى امرأة .
هل تحمل له بنت امرأته . فقال لا يحرم
الحرام الحلال .

وبما روى عن عائشة رضي الله عنها .
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل
عن من اتبع امرأة حراما . أينكح أمها أو
ابنتها فقال . لا يحرم الحرام . وإنما يحرم
ما كان نكاحا حلالا .

وطعن في سند هذا الحديث بوجود
عثمان بن عبد الرحمن الوقاص ، وصفه يحيى
ابن معين بالكذب .

وقال البخاري والنسائي وأبو داود ليس

الحلال . وأحب إلى أن يحرم من غير أن
يكون واضحا . فلو نكح رجل امرأة نكاحا
فاسدا فأصابها لم يحل له عنده أن ينكح أمها
ولا ابنتها ولا ينكحها أبوه ولا ابنه . وإن
لم يصب النكاح نكاحا فاسدا لم يحرم عليه
النكاح للفاسد بلا إصابة فيه شيئا من قبل
أن حكمه لا يكون فيه صداق ولا يلحق فيه
طلاق ولا شيء مما بين الزوجين (١) .

وقال القرطبي (ومن زنا بامرأة ثم أراد
نكاح أمها أو بنتها لم تحرما عليه بذلك)
وقالت طائفة تحرم عليه . روى هذا القول
عن عمران بن حصين . وبه قال الشعبي وعطاء
والحسن وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق
وأصحاب الرأي . وروى عن مالك أن الزنا
يحرم الأم والإبنة وأنه بمنزلة الحلال . وهو
قول أهل العراق . والصحيح من قول مالك
وأهل الحجاز . أن الزنا لا حكم له . لأن الله
سبحانه وتعالى قال (وأمهات نسائكم)
وليس التي زنا بها من أمهات نسائه . ولا
ابنتها من ربائبه . وهو قول الشافعي
وابن ثور (٢) .

وقال ابن قدامة للقدس الجنبلي في الشرح
الكبير على متن المقنع : (ويحرم على الرجل
نكاح ابنته من الزنا وأخته وبنته ابنة

(١) الشرح الكبير ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) المعنى ج ٧ ص ٤٨٢ .

(١) الأم ج ٥ ص ٢٢ .

(٢) القرطبي ج ٥ ص ١١٥ .

له الأحكام الشرعية من ثبوت النسب والنفقة والإرث والوصية هو من كان من نكاح شرعى . أما من كان من الزنا . فلا تثبت له هذه الأحكام . وإذن فلا يكون للبت من الزنا . حكم حرمة المصاهرة قياسا على انتفاء سائر أحكام النسب فى جانبها .

(ب) واستدل الحنفية ومن وافقهم من الحنابلة وبعض المالكية بالأدلة الآتية :

أولا : بالكتاب . قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء . . فإن المراد بالنكاح الوطء لأنه حقيقة فيه . وتقيد به بكونه حلالا قدر زائد على النص . لا يثبت بخبر الواحد ولا بالقياس .

والدليل عليه . أن موطوء الأب بملك يمين حرام على ابنه . فهذا لإثبات أن المراد بالنكاح محض الوطء .

ثانيا : بالسنة . وذلك بما رواه ابن حزم عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن أم الحكم أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة كان زنى بها فى الجاهلية . أينكح الآن ابنتها . فقال عليه السلام : (لا أرى ذلك ، ولا يصلح لك أن تنكح امرأة تضطلع من ابنتها على ما اطلعت عليه منها) وفيه ابن أم الحكم .

وبقوله صلى الله عليه وسلم . من نظر إلى فرج امرأة لم يحل له أمها ولا بنتها . وفيه الحجاج بن أرتاة .

بشئ ، وذكره عبد الحق عن ابن عمر . ثم قال فى إسناده لإسحق بن فروة . وهو متروك الحديث . وحديث عائشة ضعف بأنه من كلام بعض قضاة العراق ، قاله الإمام أحمد ، وقيل من كلام ابن عباس .

ثانيا : استدلوأ بقولهم أن وطء الزنا لا يقرب عليه حرمة المصاهرة . لأنها نعمة وكرامة . فلا تنال بالسبب المحذور وهو الزنا .

أما أن حرمة المصاهرة نعمة وكرامة . فلأن أصل ثبوت مطلق التحريم كرامة للإنسان . وارتفاع بقدره عن رتبة الحيوان . وكونها نعمة . فلأنها تلحق الأجنيات بالمحارم . فيحل له النظر إليهن . والخلوة معهن والسفر بهن . وذلك من غير شك نعمة .

أما أن هذه النعمة والكرامة لا تنال بالسبب المحذور . فلما ثبت من وجوب المناسبة بين الحكم وسببه . فكما لا يقال . أكرم الجاهل وأعز العالم . لا تنفاه المناسبة . فكذلك لا يصح أن يجعل الزنا سببا لتلك النعمة والكرامة لا تنفاه المناسبة بينهما . ولذا قال الشافعى : والنكاح أمر حدث عليه . والزنا فعل رجعت عليه فلا يستويان . .

ثالثا : قوله صلى الله عليه وسلم د الولد للفرأش وللعاهر الحجر . فالولد الذى تثبت

يتخذون موقفاً واحداً في القول بتحريم الحياة الزوجية ابتداء واستمراراً بسبب المخالطة الجنسية غير المشروعة وأن المالكية على بعض الخلاف بينهم والشافعية ثم الظاهرية الذين يمثلهم ابن حزم - باستثناء مسألة واحدة يذهبون إلى عكس ذلك . ولا يرون للمخالطة غير المشروعة تأثيراً على الحياة الزوجية .

والذي يترجح هندي الأخذ بمذهب القائلين بالتحريم تورعاً وذهاباً مع المحقق الكمال رضى الله عنه في أن حكم الحرمة (هو الجارى على المعهود من الاحتياط في أمر الفروج) . ولأن الأخذ بهذا الرأي يقف حائلاً في وجه مظاهر الاختلاط للشائنة في الأوساط العائلية وغيرها حيث يحتمل أن يلتقى النساء بالرجال في جو واحد . ويكون العمل به ، من قبيل سد الذريعة إلى ما هو محرم وضار ومخرب لكيان الأسرة والمجتمع .
٤ — تعليل محتمل :

نلاحظ أن الخلاف في هذه المسألة وجد قديماً بين الصحابة ثم التابعين ثم ظهر في المذاهب الفقهية بعد ذلك . وتسنع لنا من وراء هذه الملاحظة خاطره ، وهى أن هذه المسألة تصلح أن تكون مثالا على تأثير الآراء الفقهية بالبيئة الإقليمية التى نشأت فيها . فنجد أهل العراق على القول بالتحريم

قال ابن حزم وابن أم الحكم مجهول والمحتاج بن ارطأة هالك - وكلاهما مرسل . ولا حجة في مرسل (١) .

وقال للكمال عن الحديثين . كلاهما مرسل ومنقطع . إلا أن هذا لا يقدح عندنا إذا كان الرجال ثقة (٢) .

ثالثاً : بالمنقول من مذاهب الصحابة - رضوان الله عليهم - فقد روى مذهب التحريم عن ابن مسعود وأبي بن كعب وعمران بن حسين وابن عباس بألفاظ مختلفة - ورأى للصحابي وإن لم يعتبر حجة عند الحنفية إلا أنه يقوى الرأي المطروح للنظر ويرجحه .

رابعا : قال ابن القيم في زاد المعاد : (أجمعت الأمة على تحريم أمه عليه ، وخلقه من مائها . وماء الزانى خلق واحد . وإثمهما فيه سواء . وكونه بعضاً له مثل كونه بعضاً لها) .

قلت : يعنى فحيت امتنع بالإجماع تحريم ابن الزنا على أمه يمتنع تحريم بنت الزانى عليه لأن النسبة بين الزانية وابنها كالنسبة بين الزانى وبنته سواء بسواء .

* * *

٣ — النتيجة :

هذا عرض للمذاهب الإسلامية في هذه المسألة وملخصها : أن الحنفية والحنابلة

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٥٣٥ .

(٢) راجع الفتح ج ٢ ص ٢٦٦ .

والقساوة - بعكس الحال في البيئات البدوية ذات الطابع الصارم ، وتناول مسائل الحياة بأسلوب يغلب عليه العنف والحزم - وأن بيئة الحجاز لما كانت بيئة بدوية صارمة على النحو الذى وصفنا وكانوا ينظرون لفصلة الزنا بعنف واشتمزاز ويتبنون المخلوقة من ماء الزنا بتا - نقول لما كان الأمر - فى اختلاف البيئتين من حيث الاعتبارات الاجتماعية والنزعات الفلسفية - على ما ذكرنا ، فقد صدر كل من القولين قول أهل العراق وقول أهل المدينة والحجاز مصبوغا بلون البيئة التى نشأ فيها ، ثم قننته عبارات الفقهاء وأيدته أدلتهم بعد ذلك ، وهو أمر ملحوظ دائماً فى التفاعل التشريعى بين البيئة والعمل القانونى .

محمد - هادي - مهول

واعتبار البنت من الزنا كالبنت من الحلال فى ذلك ، وهو ملحوظ لا يتخلو من اعتبار ، وأن أهل الحجاز يرون عكس ذلك ، وأن الزنا لا يحرم شيئاً وأن المخلوقة من ماء الزنا مهددة الحكم إهداراً ، كما أنه لم يوجد نقل قاطع فى هذه المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم . فما نقل من الحديث فيها غير صحيح ، منقطع ومرسل ومكذب بعض رواته ، كما صرح بذلك النقدة ، ثم صار مدار الترجيح فيها إلى أقيسة الفقهاء وآثار الصحابة - رضوان الله عليهم - فقد نلح من هذا أن بيئة العراق لما كانت بيئة مدنية متحضرة يشيع فيها عمل النزعات الفلسفية المنحرفة والآراء الاجتماعية المرنة . حيث لا ينظر فى أمثال هذه البيئات للبنت غير الشرعية نظرة شديدة النفرة

القلق الروحى هو أخصر خصائص الإنسان الراقى ، لا تجده فى البدائيين ولا فى المستعبدين ولا فى المتبطلين ولا فى الذين يعيشون يوماً بيوم ولا ساعة بساعة . لا تجده فى الموظف الذى قنع بوظيفته فلا يطمح ، ولا فى المتعلم الذى اكتفى بشهادته فلا يبحث . ولا فى المستكين الذى رضى بمهنته فلا يغامر . من « وحى الرسالة » .

مَهْرَجَانُ الشَّعْرِ فِي دِمَشْقَ

لِلأَسْتَاذِ إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدِنَا

القوى الذى ظهر فى الشعر العالمى إلى مراجعة الوزن ، وإيثار السكلم المنظوم على السكلم المرسل بغير وزن ولا قافية . ثم استشهد على ضرورة القافية بما ورد فى الطبعة الأخيرة من الموسوعة البريطانية الكبرى ...

نقول الموسوعة فى فصل كتب عن القافية : إن قوانين القافية قد تصعب أحياناً كغيرها من القيود الفنية ، ولكنه ما من دليل قط على أن الجمال المطبوع الذى تجلبه القافية إلى الشعر يفقد أثره على الأذن الإنسانية ، أو يتعرض لخطر من الأخطار بمن يحاول أن يستبدل به النبرات أو النغمات أو مجرد الإيقاع ...

وهكذا حسم الأمر فيما يدعيه أصحاب الشعر الجديد .

ونلت ذلك كلمة الأستاذ شفيق جبرى التى تحدث فيها عن البحترى بمناسبة ذكره حديثاً لا مجال للسكلام عنه الآن ، لأننى سأفرد مقالا خاصا أتحدث فيه عن الأبحاث التى ألقيت فى المهرجان عن شاعرنا البحترى ، من كبار الكتاب ، وأساتذة الأدب .

فى الساعة السادسة من مساء اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر بدأ المهرجان على مسرح معرض دمشق بكلمة بليغة للدكتور أجمد الطرابلسى أبان فيها أن الشعر الجديد بهذا الاسم هو ما عبر به صاحبه عن تجاربه ومشاعره تعبيرا قويا صادقا مؤثرا ، ومن ثم فلا ينبغي أن يقال هذا شعر قديم ، وهذا شعر جديد إلا حين يراد التاريخ الزمنى فحسب ، لأن الشعر فى جوهره خالد أبداً ، متجدد على الدوام . وكان ذلك رداً بليغاً على أصحاب الشعر الجديد الذين يزعمون أن شعرهم يتصف وحده بالتجديد والتطور ، على حين يتسم غيره بالتقليد والجود ! ...

وأعقبت هذه الكلمة كلمة أستاذنا العقاد التى أوضح فيها أن الشعر يتجدد من سنة إلى سنة ، ولكن كما يتجدد الربيع عاما بعد عام وأن الشعر إذا تغير ، فإنما يتغير على سنة الحياة ، لأنه هو التعبير عن الحياة ، ويتغير على سنة الربيع المتجدد ، وهو على تجسده الذى لا ينقضى ، أهرق من التاريخ . وفى هذه الكلمة تحدث العقاد عن ذلك الحنين

ليعلموا أن الشعر بخير ، وأن الشعراء موجودون ، ولكن أين المنابر التي من فوقها يشدون ؟ وأين وسائل النشر التي تنشر لهم ما يريدون ؟ ...

والذين يثيرون الغبار حول المهرجان إنما يفعلون ذلك لأن القارئ على مهرجان الشعر لم يعترفوا بشعرهم فيسهحوهم بإنشاده فأحنقهم ذلك وأثار غيظهم ، كما أحنقهم وأثار غيظهم أيضاً ما ظهر به الشعر المنظوم في هذا المهرجان من إقبال الجماهير ، وتقدير الصحافة . ولأنني أريد أن أكون صادقاً مع نفسي ومع الناس صريحاً في مقال وموضوعياً أيضاً . أذكر أن بعض القصائد التي ألقيت في المهرجان كانت دون المستوى الفني اللائق به ، وقد كان من الأولى استبعادها ، ولا ينبغي أن يجامل بعض الأشخاص أو بعض الأقطار على حساب الشعر ، وقد علمت أن بعض الشعر قد ألقى في المهرجان دون أن يعرض على المختصين !! ...

والآن لنستعرض معاً أيها القارئ بعض ما أشد من الشعر في هذا المهرجان . لقد أقيم المهرجان في دمشق الفتيحة ، فكان من الملائم أن يتغنى الشعر بجملها الرائع . ومجدها الخالد ، وحضارتها الزاهية ... هذا رأي ذو القلب الفتي الشاب يصور

وتتابعت القصائد في هذا اليوم وفي سائر الأيام . وستحدث عنها في هذا المقال حديثاً عاماً بجملاً ، لأن دراستها دراسة تفصيلية تحتاج إلى عدة مقالات ، إن لم نقل إنها تحتاج إلى كتاب .

وأول ما نلاحظه في هذه القصائد جاءت كلها منظومة على النحو المألوف في الشعر العربي قديمه وحديثه ، ولم يكن بينها قصيدة من طراز الشعر الجديد ، وقد اتم الكثير منها برصانة التعبير ، وجدة التفكير ، وجمال التصور .

وكان أغلب شعر المهرجان يدور حول المعاني التي تتصل بواقعنا المشهود ، ومستقبلنا المرتقب ، وتنزع إلى حضارتنا التليدة ، ومجدنا القديم . ولا عجب في ذلك . فإن الأحداث التي عاصرناها ، والمبادئ التي تبنيناها ، والمجتمع الذي نبنيه على أسس تحقق بجد العروبة ، وكرامة الإنسان ... كل أولئك كان له صدى بعيد وتأثير عميق في نفوس الشعراء ، فتفجر شعرهم قوى التعبير ، بليغ التأني ، واضح الغاية . وكما كنت أتمنى أن يشهد هذا المهرجان من يزعمون أن الشعر قد مات بعد شوقي وحافظ ؛ لأنهم يلفتون في المناسبات القومية ، فلا يجحدون الشعراء الذين يقولون ولا يسمعون الشعر الذي يقال . كما كنت أتمنى أن يشهدوا هذا المهرجان

شوقه وحنينه إلى دمشق وأهلها فيقول ،
وما أجمل ما يقول :
طال شوقي إلى ربا قاسيون
وهنا بني إليه فرط حنيني
غبت عنكم حولا ، وما غاب عني
ما شجا خاطري ، وشاق هيوئي
من حديث أندي من الزهر في الفج
ر إذا رف تحت ظل الغصون
وصفاء يشف عن كرم الله
س ، ويذب عن الإخاء المتين
ورفاء تمضى الليالي ، وتبقى
صورة منه في إطار السنين
ثم يصف جماها ، ويتحدث عما فيها من
الفتون ، حديث المتيم المفتون . فيقول :
ما أحيلك يا دمشق ! وأبهي
كل ما فيك من ضروب الفتون
جنة تبهر العيون ، وواد
ضاحك الظل ، هادر بالعيون
زينت جيدها عقود من الغد
ران سالت باللؤاؤ المكنون
كلها عذبة الخرب على حس
ن اختلاف في غنة ورنين
وهذا صالح جودت شاعر الرقة ، يناجي
د بردى ، مناجاة المحب الوامق ، فيقول :
فديتك يا بردى ، ما جريت
تغنيت بالحب إذ تهدر

تحب عيونك سحر العيون
وتحسد رونقك الأنهر
على درجاتك طال الربيع
وطاب بك الصحب والمعشر
ثم يلتفت إلى دمشق ، فيخاطبها بهذه
الآيات :
أجل . . ذاك موسمنا يا دمشق
وفيه خريخفك يخضوضر
وأنت إذا لم تكوني الجنان
فإنك من روحها عبقر
مشينا إليك مع المهرجان
خطى المؤمنين إذا كبروا
ويختم قصيدته بأبيات يحكي فيها ثوارنا
الأحرار ، ويشيد بالمبادئ التي آمنوا بها
في مجال الحياة ، فيقول :
رعى الله من قوما فتية
مشوا للجهاد فاقصروا
أقاموا الحياة اشتراكية
يعز بها الكادح المعسر
وسنوا شريعتهم في الحياة
وقالوا هو الحلف والمحور
وما آمنوا للألى أيمنوا
ولا آمنوا بالآلى أيسروا
ولكن تلاقوا على وحدة
ينادى بها الشاعر الأسمر
والشاعر كامل أمين الذي اشترك في معركة

فلسطين ، ونقل جريحا إلى دمشق يتحدث
عن هذه الذكريات حديثا يمتزج فيه الألم
بالاعتزاز فيقول :
كبرت لله لما عدت ثانية
أقبل الأرض تحي قبلة الظام
هذى مساحب قلبي بعد عودته
من المهاجر يندى جرحه الدام
فلول جيش وأعلام ممزقة
كصعدة الرمح ، أو أشلاء ضرغام
وحفنة من بقايا كل صاعقة
في الحرب ، أطلقتها رام على رام
إلى أن يقول :
دمشق يا وطن الأفلاك ، يا وطني
يا وحى شعري وتاريخي وإلهامي
حسبي أراك ، ولو ملكت أجنحة
مستك عيني ، وما داستك أقدامي
والقومية العربية لها في نفوس الشعراء
أسمى مكانة ، وأرفع منزلة ؛ فهي عقيدتهم
التي بها يؤمنون ، وعنها يناضلون ، وهي سر
قوتهم ، ومبعث عزتهم ، ومنارهم الذي
يضيء لهم طريق المجد ؛ ويهديهم سبيل الخلود ،
فلا عجب أن يتغنوا بها في المهرجان ، غناء
يبقى على مر الزمان ... يقول الشاعر عبد الله
يوركي في قصيدته « الوحدة » :
يا أخي ، يا أخا العروبة هيا
قم نعانق رجاءنا للباساما

قم نوحدا بلادنا ، قم نحطم
وثن البغي ، قم نهمز النياما
لست مني ، ولست منك إذا لم
نتعاون عقيدة وحساما
القوى القوى يحيا سعيدا
وأخو العجز يلعن الأياما
لا تخف مدفع الصداة . وأقدم
فلمنايا تخشى الفتى المقداما
كل جرح أصاب صدر أبي
شع في صدره الجريح وساما
أما أبو سلى ، فهو يريد أن يرى للقومية
العربية حقيقة مجسدة ، في أمة موحدة ،
ولن يتحقق ذلك إلا إذا دالت دولة الاستعمار
في كل أرض عربية ، ولذلك نراه يصرخ
فيينا صرخته القوية :
لا تقولوا قومية ... وبقايا
قومكم في الكهوف دون جناح
لا تقولوا ترابنا عربي
بعد ما دلسته دنيا اقتضاح
تغنون بالبطولة والانجم
تبكي على الحمي المستباح
لا تقولوا عروبة ، وفلسطين
ن تنادي : متى يفك سراحى ؟
فليسمع ذلك أولئك الذين جعلوا لإسرائيل
تقيم الأفراح ، وتعلن البشائر ، وتحول نهر
الأردن !

وهذا شاعر الجامعة العربية محمد النهای
يخاطب أبناء العروبة في قصيدته البليغة ،
فيقول :
بنی العروبة ، نحن للكل ، ومحدنا
ماض عزيز ويوم حافل وغد
بغداد إن مسها وجد وأرقها
فنحن ، نحن الآلى نشق بما تجد
عمان إن عز فيها بعض ما طلبت
فمن عزيز دمانا الغوث والمده
وتلك تونس نادت فاستجيب لها
يفديك تونس منا المال والولد
ثم يذكر فرقة العرب التي كانت سببا
في ضياع فلسطين ، ولن تظل ضائعة ،
وفي قيام إسرائيل ، ولن تبقى قائمة :
لو يشعرون بما جرت فرقتهم
لو يشعرون لما قرت لهم كب
لو يذكرون فلسطين التي ذهبت
لو يذكرون لولّى الصبر والجلد
الأهل في دارهم باتوا على دعة
وأصبح الصبح لا أهل ولا بلد
وإذا تحدث الشعراء عن القومية العربية
حديث الفخر والاعتزاز ، فإن من طبيعة
الاشياء أن يتحدثوا عن رائدها في عصرنا
الحديث ، وباعثها في حياتنا الحاضرة
جمال عبد الناصر ، فلنستمع إلى الشاعر عامر
بحيرى في قصيدته الحافلة : « مواكب الشعر » :

صدر هذا الزمان كالزمن السا
لف عهد من العلا والبطولة
عجبا للزعيم يبعث فيه
مثلا يرسل الإله رسوله
قام في أهله جمال ، فأغلى
شبهه المنتقى ، وشرف جيله
بعث العرب بعد سجن وقيّد
لحياة عريضة مستطيلة
قد عرفناه صامدا وشجاعا
وفقى عزة ، وداهى رجولة
صاغته قلوبنا خافقات
واستباححت عيوننا ثقيله
ولنتأمل ما يقوله الشاعر صلاح الدين
كديمي في قصيدته « قصة العروبة » :
يابانى المجد فى آفاق أمته
بما يحقق من نصر على النوب
أقصيت عن أرضها ظل الغزاة ولم
تجنح إلى فشل فيه ، ولم تحب
يرعاك من عرشه رب السماء بما
يزجى من العون عن بعد وعن كسب
ولعلك تسأل أيها القارىء : وأين فلسطين
في هذا المهرجان ، وهى حافزة الهمم ،
وملهمة الشعراء ؟ فاسمع صرخة عبد الله
شمس الدين :
مهلا فلسطين ... ارقبى
ركب السنّا وترنى

وقصة التضحية والفداء ؟ هذا صالح الخرفي
الشاعر العربي الجزائري ينادي رفاقه المجاهدين
في كل أرض عربية :

أيها الزاحفون زحف المنايا
في ذراد أطلس ، الأشم المصابر
في ربا « ميسلون » في « الجبل الأخضر »
ضر ، في ضفة « الخليج » ، المغامر
أيها العائدون عودة زحف
عربي الخطى ، أبيّ المشاهر
أنتم المجد والخلود ، وأنتم
مهرجان انطلاقنا ، والمنابر
لست أخشى على العروبة شرا

ما تبقى في جبهة العرب ثائر
وهذا صاحبه معزى زكريا يتحدث عن
تضحيات الجزائر ، وعن الخطوب وأثرها
في لإنهاض الشعوب فيقول :

وفي الجزائر أشلاء بموقرة
راحت عن العرب قربانا وغفرانا
الشرق في الخطب طارت عنه سكرته
لولا المصاب لظلل الشرق سكرانا
قد كان ما كان - والأيام موعظة -

يا ليت ما كان قبل اليوم ما كانا
ولم يكن شمراء الجزائر وحدهم في هذا
المجال ، فهذا أستاذنا على الجندي يسخر من
ديجول سخرية مرة موحية ، ويصوره تصويرا
هزليا بليغا لموقفه من الجزائر المناضلة فيقول :

ليل الهوان قد انطوى
من أفئك المتجهم
قد جاء « ناصر » ، بالصبا
ح يرفه لك ، فابسمي
وترقبى يوم الخلا
ص على يديه ، واسلمى
ثم أنصت إلى عزى الدباغ ، وهو يتعنى
العودة إلى موطنه الحبيب :

يا صاحبي هلا أعود لموطني
والعود مطلب أمتي ورجاها
وطني فلسطين الجريحة سمعت
زفرات قلبي من لبيب نواها
منحته آية مجدها ، فبداله

عز الحياة فهم في ذكراها
ثم يهتف في عزم وقوة :
سنعود رغم الغاصبين لأرضنا

والشأ غاية ثورتى ومناها
وكان الحديث عن اللاجئين موضوع
قصيدتي الشاعرين الشابين عبد المنعم عواد ،
وفتحى سعيد ، وقد فاز الأول بالجائزة الثانية
وفاز الثاني بالجائزة الثالثة في المسابقة التي
عقدتها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
بين الشعراء الشباب ممن يقل عمرهم عن
ثلاثين عاما .

وهل يستطيع الشعر أن ينسى الجزائر ،
وهي أرض البطولة ، وموطن الكفاح ،

قل لذي جول ، وبعض الق

ول للرضى شفاه

أنت هرقوب فرنسا

والعراقيب سواء

أجوف كالطبل مشرو

جا على بعض الهواء

ذاهب في الجو كالنخ-

لة من غير غناء

قائمة تحبو على الأر

ض ، وأنف في السماء

وقد احتفل المهرجان بذكرى البحترى

شاعر الشام ، فأسهم الشعراء في هذا المجال

بقصيدة للأستاذ الكبير محمود غنيم يقول فيها :

حين غنت دمشق شعر الوليد

قالت الطير : يا دمشق أعيدى

رددى يا دمشق لحنا وعته

أذن الدهر منذ عهد عهيد

شاعر أعجز الفحول بشعر

سلس طيسع ، عصى عنيد

شاعر ، بل مصور ، بل مغن

ما قوافيه غير أوتار عود

وبقصيدة للشاعر المجيد العوضى الوكيل ،

يصف فيها شعر البحترى ، وصفا جميلا صادقا

كما فعل صاحبه غنيم ، فيقول :

على شعره وسم للشأم وسمره

أفانين من سحر تحير رائيها

إذا وصفت حسن الربيع شهدته

وأزهاره قد فتحتها قوافيها

أليس بها من جنتيه مشابه !

وما أصدق الأشعار وصفا وتشبيها

وكما هاجم العقاد في نثره الشعر الجديد هجوما

عنيفا ، فقد هاجمه الشعراء في شعرهم مثل هذا

الهجوم ، وكان أولهم صالح جودت حيث

يقول عن أصحاب هذا الشعر :

يقولون جاءوا بشعر جديد

يحب القديم الذى نكبر

تفاعيلها يزديها الإطار

وميناه تنكره الأبحر

وأبياته كضمير اليهود

تطول مع الزيف أو تقصر

إلى أن يقول :

وما الشطرتان سوى المقلتين

وفاقد إحداهما أعور

ثم جاء الشاعر الجزائري معزى زكريا ،

فقال عنهم :

وعابشين أرادوا الشعر مهزلة

فأزعجوا برخيص القول آذانا

تذكروا للقوافي حين أعجزهم

صوغ القوافي ، وضلوا عن ثنائيانا

قالوا: جود على الأوضاع وزنكم

فشعرنا الحر لا يحتاج أوزانا

فقد ألقى قصيدة من الشعر المألوف ، وقد
وصفتها إحدى صحف دمشق بأنها قصيدة
ضبابية لا مغزى لها ، وهى تدل على أن
صاحبها قد عجز عن صياغة الشعر المألوف ،
فهرب إلى صياغة أخرى يستطيعها كل إنسان ،
وإن لم يكن شاعرا خبيرا بالقوافي والأوزان .
ولست أدري كيف اشتبك الشاعران في
المهرجان بشعر مألوف ، وهما ينكران هذا
الشعر ؟ أتراهما تخليا عن مبدئهما في الشعر
نظير رحلة إلى دمشق ، وإقامة في سميراميس ، !
الحق أننى كنت أفضل - حرصا على مبادئهما -
ألا يشتركا في المهرجان ، مادام المشرفون
عليه لا يعترفون بشيء اسمه الشعر الجديد .
ولا أستطيع أن أقول إننى قد قدمت للقارىء
صورة كاملة لهذا المهرجان إذا أنا لم أعرض
نماذج من شعر الشعراء اللآئى شاركن فيه ،
وقبل عرض هذه النماذج يقتضى الإنصاف
أن أذكر أن شعرهن قد بلغ مبلغا من التجويد
يستحق الإعجاب والتقدير ، ويحمد قائله
شاعرا كان أو شاعرة . ويتضى الإنصاف
أيضا أن أقول هنا وأنا مطمئن لما أقول :
إن في عصرنا الحديث شاعرات يقفن في
بحال الشعر جنبا إلى جنب مع غيرهن من
الشعراء . والعجب أن هؤلاء الشاعرات قد
أبدعن شعرا قويا في الموضوعات القومية .
شعرا اختفت منه سمات الرقة الأثوية ، ليحل

فأين من جرس الإيقاع خلطكم
ما الشعر إن لم يكن دسوقا وأغصانا ،
وكيف ؟ هل خلد التاريخ شخصكم
مهما تفنن لإخراجا وإتقانا ؟
وما عسى تنفع الإسفاف مطبعة
أضفى الدمقس على الأموات أكفانا
واختتم الهجوم محمود غنيم بهذه الأبيات
البليغة :
هل درى البحترى أن أناسا
بعده شوهوا جمال القصيد ؟
قد جزينا على ارتكاب الخطايا
بأناس جاؤا بشعر جديد
زعموه حرا ، ورق الجوارى
بعض أوصافه ، وذل العبيد
عصبة تحسب القوافى غلا
وتعد الأوزان بعض القيود
لم الله ، كل عى لديهم
مظهر من مظاهر التجديد
ما أراهم يلقون شعرا ، ولكن
يحبسون الأسماح بالجلود
إن يكن طابع العروبة في الشعر
جمودا ، فرحبا بالجمود
وقد اشتبك في مهرجان الشعر شاعران من
شعراء الشعر الجديد ، هما حجازى
وعبد الصبور ، فأما أولهما فلم يلقى قصيدته
لفرغ لا محل لذكرها الآن ، وأما الآخر

حلها مثل زئير الأسود ، وزجاجة الأحاسير !
 ولكنى سأكتفى بما يجلته من شعر الرجال ،
 فى هذا المجال ، وسأعرض هنا من شعر
 الفساء لونا من الشعر يدل على مقدرتهن
 الغنية من جانب ، ويوضح ظاهرة شعرية
 تجلت فى المهرجان من جانب آخر ، ذلك أن
 بعض ما أنشد فى المهرجان لم يكن يصور
 مشاعر عامة فى موضوعات قومية ، وإنما
 كان يصور مشاعر خاصة فى تجارب ذاتية .
 ومن هذا الشعر الذى سنأتى بألوان من شعر
 شاعرنا المجلبات .
 هذه قصيدة د من وحي الزهور ، للشاعرة
 شريفه فتحى . تربط فيها بين ألوان الأزهار ،
 وما تثيره هذه الألوان فى النفس من خواطر
 وأحاسيس ، فتقول :
 إن كانت الأزهار ذات معان
 أو فسر الإحساس بالألوان
 كان البنفسج آهة الأشجان
 أو أنه الشكوى من الحرمان
 * * *
 والياسمين بطهره الماثور
 فوق النحور كؤاؤ منشور
 وعلى الخنائل كالبنات الحور
 تنو إليك بأعين وثغور
 وتبدو المحبة العميقة المتبادلة بين الفتاة
 وأمها فى شعر روحية القلبنى حين تقول :
 من وحي قلبى ، من تألق ذاتى
 من نبع وجدانى سرت دعواتى
 يارب صن أى وسر سعادتى
 يارب ، واحفظها بحق صلاحى
 هى بسمتى ، هى نظرتى ، هى مؤنسى
 هى مرشدى فى أحلك الظلمات
 وحين تقول :
 إن غبت عنها أرهفت من سمدى
 وتعرفت بين الخطأ خطواتى
 فإذا حضرت تظل توسع جهتى
 قبلا كأتى غبت من سنوات
 وإذا شكوت لها الحياة تجيبنى
 لودى يايمان وفرط أناة
 وثقى بربك يا بنيدة إنه
 يراك فى الروحات والغدوات
 وهذه عزيزة هارون تشفق من فراق
 صديقها ، فتتف بها قائلة :
 لا تبعدى . . . لأننى
 أخاف من وحدتى
 وعالمى واسع
 أكبر من مهجتى
 ودمعى فسمه
 تنساب فى بسمتى
 من تبعدى ، إنها
 تحرقنى . . . دمعى
 وأستطيع الآن أن أقول لأننى قد أعطيت

أديبنا العربي الكبير الأستاذ الزيات ، حتى توافدوا عليه مرحبين أجمل ترحيب ، ومثنيين أعظم ثناء ، فكان مجلسه ندوة من ندوات الأدب ، ومظهراً من مظاهر العروبة ، وكان الجميع يتحدثون عن الرسالة الغائبة حديث الحب والشوق والإعجاب ، ويسألون : متى تعود إلى مكانها في طليعة المجلات . وقد ظل شاغراً منذ فارقه ، وما زال ينتظرها حتى الآن ؟ .

وكان من المقرر أن يستمر مهرجان الشعر والاحتفال بذكرى البعثى حتى مساء الخميس الثامن والعشرين من سبتمبر ، ولكن في الساعة الأولى من صباح هذا اليوم أهلنت الحيانة عن نفسها ، وكشّر الغدر عن أنيابه ، وقامت الحركة الرجعية ، بدعوته الانفصالية فرأينا مظاهرة هزيلة مأجورة تجوب شوارع دمشق ، وهى تهتف هتافات رعناء تكشف حقيقة من يسرون فيها وتفضح نوايا من سيروها . وما يكاد النهار يتقدم حتى أغمر دمشق مظاهرات جارفة ، تضم الألوف من الشعب رجالاً ونساء ، فتياناً وفتيات ، وهم يشقون عنان السماء بالهتاف الوحيدة والإشادة بجمال . وأشفق قادة الحركة على أنفسهم من الهزيمة ، وعلى حركتهم من الإخفاق ، فأصدروا الأوامر بقمع المظاهرات وسرعان ما غمرت الدبابات والمصفحات شوارع دمشق (البقية على صفحة ٨٥٩)

صورة صادقة ، وإن تكن صغيرة ، لما ألقى في المهرجان من شعر قوى عام ، أو ذاتي خاص . وقد رأى القارئ أن هذا الشعر في مجموعه شعر رائع يدل على أن الشعر بخير ، وأن الشعراء موجودون . وبقى أن أسجل إعجابي الشديد بما لمستته عند إخواننا السوريين من تقدير للشعر ، وإقبال عليه ، فقد كانت قاعة المهرجان تفيض ، على سعتها ، في كل يوم بالآلاف المؤلفة من الجنسين ، على الرغم من أن الدعوة كانت خاصة ، ولو أنك شهدت فضليات السيدات ، وكرائم الآنسات ، وهن يملأن قاعة المهرجان ، لحيل إليك أنهن قد أقبلن لسباع أم كلثوم في أغنية من كلمات رامي ، ولحن من ألحان السنباطي ، أو لشهود هزلية بما يمثل في القاهرة على مسرح الریحاني . ولقد كنت أجلس ذات يوم قريباً من سيدة معها ابنتها ، وكان المتحدث عن البعثى يتمثل بأبيات من شعر المتنبي ، فأشهد أني سمعت الأم وابنتها وهن يسبقن المتحدث في الإنشاد ، فاسألوا كم سيدة من سيداتنا تصطحبن بناتهن إلى مهرجان يقام للشعر ، وكم سيدة أو آنسة من غير المشتغلات بالشعر والأدب تعرف من يكون المتنبي من بين من خلق الله أو ما خلق الله ؟ . وظاهرة أخرى تدل على حب السوريين للأدب ، وتقديرهم للأدباء ، وذلك أنهم ما كادوا يعلمون بحضور صاحب الرسالة

شمس تغيّب صفحة من كفاح أديب كبير

للأستاذ محمد رجب البيومي

النيل في شعر صاف ينحدر كالماء ١١ لقد كان الرجل مؤرخا وكاتبا وشاعرا ، وفي كل ناحية من نواحيه يستفيض القول ، ولن نقدر على استقيافته إلا باقتضاب طائر يهدي الكتاب ١١ إلى آثاره ، ولعلمهم يطالعون . ترك الأستاذ الخفيف في سجل التاريخ مؤلفات حية خالدة ، لأن الكاتب لم يعمد إلى بعض الحوادث التاريخية ليؤلف منها كتباً مكررة ، مختلفة الأسماء فقط ، كالتى تملأ رفوف المكتبات ، ولكنه كان مخلصاً أميناً في تحقيقه ، فقد انظر إلى مواضع الخطأ المغرض ، والاهتمام الزائف ، فجعل منها مضمار تفوقه ، وميدان تربيته ، متعرضاً في سبيل ذلك إلى خصومات قاهرة عنيدة ومتحدية بها سلطات طاغية رهيبة ، تعمل على تلبس الحق بالباطل ، وتتخذ لذلك من بعض الأقلام مطايا عالية الضائر ، مريضة الإيمان فتركها ببريق المنصب ، ووهج الذهب ، لتفتري بها على البررة من زعماء الأمة ما يطمس صفهم البيض ١١ ثم لا تقتصر

اهتزت الدوائر العلمية والأدبية لنبا موت الأستاذ محمود الخفيف فجأة وهو يودى واجبه في مدرسة الإبراهيمية الثانوية ، ولم تقيم الصحافة اليومية بما كان ينبغي لرجل خدم الثقافة . وعمل في الصحافة . وكان أنموذجا حيا قويا سليما للمصلح الأديب المؤمن المتدين . كان الأستاذ الخفيف صاحب رسالة في دنيا الأدب والفكر ، فلم يكن ليكتب كلمة واحدة لا تهدف إلى مثل رائع ، أو تكشف حقيقة مظلومة ، وإذا أردت سمّة بارزة لأدبه ، فتلك هى البطولة ، بطولة الرأى حين يواجه بحقه الساطع قلول الباطل فيقهرها في اعتزاز ، وبطولة الفكر حين ينزع إلى القمم الشاخنة في دنيا الإنسانية ، فيرفرف في أجوائها ، ويستلهم منازعها وأهواءها ، وبطولة اللفظ حين يؤثر التركيب الحر ، والتعبير الموحى المشع ، فيعرضه في موكب من البلاغة العالمية ، وبطولة الإحساس حين يتجه إلى تصوير أدق مناز الضمير الحى ، وأرق خلجات الروح المتوئب ، وأخفت همسات الشهور

المفتري عليه ، وإذا الأمة تسترد كرامتها وتغسل عنها وضر الجهل والغفلة حين تابعت هذا البطل عن يقظة واختبار ، وقد شرحت في عدد شوال سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر كيف قامت السفارة البريطانية وقعدت لمواجهة الخفيف انجلترا بما أسلفت من خيانة واعتداء ، وكيف زجر القصر وغضب الأمير على بحجة الرسالة فأوقفنا بسلطة الحكم العرفي سلسلة البحث المتصل ! حتى أتبع له أن ينشر كاملا في مجلد ضمن خاص ! وعرف الناس عرابيا على حقيقته طاهر السريرة ، مخلص العقيدة رائع الزعامة عظيم الدفاع ! .

لولم يكن للباحث المؤرخ غير هذا العمل البطولي الضخم ، لكان في طليعة المفكرين الأحرار ولكن له معه أعمالا مجيدة هادفة ، كانت مع دقتها العلمية ذات وحي وطني رائع ، إذ أن القلم الذي حشد جهوده لدرء السبة الشنيعة عن وطنه المصري ، في شخصية زعيمه أحمد عرابي ، قد شاء أن يفتح عيون بني قومه على آفاق جديدة تشرق بالحرية وتهب منها نسائم الكرامة والاستقلال ، حين كتب مجلدين كبيرين - لأول مرة في اللغة العربية - عن سيرتي إبراهيم نسكوان ، وتولستوى ، وهما يختلفان نشأة ، ونبوغا فالأول عصامي باسل أنضجته نار الحرمان والفاقة ، ولسكنه شق طريقه

الحياة النكراء على هؤلاء الزعماء بل تعداهم إلى الأمة المسكينة فيصفونها بالغفلة والانحطاط وقد ألفت زمامها في أيديهم ، واستجابت إلى هوائف الوطنية ، ونوازع الكرامة والإباء .

ماذا كان التاريخ يقول عن أحمد عرابي قبل أن يخط عنه الخفيف مؤلفه الجري* ١٩ كان أكثر الناس يظنون بوحى من هذه المطايا المسخرة في الصحف والمؤلفات أن الزعيم الأبى مثال الحق والنزق والرعونة ، وأنه السبب الأول في الاحتلال والهيمنة فلولا ثورته ما أتت إنجلترا إلى مصر !! ثم يزيدون فيصفونه بالجهل والدروشة وحب المجد الشخصي ، بل يصمه كثير منهم بالخيانة - خيانة وطنه لا توفيق - !! حتى أن أعظم قادة الأمة من الكتاب والشعراء قد انساقوا إلى هذا الهتان ، فأحمد لطفي السيد يزعم في الجريدة أنه قام بثورة لا داعي لها ولا قيمة ! وشوقي يرسل القصائد المخزية في سب العصاة والمرقة الثائرين ! ولك أن تصور بعد ذلك ما يقوله الأذنان والأبواق ! ومن يجرو على أن يثبت للزعيم حسنة شفيعها بعشرات المآخذ ! وشبح القصر يلوح لعينيه في كل كلمة تقال ، حتى جاء الخفيف في سطوة فاروق وطغيانه فسطر كتابه الوطني لينصف به البريء الزيه ! فإذا عرابي البطل المعلم

بزمده وإيمانه وأدبه من ذوى الرسالات
 الخالدة فى دنيا البحث والإصلاح ، ومثله
 فى أهدافه الرائعة جدير أن يكون درساً آخر
 لقراء العربية كلنكولن سواء بسواء !! وفى
 اعتقاده أن الذين قرءوا كتب الخفيف
 الثلاثة عن عرابى وتولستوى ولنكولن قد
 وجدوا فيه مؤرخاً من طراز نادر فهو مع
 حرصه على الحقائق وتقبّعه المنهج العلمى فى
 البحث والاستنتاج ، ذو أسلوب مشرق يفتح
 بشذى الإبداع ، ويزرع فى صحراء الحقائق
 وروداً زاهية من الصياغة الفنية والإلهام
 العبقري ، حتى لينخيل إليك وأنت تطالع
 آثاره التاريخية أنك تتابع قصة مؤثرة لأنك
 تقرأ بحثاً قامت معاملة واستوت مناحيه ، !!
 وبعض النقاد يظنون بين التاريخ والأدب
 بحافة منكرة ، فلا يرحبون بمجهود علمى يتشع
 بمطارف الأدب ، وقد تعرض لإنتاج الخفيف
 لبعض المآخذ الموهومة حين اتجه إلى تقويمه
 ناقد شهير هو الدكتور زكى نجيب محمود ،
 فأخذ عليه فى بعض أعداد مجلة الثقافة شيئين
 هاميين فى رأيه ، أما أولهما فهو ما سماه ؛ اتحاد
 المدرك بالمدرك ، وأما الثانى فهو تفكير
 المتمنى ، وكلا المآخذين موجه بالذات إلى
 كتاب أحمد عرابى ، وكأنى بالدكتور وقد
 لمس حرارة الدفاع وقوة المعاطفة وروعة
 الصياغة فى أسلوب الخفيف ، فظن فى ذلك

إلى الزعامة متسلحاً بمواهبه الشخصية ومكافأ
 شتى أعاصير الرجعية والاستغلال والعنصرية
 حتى استطاع أن يسعد الإنسانية بعامه ،
 حين عمل على تحرير العبيد ، وتحقيق المساواة
 العادلة فى معشر يتهاشرون على الغنائم المنغصبة
 والمذهب المتجمد من عرق السكادح ، وجهد
 الزنجى وبؤس العبيد ، فكان بحياته المسكافة
 علماً من أعلام الحرية ودرساً ناجحاً للكرامة
 يجب أن يعمله قارئو العربية لينهض من بينهم
 من يعتنق مبادئه فيزود عن حوضه ويحمى
 حتى أجداده !! هذا لنكولن ؛ أما تولستوى
 فقد نشأ أرستقراطياً يحمل لقب السكونت
 ويتقلب فى أعطاف النعيم والدعة والجاه ،
 ثم نأى عن طبيعته طبقة ، فعشق المعرفة
 والثقافة ، ووهب الإحساس الرحيم والشعور
 النبيل ، فانقلب إلى زاهد مصلح وكاد بمبادئه
 أن يكون نبياً ، إذ تنازل عن ضياعه الشاسعة
 لذوى الفاقة والسكندح من عبيد الأرض ،
 وخدم السادة ، وعاش عيشة الفلاح المسكين ،
 والزاهد القانع وقد اجتاحت نفسه عواصف
 مدمرة من الشك المقلق ، والسهد الشائر ،
 فانقطع بنفسه قرابة عشر سنوات للتفكير
 فى الدين والبشر ، ونفض يديه من الأدب
 والإبداع حتى اتجه زورقه إلى ساحل الإيمان
 بعد أن حاول من الريب الخالكة أمواجاً
 ذات بطش وجبوت ، وصار الفيلسوف

الحق ليغتم سمعة العدل في محاسبة الملوك ، هـ .
أما تفكير النقي فلا ظل له إطلاقاً بين
سطور الكتاب ، وهو مأخذ لو ثبت لنقي
هذه صبغة البحث التاريخي ، ويكفي هنا أن
نسجل شهادة أديبين كبيرين تمحوان ما قام بذهن
الناقد عن تخمين وحدي لا عن بحث ويقين ،
قال الأستاذ العقاد عن كتاب أحمد عرابي ،
في افتتاحية العدد (٧٧٩) من الرسالة .

« تقرأ الكتاب إلى صفحائه الأخيرة
فتخرج منه بهذه الصورة الصحيحة التي ارتسمها
المؤلف ، وثبت ظلالها وألوانها بالوقائع
والآسانيد ، وجمع لها من الوثائق ما لا غنى
عنه في فهم هذا الزعيم ، ولا في فهم مصر
الحديثة وعوامل نهضتها ، ودعائل تاريخها
في الجيلين السابقين . . . وليس تمحيص
التاريخ المصري ولا تمحيص الزعيم المصري
كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ
الخفيف ، فإن أساليب السياسة الأوروبية
والاستعمار الأوربي في القرن العشرين بعض
ما يستفاد من هذا الكتاب الذي يعد في بابه
قليل النظير ، »

وقال الأستاذ أحمد حسن الزيات عن
الكتاب أيضاً في افتتاحية العدد (٧٣٤)
من الرسالة .

« ومن حيث الطريقة قد اتخذ المنطق
ميزانا يأخذ به ويعطى ، فهو يروى بالنص

ما يجوز على الحقيقة ، والرجل صاحب
فلسفة لا تاريخ ، وكان عليه أن يعرف أن
طبيعة الدفاع عن زعيم أمين يرى بالخيانة عن
مكر أثيم ، تقتضي هذا الإخلاص الحار ،
وتدفع ذوى الجفاف والدقة أن يفيضوا
ببعض مشاعرهم في إيضاح الحق وقد تلاحقوا
حواله الستور والأسداف ، فالمدرک هنا لم
يتحد بالمدرک حين بدد عنه كثيراً من
الاتهامات ، ولكنه استعرض الحقائق الثابتة
واستنطقها عن حصافة ويقظة ، فنفطت
بفضل الزعيم وسموه ، وأخشى أن يكون
الدكتور الناقد ممن يحتمون على المؤرخ أن
يضعلي على مترجه ، فيذكر نصيباً من مأخذه
يصدّارح ما أسلف من محامده ، فإذا لم تكن
لديه مأخذ تذكر ، اخترعها اختراعاً لتتم عملية
الإنصاف ، وقد بدد الأستاذ العقاد هذا الوهم
حين قال في مقدمة كتاب (عبقرية عمر ص ٥)
« فالتاس قد تعودوا بمن يسمونهم بالكتاب
المنصفين ، أن يحبذوا وأن يقرنوا بين الشناء
والملام ، وأن يسترسلوا في الحسنات بقدر
لينقلبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها ،
ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها ، فإن لم
يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب
المتميز ، عرض لي ذلك فذكرت قصة العاهل
الذي تحاكم إلى قاضيه مع بعض السوقة في عقار
يختلفان على ملكه ، فحكم القاضي للسوقة بغير

النبيل وينعكس شعوره فيما يكتب فلا تسكاد تطالع موضوعاً من موضوعات كتابه (من وراء المنظار) حتى تدرك ما يغمر خلق الكاتب من مرارة لاذعة، والكتاب أشبه بقصص صغيرة متلاحقة تصور كل أقصوصة مشهداً من المشاهد المفاجئة، فهذا وكيل نيابة يريد أن يعرف الناس سلطته القانونية وذلك مدير مصلحة لا يرضى بغير التذلل والخنوع من مرءوسيه، وهم من حوله يبالغون في انتشائه الموهوم، وذلك شرطي جامد الإحساس يعامل الإنسان والحيوان معاملة تتحد في القسوة والإذلال ! ومن الواضح أن أمثال هذه المشاهد المألوفة تراها العين العابرة فلا تتأثر بها غير لحظات محدودة ! وليكنها حين تصور بقلم كاتب كحمود الخفيف ترك من الآثار ما لا يمكن أن يزول دون عناء وتفكير، لأن تسلسل الخواطر، وتصوير الانفعالات، وحتمية النتيجة، تجسد لتحيايل القارىء ما لا يجسد، المشهد الواقعي، ومن الطريف أن أحد فصول الكتاب يتحدث بإكبار سار عن رئيس فراشي المدرسة التوفيقية الثانوية إذ رأى فيه الكاتب على ضآلة وظيفته صورة للرجولة الحازمة، والعزة المترفعة، والكرامة الأصيلة بما افتقده في مديري المصالح الكبيرة ورؤساء الأعمال الهامة فلم يجد ظلاً منه، فكان رئيس

الصريح، ويدعى بالدليل القناص، ويقنع بالحجة العالية، ويستقرى فيحسن الاستقراء ويستنتج فيجد الاستنتاج، ثم جعل همه منذ اللحظة الأولى بتبرئة الجندى الثائر، فسلسل الوقائع والفصول سلسلة المقدمات الصحيحة، ثم خرج منها بالنتيجة التي لا موضع فيها للشبهة.

الحق أن الخفيف باحث جريء لولا قوة إيمانه بربه، وصدق يقينه بوطنه، ما أقدم على هذا العمل البطولي الممتاز، ولو كان لدينا وعى حقيقى لقبل ذلك وأكثر منه في وداع الراحل العزيز.

وسأضطر معجلاً أن أترك جهده في الحقل التاريخي فلا أتناول بحوثه عن مزبني الإيطالي ويرون الإنجليزي وميرابو الفرنسي وشريف والشرقاوي المصريين وعقبة بن نافع العربي لأتحدث عن جهده في الكتابة والشعر فقد كانت كتابته الأدبية ذات وجهتين ذاتية وموضوعية، والأولى تتجه إلى المجتمع المصري اتجاهاً ناقداً فقد وضع الخفيف منظاره على عينه، رططق ببصر ما حوله من أوضاع مريضة فرأى من المفارقات والغرائب ما يدعو إلى التسجيل. وكما كان يحض نفسه أن يشهد موافق الرباء والملق، ومواكب الغرور والادعاء، ومظاهر التجبر والتسلط. فيشعر شعور الإنسان

الأديب فتبدو في دراساته الفنية للأدباء ، ومذاقه الوجداني للقصاص ، وأصدق شاهد عليها دراسته الطويلة الممتعة للشاعر الحزين (ملتون) فتد تابع أدوار حياته متابعة يقظة ، وحلل عناصر شعره تحليلاً بصيراً ثم خلاص إلى مأساته الإلهية ففهم عناصرها الفاجعة من إنتاج الشاعر قبل روايات مؤرخيه ، ووقف لدى فردرسه المفقود موقف الشاعر من الشاعر ، فرأى ما لا يرى الناقد المتعبد بحدود واد اصطلاحات ، ولا يزال ما كتبه الخفيف عن (ملتن) منساباً في أعداد الرسالة الغراء دون أن يجمع في كتاب ، وربما كان كتابه عن تولستوى صورة مقاربة منه في المنهج والطريقة ، إلا أنه أدخل في كتب الدراسات الأدبية من كتاب تولستوى التاريخي لذلك اعتبره مثلاً للوجه الموضوعية في الدراسة التحليلية دون كتاب الفيلسوف .

ويطول في العجب إذ أنظر إلى شعر الخفيف فأجده دون ما يستحق ذيوها واشتهاراً ، مع أصالة منهجه ، وصفاء نبعه ، ورونق تجديده وربما كان تحليل ذلك نبوغه في أكثر من ميدان فإن الذين يتفرغون للشعر وحده ينحصر اشتهارهم في مجاله ، فيعرفهم القراء بقصائدهم وحدها ، أما سواهم من الكتّابين الشعارين فلا يجدون الالتفات الكافي من القراء ، وإن سبقوا سواهم من المنفردين

فراشي المدرسة مثلاً صالحاً للاحتذاء ، وقد قلت إن كل مشهد من هذه المشاهد أشبه بأقصوصة فقط ، ولكنه ليس بأقصوصة فنية ، ولا أدري لماذا لم يشأ الكتّاب أن ينهج في تصويره نهج القصة الأدبية ، مع قدرته الشامة على ذلك ، إذ أنه قدم لي في بعض إنتاجه بمجلات الرسالة والرواية والرائد قصصاً مكتملة تحمل عناصر الأسلوب الروائي ، وإن كانا ملهما يحمل من التاريخ أدباً . لقمين أن يجعل من القصة عجباً ، ! وأستشهد هنا بقصته الرائعة (عفراء العجربة) وأخوانها كثيرات ، كدليل على توفيقه الفني وإبداعه القصصي ، فقد أحكم المشاهد إحكاماً لا تنقصه قراءة الخواطر ، واستغفاف النوازع ، أما حلالة التصوير وعذوبة التعبير فما لا يستغرب من شاعر موهوب ! ! أقول من يدري لعله لم يشأ أن ينهج منهج القصة في كتابه (من وراء المنظار) ليكون أدخل في باب الواقعية المباشرة ، إذ أن القصة توحى لإحياء ظاهراً أو مستتراً ، أن الخيال قد جمع بين حقائق متباعدة وربطها برباط يجعل واقعيتها متوقعة لا وافة : أما المشهد المجرد فينطق بصدقه الصارخ دون ستار ، وهذا كلام قديختلف فيه النظر لإيجازه المحترم ، وليس هنا مجال النقاش ! !

أما الوجهة الموضوعية لدى الكتّاب

جودة قريحة وفيضان عاطفة ، وخصوبة إنتاج ، ولن أذكر العقاد وحده في مصر بل أذكر معه المازني وغفرى أبا السعود وعبد الرحمن صدقي ، وطاهر الطناحي ، وزكي مبارك وعمود الخفيف وسواهم من فطاحل المجددين ! على أن شعر الخفيف قد مئى بشيء آخر ضال من روايته لسوء حظه وكان أخرى بذيعه ، ذلك أنه متنوع الأوزان مختلف القوافي ، فشطوره تارة مجزوءة وتارة كاملة أو منهوكة في القصيدة الواحدة ، وقد فاجأ الناس منذ ثلاثين عاما بهذا النوع المبتكر فحسب عليه لاله ، فانت تقرأ مثلاً قصيدة (على قبر زوجها) فتجد بها من صدق العاطفة وحرارة اللوعة وقوة النظرة ما يرفعها إلى مستوى مشرف ؛ ولكن اختلاف أشطارها بين كاملة ومجزوءة مع اختلاف الثقافة أيضا قد باعد بينها وبين النغم المألوف في وقت كان فيه للشعر الكلاسيكي دعاته المشابرون ، وإذا كنا الآن قد ألفنا هذا التنويع وزنا وقافية بل طرأ علينا غيره مما لا ندري بماذا نسميه ، وانطلق الدعاة له يلهمجون به في كل ناد وصحيفة فإن الخفيف حين نوع الأوزان منذ أكثر من ربع قرن كان يخطو الخطوات الأولى بعد وثبة المجددين الابتداعيين هذا من ناحية الشكل أما من ناحية الموضوع فقد فتح الأستاذ للشعر العربي أبوابا

رحبه حين أكثر من الروائع التاريخية في أعداد الرسالة الممتازة فسجل بطولات محمد والحسين وجعفر بن أبي طالب وصلاح الدين الأيوبي وأحد شهداء فلسطين في قصائد طويلة تبلغ إحداها ثلثمائة بيت مطرد النسق متدفق الإلهام ساطع الرواء . كما أن أشعاره الوصفية في تصوير الطبيعة قد أخصبت الحقل الشعري . ولقحت أشجاره بلقاح إبداعى جديد ، فالليل والبحر والفجر والحقل والحصاد والربيع والخريف والشتاء ، والصبارة الحزينة ، والشجرة العارية وما إليها من روائع المشاهد قد وجدت انطباعها الصادق في مرآة الشاعر ، وظهرت على صفحات الرسالة تتخايل في معارض زاهية من الرواق ، وكثيرا ما كانت تقرن بصور طبيعية لأشهر فناني الطبيعة في الغرب فيرى قارىء الرسالة اللوحة البصرية تجاور اللوحة الشعرية في تعارف حبيب يدفع إلى الموازنة حيناً ، والإعجاب الصامت حيناً آخر ، ويخيل إلى أن مطران رحمه الله قد أثر في اتجاه الخفيف نحو القصة الشعرية ، إذ هذا حذوه في مثل قصائد وداع ، وهند الثلاثين ، وفي الطريق إلى يثرب مع الفصل التام بين العبقريتين ، فطهران عميق قوى تتخلل أبياته رصانة محكمة تميل بها إلى الشدة والأسر ، ومحمود رقيق ناعم تموج مشاعره في غدير هادئ شفاف ، وقد تجد سعة

بمجلس الفنون والآداب أن يلتفت إلى ديوان الشاعر فيأمر بطبعه أسوة بمن طبع دواوينهم من الشعراء ، واكثره بمجلات الرسالة ، وأقله بمجلات الرائد . وكلتاها تحتل المكتبات العامة فلن يتعب من يريد النشر والطبع ، ولكنه سيغنم الشكر والتقدير ، ولعلّ كلبتنا هذه تكون عزاء متواضعا لمن قرءوا الخفيف وعشقوه ، وهي أيضا إجابة مفحمة عن سؤالنا المتقدم ؛ هل من وعى أدبي؟ وفيها المقنع السديد .

محمد رجب البيومي

مطران ، وبعده منزعه وعمق تحليله في النادر من شعر الخفيف ، ولا أزال أذكر قصيدته « أيتها الابتسامة ، تلك التي تشخص بريق الابتسامات المختلفة ، فتعرف شعاع كل بسملة ومصدره ، فبسملة الذل غير بسملة الشات غير بسملة الرياء غير بسملة الفرح غير بسملة التهم . وإن كان لسلك بسملة بريق يتحدد مظهرها ويختلف تأثرا وانعكاسا ، وكما كان يسرني أن أذكر هذه القصيدة في مجال الاشتهار ، ولكن القارئ الطلوب سيعثر عليها بسهولة في العدد (٦٠٠) من الرسالة ، ونحن نهيى

(بقية المنشور على صفحة ٨٥١)

التي يطوقها قاسيون بالساعدين ... وسنلتقي
يا دمشق ... سنلتقي كما قلت وكما سأظل أقول .
سنلتقي عما قريب حين تورق الغصون
خبنا تحيا به أرواحنا ، ولن يهون
ومجدنا مفاخر ، تروى حديثها السنون
لقد رأيت في الوداع كيف قدم العيون
وكيف تهتف القلوب والضلوع في جنون
سنلتقي عما قريب حين تورق الغصون
أجل سنلتقي بالقلوب النقية ، والنفوس
الوفية ، والمشاعر الطيبة ، سنلتقي في ظل
الوحدة القوية لتسير معا من جديد في طريق
القومية العربية .

ابراهيم محمد نجما

واستخدم رجال الجيش والشرطة كل وسائل
القمع لفض المظاهرات وتفريق المتظاهرين .
وفي عصر يوم الجمعة سارت بنا السيارات
في الطريق إلى بيروت ، وكان الشعب يقف
على جانبي الطريق يشيعنا بنظراته التي تعبر
بصمتها البليغ عن مشاعر الحبيسة وعواطفه
المكبوتة . وأبي إخوان كرام إلا أن يرافقونا
إلى الحدود بين سورية ، ولبنان الكريم ...
لبنان الذي استقبلنا بالحب والشوق والترحاب
حين شيعنا الإخوة المرافقون بالقبلات
والعناق والدموع ، وطادوا وهم يتعنون لنا
سفرأ سعيداً ، وعودا حميداً ... أجل أيها
الإخوة ... عودوا إلى الفيحاء ذات الغوطتين

أحمد محرم

شاعر العروبة والإسلام

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

ضمت ربة الشعر إلى قيثارها وترأ جديداً ،
واستقبلت بملكبتها زائراً اتخذته من أعوانها ،
ومنحته إلهامها .

ذلك هو أحمد محرم الذى ولد في حي د باب
الوزير ، من أحياء القاهرة في بيت متوسط
الحال لأبوين تركيين ، الوالد تركي صميم من
أبناء المماليك للشراسة ، والوالدة اختلط
نسبها بالدم المصري ، ونفسب إلى عائلة
والدرمللي ، الشهيرة بالقاهرة .

وقد ورث محرم خصائص الدم التركي
والمصري من جهة أبيه ، وامتنص الطبع
العربي بحكم ثقافته ونشأته وبيئته ، فاجتمعت
فيه خصائص هذه الاجناس وتكون مزاجه
من مجموعها .

وكان والده د حسن أفندي عبد الله ،
رجلاً مستعرباً متدينياً يحب العرب ويتعلق
بتاريخهم ، يتمسك بمبادئ الدين ، ويأخذ
أفراد أسرته بما يؤمن به ، وقد أورت هذه
النزعة ولده د أحمد ، فتأثر بهذا التوجيه
أعظم التأثر ، وكان لهذه التربية الدينية الصارمة
اتجاه واضح في شعره وأدبه ، من إشادته

وحدى شقيت بهذا الشعر أجعله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد
أصوغه من شعاع ليس يحجبه
سور من الحقد أو ستر من الحسد
هذه صرخة شاعر وقف فنه على رفعة
الشرق وإحياء مجد الإسلام ، ومع ذلك
أنكره الشرق وضيعه أهله ، حتى داخله الشك
أن يكون في الشرق قبطان يعرفون للناس
أقدارهم ويلفتهم الأدب الخالص ، فقال :
ديار الشرق ، هل بك من قطين ؟

دعيني ، ما الديار ؟ وما القطين ؟
ظلمت ، وفي في الأدب المصني
وضعت ، وفي يدي الكنز الثمين

مولده ومرباه :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
كانت ربة الشعر قد طوفت بإلهامها على ضفاف
النيل ، وأرسلت أولى أنغامها الشجية على
لسان البارودي ، ومن بعده شوقي ، فأخذت
دولة الشعر تزهر ، وتشتد أركانها .

وفي يوم السبت الخامس من المحرم
سنة ١٢٩٤ الموافق ٢٠ من يناير سنة ١٨٧٧م

واستهوته حياته الجديدة ، وتملك حينها
بسحر الريف ، واطلق وراء خياله في سهوله
المنبسطة ، ووقف على نمط جديد من الحياة ،
وأسلم نظراته للأفق ترى التقاء السماء بالأرض
على مدى البصر ، ومن قبل كان يصطدم
بمنازل الحى ودوره ، فلا يرى الأفق
ولا يبصر السهل الفسيح ، ولا يحس بخير
الماء وتفتح الزهر وتهويم الفراش .

أخذ الصبي بهذا الجمال الطبيعي الذى صنعته
يد الله فأبدعت ، ونهلت حواسه من مجاليه ،
وكانت حياته في طفولته حياة الترف والنعيم ،
فليس بغائب عنا الحياة الهائلة ، والنعمة
الوفيرة التى كان يمرح في ظلها نظار التفاتيش
والقائمون على أمر الضياع ، فقد كانوا ملوكا
غير متوجين في مزارعهم وقراهم ، وما زالت
بقايا هذه الحياة تقرأى على صفحات أذهاننا ،
كلما حاول أحدها أن يعيش لحظات في ظلال
ماض غير بعيد .

ويبدو أن والد محرم كان رجلا محبا للقراءة
شغوبا بالأدب ، مصاحبا لأهله من شعراء
وكتاب ، يغشى مجالسهم ، ويشارك فيها ،
فأورث ابنه هذه اللزعة ، ونمى فيه حب
الكتب والتطلع إلى الكتابة في سن مبكرة .
وتربى محرم كما يتربى صبيان القرية الناعمون
في عصره ، فأحضر له أبوه المعلمين ، وقاموا
على تلقيه مبادئ القراءة والكتابة حتى

يمجد الإسلام ، ودفاعه عنه ، وتسجيله لحياة
النبي صلوات الله وسلامه عليه وحروبه
تسجيلا لم يضطلع به شاعر سواه في عصره .
ولم يسعفنا ما وصلت إليه أيدينا من مراجع
بجدة لمحرم ، ولم نهتد إلى أسرته ، فقد
سكت التاريخ عن ذلك .

ونرى من اسم الوالد ، وعدم وقوفنا على
أسرة للشاعر أن « محرم » لقب خص به
الشاعر وحده ، ويغلب على الظن أن أباه
لقبه هذا اللقب لمولده في شهر « المحرم »
العربي ، وبما يقوى هذا الظن في نفوسنا
أن محرم كان له شقيق أكبر منه توفى ورثاه
في ديوانه الأول ، وأثبت مرثي أسدقائه
من الشعراء فيه ، وكان اسمه « محمود صفر » ،
وأغلب الظن أن أباه أضاف إليه هذا اللقب
لمولده في شهر صفر العربي ، ولعلنا نأخذ
من هذه الإضافة في أسماء البنين دليلا على
تعلق الوالد بالعرب وحبه لتاريخهم .

شب أحمد في بيت والده يصنعه على عينه
ويقوم على رعايته ، ويبدو أنه كان من ذوى
النعمة وإن لم يبلغ حد الثراء .

ثم رحل الوالد إلى إقليم البحيرة ، وألقى
عصى التسيار في إحدى قراها يقوم بشئون
بعض مزارع كبار الملاك هناك ، ويرعى
بنفسه ضيعته الصغيرة في تلك الناحية .

ورحل الطفل مع والده إلى مقره الجديد

مكتبة أبيه يختار منها ما يرغب فيه كما تنتقل النحلة بين أزهار الروض تتمتع من هذه وتدع تلك .

وأخذ أبوه يشجعه على قرض الشعر ، ويطلعه على أحدث ما أنتجه أصدقاؤه من الشعراء ليثير طموح نفسه ، ويكافئه كلما أنشد قصيدة ، ويصحبه معه في رحلاته إلى مدينة دمنهور ، ويعقد الصلة بينه وبين شيوخها وذوي المسكنة فيها من الوجهاء والأدباء والسراة .

وكان بمدينة دمنهور على عهد محرم رجل من زعماء الأدب الشعبي يسمى (الشيخ جاد علوان) ، وكانت له حلقة يجتمع فيها عشاق الأدب ومحبه ، فتعرف محرم عليه ، وشهد ندوته ، وألقى فيها بواكير قصائده حتى عرفه الناس ، وأقبلوا عليه . ودأب محرم على اطلاعه ، وتزويد ثقافته ، وقد تهيا له من وقت الفراغ ما استطاع بفضل أن يلم بالشعر العربي في جميع عصوره ، ويحفظ منه درره وعيونه ، لم يصرفه عن ذلك اشتغال بتحصيل العيش ، أو مطالب الحياة ، فقد كفاه أبوه مؤونة ذلك .

ولقد كان محرم يمكف على كتبه وشعره آناء الليل وأطراف النهار ، حتى ضاقت أمه به ، وعابت عليه انكبابه على شعره ، حتى أصبح عالة على أبيه يعوله كما يعول البنات ، بل إن البنات خير منه ، لأنهن سيتزوجن ، وهو لا أمل في تحوله عن هذه الحال .

عرف شيئا من المطالعة والحساب والإملاء وحفظ القرآن الكريم ، فألحقه أبوه بإحدى مدارس القاهرة ، وكان التعليم فيها يومئذ وقفا على أبناء الطبقة الموسرة .

غير أن مناهج الدراسة فيها لم تصادف قبولا من نفس محرم ، فأعلن تبرمه بها ، فنقله أبوه إلى مدرسة أخرى ظنها خيرا من الأولى إلا أن محرما الذي طبعت نفسه على حب العربية من صغره ، وتعلقت بأدبها مبكرا لم يستسغ منهاجا دراسيا يرى نفسه فيه غريبا على العربية مبتوت الصلة بها فكان يرى نفسه غريب القلب واليد واللسان كما يقول المتنبي ، فهل يطمئن إلى هذه الحياة التي تنكره وينكرها ؟ ، وكيف يستريح ، وهو الذي يتطلع إلى منزلة المتنبي ومكانة البحترى . ؟

فبعث لآبيه بقصيدة يشكو له فيها ما يعانيه ، ويصور ألم الغربة في نفسه ، وهو يومئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، فما كان من أبيه إلا أن أعاده إلى القرية ، وأحضره بعض أساتذة الأزهر يلقنونه فقه اللغة العربية وأدبها .

ولما رأى أبوه فيه ذلك النضج المبكر والهيل الغالب للأدب والشعر فتح له مكتبته يقرأ فيها ما يشاء ، واشترك له في الصحف والمجلات ، وجلب له ما تفيض به المطابع من كتب ، وأقبل محرم يشقف عقله ، ويغذى وجدانه بعيون الشعر العربي وينتقل بين

وإن كان موسيقيا عذب الرنين قوى النسيج ،
لأن حياته قد صرفته عن هذا السبيل الذي
يسلكه لداته ، ويعبر هو عن ذلك في بعض
قصائده :

لعمرك ما ينهني شبابي
إذا هفت الحلوم إلى الأناة
صحبت الجد في غلواء عمري
فقد جعلت أمتاني لداني
ولم مظنتي أن تلتصمني

ندى ذوى الحلوم الراجحات
وكانت هذه النشأة داهية له من جانب آخر
أن يأخذ نفسه بأخلاق الإباء والكرامة
والغيرة والحمية على الدين والوطن ، والتفاني
في الزيادة عنهما ، والدفع عن حياضهما
وخطا في هذا الميدان خطوات فسيحة حتى
لقد اتخذ لنفسه لقب « نصير الدين » ، وقد أخذ
نفسه بهذه المبادئ التي آمن بها ، وجرت في
نفسه مجرى الدم من العروق لم يتخل عنها
ساعة من زمان ، وجعلها منهجه في معاملاته
مع الناس واتصاله بهم وكم دعوه إلى الهو
في صباه ، فنأى عنهم وأعرض ، وهو يهتف .
قالوا : زمان الصبا هو لصاحبه

فقلت : مالى أراه ، وهولى كمد
إني امرؤ ماجد الأخلاق فاضلها
ما عابني لعب يوما ولا فند
سموت بالجد والصدق اللذين هما
خدنناى إياهما أبغى وأعتمد

وقد صور محرم موقف أمه هذا في إحدى
قصائده ، وكانت تأخذ عليه أنه يظل يقرأ
حتى ينطفئ السراج حينما يفرغ زيتة وتغيب
النجوم عن أفق السماء . أستمع إليه يقول على
لسان أمه :

ابنى إن المرء يغنى شأنه
فيعيش في الأهلين وهو محب
وأراك في شرخ الشباب وروقه
يغذوك والدك الكبير الأشيب
يسعى وأنت مع البنات كبعضها
ثاو ، وليتك مثلهن فتخطب
لا مال تكسبه ، ولست بيارح
تغنى وتتلغ جامدا ما يكسب
تدع السراج فلست تطفى نوره
حتى ترى أخرى النجوم تغيب
أبيع هذا الشعر أم أنت امرؤ

تهوى من الأشياء ما يتجنب ؟
وقد كان للنشأة الصارمة التي أخذ بها محرم
نفسه منذ صغره أثر بعيد في اتجاهه نحو
الأغراض الجادة في شعره ، وكذلك تربيته
الدينية التي فرضها أبوه عليه منذ نعومة
أظفاره لم ترك له مجالا يتغنى فيه بعواطفه
أو ينطلق مع أحلام الشباب شأن غيره من
ذوى الإحساس والشاعرية ، لذلك نرى غزله
الذى أنشده في صور شبابه غزلا صناعيا ،
لا تحس فيه وهج العاطفة ولا وقدة الشعور

فدعا إلى تحريم الزواج ، ثم رجع عن هذا
الرأى كما أشار إلى ذلك فى ديوانه :

أما الغلام ، فما أقارف إثمه

إذ كان عندى أظفح الآثام

ماذا جنى ؟ فيكون بعض جزائه

دار الشقاء ، وموطن الآلام

لله شرع أى للعلاء فإنه

شرع يعظمه ذوو الأحلام

رضى التبتل ، ليس يؤثر غيره

حتى انقضت أيامه بسلام

نقم الرضى إذ غال والده الردى

حتى على صوب الحيا البسام

وحدثني من لقيت من أصدقاء محرم ، وبقايا

معاصريه فى مدينة دمنهور ، أنه كان كثير

الصمت دائب للتأمل تراه فيخيل إليك أنه

فى عالم غير عالمك ، وتجلس إليه فلا تسكاد

تظفر منه بكلمة أو كلمتين فى مجلس قد يمتد

ساعة أو أكثر ، وكانت رغبته شديدة فى

العزلة والانفراد ، وكثيراً ما كان يختار

لنفسه مكاناً فى أحد ميادين دمنهور ، تحص

ظل شجرة هناك أطاق عليها - من كثرة

ملازمته لها - شجرة محرم ، ولا زالت تعرف

باسمه هناك حتى الآن .

وكان دقيق الجسم أميل إلى القصر والنحافة ،

يتحدث همساً ، ويعبر إشارة .

محمد إبراهيم الجبوشى

المشرف على الشؤون الدينية بإذاعة القاهرة

ما عابنى غير حساد بليت بهم

وهل يعيب شريفانى الورى حسد؟

وكان محرم طموحاً وثاب الأمانى يردد بينه

وبين نفسه :

ولو يُعطى الفتى ما يبتغيه

إذا لرأيتنى واعى رعاة

وكان عزيزاً أياً يكرم نفسه ويحترم رأيه ،

لا يخضع لأحد ، ولا يترافع فى رأى يراه ،

حتى لقد جر عليه ذلك المتاعب والحسد من

كثير من الناس ، فرموه بالغرور والكبرياء ،

ولم يسلم من أذام حتى بعد موته ، وربما

كان ذلك من الأسباب التى جلبت عليه للنسيان

والإهمال اللذين أصيب بهما أدبه وذكراه .

وكان يؤمله كثيراً أن يرى موازين الأمور

مختلة ، وقيم الناس لا تستند إلى أساس ثابت ،

فكم قدمت دعياً وقعت بموهوب .

هبنى إمام الشعر ، ما بالى أرى ؟

ومعاشر المتشاعرين أمانى

لو أن آرائى مسخن قوافيا

لأنقاد لى دهرى بغير زمام

فأقت من أود القريض وأهله

وحيت سرح السكتب والأقلام

ويبدو أن ما لاقاه محرم من عنيت الناس

وكيدهم جعله ينظر إلى الحياة نظرة كشيبة

سوداء ، تموج بالشور وتضطرع فيها

الأحقاد والأضغان ، فغلب عليه التشاؤم ،

وذهب مذهب أبى العلاء فى وجوب التخلص

من الحياة التى لا تغت إلا الشر والأذى ،

مَعَ الْمُرَابِطِينَ عَلَى الْحُدُودِ

لِلأُسْتَاذِ أَحْمَدَ الشَّرِيفِ

وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم
وأتم لا تظلمون . .

وشرعة الجهاد والإعداد تستلزم أن
تتضامن الأمة كلها لصيانة حريتها وكسب
النصر في معاركها ، وكل فرد فيها يجاهد بلون
من الجهاد ، فالجندى في الميدان يجاهد بسلاحه
وعتاده ، والداعية يجاهد بمنطقه وبيانه ،
والألمعي بعقله وتفكيره ، والغنى بماله وذات
يده ، وهذا التضامن يستدعى أن يكون هناك
ترابط بين جنود الميدان وبقية أفراد الأمة
الذين يأخذون سبلهم في مسالك الحياة المتشعبة .
ولقد كنا فيما مضى نأسى ونأسف لثقطع
أواصر الاتصال بين الشعب والجيش ،
ولكننا انتهينا بفضل الله وحده إلى عهد
صار فيه الشعب جيشا ، وصار الجيش قطعة
من هذا الشعب ، فبين الفريقين من أبناء
الوطن روابط تجعل الجميع مجاهدين قلبا وقالباً
من أجل معركة الحرية والكرامة .

في ظلال هذه المعاني سارعت مغتبطا
بالاستجابة لما قررت ، وإدارة الشؤون العامة
والتوجيه المعنوي بالقيادة العامة للقوات
المسلحة ، من اختياري للشاركة في مجموعة

الجهاد شريعة باقية وفريضة دائمة ، والجهاد
إن لم يكن في ساحة الميدان وصميم المعركة ،
كان بالإعداد والاستعداد ، والحذر
والمراقبة ، لأن مطامع الناس - سواء أكانت
فردية أم جماعية - تدع باب الشر والبغى
مفتوحاً يلججه الطغاة والبغاة من حين إلى حين .
والإسلام يقرر في عقول أبنائه وقلوبهم
هذه الحقيقة ويدعوهم إلى رعايتها حق الرعاية ،
فهو يحذرهم من الظلم والعدوان ، كما يحذرهم
من الرضى بالذل والهوان ؛ ولذلك جاءت
شرعة القرآن بالمسألة للمسلمين ، والمقاومة
للمهاجرين ، وأخذ الحذر والاهبة لإبطال كيد
الكافرين ، وقطع الطريق على الباغين ،
فيقول القرآن : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها
وتوكل على الله » . وفي موطن ثان يقول :
« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا
تعدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وفي موطن
ثالث يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتت
الأعلامون إن كنتم مؤمنين » . وفي موطن رابع
يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ،

بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة اهتمام بقول الله جل جلاله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » . ولعل الجندي عند خطوط الدفاع ، وعلى ثغور المراقبة ، هو أشد الناس حاجة إلى تعمير الصدر بالإيمان ، وتحصين القلب باليقين ، وتثبيت النفس بالعميدة التي تعلم صاحبها أن الله هو خير الناصرين ، وأقوى المؤيدين ، وأنه يعين عباده المؤمنين : بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، « وإن جندنا لهم الغالبون » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

ولقد سمعنا نشيد « الله أكبر » يتردد أكثر من مرة ، فيذكرنا بأنه حينما أقبلت ساعة الهول ودقت طبول الخطر ، وتعرضت الأمة كلها للغزو الأثيم والعدوان الظلوم ، انطلقت صيحة الإيمان من فم أحد الشعراء ، فإذا القدر الغلاب يدفعه إلى افتتاح نشيده بشعار الإسلام وهتاف الإيمان : « الله أكبر » وإذا هو ينطقه بقوله :

الله أكبر فوق كيد المعتدى

واقه للظلوم خير مؤيد

أنا باليقين وبالسلاح سأقتدى

بلدى ونور الحق بسطع فى يدى

وتذكرنا أن هذا النشيد الوطنى الدينى

الهدار قد انتشر وسار ، وتردد على اللهوات

من اللندوات الدينية والاجتماعية والقومية ، حددت لها الإدارة المدة الواقعة بين الحادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٦١ إلى الثالث عشر من نوفمبر ، وجمعت الأحاديث فى هذه الغدوات موجهة إلى الضباط والجنود فى جيشنا العربى المجاهد . وقد أقيمت فى المناطق العسكرية بغزة والعريش والاسماعيلية وفايد والقاهرة والإسكندرية وكانت بمناسبة ذكرى العدوان الثلاثى للغاشم على بلادنا ، وبقصد تقوية الروح المعنوية فى صفوف الجنود المرابطين على الثغور ، والحدود ، والخطوط الامامية .

ولعل أهم ملاحظتنا هو أن هؤلاء المجاهدين من أبناء الأمة المؤمنة ، يتطلعون فى حرص وشوق إلى معرفة هدى الله وكلمة الإسلام فى شئون الحياة الفردية والجماعية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالشئون الاقتصادية : كالاستراتيجية وتحديد الملكية والتأمين وغيره . وهذا يدلنا على أن النزعة الدينية مستكنة فى صدور هؤلاء الجنود ، وأنها تؤثر أثرها وتؤتى ثمرها فى التفكير والتوجيه ، ومن الواجب أن يواصل المختصون تقوية هذه النزعة وتزكيها وتجليتها وتوجيهها إلى ما ينفع الفرد والمجموع ، وما يحسن الربط بين واجب الله وواجب الحياة ، والجمع بين تبعات الإيمان وحقوق الأوطان ، والتنسيق

وكنا نقول لهؤلاء الأشقاء : نحن معكم في أن حركة الانفصال قد خيبت الآمال ، وباعدت بيننا وبين يوم التحرير ، ولكننا مع هذا لا نياس ولا نقنط : ، ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ، ، ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون .

ولاحظنا كذلك أن حالة الجنود قد تغيرت عما كانت عليه بالأمس ، فبالأمس كانت الجندي أمرا بغيضا مكروها عند العامة وكان إذا طلب أحد لاداء واجب الجندي هلع وفرغ وودعه أهله بالصراخ والعويل ، وكان الجندي يعامل معاملة سيئة وقاسية ، فهو يسمع من الشتائم أقدرها ، ويجد من المعاملة أسوأها ، وكان الجندي يحس بأنه خادم لقائده فهو يسخره في أهوائه وشهواته .

وأما اليوم فقد صارت الجندي للجميع ، وصار بين الجنود علماء ومدرسون ومحامون ومهندسون وأطباء وطلاب جامعات ، وصار بينهم مثقفون وشعراء وأدباء ، وصارت الجندي في نظرهم أمرا شريفا يفخر به صاحبه حتى لقد قيل في إحدى الندوات إن الجندي هي واجب ضريبة الدم ، فاعترض أحد الجنود على هذا التعبير متحمسا وعلق عليه بقوله : « إن الجندي حق المواطن ، بمعنى أن الفرد الكريم يطالب بتمكينه منها ، لأنها

والألسنة ، فأشهر من يعرفون ومن لا يعرفون أن الإيمان بالله هو الملجأ والمعتصم وهو شاطئ النجاة والأمان ، حينما تتور الأعاصير وتمرد الرياح ، وتتلظ الأخطار هنا وهناك ، وصدق القرآن الكريم إذ يقول « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه . »

وبما لاحظناه أيضا أن إخواننا في قطاع غزة ، وأشقائنا اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم في فلسطين العربية الإسلامية بغير حق يحسون الآن بلاذع الألم وعميق الحزن لما حدث من انفصال بين مصر وسورية ، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الوحدة بين هذين الجزين من أجزاء الوطن العربي الكبير بداية لامتداد « كاشة » عربية تدور وتلتف حول الجزء المغتصب من أرض العرب والمسمى زورا وبهتانا بإسرائيل ، لتسترد هذه « الكاشة » من غاصبيه ، وأعيده إلى أهله ومستحقه ، عن طريق التطويق والهجوم لتحرير المغصوب واسترداد المنهوب ، وكانوا يرون أن يوم العودة إلى فلسطين قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ...

ولكن الحركة الانفصالية في سورية جاءت تخيبت الآمال ، وأبعدت يوم الخلاص ، لأنها فصمت « الكاشة » العربية من وسطها .

الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » .

* * *

ولقد مررنا بالجنود وهم يرابطون داخل خنادقهم في الخطوط الأمامية والمواقع العسكرية ، ورأينا كيف يقف الجندي في الخندق بملابس الميدان ، ومدفعه في يده ، وبصره يحدق أمامه ، ويظل هكذا ثمانى ساعات في اليوم ، ثم يخلفه في مكانه أحد زملائه ؛ فزكينا فيهم هذا الجهد ، ورددنا عليهم قول الحق تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه » ، وقوله : « كل ميت يختتم على عمله إلا المرباط فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة » ، وقوله : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

ولعل الحديث الذي كان له وقع السحر في آذان هؤلاء الجنود هو حديثنا إليهم عن الشهادة في سبيل الله والوطن ، أو صناعة الموت في سبيل الحق والواجب ، فقد توانيت أفئدتهم حماسة وشجاعة حينما تبينوا كيف كانت صناعة الموت هذه عادة آبائهم وأجدادهم منذ القدم ، فمن آبائهم الشجاع الذي قال :

حقه الذي يجب أن يناله فن حق كل إنسان أن يدافع عن نفسه ووطنه وأبيه وأمه وإخوته وأسرته ، فأعجبتنا هذه الروح الدالة على الحماسة والوعى ...

وكذلك قال قائل منا : « لقد كتب علينا الجهاد لتحرير الوطن » ، فاعترض جندي متحمس على هذا التعبير ، وقال إن التعبير بقولنا « كتب » فيه معنى الإلزام والإكراه ، والجندي الآن لا يكره عمله في الجندية ، ومع إعجابنا بحماسة أو شخصنا له أن هذا التعبير مستمد من تعبير القرآن الكريم - وهو الإمام في البيان العربي - ومادة « الكتابة » تدل على الانتظام والجمع في الأصل ، وتدل على العزم وعلى الفرض ، وعلى الأمر المراد ، وعلى التقدير ، وعلى القضاء المبرم ، ومن آيات التنزيل في هذه المادة قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » ، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » ، « قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » ، « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

وكذلك تغيرت معاملة القادة للجنود ، فصار هناك تفاهم وتراحم ، وأحس الجندي بذاته وكرامته ، وبدأت الطاعة من الصغير والعدالة من الكبير ، حتى تذكرنا قول

فأحيا ، ثم أقتل فأحيا ، ثم أقتل ، وقال :
 « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته ،
 وقال : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا
 كما يجد أحدكم من مس القرصة » .

واهتزت نفوسهم حين عرفوا كيف كان
 القرآن المجيد إماما لهذا النبي وقومه في تعليمهم
 الشهادة ، فهو الذي يقول : « إن الله اشترى
 من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا
 عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن
 أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي
 بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . وهو
 الذي يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في
 سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
 فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
 بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة
 من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر
 المؤمنين » .

ولقد اطمأنت نفوس الجنود إلى التزكية
 الدينية للবাদي الاشتراكية السمحة العادلة
 التي جاء بها الإسلام حينما سمعوا هذه الآيات
 من كتاب ربهم عز وجل ومعها ما يناسبها
 من تفسير « هو الذي خلق لكم ما في الأرض
 جميعا » ، « وجعلنا لكم فيها معايش » ،
 « وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم

بكرت تخوفني الختوف كأنني
 أصبحت عن عرض الختوف بمعزل
 فأجبته إن المنيّة منهل
 لا بد أن أسقى بكأس المنهل
 فاقني حياءك لا أبالك وعلى
 أني امرؤ ساموت إن لم أقتل !
 ومن آباتهم أيضا الذي قال يخاطب نفسه
 مثبتا لها في مواطن الهول :

أقول لها وقد طارت شعاعا
 من الأبطال : ويحك لن تراعى
 فإنك لو سألت بقاء يوم
 على الأجل الذي لك لم تطاعى
 فصبرا في مجال الموت صبرا
 فما نيل الخلود بمسطاع
 ولا ثوب البقاء بثوب عز

فيطوى عن أخى الختف اليراعى^(١)
 ولقد اهتزت نفوس الجنود بكريم المشاعر
 وهم يسمعون كيف عظم محمد أتباعه صناعة
 الموت في سبيل الله ، وسبيل الله عريضة
 واسعة ، فهي سبيل الحق والعدل والإيمان
 والحرية وعزة الأوطان وكرامة الإنسان ،
 حتى قال سيد البشرية : « والذي نفسى بيده
 لو ددت أن أقتل في سبيل الله فأحيا ، ثم أقتل

(١) أخو الخنم : الدليل ، واليراع : القصة
 التي لا جوف لها ، والرجل الجبان الذي لا قلب له ،
 كأنه لا جوف له يكون فيه قلب .

من مال الله الذي آتاكم ، ، ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، ، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ، ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا .

وحينما سمعوا هذه الأحاديث المشرقة من أقوال الرسول المصلح ومعهما ما يلائمها من شرح وبيان :

« ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ، ، « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ، « من كان عنده طعام اثنین فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع ، ، « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم ، ، « إن الأشعرين كانوا إذا أرملوا في غزو ، أو قل طعام عيالهم ، جمعوا ما لديهم من طعام في ثوب واحد ، فاقتسموه فيما بينهم بالسوية ، فهم مني وأنا منهم ، ، « الناس

شركاء في ثلاثة : الماء والكلاء والنار ، ، « ليؤمنن يوم القيامة بالعظيم الأكل والشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ، « المال مال الله وأنا عبده ، ، « نعم المال الصالح للرجل الصالح ، ، « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى ، ، « أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به ، ،

أما بعد ، فقد كان آخر ما أسمعته أولئك المجاهدين المرابطين قول الشاعر العربي المقدم : سأحمل روعي على راحتي

وأمضى بها في طريق الردى
فإما حياة تسر الصديق

وإما ممات يسوء العدا
ولو أن أفراد الأمة المناضلة حملوا أرواحهم على أيديهم ، وانطلقوا بها في ميادين جهادهم ، مستعدين لبذلها حين يجد الجد ، لكتب لهم ربهم النصر والعزة والكرامة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ، ،

أحمد الترمذى

اقتصاديات السكان عند ابن خلدون

للأستاذ محمد محيي الدين المستيري

في شكله الحالي نفس الأسلوب فهو يشجع الأفراد على التمسك بعقيدة « سيادة الجنس » المستعمر على غيره من الأجناس الأخرى . وعلى هذا فالسياسة السكانية التي رسمها هتلر ، بعد سنة ١٩٣٤ ^(١) كانت تهدف إلى زيادة عدد السكان في ألمانيا لأغراضه الاستعمارية كما أن للعقيدة البريطانية لا تخرج بعيدا عن هذا الاتجاه على الرغم من أن الدولة لا تفصح علنا عن اتجاهاتها السكانية .

كذلك كان يرجي من النسل تعويض ما تأتى عليه المجاعات والأمراض والحروب ، وقد يكون عرب الجاهلية من الشعوب القليلة التي ربطت الاعتبارات الاقتصادية بالاعتبارات الاجتماعية عند تناول مسألة وأد البنات . فقد كان العربي الجاهلي يخشى من ضغط المجاعات والغزوات على شرف أسرته فيفضل الوأد على المعار المتوقع من احتمال القحط ، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

(١) ذلك أنه اعتقد أن الجنس الآري هو سيد أجناس العالم ، وهو لهذا السبب يجب أن يسود ويحكم .

ظروف المجتمع وتأثيرها على دراسات السكان :

من أهم الموضوعات التي يتم بها الاقتصاد الاجتماعي مسائل السكان وعلى الأخص علاقة عدد السكان بمستوى المعيشة . بيد أن الاعتبارات الاقتصادية البحتة ليست هي العوامل الوحيدة التي يصح الأخذ بها في تقدير مسائل السكان . بل هناك اعتبارات أخرى منها الحربي والاجتماعي والأخلاقي .

ولست مسائل السكان من المسائل التي أثرت حديثا بل كانت موضع بحث القدماء . إلا أن بحث القدماء يتغلب عليه الطابع الاجتماعي والحربي . ولا يبدو فيه جلليا الطابع الاقتصادي . ففي أثينا وفي سبارطة نظروا إلى السكان كأداة حربية تبسط بها الدولة سلطانها على جيرانها . وهنا تنتشر في الشعب المتسلط فكرة تسيطر على عقلية ونفسية من جميع الوجوه ، أساسها زيادة عدده لتحقيق هذا الهدف ^(١) .

فالدولة الرومانية القديمة شجعت كل ما من شأنه زيادة السكان . وقد اتخذ الاستعمار

[١] السياسة التوسعية أو الاستعمار .

ويرى ابن خلدون من الناحية السياسية والحربية أن عظم الدولة يكون على نسبة القاطنين بها في القوة والكثرة . والسبب في ذلك كما يقول في مقدمته في الفصل الثالث ص ١٥٣ ، ١٥٤ : « إن الملك إنما يكون بالعصية ، وأهل العصية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها . فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصيتها كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا واعتبر ذلك بالدولة الإسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الإسلام . . . وأما طول أمدها فعلى تلك النسبة ، . . . وهكذا نسب ابن خلدون الدولة في أعمارها على نسبة القاطنين بها .

على أن ابن خلدون لم ينظر لمسألة السكان من الناحية الاجتماعية والسياسية فقط ، بل تناول أيضا الناحية الاقتصادية فبحث زيادة السكان وأثرها في زيادة الانتاج ثم علاقتها بمستوى المعيشة مفندا ظاهرة الغلة المتناقصة كما تناول بالبحث أثر الرخاء في زيادة السكان وأخيرا أردف ببحثه بحثا جديدا لم يسبق إليه عن أثر الاستعباد في قلة السكان .

أثر وفرة السكان في زيادة العمران :

يرى ابن خلدون أن وفرة السكان تؤدي إلى زيادة تجزئة العمل والعسل وبالتالي إلى زيادة التعاون وحسن الاستغلال فيزداد الانتاج

أما في بحث المدرسة التقليدية لمسائل السكان فقد طغت الناحية الاقتصادية فجعلوا مقياس الرغبة في زيادة السكان مرتبطا بتأثير تلك الزيادة في مستوى المعيشة هل يكون صعدا بتأثير قانون الغلة المتزايدة في الانتاج لكثرة اليد العاملة أم أن قانون الغلة المتناقصة في الإنتاج يؤدي عاجلا أو آجلا إلى انخفاض ذلك المستوى .

والواقع أن بحث تلك المسألة كان يرتبط دائما بالظروف الموجودة في زمن ذلك البحث ، وقد كانت الظروف الاقتصادية تشغل المقام الأول حين كتابة « مالتس » ومن تلاه مباشرة ، لذلك ظهرت في كتابتهم نزعة تغليب الاعتبارات الاقتصادية في استنتاجهم . أما أن مسألة السكان ترتبط بالظروف الملازمة للزمان والمكان فالدليل على ذلك استفاد من تبادل التشاؤم والتفاؤل حسب الزمان والمكان الذي كتب فيه كل من جودوين ومالتس وآدم سميث وسمسوندي الخ . وقد كتب ابن خلدون ما كتبه عن السكان في زمن كان الاعتبار الغالب على مسألة السكان هو الغالب قديما ، أى الاعتبار الاجتماعي والحربي . فالنسل كان مطلوباً لإعزاز الدعوة القومية والتغلب على غزوات الأسبان للأندلس . كما أن الإسلام شجع زيادة النسل وتحسينه .

خلاصة رأيه هذا أن ازدياد التعاون الناتج من ازدياد السكان مرجحه تجزئة العمل مما يؤدي إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة (١) .. وهو لذلك يعتبر السلف للعظيم لما رشح حين يقول هذا « يبدو أن زيادة السكان تصاحبها باستمرار زيادة في وسائل إشباع الحاجات الإنسانية » (٢) .

وتلك هي الفكرة الأساسية التي حارب بها أغلب الاقتصاديين مخاوف مالتس ، فالغلة المتزايدة هي الضمان الكبير للأثر في نظام السكان . ولا ننسى أن هامش الإنتاج كان لا يزال متسعاً في ذلك الزمن بمعنى أنه لم تكن الموارد الطبيعية مستغلة الاستغلال الأقصى . فكان يمكن أن يؤدي المجهود الجديد إلى غلة متزايدة . ومن جهة أخرى نلاحظ أن عنصر العمل كان أهم عناصر الإنتاج . فمعنى وفرة السكان وفرة اليد العاملة ووفرة الإنتاج وازدياد العمران .

على أن ابن خلدون لم يقتصر على إعطاء

(١) يقصد بهذا القانون أن كل زيادة في عناصر الإنتاج المستخدمة في المشروع تنعكس عنها زيادة في الناتج بنسبة تزيد على نسبة زيادة هذه العناصر . ويتحقق قانون الغلة المتزايدة في جميع المشاريع سواء كانت صناعية أو زراعية غير أن أثره في الصناعة أكثر وضوحاً .

(1) Morshall, Principles of economic — Eight Edition p. 321 .

تبعا لذلك . ومن ناحية أخرى يؤدي ازدياد العمران الناتج إلى ازدياد القوة الشرائية وبالتالي إلى زيادة الطلب وزيادة الإنتاج مرة ثانية . فلا خوف إذا من زيادة السكان إذ أن وفرة السكان وإن أفادت زيادة في العرض إلا أنها من ناحية أخرى تقابلها زيادة في الطلب . والمجتمع يسعى دائماً إلى استيعاب الزيادة في السكان دون أن يؤثر ذلك على مستوى المعيشة فيه لأن ازدياد السكان يقابله زيادة العمران . وما دام كل من البسط والمقام في ازدياد فلا خوف من انخفاض نسبة الحاصل .

يقول في هذا الصدد (في الفصل الرابع من مقدمته ص ٣٤٢) « إن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وإنهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشدد ضرورة لأكثر من عددهم أضعافاً . فالقوت من الحنطة مثلاً لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه ، وإذا انتدب لتحصيله ستة أو عشرة من حداد ونجار للكلات وقائم على البقر وإثارة الأرض ... الخ . وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم مقدار من القوت فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم » .

وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية ، ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لأن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى ، بخلاف الأعمال الأصلية التي تختص بالمعاش ، (١) .

فألفظ الأساسية في نظرية ابن خلدون عن تأثير وفرة السكان في العمران هي أن زيادة اليد العاملة تؤدي إلى تجزئة العمل وبالتالي إلى تطبيق قانون الغلة المتزايدة في الإنتاج . ثم أن زيادة اليد العاملة معناه زيادة الأعمال وازدياد المكاسب وازدياد القوة الشرائية ، وازدياد الطلب وحاصل ما تقدم زيادة العمران بزيادة الدخل والخرج ، لأن الإنتاج الجديد ينصرف إلى الترف إذ أن الضروريات تكون منتجة بقدر كاف وإليها انصرفت الأعمال الأصلية .

وقد ميز ابن خلدون بين إنتاج الضروريات وإنتاج مواد الترف ، فالأعمال الأصلية للسكان منصرفة إلى إنتاج الضروريات . أما حيث يتسع المصر أو المدينة فالأعمال أو المجهودات الجديدة تنصرف إلى الإنتاج الترفي فضغط زيادة السكان لا يؤثر في مستوى القوت فهذا القوت ينتج بقدر كاف بأقل مجهود من المجتمع . ومجال للبحث إنما هو عن أثرها في مستوى الرفاهية .

فكرة بمحلاة عن زيادة الإنتاج بسبب زيادة تجزئة العمل من جراء وفرة السكان . بل أخذ يتقصى بدقة تأثير وفرة السكان في زيادة الإنتاج .

قال : « فأهل مدينة أو مصر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالأقل من تلك الأعمال وبقيت الأعمال كلها زائدة على الضرورات فنصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأمصار ، ويستجلبونه منهم بأهواضه وقيمه ، فيكون لهم بذلك حظ من الغنى . وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق أن المكاسب إنما هي قيم الأعمال ، فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعهم أحوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التأتق في المساكن والملابس ، واستجادة الآنية والماعون ، واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعى بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها ، والقيام عليها ، فتتفق أسواق الأعمال والصنائع ، ويكثر دخل المصر وخرجه ، ويحصل للسيار المنتحلي ذلك من قبل أعمالهم ، ومتى زاد العمران زادت الأعمال ثانية ، ثم زاد الترف تابعا للكسب ، وزادت عوائده وحاجاته ، واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٢

تتاج ضروريات المعيشة وإنما السكاليات فيها فهذه موضوع التنازع والانتقال واليهما تتجه الأطلاع فتتحرك الفتوحات والاستعمار . وقد أجاد ابن خلدون كل الإجابة بهذا التمييز الجوهرى بين مستوى الرفاهية ومستوى القوات .

وإذا كانت بعض الجماعات قد وجدت نفسها مهددة ، من الناحية الغذائية فسبب ذلك ليس مجزأ فى طاقة الإنتاج وإنما اختلال فى نظام التوزيع فقد يكون هناك اختلال بين حجم الزراعة والصناعة أو امتلاك فئة قليلة أدوات الإنتاج فتتحكم فى الأجور والغذاء وتسيطر على كافة شئون الدولة .

فزيادة السكان إذا من الناحية الاقتصادية لا يخشى معها حتى على مستوى الرفاهية . فزيادة الاستهلاك تقابلها زيادة الإنتاج ، وزيادة العرض يقابله زيادة الطلب ، وزيادة الخرج يقابله زيادة الدخل ، وبالأجل زيادة السكان يقابلها زيادة العمران .

أثر العمران فى زيادة السطحة :

قدمننا أن كثرة السكان تؤدي إلى زيادة العمران . إلا أن ابن خلدون يرى كذلك أن اتساع العمران يستوعب ازدياد السكان .

ولما ميز ابن خلدون بين إنتاج الضروريات وإنتاج أدوات الترف . وفرق بين مستوى الرفاهية وبين مستوى القوات وضع بذلك مسألة زيادة السكان فى وضعها الصحيح فالمسألة ليست مسألة الإعاشه فهذه يمكن ضمانها وإنما المسألة تتعلق بضغط تلك الزيادة على مستوى رفاهية السكان الأصليين .

ولابن خلدون فضل يذكر على مالتس ومن رأى رأيه . فهو لاء خلطوا بإشارتهم إلى الجوع والأمراض بين أثر زيادة السكان فى مستوى الرفاهية وبين ضغطها على مستوى القوات ، فالغذاء يحصل تدبيره بالتخزين أو الاستيراد . والمشهد عموماً أن إنتاج الضروريات من مواد غذائية ... الخ أكثر من الاستهلاك السكلى بل قليل إن العالم يشكو فى هذه الناحية من إفراط الإنتاج . ثم إن مسألة القوات مسألة نسبوية للإرادة والمناخ والعادات أثر كبير فى تسكينها . وعلى حد قول ابن خلدون عن هلاك الناس بالجماعات أن الذى قتلهم هو الشبح المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق (١) . فالناحية المهددة ليست إمكان

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الأول ص ٨٦

فى اختلاف أنواع العمران فى الحصب والجوع . ويتفق من يتوهم أن الجوع مهلك « فليس الأمر كذلك إلا إذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية » .

يهتم انهما كسيرا بالظواهر المتعلقة بمسألة السكان ويظهر ما بينها وبين ثروة البلد من علاقة وثيقة .

إن بعض كتاباته تضعه في صف أصحاب النظريات التي سميت *théories populationistes* - وهي نظريات السكان - والتي تجعل من السكان سبب الثروة . من ذلك قوله : إن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفة لأهلها وتفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمراتها في الكثرة والقلة ، (١) . وهو يرجع ذلك إلى تجزئة العمل بل يكاد يلح قانون المنافذ .

ولكن نظرية ابن خلدون لا تقتصر على جانب واحد من المسألة إذ هو يذكر فيما بعد أحوالاً تجعل الثروة سبباً في زيادة السكان وليس السكان سبباً لزيادة الثروة . من ذلك قوله : إن الدولة التي تشجع الصناعة يزيد سكانها وتزيد جبايتها .

ويستنتج بوتول مما تقدم إدراك ابن خلدون إدراكاً صحيحاً للنواحي المتعددة التي تشيرها مسائل السكان .

(البقية في العدد القادم)

محمد محيي الدين المسيري

وهو يعلق أهمية كبيرة على أثر العمران في تيسير سبل المعيشة ويشبه الناس في تراحهم على ثروات العالم بتراحهم الحيوانات العجم على فئات بيوت أهل النعم . وكيف تختلف أحوالها في هجرانها أو غشيانها ، فإن بيوت أهل النعم والثروة والموائد الخصبة منها تكثر بساحتها واقبتها الحبوب وسواقط الفئات فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش . ويخلق فوقها هصائب الطيور حتى تروح بطاناً وتمتلىء شيعاً ورياً . وبيوت أهل الخصاصة والفقراء الكاسدة أرزاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يخلق بجوها طائر ، ولا تأوى إلى زوايا بيوتهم فأرة ولا هرة ، ويقول : واعتبر غاشية الأناس بغاشية العجم من الحيوانات وفئات الموائد بفَضَلات الرزق والترف وسهولاتها على من يبذلها لاستغنائهم عنها في الأكثر لوجود أمثالها لديهم (١) .

وهذا الكلام الأخير يكاد يشير إلى فائض المستهلك الناتج عن العمران وكيف أنه يزداد لفائدة المستهلكين كلما زاد العمران . فكلما زاد العمران زاد ما يتاله الفرد من خير وزادت قوة شرائه .

ويقول بوتول (٢) : إن ابن خلدون

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٤ في أن تفاضل الأمصار . الخ .

(٢) Bouthoul P. 34-34

من أعلام الصوف : الإمام أحمد الغزالي للأستاذ عباس طه

صلى الله عليه وآله ، وأثره في غيره من المفكرين ؟
إسمه كما ورد على لسان الصلابة ابن
خلكان ، أبو الفتوح أحمد بن محمد بن أحمد
الطوسي الغزالي الفقيه الشافعي ^(١) ، ويذكر
السبكي ^(٢) وطاش كبرى زاده ^(٣) أنه كان
يلقب بلقب أخيه زين الدين حجة الإسلام .
ولسنا نعرف مولده في إحاطة شاملة ، غير
أن من الثابت البين أن ميلاده كان بعد
عام ٤٥١ هـ أي بعد مولد أخيه أبي حامد .
فمن الراجح إذن أن يكون مولده سنة ٤٥٣ هـ أو
سنة ٤٥٢ هـ فالعارق بينه وبين أخيه في السن لم
يكن كثيراً فقد ذهباً معاً إلى المدرسة في
حدائق سنه .

أما عن طفولته فقد توفي والده محمد الغزالي
وهما حدثان وكان والدهما أمياً رقيق الحال
وكان يعيش في طوس في القرن الخامس الهجري
لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل
الصوف . وكان يطوف على الفقهاء بحالهم

إني لأعجب أن يغفل الباحثون تاريخ رجل
ملأ سمع الزمان وبصرة وحلب شطرى الدهر
حلوه ومرته هو الصلابة أحد كبار الربانيين
المستنيرين في علوم الحقيقة وفقه البصائر
وهو صاحب هذه الترجمة .

يقول العلامة السبكي إن أحمد الغزالي وهو
شقيق أبي حامد الغزالي المعروف بمصنفاته
ومؤلفاته كان في وعظه وتأثيره على النفوس
وخطبه أخطب من دهر وأوعظ من قبر
وأدق من نهر ، وكان أرق من الهواء وألس
من سلسيل الماء . كان واعظاً تغلق صم
الصخور عند استماع تحذيره ، وترعد فرائص
الحاضرين في مجالس تذكيره ، فلا قلب إلا
تبين صدعه ، ولا جفن إلا رشح بالدم دمه
فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب ، ولو
ربط لإبليس في مجالس تذكيره لتاب ^(١) .

وقد سما التاريخ بأبي حامد الغزالي بيننا
ترك أخاه في غمار المذنبين الحاملين رغم
ما كان له من أثر عميق في العصر الذي عاش فيه
معاصراً لأخيه العظيم أبي حامد الغزالي .

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات : ص ٤٩ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج ٢

ص ١٩٢ .

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ١٠٣

الآخوين في منحاهما في تلك الفترة . غير أن الفارق الفريد هو بدء تكون الوجدان الصوفي العميق عند أحمد الغزالي ، وظهوره في إقدام منقطع أثنا - تلاوته أو إنشاده أو صلاته ، وفي حبه للعزلة والحلوة ونأيه عن الجلوة . أما أبو حامد فقد كان يتجه اتجاها غير صوفي ، بل كان يعد الحياة أخرى فقهية وعقلية بعيدة عن تقاليد الصوفية .

ولم تكشف لنا المصادر التي أفصحت عن أحمد الغزالي شيئا عن دراسته الفقهية ولا عن أساتذته الذين تلقى عنهم هذا السلوك . فقد ذكر صاحب وفيات الأعيان د أنه كان من الفقهاء المبرزين غير أنه جنح إلى الوعظ ،^(١) ويذكر ابن السبكي وطاش كبرى زاده أنه تفقه ثم نزح إلى التصوف^(٢) ، وهذا ما يردده صاحب مرآة الجنان ، ونقله عنه في ألفاظه صاحب شذرات الذهب^(٣) .

من هنا نصل إلى أن أحمد الغزالي لم يبلغ حظيرة الصوفية إلا بعد أن درس علوم الشريعة محققا بذلك تلك النزعة الصوفية التي كثيرا ما نادى بها السنيون من المتصوفة .

اختلفت المشارب بعد ذلك بين الآخوين

ويتوفر على خدمتهم . وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه إبنًا ويحمله فقيها . ويحضر مجالس الوعاظ ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه إبنًا وادظا ، فاستجاب الله دعواته .

وقد أوصى الوالد بولديه إلى صديق له متصوف من أهل الخير ، وقال له : إن في أسفا بالغيا على جهلي بالقراءة والكتابة واشتهى إدراك ما فاتني في ولدي هذين ، . ولما مات والدهما وكانا تحت كفالة ذلك الصوفي العظيم أقبل الصوفي على تعليمهما حتى استنفدا ما خلفه لهما والدهما من المال وكان نزرا يسيرا فناء الرجل بحملهما وقال لهما ليس لي يدان باحتمالكما دعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من أهل الخصاصة والتجريد ، وليس لي مال أحملكما عليه ، وإذن فأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة ليأتى إليكما قوتكما من هذه المدرسة فيعينكما على مضى الحياة في غضاضة من العيش ، . فقال أبو حامد د فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت ،^(١)

ولسنا نعرف كثيرا من الاختلاف بين

(١) وفيات الأعيان ص ٤٩ .

(٢) طبقات ص ٥٤ ، مفتاح ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) مرآة الجنات ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، شذرات

الذهب ص ٤٠ - ٦٠ .

(١) ابن السبكي ص ١٠٣ - وإنحاف السادة للثنتين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لابن المرتضى ص ١٠٣ - ١٠٤ وطاش كبرى زاده : مفتاح السادة ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

وقد طوف البلاد واعظاً من أندر
الواعظين وسبقته شهرة ضربت إليها آباط
المطى حتى أتاه المريدون من كل مكان قصى
يقول طاش كبرى زاده « وكان يدخل القرى
والأصبياع ويعظ لأهل البوادي تقرباً إلى الله
تعالى ، ويقول صاحب شذرات الذهب
وعظ مرة في بلاط السلطان محمود فتحله
ألف دينار (١) ، ثم انتهى به المطاف إلى
بغداد ، يقص علينا ابن النجار أنه « دخل
بغداد وأحرز بها القبول الأخاذ فازدحم
الناس وتسا بقوا إلى شهود مجلسه والاعتراف
من مناهل درسه ، وكان قد سبقه إليها أبو
حامد الغزالي أخوه واجتمع به حتى التقيا على
صعيد واحد ، وكانت للملاقاة بين الأخوين
وثيقة ، فبينما أحدهما وهو أبو حامد يشرح
للناس ويفصل في أقضيته ويضرب في علم
الكلام والفلسفة وآداب المناظرة ومصطلح
الحديث وعلم توهين الدخلاء على الفقه
والتفسير والرياضيات ، كان أخوه أحمد يرى
الدنيا يبصره الثاقب فيراها دار غرور وخداع
« كسراب بقمية يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجد شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب .

ولقد كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جدَّ الجد
فهو الليث عادي ، وكان أكثر دهره صامتاً

في سلوكهما — فقد ساء أبو حامد في طريق
الفقه ثم انتقل إلى علمي الكلام والفلسفة ، أما
أحمد فقد غلب عليه الوعظ ، والميل إلى
الانقطاع والعزلة وكان صاحب عبارات
وإشارات ، (٢) .

فإذا انتهى دوره من هذه المرحلة وجاوز
تلك المغازاة رحل إلى همدان على ما يذكره
الحافظ السلفي قال شهدت مجلس وعظه بهمدان ،
وكنّا في رباط واحد ، بيننا ائتلاف
واكتناف وشديد رغبة في وثيق حجة كان
من أذكي خلق الله وأعرفهم بمواقع الكلام
وأصوبه في نفوس السكّام .

إن شئت فهو المسماء نيمراً أو الزهر عبيراً ،
وإن شئت فهو البحر سعيراً أو النار توقداً
وزفيراً ، إن شئت فهو اللبن خالصاً سائغاً
يخرج من بين فرث ودم وإن شئت فهو المر
النقيع والعلم ، (٣) وكذلك كل من يشعر
بقسط وفير في الوجود وأثره البعيد في الخلود
يفغى أن يكون له لسان ذو حدين حد فائق
وحد رائق إن سألته سال عذبا وإن صارته
سل عضبا ، ومثل ذلك للنحل إن رضيت
عملت العسل وإن غضبت أعملت الأسل .
هذا هو أحمد الغزالي في حالتي رضا في الله
وغضبه في الله .

(١) شذرات الذهب .

(٢) طبقات نفس الصفحة .

(٣) شذرات نفس الصفحة .

وبروقها ، أنه ذات يوم جلس ليعظ الناس ،
فدخل عليه أخوه أحمد وأنشده :
أخذت بأعضادهم إذ ونوا
وخلفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدي ولا تهدي
وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحد حتى متى
تسن الحديد ولا تقطع
فكان ذلك حافزا لتركه زغارف الدنيا
وزبرجها (١) .

يتبين من ذلك أن الإمام أحمد هو الذي
سلك أخاه الإمام أبا حامد إلى طريق التصوف
وقد أثرت هذه الحال على أبي حامد أعق
تأثير مما جعله يترك التدريس في النظامية مدة .
وكان عين القضاة الميانجي من أخص تلاميذه
الإمام أحمد الغزالي وكان كلما به تواقا إلى
ترسم خطاه في الوعظ والإرشاد حتى أنه نشر
هذه كتاب سوانح العشاق ، وترجمه إلى اللغة
الفارسية . وكان عين القضاة من أكابر الأئمة
ومن تلاميذه ، السالك في الله ، الشاعر
الوجداني في الحب والمواجيد ، الفريد العطار
الشاعر الصوفي الفارسي ، وقد روى عنه
المؤرخون أن هذا الشاعر أكمل الأسس
والمبادئ العامة لنظرية الحب الإلهي

فإذا قال بـ القائلين ، لا قلب له إلا مع الله ،
ويقص صاحب مرآة الجنان (١) أن إنسانا
سأله عن أخيه أبي حامد أين هو فقال بعد
أن جال ببصيرته النفاذة إنه في الدم ، وذكر
ذلك لأخيه أبي حامد فقال : صدق أحمد لقد
كنت أذاكر في مسألة من مسائل المستحاضة
وتقص السير الوثيقة أن أبا حامد عهد فترة
إلى أخيه أحمد بالتدريس في النظامية فقام
أحمد بذلك حتى عاد أخوه إليها ، وقد عاش
في بغداد مدة ، ثم عاد إلى طوس مع أخيه ،
إذ يذكر ابن المرتضى وفاة أبي حامد عن
أخيه أحمد ووفاته أبي حامد كانت في طوس
سنة ٥٠٥ هـ . وعاد أحمد إلى الطواف بعد
وفاة أخيه حتى قضى سنة ٥٢٠ هـ في قزوین
ودفن بها .

ويطبق المؤرخون على أن الإمام أحمد
الغزالي كان من عيون الوعظة في الإسلام غير
أن تلك الصفة لا يعني بها في تقدير المؤرخين
بمقدار ما يعني بأثره في حياته الدراسية
والوعظية الخطابية بين أترابه ومعاصريه .
ويقص علينا العلامة ابن المرتضى أن من
أمهات الأسباب التي حملت الإمام أبا حامد
على سياحته في الأرض وقطعه مفاوز القفار
ولجج البحار ، وزهده وانطوائه على ذات
نفسه ، وعزوفه عن مفاتن هذه الدنيا

(١) إنحاف السعادة ج ١ ص ٨ .

(١) ٣ ص ٢٢٥ .

مؤرخو الطبقات . فقد نشر العلامة الفرنسى ماسينيون نصا له بالدارسية عن كتاب يسمى سواغ العشاق الذى يقول : إن عين القضاة الهمداني نشره عن أحمد الغزالي ، كما نشر له بعض النصوص من مخطوطة القصاص لابن الجوزى .

انتهامه فى دينه ممة غمرة المقصوم :
وجد عليه فريق من غلاة خصومه الخائفين فنقل عنهم صاحب كتاب شذرات الذذب أن صاحب الترجمة « كان موصوما فى دينه » وفى فقرة أخرى يقول : « وقد تألب عليه غير واحد وغمزوه فى عقيدته » - ولا شك أن العلم أن أسى تراث ينفت عليه بين هلائنه وأدعيائه ، فكثيرا ما وصم أئمة المسلمين بالزيف والجوح إلى الهوى .

وقد قال صاحب مرآة اليقظان « لقد أثنى عليه الحافظ بن النجار وغيره من العلماء والأتقياء فلا يؤبه لما نقل وقيل عنه » . وقصارى القول أن ما ورد عن العلامة أحمد الغزالي من النيل منه محض كذب واخلاق .

والدعوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

حسبا أرسى قواعدها شيخه الإمام أحمد الغزالي .

مذهب صاحب الترجمة :

لم تصل إلى أيدينا مؤلفات الإمام أحمد الغزالي ولا مؤلفات تليذه (عين القضاة) - وقد نشر أحدها بالفارسية حتى نستطيع عرض مذهب الصوفى عرضا كاملا حيث يبدو أن لأحمد الغزالي مذهبيا صوفيا خاصا أشار إليه العلامة الفرنسى ماسينيون Massignon إشارة بجملة غير مفصلة فقال : إنه مذهب الحب للبحث أو الحب الصانى L'amour pur⁽¹⁾ . ولا شك أن عين القضاة كان قد دان بهذا المذهب ثم دان به من بعده الفريد العطار ، ولكن ماسينيون لم يعرف هذا الحب تعريفا يميزه عن تعريف الخاصة الصوفية .

مؤلفات صاحب الترجمة :

يذكر المؤرخون أنه اختصر كتاب أخيه أبى حامد الموسوم بإحياء العلوم ، فى مجلد واحد سماه لباب الأحياء ، وأن له كتاباً آخر سماه الذخيرة فى علم البصيرة ، ولم تصل إلينا هذه الكتب ، غير أننا نستطيع أن نصل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مما كتبه

(1) Recueil de Textes inédits
P. 94 — 95.

مَائِقَاتُ الْعَزْلِ سِلَاحُهُ

الاسلام في التاريخ الحديث

تأليف الأستاذ وفريد كانتويل سميث

للاستاذ عباس محمود العقاد

للبحث كله ببعض الملاحظات العامة التي لا بد منها في رأيه للحكم الصحيح على وجهة التفكير الإسلامي ونظرة المسلمين إلى وقائع الحاضر وآمال المستقبل ، ولم يخطئ في الكثير من هذه الملاحظات وإن كان قد أحاطها بشيء من الإغراب يوم الفارسي الأوربي أن هناك أمرا غير طبيعي في « النفسية » الإسلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية في نفوس غير المسلمين .

يقول إنه ما من دين استطاع أن يوحى إلى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم في غير تكلف ولا اصطناع ، وإن الفخر بالعربية قد يمازج هذا الشعور أحيانا فيعتبر المسلم العربي آداب المروءة قبل الإسلام قدوة للأخلاق والعبادات ، ويشترك العربي في هذا الفخر ولو لم يكن من المسلمين ، فيعني بالتاريخ العربي قبل الإسلام وبعد الإسلام عناية النسب الأصل كما صنع جرجمي زيدان وفيليب حتى وغيرهما من

ألف هذا الكتاب وفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال ، وقد أقام زمنا في مدينة لاهور بالباكستان وساح في بلاد الشرق الأوسط وبعض البلاد الإسلامية في القارتين الآسيوية والأفريقية ، وتغلب عليه أحيانا نزعة يسارية تترامى من خلال تفسيراته المادية ولكنه يحامل الشعور الإسلامي بمجاملة الرجل الذي تربط أعماله بالمسلمين من حين إلى حين ، ويتجنب المسائل الشائكة من وراء المنازعات الطائفية أو السياسية مكثفيا من المعلومات بما يشبه الإحصاء والشواهد « الرسمية » .

وقد اشتمل كتابه على فصول مسبهة عن الهند والباكستان وتركيا والبلاد العربية وعرض لبعض الأمم الإسلامية الأخرى عرضا موجزا على قدر اتصالها بها وعمله بأحوالها ، وأفرد جزءا من دراسته لمصر بالكلام على مجلة الأزهر وعن رسالتها الدينية ورسالة « العلماء » على الإجمال ، ومهد

يفرق في المعاملة بينه وبين أصحاب الديانات الأخرى ولو لم يكونوا من المسيحيين ، وأن هذه التفرقة تظهر من الأوربي حيث ينبغي أن تختفي جميع للفوارق في معاملة الإنسان للإنسان . فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الأحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحى اليهود ، ويحدث هذا في المستشفى الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار من هذا التمييز .

ويعتقد المؤلف أن الغربي لا يفهم الإسلام حق فهمه إلا إذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً وليس مجرد أفكار أو عقائد يناقشها بفكره أو يتقبلها بغير مناقشة ، فليس التفكير بنافع شيئاً إن لم يكن مصحوباً بتطور المعيشة وتطور أسلوب الحياة الظاهر والباطن في المجتمع الإسلامي الحديث .

ويستعير المؤلف اسم المعتذرين Apologetics لرواد النهضة الإسلامية الحديثة لأنهم - كما يرى - يسلكون المسلك الذي جرى عليه الآباء المسيحيون في صدر الدعوة المسيحية للرد على للفلاسفة والمفكرين الذين اشتهروا يومئذ باسم المعرفين وأرادوا أن يجعلوا مذهب المعرفة ديانة تقابل الديانة المسيحية وتتغلب عليها في مجال البحث عن الحقيقة الدنيوية والحقيقة الأخروية . وقد كان المعتذرون قديماً يردون على المعرفين

مؤرخي العرب المسيحيين ، ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكون الإنسان مسلماً باعث من باعث الحمد تسممه من جميع المسلمين .

وبين المسلم المعاصر وسائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق في النظر إلى العالم وإلى المستقبل ، فإن الأمريكى مثلاً يواجه المستقبل بتجارب العصر الحاضر ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيال في تقديره للأشياء وعلاقاته مع الناس ، ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر إلى المستقبل ليقيمه على أساس من الماضي المجدد ، ويسمى إلى الغد ولا يفوته أبداً أن يلتفت إلى الأمس البعيد ، وإن لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسيرة الزمن على ما تقتضيه مطالب الحضارة الحديثة .

ويقول المؤلف أن جنوح المسلم إلى مسيرة الحضارة الحديثة لا يزال مصحوباً بكثير من التحفظ والحذر في علاقته بأصحاب هذه الحضارة ، فإنه لا ينسى أن دول الحضارة الأوربية هي التي أخضعت لسيطرتها منذ أواسط القرن الماضي واقتحمت بلاده عليه في الوقت الذي ثار فيه على حكوماته الوطنية طلباً للإصلاح والاختذ بأسباب تلك الحضارة التي أرادها خالصة من شوائب الاستعمار ، بريئة مما يناقض الدين .

قال : وإن المسلم ليحس أن الأوربي

إلى جامعة برنستون سنة ١٩٤٨ باسم (مجلة الأزهر - عرض ونقد) ولم ينقطع عن مراجعتها بعد ذلك إلى حين إصداره لكتابه الأخير باسم الإسلام في التاريخ الحديث .

ويقول الكاتب إنه لا ينظر إلى الآراء الخاصة التي تنشرها المجلة للعلماء ، ولغير العلماء إلا من زاوية واحدة ، وهي الزاوية التي تشير إلى اتجاه عام يتقبله المسلمون كافة أو تتقبله جبهة منهم على التعميم ، ورأيه في الأستاذ الحضرمي أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الإسلام ، وأن الأستاذ فريد وجدى مجدد عصرى لا تزال طريقته في التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند أنصار التجديد ، وإن يكن بعض آرائه منظورا إليه اليوم كأنه تفكير فات أوانه وظهر بعده ما هو أوفق منه لزمه ، ولا اختلاف بين الأستاذ وجدى ولا بين السلفيين أو المجددين المتأخرين في رأى واحد يتفقون عليه : وهو أن العلم الحديث لا ينقض حقائق الإسلام وأن القليل منه عند المتعلمين المتعجلين هو الذى يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينية ولكنهم لا ينصرفون عنها ، بل يزدادون إيماناً بها ، مع التوسع فى العلم الحديث ، والتوسع فى العلم بالدين .

ويقول صاحب الكتاب فى مقابلته بين منهج الشيخ الحضرمي ومنهج الأستاذ وجدى إن أولهما يعتبر الإسلام وحياً تاماً قد نزل

بإثبات العقائد الدينية من الوجهة العلمية أو وجهة المنطق ومباحث ما وراء الطبيعة ، فلما شعر المسلمون بصدمة العلوم الحديثة كان مسلك الرواد الأوائل من طلائع نهضتهم كمسلك أولئك المعتزدين ، وكان مهمهم الأول حقبة طويلة أن يثبتوا سبق العرب والمسلمين إلى كشف الحقائق العلمية واستعداد العقيدة الإسلامية لقبول الحقائق العلمية التي تسفر عنها مباحث العلماء العصريين .

وأضاف إلى ذلك قائلاً : إنه يرى كما يرى الأستاذ (جب) المستشرق المشهور أن مستقبل الإسلام فى هذه الحركة وفى غيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه من قبل بين أيدي حراسه الأوائل ، وهم طائفة العلماء .

ثم يستطرد إلى الكلام على مجلة الأزهر لأنها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الإسلامى الذى يضم إليه العدد الأكبر من علماء الإسلام .

قال إن هذه المجلة ظهرت أولاً باسم نور الإسلام ، وظهرت منها الأعداد الأولى بهذا الاسم ثم سميت من عددها السادس باسم مجلة الأزهر (١٣٤٩ هجرية و ١٩٣٠ ميلادية)

وقام على تحريرها العالم الأزهرى الشيخ محمد الحضرمي حسين ، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى المجدد العصرى Modernist الأستاذ محمد فريد وجدى . ولم يزل يشرف على تحريرها إلى سنة ١٩٥٤ ، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضوعاً لدراسته التي قدمها

وهي الخليفة بعد ذلك أن ترده إلى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية .

* * *

وليس المقام بمتسع هنا لشرح التعليقات التي عقب بها المؤلف على أحوال الإسلام في باكستان والهند والبلاد التركية والإيرانية وسائر الأمم الإسلامية ، ولكن تعليقاته التي أوجلتها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الإسلامية بين تلك الأمم - وزبدتها أن الحضارة الغربية قد أزجعت أُمم الإسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم وفي وجهها وشعروا بأنهم يعيشون في عالم غير عالمهم معها ، وأنهم ليقبلون هذه الحضارة أو يرفضونها ولكن القليل منهم هو الذي يؤثر ترك الإسلام للسير مع الحضارة الأوروبية في ركبها ، وإنما يتفقون - معظمهم - على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها إلى عالم جديد لا يتفصلون فيه عن عالمهم القديم ، ولم يظهر بعد كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم الغربي على اختلاف مناحيه ، وكل ما هو واضح - اليوم - ولا حاجة به إلى المزيد من الإيضاح أن دعاة الحضارة الأوروبية يفقدون عطف العالم الإسلامي إذا حارلوا أن يعاملوه غداً كما عاملوه أمس معاملة السيد العليم للجاهل التابع ، إذ لا سبيل إلى التفاهم على غير أساس المساواة .

عباس محمود العقاد

على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية ، فلا إضافة إليه ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذي يحتمل القوة والضعف كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه . وليس الأستاذ الحضرة كما يرى المؤلف من أنصار الحنين إلى الماضي ، بل هو من أنصار الدعوة التي لا زمان لها لأنها صالحة لكل زمان ، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كلما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس أو بالإلهام . وقد تساوى في نظر الشيخ الحضرة كلا الطرفين من المسلمين في الحاجة إلى التصحيح والإصلاح : وهما - على تعبير المؤلف - طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الإسلام وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه .

أما الأستاذ وجدى فخطته في الإصلاح تتجه قبل كل شيء إلى إحياء الشعور الروحاني في ضمير الرجل العصري ، لأنه يرى أن الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد ولا الأخلاق ، وأن مشكلة الإنسان العصري مشكلة أخلاقية نفسانية تستدعي من المصلح أن ينهض بأمله العليا في معيشته الدينية والدينية معا ليعود به إلى حظيرة المثل الروحانية ،

آراء وأحاديث

زيارة سفير الباكستان :

في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الأحد ١١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨١ (الموافق ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٦١) زار سيادة سفير الباكستان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وبعد أن رحب به فضيلته قدم دعوة من جامعة كراتشي ، وأخرى من مركز البحوث الإسلامية لزيارة الباكستان وقد سرفضيلته بهاتين الدعوتين ووعده بتحقيق رغبة المسلمين في الباكستان في أقرب فرصة ممكنة ، وقال إنه يسره ويسعده أن يلتقي بإخوانه المسلمين في أى بقعة من بقاع الأرض .

ثم عرض فضيلته لتوحيد الرأى الإسلامى فى المسائل الإسلامية فقال إن مجمع البحوث الإسلامية الذى سيضم علماء من جميع الأقطار الإسلامية سيكون عاملاً قوياً فى سبيل توحيد كلمة المسلمين التى عمل الاستعمار جاهداً على تفريقها ، والحمد لله قد زالت الحواجز الآن وأصبح كل المسلمين فى جميع الأقطار يتطلعون إلى اليوم الذى تتوحد فيه كلمتهم فى ظل

العقيدة الصحيحة ، والتعاليم الإسلامية السمحة . وتحدث فضيلته عن مكانة الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى ، وقال إنه رأى بعينه حاجة الناس الشديدة إلى جهود الأزهر ، واحترامهم وإجلالهم لرجاله ، وللزى الأزهرى فى ذاته .

ثم أهدى فضيلة الأستاذ الإمام لسيادة السفير مؤلفات فضيلته ، وودعه كما استقبل بالبشر والترحيب .

واستقبل فى يوم ٩ / ١١ / ١٩٦١ فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد مكى صاحب مجلة المسلم المختار ، وبعد أن حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قال لفضيلته « إن مركزاً ثقافياً إسلامياً كون فى جنوب إفريقيا منذ ١٩٣٤ ، وهذا المركز يعتبر مصدر إشباع للعلم والمعرفة تنفق عليه لطبع الكتب وللتوجيه العلمى ، وحبذا لو مد الأزهر يده إليه خاصة وأن الأزهر يعتبر السكبة العلمية الأولى للمسلمين . فأجابه فضيلته بأن الأزهر على استعداد لأن يعاون بالكتاب وبالمدرس بما يقوى الصلات الإسلامية بين المسلمين جميعاً

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الأستاذ
بدر كبير علماء الطب الصناعى فى ألمانيا .

* * *

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبته الشيخ
أحمد بشير ، رئيس مجلس الشورى فى الفلبين ،
غياض فضيلته قائلا : « أهلا بكم فى بلادكم وفى
الأزهر الذى يحكم ويقدركم ، إن أملانا فى المسلمين
فى الفلبين لقوى ، وإننا لنحب لهم الخير
والسعادة والتقدم والازدهار ، فقد رأينا فيكم
حين التقينا بكم هناك قوة فى الإسلام وصلابة
فى العقيدة مما جعل قلوبنا تتعلق بكم ، فقال
السيد الزائر : « لقد رأينا فيكم حين شرفتمونا
بالزيارة ما أكد لنا راحة عقلكم وحرية
تفكيركم مما نعتبركم من أجله من كبار
المجتهدين ، وإنكم خير خلف للأئمة الذين
يسروا الفقه الإسلامى وقدموه للناس ، يحقق
لهم أغراضهم فى الحياة ، متمشيا مع كتاب
الله وسنة رسوله ، الأمر الذى نفخرص عليه
كل الحرص فى حياتنا . »

قال له فضيلته : « إن الفلبين لتعتبر بحر صها
هذا على دين الله - جزءاً من الأزهر كما أن
الأزهر يعتبر جزءاً منها . أما التطوير
يا أخى فأنا أعتقد أنه جاء متأخرا لأن الأمانة
الملقاة على عاتق الأزهر أمانة يجب ألا يقفل
عنها لحظة ولا يتأخر عن أدائها أبداً ، نحن نحب
أن يتعلم الناس اللغة العربية لغة كتاب الله الذى

وقد أمر فضيلته بأن تبحث طلباته فى إدارة
الثقافة الإسلامية للاستجابة إلى ما يمكن تنفيذه
فيها . ثم استقبل فضيلته السيد الشيخ على
إسماعيل وزير الدفاع الصومالى الذى قال
لفضيلة الأستاذ الأكبر : « إنه لشرف عظيم
أن نلتقاكم وأن نتحدث إليكم ، قال فضيلة
الأستاذ الأكبر : « إن الأمم دائماً تحتاج إلى
عنصرين : عنصر القوة المادية ، وعنصر
القوة الروحية ، والأزهر والحمد لله يمثل القوة
العلمية المبصرة للناس الموجهة لهم الدافعة إلى
كل معانى القوة التى تسكنلهم الخير والساد
والتوفيق ، وإنه ليسرنى أن نلتقاكم وأن نلقى
معانى الشباب فيكم ، فإنه التضامن الذى دعا
إليه الإسلام وحث عليه ووجهنا نحوه ،
فرحبا بكم فى جامعتكم وفى أرضكم . »

ثم شكر السيد الوزير فضيلة الإمام الأكبر
على عنايته بالبعوث الإسلامية التى يختارها
للصومال وخاصة هذه البعثة الموجودة الآن
والتي تظهر إخلاصا ونشاطا فى الدعوة
الإسلامية . وقد أهدى له فضيلة الأستاذ الأكبر
المصحف الشريف وتفسيره للقرآن وبعض
مؤلفاته .

ثم قبل الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر
شاكرآ له . وما يذكر أن الوزير من المتخرجين
فى كلية أصول الدين سنة ١٩٥٩ م .

ولما سأل سيادة الزائر متى تتاح الفرصة لدراسة البنات بالأزهر قال فضيلته : « نحن الآن نعد تخطيطا من هذا النوع فإننا نريد أن نخرج أما تبنى جيلا ونهض بالتبعا التي تلقى عليها وتحقق آمال الأمة فيها ، لا فتاة تقتصر إلى التبرج والزينة وتتبع أحدث معالم الملابس وغيرها مما يفقدها شخصيتها ، نحن نريد أن تكون للبرأة شخصيتها التي كرمها الإسلام لها والتي حققها في كل نواحي الحياة من أجلها ، وذلك لا يكون إلا بأن نستمد هذه المعرفة من واقع ديننا ليلتقي بواقع مجتمعا ، وهكذا نخدم أمتنا ونخدم الأجيال القادمة وجيلنا الذي نعيش فيه ، ولقد اتخذنا الأبهة فملا لذلك وأعددنا العدة حتى يكون الافتتاح في أول العام القادم إن شاء الله .

إننا مستعدون لتلبية طلباتكم وتحقيق رغباتكم فيما يكفل لكم حياة تتفق مع المبادئ الإسلامية والمثل العليا فيها . وقد ودع فضيلة الإمام الأكبر الزائر قائلا له : « أرجو أن تحمل تحياتي إلى المسلمين جميعا في القبلين ، .

فقال الزائر : « إننا ندعو لكم بطول البقاء حتى تحققوا للمسلمين جميعا ما نصبو إليه ، ، وقد كان يرافق السيد الزائر : السيد فهمي العمروسي ، السفير السابق في القبلين . والسيد الدكتور إبراهيم كاظم ، الأستاذ المساعد

أنزل بلسان عربي مبين على رسول عربي ، ولكننا مع هذا لا نريد أن نقف حتى يتعلم الناس هذه اللغة بل نحن نخطو نحوهم خطوات واسعة حتى يستطيع الأزهر أن يخاطب كل من يلغاه فيكون رسل الأزهر رسلا يؤدون الأمانة وينقلون للمسلمين في أنحاء الأرض المفاهيم القوية والمبادئ السليمة التي احتواها ديننا وحرص على أن يسعد بها البشرية جميعا .

لقد أمرت بدراسة اللغات الأجنبية بمجرد أن وليت مشيخة الأزهر إيمانا بأها من أقوى الوسائل للاتصال بإخواننا المسلمين الذين لم يدرسوا اللغة العربية ، فقد مثلت الأزهر في عدة مؤتمرات كان منها مؤتمر لاهاي سنة ١٩٣٧ م ، ولم يكن ثمة عقبة في التفاهم إلا اللغة ولولا أنني كنت محتاجا إلى من يترجم لي لكان الأثر بالغا والفائدة مزدوجة . أنا أذكر مثلا أن القائمين على أمر الأزهر كانوا يتخرجون من دراسة اللغات الأجنبية كما كانوا يتخرجون من دراسة الجغرافيا ، ولكننا نحمد الله أن استطعنا أن نجعل للأزهر كيانا يستطيع أن يؤدي الرسالة على الوجه الذي يحقق آمال المسلمين ، فهناك فرق بين المخاطبة المباشرة وبين أن نتكلم عن طريق المترجم ، فكثير ما يتصرف المترجم في المعاني بغير الجهة التي نريدها .

في كلية البنات . والملحق الثقافي في الفلبين .

مؤتمر صحفي :

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مؤتمر صحفي حضره لفيف كبير من الصحفيين ، كما حضره كبار رجال الأزهر وعمداء الكليات الأزهرية ووكلاؤها .

وقد بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر حديثه بشكر الصحفيين على تلبية دعوة فضيلته ثم قرأ عليهم البيان الذي نشرناه في افتتاحية هذا العدد ، وبعد أن انتهى من بيانه

قال إنه ومدير جامعة الأزهر بالنيابة ، ومدير المعاهد الدينية يرحبون بالإجابة عن أى سؤال ، وشرح كل استفسار .

فسأل أحد الصحفيين عن مدارس تحفيظ القرآن ، وعن صلتها بالأزهر ، فأجاب الدكتور محمد ماضى مدير المعاهد الدينية بأن للأزهر هناية كبيرة بهذه المدارس ، وأن القانون يعتبرها القسم الابتدائى للأزهر ، وأن من هذه المدارس سبعين مدرسة كانت تحت إشراف وزارة التربية والتعليم وضمت إلى الأزهر ومنها ٥٥ مدرسة كانت كسنايب وستحول إلى مدارس يشرف عليها الأزهر . ثم سأل هذا الصحفي عن الإمكانيات المادية التى يتطلبها التنظيم الجديد للأزهر ،

وهل وضعت ميزانية لهذا الغرض .

فأجاب الدكتور محمد البهى بأن الذى رعى قانون تطوير الأزهر ، وهو الرئيس جمال عبد الناصر سيمكن الأزهر من أداء رسالته على أتم وجه .

أما الإمكانيات الفنية فلدينا نخبة من العلماء ، وسيعنى الأزهر بالبعثات العلمية ، والذى أعرفه أن هناك مشروعا للبيزانية قد أرسل للجهات المختصة .

وأجاب عن سؤال ثالث بأن جامعة الأزهر ستحتفظ بطابعين .

الاول : المستوى الإسلامى والعربى .

الثانى : المجانية فى كل شىء .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر عن سؤال يتعلق بتعليم الفتاة فى الأزهر فقال إننا سنفتح فى العام القادم كلية الدراسات الإسلامية للبنات ، وسيكون للتجربات عن القاهرة مكان مستقل فى مدينة البعوث الإسلامية . ونرجو أن يكون فى المستقبل معاهد إعدادية وثانوية للبنات تلحق بالأزهر أما عن طلبة البعوث فإن الدولة لم تدخر وسعا فى توفير الرعاية لهم ، وإن مدينة البعوث - كما قال الدكتور البهى - أحسن من أى مدينة تماثلها فى أى بلد من بلدان العالم .

(البقية فى الصفحة التالية)

بريد المجلة

وجرح عدد غير قليل ، وقبض على حوالي
ثلثمائة من المتظاهرين من بينهم سبعون
كائناً بوذياً

هذا الخبر أذاعته محطة أجنبية تمت بالصدفة
الوثيقة إلى بورما وقرأت تعليقا عليه في بعض
الصحف العربية ، وليس فيه شيء من
الاختلاق أو التنجي أو المبالغة ، وإلا كان
المسؤولون في حكومة بورما بادروا بالتكذيب
أو التصحيح ، لا سيما أن موقف الحكومة
سليم ، فالمسلمون في بورما يبلغون سبعمائة ألف

ألفسة جبرية للبوذيين؟

أذاعت إحدى المحطات الأجنبية
في الشهر الماضي خبراً مؤداه :

« إن مظاهرة ضخمة تزعم قيادتها بعض
الكهنة البوذيين ، احتجاجاً على حكومة برما
التي سمحت للمسلمين بإنشاء ثلاثة مساجد
في ضواحي (رانجوت) العاصمة ، وقد اتجهت
المظاهرة بقيادة الكهنة إلى المساجد الثلاثة ،
فأحرقت أحدها وخربت آخر ، واشتبك
المتظاهرون مع رجال البوليس فقتل أربعة

(البقية في الصفحة السابقة)

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر أعاد
الأستاذ الأكبر شكره للصحفيين كما شكر
الصحفيون لفضيلته هذه الدعوة ، ورجوا
أن تتكرر مثل هذه الاجتماعات حتى يكون
العالم كله على علم بما يجد في شئون أكبر
جامعة إسلامية .

وأخيراً وجه أحد الصحفيين سؤالاً يقول
إنه أشيع أن بعض إدارات الأزهر تنتقل
إلى وزارة من الوزارة . فأجاب فضيلته
إجابة حاسمة قائلاً : إن المادة الثانية من قانون
تنظيم الأزهر نصت بصراحة على أن الأزهر
هو المشرف الوحيد على جميع الأجهزة الدينية ،
وليس لأحد غيره شيء من هذا الإشراف .

« إن الزاهد الحق هو الذى يشعر بالغبطة والفرح فلا يتكبر ولا يتجبر، بل يزداد لطفا ووداعة فلا يخدع ولا يراوغ ولا يشتم ولا يسبب ضررا لأحد » .

« على الإنسان أن يغلب غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، إن النصر يولد المقت لأن المهزوم في شقاء ، وإن الكراهية ليستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية إنما تزول الكراهية بالحب » .

« لا يظهر نهر رجل متعبدا للسيئات مضمرا للمقت مرتكبا للجنة ... »

* * *

يجب أن لا يمر بنا - نحن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها - مثل هذا الحادث دون أن يثير انتباهنا فليس لنا أقليات في بورما وحدها بل لنا ، في كثير من البلاد أقليات تلتقى من التعنت والاضطهاد العقيدى شيئا كثيرا ،

ولعل هذه الأقليات في الشرق مهبط الديانات لم تجدد بعد الكعبة التى تتجه إليها ، لحماية عقائدها والانتصار لها في شد أزرها ، ولعلها لم توفق بعد إلى « معتصم » جديد تستغيث به فيلجى استغاثتها ، فالدول الإسلامية على كثرتها كل مشغول بنفسه وقضاياه الداخلية والخارجية - أما المسلمون الذين يمثلون أقليات في بلادهم ، فلمهم الله وحده .

مسلم ، ومن حقهم كمواطنين أن يقيموا أماكن العبادة ، لتأدية شعائهم الدينية ، ولم تقف الحكومة حائلا دون ذلك .

ولسنا ندرى أهذه فلسفة جديدة للبوذية في برما تحترم التعصب الدينى الأحمق الذى يصل إلى درجة السفه والشغب وسفك الدماء ؟ أم أنها ظاهرة جديدة من ظواهر التنكر لروح البوذية الأصلية التى قامت على الحب والرحمة والتسامح ، هذه المبادئ التى ظل بوذا نفسه متنقلا خلال أربعين عاما من مكان إلى مكان داعيا إليها ، ومشاركا الناس آلامهم ومتاعهم ؟

مثل هذا الحادث ليس بالأمر الهين وليس الضرر فيه واقعا على مواطنين مسلمين يبلغون ثلاثة أرباع السكان في بورما ، إذا قيس بالنسبة للإساءة المعنوية التى تلحق البوذية نفسها ومن خلفها خمسمائة مليون بوذى يقطنون بورما وسيلان واليابان وغيرها .

نحن نعتقد أن تلك الشرذمة من الكهنة البوذيين ليست في حاجة إلى أن نذكرها بروح البوذية التى تفيض سماحة وحبا ووداعة ، وكافت في أساسها - كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر في كتابه (بوذا الأكبر) - ديانة عملية تدعو إلى ضبط النفس وفتح الشهوات ، والتسامح والتمسك بالآراء الصحيحة ، . وكما يقول بوذا نفسه في إنجيله :

العدد مقالاً لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي ، وقد لاحظنا عليه - كما يرون - أن الآية التي جعلت عنوان الموضوع قد اقتطعت وانتزعت من سياقها ولحاقها حتى عُمي معنى الحق الذي دار الجدل حوله بين المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وفريق من المؤمنين ، كما يرشد إلى ذلك قول الله قبل ذلك : « ولأن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

ولو ذكر فضيلته مطالع السورة واستحضر الصورة التي كان عليها الموقف ما هرض الآية مقطعة مبتورة وما خطر بباله احتمال أن يكون هذا الجدل من الكفار ، وما ذكر الحق الذي قام عليه خلق السموات والأرض تحت عنوان « يجادلونك في الحق بعد ما تبين » فإن كلمة الحق تفسر في كل مقام بما يناسبه ، على ألا يخرج التفسير عن معنى الأمر الثابت المقرر ، فالحق الذي قام عليه خلق السموات والأرض هو الحكمة أو القوانين الثابتة التي قام عليها وجودهما وتكوينهما والحق الذي يفهم من قوله تعالى « وبالخلق أنزلناه وبالخلق نزل » يتسع لمعاني الصدق والبر والخير والبقاء والهدى ، والحق الذي يفهم من قوله سبحانه ، فتعالى الله الملك الحق ، غير الحق الذي يفهم من قوله « يجادلونك

إن هذه الأقليات المسلمة أمانة لا في حق الأزهر وحده ، ولا في حق المؤتمر الإسلامي في القاهرة ، والباكستان وحدهما ، ولا في حق حكومات الدول الإسلامية وحدها ، وإنما هي أمانة في حق كل مسلم سيسأل عنها أمام الله ولتاريخ .

وبعد - فإذا طالب لرجال الكهنوت في برما البوذية أن يتذكروا لمبادئ دينهم ، ومبادئ قديسهم الأكبر ، فهلا فكروا قليلاً ، في أن أحد زعمائهم « يوثانت » حين أخيراً سكرتيراً لهيئة الأمم المتحدة لينتقد العالم من هوة قد يتردى فيها ، والمعتقد أن المبادئ التي يدين بها أسهمت كثيراً في اختياره .

نحن نملك أن نذكر رجال الكهنة البوذيين مرة أخرى بقول « بوذا » :

« كما أن حب الأم يحملها على أن تحرص على حياة ولدها - أو ابنها الوحيد - ولو أدى ذلك إلى تضحياتها بحياتها - فكذلك يجب على الإنسان أن يسعى في نفسه حباً لا حده لجميع الكائنات ، وأن يشعر قلبه المحبة الخاصة من جميع الشوائب لكل ما في العالم » .
ولكننا لا نملك إلا أن نقول للأقليات المسلمة في بورما : اصبروا وصابروا ورابطوا ولكم الله .

محمد عبد الله السنان

يجادلونك في الحق ...

يرى القراء في غير هذا المسكان من هذا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسلمون شركاء في ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار . وأما حديث الرجل ، فأخرجه أبو داود في سننه في البيوع ، ولفظه عن أبي خدش

(بوزن فراش) حبان بن زيد عن رجل من الصحابة قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً أسمعه يقول : المسلمون شركاء في ثلاث : في الكلا ، والماء ، والنار ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ . فكل الروايات السابقة متفقة على لفظ « المسلمون » ، وكلها متحدة في اللفظ أو متقاربة جداً كما ترى ما عدا رواية ابن عباس ففيها زيادة : « وتمنه حرام » ، أى ثمن المذكور من كل واحد من هذه الثلاثة وقد جعله عنواناً ولم يخرج في رواياته بلفظ « الناس » واعترافاً بالجليل لأهله نشهد بأن هذا الكتاب كان هو عمدة المصادر التى أنافت على العشرين . أما روايته بلفظ : « الناس شركاء » ، الخ فلم نجده إلا في مصدرين :

(١) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي وهو الحديث الخامس من كتاب إحياء الموات ح ٤ .

(٢) بلوغ المراد ... للحافظ بن حجر : عن رجل من الصحابة الخ ، قال : رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات ولا بد أنه حفظه كذلك في لفظ آخر لأبي داود ، أو لأحمد ،

في الحق بعد ما تبين ، ومن ثم رأينا أن المقال ليس في مجال الآية وأن الآية ليست في مجال المقال .

عبد الرحيم فوده

ميراث الاشتراكية :

يسأل بعض قراء المجلة عن حديث « المسلمون شركاء في ثلاثة : الماء والكلا والنار » . فقد رآه مرة بهذه الرواية ، ورآه مرة أخرى بلفظ « الناس شركاء » ، الخ ، ورآه مرة ثالثة ، وفي آخره : فلا يجوز لأحد تحجيرها ولا للإمام بيعها ، ثم يقول : إنه لا يهتم بإسناد الحديث ، وإنما يهتم بصيغته المختلفة . ونجيب السائل الفاضل ، بعد رجوعنا إلى أصول كتب الحديث وفروعه ، منفردة ومجموعة — بالخلاصة التالية :

« روى هذا الحديث بلفظ : « المسلمون ... عن ابن عباس ، وعن ابن عمر ، وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأما حديث ابن عباس ، فأخرجه ابن ماجه في سننه في الأحكام ، ولفظه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلمون شركاء في ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار ، وتمنه حرام .

وأما حديث ابن عمر ، فرواه الطبراني في معجمه ، ولفظه عن ابن عمر قال : قال

الإطالة لذكرناها ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

طه محمد الصاكت

حكم الشريعة :

في التلقيح الصناعي .

السيد الأستاذ مدير المجلة :

اطلعت على مقال تحت عنوان (فسكرة)
لأستاذ علي أمين في مجلة حواء العدد ٢٦٦
بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٦١ والمقال انتصار
لفسكرة التلقيح الصناعي ، وتحريض عليه ،
وترغيب للمجتمع فيه .

وهذا الموضوع ليس بالموضوع الهين ،
بل يحتاج إلى بحث شامل من النواحي الدينية
والاجتماعية وأرجو أن تفضلوا بإحالة هذا
الموضوع على فضيلة الأستاذ الأكبر ليبدى
رأيه فيه .

وهيبه مأمون الشناوى

الأمينة العامة لجماعة السيدات المسلمات

بالجلمية الجديدة

وقد عرض هذا السؤال على الامام الأكبر
شيخ الجامع الأزهر فأجاب هذا الجواب :

نستطيع أن نقرر بالنسبة لحكم الشريعة
في التلقيح الصناعي الإنسانى أنه إذا كان
بماء الرجل لزوجته ، كان تصرفا واقعا في

وكفى بالحافظين ثقة وحجة ، وكفى بهما
توثيقا واحتجاجا .

قال في سبل السلام شرح بلوغ المرام :
وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة
مرفوعا : ثلاثة لا يمنعن : الماء ، والكلام ،
والنار . وإسناده صحيح .

وأما قول السائل الفاضل إنه رأى في آخر
بعض الروايات : فلا يجوز لأحد تحجيرها ...
فذاك من كلام الشراح . وخلاصة ما قال
شراح هذا الحديث فيه .

إن المراد بالكلام هو الحشيش الثابت
في الأرض الموت ، وبالماء ماء السحاب
والعيون والأنهار التي لا مالك لها وبالنار
الشجر الذي يحطبه الناس من المباح فيوقدونه
أو الحجارة التي يقدها بها . فكل الناس
في هذه الأمور سواء إلا إذا ادخر لإنسان
شيئا من ذلك فلا يجوز التعرض له إلا برضاه
وإن وجب عليه بذله للبضطر .

ذلك ، ومن المعروف أن اختلاف
الروايات في الحديث بالإجمال والتفصيل
أو التقديم والتأخير لا يضر ما لم يتعارض
أو يضطرب ، ولا تعارض في هذا الحديث
ولا اضطراب .

هذه خلاصة بضعة وعشرين مصدرا من
أمهات كتب الحديث وغيرها ، ولولا خشية

هو حكم الزنا الذى حددته الشرائع الإلهية ونزلت به كتب السماء .

وإذا كان التلقيح البشرى بغير ماء الزوج حل هذا الوضع ، وبذلك المنزلة كان دون شك أفظع جرماً وأشد نكراً من دلتنى ، وهو أن ينسب الإنسان ولداً يعرف أنه ابن غيره إلى نفسه ، وإنما كان التلقيح أفظع جرماً من التبنى ، لأن الولد المتبنى المعروف أهلاً للغير ليس ناشئاً عن ماء أجنبي عن عقد الزوجية ، إنما هو ولد ، ناشئ عن ماء أبيه الحققة رجل آخر بأمـرته ، وهو يعرف أنه ليس حقة من سلسلتها غير أنه أخفى ذلك عن الولد ولم يشأ أن يشعره بأنه أجنبي ، فجعله فى عداد أسرته وجعله أحد أبنائه ، زوراً من القول وأثبت له ما للأبناء من أحكام .

أما ولد التلقيح فهو يجمع بين نتيجة التبنى المذكور ، وهو إدخال عنصر غريب فى النسب وبين خسة أخرى وهى التقاؤه مع الزنا فى إطار واحد ، تنبؤ عنه الشرائع والقوانين ، وينبؤ عنه المستوى الإنسانى الفاضل ، وينتـزق به إلى المستوى الحيوانى الذى لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة ، وحسب من يدعون إلى هذا التلقيح ، ويشيرون به على أبواب العقم ، تلك النتيجة المزدوجة التى تجمع بين الحسنتين ، دخل فى النسب وعار مستمر إلى الأبد ، حفظ الله على المسلمين أنسابهم ومستواهم الإنسانى الفاضل .

دائرة القانون والشرائع التى تخضع لحكمها المجتمعات الإنسانىة الفاضلة ، وكان عملاً مشروعاً لا إثم فيه ولا حرج ، وهو بعد هذا قد يكون فى تلك الحالة سبيلاً للحصول على ولد شرعى يذكر به والده وبه تمتد حياتهما وتكمل سعادتهما النفسية والاجتماعية ، ويطمئنان على دوام العشرة وبقاء المسودة بينهما ، أما إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة لا يربط بينهما عقد زواج ولعل هذه الحالة هى أكثر ما يراد منه التلقيح الصناعى عندما يتحدث الناس عنه ، فإنه يزج بالإنسان دون شك فى دائرى الحيوان والنبات ويخرجه عن المستوى الإنسانى مستوى المجتمعات الفاضلة التى تنسج حياتها بالتعاقد الزوجى وإعلانه .

وهو فى هذه الحالة بعد هذا وذاك - يكون فى نظر الشريعة الإسلامية ذات التنظيم الإنسانى الكريم ، جريمة منكرة ، وإنما عظيمة ، يلتقى مع الزنا ، فى إطار واحد جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة ، وهو وهو وضع ماء رجل أجنبي قصداً فى حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية يظلمها القانون الطبيعى ، والشريعة السماوية ، ولولا قصور فى صورة الجريمة لكان حكم التلقيح فى تلك الحالة

حول فلسفة الفكر الإسلامى :

عنوان مشوق لكتاب جديد من سلسلة الثقافة الإسلامية يجرى القارىء بالاطلاع عليه ولقد نظرت إلى عنوانه فاشتريته وتصفحته تحت تأثير عنوانه البراق وزادنى ثقة وإغراء إنه فى سلسلة الثقافة الإسلامية التى عودتنا أن تقدم لنا فوق ما ننتهنا خير زاد من الثقافة الإسلامية وعهدنا بالمشرف المسئول الأستاذ محمد عبد الله السمان أنه النقاد القوي الملاحظة .

قدم الناشر للكتاب فقال : المؤلف هو الكاتب الفرنسى هنرى سيرويا وكتابه عن فلسفة الفكر الإسلامى يعرض بصورة حية مركزة هذه الفلسفة الإسلامية ومذاهبها فى العالم العربى حيث كان مركز الإشعاع الدينى . كما يحلل الأفكار الفلسفية لكبار المفكرين الإسلاميين كابن رشد وابن سينا والفارابى والغزالي . وهذا الكتاب قد أهدها إلينا الأستاذ الكاتب المعروف مالك بن نبي ، الذى يتابع دراساته على ضوء الإسلام فى مشكلات الحضارة ولهذا الإهداء قيمته فقد قرأه أستاذنا واطمأن إليه ونصح بترجمته . ٥١ -

وإنى أعجب وأعجب على من أهدي الكتاب وأوصى بترجمته وعلى من ترجمه وعلى من قبل الإهداء واطمأن له .

وليس المجال مجال تحليل للأخطاء والأوهام المنبثقة فى الكتاب ويكفى أن نعرض نصوصا صريحة فى معاندة الإسلام وهدمه من غير دليل لافلسفى أو غير فلسفى - فى صفحة ٢٩ : « وحياة محمد المحرقة بالقصص التى تسر أهل الشيعة ما هى إلا من الخيال الفارسى والمرة الوحيدة التى نحا فيها محمد نحوم » يقصد الخيال الفارسى ، وسلك هذا المسلك كان فى رحلته الليلية التى أسرى فيها إلى بيت المقدس على ظهر دابة خيالية فقبول محمد بعاصفة من السخرية بما دعاه إلى أن يؤكد لم أن رحلته لم تخرج عن كونها حلما ، وكل ما يعلق به الناشر على هذه الادعاءات الكاذبة قوله : الرسول لم يؤكد أن الاسراء كان رؤيا وإنما اختلف علماء المسلمين ، واكتفى بهذا التعليق الأبر وتترك إحاطة النبى عليه السلام بقصص الخيال الفارسى وركوبه على ظهر الدابة الخيالية وتراجع النبى أمام سخرية القوم عن رأيه .

ثم يستمر المؤلف فى اقتراءه فيقول « وتأثير العبقرية الفارسية المعارضة للعبقرية العربية نرى أن أسطورة محمد قد زادت تعقيبا ، .

وفى صفحة ٢٤ « ومحمد الذى تطبع بالكثير من الخلق العربى نرى له بعض النزعات والأفعال من العسير غفرانها وهى

لديهم الإيمان واليقين ونبيل الخلق قد امتزجا
إلى حد ما بالخداع والحيلة والتمويه .
فأى تفكير وبأى وجه يحسب هذا
تفكيراً فلسفياً إسلامياً - هو ليس بتفكير
إطلاقي ولكنه سباب ولا صلة له بالإسلام
ولا علاقة ، اللهم إلا علاقة للتضاد فأولى
بالسلسلة الإسلامية وأكمل لها أن تبعد
عن هذه البضاعة ومن الخير ألا تلتفت إلى
هذا اللغو من الحديث وأن تظل بطابعها
الاسمي كما عودتنا وكما همدنا في مشرفها الكريم
والله الموفق .

الحسيني عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

هلى أية حال أقل شأنًا بما ارتكبه تلميذه عمر .
فهو قد سمع ولم يتردد في إباحة السلب والنهب
والقتل واستخدام الكذب في خدع الحرب
وحيلها - وهل يكفي أيها القارىء أمام
هذا التيار الجارف أن يعلق الناشر بقوله
في الهامش هذه مفتريات . فالرسول بشر
يخطئ ويصيب ولكن لا يخفى على ذى الفطنة
أنه لا محل لهذه المجلة في التعقيب على هذه
الافتراءات .

إن الاعتزاز بذلك موهم بالتسليم وفي
نفس الصفحة : د والمسلمون كما يقول رينان

يجمعون وذلك بالصحيفة رقم ٧١٧ في مقال
للأستاذ على العماري .

نرجو التكرم بالتنبيه على ذلك في العدد
القادم من المجلة .

واثق يوفقنا للقيام بواجب حفظ كتابه
الكريم ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟
عبد اللطيف محمد عبد السلام
مدرس بوزارة التربية والتعليم

تصريحاً :

وردت في عدد جمادى الآخرة من المجلة
الآية الكريمة : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا
به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وأبقى .

محرفة سهواً إلى ... ورزق ربك خير مما

الكتاب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السنان

١ - هل نحن مسلمون؟

للأستاذ محمد قطب

نشرت مكتبة وهبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ محمد قطب الذى قدم لنا من قبل دراسات إسلامية واعية : شبهات حول الإسلام ، معركة التقاليد ، قبسات الرسول ، الإنسان بين المادية والإسلام ، منهج التربية الإسلامية ، فى النفس والمجتمع ..

وكتابه الجديد الذى نحن بصدده يقع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة جيدة لتصحيح مفاهيم الإسلام ، تناولت مفهوم الإسلام - لا كما تفهمه الكثيرة الساحقة من المسلمين اليوم : مجموعة من العبادات يؤدونها الإنسان بمعزل عن السلوك العملى ، ويستطيع أن يتجه إلى الله مخلصاً فى أثناء العبادة ، ثم يتجه لغير الله فى أى أمر من أمور الحياة ، - وإنما كما فهمه الرسول صلوات الله عليه ، وكأفهمه عنه أصحابه وأتباعه : هو إسلام النفس كلها لله .. هو أن يكون كيان الإنسان كله متوجهاً إلى الله .. هو أن تكون

أفكار الإنسان ومشاعره وسلوكه العملى كلها محكومة بالدستور الذى أقره الله ..

ثم قدم المؤلف نماذج من المجتمع المسلم تجاوبت مع المفاهيم العامة للإسلام ، حيث كانت صورة واقعية من حياتها ، وعرض خط الانحراف عن الإسلام حيث بدأ منذ عهد حكم الأمويين ، وقد حدث أول تصدع فى المبادئ الإسلامية فى سياسة الحكم وسياسة المال ، ثم واصل امتداده إلى العصر العباسى وقد دخل الفرس فى توجيه سياسة الدولة وتشكيل صورتها ، وإلى العصر التركى . وقد توقف المد العلى الإسلامى ، وعانت المفاهيم الإسلامية انحساراً كبيراً حتى جمدت وتحجرت وتوقفت عن النماء .

واعتبر المؤلف أن عوامل محلية تمثلت فى الرواسب التى خلقتها الحروب الاستعمارية الصليبية التى شنت على العالم الإسلامى ، وأن تيارات عالمية تمثلت فى التطور الدخيل الذى أملاه الاستعمار على العالم الإسلامى أيضاً ، هذه التيارات وتلك العوامل اشتركت فى وضع خط الانحراف عن الإسلام ، وأصبح لهذا

في هذه الطبعة من ثمانية أجزاء ، وقد تم طبع
الجزأين الأول والثاني وبقية الأجزاء في طريق
الانتهاء من طبعها .

وقد أشرف على هذه الطبعة وتصحيحها
الشيخ محمد زهرى النجار أحد علماء الأزهر ،
وقد نقل الشيخ محمد زهرى مقدمة موجزة
للإمام الشافعى عن تاريخ حياته بقلبه ، رواية
أبى بكر محمد بن المنذر ، كما اعتمد فى الترجمة
له على مناقب الشافعى للرازى ، وشذرات
الذهب ، لابن العماد ، ووفيات الأعيان لابن
خلكان ، ورحلة الإمام الشافعى لمخير أدهم .
استنفذ الجزء الأول أبواب الطهارة والصلاة
والجنائز ، والجزء الثانى الزكاة .

واستطاع مصصح الكتاب أن يضيف
تعليقات متواضعة للغاية ، هى شرح للفظ مبهم
أو إزالة لبس عن عبارة غامضة .

إن المحاولة للحفاظ على تراثنا الإسلامى
- لاسيما المصادر الفقهية - هذه المحاولة جديرة
بالتسجيل والتقدير ، وكتاب الأم من المصادر
الأصيلة ، بل هو مصدر أساسى لفقه الشافعى ،
وكنا نود أن تكون هناك عناية بالتعليق - ولو فى
تواضع أيضا - على بعض المسائل الخلافية
الكبرى لاسيما وأن معظم الراغبين فى الدراسات
الإسلامية قد تحرروا من التقليد المطلق . .

كما كنا نود أن تكون المقدمة قد عنيت
بلون من الدراسة عن الكتاب نفسه ،
والمراحل التى مر بها ، كتحريف به .

الانحراف مدرسة فكرية لازال نشاطها قائما
فى بلاد المسلمين لاسيما المنطقة العربية . .

الواقع أن الأستاذ محمد قطب كتب كتابا
لها تقديرها ، غير أن تحمسه ضد التطور
الأوروبى كان مبالغاً فيه ، والتطور أيا كان لونه
واتجاهه قد يكون فيه الغث والسمين والردى
والطيب ، والإسلام لا يمكن أن يعادى التطور
جملة واحدة ، فهو يقبل ويتجاوب مع الطيب
ويلفظ الغث والردى ، وكيف يستقيم تحمل
المؤلف العنيف على التطور الغربى مع اعتباره
أن الجحود فى العصر التركى قد احتل جزءا
من خط الانحراف عن الإسلام ؟

ثم إن المؤلف عمد أحيانا إلى إحالة القارى
على أفكار مدونة فى مؤلفاته السابقة دون
ما تلخيص لها ، وفى هذا تكليف لا يطيقه
القارى الذى يحاول أن يستوعب الخطوط
الرئيسية لأفكار الكتاب الذى بين يديه . .
وكنت أود أن لا يتضمن عنوان الكتاب
إثارة عاطفية : هل نحن مسلمون ؟ بيد أن
الكتاب دراسة جيدة لنصحيح مفاهيم الإسلام
وليس مجرد إثارة لمواطن المسلمين . .

٢ - الأوامر :

للإمام الشافعى

أخرجت مكتبة الكليات الأزهرية بميدان
الأزهر بالقاهرة طبعة جديدة من كتاب الأم ،
للإمام الشافعى رضوان الله عليه . والكتاب

٣ - غزوة أحمد :

٤ - فلسفة الفكر الإسلامى :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله .
المؤلف مدرس في كلية الشريعة بالأزهر ،
ومتخرج في كلية الآداب ، وهو يواصل
كتابة دراسات عن السيرة المحمدية تنشرها
المكتبة الإسلامية التجارية في طنطا .

سبق أن كتب المؤلف عن العصر المكي
وغزوة بدر ، وما هو ذا كتابه عن غزوة
أحد ، والمؤلف يعتمد في دراساته على مصادر
إسلامية في تاريخنا لها تقديرها ، كما يعتمد
على دراسات كتبها المستشرقون يقف منها
موقف الناقد الحذر ، وهو لا يعمد إلى مجرد
السرد التاريخي الذي وفته كتب التاريخ حقه
ولنما يحاول أن يلقى أضواء على الأحداث
يظهر فيها التفسير والتحليل والتعليق .

تناول الكتاب الموقف قبل أحد ، استعداد
قرش للغزو ، القوة الإسلامية ، تعبئة
المعسكرين ، القتال ، الانتصار ، شهداء أحد ،
نظام الجيش الإسلامى ، تقرير الإسلام للبادىء
الإنسانية في الحرب ، ما تضمنته الغزوة
من قواعد ، ثم جولة مع المهاجرين .

أعجبني في المؤلف قدرته على التحليل
للأحداث ، وإلقاء أضواء على معلق ببعضها
من شهادات ، واسكنه حين ترجم لشهداء أحد
أوجز إنجازا بالغا . حتى وصلت الترجمة
لبعضهم إلى أقل من سطر ...

للكاتب الفرنسى هنرى سيرويا
هذا البحث قدمته سلسلة الثقافة الإسلامية
بالقاهرة في عددها الأخير ، وقام بترجمة
البحث إلى العربية أستاذ اللغة الفرنسية
الأستاذ محمد إبراهيم على .

عرض المؤلف الإسلام من الجانب
الفكرى عرضا دقيقا : تناول الطابع العام
للقرآن والطابع للفلسفى للإسلام ، والمذاهب
الإسلامية للفلسفية ، والنبوة والعقل ،
كما عرض في إيجاز لأفكار بعض فلاسفة
المسلمين ، كالفارابى والكندى وابن رشد
وابن سينا والغزالي وابن الطفيل .

والمؤلف لاشك في أنه درس كثيرا
وقرأ لأبرز المستشرقين ، ولذلك نراه يتناول
بالنقد اللاذع مفتريات أولئك المستشرقين
الذين حاولوا جاهدين الحط من قدر الإسلام
كفكرة حية عامة ، وليس مجرد نزعة عربية
ودعوة إلى عصية قبلية .

ولكن الكاتب الفرنسى لم يكن موفقا
إلى السداد في كل ما كتب ، ولم تسلم آراؤه ،
فيا لم يوفق فيه ، من الاضطراب والتناقض ،
فهو يتحمس مثلا لاعتبار الفلسفات القديمة
كالإغريقية والهندية والرومانية والبوذية
مصدرا مهما للفكر الإسلامى ، مع اعترافه

في هذا البحث دراسة مقارنة ، وإلقاء
أعضاء على بعض المسائل التي كثر فيها
الجدل ، واختلفت آراء فلاسفة المسلمين
فيها ، لاسيما مشكلة القضاء والقدر ، ومشكلة
الخير والشر .

٦ - في ظهول الزهجرة :

للأستاذ أنور السيد عبد الهادي .
مؤلف الكتاب الذي نشرته مكتبة القاهرة
من علماء الأزهر الشريف وعن نالوا دراسات
عليها في القضاء الشرعي .

هد المؤلف لبحثه بلبحة تاريخية تناولت
الجزيرة العربية يبينها وأوضاعها قبل البعثة ،
وتناول حاجة البشرية يومئذ إلى رسول ،
ثم تناول البعثة والمرحلة المكية بإيجاز
ثم استوعب قصة المؤامرة أو قصة الهجرة
إلى المدينة ، وما اكتنفها من كفاح مستمر ،
وقدائية وتضحية ، واستخلص من الهجرة
عظائنها وعبرها ، ثم تناول حكم الهجرة
بعد الفتح وموقف الأنصار من إخوانهم
المهاجرين .

المؤلف لم يذكر مراجعه في هذا البحث
التاريخي ، كما أنه مر مروراً هابراً على عظات
الهجرة والعبرة منها وهي من الكثرة بمكان ،
وكانت في حاجة إلى شيء من التحليل والتعليق .

محمد عبد الله السمان

في موضع آخر بأن للإسلام طابعا فلسفيا
ينفرد به .

إن كتاب الغرب دائبون على السكتاية
عن الإسلام دون أن يملوا ، وهم حين يكتبوا
يتناولون الإسلام غالبا من جانبه الفكري ،
ولا يمكن للسليين أن يغلقوا أعينهم عما
يكتب مفكرو الغرب لأن في بعض
ما يكتبون شططا ، إلا إذا رغبوا في أن
لا يجهدوا أذهانهم في الرد على أي شطط
فكري يمس الإسلام .

٥ - الإسلام وزهرة الفطرة :

للأستاذ محمد عبد الرؤوف بهني .
نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب ،
والمؤلف مفتش سابق بوزارة التربية والتعليم ،
وقد اتخذ شعارا لمنهج بحثه من قول الرسول :
« الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » .

استوعب للبحث مع النقد آراء فلاسفة
الغرب كسقراط وأفلاطون وكانت
وجالينوس ، وكذلك آراء فلاسفة الشرق :
الراغب الأصفهاني والغزالي وابن خلدون
ومحمد عبده والإمام علي كرم الله وجهه ،
ثم عرض الوجهة الإسلامية في نزعة الفطرة ،
وناقش معنى : كل مولود يولد على الفطرة
مسترشدا بآراء ابن الهيثم وأبي منصور
الأزهري وابن الأثير والنووي وبعض
الصوفية وغيرهم .

بين الصحف والكتب

دعوة محمد والطريقة العلمية :

وقد تأخذ القارىء الدهشة إذا ذكر ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوى . فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أرت بحشاً أن تمحو من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة لك فى هذا البحث ، وأن تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستقباط القائم على هذه المقدمات العلمية ، فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتحصيل ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هى أسى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وها هى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته ، فكيف اقتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها ... ؟ نزعوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة . وبدأوا يفكرون فيما أمامهم ، لقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم فأى صنم هو الحق وأى صنم هو الباطل ؟ وكان فى العرب وفى البلاد التى

تجاورها صائبة ومجوس يعبدون النار . والذين يعبدون الشمس ، فأى هؤلاء على الحق وأيهم على الباطل ... ؟ لنذر هذا كله جانباً . ولنح أثره من نفوسنا . ولنتجرد من كل رأى ومن كل عقيدة سابقة ، ولننظر .. والنظر والملاحظة . بطبيعة الحال سيان ... مما لا شبهة فيه أن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالاً . فالإنسان متصل قبائله بعضها ببعض وأمه بعضها ببعض والإنسان متصل بالحيوان والجماد ، وأرضنا متصل بالشمس والقمر وبسائر الأفلاك ، وذلك كله متصل فى سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل ، فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت أو تبدلت لتبدل ما فى الكون ، فلو أن الشمس لم تسعد الأرض بالنور والحرارة على السنة التى تجرى عليها منذ ملايين السنين لتبدلت الأرض غير الأرض والسماء ، وما دام ذلك لم يحدث فلا بد لهذا الكون من روح (... ١١) منه نشأ وعنه تطور وإليه يعود . هذا الروح (... ١١) وحده هو الذى يجب أن يخضع له

أى سمو بالعقل أعظم من هذا سمو ؟
وأى تحطيم لقيود أشد من هذا التحطيم . ٩٠٠
حسب الإنسان أن يفهم هذا وأن يؤمن به
وأن يعمل عليه ليبلغ الذروة من مراتب
الإنسان ، وفي سبيل هذه المكانة تهون كل
تضحية على من يؤمن بها ...

من كتاب محمد د الدكتور هيكل ،
دلفت نظر ،

أرجو أن يذكر القراء بعد قراءة هذه
الكلمة قول الله سبحانه : د والله الأسماء
الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في أسمائه ، فليس لاحد أن يسمى الله بغير
اسم من أسمائه الواردة عن الشرع ولا داعى
للاحتجاج بالخلاف في أن أسماء الله توقيفية
أو توفيقية ، ما دام النص صريحاً في التزام
أسمائه الحسنى .

معنى التبعيل

(هو حسن معاملة الزوج)

وقد أتت أسماء بنت يزيد الأنصارية النبي
صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت
بأبى وأمى أنت يا رسول الله ، أنا وافدة
النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى
الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإهلك ،
إنا معشر النساء محصورات مقصورات .
قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم

الإنسان ، أما سائر ما فى الكون فهو خاضع
لهذا الروح (١١ ...) كالإنسان سواء
والإنسان والكون والزمان والمكان وحدة
هذا الروح جوهرها ومصدرها ، إذا فليكن
لهذا الروح (١١ ...) وحده العبادة ، ولهذا
الروح (١١ ...) يجب أن تتجه القلوب
والأفئدة . وفى الكون كله يجب أن يلتبس
من طريق النظر والتأمل صفته الخالدة ، وإذا
فما يبعد الناس من دون الله أصناماً وملوكاً
وفراعين وناراً وشمساً إنما هو وهم باطل
غير جدير بالكرامة الإنسانية ، ولا هو مما
يتفق مع عقل الإنسان وما كرم به من
القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر
فى خلقه .

هذا جوهر الدعوة المحمدية على ما عرفها
المسلمون الأولون . وقد أبلغهم الوحى إياها
على لسان محمد فى آى من البلاغة كانت وما
تزال معجزة ، فجمع لهم بذلك بين الحق
وتصويره فى كمال جماله . هنالك أرتقت نفوسهم
وارتفعت قلوبهم تريد الاتصال بهذا الروح
(١١ ...) الكريم فهداهم محمد إلى أن الخير
هو طريق الوصول ، وأنهم مجزيون عن هذا
الخير يوم يتمون واجبه فى الحياة بالتقوى
ويوم تجزى كل نفس بما كسبت فمن يعمل
مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال
ذرة شراً يره .

ومعاشرة الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ،
وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج
بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله
هز وجل ، وإن أحدكم إذا خرج حاجا
أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ،
وغزلنا أثوابكم ، ورينا لكم أولادكم ،
أفنتشاركم في هذا الأجر والخير ؟ فالتفت
النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجه كله
ثم قال : هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن
من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟ فقالوا
يا رسول الله : ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى
مثل هذا ! فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم
إليها فقال : أفهى أيتها المرأة وأهلها من
خلفك من النساء ، إن حسن تبعل المرأة
لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته
يعدل ذلك كله ...

والقلوب بالحب ، والنفوس بالاحترام
والتقدير .
وأما فارس من فتيان العرب ، فتملكه
جمالها ، ووقع قلبه في حبها ، ثم تقدم إلى أبيها
يخطبها ، ومعه الشباب والمال والسيادة في قومه
فلم تقبل !

إنها حرة لا ترضى أن تعيش في ظل أجنبي
وكان لها أخوان يفاخرهما أبوهما . كان
يأخذ بيديهما ، ثم يقف على الملأ من قومه
ويقول : أنا أبو خيرى مضر ، فن أنكر
فليغير ، فلا يغير عليه أحد .

ثم لجعت في أبيها وأخوها ، وتحول عنها
ظل الثلاثة الأعزّة ، فهزت الفجيرة كيائها ،
وفاض وجدها بشعر باك حزين ، يندب
مفاخرهم ومآثرهم ، ويخلد ذكرهم بقصائد
يتناقلها الناس جيلا عن جيل .

وتقدم الزمن بهذه السيدة الأبية الحزينة ،
وكبر أولادها للصغار ، فأحست فيهم برد
الغزاء عن غيبتها في أبيها وأخوها واندملت
جراح قلبها ولكن . لتسكأ بعد حين .

إن معركة رهيبة كانت تنتظرها وتنتظر
أولادها .

إنها المعركة الحاسمة في القادسية بين
الفرس والعرب . بين المجوسية والإسلام .
بين عبدة النار وعباد الله . . . بين وثنية

فانصرفت وهى تهلل حتى وصلت إلى نساء
قومها من العرب ، وعرضت عليهن ما قاله
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن
وآمن جميعهن ... « من صحيح مسلم ،

قصة امرأة :

(إلى كل سيدة وفتاة)

امرأة عربية :

كانت في شبابها الغض تملأ العيون بالإعجاب

كسروية تستذل رقاب الشعب . . وحرية
إسلامية لا تخضع لغير الله .

أتجمل هذه الحرة عن مواجهة الموقف
الرهب . وتقبع مع أولادها في بيت وادع
أمين ، وهي ترى قومها وقوميتها في كفة
الأقدار ؟

لا . وإيم الله . .

ويشهد الناس امرأة تقف بين بنينا
الأربعة لتلا عينها منهم ، وتأخذهم الدهشة
من موقفها بينهم .

إنها لا تنثر على وجوههم قبلات مرتجفة
ولا ترطب جباههم بدموع منهلة . ولا يمتنع
صوتها بينهم بنحيب منقطع . وإنما ينفلق
صافيا قويا . متسق النبرات بهذه الكلمات .
يا بني . إنكم اسلمتم طائعين . وهاجرتم

مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو . إنكم
لنور رجل واحد . كما أنكم بنو أم واحدة ،
ما هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم . واعلموا
أن الدار الآخرة خير من الفانية ، أصبروا
وصابروا ، واتقوا الله لعلكم تفلحوا ،
فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ،
فيمموا وطيسها . وجاهدوا رئيسها عند
احتدام خميسها تظفروا بالغنم والغنم والسلامة
في دار الخلود والإقامة . .

ويسمع الأبناء في اعتزاز وغر هذه
الكلمات القوية ، فتلعب فيهم روح البذل

والتضحية ، ويندفعون إلى قلب المعركة ، وهم
في نشوة الزهو بأنهم أبناء رجل واحد كما
أنهم بنو أم واحدة . وأول طريقهم إلى
الكرامه والخلود في دار الإقامة ، ثم يغيبون
في اللجة لتظهر أسماؤهم في سجل الشهداء .

وانجملت المعركة عن اندحار ماحق للفرس
وانتصار ساحق للعرب ، وكانت الأم على
أحر من الجمر في انتظار نبأ النصر ، وتناهى
إليها نعي الأبطال الأربعة فلم تفزع ولم تجزع
ولم ترسل عويلها المذعور يندب أربعة رجال
فقدتهم في ساعة واحدة ، بل اعتصمت
بالصبر وفرحت بالنصر ، ولم تزد على أن
قالت في لهجة المستسلم لقضاء الله : الحمد لله
الذي شرفني بموتهم ، وأرجو أن يجمعني بهم
في مستقر رحمته .

وطوت هذه السيدة الكريمة قلبها على
جراح سبعة . . ثم عاشت تطلع في صبر
وليمان إلى ما عند الله .
أيها السيدات .

إن وصية هذه السيدة لبنيها ، وهي تودعهم
وتشجعهم تستحق أن تكتب في إطار ،
وأن تعلق في كل بيت ، وأن تقرأها كل
سيدة وفتاة .

أما اسم هذه العربية الحرة الأبية فهو :
تماضر . .

وأما لقبها الذي اشتهرت به فهو الحنساء ،
من جريدة الشعب د . ف ،

مجد الفتاة

مجد الفتاة مقامها
في البيت لا في المعمل
لكن إذا دعت الضرو
رة للخروج فخير
سيرى كسير السحب لا
لا تأنى ولا تتعجل
لا تخضعى بالقول أو
تبرجى أو ترفلى

لا ابتغى غير الفضية
سلة للنساء فأجلى
إن لم ترى رأيي فيما
«ويل الشجى من الخلى»

ملك مفتحى ناصف

من كتاب النساءيات

المجتمع :

حيثما يكن اجتماع ومكان جامع ، وروابط
جامعة تطلق كلمة المجتمع فهى تصدق على
الأسرة لأنها تتكون من عدة أفراد تجمعهم
روابط النسب والقربا والمساكن والمصلحة

المشتركة ، وتطلق على القرية لأنها تتكون من
عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة والمصاهرة
والبيئة والمرافق العامة ، وتطلق على المركز
لأنه كذلك يتكون من عدة قرى متجاورة
تخضع لإدارة واحدة ويلتقى أبناؤها في
مدارس ومؤسسات صحية واجتماعية مشتركة
ويتسع مفهومها فتطلق على المحافظة التى
تتكون من عدة مراكز ، وعلى الدولة التى
تتكون من عدة محافظات ، وعلى الأمة
التي تتكون من عدة شعوب وعلى العالم
الإنسانى بما يشتمل عليه وينتمى إليه من
مختلف الأمم والشعوب ذلك لأن الناس على
اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كبرى
يتكون من أسر صغيرة تعرف باسم الفصيلة
أو القبيلة ، وأسر كبيرة تعرف باسم الشعب
أو الأمة . ولو أنهم استجابوا للروابط
الطبيعية التى تجمعهم على البر والخير لكانوا
عند قوله تعالى : «يا أيها الناس اتقوا ربكم
الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء»
واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام
إن الله كان عليكم رقيبا .

عبد الرحيم فوده

*This is translated and elaborated by Abd
El-Moneim Khattab and Othman Abd El - ssalam
both of Islamic culture Administration.*

expiation, feed ten indigent persons on a scale of the average for the food of your families; or clothe them; or give a slave his freedom. "

(S. the Table, V. 92.)

At last, to prevent money from over coming the individual freedom, Islam obliged the rich people to give Alms to the poor and also put a certain system for the distribution of the heritage. This Islamic system leads man to spend his money for the liberation of the slaves and they make him nearer to God. In this respect, holy Qur'an says : " Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their Lord : On them shall be no fear, nor shall they grieve. "

(S. The Cow, V. 262.)

Islam, after all, is not a message for the time of the prophet Mohamed "peace may be upon him", but it is the message which aimed at realizing the human values in the common and social life of the individuals. Hence, it is the everlasting message.

Surely, humanity is in need of Islam especially at the time when wise people seek the guidance which show them the right way for the reformation of their society. Hence, the activity of wealth, thinking, heart and conscience, will be partible fields among all people. The superior man is he who has an excellent personal quality and not by his old honour, his past pride or his inherited wealth.

Indeed, the eternity of Islam is essential for the humanity, because Islam is a remedy and also a protection in the same time.

are under their rule. This means that Islam considers the people as equal as each other and consequently, one who will surpass others, his surpass will be only due to his own efforts and human abilities which are only used for the benefits of mankind. But the pride of honour itself, has no right to prefer one person or society on the others, Prophet Mohamad said: "There is no distinction between an Arab person and a foreign one except only by his piety". And beside the Qur'anic quotation with regard to the equality among the individuals, Prophet Mohamad "peace may be upon him" said concerning one's servants "Your Servants are your brothers".

Indeed, this saying ensures the human brotherhood between the master — who has the pride of honour — and his servant, and asks both of them to treat the other according to this islamic fundamental and this treatment is not only limited to the financial affairs, but also includes the psychological feelings which induce the master to respect his servant and to treat him brotherly.

In the respect of the pride of wealth and properties, Islam calls people to liberate themselves from the slavery of the individual ownership. So Islam prohibited usury which

is a mean for the humiliation of the needy people. Moreover, Islam urged people, especially the rich, to liberate the slaves and to restore the human dignity to them. A certain part of Alms also was allocated to their liberation, holy Qur'an says: "Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently) reconciled (to truth); for those in bondage and in debt; in the cause of God, and for the wayfarer (thus is it) ordained by God, and God is full of knowledge and wisdom".

(S. The Repentance, V. 60).

Islam also considers that the liberation of any slave is a salvation for his liberator from a certain fault, holy Qur'an says: "But those who divorce their wives by Zihar, then wish to go back on the words they uttered, (it is ordained that such a one) should free a slave before they touch each other."

(S. The woman who pleads, V. 3.)

"God will not call you to account for what is futile in your oaths, but He will call you to account for your deliberate oath: For

proclaim (to them) this (truth) : That every soul delivers itself to ruin by its own acts : It will find for itself no protector or intercessor except God." [S. The Cattle. V. 70].

"When my servants ask thee concerning Me, I am Indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : Let them also, with a will, listen to my call and believe in Me : That they may walk in the right way". [S. The cow, V. 186].

Then God ensures the individual responsibility in the following verse "Every soul draws the meed of its acts on none, but itself no bearer of burdens can bear the burden of another." (S. The Cattle, V. 164.)

As a result of all that, the Prophet Mohamad "peace may be upon him" — Though he was in a super rank and though he was very near to God, exalted be he — was away from being a future teller talks about the unseen or the future events, he also was not a mediator between people and their Lord making this person near, and that one away, of his creator, or the one who forgives people's Sins according to his will, but he was only preacher to the straight path.

As a matter of fact, every one is responsible about his faith and

deeds, wheather they are good or bad. So, Islam destroyed all the religious classes and restored the human values to the society. Hence equality in seeking donation and satisfaction of God prevailed, and consequently the nearness to God has become according to man's strive towards that goal, and also due to the extent of his activity towards the realization of his duty which is, in fact, the attributes of God. So, the evaluation of the individual has become due to the existence of these qualities in the human conduct, God says "The most honoured of you before God is the most pious."

With regard to the pride of honour, Islam ordains for the removal of this classes partition which has been claimed by such a kind of pride. In this respect holy Qur'an states that all people are from one father, He says : "It is He who hath produced you from a single person : Here is a place of sojourn and a place of departure, we detail our Signs for people who understand." (S. The Cattle, V. 98.)

From this werse, it is obvious that Islam banished what was settled in the minds of the people — for a long time as a result of the pride of wealth and honour — that human features differ in their origin ; Some of them are masters and the others

spread both social justice and equality among all the individuals of the human society.

Firstly :

In respect of the belief, the prophet Mohamad "peace may be upon him" called the people to worship the intangible, holy Qur'an says : "No vision can grasp Him, but his grasp is over all vision : He is above all comprehension, yet is acquainted with all things." [Surah the cattle, V. 103].

As a result of this, the worship has been raised up from connection with the materialism, to be connected with the values which are the attributes of the Almighty God such as justice, mercy, power, richness, creating. . . etc.

By means of this call, it will be impossible for the man to be connected with God, unless he imitates his attributes and makes his utmost to carry them out in his life affairs. So, he would, utilize justice and put it into practice, understand the real meaning of mercy and persistently follows it, strive for the self-sufficiency, activity, superiority and he also should do his utmost to live an honourable life without any touch of humiliation. This is because the acceptance of the humiliation - in any way of life - is the same as the

acceptation of the evanescence, but in another form of it. Doing all these things, the believer will have the acceptance and the satisfactory of his Lord. Hence, he will take the attributes of God as symbols and tries to be nearer to them - during his common and social life - as much as he can.

Because man is required to direct his worship to God without any intercessor, in Islam there is neither priests nor priesthood and also there is not an intercession or intermediaries between man and his Lord. In this respect, holy Qur'an says : "Say" I have no power over any good or harm to my self except as God willeth. IF I had knowledge of the unseen, I should have multiplied all good, and not evil should have touched me : I am but a warner, and a bringer of glad tidings to those who have faith. [S. The Heights. V. 188.]

From this verse, we come to the fact that the message of the prophet Mohamad is a pure one and that the work of the priests and the clergymen is not a part of it. In the following verses, God denies the act of the intercession in the relation between man and his Lord. Holy Quran says : "Leave alone those who take their Religion to be mere play and amusement, and are deceived by the life of this world. But

gave the chance to some groups of the individuals to enjoy a luxurious life, while deprived others from enjoying their rights in the human freedom.

In addition to these two sides of the human society — during the time of the prophet Mohamad's call — there was a third one which was (as I think) deeper in its influence on the social life than the others. It is the side of the belief and those who induce people to faith, there were the idolatry and the priests. The idolatry tied the people to the tangible things and prevented them from understanding the human values or carrying them out in their life — And at the same time, the priests made a classe from amongst themselves and gave it the right of recommendation, intercession, forgiveness (removal of sins) and foretelling the future. They also claimed for themselves a special knowledge about the unseen, hence, they prevented people from seeking knowledge by themselves or by what they were prepared with it, such as mind, experiences and also the different means of observances. Indeed, the priests monopolized the knowledge for themselves, and mostly, their knowledge was nothing but a kind of superstition leading to the pessimism which did not leave any room for the Optimism except in the rare conditions.

Because they monopolized foretelling of the future, they were called (Al-Arrafon) which means (Future Tellers).

As to the power of the obstacles and the hindrances in the human society — during the time of the prophet Mohamad peace may be upon him —, it was very important for the success of his call to be of a strong faith, endurance, patience, and surely prophet Mohamad "peace may be upon him" was the best example for the good believer who has a complete confidence in his call and the good preacher who meets the difficulties with a patient heart. But the message of the Prophet Mohamad "peace may be upon him" should be a guidance for the removal of these obstacles and a breakage for the different hindrances in the human society. It is absolutely sure that these hindrances and obstacles have been made by means of the prevailing faith at that time and also by the pride of honour, in addition to the authority of wealth which had been exceeded till it enslaved the man himself.

Indeed, this was the object of Mohamad's message, it was the message of liberty, or rather, the message which aimed at reformation of mankind on basis of human values, it was the message that guided to

love, social justice and human brotherhood. While we find that people are influenced by the attractive material features of life, we find that rarely they understand the purpose of the human life and its value for mankind, and for this reason the scope of the material power is wider and deeper in man's life than the scope of the immaterial one. Hence, the conflict between these two powers is not at all an equal, and also the mastery of the immaterial power is lesser in time than the material one which dictates its ideas and directions that affect the life of the society.

Verily, the immaterial mastery which is the mastery of the human values in the society's life — especially equality and the social justice — does not appear except after the removal of the obstacles which were put by the material power. And as long as these obstacles are of a strong influence, and as long as they are common in the society's life; the improvement of the bad condition of the people, the restoration of the social justice and the realization of equality among them are very difficult, and consequently, the one who preaches for these improvements should be a man of patience and true faith.

The Call of the prophet Mohamad "peace may be upon him" was

aiming at the improving of the bad condition of the human society, as it was intending to assure the human values and to evaluate them on basis of the true aims of the man in both his individual and social life. Surely, the hindrances and the obstacles, which made differences among the individuals of the society at that time, were strong in their firmness, deep in their penetration and very old in their age. Consequently, man himself considered as a kind of goods; salable and purchasable by his master (another man used him as a slave). Moreover, the price of the man was subjected to the bargain, it would be up or down according to his ability to work or his skill, and sometimes due to his appearance or colour. Hence, the slave market became a profitable merchandise and the society began to taste this commerce as he master of the slave himself. As a result of that, man lost both his human characteristics and his human nature.

On the other hand, there were pride of honour, wealth, and dignity of both Roman and Persian empires outside the Arabian Peninsula, and also there was honour of the Arabian tribes inside it. This dignity led to a kind of the dictatorial leadership and the social injustice that led, by turn, to the distinction of classes among the human society which also

THE EQUALITY IN THE MESSAGE OF ISLAM

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The Vice chancellor of Al-Azhar University

The meaning of equality, is that the means of life are equally available to all the individuals of the society. The realization of this equality is possible when the obstacles which distinguish some of the individuals of one society from the others, and which give the chance to some of them without the others are removed. These obstacles, and hindrances are beyond the abilities of the individuals, their capacity their activity and their qualification as human beings. Indeed, they are the effect of the power however it is, they also spring from the influence of the authority that used to distinguish some individuals of one society and gives them the chance to take their part in both the individual and the social activities of the life, and at the same time, prohibits the others from enjoying their right in this life.

Verily, equality is not more than the social justice, and its rea-

lization is a realization for the justice itself. Indeed, justice prevailed among the human beings,—since their history was known—therefore, equality was realized sometimes as it was hidden at the others. That was because of the permanent conflict between the material power and the immaterial one which is surely unequal conflict. The material power is represented by money, property, the material means of conquering and also by both the pride of honour and the greatness of the ancestors. But the signs of the immaterial power are seen in the person's understanding of the human life and also in his convincing that life is a reciprocal among all the human beings, that peace must prevail the society and that logic should control the affairs of people's life.

As a matter of fact, the pure logic is that which is not influenced by the personal ambitions or inclination, but surely it is the logic of

the idea of denying or mocking Islamic values, to safeguard Moslems against such mockery, contempt or denial of Islamic values and to avoid dissension among them.

“Aldjehad” may also take the form of actual fighting with various weapons to repel aggression of any sort. And, if we look at what is said in the Koran about fighting, we find that God — Glorious be He — never asked the Islamic society at any time to begin fighting or start aggression; all that God demanded is to stand against aggression and repel it.

“And fight them until persecution is no more, and religion is all for Allah”. (S. 8, V. 39).

Islam is also generous and human as it advocates only equal treatment.

As Islam demands repelling aggression with equal measures, it teaches at the same time that following this attitude is religious and that God is on the side of the people who stick to the principles of their religion.

We may safely conclude that the Islamic society is a free, co-operative and well-balanced one, (or using a recent term ‘a socialist society’). It is a society that protects its independence and preserves its existence.

Belief in God alone, religious morality and the jihad for the sake of God, the doctrines professed by Islam, should be motivations or factors that help the growth of our Islamic society.

The Islamic society, since its formation in Medina, has adopted itself to the existence of control and the existence of the executive power.

The gift of Omar, that is, the general control which he imposed, stood as symbol of this executive power.

All that we say about religious morality, and the stress we put upon its existence and necessity is meant to show that it is the duty of the Islamic society as well as any other society to see to it that this power is latent in its existence and at the same time maintain its survival because it is much better for the society to be led by self motivation rather than to be led by law and its executive power.

4.—Maintaining the Character of Society and Protecting it :

The belief in God and the religious morality are two factors in the formation of the Islamic society, its survival and its consolidation.

Another factor in maintaining the character of the Islamic society and defending it against outside aggression is the "Djihad" for the sake of Allah. I presume that the word "Djihadia" is derived from the word "Djihad". I also believe that colonial

forces made the word hateful to us through the wrong and the fooleries done to or played on the recruited and military people during the era of their rule.

Through the application of the principle of "Aldjehad", Islam aimed at two things : The first is to retain Islam in the Islamic society and maintain its ideology and its order.

The second is to preserve the islamic order and defend its ideologies against aggression of enemies who constantly disbelieve in, and mock these ideologies.

"O you who believe ! Choose not for friends such of those who received the Scripture before you, and of the disbelievers, as make a jest and sport of your religion. (S. 5, V. 57).

In denying the ideology and order in the islamic society, this enemy in fact rejects the very existence of the islamic society and desires its splitting and dissolution.

"Aldjehad" is the defence of these values against aggression. It may take the form of giving answers to what is said against Islamic values. What is meant here is not actual fighting: the aim is to stand against

him verily We shall quicken with good life, and We shall pay them a recompense in proportion to the best of what they used to do." (S. 16, V. 97).

"Allah has promised those who believe and do good works : Theirs will be forgiveness and immense reward." (S. 5, V. 9).

Should this religious morality and its effects be realized in the light of the belief in the Message of Islam, then the Islamic society would not be faced with problems calling for solutions. For, if this morality in itself is powerful enough to motivate the righteous deed, it is also a preventive against problems. The problems of any society arise because of aversion, lack of uprightness in action, and lack of co-operation and balance; again, they arise when the feeling of sympathy is weakened and when selfishness has the upper hand and thereby spoils human relations. Then society suffers problems : the individual has his problems with himself and with others; the family faces the Problems pertaining to the relationship between its members; husbands and wives have the problems of their matrimonial life, and so on.

For these reasons, the teachings of Islam, in which one should believe,

are not mere solutions to problems. They are, first of all, a preventive against problems. Thus it is the motto of Islam : Prevention before cure.

If we are to discuss religious morality or religious conscience in the Islamic society and compare them to the Law or the Executive Power in regard to guiding society and motivating it to uprightness in action and good treatment, it is not in our mind to depreciate the executive force of the law or the general control on society.

It is not our intention to do so, because society has members who tend to evil, corruption and unavailing play, however upright are its other members. Furthermore, it has among its members some, though in a minority, who defy virtuous moral values, ideals, uprightness, and the welfare of society. It may be that one day this moral force is weakened and consequently corruption and play will prevail, should there be no executive power or general control on society. Islam, therefore, does not deny the existence of such a force or such control. On the contrary, Islam calls for it and seeks it, so long as human nature remains unchanged : this human nature comprises both the righteous and the libertine, the upright and the crooked.

of a Moslem girl or woman to a non — Moslem and in so doing protects the Moslem society from being absorbed in another society through marriage. This is not a racial matter, nor is it based on racial discrimination. The only objective of Islam in this matter is the protection of the Moslem society and its values from degeneration through the submission of a Moslem woman to a non — Moslem in the marriage contract.

Here it may be suitable to say that the Islamic society is an entirely human society, yet at the same time it keeps its peculiarity and individuality. The universal Zionism, propagated by many thinkers, is an idea which Islam does not readily accept, for the most characteristic goal of this universal Zionism is the abolition of characteristics of each society so that Capitalism and Zionism may have full sway over the whole world, not granting anybody freedom of expression to show that those capitalists and Zionists are indeed strangers to the individual countries.

Thus it becomes apparent that belief in the Prophet's Message means — as we have mentioned — to follow the Islamic instructions in man's attitude towards himself and towards his fellow men. Since society consists of many individuals the value of this belief in the Messenger,

peace be upon him, and his Message in forming and conducting the religious morality is apparent.

Belief in requital on the Last Day is — as mentioned above — the source of vitality in this morality and the element of its continuance and momentum. For if he who believes in God and the Message of the Prophet, believes also in the Last Day, he will have a vivid memory of that Day which he is sure will come and sure to come and therefore with this thought in mind he will always act according to the preaching of the Message. This is why Islam is strict with those who deny that Day and its requital:

Whose disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and His Messengers and the Last Day he verily has wandered far astray". (S. 4. V. 135).

It is true that Islam did not explicitly mention this religious morality nor did it demand it in such explicit words, but surely it demanded it in the form of good deed, for good deed is its natural result. God says in Koran :

" Whosoever does right, whether male or female, and is a believer,

realized through religious morality and moral conscience and not by man made law and its executive authority.

After all the divine message, sent to Muhammed and the belief in which is considered the principal element of religious morality, has certain elasticity and adaptability represented in the principle of free judgement (Al-Ijtihad). The Quran refers to this principle when saying: "O you who believe! obey Allah, and obey the messenger and those of you who are in authority; and if you have a dispute concerning any matter refer it to Allah and the Messenger if you are (in truth) believers in Allah and the Last Day. That is better and more seemly in the end". (S. S. 4, V. 59). By the verse "those of you who are in authority" is meant men of free thinking and judgement. And by "referring the dispute to God and His Messenger", is meant referring to the Book of God and the Traditions of His Prophet.

This principle (apart from the origins of belief) provides for the Islamic law a sort of dynamism and adaptability for the followers of this message according to the circumstances of their environments. Thus the Muslim is free to lead a progressive as well as religious life. It is a credit

whereby the Islamic society can lead a life that never contradicts the general principles of Islam.

Besides, there is another principle sponsored and cherished by the Islamic religion which is envitably needed for the consolidation of any given society, that is the extinction of social discrimination. In Islam neither tribalism nor colour can stand in the way of co-operation and brotherly relations among the believers. The Glorious Quran strongly emphasizes that all Muslims are one nation irrespective of their breed, colour, or nationality; and that their differences in such traits are not reasons for dissension and separation but are on the contrary, due means of friendship and amity.

Along with these principles there is a third one in the Islamic Message which is deeply connected with the cohesion of the Moslem society, its independence and its peculiarity which protects it from being absorbed in any other society. This principle is the "Islamic Nationality" contained in the Koranic verse: "Faint not nor grieve, for you will overcome them if you are (indeed) believers".

The application of this principle is clearly shown in the marriage contract. Islam forbids the marriage

repulse them, but speak unto them a gracious word". (S. 17, V. 23). In the aforementioned Quranic verses we find that God, Glorious be He, has demanded kindness in so far as the treatment of parents and relatives is concerned. Such kindness represents the most sublime and sophisticated human standard. Undoubtedly the responsibilities which parents undertake in bringing up their children necessitates that the attitude of the children should be as such stated in the Glorious Quran.

As for the parent - child relationship Islam has not dealt with this subject in the same manner as it has with childhood problems because Islam depends, in the first place, on the natural relationship between the two sides which is very powerful and distinct on the part of the parents. Islam only recommends that parents should not devote their time and effort to their children to such a degree that it is at the expense of their own fidelity and religious devotion. The Quran says in this connection: "Your wealth and your children are only a temptation whereas Allah with Him is an immense reward. So keep your duties to Allah as best as you can, and listen, and obey, and spend; that is better for your souls." (S. 64, Vs. 15-16).

Furthermore, Islam ordains that relationships among mankind as a

whole should be based on co-operation and mutual sympathy. In this connection God the Almighty says: "It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believes in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the Prophets; and gives his wealth, though being loved, to kinsfolk and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free; and observes proper worship and pays the poor due." (S. 2, V. 177). And His Messenger also says: "Your fellow believers are your friends; so give them out of the food you eat and the cloth you wear, and do not do harm to God's bondmen".

Again Islam demands equilibrium and harmony should, from the Islamic point of view, not be motivated by an extrinsic urge but must emanate from the intrinsic motives of both individual and society. Henceforth Islam has given immense care to "equity". By equity is meant to behave according to the virtuous standard of humanity. Equity, as proclaimed by Islam, contradicts misuse and violation and means modest conduct in the spheres of behaviour, charitable deeds, labour, preservation of relationships, the way of arguing, and respect of honour and consecrations. Such equity can only be

"Men are in charge of women"
(S. 4, V. 34).

Such responsibility does not mean authority or mastery but rather indicates a sort of leadership and guidance. Islam has charged man with this responsibility only because he, by virtue of his physical construction, is shouldering certain responsibilities in the outer life which woman cannot usually and principally carry out because she is by nature a subject to pregnancy and reproduction and is shouldering, therefore, other responsibilities suitable for her, such as bringing up and taking care of her children. She is (accordingly) unable to work in the outer life in the same manner as man. Therefore man is responsible for the maintenance and sustenance of his family. It is logical then that man's situation entitles him to the credits of leadership and guidance.

There are other limits set by Islam which prevent man from any misuse of such privileges and from any ill-treatment of woman. The Quran illustrates such limits when it states: "Divorce must be pronounced twice and then (a woman) must be retained in honour or released in kindness". (S. 2, 229). Islam thus demands that matrimonial life should be based on equitable terms on one

hand, and that separation if it happens should on the other hand be made, in likewise equitable manner.

The believer who develops a sense of religious morality cannot but be fair and just. He neither imposes nor misuses the responsibilities with which he is entrusted such as guidance and leadership. It is manifest after all that man's privileges over woman only mean his sincere endeavours to achieve the good for both of them.

Because Islam respects and asserts the individual characteristics, it does not allow man to interfere in the financial affairs of his wife or to impose his opinions and beliefs on her. Woman, in turn, is only demanded not to hurt the feelings of her husband by means of possessions and beliefs. She must carry out her duties and call for her rights without the slightest delay.

Islam, in the circle of kinship, demands the same harmony and equilibrium among relatives, God the Almighty says: "And serve Allah. Ascribe nothing as partner unto Him. (Show) Kindness unto parents and unto near kindred". (S. 4, V. 36). The Lord has decreed that you worship none save Him, and (that you show) kindness to parents. If one or both of them reach old age with you, say not "Fie" unto them nor

This verse reveals to us that Islam acknowledges the human nature as being at one and the same time materialistic and spiritual, practical and idealistic. While it does not deny man the right of enjoying the fruits of this world, which belong to the materialistic side of his nature, it enjoins that while enjoying them and while working hard for the achievement of worldly aims he should always direct himself towards God, i. e. to avoid corruption and vice; to avoid using whatever achievements he can gain, thus inviting corruption of the society. This is what is meant by the verse :

“ And seek not corruption in the earth; Lo ! Allah loves not corruptors”.

Islam, in the domain of society, has laid down the foundations upon which the system of family, which represents the smallest cell of society, is built. It provides for the rules of marriage and matrimonial life in which two individuals are associated with each other leading the same course of life and working for the same purpose. The Islamic institution in this respect does not work for the annihilation of the individuality of each of the two mates and does not demand that either of them should be absorbed by or melted in the

other's personality. This is because Islam is fully aware of the fact that the individual characteristics can by no means be annihilated or absorbed by any other individual.

Islam only seeks harmony and equilibrium between the two parties in the sense that neither of them violates the rights of the other or disregards his existence and dignity. Instead Islam proclaims that both of them are to proceed along the course of matrimonial life side by side in a harmonious and symmetrical manner. Therefore it has bestowed the two spouses with certain rights and obligations to help keep them undertake their respective responsibilities in their matrimonial career. The Quran says : “And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable; but men have degree (of advantage) over them”. (S. 2, V. 228).

By so saying the Quran has laid down the principle of equality between wife and husband. It is only meant by man's privilege mentioned in the said verse the responsibility of man to stand firm in woman's business, to protect her interests and look after her affairs. This notion has been emphatically stated in the following Quranic verse :

perceptions whatever they may be are apt to be influenced by the factors that have influence on man; and then it is easy for human perception to change.

This religious morality - based upon the three elements of belief: the belief in the oneness of God, in the Message of the Prophet, peace be upon him, and in the judgement Day - is therefore, a fruitful motive in achieving good conduct and nice treatment of others. When these are achieved, co-operation between individuals is not only possible but is indeed an ipsofacto result. Moreover, it will lead to real fraternity founded upon genuine love whereon powerful cohesion takes place.

3) The Contents of the Heavenly Message.

Since the belief in the oneness of God - which is an element in the religious morality - is in reality a belief in freedom from superstition false creeds, humility and submission, while it is a belief in the sublime in the human nature, the belief in the Prophet however is not at all belief in his person as a human being, but in him as a Messenger and a ring in the chain of delivering the Revelation of God unto the people. If the contents of this Message are a planning

of the individual conduct and the limits of inter-relations between one individual and another in society, the belief in the Messenger and his Message therefore means the following of him in order to perform the contents of his message, i.e. to perform the right way of conduct and right dealing with others.

When we view the contents of this message, and the limits and designs it draws, we shall find that it draws, we shall find that in all this it aimed at the achievement of equilibrium between the dual nature of the individual and between one individual and another in society. For the individual - although a unity to all appearance - is in fact composed of two counterparts: of wisdom inspiring to moderateness and desire inciting to extravagance; of mind and body each having its own inclination. Here we find that Islam in this very circle - that of the individual - does not deny any of the two counterparts.

"But seek the abode of the Hereafter in that which Allah has given you and neglect not the portion of the world, and be you kind even as Allah has been kind to you, and seek not corruption in the earth; Lo! Allah loves not corruptors". (S. 28, V. 77).

and the law made by society and imposed upon individuals by force and watch is that the domination of the law with its executive power lies outside the human being and is imposed upon him from without. In the modern civil society - the society that imposes the law and executes it - man acts under the pressure of this force which lies outside him. When society neglects the performance of law one day or its grip loosens a little, the individual in turn will neglect his duty . . . the duty imposed upon him by law and its executive power.

Therefore, in the society that does not function upon a spontaneous impulse within its individuals, communal work depends upon the power of the executive authority and its vigilance in watching the execution of the law. The Modern State bears a heavy task in achieving such an executive power and such a vigilance.

The individual in the modern society always feels the push of law behind his back and feels also that his freedom is limited and his will confined; for he is nearly obliged to act as he does, while as in a society of religious morality - such as the Islamic society - the individual is free from this depression for he feels that it is he who pushes himself and that

therefore he is free in obeying his inner impulses. Thus in a society of religious morality personal freedom is an important element both in construction and improvement of work, for freedom of work and spontaneity are always accompanied by a pleasant desire for work and perfection. This is why in the 18th century some idealistic moralists in the European society tried to build up individual morality based upon the idea of "Duty for duty's sake". This idealistic ethics prevailed in the German people in particular and was known as Kant's principle or the Moral Duty. Although it is a morality invoking spontaneous action without the control of the imposed law with its executive power, it is different from the religious morality that Islam wishes for the Moslem society - the morality which is the basis for the cohesion Moslem society and the co-operation of its individuals. For whatever the case may be we should not forget that the basis of the religio-moral power is the belief in God, while the basis of the idealistic morality is the perception of the duty of man towards mankind. A great difference is there between a power that depends upon the belief in God and another that depends upon man's perception of mankind. The belief in God is more likely to continue or at least to continue for a longer time while man's

peace be upon him. While it is belief in God it likewise based on the belief in the Prophet's Message and its contents. Another of its elements is the belief in requital on the Last Day, which incites continuous vitality and vigility viewing that this religious morality should perform its function according to what one believes. The three elements of belief: the belief in God, the belief in the Messenger and the Revelation which is the contents of his Message, and the belief in the Last Day and its requital are all contained in the first verses of the Chapter of the Cow "Aleph, Lam, Meem".

"This is the scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off (evil). Who believe in the unseen, and establish worship and spend of that — We have bestowed upon them. And who believe in that which is revealed unto you (Muhammed) and that which was revealed before you and are certain of the Hereafter. These depend on guidance from their Lord. These are the successful". (S. 2, Vs. 1 — 5).

He describes the believers by these three qualities: They are the pious; they are those guided by their God; they are the successful and prosperous. The belief in the unknown

involves primarily the belief in God for He is the Being unperceived by anybody's sight while He perceives every body's sight.

Belief in what was revealed is the belief in God's Message and the sure knowledge of the Judgement Day is the deep belief in it. In the Sura of Women the Koran gives these three elements of belief another expression. It demands belief in them, then describes those who deny them by having gone far astray: "O you who belisve! Believe in Allah and His Messenger, and the Scripture which has revealed unto His Messenger, and the Scripture which He revealed aforetime. Who so disbelieves in Allah and His angels and His Scriptures and Messengers and the Last Day, he verily has wandered far astray". (S. 4, V. 136).

This religious morality, based on these three factors of belief, is the morality that invokes man to good conduct, righteousness, co-operation and fraternity between individuals, the impulse here being a spontaneous one which needs neither external motive nor external watch for its domination is derived from the belief which the believer holds in his heart. The difference between the case of the believer who holds within himself the impulse for right doing and co-operation with others

seeking because all men's action and thoughts will be orientated by such authority and influenced by its wish. Such authority whatever its attributes may be, is carried out by a group of people who may have whims or purposes or partialities. As such whims, purposes and partialities and not the common will become an arbitrary law which could not be discussed and a holy order which could not be criticised. Polytheism is one of the aspects of such authority. The idea of having a partner to God is clearly and decisively dealt with from the point of view of Islam in the following verse :

"Allah pardons not that partners should be ascribed unto him. He pardons all save that to whom He will.

Whoso ascribes partners unto Allah has wandered far astray".
(S. 4, V. 116).

Evidently the belief in one God, to which Islam calls and insists upon, does oppose the existence of such a religious authority as referred to in the preceding chapter. Hence those who speak about a religion of their own or a state of their own in Islam or in the Moslem society are in fact expressing ideas alien to the nature of Islam. They are only trying to imitate the conversion of the Roman Catholic Church in the Middle Ages

when it was governing the Christian Society in Europe in the name of God, and when it endowed on its priests the infallibility in word and deed and imposed upon all the other people the holy submission to the orders of the clergy men who were the representatives of God on earth and who shared with him the holiness and infallibility.

Islam does not know such society. It knows only a human society which believes in one God and believes in the Message revealed by God to the messenger of the Islamic call, Mohammed son of Abd Allah may peace be upon him.

2) Religious Morality or Religious Conscience.

If unity in believing in God is at the same time the goal of the Islamic society and the principle element of its constitution, the religious morality or conscience is an important factor both in the continuation and cohesion of this society.

Religious morality is a psychic capability which takes place in the constitution of person who believes in God and which becomes the source of a certain behaviour that co-ordinates with the teachings of the Message of the Prophet Mohammed,

THE ISLAMIC SOCIETY AND ITS OBJECTIVES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

The society which believes in one God is the only free human society. It is the society which is able to differentiate in full consciousness between man as a distinguished creature and all other creatures which were created only to serve man and his ends. And the Islamic society is the society that believes in one God.

The objectives of the Islamic society, being the one that believes in one God only, are the liberation from all that degrades human dignity, the freedom from all that hinders man's motion forward and his endeavour to proceed progressively in life and to rid himself of all that stands in his way as the master of this universe.

The Islamic society by believing in one God, is and will always be a human society since it does not regard itself a religious society in

the sense conceived by the Roman Church in Europe in the Middle Ages when it was believed that a certain class had the right to manage the life of the other classes, considering itself class above the common people, on being given that right from God and therefore it had the right to deal with matters by his will and thus its judgement was holy and arbitrary.

The belief in one God does not by any means, give the Moslem society such authority. On the contrary, it gives every individual an incentive to liberate himself from anything that may hinder his freedom, thinking and action. It urges the individual to work, to seek and to evaluate in full liberality. The existence of an authority whose thought and judgments are infallible and holy and whose actions and directions are godly is no doubt a deterrent to free thinking, acting and

have prepared for them a penalty grievous (indeed).

(Surah the children of Israel, verses 9 — 10).

“ O ye who believe ! give your response to God and his Apostle when He calleth you to that which will give you life. ”

(Surah the Spoils of war, verse 22).

“ If only they had stood fast by the law, the Gospel, and all the the revelation that was sent to them from their Lord, they would have enjoyed happiness from every side. There is from among them. A party on the right course : But many of them follow a course that is evil. ”

(Surah the Table, verse 69.)

“ Whoever works righteousness, man or woman, and has faith, verily, to him will We give a new life, a life that is good and pure, and We will bestow on such their reward according to the best of their actions. ”

(Surah the Bees, verse 97.)

“ We sent aforetime our apostles with clear Signs and sent down with them the Book and Balance (of

Right and wrong), that men may stand forth in justice. ”

(Surah the Iron, verse 25.)

The achievement of the Islamic principles towards the improvement of humanity :

The islamic principles towards the improvement of humanity are based on the following facts: The human being has both a body and a soul. And each one has its enjoyments and desires, Every man also has an independent personality which is attached to him as an individual and another personality attached to him as a member of his national and human society. Indeed, these two personalities cause man to enjoy happiness, especially, in case of his moderation without intensity or extravagane. Surely, man will not be a complete happy, unless he performs his duties, enjoys his rights and consolidates his relations to both his God and his citizens people. IF we observe the instructions of Islam, its beliefs, its worships, its teachings and its legislations, we shall find that they are always considering the different needs of the human being to realize happiness for him, body and soul, as a person or as a member of the society.

of the world - that his orders to his bondmen are a guidance and a mercy for them all. And of course, the opposition or the antagonism of the people never gives God's mercy, but verily God's mercy is caused by the following of the right way and summoning others to embrace it. No doubt that the right never opposes right, but verily it always opposes the wrong. In this connection holy Qur'an says next to the story of Adam and his repentance for his Sin "He said, get ye down both of you, all to gether from the garden with enmity one to another; but if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from my message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the day of Judgement." (S. Taha, V. 123-124)

The eternity of Islam is only realized by the eternity of its origin :

Because Islam is the religion which was revealed from God, and because it is the guidance of Lord of the world to the selected messenger who was ordered to convey it to the mankind, and because God — the eternal and the most merciful — is he who granted Islam and his mercy, is actually an immortal one, and because of Islam is a

feature of this God's mercy, it should be an eternal religion as its source.

Islam leads to the happiness of people :

Because we believe that Islam is the eternal religion and that its eternity is the result of the eternity of its source (God most gracious, most merciful), we should observe its teachings to affirm and then decide if its instructions are have to guide mankind to stability and happiness or not. Indeed, if we examined the Islamic teachings thoroughly, we should come to the conclusion that Islam is the ideal system that leads both the individual and the society to their happiness, wheather it is in this world or in the Hereafter. Islam calls people to be in a good conduct during their life, it orders them to treat each other kindly, also it prevents the wrong deeds and also prohibited all kinds of aggression.

In this respect, the glorious Qur'an says : " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward; and to those who believe not in the Hereafter, (it announceth) that we

religion is "Islam" "O ye who believe! Fear God as He should be feared, and die not except in a state of Islam" (Surah the Family of Imran, verse 102). "Say:" O people of the Book! come to common terms as between us and you: That we worship none but God; that we associate no partner with Him; that we erect not, from among ourselves Lords and patrons other than God." IF then they turn back, say: Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing) to God's will).

(Surah the Family of Imran, verse 64).

With regard to the lies of both the christians and the Jews, and because they propagated that there is no link among the religions, The Qur'an said "Abraham was not a Jew, nor yet a christian, but he was true in faith and bowed his will to God's (which is Islam). And he joined not gods with God.

(Surah the family of Imran, verse 67).

"They say : become jews or christians if you would be guided (to salvation)" Say thou: "Nay! (I would rather) the religion of Abraham the true, and he joined not gods with God." Say ye : "We believe in God, and the revelation given to us, and to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob and the Tribes; and that

given to Moses and Jesus and that given to (all) prophets from their Lord : We make no difference between one and another of them : And we bow to God (in Islam). So if they believe as ye believe, they are indeed on the right path; but if they turn back, it is they who are in schism; but God will suffice thee as against them, and He is the All-Healing. The All-Knowing. (our religion is) The Baptism of God : And who can baptize better than God? And it is He whom we worship".

These Quranic verses are the real proof that the religion before God is one as they state also that the sole religion which God considers is Islam that was preached by the first prophet and by the last one as well. The first prophet started the Islamic call and the last one completed it. In this respect holy Qur'an says "This day have I perfected your Religion for you and completed my favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion" [Sourah. The Table Spread, V. 4.]

Surely, it is impossible that these several religions which opposes one another, are revealed from God Who is the most knower and the sole owner of the souls of the people. As a matter of fact, God told the people by means of his messengers - since the creation

In the holy Quran, we find many verses which are clearly declaring the unity of all the religions. God ordered every one of his messengers to call people to believe in both the prophets before him and those who will come after him. This order will lead every one to perform his duty completely towards God's message. The glorious Qur'an says :

"Behold ! God took the covenant of the Prophets, saying : "I give you a Book and wisdom; then comes to you an Apostle, confirming what is with you; do Ye believe in him and render him help." God said : "Do ye agree; and take this my covenant as binding on you?" They said : "We agree." He said : "then bear witness, and I am with you among the witnesses." IF any turn back after this, they are perverted transgressors. Do they seek for other than the Religion of God ? - while all creatures in the heavens and on earth have willing or unwilling, bowed to His will (accepted Islam), and to Him shall they all be brought back. Say : "We believe in God, and in what has been revealed to us and what was revealed to Abraham, Ismail, Isaac, Jacob, and the Tribes and in (the books) given to Moses, Jesus, and the prophets from their Lord : We make no distinction between one and another among them, and to God do we bow our will

(in Islam)." IF any one desires a religion other than Islam (Submission to God), never will it be accepted of him; and in the Hereafter he will be in the ranks of those who have lost (All spiritual good). [Surah the family of Imran verses 81 : 85.]

In the following verses it is very obvious that Islam is the sole religion accepted by God " The Religion before God is Islam (submission to His will) : Nor did the people of the Book dissent therefrom except through envy of each other, after knowledge had come to them". [Surah the Family of Imran, V. 19].

"And who turns away from the religion of Abraham but such as debase their souls with folly ? Him we chose and rendered pure in this world : And He will be in the Hereafter in the ranks of the Righteous. Behold; his Lord said to him "Bow (they will to me) : " He said : "I bow (my will) to the lord and cherisher of the universe. And this was the legacy that Abrham left to his sons, and so did Jacob; "Oh my sons ! God hath chosen the Faith for you: then die not except in the faith of Islam." [Surah the cow, verses, 130-132]].

It is our duty to put the next verses beside the former one. This will assure us that the call of all the prophets is one and that the

Because the people's different opinions, especially with regard to the dislimited affairs of life, cause the personality of the nation to be lost, so it will not be astonishing that the difference among mankind — especially in religion, its aims and principles — will lead them to be separated and also lead them to fight against each other. Hence, the guidance of God divided into several religions. They kept God's teachings aside, while they encouraged their habits and traditions, their nationalities and the policy which they are following. Consequently, several religions appeared in the people's minds: Judaism, the religion which was revealed to Moses from God and which its followers hold it fast and continuously. Christianity, which was revealed to Jesus with certain instructions. Its people are embracing and defending firmly its principles. Islam, which is the religion revealed to Mohamad "peace from God may be upon him" and which contains teachings followed by many faithful followers who are preaching and defending them with all their might.

As a result of what we mentioned, people embraced several religions, they divided in the guidance of God to many faiths and beliefs, though in its origin it is one only and the all revealed from Almighty

God. No Judaism, no christianity, but one religion, one guidance of one system and one source that is the Lord of both earth and heavens, cherisher and sustainer of the world.

Islam is the sole Religion before

God :

Islam is not a new religion as many people understand, but it is — according to the holy Qur'an — the same which God revealed to the first messenger to his bondmen, then it was revealed successively to all of his messengers to convey God's message to the mankind and to enable people to reach a better thought and a full understanding. Hence, God sent the holy prophet Mohamad "peace may be upon him" to complete the message of the prophets who came before him. Indeed, all God's prophets are — as the prophet Mohamad stated — the builders of one house, the preachers of one call and the advisers to one happy goal. The holy prophet said : " It is similar to me and the prophets before mine, the man who built a house, then completed and decorated it except a place of one brick. People admired the house but they were surprising and criticising also the empty place of this brick. The Prophet added " my position among the prophets is exactly as this brick and I am the last prophet ".

THE ETERNITY ELEMENT OF ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The Personality of the nation :

For any nation to be existed, it should gother both the two personalities : The immaterial and the material one as well. The material personality of the nation, is due to its standing on such environment, nature of land and horizon, while the immaterial personality of it is due to its feeling of the situation which it takes among the other nations of the world, its part from the life, and the unity of its thinking in this part which it has been granted in the life.

No doubt that the nation's immaterial personality is an important factor for its strength. And if it lost this factor, it would go through life in a bad condition : Complete poverty, weakness and humiliation. Moreover, the other nations which have the immaterial personalities, will take it an opportunity and occupy its land, take its wealth, harm its people and treat them unkindly.

Keeping of the nation's Personality :

It happens sometimes that a danger occurs to some nations. This danger may cause different opinions among its people and causes also their hearts to be separated, their nation's personality to be confused and it may lead this nation to be annihilated. But to save the nation from this dangerous end, it is indeed the duty of the wise people of this nation to do their utmost for the preservation and keeping it away from that danger which is closely surrounded it and this would be realized if the hearts of the people gathered around one aim, believed in certain principles and had also a united sensation. To keep the personality of the nation, people should defend their aims which combine the dignity and the honour of their nation, and this of course will lead it to take its privilege and position among the other nations of the world.

the worst human being on the earth. But because the imperialists are supporting him and supplying him with money, he is speaking with a loud voice, thinking that he has the power to face the united Arab Republic and the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). As a matter of fact, the voice of the King is not very strong as the roaring, but it is very faint as the voice of the flies. Now, we ask the following questions: From where the King of the Transe Jordan got the money to finance his abominable nights? From where he got the money which he sent to the European Banks to be saved? From where he got money to pay his dishonest nomadical guards? OF course, he got this money as a price of his nation which he sold it to the imperialists. Actually, it is the money which was given to him by the Zionists in return for the occupying of the dearest part

from the Arab land of Palistine, it is the price of his efforts to weaken the Unity of the Arabs and his barking against the leader of the Arab Nationalism (Gamal Abd El-Nasser). But his red nights will not enable him to save himself from his coming black days and his bare footed guardians will have no ability to defend him against the revolution of the people and the money which he sent to foreign Banks will be of no value for him.

Those are the three dishonest rulers who have been used by the imperialists for the humiliation of the free people. The first one of the three was kicked out by the Egyptian revolutionists and the other two are waiting for their similar end which undoubtedly will come. And at that time, they will be evacuated of the countries followed by their supporters (the imperialists).

hear through the Iranian broadcasting station or read on the pages of the different world newspapers that Shah Iran has laid the foundation of a school, constructed a hospital, erected up a new bridge, macadamized a new road or improved some of his country's disruption, but only you hear or read every day and night about the marriage of the Shah, then his divorce, his love, his blessed journey to Hollywood, his trip to the Riviera coast, his travelling to London and his doubtful visit to the Transjordan. With regard to both the Iranian and the Arab nations, Shah Iran does not consider any of them. This is because the backwardness of his nation is an abominable shame attached to him while the progress and the rapid advancement of the Arab nationalism causes him much troubles. Moreover he wants Tehran to live in a complete darkness, as he fears the lights of freedom which come from Cairo to lighten Iran, and this is, by turn, will awaken the Iranian sleepy people from their deep sleep. But as it is impossible for him to veil the rays of the sun by his hand to be spread here and there, it is impossible to prevent the waves of liberation to obliterate the darkness, to kill the slavery and to repair the bad condition of the people everywhere. No doubt that the revolution against the Shah will happen one day. This

is because he is always challenging both the religious instructions and the will of his people. He is also supporting the imperialists, fighting against the liberty and antagonizing the Arabism, while he is assisting the Zionism, refusing to carry out the decisions of Bandung conference and opposing the opinions of all Muslims. Consequently, he attested the Zionist usurpation of the Arabic Palestine, acknowledged the driving of one million Arabs away from their own land to live in the refuges and in the deserts in a humility and a bad living while the Jews are living in the Arab's houses, occupying their lands and stealing their properties and possessions. Indeed, Arab refugees have no hope except in the support of God and the assistance of both Arab and the Muslim nations.

This is the manner of Shah Iran and that is his character. He is living away from the teachings of Islam doing his utmost to keep the imperialists on the land of Iran to guard him in case of the national revolution by means of the oppressed people and also to enable him to enjoy all his different passions.

The third one of the three, is the King of the Transjordan who is an ignorant man. Indeed, he is the King of the smallest nation with the smallest crown, he is the most cunning King ruling the best people, he is

Not only his manner was that, but also he used to, kill husbands and usurps their wives, to steal the money of the State, to accept bribes and to treat the people unkindly, when he thought that the people was subjected to him quitely, and that they accepted the humiliation and the darkness which they were living in, the care of God surrounded the people and God inspired some of the faithful military youngmen under the good leadership of the president Gamal Abd El-Nasser to get rid of the tyrants and to save their people from their bad condition. And because the members of the army were men of sacrifice, organization, work, honour, and glory and because they sold their souls for the sake of their country's freedom, seeing the bad condition which the people of Egypt were suffering, knowing the disruption and the confusion which were prevailing the soldiers of the army, president Nasser and his friends revolted against the enemies of the country. Their revolution was as a faint fire which kills the microbes but does not burn the ill body, it was as a breeze which pushes the sailing boat but does not drow it. They kicked the bad king out of the pure land, then treated the people according to the instructions of the glorious Prophet "peace may be upon

him". Following his footsteps, they destroyed the human idols as he destroyed the rocky ones before, honoured the human beings exactly as he did, obliterated the distinction among the individuals as he planned, gave every poor person his right in the rich people's wealth as he previously ordered and they also supported the right with the power as he actually did, then they planted among the people of Egypt — for the frist time in their history — both equality and freedom.

The second and the most cunning one of the three, is the successor of Mouzdok or who — so called — Shah Iran (persia). Since his childhood up to now, the persian emperor is enjoying a similar life to the king Farouk's one, also his father did not bring him up according to the religious teachings, did not prepare him to be the king of the State. Hence, forcely he ruled the persian people following his bad father's footsteps, he knows nothing about the State's affairs except its money case which he was attempting to transmitt a lot amount of it to fill his pockets. As a matter of fact, Shah Iran is a careless of improving his State condition or at least how to investigate its natural wealth for the benefits of his people So, you can not at all.

all people as well as he will lose his honour and dignity which he was previously enjoying. Such kind of kings always appear when the Almighty God wills to change the system of the State and to replace one government with another. This is because these kings humiliated the people, oppressed them, prevented them to declare their opinions freely and consequently, People's hearts filled with hatefulness and this will lead them to revolt against their kings and to get rid of them and their assitants as well.

Offering an actual example for such kind of kings, we have firstly to speak about the three astray youngmen who had been appointed rulers and kings by the authority of the british imperialists, though it is against the will of their nation's people. Moreover, the imperialists backed them by force, supplied them with money, induced them to interrupt the characters and the conducts of the youngmen and taught them how to spend the nation's wealth haphazardly and in the bad ways. But it was the will of God to inspire a greoup of faithful youngmen under the wise leadership of the president Gamal Abd El-Nasser, who revolted against the tyrants and the aggressors till they evacuated the imperialists out of ost of the middle East nations,

though they are still occupying some of these nations, creeping on its land by the support of some dishonest citizens and those unfaithful rulers who are exactly as the germs and the microbes which creep to the human body by means of the fly's legs or the dog's mouth. Verily, it was the will of God to save the people from those tyrant kings and to make them who are the last branches — from the tree of their corrupted and bad families — to fall.

The first and the worst one of the three kings, was Farouk the king of Egypt before 23rd of July 1952, who was the most detested man living on the earth. His heart was full of evil, his conduct was against both the instructions of his religion and the people of his country as well. One of the royal palace supporters told me one day that king Farouk would go to the mosque for the congregational prayer but without ablution and to perform his prayer but without reading Qur'an, this is in case of he was obliged to perform the prayer at only some special circumstances. Moreover, the same supporter added, king Farouk Siad "I fear that I may lough loudly while I am following the movements of the leader of the prayer (The Imam)".

THE RELIGION IS THE BEST CONTROLLER

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The piety which is the feeling of fear from God, is a natural quantity takes its place inside the hearts of the working hard people. This piety is deep rooted also in their hearts, because they are in need of God's support as well as they are always depending upon Him. But kings and the rich people have never become in need of piety because money and authority blindfold them their Lord. If it is supposed that there are some kings and rich people of pious hearts, this will be because of a religious education, a spiritual culture or good examples. For instance, if a rich man had an unsuitable environment during his childhood period or lived in uncomfortable house where he could not see the father who performs his prayer, the mother who asks God's forgiveness or the guider who guides him to the straight way, he would grow up like the unconscious animal, he may also satisfy all his lusts and would be the man who rules the people without any controller or a considerate mind. If such a man is given the chance

to be a ruler of a nation, he will neglect the benefits of the people aside, sink deep into the ill-deeds and take the ignorance of the people as an opportunity for his own benefits. Consequently, he will use his throne as a bed where the prohibitions can be committed, the kingdom palace as a place where adultery crimes are happen, the government as a connection to his bad aims, moreover he will use the country as if it was a farm given to him by one of his ancestors. Hence, he will satisfy his foolishness, fearlessness of God because Satan is leading him astray and fearlessness of people because the army is guarding him against them - But when the cover that covers the sights of the people will be removed away and as a result of that, the sleepy man will get up of his deep sleep, the king or the ruler will come to the fact that the people are stronger than he imagined and that their will is over his one. At that time, the oppressed society will revolt against the tyranny and refuse to be humiliated, then the tyrant will be looked small in the eyes of

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

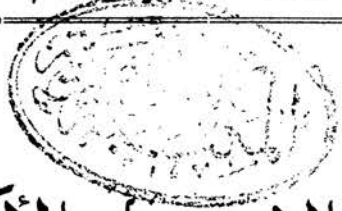
مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدر الدين الشبراوي
في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ شارع الجمهورية
والمدارس والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن - شعبان سنة ١٣٨١ هـ - يناير ١٩٦٢ م - المجلد الثالث والثلاثون

السلامة العامة



كلمة الإمام الأكبر في مصر جان ابن خلدون

١٢
٢٢٢٢٦
درر

وإن الاحتفال بعضاء الرجال ليس تمجيذا
لذواتهم ، أو إشادة بأشخاصهم وإنما هو في
الحقيقة تمجيد للأفكار التي نادوا بها ،
والمبادئ التي وقفوا حياتهم عليها ، وإشادة
بالمجهود البشري الذي قدموه لخدمة الإنسانية
وإنارة طريقها في الحياة .
ولا شك أنه من حق هؤلاء الأفاضل علينا
أن نحتفل بهم ، وأن نعترف بمآثرهم ، ونشيد
بجهودهم . كما أنه من الخير لنا أن نذكر القيم
التي دعوا إليها في حياتهم ، وأن نعترف بالمثل

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على خاتم الأنبياء والمرسلين .
أما بعد :
فإنه لتقليد حميد أن يجتمع هذا الحشد من
العلماء والباحثين وأهل الثقافة والفكر
ليحتفلوا بالعالم المحقق والباحث الفذ العلامة
ابن خلدون ، وليحيوا ذكرى كفاحه المجيد ،
وخدمته لفروع المعرفة الإنسانية ، حتى كان
علما من أعلام الفكر العربي الأصيل ، ترنو
إليه الأبصار ويشيد بفضله العارفون .

صحيح . وهو في الوقت نفسه قد عرف للعرب قدرهم ، وأشاد بهم كأصحاب رسالة ودعوة ، وكلامه عن الأعراب البدو ذو مدلول علمي اجتماعي سليم ، ولكن يساء فهمه في بعض الأحيان ، ولولا مبادئ هذا الدين ما ساعدت البشرية بأمثال ابن خلدون وإخوانه من ساروا معه على الدرب فكانوا أئمة عصرهم وهداة قومهم وذخيرة الأجيال من بعدهم .

لأن العناية بابن خلدون وأمثاله من علماء الموسوعات ستعرف جيلنا المعاصر والأجيال القادمة أمجاد أسلافهم ، وتظهر لهم عظمة ما قدموه للإنسانية ، وما سبقوا به غيرهم من علم وفن ، وستعيد الثقة إلى نفوس أولئك الذين بهرتهم الحضارة الأجنبية ببريقها الأخاذ ، فراحوا يمجدون كل مستورد ، ويندفعون في تقبله دون روية أو تفكير ، حتى أصبحوا أسرى التقليد الأجنبي والإحساس بالتبعية له والسير في موكبه ، وقد لا يعرفون أن أوربا تبلذت على أسلافهم وأخذت عنهم أيام كانوا هم للشعلة المضيئة على الطريق ، والرواد الذين يأخذون بيد البشرية إلى الرشيد الإنساني .

كما أن العناية بابن خلدون وأمثاله من العلماء ستهيئ الفرصة للعقول والنفوس لأن تكون على بينة من أمرها ، فتعرف أن هناك أواصر للقرن قوية راسخة تتداعى هندها حدود الزمان والمكان ، وتتحطم أمام صلابتها

العلماء التي وقفوا حياتهم على خدمتها وأفنوا أعمارهم في إرساء قواعدها وتجلية حقائقها ، فإن لنا فيهم قدوة طيبة وأسوة حميدة تصل حاضرننا الناهض ومستقبلنا المأمول بماضينا المجيد .

ونحن إذ نحتفل اليوم بعالم من علماء العرب النابهين إنما نحتفل بأصالة تفكيره ، وسبقه في فروع المعرفة ، يظهر ذلك فيما دونه من علوم التاريخ والاجتماع ، وما تزخر به مقدمته من فصول ندى . هن عمق في الفهم ، وبسطة في العلم ، وقوة في التفكير . فقد كانت ابن خلدون رائدا من رواد المعرفة ، ذا فكر أصيل ينبثق من واقع حياته ، ويتأثر بحوادثها وينفعل بها ، ويتجاوب معها ثم يكون له بعد ذلك تحليل لأحداثها وحكم على واقعها وتخطيط لمستقبلها وله في كل ذلك رأي لم يسبق إليه ، وابتكار لم يعرف من قبله .

وابن خلدون واحد من أولئك الإعلام الذين تربوا في أحضان الإسلام وتعاليمه ، والذين كان لدعوتهم القوية أثرها الواضح في حياتهم العلمية والفكرية . فلاح التفكير الإسلامي والعربي واضحة جليلة فيما كتب ودون ونظراته الإنسانية الإسلامية الشاملة تتجلى في الطريقة التي تناول بها دراسة المجتمعات المختلفة : مجتمع العرب ومجتمع البربر ومجتمع الترك وغيرهم ، إذ هو في ذلك يصدر عن تفكير على تجريدي أصيل ، وفقه إسلامي إنساني

الاجداد ، فهم أحياء بمبادئهم وقيمهم يفوقون كثيراً من الأحياء بأشخاصهم وذواتهم .
ومن هنا كان الاحتفال بالأنبياء والعلماء والعظماء وسائر المصلحين احتفالاً بالمعاني الإنسانية وتمجيذاً للبشر السامية والمبادئ التي نادوا بها وعاشوا يجاهدون في سبيل تثبيتها فأرواحهم باقية بقاء مبادئهم ، خالدة خلود آثارهم .

وإن الأزهر إذ يشكر القائمين على أمر هذا المهرجان ، والذين أسهموا بمجهودهم في الدعوة إليه وللترتيب له ، إنما يعترف لهم بأنهم لفتوا الأنظار إلى هذا اللون من المعرفة ، وأتاحوا الفرصة للتعريف بهذا العالم الفذ وبما قدمه من تراث خالد وعمل مجيد ، وليست هذه العناية قاصرة على خدمة المعرفة وحدها وإنما هي كذلك عناية بالشعوب وتقوية الروابط التي تجمعهم ، وفيها تقريب للأفهام في سبيل خدمة الحق والعدل والسلام .
والأزهر إذ يحيي هذا المؤتمر إنما يحيي هذه الروابط وهذه الأواصر ويدعو إلى استمرار العناية بتاريخ علمائنا وعظماؤنا حتى تقوى العلاقات التي جمعت كلمة المسلمين ووحدت بينهم فيما مضى ، والتي هي كفيلة بأن تجمع كلمتهم وتوحد بينهم اليوم ، ليسكونوا كما وصفهم الله خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

الفوارق والفواصل التي أقامها المستعمر فيما مضى ، وأرساها يوم أن كان له بيننا أثر ونهي ، رسطوة واستبداد ، ثم هو يحاول حتى الآن أن يجعل لها أثراً في حياتنا ومستقبل أبنائنا وأحفادنا ، وأنى له ذلك وقد استنار طريقنا ، وعرفنا أمجادنا ، ونفضنا غبار النسيان عن تراثنا ، واستبان لنا قوة الروابط التي تجمع بيننا .

إن المجتمع الإسلامي كانت نواته الأمة العربية التي حملت الرسالة واطلقت بها شرقاً وغرباً تبشر بمبادئها وترسي قواعدها ، وتجعل لهذه المبادئ واقعاً حياً يتمثل في المعاملة والسلوك والعلاقات بين الأفراد والجماعات التي تقوم على أساس من المحبة والبر ورعاية الحقوق . وبذلك كانت الرسالة والعمل في حقلها هو الرباط الأول الذي وحد كلمة المؤمنين ، وحملهم مسئولية التعريف بهذا الدين ، ثم كانت اللغة العربية هي الرباط الثاني لأنها لغة الذين حملوا الرسالة ولأنها لغة القرآن والإسلام .

أيها السادة :

إن احتفالنا بابن خلدون وأمثاله من العلماء الأعلام الذين قدموا للإنسانية خير ما تعز به من نتائج أفكارهم وثمار جهودهم ليس احتفالاً بأناس طويت صفحاتهم ومضت أزمانهم وإنما هو احتفال بالمبادئ والأفكار التي ما زالت تنبض بالحياة وتصل أعمال هؤلاء

الإسلام والتكافل الاجتماعي

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

١ - تعريف :

التكافل الاجتماعي هو إيمان الأفراد بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، فإذا أساء كانت إساءته على نفسه وعلى أخيه ، وإذا ما أحسن كان إحسانه لنفسه ولأخيه .

وهو أول عناصر الحياة الطيبة للمجتمعات ، عليه تتوقف حياتها ، وبه تكون هزيمة كريمة ، متمتعة بهيبتها ، قائمة بواجبها .

٢ - الإسلام والمجتمع :

والإسلام ليس ديناً روحياً بحتاً ، كما يخطئ في تصويره وفهمه بعض الناس ، فيكون خاصاً بالعلاقة بين العبد وربّه ، ولا شأن له بتنظيم شؤون الجماعة وبناء حياتها ، ولكنه دين شامل ، يقرر :

أولاً : صلة الإنسان وربّه .

ثانياً : أصول التنظيم للعلاقة البشرية وللشؤون العامة التي تتوقف عليها سعادة المجتمع .

وفي سبيل استجابة الناس لهذا التنظيم حرص الإسلام على أن يكون توجههم إليه منبعثاً عن خفيّتهم لوضعه ، واستشعارهم لعظمته ، ويقينهم أنه يعلم سر الإنسان وعلائحته ، وذلك لكي تستقر في النفوس مبادئ الرحمة والمحبة والتعاون وتبادل المنافع وتوحيد الشعور والإحساس ، ويرى الفرد في نفسه لبنة من لبنات المجتمع ، فيبذل من نفسه ومن حيازته ما يحقق جزئيته للمجتمع .

٣ - التآكل الاجتماعي بين المسلمين

ومراده :

وأفراد المجتمع الإنساني ليسوا وحدات يمكن أن تستقل بعضها عن بعض ، وإنما هم ، بطبيعة وجودهم في هذه الحياة وظروف معيشتهم فيها ، وحدات تتبادل المنافع ، وتعاون على قضاء المصالح .

غير أن الإسلام لم يكتف — بالنسبة للعلاقات بين أفراد المجتمع الإنساني — بما تمليه طبيعة الحياة وظروف المعيشة ، ولكنه شد أزر الطبيعة الاجتماعية بما يقومها من

(أ) فيها اصطلاح المتخاصمون ، وائتلاف المتفرقون ، ونسيت العداوات ، وتبديل العفو والصفح ، وأصبح المرء بعد تفيثه ظلها يجلس - آمنا مطمئنا فى ملاء أو خلوة - مع قاتل أبيه أو أخيه ، لا يحشى انتقاما ولا يتوقع أذى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ، « فإن تابوا وأقاموا للصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » .

(ب) وبها نسى المسلم - بأخيه المسلم - قبيلته ، وخرج على عشيرته وغاصم أباه ، وقاتل أخاه .

(ج) وبها فقدت الأخوة النسبية آثارها ، من ولاية وتوارث ، إذا تجردت عن الأخوة الدينية .

(د) وبها صار المجتمع الإسلامى ، بالعقيدة والإيمان ، ذا جهاز واحد ، يتقاسم الفرح والحزن ، والقدرة والألم ، والسعادة والشقاء ، والرحمة والعطف والإرشاد والمعونة ، مهما تنامت الديار وتباينت الألسن واللغات .

وذلك كله هو ما صار حقيقة واقعة فى المجتمع الإسلامى الأول بالمدينة المنورة ، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها ... لقد أصبح المهاجرون والأنصار بعد أخوتهم الدينية ، بما تكافلوا اجتماعيا ، المثل الأواحد - الباقى على الزمن دون تكرار فى أى مجتمع

الانحراف ، وبمحبتها من الانحلال ، نتيجة للعوامل النفسية ، والزوات الشخصية التى كثيرا ما تخرج بالناس عن حدة الاعتدال اللازم لهدوئهم وسعادتهم وأمنهم واستقرارهم .

ومن هنا حرص الإسلام على أن يربط بين أفراد الناس برابط قلبى يوحد بينهم فى الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ، ولحنتها الصالح العام ، وهدفها السعادة فى الدنيا والآخرة ... وهذا الرابط هو رابط الإيمان والعقيدة المتصلة بمبدأ الخير ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وقد اتخذ الإسلام عنوانا لهذا الرابط « الأخوة الدينية » بين المسلمين .

« والأخوة » هى أصدق تعبير عن الحقوق والواجبات الاجتماعية . وهى أقوى ما يبعث فى النفوس معانى التراحم والتعاطف والتعاون وتبادل الشعور والإحساس مما يحققه للمجتمع المثالية التى تخلص به للخير ، وتبعد به عن الشر .

قرر الإسلام هذه « الأخوة » بين المسلمين فقال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم » . وقد سما الإسلام بالأخوة الدينية عن مركز الأخوة النسبية ؛

ولأننا قرر قبلها لكل مواطن حقوقاً خمسة لا تتم كرامة الإنسان وسعادته بفقدان واحد منها ، ثم عاد فنظر إلى الذين تحول ظروفهم في الحياة بينهم وبين تمتعهم بها ، فاعتبر المجتمع هو المسئول عن تحقيقها لهم .

ومن هنا انبثقت فكرة التكافل الاجتماعي في الإسلام بمعناه الشامل الكامل ، فالإسلام حين ينادى بفكرة التكافل الاجتماعي لا يجعله قاصراً على المطالب الغذائية أو السكنية أو الكسائية وما أشبه ، بل يجعله شاملاً لتلك الحقوق الخمسة ، وهي حق الإنسان في :

- ١ - حفظ دينه .
- ٢ - وحفظ نفسه .
- ٣ - وحفظ نسله .
- ٤ - وحفظ ماله .
- ٥ - وحفظ عقله .

وبذلك جاءت فكرته عن التكافل الاجتماعي شاملة لكل نواحي الحياة المادية والمعنوية .

٥ - أنواع التكافل الاجتماعي

في الإسلام ووسائل تحقيقها :

والتكافل الاجتماعي في الإسلام أنواع كثيرة ، حتم الإسلام ضرورة تحقيقها في مجالاتها جميعاً ، وهي :

إنساني آخر - للتعاون والتآزر والتكافل الاجتماعي الشامل الكامل .

شعار واحد : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

وشعور واحد : « مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحي والسهر » .

ودعاء واحد : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

لقد بلغ المسلمون ، في هذا المجتمع الإسلامي - بالنسبة لتكافلهم الاجتماعي - حداً فريداً خلده الله لهم في كتابه العزيز بقوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

٤ - أصول التكافل الاجتماعي

في الإسلام :

وإذا كان العالم في عصره الحديث ينادى بالتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، فإنه قصره على تحقيق المطالب المعيشية فقط للفئات المحرومة من الغذاء والكساء والسكن وما إليه . بيد أن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقيقة وحدها ، منذ أربعة عشر قرناً ،

(ز) التكافل الاقتصادي : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، ، ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما . »

(ح) التكافل الأخلاقي : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . »

(ط) التكافل الحضاري : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، . »

(ي) التكافل المعيشي : وهو ما يطلق عليه في المجتمع الحديث ، خطأ ، التكافل الاجتماعي .

٦ - تشريعات التكافل المعيشي

في الأسر :

وقد جاء الإسلام بتشريعات لتحقيق المعيشة الكريمة للفئات المحتاجة وتلك التشريعات تنقسم إلى قسمين :

(١) التكافل الأدبي : « أحب للناس ما تحب لنفسك . »

(ب) التكافل العلمي : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحووا وينوء ، « من كتم علما ألجته الله بلجام من نار يوم القيامة . »

(ج) التكافل السياسي : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم . »

(د) التكافل الدفاعي : « انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله . »

(هـ) التكافل الجنائي : « لا يطل دم في الإسلام ، أى لا يذهب هدرا ، وإنما يجازى عليه إما بالقصاص : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل ، وإما بأخذ الدية ، عقلا أو قسامة أو من بيت المال : « فدية مسلمة إلى أهله . »

(و) التكافل الكفائي : وبجمله التشريعات التي تبين فروض الكفاية . ويقابله التكافل العيني : وبجمله التشريعات المتعلقة بالفروض للميضية كالصلاة والصوم .

حتى ظننت أنه سيورثه ، ، د ما آمن بي من
بات شعبان وجاره إلى جانبه طاور .

(٣) تشريع الماعون : د ويل للصليين ،
الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم
يراءون ، ويمنعون الماعون ، .

(٤) تشريع المشاركة : وذلك عند ما يحين
قوت المواسم الزراعية : دكلوا من ثمره
إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ، وكذلك
عند تقسيم التركة بين الوارثين د وإذا حضر
القسمه أولو القربى واليتامى والمساكين
قارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولاً معروفاً .

(٥) تشريع الضيافة : (من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ جائزته
يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما بعد
ذلك صدقة ، ولا يحل له أن يشوى عنده
حتى يجرجه) .

(٦) تشريع الإهفاف : د وانكحوا
الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم ،
وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من
فضله ، ، د وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً
حتى يغنيهم الله من فضله ، ، د ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء ، إن أردن تحصناً ، لتبتغوا
عرض الحياة الدنيا .

وهناك تشريعات أخرى للتكافل المعيشي
في الحالات للطائرة والنادرة ، ومنها :

(١) منها ما ينص على الفئات التي تستحق
هذا التكافل وعلى أحكامها .

(ب) ومنها تشريعات تعين الموارد المالية
التي توفر تحقيق التكافل المعيشي لكل هذه
الفئات .

والفئات التي تستحق التكافل الاجتماعي
نوعان :

(١) فئات يتميز أكثرها بالعجز والفاقة ،
وقد وضعت لها التشريعات التي تبين أحكامها
وهي : تشريعات الفقراء ، والمساكين ،
والمرضى ، والمكفوفين ، والمقعدين ،
والشيوخ ، والمشردين ، واللقطاء ، واليتامى ،
والأسرى .

(ب) وفئات قد لا تنصف بالفقر ولا
بالعجز ، ولكنها تحتاج إلى المساعدات
المالية وغيرها ، ونذكر من تشريعاتها :

(١) تشريع المساعدة : وهو يشمل المدين ،
والغارم ، ولليتامى ، والقائل خطأ ، والمتهقطع
في بلد غير بلده ويسمى : د ابن السبيل ، .

(٢) تشريع الجوار : د واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ،
وبنى القربى ، واليتامى والمساكين ، والجار
ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب
بالجنب ... ، د ما زال جبريل يوصيني بالجوار

تنفيذها — وإلا ظلت نظرية بحتة — فقه سن الإسلام التشريعات المالية اللازمة للتنفيذ، باعتبارها جزءاً من تشريعات التكافل الاجتماعى ، وهى :

(١) تشريع الزكاة : وهى تؤخذ ، بنسبة محدودة ، من للتقدين (الذهب والفضة) ، وعروض التجارة ، والزروع والثمار وكل ما يستنبت من الأرض . وتصرف لفئات معينة لا على أنها إحسان ومنة بل على أنها فريضة من الله ، تؤخذ منهم بالقوة ويحاربون عليها إذا امتنعوا عنها ، حقاً لتلك الفئات التى عينها الله بقوله : « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل — فريضة من الله ... » ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم .

(٢) تشريع الوقف : ذرياً كان أو خيرياً .
(٣) تشريع النفقات : « لينفق ذو سعة من سعته ، .

(٤) تشريع الوصية : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن ترك خيراً ، الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ؛ حقاً على المحسنين ، .

(٥) تشريع الغنائم : « وأهلوا إنما غنمتم من شئ . فإن لله خمسة وللرسول

(١) تشريعات الإسعاف : فى حالات الجوع والعطش المهلكة ، أى رجل مات ضيقاً بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله ، ، وكذلك فى حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والزلازل والحرائق : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، .

(٢) تشريعات التطوير : « كحالات تعرض البلاد لهجوم عدو : « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، وكحالات الفتن الداخلية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، .

(٣) تشريعات الإعانات العائلية : كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد ، فقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه فى قسمه من يومه فأعطى الأهل حظين وأعطى الأعزب حظاً واحداً ، وكان عمر رضى الله عنه يفرض لكل مولود عطاء يزداد إلى عطاء أبيه (مائة درهم) كلما نما الولد زاد العطاء . ولما كانت هذه التشريعات لتقى وضعها

الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعى بين المواطنين تستلزم موارد مالية ، لضمان

٧ - التضامن الاجتماعي بين

المسلمين وعاماته :

والتضامن الاجتماعي بين المسلمين يقوم على دعامتين ، إحداهما التضامن الأدبي والآخرى التضامن المادى، أما التضامن الأدبي فتحققه قوتان ، قوة تعرف الخير والفضيلة وتدعو لإليهما بصدق وإخلاص : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وقوة تستمع وتتقبل بقلوب مطمئنة وصدر منشرح وألسنة شاكرة وجوارح عاملة : « فبشر هباده ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

وبتفاعل القوتين تقوى روح التعاون الجماعية بين أفراد المجتمع الإسلامى .

أما التضامن المادى فأساسه سد حاجة المجتمع ، وتفريج كرب المكروبين ، والمعونة فى تحقيق المصالح العامة التى تنهض بحياة الجماعة ويعم خيرها الأفراد على حد سواء . وليس من ريب فى أن كل ما توقف عليه الحياة ، فى أصلها وكما لها وسعادتها وهزها ، من علم وصحة وعزة وكرامة واتساع عمران وسلطان وقوة - لا سبيل إليه بدون المال .

ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... » .

(٦) تشريع الركا : « فى الركا الخمس »
والركا كل ما عثر عليه فى باطن الأرض جامدا كان أم مائنا ؛ كالبتول ... الخ .

(٧) تشريع النذور : « وليوفوا نذورهم » .

(٨) تشريع الكفارات عن الذنوب ،
والإيمان والظهار ، ومخالفات الحج والصوم .

(٩) تشريع الأضاحى : « يا أيها الناس :
على أهل كل بيت ، فى كل عام ، أضحية » .

(١٠) تشريع صدقة الفطر : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، من المسلمين » .

(١١) تشريعات الخزانة العامة : بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، وخمس غنائم ، وركا ، وخراج أرض ، وجزية رءوس ، وتركه من لا وارث له .

(١٢) تشريع الكفاية : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يمس فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء ، إذا جاعوا أو عروا ، إلا بما يصنع أغنيائهم ، ألا وأن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما » .

وتحصيل المال يكون من طريق الزراعة والصناعة والتجارة ، نظرا لأن حاجة المجتمع المادية تتوقف على ثلاثها كلها ، فكما يحتاج إلى الزراعة في الحصول على المواد الغذائية ، التى تنبتها الأرض ، يحتاج أيضا إلى الصناعات المختلفة فى شئون الإنسان المتعددة ، من ملابس ، ومساكن ، وآلات زراعية ، وتنظيم طرق ، وحفر أنهار ، ومد سكك حديدية ، وأخيرا فى حفظ كيان الدولة والدفاع عنها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالصناعات . . . وفى الوقت نفسه يحتاج إلى تبادل الأعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الأقاليم التى ليست فيها زراعة ولا صناعة .

وإذن فلا بد من الاحتفاظ بالزراعة والصناعة والتجارة ، على مستوى يحقق الغاية من كل منها .

ومن هنا قرر علماء الإسلام أن كل مالا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده فرض كفاية ، ومعنى ذلك أنه إذا لم يتحقق فى الأمة أئمت الأمة كلها ، بحيث لا يرتفع عنها هذا الأثم إلا إذا قامت بكل نوع منها طائفة من الأمة .

وليس من ريب فى أن أساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق المبدأ الإسلامى الذى يوجبه الإسلام على أهله ، وهو مبدأ

٨ - موقف الإسلام من الأموال :

وقد نظر الإسلام إلى المال نظرة واقعية أساسها هذه الناحية الحيوية فى تحقيق حاجات الناس وضرورياتهم وكلياتهم ، وقد رفع الإسلام من شأنه فوصفه بأنه « زينة الحياة الدنيا » ووصفه أيضا بأنه قوام الناس . ومن المعلوم أن قوام الشيء ما به يحفظ ويستقيم .

٩ - المال وسيلة للخير فهو يحصل

إلا من طريق الخير :

والمال ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحاجات ، فمن استعمله فى هذا السبيل كان المال خيرا له وللجتمع ومن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورث صاحبها المهالك وتفتح على الناس أبواب الفساد . . . وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . . . ولهذا ، والله أعلم ، عبر القرآن عن المال بالخير .

وهذا ولا شك تنبيه إلى وجوب الحصول على المال من طريق الخير حتى يصلح لإنفاقه فى سبيل الخير ، وكذلك على وجوب تحصيل الخير من طريق المال حتى يظل للبال وصف الوسيلة لا مكانة الغاية .

وإذا كان من قضايا العقل والدين أن
« ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » ،
وكانت عزة الجماعة الإسلامية أول ما يوجبه
الإسلام على أهله ، وكانت متوقفة على هذه
العمد الثلاثة — كانت هذه العمد الثلاثة
واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذي يحقق
خيرها واجبا .

ومن هنا كان على ولي الأمر في الجماعة
الإسلامية ، المهيمن على مصالحها وتوجيهها ،
أن يعمل جهده بما يحقق للأمة الانتفاع بها
كلها ، وأن يعمل على تنسيقها ، بحيث
لا يترك الأموال تتجه إلى تركيز عنصر واحد
منها دون سواه ، ولا عليه ، في سبيل ذلك ،
أن يحول بعضا من الأراضي الزراعية ،
مثلا ، إلى رؤوس أموال تجارية أو شركات
صناعية على حسب حاجة البلاد المبنية على
تحديد مصالحها ، ويتم بذلك تنسيقها على
الوجه الذي يجعلها غنية بنفسها عن غيرها ،
فلا يجد الأجنبي بابا للتدخل في شئونها
إلا بمقدار ما يحتاجه هو إليها من طريق
التبادل العام الذي يقع بين الدول ، بعضها
مع بعض .

وهذا نوع من التنظيم فيما ينفع البلاد ،
ويقهرها من تدخل الأجنبي .

وليس هذا التنسيق من باب تقييد الحرية
في الملكية ، وإنما هو توجيه تستدعيه حاجة

استقلال الجماعة الإسلامية في تحقيق ما تحتاج
إليه من الضروريات والحاجيات فيما بينها
وبين أبنائها .

وبذلك لا تجد الأمم الأخر ذات الصناعات
والتجارات سبيلا إلى التدخل في شئونها ،
وتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها
وتقاليدها وخيرات بلادها : إذ كثيرا
ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدولة
الأجنبية في إدارة البلاد وتنظيمها ، وأخيرا
احتلالها واستغلالها خامات البلاد في الصناعات
والتجارات .

١٠ — واجب ولي الأمر بالنسبة

لتنظيم طرق تحصيل الأموال وتنسيقها :

ولاشك أن الزراعة والتجارة والصناعة ،
هي عمدة الاقتصاد القوي لكل أمة تريد أن
تحيا حياة استقلالية رشيدة عزيزة ، ومن
الضروري العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق
للأمة هدفها الذي يوجبه الإسلام عليها ،
والذي يجب أن تحصل عليه ، وتحفظ به ،
وتنميه ، صونا لكيانها واستقلالها في
سلطانها وإدارتها . وقد أوشدنا تاريخ
الاستعمار إلى أن أهم أسبابه ، وأول
نافذة يتسلل منها ، إلى الأمة ، تياره السكريه
وربحه الثقيل هو نقص الأجهزة التي تحقق
للأمة كفايتها من هذه العمد الثلاثة .

١١ - المال وظيفة اجتماعية والفقر

مرض اجتماعي :

ولما كان المال مال الله ، يشره لعباده ، ليعمروا به الكون ، فقد أضافه إلى نفسه تارة ، فقال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، وأضافه إلى المجتمع تارة أخرى ، فقال جل شأنه : « ولا توتوا السفهاء أموالكم ، وفي الوقت نفسه أوضح أن الحائزين له مستخلفين عنه في حفظه وتنميته وإنفاقه على النحو الذي بينه لهم ، فقال سبحانه : « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، « وقد سخر الله المال للناس جميعا على قدم المساواة : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه .

فإذا كان المال مال الله ، وكان للناس جميعا عباد الله ، وكانت الحياة التي يعملون فيها ، ويعمرونها بمال الله ، هي أيضا لله ، كان من الضروري أن يكون المال ، وإن ربط باسم شخص معين ، لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع ، وينتفع به الجميع « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ،

وتحقيقا لانتفاع الجميع بالمال ، وتطهيرا للنفوس من بواعث الأثرة فيها - حارب الإسلام في الحائزين للمال والقائمين عليه ، خلق الشح الذي يمنع من البذل الواجب « إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم

البلاد ، ويمكنها من حريتها الحقبة للكمالة ، وهو بهذا الاعتبار واجب على ولي الأمر ، بحيث إذا قصر فيه وأهمله كان آثما وكانت أمته معه آثمة ، وإذا ما قام به ووفر به مصالح البلاد واستقلالها ، وعارفته الأمة ، كان سائرا بها في طريق الخير والسعادة ، وكانت معه في مكانة الأمن والطمأنينة .

وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « حمى أرضا بالمدينة يقال لها : (النقيع) ارعى عليها خيل المسلمين ، - (وحى عمر أيضا أرضا بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، فجاء أهلها يقولون : يا أمير المؤمنين ، إنها بلادنا ، قاتلنا عليها في الجاهلية ، وأسلمنا عليها في الإسلام ، علام تحميها ؟ فأطرق عمر ثم قال : المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حمى من الأرض شبرا في شبر) .

« والحى ، هو تخصيص جزء من الأرض ليكون مرعى عاما لا يملكه أحد ، بل ينتفع به عموم الشعب .

ومن هنا أجمع الفقهاء على أن لولى الأمر أن ينتزع أية ملكية لتوسيع المسجد مع أن الأرض كلها مسجد ، كما أن له ذلك لتوسيع شارع أو غيره من المصالح العامة التي يدخل فيها ، بدون شك ، لإتاحة فرصة الحياة للكرامة للأفراد والجماعة على حد سواء .

وتيسير المنافع لهم - كان واجب الإنسان أن يسعى ، ليكسب ويحصل على المال ، ولا عذر لأحد في ترك العمل بحجة أن الله قد كتب عليه الفقر ، أو أنه غير محظوظ ، وما إلى ذلك من نملات ضعاف النفوس والههم ، فالفقر ، في الأصل ، مرض اجتماعي ، يرجع إلى أحد أمرين :

(١) إما الكسل والخمول ، وهو ما لا يقره الإسلام .

(ب) وإما العجز أو فقدان وسائل العمل ، ومثل هذا الفقر لا حيلة للإنسان في دفعه ، وهو الذي وضع له الإسلام من تشريعات التكافل المعيشي ما يدفع بؤسه ويحفظ للفقر كرامته .

١٢ - كراهية الاستمرار في تكديس

الأموال في أبقر قبيل:

والإسلام يكره تكديس الأموال في أيدي قليلة في المجتمع ، فهي عن كثره ونوعه على ذلك بأشد أنواع العقاب : : والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون ، .

وأمر بإعطاء الفقراء نصيباً من مال الغنائم :

بالشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا . وأمرهم بالفجور ففجروا ، ، انتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم ، ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، .

كما حارب الشفه الذي يودي بالمال في غير وجهه النفع : إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، ، ولا توتوا السفهاء أموالكم ، . وحارب الترف الذي يخلق الحقد بين الطبقات ، بما يتهدد حياة الأمن والاستقرار ، فضلاء عما يشيعه في المجتمع من معاني الفساد والانحلال : : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً ، ، وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا ، وارجعوا إلى ما أنزقم فيه ... الآية ، - وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، في سموم ، وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، .

وأمر بالاعتدال في الإتفاق فقال : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً ، .

على أنه إذا كانت خيرات الأرض للناس جميعاً ، وكان المال وسيلة إلى خير الناس ،

وكان بين ذلك قواما ، كما جعل عدم الاتفاق من أسباب سلوك الكافرين فى النار . ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين .

وشدد فى ذلك حتى جعل عدم الحض على الاتفاق - بالنسبة لغير القادرين عليه - من التكذيب بالدين . أرأيت الذى يكذب بالدين ؟ فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين .

فها تمة :

أما بعد ، فذلك لمحة موجزة قدمتها عن تنظيم الإسلام للعلاقات البشرية من ناحية التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ، وهى ، فى تفاصيلها ، تحوى أسسا ثابتة ، وقواعد متينة ، لبناء أمتنا ، صرحا شامخا ، يسعه كل من يلوذ به أو ينتمى إليه ... كما أنها ، فى مجموعها ، بيان واضح لاشتراكية الإسلام لمن أرادها ، فهل يجسد الناس فيها وراء ذلك اشتراكية أعم وأشمل وأنفع وأعمق من هذه الاشتراكية التى شرعها الإسلام ، وهى تقوم على أساس من الإيمان والعقيدة - وما كان كذلك فهو دائم بدوام الإيمان والعقيدة ؟

وقفنا الله وإياكم لما فيه خير أمتنا وديننا .

محمود سلستوت

د كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، ومن هنا أبقي عمر رضى الله عنه أرض العراق والشام فى أيدي المغلوبين ولم يقسمها بين الفاتحين حتى لا يصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة الواحدة ، فى مستقبل الأيام لأى سبب من الأسباب .

١٣ - الإغراء بالانفاق فى سبيل الله : وقد رسم الإسلام طريق الحياة القويمة للمجتمع المثالى الفاضل وأقامه على مبدأ من التضامن الاجتماعى الذى تحب به الأمة ويقوى به المجتمع .

وفى سبيل ذلك استل من نفوس المالكين ، وأرباب الأموال ، خلال الشح والإسراف والترف ، ثم استعمل كل الأساليب للترغيب فى البذل ، والترهيب من البخل وإهمال حق الفقير والمجتمع ، حتى لقد رفع الإنفاق إلى مرتبة الإيمان . أآسم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للبتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وما رزقهم ينفقون ، ، وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله .

وجعل الاعتدال فى إنفاقه من صفات عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ... والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ،

التعريف والعدد في اللغة العربية واللغات الأوربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

قدر درجتها من التعريف والتفكير ، وليس الأمر كذلك في المعارف والتفكير التي ترد في اللغات الأخرى ، لأن الجواز فيها أغلب من القاعدة المطردة . علامة التعريف أحيانا تبقى مع الكلمة بعد زوال الحاجة إليها . فالضائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول

والاعلام موجودة في جميع لغات الحضارة . ولكننا - في اللغة العربية - توجد بميزة حيث يحتاج الأمر إلى التمييز وبمقدار الحاجة إليه ، وكثيراً ما تأتي جزافاً في غيرها من اللغات .

إن ضمير المتكلم لا يحتاج إلى تمييز بين المذكر والمؤنث ، لأن إشارة المتكلم إلى نفسه كافية للتعريف بمجنسه ، ولكن ضمير المخاطب يحتاج إلى التمييز كما ميزته اللغة العربية فتقول للرجل أنت كتبت بفتح اللام ، وتقول للمرأة أنت كتبت بكسرهما ، ويلحق بهذا تمييز الفعل مع الجمع المخاطب حيث تقول للرجال أنتم تكتبون ، وتقول للنساء أنن تكتبن ، فإن الضائر هنا معارف حقيقية لا يلحقها الإبهام والتفكير ، ولكننا في اللغات الأخرى لا تطرد هذا الاضطراب ولا يزول

الدلالة على قوام اللغة ووظيفتها ومقياس كفايتها وارتقاها ، عند المقارنة بين اللغات . ولهذا كانت عوامل التعريف والتفكير وأدواتها في مقدمة المقاييس التي تعرف بها درجة اللغة من الكسافية والارتقاء ، لأن التعريف والدلالة عمل واحد .

وهذا المقياس تعتبر اللغة العربية في المنزلة الأولى بين لغات الحضارة ، إذ لا توجد بين جميع هذه اللغات لغة واحدة تبلغ مبلغها ، فضلاً عن التفوق عليها ، في دقة التمييز بين مواضع التعريف ومواضع التفكير على حسب معانيها .

فالمعرفات في لغات الحضارة تنقسم إلى قسمين : قسم يتحقق له التعريف بحكم وضعه وبغير حاجة إلى أداة تزداد عليه أو نسبة تربطه بكلمة أخرى .

والقسم الآخر من المعرفات يتحقق له التعريف بأداة أو علامة أو نسبة بينه وبين كلمة أخرى .

وقد توجد هذه المعرفات بقسميها في جميع اللغات الرفيعة ، ولكننا في اللغة العربية تطرد على قاعدة تلازمها ملازمة معناها وهي

حين يدل على شخص يسمى «عليًا» ، ولكنه لا يسمى «حسنًا» ، ولا «محمداً» ، ولا «محموداً» ، من سائر الأسماء المتفرقة ، ولكن التشكير لا يفارقه إذا كان هناك ألف لإنسان بهذا الاسم وكان هناك ألف عليين يميزين من ألف حسنين ومحمدين ومحمودين .

ويجب أن نفهم أن هذا من عمل القاعدة وليس من عمل المصادفة ، لأنه مطرد فيما يقابل هذه الحالة أو يناقضها ، فإن كلمة «رجل» نكرة تحتاج إلى تنوين التشكير ، ولكن هذا التنوين يرافقها إذا قلنا «بارجل» ، وعيننا به إنساناً مقصوداً لا محل عند النداء ، عليه الإبهام .

وقد توسع هنا بعض التوسع فنقول إن اسم التفضيل يستغنى عن علامة التشكير ، أو يمنع من الصرف ، لأنه لا محل للباس والإبهام مع اختيار شيء مقصود يفضل على سائر الأشياء ، ويقاس عليه ما يأتي على وزن «أفعل» ، من الأعلام ... لأن له من صيغة التفضيل تعريفاً فوق تعريف .

ويدل على الجزاف في التعريفات الأجنبية أن التعريف بالألف واللام عندهم يبقى مع التعريف بالإضافة ، فيقال عندهم كتاب محمد كما يقال (الكتاب محمد) على الإضافة ، وهو ما يقابل عندنا «كتاب يملكه محمد» ، والكتاب يملكه محمد» ، وإنهما في الدلالة العربية لشيئان مختلفان .

وقد وجدت في أكثر اللغات الأجنبية

عنها اللبس والإبهام في كثير من الحالات إذ يتسارى المخاطب في الجمع والافراد وفي التذكير والتأنيث ، ويحدث هذا في الضمائر التي تلحق بالفعل فيقال عندهم أنتم تكتب ، كما يقال أنت تكتب ، مع التباس التذكير والتأنيث في كثير من المواضع على غير قياس . وما يقال عن الضمائر ، يقال على الإجمال عن أسماء الإشارة وأسماء الموصول .

أما الأعلام فهي في اللغة العربية غنية عن أداة التعريف ، لأن تمييز الاسم بالعلمية تعريف كاف ، ولكنها ليست كذلك في بعض لغات الحضارة . إذ يقال عندهم الفرنسي والألماني والانجليزي والإيطالي والأسباني والمصري إلى آخر هذه المسميات ، وإذا يلحق هذا بأسماء البلاد كما يلحق بأسماء الشعوب على خلاف المعهود في اللغة العربية .

وأدل الدلائل على التزام التعريف بقدر الحاجة إليه في اللغة العربية أن الأعلام الجغرافية التي تدخلها الألف واللام في اللغة العربية هي التي نفهم منها أنها أسماء أجيال من الناس وليس أسماء أماكن غير قابلة للالتباس ، فإن الهند والصين والروس مرادفة في مفهومنا للهنديين والصينيين والروسيين .

ومثل هذا في الدلالة على دقة التعريف على حسب لزومه أن أسماء الأعلام تستغنى عندنا عن أداة التعريف ولكنها كذلك لا تخلو من أداة التشكير الذي يلزمها بين العدد الكثير من أمثالها . فإن اسم (على) معرفة

Poet تلحق به علامة التأنيث ليدل على الشاعرة
Poetess ... وهكذا في سائر الأسماء مع
اختلاف العلامات .

ولننظر وقاماً لهذه السنة المطردة في جميع
اللغات إلى تميز العدد في اللغة العربية .

فإذا قيل (ثلاثة) بغير معدود فالمفهوم
أنهم ثلاثة من أسماء المذكر .

واللغة العربية قائمة على التمييز بين التذكير
والتأنيث فلا بد هنا من التمييز بالمغايرة على
سنة اللغات جميعاً حيث يقضى الأمر « بالمغايرة »
قصداً عند اختلاف الدلالة .

وقياساً على سنة المغايرة يجب أن يقال
ثلاث فساء إذا قيل ثلاثة رجال ، أو يجب
أن يكون عدد : (ثلاث أو أربع أو خمس
أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع أو عشر)
دالاً على معدود مؤنث عند حذف المعدود .
ويستقيم العدد بالإضافة من ثلاثة إلى عشرة
فيقال ثلاث رجال وعشر رجال .

ويستقيم المضاف إليه بصيغة الجمع لأنه
يدل على أفراد معدودين .

فإذا انتقلنا إلى المركب مع العشرة فالتمييز
هنا هو الإعراب الصحيح لاسم المعدود ،
وخمسة عشر رجلاً أو فـوق للعدد المركب من
خمسة عشر رجلاً .

ثم تنتقل إلى عشرين وثلاثين إلى التسعين
فتقابل بين قولنا (عشر رجلاً) على الإضافة
وقولنا (عشرون رجلاً) على التمييز فلا يتردد

علامات للتعريف ولم توجد عندهم علامات
مطردة للتذكير ، فكلمة كتاب A Book
باللغة الإنجليزية معناها « كتاب واحد » أي
أن التذكير هنا يستفاد من أنه (واحد من
كتب كثيرة) .

فإذا تسكعوا عن كتابين نسكرتين أو ثلاثة
كتب نسكرات فالعدد هنا هو كل ما عندهم
من علامات التذكير ، وذلك على خلاف الدلالة
على التذكير في اللغة العربية ، لأن للتذكير علامة
غير علامة العدد في المثني والجمع حين نذكر
كلمة « كتابين » ، أو نذكر كلمة « كتب »
مع التنوين أو ما ينوب عن التنوين .

وعلى ذكر العدد ينبغي أن نلاحظ أن التمييز
يلزمه في اللغة العربية على نحو لا يعمد في لغة
من اللغات ، وأن الذي يستعربه بعض
الأوربيين من أحكام العدد عندنا هو مزية
في لغتنا وقاعدة تتمشى مع التمييز الفسكرى
على أطراد وليست بالشذوذ الذي يجري
على السماع غير مفهوم ولا معقول .

إن أسماء العدد في لغتنا بعد المفرد والمثنى : ثلاثة
أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة ، ثم تأتي
الأسماء المركبة فالأسماء المضافة التي فيها الألف
والنون ، والأسماء المضافة بغير الألف والنون .

والأصول في الأسماء أنها توضع للبذكر
ثم تلحق بها علامة التأنيث ، وكذلك تجري
القواعد للعامة في جميع اللغات . فإذا قيل
في اللغة الإنجليزية (شاعر) فهو شاعر مذكر

عن خمسة أو ستة أو عشرة ، أو عن جمع
يميز من الإثنين .

واسكننا تنسكلم عن عدد يمثل الجنس حيث
نجاوز الأفراد المعدودين ، ويصح على هذا
أن نقول خمسمائة من رجل أى من جنس
الرجل ، كما يصح أن نقول خمسمائة رجل ،
ولاشك أن خمسمائة من رجل كافية للدلالة
النامة على المقصود فى هذا الموضع ، كما أن
فيها الغنى عن قولنا خمسمائة من رجال
أو خمسمائة من الرجال .

وتبين دقة المنطق ، ودقة الذوق معا ،
هند محاولة التغيير والتعديل مجازاة للانتقاد
أو الاعتراض الذى أشرنا إليه .

فإذا عمدنا إلى التغيير مجازاة لذلك
الاعتراض قلنا خمسة رجل أو خمسة من رجل
ثم قلنا خمسمائة رجال على الإضافة أو خمسمائة
من رجال بدلا من الإضافة ، أو قلنا خمسمائة
رجال على الصفة والموصوف .

ولمن شاء بعد هذا التغيير أن يقارن بين
ما ارتضاه منطق اللغة للعربية وذوقها وبين
ما يرتضيه لها المعترضون عليها من الغرباء
هنا أو المتعجلين من أبنائها ، فإن الناقد
المنصف لا يصر على اعتراضه بعد هذه المقارنة
فيما نعتقد ، فإن أصر عليها فحق اللغة العربية
فى المعنى مع منطقها وذوقها ، وفى الثبات على
قواعدها وأحكامها أصح وأصلح وأهدى .

عباسي محمود العقاد

صاحب الذوق اللغوى فى اختيار التمييز
وتفضيله على الإضافة ، وبخاصة حين تقترن
العشرون بما يزداد عليها من الآحاد ، فيقال
(خمسة وعشر ورجل) أو يقال : (خمسة
وعشرون رجلا) كما انتهى الذوق العربى ...
ولا سبيل إلى التردد فى إيثار التمييز وتفضيله
على الإضافة فى هذه الأعداد .

فإذا انتقلنا إلى المائة فالإضافة أيسر من التمييز
بلا خلاف ، وقوله القائل (مائة رجل) أيسر
من قوله (مائة رجلا) بتدوين المائة ، وقس على
ذلك مائتين رجلا وثلاث مائة رجلا وأربع
مائة رجلا ، مع التنوين فى كل هذه الأعداد .
ويأتى هنا اعتراض يلوح للوهلة الأولى أنه
اعتراض وجيه ولا وجهة فيه مع التأمل فيما
ينتمى إليه .

فقد سمعنا بعض النقاد الأوربيين يقولون :
كيف يقال خمسة رجال على صيغة الجمع ثم
يقال خمسمائة رجل على صيغة المفرد ؟ أليس
هذا من التناقض فى القياس ؟

ولكن المنطق فى روح اللغة أعمق من هذا
المنطق (السطحي) فى عقول نقادها من
الغرباء هنا أو المتعجلين من أبنائها .

فإن الكلام مع السكثرة إنما يكون عن
الجنس الذى يطلق عادة على العدد الكثير
كلما جاوز هذا العدد بضعة أفراد قليلين إلى
المئات والآلاف .

ونحن نتمكلم عن رجال أفراد عندما نتمكلم

القوى الشعبية

وكيف تعباً نحو الاشتراكية العربية

للأستاذ الدكتور محمد البهي

مدير جامعة الأزهر

- ٢ -

وحاول أجنبي أن يصيبها أو يتأمر عليها .

لا يكفي إذن أن تكون هناك صلاحية لقبول الاشتراكية العربية في أفراد الشعب ، ولا يكفي أيضا أن تكون هناك قوة عديدة لأفراد الشعب . وإنما يجب أن تكون هناك بجموار ذلك قوة إيمان : تدفع وتصد . تدفع في التصرف في الحياة بحيث يكون التصرف اشتراكيا عربيا ، وتصد عند الهجوم على هذه الاشتراكية بحيث يرد كيد المهاجم إلى نحره .

وإذن لابد من أن تكون هناك قوى أخرى لا نراها محسوسة ، وراء القوى الشعبية العددية ، هذه القوى التي تدفع أو يجب أن تدفع الاشتراكية كمفهوم إلى إيمان بها وتصرف طبق هذا الإيمان ... هذه القوى ربما نسميها : القوى الشعبية النوعية ، في مقابل القوى للشعبية العددية .

ولو فلتشنا عن هذه القوى الشعبية النوعية التي تحول مفهوم الاشتراكية العربية

القوى الشعبية النوعية :

الآن ، بعد هذا ، يمكن أن يكون جميع أفراد الشعب - عدا أولئك الذين استغلوا واستمرأوا استغلال الشعب في مصادر ثروته ، أو توجيهه السياسي ، أو توجيهه الفكري ، وحولوا قوته الأصلية فيه إلى ضعف ، أو عاونوا السيطرة الأجنبية عليه في صراعه معها ، فهؤلاء باستغلالهم أخذوا أكثر مما أعطوا ، أو أخذوا ولم يعطوا - عدا أولئك يكون جميع أفراد الشعب أهلا ، ولديهم صلاحية للاشتراكية العربية بهذا المعنى .

ولكن السؤال الذي يواجهنا في هذه اللحظة هو : كيف يكون أفراد الشعب - وهم الذين يكونون القوى العددية - اشتراكيين عربا ، في الواقع ، وفي السلوك ؟

كيف يتحول مفهوم الاشتراكية العربية إلى إيمان بها ، حتى يصبح هذا الإيمان مصدرا لتطبيقها في الحياة العملية ؟ وحتى يكون هذا الإيمان نفسه مصدرا للدفاع عنها لو قدر

تاريخ أمتنا ، فتلك الحاجة مركزة أولا وبالذات على تلك القيم التي تكون رسالة العرب ورسالة المسلمين ، وعلى مراحل الكفاح الطويلة والشاقة والمريرة أحيانا في سبيل إخلاء مكان لتلك القيم في الحياة البشرية .

والقرآن نفسه لا يصور قيم الرسالة الإسلامية فحسب ، بل بالإضافة إلى ذلك يعطى صورا عن الكفاح من أجلها ، وصور الكفاح هذه التي نراها في القرآن ، لم تكن من أجل كفاح قام وانتهى ، وإنما من أجل كفاح سيتكرر في أجيال البشرية ، لأن القيم التي تمثلها رسالة الإسلام هي قيم أريد للناس جميعا أن يسعوا لتحقيقها في حياتهم ، أو يقتربوا من نماذجها على الأقل في هذه الحياة . ومرة قد تصل البشرية إلى تحقيقها وترتفع إلى مستواها ، وأخرى قد تنحدر الإنسانية عن هذا المستوى . وفي هذه الحالة الثانية يجب على المجتمع الإنساني أن يكافح من أجل تلك القيم من جديد ، وتثبيتها في حياة الإنسان .

إذن هذه القيم هي قيم ثابتة ، وقيم مطلوب أن تبقى ، ومطلوب للبشرية أن ترتفع إلى مستواها . والذي يتغير هو موقف المجتمع من هذه القيم ، في محакتها وتطبيقها ، أو في البعد والتخلف عنها .

إلى إيمان بها لوجدنا أنها تتمثل في مصادر القوى الآتية :

(أ) في التاريخ

(ب) في الدين

(ج) في الفسکر .

(د) في التعبير .

هذه المصادر التي من شأنها أن توجه توجيهها سليما إن حسن وعيها وتطبيقها . والدور الإيجابي لقادة التوجيه للاشتراكية العربية هو استعراض قيم هذه المصادر ، والدفع بها في حياة مجتمعنا الجديد .

١ - في التاريخ :

ونقصد بالتاريخ تاريخ أمتنا العربية . والامة العربية في تاريخها هي الدعوة الإسلامية في قيامها وانتشارها ، فقد كان تاريخ العرب قبل الرسالة المحمدية هو تاريخ القبائل العربية وتاريخ الصراع والمنافسة الشديدة بينها ، على السيادة في شبه الجزيرة .

أما تاريخ العرب بعد الإسلام فهو تاريخ المثل والقيم التي جاء بها الإسلام ، والكفاح من أجل تثبيت هذه القيم في حياة العرب أنفسهم وفي حياة الإنسانية كلها .

ونحن في مجتمعنا العربي الجديد ، وهو المجتمع الاشتراكي العربي ، إذا كانت لنا حاجة — وهي موجودة فعلا — إلى استعادة

ولا في آية أخرى إلى طريقة تكوين هذه المجموعة التي يناط بها إعادة تصحيح الوضع في المجتمع . وأغلب الظن أنه لا يقصد أن تكون هذه المجموعة عن طريق انتخاب من أفراد المجتمع عندما ينحدر عن المستوى الرفيع لقيم الرسالة الإسلامية . لأن جمهرة الأفراد في هذا الوضع لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق الأحداث ويروا الخطوط العامة لإعادة تصحيح الوضع ولا أولئك الذين يتلبو في عقولهم هذه الخطوط، ويتمكن من قلوبهم الإيمان بالدعوة إليها ، وتحمل المشاق في سبيل تنفيذها . بل الأمر المقبول هو أن اختيارها من قبل الله سبحانه وتعالى - لا على معنى أنه اصطفاها وأرسلها وربطها بروح جديد ، وأمرها بتبليغها إلى الناس جميعا ، كما هو الشأن مع الرسل ، وإنما على معنى أن الله وهب هؤلاء الصفاء في طبيعتهم، وقذف بنور الإيمان في قلوبهم ، وبذلك جعلهم يرتفعون فوق أحداث المجتمع وأوضاعه ، ويتابعون هذه الأحداث وهذه الأوضاع إلى أن تتاح لهم الفرصة ليأخذوا أمر الدعوة إلى الخير ويتمكنوا بالفعل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما تطلب هذه الآية . وهم لا محالة بما لهم من إيمان القلب وصفاء الطبيعة سيصلون حتما إلى الغاية ، وهي إعادة تصحيح وضع المجتمع ،

والقرآن عند ما يقول في آية من آياته : « واتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » - يشير إلى ما يجب على البشرية إذا ما ابتعد المجتمع عن الأخذ بهذه القيم ، أو إذا ما وقع انحراف أو فساد في أوضاع المجتمع نفسه ، وما يجب على المجتمع عندئذ - تطبيقا لمطلوب هذه الآية - هو أن توجد مجموعة تنفعل نفوسها بالإيمان بهذه القيم ، ثم تعيد - بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - تصحيح الوضع أو الأوضاع التي انحرفت أو فسدت في المجتمع ذاته .

والإسلام بهذا يفرض على المسلمين - إذا ما انحط مجتمعهم عن مستوى قيم الرسالة الإسلامية - فرض كفاية ، أن يقوم بالفعل نفر منهم لمحاولة إعادة تصحيح الوضع . ولا يكون تصحيح وضع المجتمع إلا عن طريق امتلاك السلطة وأمر التوجيه فيه ، وليس خفص عن طريق البيان والتوضيح لمبادئ الرسالة الإسلامية . بل إن السلطة والتمسك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن تنفيذهما أمر ضروري في مفهوم إعادة تصحيح وضع المجتمع على نحو ما تدعو إليه هذه الآية .

ولم يشر القرآن الكريم في هذه الآية

أو تأمر من الذين كانوا يملكون زمام السلطة في المجتمع من قبل ، أو من أولئك الذين لا يؤمنون بالمثل التي يدعو إليها في الوضع الجديد ، وقد يصيب أصحاب الدعوة من تأمر هؤلاء أو أولئك أذى - أى أذى : د لتبطل في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أتوا للكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور .

ومع طرؤه هذه الأزمات في طريق الدعوة ، فإن النهاية الحتمية في هذا الطريق هو نصر أصحاب هذه الدعوة واستقرار الأمر لم في المجتمع ، واستقرار الوضع الجديد الذي قاموا من أجل تحقيقه . د اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً .

ومن استعراض التاريخ كمصدر توجيهي لامتنا العربية في كفاحها من أجل المثل العليا ، ومن أجل استقرار التوازن في المجتمع البشري - يمكن أن تعبأ القوى الشعبية العديدة نحو الإيمان بالاشتراكية العربية ، بما وقع فيه من أحداث من أجل الدعوة إلى المثل ، وما صاحبها من عقبات ، وما كان لها أخيراً من نصر ونجاح ، إذا فهمت هذه الأحداث فهماً منسجماً مع شأن الأوضاع البشرية التي تصاحب كل دعوة إلى الإيمان بمثل رفيعة .

وجعله متساوياً مع قيم الرسالة الإسلامية ، وفي ذلك كان إخبار هذه الآية في عجزها عن فلاحهم ونجاحهم بصورة مؤكدة في قول المولى جل شأنه : د وأولئك هم المفلحون .

والدور الذي سيقوم به أصحاب هذه الدعوة لا يختلف كثيراً عن الدور الذي قام به أصحاب الرسالات من الرسل - سواء : في الدعوة ، أو في الظروف والأحوال والمراحل التي تمر بها هذه الدعوة ، وهي ظروف الكشف وأوضاعه ومراحله وما يصاحبه مرة من أزمات وأخرى من نجاح ، ولا يتخلف ما هو مؤكد - رغم اختلاف هذه الظروف والأوضاع والمراحل - من أن العاقبة للمتقين ، وأن النصر لهم وحدهم ، مهما طال أمد هذه الظروف والأوضاع والمراحل ، ومهما شق الأمر وصعب .

ولهذا لا ينتظر أن يكون الطريق دائماً معبداً ، ولا أن يكون نور التفاؤل دائماً ساطعاً . بل الأمر جدد محتمل أن تكون هناك أزمات ، وأن تكون هذه الأزمات أزمات خوف وإرهاب ، أزمات جوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات د ولتبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، وقد تكون هذه الأزمات تدبير انقلاب

ب - في المدين :

وقد ذكرنا أن رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - وهي رسالة الإسلام - قد جاءت لتصحيح الوضع الاجتماعي بإبعاد الاستغلال عن طريق المال أو الشرف والجاه . وهذا يبدو جلياً من نظرة الإسلام إلى المال ، ومن نظره إلى الشرف والجاه .

فالمال الذي بأيدي الناس لا ينظر إليه الإسلام على أنه مال خاص يستمتع به مالكه وحده دون أن يكون لصاحب حاجة إليه نصيب فيه ، وإنما ينظر إليه على أنه معارف يده ، وأن وضع يده عليه وضع مؤقت ، وأنه وصى عليه يجب أن يحسن أمر الوصية في توجيهه . والمال أصلاً - في نظر الإسلام - ملك لله ، وحق شائع للجميع ، لأن ما لله هو خلقه في الأرض جميعاً .

ونظرة الإسلام هذه إلى المال توضحها آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « والذين في أموالهم حق معلوم ، للأسائل والمحروم » .

وإذا كان المال أصلاً لله ، فلا يحق لمن هو في يده أن يستغل به بشرتهم ، ويستعبد به نفوسهم ويربط عن طريقه مصائرهم بأمر نفسه . وفي ذلك يقول الله تعالى « ولأننا كلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى

والإسلام - برسائله وفي رسالته - لم يقصد إطلاقاً لإعادة الوضع الإنساني الكريم للمجتمع البشري ، بعد أن انحرفت فيه هذه الأوضاع باستغلال ، الثراء ، أو استغلال الشرف والجاه ، وبعد وضوح الفجوات بين أفرادها ، ليس في الغنى والفقير فقط ، ولأن الجاهل والمعرفة خسر ، وإنما في القدر الإنساني الذي يتمتع به الأفراد ، ويختلفون فيه اختلافاً بيناً إذ ذاك .

ثم بعد أن تعود الأوضاع في المجتمع إلى مستواها الإنساني الصحيح يدعو الإسلام فوق ذلك إلى الإيمان بحراستها والمحافظة عليها من التدهور مرة أخرى .

فإذا غلب المجتمع على أمر نفسه في حين ما ، ودفع عن طريق القهر والاستغلال والاحتكار مرة أخرى إلى الانحدار ، طالب الإسلام بالدعوة من جديد إلى تصحيح الوضع ، ثم إلى حراسته والمحافظة عليه .

وشأن الإسلام - إذن - شأن دائر دائماً بين إعادة تصحيح وضع المجتمع وتقليل الفجوات بين الأفراد في الاستمتاع بالحياة الإنسانية ، وبين المحافظة على هذه الأوضاع بعد تصحيحها عن طريق دفع الإيمان إلى التمسك بها .

مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحة ، أولئك أصحاب الميمنة .

وإذا رأينا أن وظيفة المال الأولى في الإسلام هي تحرير البشرية من الرق والاستعباد في أية صورة من صوره ، فربما هدف الإسلام من وراء ذلك أن يبقى الإنسان ذا سيادة بخصائصه ، بحريته وكرامته . لأن جعل الإنسان مسودا للبال عكس لسنة الله في خلقه . فقد خلقه ذا شأن على ما عدها من مخلوقات أخرى ؛ من بينها ثروة الأرض وما تأتي به من حصيله المال عند التبادل . فعندما يقول القرآن الكريم مخاطبا للناس : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، — يوقظ في العقل الإنساني أن البشرية سيادة في نفسها ، وأن ما عدها مسود لها .

وكذلك ليس الشرف ، أو الجاه بأمر ذاتي في نظر الإسلام بضيف إلى الطبيعة الإنسانية في أي إنسان قيمة يفضل بها طبيعة أخرى في أي إنسان آخر ، بل كل منهما أمر خارج عن ذاتية الإنسان لا دخل له في التقويم والاعتبار ، ولا دخل له في تقدم إنسان على آخر في الحياة ، ولا في الحصول دونه على ميزة من الميزات في المجتمع الذي يعيش فيه مع غيره . والإسلام — عندئذ

الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعملون ، . ويقول في آية أخرى : « إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ، . واليتامى ليسوا هم القصر وحدهم ، بل يستوى معهم ويأخذ حكمهم الضعفاء الذين لا يستطيعون مقاومة الاستغلال ، والذين لهم حق في الحياة لا يستطيعون استرداده أو المحافظة عليه لقوة الغلبة عليهم .

وربما كانت الوظيفة الأولى — في نظر الإسلام — للبال هي تحرير البشرية : تحرير الرقاب ، أفرادا ومجموعات . تحرير الرقاب من الأسر المادي ، ومن استرقاق الإنسان للإنسان ، ومن استعباد الإنسان للإنسان استعباداً مباشراً أو غير مباشر . ويدخل في صور الاستعباد : استعباد الجوع والخوف والجهل والمرض . ربما كانت الوظيفة الأولى للبال هي تمكين أفراد المجتمع من أن يكونوا متساوين في التمتع بمزايا الطبيعة البشرية . وأخص هذه المزايا : الحرية والكرامة . « لقد خلقنا الإنسان في كبد ، أيجب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلك ما لا لبد ، أيجب أن لم يره أحد ، ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديتاه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا

الجاه ، وليس هو صاحب الشرف ، وإنما هو المنتج ببشريته وبطاقاته الإنسانية . والمجتمع الإنساني هو مجتمع الإنتاج ، ومجتمع العمل . والإنتاج والعمل هما القدر المشترك الذي يجمع إذن بين أفراد المجتمع الإسلامي . والإنتاج البشري لا يكون ، حتماً ، إلا خدمات بشرية ، والخدمات البشرية يعود نفعها على من قام بها وأداها ، ويعود نفعها ، كذلك ، على من لم يتم بها ولم يؤدها . وإذا كان كل فرد في المجتمع الإسلامي هو منتج لإنتاجا بشريا ، فالفرد المسلم لمجموع الأفراد في المجتمع الإسلامي ، ومجموع أفراد المجتمع الإسلامي للفرد المسلم . وهنا كان المجتمع الإسلامي مجتمعا اشتراكيا . على معنى أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد ، وكانت اشتراكية الإسلام اشتراكية إنسانية ، لأن أساسها الإنتاج البشري ، وليس المال ولا عرض من العوارض التي لا تدخل في تقويم ذاتية الإنسان .

والمجتمع الإسلامي - عندئذ - ليس مجتمع توازن وعدل فحسب ؛ على معنى تساوي الطبائع البشرية في الأفراد أمام الإنتاج البشري في الخدمات ، وإنما هو مجتمع إنساني ؛ على معنى أنه مجتمع يقدر الإنسانية وحدها ويعطي أكثر مما يأخذ لنفسه . وهو بذلك مجتمع توازن وإحسان معاً . ولم تقف الدعوة الإسلامية عند حد

يرفع للشرف والجاه من مجال التقويم والتمييز - أفسح الطريق أمام الناس جميعاً من العقبات التي كان يضعها أصحاب الشرف وأصحاب الجاه لمنع غيرهم - ممن لم يواتهم حظ الشرف والجاه من أن يتقدموا للصفوف بكفاياتهم الذاتية ، وهو بذلك أيضاً يحقق ما يسميه علماء الاجتماع في الوقت الحاضر : « تكافؤ الفرص » .

فليس تكافؤ الفرص إلا منع العوامل غير الذاتية في الأفراد - من شرف أو جاه ، أو مال - من أن تكون وسيلة تقديم للبعض ، ووسيلة تعويق وتأخير للبعض الآخر .

فإذا أعاد الإسلام للمال وضعه الطبيعي ، ومنع أن يكون وسيلة للاستغلال والاحتكار ، ورفع الجاه والشرف من أن يكون لكل منهما أثر في التفضيل بين إنسان وإنسان ، وخلص بذلك الطبائع البشرية من صنوف التعويق ، وجعلها جميعاً متساوية في إمكان السعي ، وفي التقدم في النشاط الإنساني - فقد أمّن ، إذن ، كل فرد على مستقبله ، ووجه كل فرد ، كذلك ، نحو الهدف الحقيقي في الحياة ، وذلك الهدف ليس المال ، وليس الجاه ، وليس الشرف ، وإنما هو الإنتاج البشري في صورته العديدة ؛ إنتاج البدن والذهن معاً . والإنسان المسلم - في نظر الإسلام - ليس هو صاحب المال ، وليس هو صاحب

قام المجتمع على أساس منها . والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . . . يأبىها الذين آمنوا لا يتخذوا عدوى وعدوكم أولياء . . . لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . . بمثل ذلك يدعو الاسلام إلى التحذير من أن يتسرب ولاء أفراد المجتمع لأناس آخرين يعيشون وراءه ولغير أهدافه . بمثل هذه الآيات منع الاسلام أن يتلقى أفراد المجتمع توجيهات من خارجه تدعو إلى الولاء وإلى الطاعة لغير ولي الأمر ، ولغير ذلك القائد المشارك في أهداف المجتمع الذي يقوده ليحقق تلك الأهداف فيه .

إذا روجعت رسالة الاسلام ، وفهمت أصولها وأهدافها على هذا النحو ، وأوقظ بها الوعي بين أفراد القوى الشعبية - فإن ذلك بلا شك سيؤثر تأثيراً عميقاً في تقريب مفهوم الاشتراكية العربية من الاشتراكية الاسلامية ، أو يجعلها هي هي ، وسيحول مفهومها إلى إيمان وتطبيق في حياة الأفراد . وعندئذ يكون هذا الإيمان كفيلاً بصيانة الوضع الجديد في مجتمعنا العربي ، وسنداً قوياً دون حاجة إلى القانون التشريعي وحراسته من السلطة التنفيذية وعندئذ أيضاً تكون القوى الشعبية الممثلة في الأفراد هي التي تدافع عن

إعادة تصحيح الأوضاع الاجتماعية في المجتمع البشري ، ولا عند حد وضع الأفراد أمام الفطرة الإنسانية دون غيرها في المجتمع ، بل أمرت بعد ذلك بالحفاظ على هذا الوضع بقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وباللدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا ما أصيب المجتمع بانحراف أو تطرق إليه الخلل في توازنه أو في النظرة التي قوم بها الإسلام الأفراد - وهي الإنسانية وحدها دون غيرها من مال أو جاه أو شرف : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . . » . ورسالة الاسلام لا تتضمن ، فقط ، مثل هذه

المبادئ التي تدهو إلى التوازن الاجتماعي وتحافظ عليه ، وتدعو إلى الإيمان بالله كي يكون لإنتاج أفراد المجتمع خدمات بشرية ، وأهدافهم تحقيق تلك الخدمات بدلاً من تحصيل المال وجعله هدفاً أخيراً ، وإنما تضمنت هذه الرسالة أيضاً ، بجانب ذلك ، بعض المبادئ الرئيسية التي تحول دون أن يصل الفساد إلى المجتمع من الخارج على يد دخيل فيه ؛ فمنعت أن يكون ولاء أفراد المجتمع لغير المشارك لهم إيمانهم وفي أهداف مجتمعهم . منعت أن يكون ولاء المجتمع لغير وليه الطبيعي ، وهو ذلك الانسان الذي يقوده ليحقق أهدافه التي

المتحدة ، والأمل معقود أيضا على الدفع الثورى لجعل هذا التنظيم حقيقة واقعة ، حتى تؤدى هذه الجامعة الناشئة - وصاحبة التاريخ الطويل فى الوقت نفسه - رسالتها فى توجيه الأمة العربية والأمة الإسلامية .

إن هذا التنظيم لجامعة الأزهر الجديدة سيمحول دون أن يكون التوجيه الإسلامى حرفة يحترف به صاحبه ، لأنه سيمخلق مجالات أخرى للمعرفة ثم للعمل فى الحياة من غير أن يكون التوجيه الإسلامى ذاته وسيلة لكسب العيش . فالمسكيات الجديدة التى أضيفت إلى المسكيات التقليدية - وهى المسكيات النظرية للدراسات العربية والإسلامية - فرص أتاحها الثورة لطلاب الأزهر كي لا تحجبهم الحاجة إلى العيش فى الحياة عن فهم الإسلام أو عن الإخلاص فى أداء رسالته . وبذلك لا تصبح هناك فرقة بين فرد وآخر فى المجتمع ، بين إنسان يقال له رجل دين ، وبين إنسان آخر يقال له رجل دنيا ، بل سيصبح المجتمع كله أفرادا متساوين فى تكافؤ الفرص وفى السير فى الحياة .

وقد كان المجتمع الإسلامى فى أول أمره - أيام قوته - لا يعرف رجل دين ورجل دنيا ، وإنما يعرف أفرادا هم مسلمون فحسب ، وقد كان كذلك لا يعرف صاحب رسالة إسلامية يحترف بالتوجيه الإسلامى ، وإنما الذى كان

التوازن الجديد ، وعن بقاء المجتمع العربى مجتمعاً إذا اشتراكية إنتاجية ، لإنتاجها خدمات بشرية تقوم من الناحية الإنسانية قبل أن تقوم بالمال .

ولكن لا نفهم رسالة الاسلام على هذا النحو من الفهم ، ولا يكون لها أثرها فى الإيقاظ وفى تحويل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها ، قبل أن يكون هناك توجيه لأولئك الذين عرفوا فى أمتنا الحديثة بحملة الرسالة الإسلامية: أعنى بهم طلاب الأزهر وعلماءه . وعلى العكس ، لو لم يتكون لديهم هذا الفهم الصحيح ، وتلك القدرة على إثارة الوعى فى تحويل مفهوم الاشتراكية إلى إيمان بها لكان خطر حملة هذه الرسالة عندئذ على وضعنا الجديد يقرب من خطر المستغلين والرجعيين ، لأن الرجعيين والمستغلين إذ يتخذون من ثروة الشعب وطاقاته فى الانتاج المادى موضوعا للاستغلال ، فأولئك يؤثرون على القلوب والنفوس ، وإن لم يكن هذا التأثير السلبى - فى كثير من الأحيان - عن قصد وسوء نية .

والأمل معقود على جامعة الأزهر الجديدة فى تنظيمها الحديث ، ذلك التنظيم الذى يعتبر من الأعمال الثورية المجيدة التى سيكون لها الأثر العميق فى مجتمعنا هنا ، وكذلك فى المجتمعات الإسلامية والعربية فيما وراء جمهوريتنا العربية

وتولى أمراؤها السلطان جيلا بعد جيل لخدمة رسالته . وقد كان ذلك المذهب المعين هو مذهب محمد بن تيمية ، وقد كانت رسالة هذا المذهب هي العودة بالمسلمين إلى مجتمع المسلمين الاول ، وإلى وضع المسلمين وجها لوجه أمام القرآن حتى يكون لهم الفهم الواضح لرسالة الإسلام ، وحتى تكون لهم قوة الوحدة ، وحدة الفكر ، ووحدة التوجيه .

وبذلك تزول الطائفية البغيضة وتزول الفرقة المضعفة والمفسدة معامن الأمة المسلمة . ومع هذه المبادئ فقد كان مسلك هذه المجتمعات التي قامت على أساس منها مخالفاها : كان العمل على التفريق وإضعاف الوحدة . مع الاحتفاظ بالفجوة الواسعة بين أفراد المجتمع فيها ، ومع العمل على ازدواج التعليم بين ديني ومدني ، وخلقه إلى طوائف يقابل بعضها بعضا ، بدلا من السعي نحو توحيد الصفوف ، وتأييد دعاة الوحدة ، وبدلا من وحدة التوجيه ، وبدلا من السعي نحو إزالة الفجوات ، وتقريب أفراد المجتمع بما يعيد إليهم وضع المجتمع الإسلامي الاول ، وقد رأينا اشتراكية إنسانية ، ولم نره مجتمع شرف وجاه ، أو مجتمع مال وثروة .

ح - في الفكر :

وأقصد بالفكر طريقه ومنهجه . فلكي

يعرفه أن صاحب الحرفة - أية حرفة - في المجتمع قد يكون صاحب فقه وبصير للناس ، وقد يكون كذلك ذا إمامة في فقهه وفي أصالة تفكيره الإسلامي .

والتاريخ يذكر لنا أمثال : أبي بكر الذي كان يشتغل بالتجارة حتى ولي الخلافة وأشار عليه كبار الصحابة بالنفرغ لشئون المسلمين ، وأمثال عثمان بن عفان الذي كان تاجرا . وأبو بكر كان له فقه ، وعثمان كان له فقه أيضا .

كما يذكر أمثال : أبي حنيفة النعمان الذي كان يبيع الخبز ويجلس في الأسواق مع اشتغاله بالفقه وشهرته فيه ، وكذلك أبو الحسن أحمد بن محمد القدوري كان يشتغل بصناعة القدور وهو من كبار علماء الفقه . وأيضا أحمد بن عمر الخصاص الذي ألف كتاب الخراج للذهبي الخليفة العباسي ، وصنف كتباً أخرى عظيمة في الفقه ، على حين أنه كان يعيش من خصف النعال .

والثورة بهذا التنظيم الجديد - إن أزلت الفرقة في المجتمع وحقت تكافؤ الفرص بين الأفراد ، وأعادت الصورة القوية التي كانت لعلماء المسلمين لتمثل في علماء مجتمعاتنا المعاصرة - فإن لها الحق أن تفخر بما أسدته للإسلام والأمة العربية على مجتمعات أخرى عربية قام بعضها على أساس مذهب إسلامي معين ،

في الحياة منسجما كذلك مع تلك القيم - لا ينبغي بحال أن تكون وسائل الإلهام كالصحافة والإذاعة والتلفزيون ، ولا وسائل الفن كالسينما والمسرح ، ولا وسائل نشر الكتاب ، ولا وسائل الدعوة كمنابر المساجد - متناقضة ومتنافرة بين بعضها بعضا ، ولا مختلفة مع اتجاهات القوى الشعبية النوعية الأخرى في المجتمع . فكم يشير خبر أو رأى لا ينسجم مع قيمة من القيم الأصلية في المجتمع في صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية - الشك في نفوس العامة ، وخصوصا في نفوس أولئك الذين لا يعرفون في حياتهم من ألوان المعرفة إلا ما يتصل بالدين ، ولا يعرفون من أهداف في حياتهم إلا رضا الله .

كذلك يجب أن يكون أسلوب التعبير متفقا مع الخطوات التي يسير بها المجتمع في عهده الجديد حذوا بحذو : يجب أن لا ينقص من أدائها كما يجب أن لا يبالغ في تصويرها ؛ فالآزمات هي الآزمات ، والرخاء هو الرخاء . والقرآن الكريم عندما قال للدؤمنين :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثروات » ، وعند ما قال : « لنبلون في أموالكم وأنفسكم » ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ،

يكون المفكر مصدرا توجيهيا في تعبئة القوى الشعبية العددية ، وتحويل مفهوم الاشتراكية لديها إلى إيمان بها - يجب أن يكون منهجه هو منهج تثبيت القيم الأخرى ؛ تثبيت القيم الإسلامية والقيم التاريخية ، لا التشكيك فيها ، ولا محاولة هدمها وردّها .

للمفكرين أن يقرأوا ما يشاءون من الغرب ومن الشرق ، ولكن عليهم في أسلوب تفكيرهم أن يراعوا الانسجام مع القوى الشعبية النوعية الأخرى . وإن ترديد المفكرين لبعض اتجاهات هنا وبعض اتجاهات هناك في مجتمعنا الثوري الجديد الذي لم يزل بعد في مرحلته الأولى من ثورته الاجتماعية ، لما يشير الاضطراب ويشير التفكك والفرقة بين أفراد المجتمع ، فضلا عن أن يشير التشكيك في إخلاص الثورة لتاريخها وقيم المجتمع التي هي أصيلة فيه والتي قام المجتمع لصونها والدفاع عنها ، والتي كافح في سبيلها وانهزم وانتصر .

٥ - في التعبير :

وهنا يأتي دور التعبير . وأقصد بالتعبير ؛ التعبير بالقول ، أو التعبير بالنظمية في الحياة ، فكما يجب أن يكون منهج المفكر منهجا متوازيا مع قيم المجتمع الأصلية التي تمثل بعض القوى الشعبية النوعية فيه ، كذلك يجب أن يكون أسلوب التعبير بالقول ، أو السلوك العملي

« أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون » .

— ٣ —

نعي القوى الشعبية :

والسؤال الأخير الذي يتردد الآن هو :
كيف نعي القوى الشعبية نحو الاشتراكية ،
وكيف ننظم هذه التعبئة ؟ .

أنجعل هناك في المجتمع وحدات قيادية في
جميع قطاعاته وجوانب العمل فيه ، بحيث
تكون هذه الوحدات ممثلة تمثيلاً واضحاً
للقوى النوعية التي من شأنها أن تحيل مفهوم
الاشتراكية إلى إيمان بها ؟ أم فترك لأفراد
القوى العددية في القطاعات المختلفة أن تنتخب
من بينها ممثلين هم القادة لها في التوجيه ؛ ومن
هؤلاء الممثلين يكون إطار القيادة في المؤتمر
الشعبي أولاً ، ثم في الاتحاد القوي ثانياً ؟ .
لسكن كيف ينتخب أفراد القوى الشعبية
العددية ممثلين لهم في القيادة على هذا النحو ؟
أ يكون مصدر هذا الانتخاب ما في نفوسهم
من إحساسات نحو أشخاص الأفراد الذين
سينتخبون أو الذين يرشحون أنفسهم ؟ في
رأى : تختار كل محافظة عدداً من أبنائها
من يُنَوِّسَ فيهم أن يكونوا قادة في كل قطاع
من القطاعات المختلفة ؛ بمن هم مؤمنون أو
قريبون من الإيمان الحقيقي بالاشتراكية ،
على نحو ما يبدو في تصرفاتهم وسلوكهم .

وعندما قال : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ، ... عند
ما قال ذلك وأمثاله ، أراد في واقع الأمر
أن يعي قواهم النفسية حتى يكونوا على
استعداد لاجتياز الأزمات في غير يأس إذا
ما واجهوها وجها لوجه . ولم يرد بحال إطلاقاً
أن يرهبهم أو يخيفهم أو يفتر في هضمهم
عندما أكد هنا أن الأزمة ستقع حتماً ،
ليس في أموالهم وفي ثمراتهم خصب ، وإنما
في نفوسهم بالاعتداء عليها مرة ، أو بإرهاها
مرة أخرى ، أو بالنيل من قيمتها بالتعريض
مرة ثالثة .

وقد كان للصدق في التعبير ، ومطابقتها
لواقع الأحداث دخل كبير في تثبيتهم على
الإيمان ، ثم في نصرهم أخيراً . ولكن النصر
دائماً كان مرهوناً بأمرين عندما تقع هذه
الأزمات : بالصبر والتحمل ، ثم بالتقوى .
وليست التقوى إلا الاستمسك بالخط الذي
رسمه الإسلام لمجتمعه ، « ليس البر أن
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن
البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة
والكتاب والنبين » ، وآتى المال على حبه
ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب ، وأقام للصلاة وآتى
الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ،
والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ،

ثم ليخططوا الطريق إلى الوقوف في وجهها ،
وتحويل الأمر في المجتمع إلى وجهة أخرى
هى وجهة الإصلاح ، أو إعادة التوازن
الاجتماعى ، أو تحقيق الاشتراكية العربية .
القادة دائماً هم المنتخبون انتخاباً طبيعياً في
جو يدفع إلى التكوين ، يتأثر به البعض
ولا يتأثر به البعض الآخر ، وعملية التنظيم
لا انتخاب القادة انتخاباً طبيعياً هى تهيئة الجو
النفسى والفكرى . وفى فترة التهيئة والإعداد
لهذا الجو يبرز القادة واحداً أثار واحد ،
أو مجموعة بعد مجموعة ، وعندئذ يتم تشكيل
القوى القيادية للقوى الشعبية العديدة .

والعمل الذى يجب أن يعمل الآن هو
إعداد هذا الجو النفسى والفكرى بالأخذ
في توجيه القوى الشعبية النوعية نحو
الاشتراكية العربية .

لأننى لا أؤمن بما يسميه الغرب ديمقراطية
ولا بمنهج الغرب في تمثيل الشعوب لنفسها في
إطارات تدير معركة التوجيه وبالأخص معركة
السياسة في الشعب والأمة ، لأن طريقة
الانتخاب والاختيار لا تتجرد إطلاقاً من
العوامل الأجنبية المؤثرة فيها . وأقصده
بالعوامل الأجنبية ، العوامل الغربية عن
الهدف الحقيقى الذى يجب أن يسعى إليه أفراد
المجتمع وهو التوازن وتكافؤ الفرص .
فـ رأس المال ، وجاه السلطة ، وجاه

ومن هؤلاء الأفراد تتكون القيادة الشعبية
للقوى الشعبية ، ودورها بمدئذ ليس التفرغ
للتوجيه ، وإنما التوجيه بالعمل نفسه وبجانب
العمل ؛ عملها في المصنع ، أو في المزرعة ، أو في
مكتب الوظيفة ، أو في العيادة ، يكون معبرا
عن الاشتراكية ، وبجانب هذا العمل المعبر ،
يكون لها دور آخر في التنوير والإقناع
بالاشتراكية .

عندئذ تأخذ الدعوة مجراها الطبيعى ، ليس
فيها تصنع ولا افتعال . وعندئذ يتشكل نظام
القيادة في الدعوة دون مشكل أو منظم
خارج عن نطاقها .

إن دعوة جمال عبد الناصر للثورة ...
من الذى شكلها وأقامها ؟ من الذى اختارها
ووجهها ؟

إنها عملية سارت في مجراها الطبيعى ...
وجد الإيمان بها ، ثم وجد الانفعال
بهذا الإيمان ، ثم انطلقت إلى الحركة
بعد هذا الانفعال . خطوات ثلاث يلزم
بعضها بعضاً ويتعاقب بعضها على أثر بعض .
وكل ما في الأمر أن جمال عبد الناصر
هو وصحبه تأثروا بأحداث المجتمع الماضى
الفاسد ، واستطاعوا أن يرتفعوا بإيمانهم
بالإصلاح فوق مستوى الأحداث — دون
أن يبقوا سائرين في اتجاهها ، ومنذفعين
بآثارها — ليرقبوا سير الأحداث نفسها ،

لا أستطيع أن أنعت هذه المجتمعات بأنها مجتمعات يسود فيها الإنسان لذات الإنسانية ، وإنما هي مجتمعات يتفوق فيها الإنسان لأنه صاحب آلة ، أو صاحب مال ، أو صاحب جاه ، أو صاحب نفوذ .

وإن كان هناك حرية في هذه الشعوب فهي الحرية الفردية التي تتمثل في الانانية وفي « الوجودية » . والحرية الفردية التي تتمثل في محاولة التحرر من قيود المجتمع التي تربط بين أفرادها ، والتي ترتبط بمعنى الانطلاق ارتباطاً وثيقاً .

إن الحضارة الإنسانية هي نتاج القيود في المجتمع . هي نتاج العلاقات الإنسانية . هي نتاج الاخوة والتعاون والسلام والطمأنينة... إن الحضارة الانسانية لم تكن في حقيقتها وجوهرها حضارة مادية وإنما هي قيم إنسانية ومثل عليا في الحياة ، وقلبا توصل الفردية والانانية إلى الإسهام في حضارة الانسانية .

الدكتور محمد البهي

الأرستقراطية ، والاقطاع ، هي عوامل أجنبية ، وتلعب جميعها الدور الأول في التشكيل البرلماني الذي يصوره الغرب بأنه النظام الديموقراطي الحر الصحيح . مع أن حفنة قليلة - بالقياس إلى مجموع الشعب - هي التي توجه الاختيار ، وهي التي تتحكم في مصيره ، وهي التي تجعله مرة يميل إلى اليسار ومرة أخرى يميل إلى اليمين .

والشعوب الأوروبية في اعتقادي لا تعيش حرة ، ولا تتمتع بحرية سياسية مجردة عن عوامل التأثير الخارجي ، ومن ثم فهي تدور في إطار التبعية دائماً . والمتبوع هم أصحاب النفوذ وليسوا أصحاب القيم الإنسانية . ولذا كان إنتاج هذه الشعوب إنتاجاً مادياً يخلو من الخدمة الإنسانية . ولذا كانت مجتمعات هذه الشعوب بعيدة عن أن تلقى بأنها مجتمعات إنسانية . وآية ذلك : الاحتكاك والاصطدام ، والحروب الباردة والساخنة . وهذه مظاهر تدل على أن المعاني الإنسانية في العلاقات في المجتمعات ليس لها إلا نصيب قليل بجانب سيادة المال في أية صورة من صوره .

فى إطار الاشتراكية الاسلاميّة

للأستاذ محمد محمد المدنى

١ - الرأى مشترك :

لما حج أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور التقي بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه ، فقال له : يا مالك ، لقد هزمت أن أمر بكاتبك هذه التى ألغتها فتنسخ ، ثم أبعت فى كل عاصمة من عواصم المسلمين بنسخة منها ، وأمر الناس أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره .

فقال مالك : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، فدع الناس وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم .

هذا ما رواه للتاريخ فى ذلك الشأن الإسلامى الخطير .

والذى يهمنا الآن هو أن ننظر فى موقف الإمام مالك رضى الله عنه من هذا العرض الذى عرضه عليه أمير المؤمنين .

إن ما سلكه تسهوه هذه الفكرة وإن كان فيها كل التأيد لمذهبه ، ولم ينتهز الفرصة لقبول هذا الاقتراح من يملك تنفيذه وحمل

الناس عليه بما له من قوة السلطان والحكم ، فلقد كان أجمل من أن يؤخذ ببريق هذا العرض ، وهو يعلم أن العلم لا يمكن أن يكون إقطاعا يقطعه الحاكم من يشاء ، ولا يمكن أن يكون منطقة نفوذ يتمتع بها واحد من الناس يتقبلون قوله إذا قال ، ويرون رأيه إذا رأى .

إن الاسلام لا يعرف هذا اللون من ألوان الاحتكار العلمى أو التوجيهى الذى رفضه مالك ورفض معه نفوذاً عظيماً فى عواصم المسلمين وأقطارهم ، ورفض معه تأييداً من صاحب السلطان وقوة يقوى بها مذهبه ورأيه ، وينتشر بها علمه .

وقد هلل الإمام مالك رضى الله عنه رفضه لهذا العرض بما يدل على عمق إدراكه لاشتراكية العلم ، وشدة إخلاصه لمبدأ الحرية فى أساليب البحث والمعرفة ، ولوجوب بقاء الغذاء الفكرى مادية عامة للناس جميعاً ، يأخذ كل عقل منها بنصيب :

فإن الناس فى كل زمان ومكان لهم آراؤهم وأسانيدهم ووجهات نظرهم وأساليب حياتهم ،

وقال أحمد بن حنبل ذات يوم لرجل من أصحابه : لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزعي ولا فلانا ولا فلانا وخذ الأحكام من حيث أخذوا ، من الكتاب والسنة ! هكذا كانت ديمقراطيتهم العلمية إذا جاز لنا أن نعبّر بهذا التعبير ، فلم يكن لدى أحد منهم روح الاستشارة والانانية .

ولذلك كثر أصحاب الرأي والمجتهدون كثرة عظيمة في عهدهم ، حتى عد الأئمة المجتهدون فكانوا أكثر يومئذ من ثلاثمائة إمام ، كل له رأيه ، وله تلاميذه ، بل كان التلاميذ في كثير من الأحيان يستقلون بأراء لا يشاركون فيها أئمتهم وبذلك اتسع نطاق التفكير والنظر حتى أصبح للسلبين ثروة فقهية قانونية في مختلف شئون الحياة تعد من أعظم ثرواتهم ومفاخرهم .

ولكن خلف من بعدهم خلف ، لم يدركوا ما أدركه سلفهم ، وحاولوا أن يضعوا على الاجتهاد والنظر والتفكير الحصر حراساً وحجاباً ، ووصل الأمر إلى أنه ألزمو الناس بالتقليد وحرّموا عليهم الاجتهاد ، بل حرّموا على من قلده مذهباً أن ينتقل منه إلى غيره ، وبذلك صرنا إلى لون من ألوان الإقطاع والاحتكار ، وجهدت العقول وركدت الأفهام ، وابتعد الفقه الإسلامي عن مجالات النظر والتفكير الحديث خوفاً من الزلل ، وخوفاً عليه من اضمحلال حماه بدون

وقد خلق الله العقول وجعل لها مجالاً بالنظر والتفكير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع ، فإذا جاء أحد من الناس ليضرب عليهم أفهاماً بذاتها لا تقبل الجدل ولا المناقشة ، فقد حجب على العقول وحكم عليها بالشلل والجمود .

وينبغي أن يعلم الناس أن هذه النظرة العميقة لاشتراكية العلم والمعرفة لم ينفرد بها الإمام مالك ، وإنما ذكرنا واقعته مع أمير المؤمنين المنصور على سبيل التمثيل .

فهذا أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : لا ينبغي لمن لم يعرف دليلى أن يفنى بكلامى . وكان إذا أفتى يقول : هذا رأى النعمان ابن ثابت - يريد نفسه لأنه هذا هو اسمه - ويقول : هذا هو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

هذا كلام أبى حنيفة ، وهو يمثل فهما صحيحاً للاشتراكية في العلم ، فهو لا يعتبر نفسه ذا حق في التفكير ينفرد به ويمتاز عن غيره ، وبلغتنا الحاضرة لا يزم لونا من ألوان الارستقراطية العلمية ، التي تجعله يفرض رأيه العلى فرضاً ، ويجليه لإملاء .

ومثل هذا يروى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فقد قال يوماً لصاحبه إبراهيم المزنى : يا إبراهيم لا تقلدنى فى كل ما أقول ، وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين .

مبدأ التضامن الاجتماعى العام ، فالفرد ليس مسئولاً عن نفسه فقط ، وإنما هو مسئول أيضاً من أفراد المجتمع .

وقد حرص القرآن الكريم على أن يثبت هذا المبدأ فوضعه فى إطار واحد مع عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، حيث يقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم » .

فإنه جل جلاله ، يأمر عباده أن يقيموا مجتمعهم على أساسين :

الاول : عبادته وحده لا شريك له فى التوجه والهداء .

والثانى : أن يكونوا متضامنين متكافلين ، وقد أجملت هذه الآية الكريمة ما أمرت به فى شأن هذا التضامن والتراحم فى كلمة جامعة شاملة هى كلمة « الإحسان » .

والإحسان مرتبة فوق العدل ، فإذا تعاملت مع الناس فأخذت منهم حَقَّك ، وأعطيتهم حقوقهم ، فقد جريت على سنة العدل ، والمبادلة بالحق .

ولكن إذا تجاوزت هذه المنزلة إلى ما هو فوقها من الرفق والإيثار ، فقدمت فيه ولاخوانك فى المجتمع بعض حَقَّك واضياً

هلم ، وما دروا أن قانون الحياة منذ عرف الناس الحياة هو أن نصيب ونخطئ . فلا يوجد مذهب من المذاهب يحتكر الصواب فلا يخطئ أبداً ، ولا يوجد مذهب من المذاهب يتردى دائماً فى هوة الخطأ فلا يصيب أبداً ، ولذلك يقول الإمام مالك : كل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فعوله حق كله . والقرآن الكريم يقول : فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، فسكن من آراء قبيلت ، وكمن أحكام قررت ، ولكن لا يبقى ولا يثبت إلا الحق الذى ترضاه العقول وتأنس إليه النفوس .

إن هذا الروح هو سياج الحرية الفكرية ، والاشتراكية العلمية ، وقد صدر عن هؤلاء الأئمة الأعلام أخذاً له من كتاب الله تعالى الذى يأمر بالنظر والتدبر وينهى عن التقليد واتباع الآباء بغير علم ، ولا يرضى بأن يقول الناس : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، ويقول لهم : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، فيدهو إلى الاشتراكية العلمية ، والحرية الفكرية كل فرد فى الجيل ، وكل جيل فى العالمين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

٢ - الاشتراكية والاحسان :

من المبادئ الأساسية فى شريعة الإسلام ،

عنى (إني قريب) ، (ونحن أقرب إليه من جبل الوريد) (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ، (ولو جثته بقراب الأرض معصية لجاءك بقراها مغفرة ولا يبالى) ، والسيدة عنده بوحدة ، وقد يتجاوز عنها بفضلها وإحسانه ، والحسنة عنده بعشر أمثالها ، وقد يزيد في مضاعفتها .

هذا الرب المحسن يريد من عباده أن يتخلقوا بخلقه وأن يحسنوا كما أحسن إليهم ، فهو حين يأمر عباده بالخير لا يكتفى منهم أن يؤدوه على أية صورة ولو كانت صورة جانبية منافية للذوق والجمال ، ولكن يطلب منهم أن تكون أفعالهم قريبة بقدر الاستطاعة من الصورة المثل التي تجعلها محبة إلى القلوب مرضية عند ذوى الأذواق .

فالصدقة خير ، لأنها سد لحاجة الفقير وتخفيف آلام الإنسانية ولكن الله لا يكتفى منك أن تفعلها ، وإنما يطلب صورتها المثل . لن تناولوا البر حتى تنفقوا بما تحبون ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير ، لأنه مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي والمسؤولية المشتركة ، والتعاون على البر والتقوى ، ولكن الله يطلب صورته المثل التي يتحقق بها جماله ، وتظهر فيها روعته ، وتعال بها ثمرته ، وذلك

لتنفع به من هو في حاجة إليه ، أو تقبلت منهم أقل من حقلك لهذا الغرض الشريف ، فأنت تجرى على سنة الإحسان .
وإيس الإحسان هو تلك الصورة التي تطور إليها معنى اللفظ في المجتمعات التي سيطر عليها الإقطاع في جانب ، والفقر والغلة في جانب آخر ، وهي أن تعطى الفقير المحتاج شيئاً تحسب ، وإنما هو أوسع دائرة من ذلك ، فهو يشمل كل نوع من أنواع المعاملة فيه سمو ، وفيه بر ، وفيه تطبيق لمبادئ الفضيلة ولروح الاشتراكية القائمة على التضامن والتعاون ...

إن الإحسان هو أمر الله في كل شيء ، هو مظهر جماله الأقدس ، وكاله الأعلى ، وقد رسم به للناس سبل المثل العليا في كل جانب من جوانب الحياة ، ليقربهم من رحمته وفضله ، ويربهم على مثل خلقه .

تسمى الله جل علاه باسم « المحسن » ، ووصف نفسه بأنه « أحسن كل شيء خلقه » وكان من مظاهر إحسانه بعد الخلق والتفضل بالنعم التي لا تحصى : أنه كتب على نفسه الرحمة ، وتجنب إلى عباده ، وتسمى باسم « الودود » وبذلك يظهر جماله الذي يملك القلوب يأخذ بالألباب : إذ يعاملهم معاملة كلها كرم وإحسان ، فهو قريب من عبده ، ولا واسطة بينه وبينه : (وإذا سألك عبادى

فإن الله مطلع عليه - إذا استشعر الإنسان ذلك ، أتقن عمله ، وأحسن فيه وجوده ، كما يحسن العامل أمام صاحب العمل الخبير به ، العارف بدخائله ودقائقه ، والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم .

ولقد أجملت الآية الكريمة أنواع التعامل المثالي بين أفراد المجتمع في هذا اللفظ الجامع الشامل لفظه الإحسان .

أما الذين أوصف بهم ، وبأن يوصل إليهم هذا الإحسان ، فهم أفراد المجتمع جميعا ، ولقد استقصتهم الآية استقصاء وعناية بأن تعدم هذا :

الوالدان ، وأولو القربى ، الأيتام ، المساكين الجار ذو القربى ، وهو الذى بينك وبينه صلة الجوار وصلة القرابة ، الجار الجنب . وهو الذى ليس بينك وبينه إلا صلة الجوار ، والصاحب بالجنب وهو الرفيق فى السفر أو المجلس فى الحضر ، أو الزوجة ، وابن السبيل ، وهو المسافر أو الضعيف ، وما ملكك أيما نك ، وهو شامل لكل من ملكك زمامة من خادم أو تابع أو مروض .

وبهذا يتبين أن الإحسان شامل من حيث معناه لجميع صور التعامل المثالى ومن حيث الذين يوجه إليهم : جميع أفراد المجتمع . فهذه هى اشتراكية الإحسان .

محمد محمد المرنى

أن يكون فى رفق وتلطف وحسن أداء . ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجلدلم بالتي هى أحسن .

ودفع الشر والفسوء خير ، وله أيضا صورة المثل . ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . وهكذا يرسم الله لعباده الصور التى يودى بها الخير كما يبين لهم أصل الخير .

ومن هنا كان الإحسان عاما فى كل شيء : فى العلم لإحسان ، وفى الفن لإحسان ، وفى الصناعة لإحسان ، وفى القول لإحسان ، وفى معاملة الناس لإحسان ، وفى مراعاة حق الفقير والمساكين لإحسان ، وفى القيام بالمناصب وأداء حقوقها لإحسان ، ومصدق هذا قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله كتب الإحسان على كل شيء . وفى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب سائله عن الإحسان بقوله : أف تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ، وليس الكلام خاصا بالعبادة الروحية من الصلاة والصوم وحسب ، وإنما هو شامل لكل فعل يفعله الإنسان مريدا به وجه الله ، وإصلاح شأن من شئون نفسه أو شئون الناس ، فإن ذلك كله عبادة ، وإذا استشعر الإنسان فى كل ما يعمل أنه تحت مراقبة ربه ، وأنه إن لم يكن يراه بعينه ،

مع صفات القرآن :

من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا .

فإنه جل شأنه يأمر المؤمنين من عباده أن يعطيهوه ويطيعوا رسوله فيما يدعوهم إليه ، فإنه يدعوهم إلى ما ينفعهم ويرفعهم ويمتصهم بالحياة الطيبة ، ودعوته دعوة إلى الحياة بكل ما تسعه كلمة الحياة من عزة وكرامة وخير وبر ، مصداق قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

واقه من وراء كل إنسان محيط ، يعلم إخلاصه في العمل ورياءه فيه ، بل إنه - سبحانه - أقرب إليه من قلبه الذي يخفق في جنبه ، وهو يستطيع أن يحول بينه وبين ما يتمناه ، وينزع منه الحياة ، فيموت لحاجة ، وبذلك ينطفئ سراج الأمل . وتفتت فرصة العمل ، فليعلم المؤمنون ذلك على أنه حق لا سبيل إلى الشك فيه ، وليعلموا مع ذلك أنهم إليه لا إلى غيره سيجمعون ويساقون للحساب وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فإنهم إذا علموا ذلك بادروا إلى قلوبهم فأصلحوها وإلى أعمالهم فصالحوها وإلى دعوة الله ورسوله فاستجابوا لها ، فإنها دعوة إلى أسباب الحياة ، (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) .

هــمـ الرـمـح فـؤـدة

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنكم إليه تحشرون .

فقول استجاب لي فلان إذ دعوته بمعنى أنه أطاعك وساعدك .

واستجاب الله لي بمعنى قبل دعائي وحقق رجائي والاستجابة لله معناها طاعته وامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والاستجابة للرسول استجابة لله لأنه مبلغ عنه .

وتقول حال النهر بيننا بمعنى حجز بعضنا عن بعض ومنع اتصال بعضنا ببعض .

والمراد من قوله تعالى والله يحول بين المرء وقلبه ، أنه - وهو أعلم بمراده - أقرب إلى الإنسان من قلبه الذي يعيش به وتقوم عليه حياته ، فهو مطلع عليه عليم به لا يغيب عنه منه ما يغيب عن صاحبه ، ومعناه كذلك أنه سبحانه يحول بين الإنسان وبين ما يتمناه قلبه من طول العمر ، والاستمتاع بما يهفو إليه من مختلف أنواع الاستمتاع ، وذلك بأن يقضى عليه بالموت لحاجة قبل أن يصل إلى ما يريد ، فتضيع منه فرصة الحياة ، دون أن يستغلها في عمل ينفعه في الدنيا والآخرة .

والحشر جمع الناس وسوقهم إلى حيث يحاسبون فيثابون أو يعاقبون ، وسيكون ذلك يوم القيامة (يوم تجد كل نفس ما عملت

تعالوا نجاهدُها معاً

للأستاذ محمود الشترقاوى

التقاء الأهداف والمصالح الدينية والخلقية كلها فى العالم للوقوف صفواً واحداً أمام عدوهم المشترك المدمر .

هذه الدعوة نقبلها ، نحن المسلمين ، ونلتقي معها - بل نرحب بها - على شرط أن نقف صفواً واحداً أمام الأعداء المشتركين جميعاً ، لا أمام هدوٍ مشترك واحد . ومن الأعداء المشتركين المخاصمين ، بل الهادمين المعاندين ، للإسلام والمسيحية على السواء : « الصهيونية » . فيجب أن نضعها حيث وضعت نفسها من خصومتنا - كليناً - وأن نتخذ منها هدواً مشتركاً نقف صفواً واحداً لقتاله وحربه .

ويزور الجمهورية العربية المتحدة الآن - وأنا أكتب هذا المقال - مؤرخ مسيحي عالمى ، هو الأستاذ « توبني » . ولا بد أن أصحاب دهوة التقارب هذه يعرفون رأيه فى الصهيونية ، وأنه راها - بحق - قد أوقعت بعرب فلسطين شراً عظيماً لا يعرف التاريخ كله مثيلاً له ، وأنها خارجة على كل خلق وكل شريعة وكل ضمير . محاربة لتلك المثل الحيرة الكريمة التى تدعو لها وتحرص عليها دياناته المسيحية .

١
قرأت مقالا نشرته جريدة « يونيفرس » الكاثوليكية الإنجليزية ، وهى صحيفة تنطق باسم الكرسي البابوى فى روما .

وفى هذا المقال تعترف الصحيفة بقوة العقيدة الإسلامية وبقاتها فتقول : « ليس ثمة أى أثر يوحى بانحلال الإسلام وتفككه ، كما تنبأ البعض فى أوائل القرن الحالى ، بل لقد توافرت البوادر على نشأة حياة جديدة فيه ووعى بالغ ، وتزايد الجنوح إلى النظر بعين الاعتبار إلى آراء الآخرين » .

ثم قالت الصحيفة إن هذا الوضع قد استرعى أنظار الكاثوليك فى أوروبا إلى قوة الإسلام ووجوب إنشاء كتلة مشتركة فى سبيل الله لمواجهة العدو الإلحادى المشترك ألدّ الخصوم للإسلام والمسيحية على السواء . ثم تقول الصحيفة فى مقالها الذى تعبر فيه عن رأى الفاتيكانيكان : « إن الوقت الذى تتمكن فيه المسيحية والإسلام من التلاقى قد حان » .

* * *

ونحن نريد أن نصدق هذه الدعوة لالتقاء المسيحية والإسلام ، أو على وجه الدقة

والتلفزيون إن البلاد المجاورة لإسرائيل - بمعنى البلاد العربية - تحتوى ثروات ضخمة من البترول . وهذا البترول هو : « وفقا لكلمة الله ، ملك لإسرائيل ، وقد شاء الله أن تبقى هذه الثروة في بطن الأرض حتى اليوم تحت إشراف شعوب عربية لم تفد منها لتكون هذه الثروة وديعة في يدهم يسلبونها لإسرائيل .. ! وكان الذى يقول هذا الهراء ويلقيه في سمع الأمريكيين جميعا قسا مسيحيا أمريكيا ! ويقول هذا المسيحي العربى إن الدعاية الصهيونية فى أمريكا : « تشوه دينهم ، وتجهل منهم مطية يستغلها الصهيونيون لغايتهم الخاصة . ومن المؤسف حقا أن استغلال الدين المسمى هو الآن أقوى الوسائل التى يستخدمها الصهيونيون للتأثير على الشعب الأمريكى ، .

ونحن هنا أمام حقيقتين يقرهما هذا المسمى العربى الخاص : أولاها أن بعض رجال الدين المسمى فى أمريكا ، يجعلون من أنفسهم ودينهم مطايا لأغراض الصهيونية . ونحن نعرف ، ورجال الدين المسيحيون هؤلاء أيضا يعرفون ما هى أغراض الصهيونية بالنسبة للعالم العربى . وأنها ليست سوى محو هذا العالم أو السيطرة عليه .

والحقيقة الثانية أن هذه الدعاية الصهيونية التى يشترك فيها قسس أمريكيون ، بل

ليذكر أصحاب دعوة التقارب هذه رأى المؤرخ العظيم - وهو مسيحي انجليزى ، وليس مسلما ولا عربيا - ليذكر القوم رأيه هذا وليضعوا هذه الصهيونية الشريرة المدمرة الخبيثة للأديان جميعا ، والخبيثة للخلق والحق والخير جميعا ، ضمن هؤلاء الأعداء المشتركين الذين نقف صفاء واحدا أمامهم . وهذه الصهيونية الشريرة عند ما أوقعت ما أنكروه ضمير العالم كله من الظلم على عرب فلسطين ، لم تفرق بين المسلمين منهم والمسيحيين بل شمل ظلمها هؤلاء وهؤلاء جميعا .

٢

وهذه شهادة أخرى من عربى مسيحي يقيم فى أمريكا - هو الأستاذ ج . س . حداد يضحج بالشكوى من تسخير المعابد المسيحية فى تلك البلاد لخدمة العدوان الصهيونى .

فقد سمع هذا العربى المسمى متحدثا فى الراديو يخاطب الملايين من مواطنيه الأمريكيين بدعوى إسرائيل أنها تعيش فى رقعة ضيقة من الأرض ، وأن الله وهبها أرضا فضيحة غنية تمتد من الفرات إلى النيل . وأن الله اختار هذه الأرض لإسرائيل لأنها تقع فى وسط العالم . وبذلك يكون شعبها محيذا على جميع الشعوب ، وتكون دولتهم نقطة انطلاق لجميع المدينيات .. !

ثم يقول المتحدث المذيع على الراديو

الظالم الشرير من الدعاية الصهيونية التي لا يسلطها عليهم للصهيونيون وحدهم ، بل يشاركون فيها من يشارك من رجال الكنيسة التي تنقسم للبؤس للصهيونية ؟ لا تنكر أن الكرسي البابوي في الفاتيكان وقف موقف العداء للصهيونية . ولكننا نريد مجاهرة بهذا العداء ، وإصراراً عليه ، وإلحاحاً فيه ، بحيث تكون هذه المجاهرة وهذا الإصرار والإلحاح كفواً لذلك الشر الصهيوني الآثم الذي يلقي في مسامع المسيحيين الأمريكيين من بعض رجال الكنيسة ، أو من كثير منهم . ولا شك في أن موقفا كهذا تقفه كنيسة الفاتيكان وجبرها الأعظم كفيل بأن يرد عن الكاثوليك الأمريكيين سطوة هذه الدعاية الصهيونية التي توجه لهم من قس مسيحيين ، وكفيلة بأن تضعف أثرها في نفوس أتباع الكنائس الإنجيلية أيضاً . وهي ، في نفس الوقت ، تجعل الدعوة لهذا التقارب الإسلامي المسيحي دعوة ذات موضوع ، أو يمكن أن ينظر لها الناس نظرة الجد .

٤

وليس الأمر في هذه الدعاية التي يقوم بها رجال من أهل الكنيسة في أمريكا أمر أفراد قلائل غرر بهم الصهيونيون وخدعهم . بل الأمر أكبر من ذلك وأخطر ،

يسخرون أنفسهم لها . هذه الدعاية - كما يقول المسيحي العربي - : « تشوه دينهم » : دين المسيح . فكيف يرضى العالم المسيحي أن يضع بعض رجاله دينه أنفسهم هذا الوضع الذي يظلمون به الإسلام والعرب أخس الظلم ، ويشوهون به دينهم أقبح التشويه ؟ : دين الرحمة والمحبة والسلام .

٣

ونحن نعلم أن الكثرة للكاتورة من الأمريكيين تتبع الكنائس الإنجيلية (١) ولكننا نعلم أيضاً أن هناك أقلية كبيرة تتبع للكنيسة الكاثوليكية ، تبلغ خمسة وثلاثين مليوناً . وهذه الكنائس تسيطر عليها وتوجهها كنيسة الفاتيكان . وتدين تلك بالولاء والقداسة للبابا الذي يرأسها . وهي الكنيسة التي ذكرنا أول هذا المقال أنها تريد أن تقوم تقارب بين العالمين الإسلامي والمسيحي لمواجهة الخطر المشترك الذي يهددهما . أليس مما يسهل قيام هذا التقارب ، أو هو إحدى وسائله ، أن تعمل كنيسة روما ، وأن يعمل قداسة البابا الذي يرأسها على أن يرفع عن أتباع الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا هذا التيار الجارف

(١) أتباع هذه الكنائس في أمريكا نحو مائة وثلاثين مليوناً .

المسيحية على محاربة العدو المشترك، للإسلام والمسيحية . وبالأخص كنيسة القبايقان التي تدعو صحيفتها للوقوف صفاً واحداً أمام هذا العدو .

فلينأمل هؤلاء وهؤلاء موقفهم منا ، وليندبر القوم أعمالهم قبل أن ينتظروا منا أن نأخذ أمر هذه الدعوة وهذا الالتقاء مأخذ الجد .

أما نحن فلا نستطيع أن نترك أمر هذا الحاضر الذي نراه ونحسّه نحن المسلمين والعرب ، وكثير من المخلصين المسيحيين أيضاً ، في فلسطين بخاصة .

٥

دعوة التقارب بين الإسلام والمسيحية ، للوقوف أمام العدو المشترك ، ، تحتاج إلى فهم جديد وروح جديدة ووضع جديد وشمول لجميع الأعداء والخصوم . وعلى هذا الشرط ، كما قلنا ، نستطيع إليها ونقبلها ونرحب بها لمحاربة هؤلاء الخصوم المشتركين جميعاً .

محمود الشرفاوي

بشهادة المسيحي العربي نفسه ، الذي يقول : « ... وفي الوقت نفسه نجد الكنائس المسيحية قد زادت نشاطها زيادة محسوسة في السنوات الأخيرة للقيام بأعمالها التبشيرية خارج الولايات المتحدة ، خصوصاً في البلاد العربية وإفريقيا ، بينما واجهها الأول هو تركيز أعمالها التبشيرية بين الأمريكيين لمجابهة الصهيونية المغرضة » .

وكذلك يقول المسيحي العربي : « ويلجأ الصهيونيون إلى وسائل مختلفة لترويج دعايتهم بين مسيحي أمريكا . فهم يشجعون عدداً من القسس الذين يقدمون برامج من محطات الإذاعة والتلفزيون بسد نفقاتهم . ثم هم يؤلفون الجمعيات والمنظمات التي تضم رجال الدين المسيحيين واليهود ، والتي تهدف بصورة غير مباشرة إلى نشر الدعاية الصهيونية . ونجحوا أيضاً في تنظيم مؤسسات مسيحية مهمتها توطيد الصداقة بين أمريكا وإسرائيل » (١) .

نحن ندرك المدى الذي تعلقه أمريكا الرسمية وشعبها ، وتعلقه جميع الكنائس

(١) مجلة العربي (السكويت) عدد شهر نوفمبر ١٩٦١

ترکستان

ومكانتها في تاريخ الإسلام

للأستاذ م. روجي أويغور

من الشرق والغرب وتلتقي عبر هذه الطرق والممرات الحضارات القديمة : كحضارة الصين والهند والفرس والروم . وقد عاشت فيها أقدم أمم العالم وشعوبها كالآريين والقفقاسيين والباكستانيين والبارثيين واليونانيين وغيرهم من الأمم الغابرة والحاضرة . وقد عاش فيها الأتراك وما زالوا يعيشون ، وقد صنعوا في التاريخ أخطر الوقائع وبرز منهم أكبر الفاتحين وأقاموا الامبراطوريات الواسعة فظهر منهم محمود الكاشغري شمس الدولة الذي رفع منزلة الأتراك ، وظهر منهم محمود الغزنوي وبارك وقيمور لك وآل عثمان الذين أقاموا الدولة العثمانية في الشرق الأوسط من القرن الرابع عشر الميلادي حتى بداية القرن العشرين .

وظهر فيها أعلام الفكر والعلم والفلسفة كالفارابي المتوفى سنة ٨٥٠ هـ وأبي علي بن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧ م والإمام إسماعيل البخاري، وأبي الريحاني البروني، وبهاء الدين النفشبندي وخواجه عبيد الله أحرار وأبي حفص البخاري وأمير هلي شيرنواي وغيرهم

بلاد التركستان هي التي يطلق عليها اليوم أيضاً اسم آسيا الوسطى وهي بلاد قديمة هريقة الأصل واسعة الأرجاء لها ما ضيها العتيق ، وتاريخها المجيد ، وتقع من البلاد الإسلامية موقعاً هاماً ، وتتكون جغرافياً اليوم من التركستان الغربية والشرقية والتركستان الأفغانية ، وقد اشتهرت قديماً على صفحات التاريخ الإسلامي ولعبت دوراً هاماً في غضون عصوره تحت أسماء بلاد ما وراء النهر (سفديانا) وبلاد خوارزم وبخارى وبلاد كاشغر ، وبلاد البلخ وغيرها .

وهي بلاد سطرت صفحات تاريخها بالحوادث والوقائع الجمة التي كانت عاملة في رقيها وعروجها في عهد ، وانحطاطها في عهد آخر .

وقد لعبت هذه البلاد دوراً هاماً في ميادين الحضارة والثقافة أيضاً حيث كانت ملتقى الطريق بين الشرق والغرب فطرقها وممراتها التجارية ظلت تخدم البشرية جيلاً بعد جيل ، يحمل عبرها الحرير والمسك ويختلف أنواع البضائع والأفشة والتوابل والصناعات النادرة

كما نبغ منهم قواد عظام أمثال ايشاخ ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير وباغر واشناس وأحمد بن طولون الذي أسس الدولة الطولونية في مصر وكذلك محمد بن طنج الإخشيد مؤسس الدولة الإخشيدية فيها . وقد أخذ الأتراك منذ عهد الخليفة العباسي المتوكل باقعة سنة ٢٣٢ هـ يقبضون على زمام الأمور في الدولة الإسلامية وقد كان لذلك أثره الكبير في دخول الأتراك الإسلام ، وانتشار الإسلام في ربوع التركستان .

ومن أهم هذه الدول الإسلامية التي ازدهرت في بلاد تركستان وخراسان الدولة السامانية التي حكمت من سنة ٢٦١ هـ إلى سنة ٣٨٩ هـ . ومع أن السامانيين كانوا من غير النسل التركي إلا أن دولتهم التي كانت في بلاد التركستان اشتهرت بالعدل والإصلاح وتشجيع العلم . وفي عهدهم ازدهرت بخارى وسمرقند مركزا للنشاط العلمي والفني والثقافي والحضاري مما كان له أثر كبير في العالم الإسلامي .

وفي عهد صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني سنة ٢٧٩ هـ - ٢٩٥ هـ صارت بخارى عاصمة كل بلاد آسيا الوسطى ووصلت حدود مملكته من الشمال إلى الصحراء الكبرى ومن الشرق إلى جبال تيانشان في الجنوب وإلى خليج فارس والهند الشمالية وإلى الغرب كما اتصلت بخارى بحدود دار الخلافة في العراق وفي عهده

من العلماء والفلاسفة والفقهاء والمحدثين الذين أدوا خدمات جليلة للإسلام ، في ميادين العلم والفلسفة والفن والتاريخ والحديث والفقه والطب والهندسة واللغة وغير ذلك من العلوم . وقد قال شعراء عصرهم في حقهم :

علماء الإسلام كانوا بدورا

وسماء البسودور تركستان

إن أردت الدنيا ترى المجد فيها

قد أقيمت لصرحها الأركان

أو أردت الدين الحنيف تجده

وهو للبر والهدي عنوان

وطن المصلحين ديننا ودنيا

تتغنى بفضلها الأزمان

وكان لسكان هذه البلاد الأتراك - أثر بالغ من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية في تاريخ الإسلام والمجتمع الإسلامي . فمنذ أن تم فتح بلاد التركستان على يد مسلم بن قتيبة سنة ٨٥ هـ في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، زالت الحواجز الشغورية بين تلك البلاد وبلاد خراسان وبينها وبين الخلافة الإسلامية في دمشق وبغداد ، فقامت العلاقات السياسية والدينية والثقافية بين الترك والفرس والعرب واندج الأتراك في المجتمع الإسلامي فانسلخوا في الجيوش الإسلامية واشتركوا في حمل لواء الدعوة الإسلامية وانتشروا في بغداد ودمشق ، ومصر وغيرها - واحتلوا المراكز السياسية في بلاط الخلفاء .

ومنهم محمد البدمولى الذى كان قاضيا للقضاة فى عهد إسماعيل ، توفى سنة ٣٠٤ هـ - ٩١٦ م وأيضاً محمد بن الفضل وكان مفسراً قديراً فى بلاد الإسلام ، ويقال أن إسماعيل الساماني قد رجح فضل بلدة بخارى على سمرقند لمازنتها العلية ولصيتها وشهرتها الواسعة. وكان إسماعيل أميراً متديناً عرف بالتقوى . منصفاً يحب العلم والعلماء وكان جواداً عليهم وكان جوده هذا سبباً فى جلب الطلاب من الأقطار البعيدة لطلب العلم فى مدارس بخارى ودور الحفاظ فيها التى ازدهرت فى عهده بشكل لا مثيل له فى سائر بلاد الإسلام ؟

وخرج فى عهد السامانيين كثير من بلغوا مبلغ الاجتهاد ومنهم أبى حاتم محمد بن حيان التميمي السمرقندى وهو إمام كبير له تصانيف كثيرة فى الحديث والجرح والتعديل وقد ولى قضاء سمرقند ، وتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

وقد كان فى ذلك العهد الزاهر كثير من عظماء الشافعية والحنفية ، فمن أكبر رجال الشافعية محمد بن هلى القفال الشاشى الذى كان يعد إمام عصره ، فيما وراء النهر ، والذى نشر مذهب الشافعية وله كتب فى الفقه والأصول وقد خرج غازياً فى الحروب التى وقعت بين المسلمين والروم ، وأخذ أسيراً إلى القسطنطينية ثم عاد إلى بلاده ومات فى الشاش سنة ٣٦٥ هـ كما اشتهر من الحنفية الإمام أبو منصور

عادت لبخارى شهرتها السابقة كمرکز للنشاط العلمى والأدبى وظهرت فيها العلوم من جديد وبخاصة الثقافة الإيرانية القديمة فى شكل إسلامى خالص . وقد قال الثعالبي : إن بخارى كانت فى الدولة السامانية بمثابة الحجرة وكعبة الملك وجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أرباب الأرض وموسم فضلاء الدهر .

وقد أنجبت هذه البلاد ما لا يحصى من رجال الحديث والفقه الذين خدموا العلم خدمات كبرى بجدهم وصبرهم على البحث ورحلاتهم إلى أقصى البلدان ، وعلى رأس المحدثين الإمام البخارى الذى ولد سنة ١٦٤ هـ - ٨٥٩ م ، ووضع كتابه جامع الصحاح الذى يعتبر مصدراً معتمداً فى الحديث وقد قال عنه ابن خلكان : إن هذا الكتاب يحتوى على ٧٢٧٥ حديثاً جمعها فى ست عشرة سنة وقرأ عليه سبعون ألف تلييد . وقد توفى سنة ٢٥٤ هـ - ٩٤٩ م ومنهم أبو حفص البخارى الذى كان عالماً متبحراً ولد سنة ١٥٠ هـ وكان قائداً للتيار الفكرى سنة ٢٢٧ هـ - وهو تلييد محمد الشيبانى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ بعد أن ترك آثاره الأدبية الزاهرة لتلييده عبيد الله الفقيه .

ومنهم أيضاً الشيخ بدر الدين الذى يقال بشأنه إنه اعتكف أربعين سنة يتعبد لئلا يلا نوم .

ستين كتاباً في مختلف العلوم، وكان أيضاً من أكبر جغرافائي العرب، وقد ألف في الجغرافية صور الأقاليم. وتوفي في بلخ سنة ٥٣٢٢ هـ، والثاني أبو حنيفة الدينوري وكان من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب. وهناك علم ثالث أيضاً هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد العيني وكان من بلخ وكان معاصراً لأبي زيد واشتهر بتبحره في علم الكلام وهو رأس من رؤوس المعتزلة له مذهب وأتباع يقال لهم السكبية وقد توفي سنة ٥٣١٧ هـ.

وقد توج عهد السامانيين بظهور الفيلسوف الكبير أبي علي بن سينا، درة الدولة وهو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن سينا أصله من بلخ، ولد في بخارى وعاش في عهد نوح بن منصور الساماني من سنة ٣٧٠ هـ إلى ٤٢٨ هـ وهو أكبر فلاسفة الإسلام، احتل اسمه شهرة ومكانة لم ينلها أحد غيره من فلاسفة الشرق، وظل كتابه (القانون في الطب) يدرس في الشرق والغرب إلى عهد قريب، وكتابه (الشفاء والإشارات والنجاة) يعد مرجعاً لدارسي الفلسفة الإسلامية، وأن شهرته العلمية لا تحتاج إلى تعريف.

وقد شجع السامانيون الحركة الأدبية والعلمية، فكان من الأدباء الذين ظهوروا في هذا العهد وأشهرهم أبو الفضل محمد بن

الماتريدي وهو عند الحنفية إمام في علم الكلام كالأشعري عند الشافعية، وله كتاب التوحيد وآراء المعتزلة ومأخذ الشرائع في الفقه والجدل في أصول الفقه وغير ذلك، وقد توفي سنة ٤٣٣ هـ ونسبه إلى ماتريد وهو مكان الآف في سمرقند ثم أبو الليث نصر ابن محمد السمرقندي الملقب بإمام الهدى توفي سنة ٥٣٧٣ هـ.

وكان من أشهر المتصوفين الذين ظهوروا في بلاد ما وراء النهر وخراسان البلخي، قيل إنه أول من تكلم على أحوال خراسان وقد توفي سنة ١٥٣ هـ ثم أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق وأصله من ترمذ وقد أقام ببلخ وتوفي سنة ١٧٧ هـ، وأيضاً أبو العباس ابن القاسم بن الهدى وأصله من مرو، وهو أول من تكلم عندهم في حقائق الأحوال وتوفي سنة ٣٤٢ هـ وقد ظهرت في هذه البلاد حركة فلسفية قوية يرجع الفضل فيها أولاً إلى شخصيتين من أقوى الشخصيات:

الأولى: شخصية أبو زبير البلخي

وأبو زيد هذا هو أحمد بن سهل البلخي الذي جمعت مؤلفاته بين الفلسفة والعلوم الشرعية والأدب ومن أهم مؤلفاته كتاب أقسام العلوم وكتاب أخلاق الأمم وكتاب نظم القرآن وكتاب اختيارات السيرة وكتاب السياسة الصغير والكبير وغيرها وبلغ ما ألفه

عبيد الله البلعمي وأصل أجداده عرب من
تميم استوطن فرعهم في بخارى ، وكان وزيراً
لنصر بن أحمد بن الساماني ، وقد قام بترجمة
تاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية ، وتوفي
في سنة ٣٦٣ هـ . والثاني أبو عبيد الله محمد

أحمد الجيهاني وله كتب عديدة وقد استوزر
أيضاً لنصر بن أحمد ، ومن الشعراء والأدباء
الذين يستحقون الذكر محمد بن موسى الحداري
البلخي ، وأبو بكر الخوارزمي المتوفي
سنة ٣٨٣ هـ ، وبديع الزمان الهمذاني ، وقد
توفي بهرات سنة ٣٩٨ هـ وله مقاماته المشهورة
التي حذا حذوها الحريري فيما بعد .

وهناك أيضاً طائفة كبيرة من الأمراء
والأدباء من نسل العباسيين وغيرهم جاءوا
إلى هذا الإقليم من العراق ، فشحعوا الحركة
العلوية تشجيعاً عظيماً بسبب ما بذلوه من مال
وجهروا به من رأى . وكان من أشهر هؤلاء
أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني
وهو من نسل المأمون ... ومن الأمراء
والأدباء غير العباسيين الذين اشتهروا
أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي وأبو محمد
ابن عبد الله بن إسماعيل الميكالي وغيرهما ،
وآل ميكال كانت أسرة كبيرة من سادة
خراسان .

ومن أئمة اللغة : العلامة الأزهرى
أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى وأصله
من بهرات ، ولد بها ومات بها ، وقد صنف
في اللغة كتاب التهذيب في عشر مجلدات وهو
من الكتب التي ذكرها ابن منظور في كتابه
لسان العرب وقد توفي الأزهرى سنة ٣٧٠ هـ

وهناك طائفة كبيرة أيضاً من الأمراء
والأدباء من نسل العباسيين وغيرهم جاءوا
إلى هذا الإقليم . وكذلك الجوهري صاحب
كتاب الصحاح وهو إسماعيل بن حماد وأصله
من قاراب وكتابه الصحاح يعد من أمهات

نَفَاحَاتُ الْقُرْآنِ

التَّبَشِيرُ بِالْخَيْرِ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّبْكِ

« وما جاءه الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم
وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم ،

- ١ - كثير أمان نجد الخير محفوظاً بالمكاره ، والنجاح يتعرّض في أوهم الخوف ، والإنسان بطبعه يطمع في الخير غير مشوب بكدر ، ولا يحب أن يتحمل في سبيله شيئاً من عناء . ولكن سنة الله فينا ، أن يبتلينا غالباً فيما يجري علينا من أقدسية ، ليكون للبرء في حياته تفكير ، واختيار ، وله محاولات وجهاد . ثم تلاقية النتائج المحتومة ، فيفرح بما سعى إليه من خير ، ويرضى عما بذل من جهد . أو يرجع نفسه فيما ضيع ، ويلومها على ما فرط . وتكون العبرة من شأن هذا وذاك لمن أراد أن يتخذ إلى الخير سبيلاً ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من وعظ بنفسه . وقد سبقت لنا غزوة بدر الكبرى ... يتناولها الكاتبون من نواح عدة ، وفيها
- بحق - مجال للفكر ، وفسحة للعبرة . وفيها مناط للحمد على ما أراد الله بالمسلمين فيها وما قدر لهم بها من الغلبة على عدو الله وعدوهم جميعاً . حتى كانت هذه الغزوة - كما نظل نقول - أول حلقة محكمة من سلسلة الجهاد المظفر للسليدين .
- ٢ - كان النبي - صلوات الله عليه - على سابق الوعد من الله أن يمكنه من عدوه في العير أو النغير . فلما أفلست العير بتجاريتها وتبين للنبي وصحبه أن الوعد السماوي أصبح عالقاً بالحرب لا محالة ، ومع أن النبي كان على ثقة من وعد ربه ، فقد خشى على المسلمين أن تأخذهم رهبة العدو الكثير ، أو ينال منهم الأذى في غير احتمال .

١ — اطمأنت بها القلوب ، وذهب عنها الخوف الذى أثارهم وقتما ، لجادل بعضهم بعضا فى التعرض للحرب ، والخوف نقمة بغیضة تكدر صفو الحياة ، والطمأنينة راحة وهناءة ، ولا تطيب من دونها حياة .

ب — تجمعت قلوبهم المنفرقة فى سورة الخوف ... والخوف طبعى لا يعاب عليهم ، ولكن البشرى أطمعتهم فى الكثرة الباغية ، وأيقنوا أن قتلهم — وإن تضاءلت — هى جنة الله ، وأن النصر لا يقاس بالكثرة والقلة ، وإنما يقاس بالإيمان ، وبالثقة فى الله أنه حق ، وأنه لا يحق إلا الحق (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ١١) .

ج — غشيم الناس : راحة وأمان ، والناس لا يدنو من المموم ، وإنما يظل صمد الأجفان يساوره الأسى . ويكون الناس عند فراغ الذهن ، والتهيج للاستجمام .

د — واقم مع البشرى ماء المطر ، فتظفوا ، وتطهروا ، وتجدد نشاطهم إلى ما يلاقونه ، وزايلتهم الوسوس ، وتلبدت تحتهم الأرض ، فثبتت عليها أقدامهم ، ولم تعد تسبخ فيها كما هو شأن الرمال .

هـ — جمعوا من الماء ما يفيدهم وتوافرت لهم أسباب لم تكن لعدوهم ، حتى كانت الأمطار

فكان من دعائه لله نحو القبلة : اللهم أنجزلى ما وعدتني ... اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فإنك لن تعبدنى فى الأرض ، اللهم هذه قریش أتت بخيلائها وغررها ، تحادك وتكذب رسولك : اللهم فنصرك الذى وعدتني .

وما كان هذا الدعاء عن ضجر ولا يأس ، وإنما هو صدى الإيمان ، وظاهرة الثقة فى الله أن يستجيب ، وهو مظهر الأمل الصادق فى رعاية الله لجنده ، وأماراة على توقع الظفر بالمطرب .

وكان الله — سبحانه — عند ثقة محمد وصحبه فى أنه لن ينجيهم لعدوهم أبدا طمأن الله رسوله بالبشرى الواضحة ، والفعال الأكيد ، إذ أوحى إليه . . . إلى مدكم بألف من الملائكة مردفين ، وهل هناك بشرى تكون خيرا من معونة الله بالملائكة تقاثل فى هذه الشدة مع النبی وصحبه ، كان جائزا أن يؤيدهم الله بالملائكة من عنده دون خبر سابق . ولكن الله أراد أن يبادر رسوله وصحبه بالبشرى لها وراءها من مقاصد يحتاجها المجاهدون فى موقفهم هذا ... وناهيك بألف من الملائكة ، متبوعين بغيرهم يجهادون مع المؤمنين .

٣ — فما مقاصد البشرى التى يمن الله بها على عباده ؟ .

المؤمنين ، كما هو مشهور ، ووردت به آثار راجحة ؟ ؟

أو نزلوا ليكثر بهم سواد المسلمين في نظر العدو ، وتحدث بهم الرهبة في نفسه ، ويكون الجلال والجهاد من عمل الناس ؟ ذلك الرأي الأخير ما يقول به علماء : مستشهدين له بظاهر قوله تعالى : وما جعله الله إلا بشرى يفهمون : أن الله لم يجعل الإمداد بالملائكة للحرب ، بل للبشرى والتأييد فحسب ، ويقولون : لو كان للملائكة حرب لم يكن لأهل بدر فضل ، ولا استحقوا تلك المثوبة التي ثبتت لهم في القرآن ، وعلى لسان الرسول ، وهذا توهين مرجوح ... وعلى أى حال : فالملائكة مدد مبارك ، وتأيد مشهود .

وهذا شأن ربك مع كل مجاهدين في سبيله متى كانوا دلى نية صادقة وعزيمة خالصة ، ولائذين بمعونة الله ، فإنه هو وحده الناصر دون غيره ، مهما تكاثرت الأجناد ، وتضاعفت الأمداد ، وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم .

تجلى ذلك في توجيه الله للملائكة أن يثبتوا المؤمنين بالإلهام ، والمؤازرة في إرهاب العدو ، والتسلط عليه بالوهن ، وإطاحة الرقاب ، حتى كان الواحد من الكفار تطير عنقه قبل أن يتمكن منه ضربة السيف من يد المسلم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .

وبالاهل المشركين في موقفهم وتجمعهم . كانت هذه البشرى كلها بمنأى وبركة على محمد وصحبه ، وكانت كما وصفها الله وأشاد بها ، (وما جعله الله إلا بشرى ولنطمئن به قلوبكم) وكفى بالامر حسنا أن يسميه الله بشرى .

و — خلقت هذه البشرى في أصحاب محمد هزائم مشبوبة ، وآمالا فنية مرجوة ، ورغبة في الحرب لا تتخلفها ريبة في الانتصار وإن اقتضى جلادا وتضحية .

وأصبح شاخصا أمام الفرد ، وأمام الجماعة منهم أن العاقبة لإحدى الحسينين : ظفر بالعدو ، ومجد للإسلام ... أو استشهاد وخلود في دار السلام .

وكلتاها غاية يفتديها المسلم العربي بروحه ، وأهله ، وماله ، وبما هو أعزيز عليه من ذلك لو كان !

لأنها حياة في عزة ، وهم أعشقى الناس للعزة وأعرف بها !

أو : هي مات في شهادة لله ، وهناك خلود في نعيم بجوار الله ؟

كانت البشرى سابقة على خوض الحرب ... وكانت نتيجةها كما قدروا فوزا في تلك الحرب .

ز — صدق الله وعده بالبشرى ، ونزلت الملائكة - ولا جرم - .

ولكن : هل حاربوا بأنفسهم مع جنود

ومن وراء إسحاق يعقوب - يا مريم إن الله
يشرك بكلمة منه - يا زكريا إنا نبشرك
بغلام اسمه يحيى .

ونظراً لما تحمله البشرية من ترويح عن
النفس ، ولما تبعثه من بهجة كان حامل
البشرى إلى الناس محبوباً عندهم ، ومستطاب
الحديث فيهم ، ومرموقاً منهم بعين الرضا .

ومن حقه عليهم أن يحبوه ، ويوفوه حقه
من التقدير ، بنفسية ما جاءهم به من خير
يرتقبونه . فليس كثيراً على رسول الله أن
يكون حبه محتوماً علينا ، وأن نتخذ من حبه
تعلقاً بمتابعته في دعوته لصالح أنفسنا ،
ووفاء بواجب العهد مع من جاءنا بتشريع
الله ، وبشرنا برحمته ، وكافح في إنقاذنا من
ظلمات الجهالة ، والضلال .

ليس كثيراً على محمد أن يكون حبه عبادة
وقربة تظفر بها عند الله : « قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني ، يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ،
وهذا شيء مما نستمدده من أثر بشره ولأن
البشرى ذريعة إلى كسب المحبة ، ومفتاح
للخير كان النبي داعياً إليها في قوله صلى الله
عليه وسلم : بشروا ، ولا تنفروا .

وأنت لا تجد لفظ البشرية إلا في معرض
النفاؤل ، وسياق التطمين على ما يتعلق به
المؤمن ، أو الإنسان عامة من رجاء . .
(البقية على صفحة ٩٦٩)

فإن تكن البشرية في غزوة بدر ذات أثر
أكيد ، وإلى حد بعيد في انتصار المسلمين ،
فإن الله قد أخذ على نفسه العهد أن ينصر من
ينصر دينه ، وأسلم إلى الله وجهه ، إن تنصروا
الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم .

ونحن في الحياة على ما بها من شواغل
لا نجد غير الله عوناً ، ولا من دونه نصيراً
فهو ولينا ، يهدينا سبلنا ، ويعلم متقلبنا
ومشوانا .

تلك : هي البشرية وما كان لها من فضل
في توجيه المسلمين إلى ما يخشونه من عدو
كان يستهين بهم ، ويتربق الغلبة عليهم ،
ليستأصل جماعتهم الناشئة التي بدأت تناهضهم
وتنقص من جبروتهم وسلطانهم ، ولم يكن
ذلك عندهم في الحسبان .

ح — وأنت ترى لفظ البشرية يساق
في كل مقام يعنى به القرآن ، ويلوح فيه
للدؤمنين بأنهم أصحاب الحظ فيما يطمحون
إليه .

وانظر — مثلاً — إلى قوله تعالى
« فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيقتبعون أحسنه — يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم بشراكم
اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار . . » .
وفي شئون الدنيا كذلك : « ولما جاءت
رسلنا لإبراهيم بالبشرى . . فبشرناها بإسحاق

الولى ضرورة فى عقد الزواج

للأستاذ ابراهيم عبدالباقى

ومن رطابة الله تعالى للإنسان أن جعل
شريعة الإسلام صالحة لكل زمن وجيل
لما فيها من عنصر المرونة .

وكان عمر رضى الله عنه إذا ما سن قانونا
ينتظر ماذا يكون أثره ؟ فإذا لم يحقق الغرض
المشود أو تحايل الناس عليه سرعان ما بدله
بغيره واستغفر ربه .

هذا عمر لما وجد الفسء يتحايلن على
القانون فيسرعن إلى فطام أطفالهن ليأخذن
نصيب الأطفال قبل إتمام الرضاع بادر
إلى تغييره ، لكى يكفل للأطفال حقهم
فى الرضاع .

فلباذا لم يتبعوا عمر فى سياسته وقد قال
الرسول صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا ^(١)
بالذين بعدى أبى بكر وعمر ، وبغيروا
الوضع الذى جرت عليه المحاكم الشرعية
فى إباحة زواج المرأة نفسها من غير أن ترجع
إلى الولى ، ومن العجب العجائب أن المحاكم
الزمت كتاب العقود (المأذونين) صيغا

(١) لابن عدى فى الكامل من أس رضى

منذ أن استقر حكم الدولة العثمانية فى
مصر ، وعين أول قاض حنفى والقانون
ملتزم مذهب أبى حنيفة الذى يرى أن المرأة
الرشيذة يصح أن تزوج نفسها من غير الولى ،
وقد توالت السنون ، وتعاقت الدهور على
هذا الرأى ، والمشترون واقفون جامدون
أمام الزمن المتجدد الذى لا يقف ، ولم
يفتحوا أعينهم على المآسى الاجتماعية
والنكبات الخلقية التى نجمت من انفراد
المرأة بعقد زواجها من غير أن يشرف
عليها الولى الذى هو أبعد نظرا وأكثر
تبصرا بعواقب الأمور .

ولماذا تقلد مذهبها واحدا ، وندع رأى
الجمهور وقد نطقت الحوادث ودلت التجارب
على أن وجود الولى أحكم ، وعدمه فى عقد
النكاح كثيرا ما أوقع المرأة فى مآسى
اجتماعية ونكبات خلقية .

وقد استفاضت كتب الحديث فى أن عقد
الزواج لا يصح إلا بولى للصغيرة والكبيرة .
استفاضة لا مطمع فيها لمنكر إلا لتناول
تأويلا نائيا عن الصواب .

البشرية الخالدة التي تسير الزمان الذي يتجدد ولا يقف ، ففيها لكل حادثة حكم ، ولكل ضلالة هداية ، ولكل ظرف تقدير ، ولكل مشكلة حل ، كما أنها لا تدركها الشيخوخة ولا الانحلال لأنها جاءت بأحكام كلية ، يستنبط منها العلماء المجتهدون الأحكام التي تنطبق على كل زمن وجيل ، فمن أبطل الاجتهاد فيها فقد رماها بالركود ، وأصبحنا في حاجة إلى تشريع جديد ، وأنى لنا ذلك وقد انقطع الوحي وانتهى دور النبوات ، إنما لإحدى الكبر أن نبطل الاجتهاد في الشريعة الغراء فنحكم على العقل بالإعدام ، الذي هو هبة الله للإنسانية .

وكم رفعت الصوت عاليا على منابر المسلمين وكان يدوى في آذان المستمعين ، ومنهم من له مكانة الرسمية ، فلم أجد من يصيح إلى شكاتي ويسمع أنات أحزاني ، فكم من فتاة استبدت برأيها ولم تشرك وليها في زواجها ، فوقعت في محنة ليس لها من دون الله كاشفة ، فهي بين أمرين : إما أن تعيش عيشة ضنكا ، أو تضطر لفراق زوجها بعد أن كسدت بضاعتها في سوق الزواج ، ولا ننسى ما يساور الآباء من هموم وأحزان ، وتنهيدات موجعات تنتاب الأمهات على ما أصاب بناتهن في أكبر أمنية لهن في الحياة .

ولقد أثمرت الصحف اليومية من ذكر

محدودة في كتابة العقود كأنها تنزِيل من حكيم حميد ، ولوحادوا عنها ولو بلفظ واحد هو قوبوا عقابا صارما لا رحمة فيه ولا هوادة . فهاذا على رجال القانون لو عملوا عن هذه النظم البالية ، وأخذوا أحكامهم من المصدر الأول وهو كتاب الله وسنة رسوله ، المأمونى الخطأ الذين أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يجاور ربه بأن من اعتصم بهما لن يضل أبدا .

ولهاذا تكون كتابة العقود على مذهب أبي حنيفة فحسب ، وشريعة الله الخالدة واسعة لا تضيق ذرعا بكل جديد ما دام في دائرة الطيبات وفيه الخير لجن الإنسان .

إن الفقه قانون الحياة ، والحياة في تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حرا في حياته العملية ، فلا يلتزم مذهبا معينا بل يتوخى المعنى الصحيح يسير مع الحق حيث سارت ركائبه .

وإذا كانت للنبوات سارت الإنسانية البشرية جمعاء في أدوار تاريخها ، حتى إذا هضمت غذاء أمدتها بغذاء آخر ، وكلما أجدبت عليها الدنيا وأقفر أمطرتها بوابل من غيشتها ، وهكذا حتى بلغ العقل رشده ، جاء دور البعثة المحمدية التي كانت نهضة للإنسانية وثورة عامة على الوحشية ، وغذاء سرى في جميع أقطار الدنيا - أسعف الله بها

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيا امرأة تزوج بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى له .

٢ — حديث (١) أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها ، » ٣ — حديث (٢) أبى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا نكاح إلا بولى ، » .

هذه الأحاديث وكثير غيرها أقوى ما استدلل به الجمهور من السنة لأنها صريحة لا تقبل التأويل إلا إذا عارضها نص آخر يساويها فى الصحة على الأقل ، ولم نجد للخالفين أدلة سوى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن ، وهذا الحديث ونحوه لا يعارضان الأحاديث السالفة الذكر ، لأنها قىلا لشيء آخر ، وهو أن الثيب لها الخيرة فيمن تريد زواجه فلا بد من رضاها إن كانت ثيبا ، والبكر يمنعها الحياء من التصريح فلا بد من استئذنها ، وليس المراد أن الثيب تزوج

هذه المآسى ، وأقرب حادثة منها تلخص فى أن فتاة من أسرة عريقة المجد تدرس فى السنة الأخيرة فى كلية من الكليات هام بمحبها شاب من بيت وضيع كان يشغل مهنة حقيرة ، وقد ورث عن أبيه شيئا لا يكاد يذكر فاشترى به ملابس ، وفى كل يوم يلبس جديدا ويقابل هذه الفتاة ، ويغرى بها ، حتى أوهمها أن أباه فلان الثرى فأنخدعت بزخرف قوله ، ومعسول لفظه ، ورضيت أن تكون له زوجة ، وكتمت الأمر عن أبيها حتى لا يقف فى طريق زواجها ولبثت معه بضعة أشهر حتى نفذ ما معه من المال . وفى اليوم الذى انعقد فيه النكاح من للعام الآخر كان طريق للسجن لعجزه عن نفقتها . وهذا كله نتيجة استبدادها بزواج نفسها من خير ولى .

ولنا فى القائمين الآن على الأمر أمل فى أن يستمعوا لقولى : ويرحموا بنات جنسى من هذه المآسى الاجتماعية ، فيضيفون إلى رضائهن رضا الولى ، وما أيسر هذه الخطوة على المصلحين ، وما أجل نفعها على الملايين ، والأدلة على ضرورة الولى كثيرة منها ما يأتى :

١ — حديث (١) عائشة رضى الله عنها

(١) ابن ماجه وغيره .

(٢) ابن حبان وغيره .

(٣) مسلم عن ابن عباس .

(١) رواه أحمد وغيره .

النساء ، وقال الشافعي رضي الله عنه : لا ينعقد نكاح امرأة إلا بعبارة الولي القريب ، فإن لم يكن بعبارة الولي البعيد ، فإن لم يكن بعبارة السلطان ، فإن زوجت نفسها أو غيرها بإذن الولي أو بغيره بطل هذا .

وقد أجاب من يرى صحة عقده النكاح من غير الولي بجوابين أحدهما : أن الأحاديث التي تفيد اشتراط الولي في صحة العقد مقيدة بالكبيرة ، ولا يشترط الولي إلا إذا كان بها جنون مطلق .

ثانيهما : — أن المرأة أثبت لها الشرع الحرية المطلقة عند بيعها وشرائها وجميع معاملاتها متى كانت رشيدة ، فلا وجه لمنعها من عقد الزواج ، ولماذا لا يقاس عقد النكاح على عقد البيع . ولا يخفى أن هذه حجة واهية بدهية البطلان لأن الفرق شاسع بين عقد النكاح وعقد البيع لأن الأول يتعلق بالأعراض وتكوين الأسرة التي عليها عمارة الدنيا - فيجب أن يحتاط فيه بأكثر من غيره .

ثانياً : إن القياس يعمل به إذا أعوزنا الدليل على الحكم الذي نريده ، وقد قام الدليل من الكتاب والسنة على خلافه .

ثالثاً : إن هناك دواهي قوية يكفي أحدها في خداع المرأة فيمن تريد زواجه أهمها الغريزة الجنسية التي أودعها الله الذكر والأنثى .

نفسها وتوكل من يزوجه مع وجود الولي ، أما عقد النكاح فأمر آخر .

وقد أخرج النسائي عن عائشة : أن فتاة دخلت عليها فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته وأنا كارهة ، قال : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسل إلى أبيها ، فدعاه ، فجعل الأمر لإليها ، فقالت : يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس للأباء من الأمر شيء ، ونفط النساء عام للثيب واللبكر — أما الأدلة من الكتاب فقول الله تعالى (١) « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينسكن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » .

وجه الدلالة في الآية الشريفة أن الله سبحانه خاطب الأولياء فنهاهم عن منع النساء من الزواج بمن يرضونه لأنفسهم ، فلو لم يكن هؤلاء الأولياء حق المنع لما كان لخطابهم بمثل هذا وجه ، ويكون الخطاب للنساء هكذا « إذا منعن من الزواج فزوجن أنفسكن ، ولا تبالين بمن يمتنعن . ومثل هذه الآية قوله تعالى (٢) « فأنسكنوهن بإذن أهلن ، وقوله (٣) أيضاً « وأنكحوا الأيامى منكم ، فقد خاطب الله تعالى الأولياء ولم يخاطب

(١) سورة البقرة ٢٣٢ .

(٢) سورة النساء ٢٠ .

(٣) سورة النور آية ٣٢ .

وربما كانت الغضاضة بينهما أشد منها مع بنى الأعمام ونحوهم فلا وجه لتخصيص ولاية النكاح بالمصبات ، كما أنه لا وجه لتخصيصها بمن يرث .

مضى ثم صاحب الروضة الهندية بعد أن ذكر أن الأولياء لا يختصون بالمصبات قال : ولا شك أن بعض القرابة أدخل في هذا الأمر من بعض ، فالآباء والأبناء أولى من غيرهم ، ثم الإخوة لأبوين ، ثم الإخوة لأب أو أم ، ثم أولاد البنين وأولاد البنات ، ثم أولاد الإخوة وأولاد الأخوات ، ثم الأعمام والأخوال ، ثم هكذا من بعد هؤلاء . ومن زعم الاختصاص ببعض دون البعض فليأتنا بحجة ، وإن لم يكن بيده إلا مجرد أقوال من تقدمه فلسنا بمن يعول على ذلك ، وبالله التوفيق . هـ .

واجب الولي : هلولى الأمر أن يتق الله تعالى في رحمه فلا يعصها ، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ^(١) « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » . كذلك يختار لها الزوج الصالح حتى إذا أحبها نالت حظها وإذا أبغضها لايضمها حقها ، فيمسكها بمعروف أو يسرحها بمعروف .

إبراهيم عبد الباقي

من علماء الأزهر الشريف

بهذا كانت المرأة عرضة للإندفاع في وقوعها فيمن لم يكن كفءاً لها ، وربما كان خادماً لها . وقد طالعنا الصحف اليومية بكثير من هذه المآسى الاجتماعية والنكبات الخلقية ، كما أشرنا من قبل ، وليت هذا الضرر يقتصر على الزوجة فحسب ، بل يتعداه إلى الأسرة بتمامها حيث يعيرون بإدخال عنصر آخر بينهم لا يداينهم حسبا ولا نسباً وربما أدى ذلك إلى ما هو أكبر خطراً وأعظم جرماً .

شروط الولي :

يشترط فيه أن يكون ذكراً كما هو الراجح ، وأن يكون بالغاً عاقلًا مسلماً إذا كان المعقود عليها مسلمة ، وأن يكون من الأقربين إليها الأقرب فالأقرب ، فإذا اتنى شرط من الشروط انتقلت الولاية إلى الأقرب الذى يليه ، فإذا لم يكن لها أولياء فولها الحاكم ، وقد اتفق الفقهاء أنه لا يكون إلا من الأقربين . والجمهور أنه الأقرب من العصبه . وروى عن أبي حنيفة أن ذوى الأرحام من الأولياء ، والذى رجحه صاحب الروضة الهندية أبو الطيب صديق بن حسن أن الأولياء هم قرابة المرأة الأولى فالأولى الذين تلحقهم الغضاضة إذا تزوجت من غير كف . وكان المزوج لها غيرهم ، وهذا المعنى لا يختص بالمصبات بل قد يوجد في ذوى النسب كالأخ لأب وذوى الأرحام كإبن البنت ،

(١) الترمذى وغيره عن أبي هريرة .

مجمع البحوث الإسلامية

مجال أمين لدراسة تاريخ المسلمين

للأستاذ فتحى عثمان

وعرف هذا الناشئ الذى ينشد البحث أن الخبر لا يكون حجة لمجرد أنه مودع بين دفتى كتاب تاريخى مشهور كالطبرى أو البلاذرى ، أو المسعودى أو ابن الأثير . فإن تدوين التاريخ كما تأثر بقواعد منهجية ، تأثر بأهواء فكرية وشخصية ، ومن المعروف أن المروى عن ابن اسحق أو الواقدى ، أو ابن هشام أو ابن سعد فى السيرة النبوية - وهى للقطعة من التاريخ التى تقدسها ضمائر المسلمين - ليس له من الضبط العالى مثل ما للحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد والموطأ . فقد كان (الاخبارى) أقل ضبطاً وتدقيقاً من (المحدث) ، وقد تعرضت كتابة التاريخ فى عصر بنى العباس لأهواء شعوبية وحزبية ، وتعرضت لمزلق النوادر والطائف التى تروى فى مجالس الأدب كأنها من وقائع التاريخ !!

عرفت هذا كله خارج كلية الآداب ... وكنت أتوق إلى أن أرى دراسة التاريخ الإسلامى تقوم على دراسة منهج علماء

كاتب هذه السطور ، درس التاريخ فى كلية الآداب ، وتخصص فى دراسة التاريخ الإسلامى وأهد رسالة جامعية فيه ...

وكاتب هذه السطور لم يدوس فى كلية الآداب - خلال دراسته الطويلة بها - منهج المؤرخين المسلمين فى (الرواية والإسناد) ، وأحوال (الرجال) ما بين التعديل والتجريح . وإنما عرف هذا فى غير كلية الآداب ، وأقاد من دراسة علوم السنة - وهى الأساس المنهجى للرواية العلمية عند العرب فى التاريخ وفى الأدب أيضاً ، وكانت هذه الإفادة خارج دروس كلية الآداب كذلك . وعرف الكاتب أن للطبرى سلاسل إسنادة ، وأن أصول هذه السلاسل ليست فى درجة واحدة من القوة ، فسيف بن عمر غير هشام بن محمد ، ولكل سلسلة حلقاتها تتفاوت قوة وضعفاً ، وعلى هذا ينبغى أن يفحص الخبر فى سنده كما يفحص فى متنه ، فالعمدة على الراوى كما يقولون ، ودراسات علماء الحديث نماذج مثالية لهذا المنهج العربى الأصيل الفريد .

المسلمين ، ودراسة أحوال (الرجال) ما بين رواة ومصنفين .
وكنص أتوق إلى أن أرى قبل ذلك كله دراسة للتاريخ الإسلامي في ضوء العقيدة الإسلامية والنظام الإسلامي ، كما يدرس تاريخ اليونان في ضوء الميثولوجيا والفلسفة اليونانية ، وكما يدرس التاريخ المصري القديم في ضوء العقائد المصرية القديمة ، وكما يدرس التاريخ الروماني في ضوء النظم القانونية والاجتماعية الرومانية .

وكنص أتوق كذلك إلى أن أرى دراسة التاريخ الإسلامي تستهدف دراسة تاريخ المجتمع الإسلامي لا الحكم المسلمين !!
ومراجع التاريخ الإسلامي لم تكن مراجع (أرستقراطية) مقصورة على رواة أخبار الخلفاء والوزراء ، لقد كان تاريخنا تاريخ شعوب لا تاريخ ملوك ، ولقد هلبنا ديننا ألا نستبح بكرة وحشيا إلا للكبير المتعال ، وألا نمجد إلا الله على كل حال ، والمسلمون بعد ذلك سواسية ، كلهم مخلوقون وكلهم عباد !
ومن هنا كان بجوار المراجع العامة في تاريخنا ، كتب (التراجم) التي تقدم شخصيات المجتمع الإسلامي من علماء وأدباء على اختلافهم ، بجانب تقديمها للحكام والقواد ، وهي تقدم مشاهير النساء كما تقدم مشاهير

الرجال على السواء ! وكتب (الطبقات) عندنا تتناول المحدثين والفقهاء والأدباء والحكام والأطباء ، وهي تفصل القول أحيانا فتعرض لطبقات الشافعية أو الحنابلة أو الصوفية . ولدينا كتب (البلدان) وتاريخها ، وهي تقدم لنا صورة مجتمع البلد وشخصياته المختلفة ، ومنها الكتاب المتبع للبغدادى المعروف بتاريخ بغداد الكبير .

ولو درسنا تاريخ المجتمع الإسلامي لتكشفت لنا حقيقة التيارات العميقة التي قذفت بالحركات الشاذة إلى أعلا السطح ، وهي حركات لا ينبغي المرور عليها مرأ سريعا !! إن فتنه الزنج حدث اجتماعى كبير ، وفتنة القرامطة حدث اجتماعى كبير ، وحدث انحرافات عقائدية وتحولها إلى كيان اجتماعى انفزالى حدث نفسى فكرى خطير ، فوجود النصيرية والدروزية واستمرارهما يحتاج إلى مناقشة !! وأصل الأصول وأس الأمور أن يدرس تحول المجتمع الإسلامى من مجتمع قبل إلى مجتمع عالمى ، من مجتمع بسيط إلى مجتمع مركب ، من حكم أبوى مشيخى إلى دولة أمبراطورية ملكية ... ولو درس هذا التاريخ على هذا النحو لانكشفت أسرار توجيه الظروف ودرس الأعداء في حدوث وقائع تاريخنا أولا ، وفى فهم هذه الوقائع بعد ذلك !

إن تاريخنا يحتاج إلى القوى الأمين ...

يحتاج إلى القوى الدؤوب على البحث ،
الذى لا يضجر من وكام الأخبار وأكدا
الروايات ، ولا يجهد من متابعة الفحص
والفحص !

لقد وجدت اللغة الميروغليفية من يفك
طلاسمها ، ووجدت اللغة اليونانية من يتعمق
في أساطيرها وفلسفتها ، ووجدت الحضارة
الرومانية من يتفهم نظمها ونزعتها ...
وخرجت المدرسة التاريخية المصرية ،
في (تاريخنا القديم) : سليم حسن وسامى جبرة
وأحمد غزى وأحمد بدرى وعبد المنعم
أبو بكر وإبراهيم نصحي ... فأين أعلامنا
في التاريخ الإسلامى ؟؟

إن تاريخ الحروب الصليبية لم يكتب بعد
كتابة عصرية من وجهة النظر الإسلامية ...
وقد شكلت لجنة من أعلام التاريخ في الغرب
لتشكيل الصورة النهائية لتاريخ هذه الحروب
- من وجهة النظر الأوروبية طبعا ، وكان بين
الأعلام العشرة المرشحين لهذا العمل الخالد
عالم مصرى !!

وإن المتقطعات المتناثرة في مراجع
والحواليات ، الإسلامية عن الحروب
الصليبية قد جمع شتاتها المستشرقون ،
وظهرت بمجموعة مطبوعة بمجهود إيطالية !!
وتاريخ الأندلس الإسلامى ما زال محالا

فسيحا للبحث والدراسة ... وبارك الله في
جهود الدكتور حسين مؤنس حتى يتم ما بدأه
في سفره النفيس الفريد « فجر الأندلس » ،
وفي جهود الأستاذ محمد عبد الله هنان المحامى
الذى شغف بهذا الموضوع من قديم .

وتاريخ الإسلام في جزر البحر المتوسط
في قبرص وكريت وصقلية وغيرها ...
يحتاج إلى بحث ودراسة ، والبحوث التى
ظهرت فيها حديثا لمؤلفين من العرب تعد
على الأصابع .

وتاريخنا الإسلامى الحديث ... تاريخ
« الخلافة العثمانية » ، وتقويمها الصحيح في
ميزان الإسلام ، تاريخ الاستثمار الصليبي
الحديث من عسكرى واقتصادى وفكرى ،
تاريخ حركات التحرر في صورها المختلفة ،
هل نترك هذا كله « للوثائقين » ، بما لجون
جندور كيافنا معالجتهم الجزئية الضيقة ؟؟

يرحم الله أستاذ المدرسة المصرية في التاريخ
شفيق غربال : كان أول من قال في عصرنا
فيما أعلم - أن التاريخ الإسلامى مفتوح
حتى أيامنا هذه ، وأن الغربيين إذا كانوا
قد أنهوا تاريخهم « المسيحى » ، عند العصور
الوسطى لأنهم فصلوا بين الدين والهدولة
في تاريخهم الحديث ، فإن المسلمين لا ينبغي
أن يقلدوا ما ذاع وشاع عند غيرهم ، فهو
يفقد عندهم حجة التبرير !!!

وخير شاهد على المستشرقين ، أستاذ جليل
درس أعمالهم ، ولم يعرف بالتعصب
أو التحامل ...

يقول الأستاذ الدكتور حسين مؤنس
في مقاله الممتع بجريدة الأهرام عن كتاب
جاستون فييت : (مجد الإسلام) - وهو مقال
أرجو أن يقرأ في حصص التاريخ بالمدارس
الثانوية وبالصنف الأول من كليات جامعاتنا
كلها - وشعب التاريخ على الأخص :

« ... وفي عرضه - فييت - المجد لتاريخنا ،
فانه أم الحقائق التي سیرت هذا التاريخ ...
استحوذت على اهتمامه حوادث السياسة
والوقائع والحروب ، ففضى يتابع قيام الدول
وسقوطها ، والحروب ووقائعها ...

وقاته أن للعرب والمسلمين تاريخاً آخر
غير هذه السلسلة الطويلة من وقائع السياسة
والمبادئ ...

فليس بين فصول كتابه فصل واحد عن
انتشار الإسلام ... ولا ذكر في كتابه لنواحي
حضارتنا ...

إن صاحبنا يجرى في تيار الخيال الفرنسي
الذي يعود إلى حضارة الإغريق بكل شيء ،
والمؤرخون في الدنيا كلها قد نزعوا عن ذلك
الوهم الذي ساد الفكر الأوروبي إلى الحرب
العالمية الأولى ... ١١

ويحتاج التاريخ الإسلامي إلى الأمن ...
الأمن الذي لا يتأثر بأهواء الشعوبية
القديمة ، وأهواء الاستشراق الحديثة ...
ويبدأ العمل مراقباً لله ، مختصاً للعلم :
« ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع
والبصر والفؤاد - كل أولئك كان عنه
مسئولاً .

الأمن الذي لا نستويه شهوة الاستنتاج ،
وزوارق التحليل والتركيب ، فيطير وراء
كل لمعة يتخيلها وراء حادثة ، ويلتوى ليعتسف
الوقائع حتى تطابق الظنون والآراء : « فتبينوا ،
أن تصيبوا قوماً بجمالة ، فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين ، ١١ »

الأمن الذي يأخذ عن المستشرقين جلدهم
ودأبهم على البحث ، ومناهجهم في الدراسة ،
ثم يعرف أن لهم أهواء شعورية وغير
شعورية - لو أسرفنا في رغبة الإنصاف ،
وأن لهم أخطاء نتيجة قصورهم في فهم الإسلام
أو العربية ١١

وليس معنى هذا التمسك بالحكمة أنى وجدها
المؤمن ... فنحن نجد جب وفله وزن وغيرهما
قد فطنا للأهواء وراء الروايات التاريخية ،
وشرعاً في تمحيصها في بعض الأحيان وعلى قدر
الإمكان ... ولم يفتن لذلك من باحثي العرب
في التاريخ إلا قليلون : من أمثال محب الدين
الخطيب والدكتور جواد على .

لا يجد غضاضة في أن يتحدث عن نهضة العلوم أيام المأمون - فهو نهضة غير هرية ١١، ١٠، ٩، ٨.

وأخيراً ينهى الأستاذ الجليل مقاله بهذا النداء المدوّى في الميدان ... ميدان البحث التاريخي :

« ليس أمامنا إلا أن نعمل ... ونعمل حتى الموت ! »

لتصور الجهد الذي بذله هذا الرجل الفرنسي وهو في سن السبعين - جهده في الجمع والترتيب والاختيار ١١

إن بعضنا يلعب ، ويتصور أنه يعمل .. ينظر في الصفحات التي كتبها الطبري أو ابن سعد مثلاً عن عمر بن الخطاب ، ثم يكتب سلسلة كتب عن عمر بن الخطاب ١١١ ، .

هذا النداء العذب ، والحن الحلو - نسمعه الآن من أستاذ جامعي كبير ...

وهذه بشرى وإرهاص ١١
وقد كانت الحاجة ماسة إلى تنظيم جماعى ، يعين الأفراد على مشقات البحث العلمى ...
إن لدى الغربيين أكاديميات ومجالس للاستشراق . وكنت أتلفت عندنا : فأجد المجمع القوى منصرفاً لمهمته في البحوث الغريبة ، وأجد جماعة كبار العلماء تستقبل الأعضاء يحوّشهم ثم تغلق عليهم الأبواب وتحكم الرناج ١١

ولكننى أعود فأقول : إن المؤلف فرنسى ، والفرنسى لا يفهم العرب أبداً ١١

هناك ستار من الحقد يحول بين أبناء فرنسا وبين أن يفهمونا ... حقد قديم ، يرجع إلى الحروب الصليبية ، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حرباً بين فرنسا والإسلام ! وحقد جديد ، بدأ سنة ١٨٣٠م عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر ١١ ...

حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون هنا ... فإن محمداً الذي يصوره أولئك المستشرقون ، ليس محمداً رسول الله الذى نحن على دينه ، إنه رجل من صنع خيالم وتصورهم ١١

... ونحن معجبون ببني أمية ... يعجبنا حلم معاوية ورجولته وسياسته ، وتعجبنا عروبة عبد الملك ، ويعجبنا إيمان الوليد وسلمان ، وتعجبنا من بنى أمية جميعاً الفحول والأصالة والشهامة والعروبة ...

ولكن ماذا يعجب الفرنسيين في بنى أمية ؟ يعجبهم أبو سفيان ، لأنه حارب الرسول ! ويعجبهم معاوية ، لأنه أنزع الخلافة من علي ! ويعجبهم يزيد ، لأنه قتل الحسين وأمر جفنده بمهاجمة مكة ! .. وهذه هى معظم الصفحات المختارة عن بنى أمية ١١١

... وماذا يقول عن المأمون ؟؟ إن دولته دولة فارسية لا أثر للعرب فيها ، وما دام قد انتهى إلى أن المأمون غير عربى فهو

ترجمة أمهات كتب المستشرقين .. إلى التأليف الجديد على علم ، وهدى ، وكتاب منير .. وهكذا شهدت بداية تحقق الأمل ... كما شهدت بداية تحقق أمل آخر كنت قد كتبت عنه في سنة ١٩٥٤ ، وفي كتابي « الفكر الإسلامي والتطور » - هو أن تكون جامعة الأزهر جامعة حية شاملة ، لها حيوية الإسلام وشموله ، تعد المؤمنين للعمل في الدنيا ، وتزود العاملين في الدنيا بالإيمان . وأتم الله على نعمته بأن أشهد هذا التطور الكبير عن قرب ، وأكون في خدمته بالعمل .. بعد أن تطلعت إليه طويلاً - بالأمل ! والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ... ومرحباً بالوليد العملاق .

فنى عثمان

وكنا نحتاج إلى مجمع علمي إسلامي يستقبل العلماء ، لتكون عضويتهم « بداية » لنشاط جديد في البحث العلمي ... نشاط أوسع ، وأعمق ، فقد أتيسح في ظل المجمع مزيداً من الإمكانيات !!

وكنت أتوق إلى يوم تتحقق فيه هذه الرغبة ليسكون للتاريخ الإسلامي « مجال أمين » للبحث والدراسة ...

وكتبت عن ذلك في كتابي : « أضواء على التاريخ الإسلامي » - في ختام فصول الكتاب وهنائه : « ماذا نريد ؟ »

وجاء بمجمع البحوث الإسلامية في قانون الأزهر الجديد ... فكان انجال الأمين لشعبة تضطلع بأعباء البحث التاريخي : من جمع المخطوطات والوثائق وتحقيقها وطبعها ، إلى

(بقية المنشور على صفحة ٩٥٨)

ومن أجل هذا تجد للفظ البشري حلاوة في الأفواه وهزة في الأعطاف وطرباً في الجوانح . وربما كان الأمر على ما به من كراهة ، ويكون في مساق الإنذار ، والتخويف ، ثم يذكر في أسلوب التبشير : لا فرحة به ، ولا تهوينا لشره : بل مبالغة في استهجانه وتحقير أهله ، لأنهم يتهافون عليه مع ما فيه من قبح كما يتهافت سوامهم على الأمر الكريم ، وكما تتهافت الإبل العطاش على موارد الماء .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

الآزهر والجملة الفرنسية

للأستاذ فوزى عرفة

عندما ألقى الأسطول الفرنسى مراسيه على مقربة من أبى قير أصدر نابليون بونابرت مكتوبا يصور فيه المعركة القائمة على أنها نزاع بينه وبين الممالك ، وأراد بذلك أن يوغر صدور المصريين عليهم فكان مما جاء فى هذا المكتوب : ماذا يميزهم - أى الممالك - عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتعدوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شئ أحسن فيها : من الجوارى الحسان والحيل العتاق ، والمساكن المفرحة ، فإن كانت الأرض المصرية التزاما للممالك فلهمونا الحجة التى كتبها الله لهم ، . وأراد نابليون أن يتودد إلى المصريين ، وخصوصا القوة الشعبية الروحية التى كانت تزعمها فى ذلك الوقت أروقة الأزهر ومشايخه فقال : دأبها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد : قولوا لامتنكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وضربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالمرية الذين

كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . . .

وكان هذا المنشور بصورته السابقة يحوى مراوغة سياسية غريبة ، إذ شعر نابليون أن قيمة الشعب المصرى ومقدار صبره على البلاء والجهاد إنما يتوقف على اتحاد هذا الشعب خلف زعامته الروحية التى تتركز فى عملى الإسلام من علماء الأزهر المناضلين .

وقد اغتر قليل من الناس بمسول قول نابليون وظنوا أن إعلانه لإسلام الفرنساوية معناه موادتهم وصدائهم ، ولم يعلموا أن نابليون صرح مرة بأنه ليس له دين ، فهو فى مصر مسلم وفى روما كاثوليكي وفى ألمانيا بروتستانتى ، ولو ذهب إلى الهند أو أواسط إفريقيا لكان بوذيا أو من عبدة الأصنام .

الطور الأول للجهاد :

١ - وثق العلماء ثقة كبيرة بمراد بك وإبراهيم بك ، وعبثوا من خلفهم الشعب تعبئة روحية كاملة ، فقد كانوا يجتمعون كل يوم بالأزهر ، وكذا مشايخ فقراء الأحدية والرفاهية ، والبراهمة ، والقادرية والسعدية ،

مركزا لتقديم المعونات العاجلة لذوى الحاجات ممن نكبتهم الحرب كما أصبح صلة بين الشعب والفرنسيين ، يرفع مظالم الشعب ويخفف عنه عبء الضرائب الباهظة التى كان يطالب بها الغزاة .

٣ — ظن نابليون أن هذه المظاهر سوف تعينه على السيطرة على المشايخ حتى حدث حادثة طريفة دلت على تمسك المشايخ بوطنيتهم ودينهم ، إذ طلب نابليون المشايخ يوم السبت أول سبتمبر سنة ١٧٩٨ فلما استقروا عنده نهض من المجلس ووضع ييده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض: أبيض وأحمر وكحل ، وضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به إلى الأرض واستعفى وتغير مزاجه وامتقع لونه واحتد طبعه ، فلما لمس نابليون ثورة المشايخ صمم على أن يضعوا الجوكار فى صدورهم فطلبوا منه أن يمهلمهم اثنى عشر يوما وخرجوا من عنده مغضبين . وقد طالب الفرنسيون الأتالي بأن يعلقوا الجوكار عنوانا على الامتثال والطاعة فأبى أغلبهم إلا قليلا ممن خافوا الضرر وقد هادن المشايخ الفرنسيين انتظارا للتثبت من الوعود التى كانت تأتيمهم من السلطان العثمانى بإتخاذ جيشه لتخليص البلاد من الغزاة .

وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشار ويعملون هم بمجالس بالأزهر ، وقد أشاروا على إبراهيم بك أن يعمل متاريس من بولاق إلى شبرا وانتقل العلماء إلى زاوية على بك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر ، ويشجعون العامة على مواصلة الحرب ضد المعتدين .

٢ — انهزم المالك أمام الفرنسيين هزيمة منكرة ، وقد أخطئوا لأنهم لم يثقوا بالشعب فلم يجهزوه بالعدة والسلاح بل تركوه فى هرج ومرج فلما رأوا دلائل الهزيمة واضحة فروا تاركين القاهرة وليس فيها إلا بعض المشايخ فى الأزهر فاجتمع هؤلاء العلماء واتفقوا على أن يطلبوا الأمان من بونا برت ، فكتب لهم منشورا جديدا كان مما جاء فيه « وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والزعمية فيكونوا مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين ، وفى اليوم الثانى ركب المشايخ وكان منهم الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والصاوى والفيومى ولم يحضر عمر مكرم هذا الاجتماع وتشاور نابليون معهم طالبا رأيهم فى كثير من الأمور وفى يوم الخميس ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٨ عين عشرة مشايخ للديوان وفصل الحكومات . أراد نابليون من وراء ذلك أن يسيطروا على العامة ويساعدوه فى حكم البلاد ، وقد أصبح الأزهر

الطور الثاني :

أهل نابليون الديوان وشرع في تأليف ديوان آخر وأراد نابليون بذلك أن يبعد العلماء عن تيار الحياصة وقد خاف شوكتهم ومن خلفهم الشعب ، فنصب المدافع على القلعة استعدادا للطوارئ وأجبر المشايخ على توقيع منشور برضايتهم عن الفرنسيين ، وفي يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٧٩٨ اضطر نابليون إلى استدعاء جميع المشايخ الذين أجمعوا على انتخاب الشيخ الشراقوى وكان معنى هذا تمسك المشايخ بقيادة الشراقوى لهم على الرغم من مناورة نابليون التي أراد من رآئها التخلص من هذا الشيخ الوطنى الصلب .

وأراد نابليون أن ينظم ضرائب على الأسلاك والمعارات فاجتمع خلق كثير بالأزهر وقاد العلماء الثورة ضد الفرنسيين إلا أن الفرنسيين وبعض الخونة الذين أصبحوا جواسيس لهم أعملوا في المصريين القتل والنهب ونالوا منهم نيلا عظيما ، وبعد أن استتب الأمر للفرنسيين في مصر قبضوا على الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان في يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٩٨ وكذلك الشيخ أحمد الشراقوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ

إسماعيل البراوى وحبسواهم في بيت البكرى وأما السيد بدير المقدسى أحد قواد الثورة فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام ، وقد ارتكب الفرنسيون في أمر هؤلاء المعتقلين أمرا إذا ، إذ بينما كان المشايخ يشفعون في أمرهم لفك أسارهم إذ بالفرنسيين ينقلونهم سرا إلى المعسكر حيث قتلهم عن آخرهم في يوم الأحد ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ ولم يطلعوا أحدا من المشايخ على هذا الأمر الخطير ، وفي النهاية أجبروا المشايخ على توقيع منشور عام في ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ جاء فيه ونحبركم أن كل من تسبب في تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ، والواقع أن هذه المذبحة الفاجرة التي ارتكبتها سلطات الاستعمار ضد المشايخ كانت آخر خيط يربط بين الشعب وبين المستعمرين إذ انكشفوا على حقيقتهم وظهروا بكل ما فيهم من خسة ودناءة وشراسة وضراوة .

وقد عرف الفرنسيون هذه الحقيقة فتوجسوا حقيقة من علماء الأزهر وأخذوا يطبعون المنشورات ويوقعون عليها بأسمائهم وإن لم يوافقوا عليها ، ولما أعادوا تنظيم الديوان لم يدخلوا فيه إلا خمسة مشايخ وهم الشيخ الشراقوى والمهدى والساوى والبكرى والفيوى ، وأدخلوا فيه طوائف متعددة من التجار ومن النصارى القبطية ومن الشوام

الفرنسيين قتلا وتشريدا ودارت رحى الحرب بين قوة الشعب وبين الفرنسيين فلجأ الفرنسيون إلى محاصرة المدينة ودكها بالقنابل من الخارج إلا أن المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقي والسيد عمر النقيب كانوا يمرون كل وقت ويأمرون للناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد . فلما ينس الفرنسيون من نتيجة هذه الموقعة أرسلوا يستدعون المشايخ وعرضوا عليهم الصلح والأمان مع خروج الممالك ولكن المشايخ لم يكادوا يعرضون هذا الأمر على العامة حتى ثاروا ، وقد اقترح المشايخ الصلح لأن النجدة التي كان الشعب يتوقعها من الأتراك باتت بعيدة المنال فأشفق المشايخ على الشعب من مغبة هذا اللعب الذي تلقاه واحتمله صابرا غير يائس وهو لا يهتم بما يلاق ويعاني من ضريبة الدم في سبيل الحرية فلم يرجع المشايخ إلى المعسكر ليلغوه نتيجة المفاوضات إلا أن البرديسي ومصطفي كاشف والأشقر سارعوا في يوم ١٨ أبريل سنة ١٨٠٠ بتوقيع الصلح مع الفرنسيين وتركوا العامة والمشايخ والوطنيين جميعا يتميزون غيظا لهذه الحيانة المردولة في إبان الحرب واشتعلها فتجوا بأنفسهم وتركوا الشعب الذي آزرهم يواجه مصيره بنفسه .

ولما دخل الفرنسيون القاهرة مرة أخرى

ومن الفرنسيين وهكذا حتى يتضائل صوت الأزهر في الديوان .

وقد كان نابليون من أول يوم حضر فيه إلى مصر يتظاهر بأنه صديق العثمانيين وعدو المماليك حدثت حادثة كهفت هذا الأفاق إذ كان في مصر قاض تركي هرب فمعين نابليون ملازاده ابنه مكانه إلا أنه برم بابنه فقبض عليه وطلب في يوم الأربعاء ٢٦ يونية سنة ١٧٩٩ من الديوان أن يختار شيخا من العلماء ليحل محل ابن القاضي إلا أن الشيخ السادات زاد في الكلام فقال : « إنكم تقولون دائما إن الفرنسيات أحباب العثمانية وهذا ابن القاضي من طرف العثماني فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة ، وكان من نتيجة هذا أن أطلق سراح ابن القاضي وانتخب الشيخ أحمد العريشي الحنفي قاضيا لمصر وتطورت الأمور تطورا سريعا إذ أجبر نابليون على السفر إلى فرنسا سرا وأطبقت الجيوش العثمانية والانجليزية وفلول المماليك على الفرنسيين الذين لم يجدوا لهم ناصرا في مصر فوقعوا في ١٩ يناير سنة ١٨٠٠ على المعاهدة بينهم وبين تركيا على أن يخلوا مصر وكانت فرحة الشعب كبيرة بهذه الأنباء فلم يتمالك نفسه وأخذ يستخف بالفرنسيين حتى تجمعت جماعات من الأمراء والمماليك فأعملوا في

دار بين المشايخ وبين كبير هذا الحديث الهام : قال لهم : أوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولا وأمركم ونهيكم يرجعون ، فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقتم لنصرتهم ، فقالوا له : نحن ما قمنا مع العثملى إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى وأن البلاد والأموال صارت له ، وهكذا انكشف فى هذا الحديث القصير نفاق الفرنسيين وأنهم إنما تذرعوا بهذه الحجج الواهية ليضحكوا بها على عقول السذج والمغترين ، ولكن الفرنسيين تهادوا فى بغيمهم فطلبوا من المشايخ أن يدفعوا متضامنين غرامة فادحة ، ولما تملكأ الشيخ السادات فى دفع ما عليه أنزلوا به أبلغ عقوبة ونكلوا به فكلا شديدا حتى استخلصوا حصته من الغرامة بعد طول مشقة ، وكانت هذه الأحداث جميعها من أسباب مقتل كبير فى يوم ١٤ يونية سنة ١٨٠٠ بواسطة سليمان الحلبي . وقد أخبرهم سليمان بعد القبض عليه أنه كان يأرى إلى الجامع الأزهر للبيت وقد أراد الفرنسيون توجيه الشبهة إلى المشايخ الذين حرضوا على الثورة الأخيرة إلا أنهم لم يجدوا ما يدينهم أو يبعث على الاشتباه فيهم .

مع الأزهر وجهها الوجه :

ابتدأت فرنسا تتخذ اتجاهها جديدا نحو الأزهر بعد قمع الثورة فى يوم ٢٠ يونية

سنة ١٨٠٠ حضر عبد الله جاك مينو وكان قد أعلن إسلامه وأخذ يطوف بأهواء الأزهر وأظهر عزمه على حفر أماكن للتفتيش على السلاح فشرع المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاء الأروقة وقد توجه الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى إلى مينو واستأذنه فى قتل الجامع وتسميره لينعوا الريبة بالكلية فأذن مينو بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات وخشى بعض المشايخ من انتقام الفرنسيين فبدأ بعضهم يهجر القاهرة الحبيبة إلى الأقاليم لطول ما عانوه من عنف الفرنسيين ورهقهم لهم ، وأما الشيخ السادات فأفرج عنه فى ١٩ يوليو سنة ١٨٠٠ بعد أن استولوا على حصصه وإقطاعه وقطعوا مرتباته والحصص الموقوفة على زوايا أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وألا يركب بدون إذن منهم ويقتصد فى أموره ومعاشه ويقلل أتباعه . وأما باقى المشايخ فقد حاولوا أن يسترضوهم مرة أخرى فكونوا منهم الديوان فقط وكان من تسعة مشايخ رئيسهم الشيخ الشرقاوى .

وفى هذه الأثناء وردت الأنباء عن قدوم جيش الانجليز إلى الإسكندرية فطلب مينو من المشايخ ضبط العامة حتى لا يثوروا كما فعلوا (البقية على صفحة ٩٨١)

قراءة القرآن من أواسط سورته

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

على التعوذ ، زيادة على نص قرآنى ، والزيادة على النص القرآنى نسخ له ، ونسخ القرآن لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور من كتاب أو سنة على الراجح . . وهذا بدوره يجرنا إلى ذكر الحديث الذى يعتمد عليه المبسمون فى أوائل السور أو أواسطها ، وقد روى هذا الحديث مرة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ومرة عن ابن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمرضى بال لا يبدأ فيه بياسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » فهذا الحديث يدل بعمومه على طلب البسملة حين إرادة التلاوة فى أوائل السور وفى أواسطها . . فإذا أضيف هذا إلى الآية السالفة الذكر . . كان المطلوب أمرين : التعوذ ، والبسملة . . هذا ما استدل به المجيزون للبسملة فى أواسط السور ... وعلينا أولا أن نبين عن درجة هذا الحديث من الصحة والضعف ، ومن الشهرة وعدمها . . حتى يتأتى - فى نظر الأصوليين - أن نزيد به على التعوذ الذى اقتصر فى طلبه القرآن - تلك البسملة التى تدب إليها الحديث .

وهاك ما قيل فيه تفلا عن ابن السبكي فى طبقات الشافعية باختصار : وقع الاضطراب

دعائى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، أتى سمى أبناء الصومال - إبان بعثتى إليه - حين يقرءون القرآن الكريم من غير أوائل سورة - يستعينون ولا يبسمون ، وإذا قرؤوه من أوائل السور تعوذوا وبسموا . بينما أندادم فى مصر يتعوذون ويبسمون فى كل تلاوتهم . . سواء بدؤوها من أوائل السور ، أو من أواسطها . . فأخذت الفكرة تراودنى بين الحين والحين : أيهما أدنى إلى الصواب ، وأوفق لروح الدليل .

إن القرآن الكريم يرشده التالى حين يريد التلاوة إلى الاستعاذة وحدها . . وذلك فى قوله تعالى فى سورة النحل : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وهذا فى معرض البيان لأسلوب البداية حين للقراءة - يعنى الحصر فى الاستعاذة والاقتصار عليها . . إذ لا ذكر للبسملة فى الآية الكريمة . ولو شاء الله لجعل لها فى هذا المقام ذكرا . . ولكن لم يفعل . وهذا له مفهومه ومدلوله . إذ من المقرر فى علم أصول الفقه : « أن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر » فالمطلوب إذن فى بداية التلاوة : لون واحد من الذكر هو الاستعاذة ، وزيادة البسملة

أجزم ، وفي رابع الجمع بين أقطع وأبر
وزيادة محق من كل بركة ، وقد قال بعض
العلماء : إن رواية الذكر أعم من رواية
الحمد ، ورواية البسملة ، فيقضى بها على
تبنك الروایتين ؛ لأن المطلق إذا قيد بقيدتين
متنافيتين لم يحمل على واحد منهما ، ويرجع
إلى أصل الإطلاق ، ورواية الحمد أثبت
من رواية الذكر ، فالحمد هنا إما أن يراد
منه ما هو أعم من لفظه وهو الذكر ، أو
خصوص الحمد : وإيما كان فالأمر به لفظ
الذكر . . أما على الأول فظاهر . . وأما
على الثاني فلما تقدم من أن رواية الحمد
حينئذ معارضة بالبسملة ، فيسقط القيدان ،
ويرجع إلى أصل الإطلاق ، كما تقدم ،
ومهما يكن من أمر . . فإن إرادة الذكر
من هذا الحديث تنفق مع مدلول الآية
السكرية في سورة النحل إذ أن الاستعاذة
لون من الذكر .

والزهري الذي روى هذا الحديث مرسلًا
أيضاً قد ردّه الشافعي والمطلي كل مرسلاته
لاحتمال أن يكون طوى ذكر من لو أنصح
عنه لرد من أجله . . كما حدث في حديثه في
الصلاة مرسلًا . . ثم وجد أنه رواه عن سليمان
ابن أرقم وهو ضعيف .

وكما أرسله الزهري ، في بعض رواياته ،
أرسله أيضاً يونس بن يزيد ، وشعيب بن أبي
حمزة ، وسعيد بن عبد العزيز .

في هذا الحديث سنداً ومثلاً : أما سنداً ،
فالزهري تارة يرويه عن أبي سلمة عن أبي
هريرة ، وتارة أخرى عن ابن كعب عن
أبيه ، والراون عن الزهري : طوراً
يروونه عن محمد بن الوليد الزبيدي ، وطوراً
عن محمد بن سعيد ، ويقال له الوصيف ،
والأوزاعي ينقله عن قرّة عن الزهري ،
وينقله مرة ثانية عن الزهري نفسه ، ومرة
ثالثة عن يحيى ، وقرّة هذا قال فيه ابن معين :
إنه ضعيف ، وقال أحمد : منكر الحديث
جداً ، وقال أبو زرعة : الأحاديث التي
يروها مناكير ، وقال أبو حاتم والنسائي :
ليس بقوي ، وقال أبو داود : في أحاديثه
نكارة ، وأما المثنى : ففي لفظه دكل كلام ،
وفي آخر دكل أمر ، والأمر أعم من الكلام ،
وفي ثالث بحمد الله ، وفي رابع بالحمد ،
وفي خامس : الحمد والصلاة على النبي ،
ولفظه دكل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله
والصلاة على فهو أقطع أبت محق البركة ،
وفي سادس : بياسم الله الرحمن الرحيم ،
وفي سابع : بذكر الله . . وفي بعض
طرقه وصف الكلام أو الأمر بأنه ذو بال ،
وذلك في أكثر الروايات ، وفي البعض
الآخر لم يذكر دذي بال ، وأحياناً يروى
بدخول الفاء على المبتدأ الثاني : فهو ،
وأحياناً أخرى بدون الفاء ، وفي حديث
لفظ أقطع ، وفي آخر : أبت ، وفي ثالث

فبعد كل هذا القيل والقال ، والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلاً لأن يزداد به على نص قرآني ، وبالتالي لا يصلح لنسخ المتواتر إذ لم يصل بعد إلى درجة التواتر أو الشهرة .

وبما ينبغي أن يعلم أنه لاختلاف بين القراء في الإتيان بالبسملة لمن يتلو من بداية السور اللهم إلا إذا كانت السورة المبدوءة بسورة « براءة » فإنه لاختلاف في حذف البسملة بين سورة الأنفال وبينها في حالة الوصل عند كل من بسمل بين السورتين ، وأما الابتداء بسورة براءة ، فالصحيح انعقاد الإجماع على حذفها أيضاً عند أهل الأداء ، والاكتفاء بالتعوذ عملاً بعموم آية النحل ، فافتتاح السور من أوائلها بالبسملة - عدا براءة - لاختلاف فيه . إنما محل الخلاف قراءة القرآن من أوساطه أيتعوذ له ويتبسمل كما هو صنيع القراء في مصر وغيرها ؟ . أم يتعوذ فقط كما هي طريقة أهل الصومال وغيرهم . . . وهنا نجد القراء فرقتين : لجمهور العراقيين على اختيار البسملة ، وجمهور المغاربة وأهل الأندلس على عدمها .

ومع اختلافهم هذا فإنهم يتفقون على أن البسملة لم تصح من جهة الرواية والاتباع . . بل إن المسلمين يستندون في استدلالهم إلى ما ليس بدليل لدى علماء أصول الفقه الذين

فصلوا تلك الأدلة في كتبهم تفصيلاً . . . إنهم يستندون إلى تحصيل اليمن والبركة أو إلى استبعاد البشاعة . . . أو إلى القياس والرأى المحض ، والمتصفح لأدلة الشريعة التي تتناول بالحكم أفعال المكلف وأقواله لا يجد في ثناياها شيئاً من ذلك : جاء في كتاب : « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري قول ابن شيطا . . . « أعلم أنني قرأت على جميع شيوخنا في كل القراءات عن جميع الأئمة الفاضلين بالتسمية والتاركين لها - عند ابتداء القراءة عليهم باستعاذة موصولة بالبسملة مجهوراً بهما سواء كان المبدوء به أول سورة أو بعض سورة ، ولا علمت أحداً منهم قرأ على شيوخه إلا كذلك ، وهكذا نجد ابن شيطا يستند إلى قراءة شيوخه دون أن يبين لنا الأساس الذي ارتكز عليه شيوخه ، وقال ابن فارس في « الجامع » : « وبغير تسمية ابتدأت رؤوس الأجزاء على شيوخ الذين قرأت عليهم في مذاهب الكل وهو الذي أختار ، ولا أمنع التسمية ، فقول ابن فارس وهو الذي أختار دليل على أن القراءة بدون البسملة في أواسط القرآن أرجح منها بها عنده ... » وقال مكي في تبصرته : « فإذا ابتدأ القارئ بغير أول سورة عوذاً فقط . هذه عادة القراء . وبترك التسمية في غير أوائل السور قرأت » .
والعجيب أن بعض القراء كان يبسمل

وهنا يبدو الفرق واضحاً بين الرأى المختار للدانى ، وإن كان مقابله غير ممنوع . . فإنه يعنى أن غير الممنوع - وهو التسمية فى أواسط السور - ليس مختاراً ولا راجحاً .

ومناك رأى للشاطي مبنى على استكراه البشاعة حين توصل كلمة الرجيم باسم الله تعالى صريحاً أو كناية ، فيأمر بالبسملة بعد الاستعاذة فى قوله تعالى : « الله لا إله إلا هو ، وقوله : « إليه يرد علم الساعة ، ونحو ذلك ، وكذلك كان يفعل أبو الجود غياث بن فارس وغيره وهو اختيار مكى فى غير التبصرة ، قال ابن الجزرى : « قياساً على هذا ينبغى أن ينهى عن البسملة فى قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ، وقوله : « لعنه الله ، ونحو ذلك للبشاعة أيضاً . . والملاحظ أن البسملة وعدمها على هذا الرأى الأخير إنما تعتمد أساساً على الرأى والاجتهاد المجرد ، من بشاعة ونحوها . وهذا فى رأينا يكون سائفاً لو لم يخطط القرآن طريقة محددة لبدء التلاوة ، أما وقد نص القرآن على أسلوب البدء وصوره بالاستعاذة ، واقتصر عليها فى مقام البيان . . فلا قياس بعد ذلك ولا اجتهاد مع النص .

وليس من هنا - ونحن نعالج هذا الموضوع - أن نستبجح كلمة التحريم بالنسبة إلى من نرى أنهم مرجوحون فى تقرير البسملة فى أواسط السور . . إذ لا يليق

فى أواسط السور - تبركا - ويتخرج كل المتخرج أن ينقل عنه ذلك رواية . . حتى لكان البركة مصدر من مصادر التشريع فى هذا الباب ، وهذا اعتراف ضمني بأن البسملة فى أواسط السور ليست فقلاً واتباعاً ، بقدر ما كانت رأياً وابتداهاً : قال ابن الفحام : - قرأت على أبى العباس يعنى ابن نفيس - أول حزب من وسط سورة فبسملت ، فلم ينكر على . . ثم سأله : هل آخذ ذلك على طريق الرواية ؟ فقال : إنما أردت التبرك . وهكذا نجد السائل حين سأل ، والمسئول حين أجاب . قد نفياً أن البسملة أواسط السور تعتمد أساساً على شئ . إلا أن يكون البركة . . وقد خشى الشيخ عاقبة هذه البركة فى المنقل عنه ففنع تليذه من البسملة وسط السورة بعد ذلك وقال : أخاف أن تقول : رواية . . ثم قال ابن الفحام : وقرأت بذلك على غيره فقال بعد أن سأله نفس السؤال : ما أمتنع . . . أما أنى قرأت بهذا . . فلا . . وهو صريح فى أن البسملة فى غضون السور ليست رواية ، والأهروف لدى علماء القراءة : أن القراءة رواية تتبع ، ولا تبدع : كما قال الإمام أبو عبد الله الكارزى .

قال الدانى فى جامعہ : (وبغير تسمية ابتدأت رؤوس الأجزاء على شيوخى الذين قرأت عليهم فى مذهب الكل وهو الذى أختار . . ولا أمتنع التسمية) .

وتوجيه مثل هذا الحكم في محل للنظر فيه مجال،
ولا مع جهره من مشاهير القراء، وإنما
نستهدف من وراء ذلك أن نتعرف أى

الاتجاهين أرجح في كفة الميزان تحت ضوء
البحث، وأيهما أمس بجوهر الدليل حتى
نكون على بينة من الأمر.

ولابد أن يكون هؤلاء القراء الذين بدؤوا
قراءتهم من أواسط السور بدون تسمية -
مستند فيما ذهبوا إليه. فكلهم أجمع على أنه لم
يجدر رواية واحدة تستدل بها قراءة البسملة.
والمخالفون أيضاً لم يدعوا ثبوت هذه
الرواية. . وإنما ذكروا أن التيمن والتبرك
هو الغنى حدا بهم إلى تقرير البسملة.

والقرآن الكريم يجب أن يؤخذ بعين
الحذر والدقة المتناهية في تقرير كل ما يتصل به
بداية ونهاية وكتابة وتلاوة. . حتى يتزده
كل التنزه عن كل ما ليس منه ليبقى ما بقي
الدهر على صورته التي نزل بها أول مرة. .
فهما قيل في حديث: كل أمر ذى بال،
على نحو ما حاول ابن السبكي من أنه في فضائل
الأعمال، وأنه يتساح فيها ما لا يتساح
في غيرها. . فلن يرشح هذا للتدخل في نص
قرآني بتزويد أو تنقيص. . فلتجعل
الاستعاذة خصوصية ابتداء التلاوة كما جعل
التكبير - وليست البسملة - خصوصية افتتاح
الصلاة والأذان والإقامة، وكما جعلت الحمدلة -

وليس البسملة الخطبة - وكما جعل التهليل -
وليس البسملة - خصوصية افتتاح الحج.
وهكذا نجد أن لبعض العبادات
خصوصيات في افتتاحها. . فلتكن قراءة
القرآن من أواسط السور واحدة من تلك
العبادات مميزة بخصوصية من تلك الخصوصيات
ولا معنى لتحكيم الرأى هنا بزيادة البسملة
- يمنا وبركة - إذ لو فتحنا باب البركة
والتيمن هذا لوسعنا أن نقول بالحمد له بعد
التعوذ أو بالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد التعوذ. . أو بهما معا بعد التعوذ
والبسملة تحصيلاً لا كبر قدو يمكن من البركة.
ولا سيما أنه قد ورد الحديث بكل منها
وليست رواية البسملة أرجح من الحمدلة. .
فالاعتصار على البسملة وحدها في تحصيل البركة
ترجيح بلا مرجح، ولا قياس للأواسط
السور على بدايتها بعد أن تقرر أنه لا قياس
مع النص وأنتا في أوائل السور تتبع رسم
المصحف ونوافق الإجماع.

فسكوت القرآن الكريم عن البسملة
واقتصاره على التعوذ في محل البيان مع إمكان
توجيه الخطاب بالبسملة أيضاً لا يخلو من حكم
وحكمة، فأما الحكم: فهو إفادة المحصر
الناشئة عن هذا الاقتصار، وأما الحكمة:
فهو قطع الوسوسة الشيطانية والمواجس
النفسية التي تزاحم على رأس القارئ إبان
التلاوة، فكان لابد من الاستعاذة بالله في دفع

في الأمر إيدانا بطلب التعوذ بمعنى استعذ بالله :
اطلب منه ان يعيذك . . فامتثال الأمر ان
يقول : « أعوذ بالله . . فإذا قالها المأمور بها
فقد اجاب وامتل ، هذا فضلا عن موافقتها
إرشاد القرآن في هذا الصدد : « قل أعوذ
برب الفلق » ، « قل أعوذ برب الناس » ، « رب
إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم » .
والأظهر أن الأمر بالاستعاذة في بداية
التلاوة للندب كما هو مذهب الجمهور خلافا
لداود بن علي وأصحابه فقد ذهبوا إلى وجوب
الاستعاذة حتى أبطلوا صلاة من لم يستعذ .
حملا للأمر على الوجوب وهو رأى نضر الدين
الرازي وعطاء بن أبي رباح ، ولأن الرسول
صلى الله عليه وسلم واطب على ذلك ، ولأنها
تدبر أشر الشيطان ، وما لا يتم الواجب
إلا به فهو واجب ، ولأن الاستعاذة أحوط ،
وهو أحد مسالك الوجوب ، واحتج الجمهور
بحديث المسىء صلته : حيث هله الرسول
فيه الصلاة ، ولم يذكر له الاستعاذة ، ...
والظاهر أن بيان الرسول شامل لأحكام
الصلاة وأحكام التلاوة معا .
وبعد :

فما أوردنا ظهر أن الاختصار على الاستعاذة
وحدها حين يتلى القرآن من أوساط سور -
أشبه بالحق ، وأقرب إلى الصواب .

وأنلم توجد رواية واحدة تدل على تقرير
البسملة في افتتاح القراءة من أوساط السور .

وسوسة الشيطان لأنه وحده القادر على ذلك
حتى تخلص النية ، ويصفو جوهر الروح لتلقى
الإلهام والحكمة .

وبقى أن نقول : إن أشهر ما قيل في صيغة
التعوذ المطلوب في ابتداء التلاوة : أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ، فقد جاء في الكشف
أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :
« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ،
فقال لي : « يا بن أم عبد . . قل أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم . . هكذا أقرأني جبريل
عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ » .

فهذا الحديث يدل من جهة على أن هذه
الصيغة هي المختارة في كل السور بلا استثناء .
ويدل من جهة أخرى على أن البسملة ليست
من خواص بداية القراءة . . بل إن التعوذ
وحده هو الذي دل عليه الحديث بمنطوقه
ومفهومه ، وقد حكى الإجماع على صيغة
التعوذ تلك — أبو طاهر بن سوار ،
وأبو العز القلانسي وأبو الحسن السخاوي
في كتابه جمال القراء ، وهو المأخوذ به عند
عامة الفقهاء كالشافعي وأبي حنيفة وأحمد
 وغيرهم ، واختار صاحب الهداية من الحنفية
لفظ : « أستعذ بالله من الشيطان الرجيم » ،
لمطابقة لفظ القرآن « فاستعذ بالله . . » قال
ابن النقاش في ترجيح الصيغة الأولى : إن
السين والتاء شأنهما دلالة على الطلب فوردنا

من الشيطان الرجيم) ولذا نرى أن ما درج عليه أبناء الصومال من التعوذ فقط حين قراءة القرآن من أجزائه هو أولى بالإتباع . وأناى من الابتداع ؟

محمد محمد الشرفاوى

المدرس بمعهد الإسكندرية

وأن الناظر فى أدلة المبسمين فى أواسط السور لا يجد إلا التيمن والبركة دليلا ... أما أنه يعتمد حجة من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس (وهى أصول التشريع الأساسية) فهو مالا سبيل إليه .

وأن الاستعاذة مندوبة وليست بواجبة . وأن صيغتها المختارة فى كل حال : (أعوذ بالله

بقية المنشور فى صفحة ٩٧٤

ولكن لم يجدهم ذلك إذ سرعان ما اندلعت ثورة المنوفية بقيادة موسى خالد ثم تقدمت الجيوش التركية حتى كادت تقترب من القاهرة وكان الفرنسيون فى غاية من الملح والخوف فكانوا يجمعون المشايخ كل يوم ليأخذوا عليهم المواثيق والعهود ويوحون إليهم بأنهم قد استقروا فى مصر ولن يخرجوا منها قائلين لهم دواعلوا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك وركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ، كما كانوا يدعون بوصول المدد إليهم وسرعة القضاء على الانجليز والأتراك وأشاعوا - بعد ذلك أن الصلح قد وقع وأفرجوا عن المشايخ المعتقلين وأهيسد فتح باب الجامع الأزهر فى ٧ يولية سنة ١٨٠١ وشرعوا فى كنسه وتنظيفه ليعود قلعة من قلاع الحرية وحصنا من حصون الإسلام وداعية إلى القوة والعدل والخير والسلام .

فوزى عرفة

سابقا إلا أنهم قالوا : إن كل نفس بما كسبت رهينة ، وإنهم غير ملزمين إلا بأنفسهم فأصدر إليهم مكتوبا جاء فيه د واجب إلى أمنيتكم لراحتكم ضبط الخلائق لأنه إن كان يصير أصغر الحركات فلا بد أن أفعالها يقع على رؤوسكم ، وأعيد القبض على الشيخ السادات خوفا من إثارة الفتن فى البلد وإحاجة العامة لبغضه الفرنسيين .

وانجلت الأمور بقدوم الانجليز والأتراك من الشمال الغربى والشمال الشرقى ولم يبق أمام الفرنسيين إلا الحرب فأخذوا أربعة مشايخ فى الديوان رهينة لديهم وهم الشيخ الشرفاوى والشيخ المهدي والشيخ الصاوى والشيخ الفقيوى ونقلوهم إلى القلعة ومعهم للشيخ السادات وأراد الفرنسيون أن يخفوا حقيقة موقفهم الخرج عن الديوان وظل مينو يرسل من آن لآخر صرعات متتالية للديوان طالبا منه الثبات والاتحاد والتكامل من خلفه

جُرم السرقة

في التشريع الإسلامي والقانون الوضعي

للأستاذ محمد عطية راغب

١ — تمهيد :

السرقة في التشريع الإسلامي تعد من الكبائر المنهى عن إتيانها ، بالكتاب ، وبالسنة ، والإجماع .

أما الكتاب فقوله تعالى ، والسارق والسارقة فاقطعوا أيهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (١) .

وأما السنة فما رواه مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده (٢) .

وما روى عنه صلى الله عليه وسلم (٣) ، أنه قال : لا يحصل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس .

وأما الإجماع ، فقد اتفق المجتهدون على

تحريم هذا الفعل (١) .

٢ — وعلة التحريم في هذا التشريع قائمة على رغبة المشرع في المحافظة على الأموال وصيانتها من كل اعتداء غير مشروع قد يقع عليها ، لأنه لو لم يتم الحد لأدى ذلك إلى كثرة وقوع هذه الجريمة والإخلال بالأمن العام والنظام في الدولة .

٣ — وسنقسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول ، أولها في تعريف السرقة وبيان الأركان المكونة لها ، وثانيها في الأدلة التي يثبت بها هذا الجرم ، وثالثها في تبيان العقوبة المقررة له .

تعريف السرقة وبيان أركانها :

٤ — ينقسم هذا الفصل إلى صبحثين ، أولها في تعريف السرقة في التشريع الإسلامي والقانون الوضعي ، وثانيهما في الأركان الواجب توافرها في هذا الجرم .

(١) آية رقم ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) نيل الأوطار . ج ٧ . ص ١٣٦ ، سبل السلام . ج ٤ ص (٢٠) ، نصب الرأية لأحاديث الهداية ج ٢ ط ١ ص ٣٥٥ .

(٣) في حجة الوداع .

(١) المتن : ج (١٠) . ص ٢٣٩ ، إبراهيم دسوقي الفهاوى . السرقة وما يتعلق بها من أحكام ص ٤ ، منصور يونس لإدريس البهوتي . شرح منتهى الإرادات . ج ٣ . ط ١٩٤٧ . ص ٣٦٢ .

تعريف السرقة (١) :

• في المذهب الحنفي عرفها أحدهم (٢) بأنها ، أخذ مال الغير على سبيل الخفية والاستسرار .

وعرفها ثان (٣) بأنها ، أخذ العاقل البالغ عشرة دراهم أو ما يبلغ قيمته عشرة دراهم مضروبة من حرز لاشبهة فيه .

وعرفها ثالث (٤) بأنها ، الأخذ على سبيل الاستخفاء .

وعرفها رابع (٥) بأنها ، أخذ البالغ العاقل عشرة دراهم أو مقدارها من هو متصد للحفظ مما لا يتسارع إليه الفساد من المال المتمول للغير من حرز بلا شبهة .

وعرفها خامس (٦) بأنها ، أخذ العاقل البالغ نصابا محرزا أو ما قيمته نصاب ملكا للغير لاشبهة له فيه ، على وجه الخفية .

٦ - وفي المذهب الحنبلي عرفها

أحدهم (١) بأنها ، أخذ الملتزم نصابا من حرز مثله من مال معصوم لاشبهة له فيه على وجه الاختفاء .

وعرفها ثان (٢) بأنها ، أخذ المال على وجه الخفية والاستتار .

وعرفها ثالث (٣) بأنها ، أخذ مال محترم لغيره وإخراجه من حرز مثله لاشبهة فيه على وجه الاختفاء .

وعرفها رابع (٤) بأنها ، أخذ مال الغير على وجه الاختفاء .

٧ - وفي المذهب المالكي عرفها أحدهم (٦) بأنها ، أخذ مكلف نصابا فأكثر من مال محترم لغيره بلا شبهة قوية خفية بإخراجه من حرز غير مأذون في دخوله .

٨ - وفي المذهب الشافعي عرفها

[١] موسى أحمد النفوس زاد المستنقع ص ١٦٦ .

[٢] للفتي . ج (١٠) . ص ٢٣٩ .

[٣] موسى الحجاوي المقدس . الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ . ص ٢٧٤ .

[٤] عبد القادر عمر الشيباني . نيل المسالك بشرح دليل الطالب . ج ٢ . ص ٣٤٣ .

[٥] عبد الله قدامة . المغنم في فقه أحمد بن حنبل ج ٢ ط ١ ص ٤٩٣ وما بعدها .

[٦] يوسف عبد الرحمن المنياوي الفقه الواضح ج ٤ ط ١٩٥٥ ص ٧٤ .

[١] السرقة لغة هي أخذ الشيء من الغير خفية لسان العرب ج ٩٢ ط ٣ . ص ١٢٠ من ٢١ المحيط

ص ١٩٥١ ، المصباح المنير ج ١ ط ١٩١٢ ص ٤١٩

[٢] الفتاوى الأنقروية ج ١ ص ١٥٩ .

[٣] على أبو بكر للرغباني ، متن بداية المبتدى ط ٣ ص ٩٥ .

[٤] الكاساني . بدائع الصنائع ج ٧ ط ١ ص ٦٥

[٥] شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢١٩ .

[٦] الفتاوى الهندية . ج ٢ . ص [١٧٠] .

أجل هذا سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب ، أولها في الأخذ خفية ، وثانيها في المسروق ، وثالثها في القصد الجنائي الواجب توافره لدى الجاني .

في الأخذ خفية :

١٢ - لكي يتوافر الركن المادي للمكون لجرم السرقة في التشريع الإسلامي يجب أن يكون الأخذ من المجنى عليه خفية واستتارا فإذا لم يتم أخذ المال على هذه الصورة فلا يتوفر الركن المادي لهذا الجرم .

ولهذا لا قطع مطلقا على المختلس ، لأنه يأخذ المال عيانا لا خفية وإن وجب التعزير . كما لا قطع أيضا على المنتهب ، لأنه يأخذ المال عيانا بالقوة وعلى وجه المغنمية لا خفية وإن استحق التعزير .

ومثلهما الخائن الذي يأخذ المال المؤتمن عليه لقصور في الحرز وإن استحق التعزير . وكذلك يكون الحال بالنسبة لجامد الوديعة أو العارية ، وإن كان أحد وإسحاق يقطعان فيها .

١٣ - ويجب أن يتم الفعل على صورة تامة ، فخرج المسروق من حوزة ، وتدخله في الوقت نفسه في حيازته ، لأنه إذا لم يتم الأخذ بهذه الكيفية فلا حد عليه وإن استحق

أحدهم^(١) بأنها ، أخذ المال خفية من حوز مثله . وعرفها آخر^(٢) بأنها ، أخذ البالغ المختار نصابا من المال من حرز مثله لا شبهة له فيه . وعرفها ثالث^(٣) بأنها ، الأخذ لمال الغير خفية من حرز مثله .

وذهب البعض^(٤) إلى أنها ، أخذ الشيء أو المال خفية من حرز مثله بلا شبهة . ٩ - وفي المذهب الشيعي^(٥) عرفت بأنها ، أخذ مال الغير المحرم خفية من غير أن يؤتمن . ١٠ - ونحن نعرفها بأنها ، أخذ البالغ العاقل الملتزم بحكم الإسلام نصاب القطع خفية من مال للغير متمول معصوم وإخراجه من حرز غير ماذون في دخوله بلا شبهة^(٦) . أما في القانون الوضعي فهي إختلاس شيء منقول مملوك للغير بدون رضاه بنية امتلاكه .

أركان الجريمة :

١١ - أركان جريمة السرقة ثلاثة ، ومن

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ج ٧ ط ١٩٣٨ ص ٤١٨ و ٤٣٦ .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم سر الفيرازي للذهب . ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) أبو يحيى زكريا الأنصاري أسنى المطالب شرح روض الطالب ج ٤ ص ١٣٧ و ١٤٦ .

(٤) حاشيتنا الفيلوني وعميرة ج ٤ ص ١٨٦ .

(٥) القاج المذهب ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٦) محمد عطية راغب . جرائم الحدود في التشريع الاسلامي والقانون الوضعي . ن ١٤٣ .

فروع ، أولها في وجوب أن يكون المسروق مالا ، وثانها في وجوب بلوغ النصاب . وثالثها في وجوب الأخذ من الحرز ، ورابعها في وجوب عدم توافر الشبهة لدى الجاني في المسروق .

ففى وجوب أنه يكون المسروق مالا :

١٨ - يجب أن يكون المسروق مالا . ولذا فلا قطع بسرقة الصبي الحر غير المميز ، وإن كان عليه حلية ، لأن الحر الصغير ليس بمال ، كما أن الحلية التي عليه تابعة له فتأخذ حكمه . وذهب أبو يوسف ، وابن المنذر ، إلى القطع بسرقة الصبي الحر إذا كانت عليه حلية تبلغ قيمتها نصابا وإلا ضاعت أموال كثيرة تحت هذا الستار .

١٩ - كما يجب أن يكون المال محترما شرطا . فلا حد في سرقة مال الحربى في دار الحرب . ولا قطع في سرقة خمر ، وخنزير ولو أسكافر أو لذى ، وقد حكى عن هطاء أن سارق خمر الذى يقام عليه الحد لأنه مال له شبهة كما لو سرق دراهمه ونحن لا نأخذ بهذا رأى ، لأن الخمر مال محرم شرعا والقاعدة أن سرقة المال المحرم لا قطع فيه ولأن مالا قطع بسرقة من مال المسلم لا يقطع بسرقة من الذى .

التعزير ، خلافا للظاهرية فإنهم يوجبون اللقطع في هذه الحالة .

١٤ - أما في التشريع الوضعى فالاختلاس هو الفعل المادى المكون لجرم السرقة . وهو الفعل الذى يخرج به مقترف الجرم المسروق من حيازة المجنى عليه بغير علمه ، أو بدون رضاه ، ويدخله في الوقت نفسه في حيازة أخرى تختلف الاختلاف الكلى عن الأولى ، سواء أكانت حيازته هو أم حيازة غيره .

١٥ - وفي هذا التشريع تستوى الوسائل التى يستعملها الجاني في إخرواج المسروق من حيازة المجنى عليه .

١٦ - ولقد ذهب للفقه والقضاء في مصر ، إلى أن التسليم الذى ينتفى به ركن الاختلاس في جرم السرقة هو ذلك الذى يكون حاصلًا من شخص له صفة قانونية على الشيء المسلم ، والذى يكون صادرا عن إدراك واختيار ، ويكون مقصودا به التخلي عن الحيازة حقيقة . أما مجرد التسليم المادى الذى لا ينقل حيازة ما وتسكون به يد المسلم على الشيء يدا عارضته فلا ينتفى الاختلاس .

في المسروق :

١٧ - ينقسم هذا المطلب إلى أربعة

أو حشيش ، أو ترات ، لأن هذه الأشياء مما يباح جنسها ، ولأن الناس لا يتمولون هذه الأشياء .

وذهب الشافعي ، ومالك ، وأحمد بن حنبل إلى عدم الاشتراط . ونحن تأخذ بهذا الرأي ذلك لأن الأموال التي توجد مباحة في دار الإسلام متى أحرزت تعلقت بها نفوس من اختصوا بها .

٢١ - أما إذا سرق الجاني الساج ، أو القنا ، أو الأبنوس ، أو الصندل ، أو الغصوى الخضر ، والزبرجد ، أو اللؤلؤ أو الياقوت ، يجب إقامة الحد على الجاني ، لأنها أموال متمولة ومحزنة في نفسه .

٢٢ - وإذا سرق الجاني عبداً صغيراً لا يميز فأكثر الحنفية ، والحنابلة ، والشافعية ومالك ، ذهبوا إلى وجوب إقامة الحد عليه ، لأن السارق مالا يملك متقوماً . وذهب أبو يوسف إلى عدم وجوب إقامة الحد ، لأن عنده لا يقطع بسرقة كبيراً فلا يقطع بسرقة صغيراً .

أما إذا سرق عبداً كبيراً فأكثر الحنفية ، والحنابلة ، ذهبوا إلى أنه لا حد عليه إلا أن يكون العبد نائماً ، أو مجبوناً ، أو أعمى ، لا يميز بين سيده وغيره في الطاعة ، لأن هذا العمل يعد خداعاً لاسرقة .

(للبحث تمة) محمد عطية رافع

كما أنه لا قطع في سرقة آلات اللهو ، وإن كانت عليها حلية تبلغ نصاباً ، كالدف والطبل والزمار ، والطنبور ، والشبابة وإن بلغت قيمتها نصاباً ، لأن هذه معازف قد ندب إلى كسرهما .

كما أنه لا قطع بسرقة النرد ، والشطرنج ، وإن كانت من ذهب أو فضة .

ولا قطع أيضاً في سرقة كتب بدع ، أو سرقة كتب محرمة . أما كتب العلم المباحة فيجب القطع بسرقتها عند الحنابلة والشافعية لأنها مال حقيقة وشرعاً ، أما الحنفية فيرون عدم إقامة الحد على الجاني في هذه الحالة لأن المقصود من سرقتها هو معرفة ما اشتملت عليه من أحكام شرعية وهو ليس بحال ، وكفى بذلك شبهة توجب درعه الحد ونحن تأخذ بالرأي الأول .

٢٠ - وأوجب جمهور الفقهاء أن يكون المال المسروق مما ليس جنسه مباحاً ، فإنها ، في دار الإسلام .

ولذا لا حد في سرقة كلب ، ولو كان معلماً أو كان للحراسة ، وحتى لو كان في عنقه طوق من ذهب أو فضة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ثمنه .

كما أنه لا حد في سرقة فهد ، أو دب ، أو خشب ، أو حطب ، أو صيد وحشياً ، أو طير ، أو زرنين ، أو سمك أو تب ،

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والاقتصاد

للأستاذ محمد محيى الدين محمد المسيرى

مع الشرطى . واعتبر ذلك في المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى مثل بجاية وقلسان وسبتة، تجد بينها بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات ، وتجد أهل الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تفي بضرورتهم ولا يفضل ما يتأثرونه كسبا فلا تنمو مكاسبهم وهم لذلك مساكين محتاجين إلا في الأقل النادر . (١) ...

ومضمون هذا أن كثرة السكان تؤدي إلى رفع مستوى المعيشة في حين أن قلة السكان تؤدي إلى قلة العمران وضعف قوة الشراء مع تقاربها بين السكان ، وأبلغ من كل ذلك أن السائل في الأمصار الكبيرة له قوة سؤال ليست للسائل في الأمصار الصغيرة ويقول : ابن خلدون في هذا المصدد فإن السائل بفاس أحسن حالا من السائل بقلسان أو وهران . ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحى أثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيرا من أحوال الترف واقتراح المأكول مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ

وفرة السكان ومستوى المعيشة : إذا عظم عمران البلاد الوافرة السكان وازداد الدخل والخرج ارتفع مستوى المعيشة ، وهناك دائما اتجاه للتوازن بين الدخل والخرج فإذا زاد الدخل لحقه الخرج وبالعكس . وهذا التوازن الجديد يحصل في مستوى أعلى في البلاد الوافرة السكان وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون : « وأما حال الدخل والخرج فتسكافء في جميع الأمصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس . ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر كل شيء . » (١) .

وما علينا إلا أن نقارن احتمالات الكسب في البلاد التي زاد عمرانها بازدياد سكانها ، فإن تفاضل العمران في الأمصار يكون بزيادة الكسب ... فما كان عمرانها من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهلها في الترف أبلغ من حال المصر الذى دونه على وتيرة واحدة في الأصناف . القاضى مع القاضى والتاجر مع التاجر . والصانع مع الصانع ، والسوق مع السوق ، والأمير مع الأمير ، والشرطى

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٣

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٣٤٣

والملايس والماعون كالغربال والآنية :
ولو سأل سائل مثل هذا بوهرا ن أو تلبسان
لاستسکر وعنف وزجر ، ثم يسترسل
فيقول : « ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال
للقاهرة ومصر من الترف والغنى في عواندهم
ما يقضى منه العجب حتى أن كثيراً من الفقراء
بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك ، »^(١)
وإنما هي نتيجة للفوضى السياسية والارهاق
المالى الذى يعم الدولة فى أواخرها مما يؤدي
إلى نقص الإنتاج والامتناع عن التخزين :
« فيقل اختزان الزرع وليس صلاح الزرع
وثمرته بمستمع الوجود ولا على وتيرة
واحدة ، فطبيعة العالم فى كثرة الأمطار وقتلتها
مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر
والزرع والضرع والثمار على نسبته إلا أن
الناس واثقون فى أقواتهم بالادخار ، فإذا فقد
الادخار عظم توقع الناس للبعاجات فعلا الزرع
وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا ... »^(٢) ،
ويشير ابن خلدون بذلك إلى أهمية التخزين
فى التوفيق بين الإنتاج والاستهلاك ويرى
أنه يخضع للعامل النفسانى ، فإذا لم يتوفر امتنع
التخزين وكان ذلك سبب المجاعات ... وخاصة
إذا كان المحصول غير ثابت ...

[١] مقدمة ابن خلدون - الفصل الرابع ص ٢٤٣

[٢] مقدمة ابن خلدون - الفصل الثالث ص ٢٨٦

فى وفور العمران آخر الدولة الخ .

فالمجاعات تضع حدا للنسل عند استحكام
الحضارة . كذلك يؤثر الاستعباد فى قلة
السكان . ويقول فى صده « اعلم أن العدوان
على الناس فى أموالهم ذاهب بألمهم فى تحصيلها
واكتسابها لما يرونه حينئذ أن غايتها
ومصيرها انتهابها . وإذا ذهبت آمالهم
فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم
عن السعى فى ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته
يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ،
فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً فى جميع أبواب
المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه
بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها ،
وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض
عن الكسب على نسبته . والعمران وفوره
ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس
فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ، فإذا
قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم
عن المكاسب كسد أسواق العمران وانتقضت
الأحوال واختل حال المصر . كذلك حال
الدولة لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد
مادتها ضرورة ... »^(١) ،

ويقول ابن خلدون رآه فى تسخير الرعايا
« ومن أشد الظلمات وأعظمها فى إفساد
العمران تسكيف الأعمال وتسخير الرعايا

[١] مقدمة ابن خلدون - الفصل الثالث ص ٢٧٢

فى أن الظلم مؤذن بخراب العمران :

ومساعيا وعجزت عن المدافعة عن نفسها بما خضد القلب من شوكتها فأصبحت طعنة لسكل آكل ، والإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى خلق له. والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن ضاية عزه تسكسل عن شيع بطنه ورى كبده ، وقد يقال مثل ذلك فى الحيوانات المفترسة فإنها لا تسافر إذا كانت فى ملكة الآدميين ... وما تزال الأمة المملوكة على أمرها فى تناقص واضمحلال إلى أن يأخذها للفناء ... واعتبر فى ذلك أمة للفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة قلبا دخلت فى ملكة العرب لم يكن بقاءها إلا قليلا ودثرت كأن لم تكن ، ولا تحسبنى أن ذلك لظلم نزل بها أو هدوان شملها فملكه الإسلام فى العدل ما علمت وإنما هى طبيعة فى الإنسان إذا غلب على أمره وصار آلة لغيره (١) .

ويقول العميد الأستاذ محمد صالح د ولسنا نعلم كاتباً قبل أو بعد ابن خلدون وفق إلى هذا التحليل الدقيق لآثر الحرية فى الإنسان ، وأبرز فى الطليعة مكان الإنسان فى الوجود ووضع العزة الإنسانية فى نصائبها للصحيح (٢) وليس مثل هذا التفكير مستغرباً من عالم حمد فى جميع كتابته إلى مناصرة الإنسان فى ظل السلطان العادل .

بغير حق وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات ... لأن الرزق والكسب إنما هو قيم أعمال أهل العمران ، فإذا مساعيم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل لا مكاسب لهم سواها فإن الرعية المعتقلين فى العماره إنما معاشهم ومكاسبهم من أعمالهم ذلك فإذا كلفوا العمل فى غير شأنهم واتخذوا مخرباً فى معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم ، فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم فى العماره وقعدوا عن الصعى فيها جملة فادى ذلك إلى انتقاض العمران (٣) .

هذا وقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من هذا وتناول الموضوع من ناحيته الأعم فبحث فى أثر فقدان الحرية الإنسانية فى النفس ... وفى هذا يقول : إذا غلبت الأمة وصارت فى ملك غيرها أسرع إليها الفناء بما يحصل فى الخفوس من التكاسل ، إذ تصير بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمل ويضعف التناسل ، والاعتبار إنما هو من جده الأمل وما يحدث عنه من الفسائط للقوى الحيوانية ، فإذا ذهب الأمل بالتكاسل تناقص عمران الأمة وتلاشت مكاسبها

(١) مقدمة ابن خلدون - الفصل الثانى ص ١٤٠ و ١٤١ فى أن الأمة إذا غلبت آل إليها الفناء .

(٢) مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٣ ص ٧٦٠

[٩] مقدمة ابن خلدون - الفصل الثالث ص ٢٧٤ ومن أشد الظلمات تكليف الأعمال وتسخير الرعايا

السكان إنما مجال أثرها في مستوى الرفاهية لا في مستوى القوت . وقد دلت الأبحاث الحديثة على صحة نظرية ابن خلدون عن القوت وإنتاجه . وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الرفاعي : « لا خطر من وجهة عدم كفاية المواد الغذائية ، فقد زادت المنتجات الغذائية لدرجة أن ما يعانيه العالم الآن ليس قلة انتاج ، بل إفراط انتاج ... »^(١).

وإذا قارنا آراء ابن خلدون بآراء بيرسون رأينا وجه الشبه بينهما . فمدار البحث في نظر كل منهما كشافة السكان وعلاقتها بال عمران وليس الفكرة المجردة عن الزيادة والنقص في السكان . فليست الزيادة في السكان في كندا مثل زيادة السكان في بلجيكا .

ويقول بيرسون إننا نجه عدد السكان في البلاد الراقية أكبر منه في البلاد المتأخرة وهذا يؤيد ما قاله ابن خلدون عن علاقة السكان بال عمران .

وإذا قورنت آراء ابن خلدون مثلاً بآراء كارى في السكان كان الحكم في صالح ابن خلدون ولا شك أن مقارنة آراء ابن خلدون في السكان بآراء غيره من الاقتصاديين تدل على عبقرية الفذة وذهنه الممتاز ، فهو وإن سبق هؤلاء الاقتصاديين بقرون ، إلا أنه كان في بحثه موافقاً كل التوفيق بل امتاز عنهم

(١) كتاب الاقتصاد الدينامي باب مسائل السكان

وفي ختام هذا البحث يتعين علينا أن نفقد مقارنة بين آراء ابن خلدون وآراء الاقتصاديين في مسألة السكان .

ونحن هنا لا نود أن نكرر ما قاله الاقتصاديون تفصيلاً في مسألة السكان وإنما فكتفي بالتلميح للاتجاهات الكبرى في التفكير الاقتصادي مقارنين إياها بما وصل إليه ابن خلدون في بحثه .

ونود قبل أن ندخل في المقارنة ، أن نشير إلى أن البحث عن السكان قد تطبع بطروف الزمان والإقليم .

أما ابن خلدون فإن كتابته علمية مجتهد مجردة إلى حد كبير عن تأثير الزمان والمكان . فهو لا يدرس إقليمياً أو زمانياً معنياً وإنما يدرس الاتجاهات الكبرى المجردة عن طابع الإقليم المعين أو الزمن المحدد .

وقد كان التجاريون^(١) يعتقدون مثل ابن خلدون ، أن قوة الدولة إنما هي بعدد رعاياها ولذلك كانوا يشجعون زيادة السكان ، وكذلك قال الطبيعويون^(٢) (الفيزيوكرات) وإن كانت آراؤهم تنقصها الوحدة والتناسك .

أما مالش ، فخلاصة اعتراضه أن المواد الغذائية لا تستطيع أن تجارى زيادة النسل فلا بد إذا من إيجاد التوافق بين إنتاجها وزيادة النسل ، وقد وضع ابن خلدون المسألة في وضعها الصحيح بأن بين أن زيادة

(١) المذهب التجاري "Le Mercantilisme"

(٢) المذهب الطبيعي "La physiocratie"

مواد المعيشة قابلة للزيادة بنسبة أعظم من النسبة الحسابية ، علاوة على ذلك فإن التاريخ يناقض قول مالتس ، إذ زادت مواد المعيشة بنسبة أعظم من الزيادة في السكان ، حيث يستهلك الفرد في الوقت الحاضر من الغذاء والملبس أكثر مما كان يستهلكه سابقه في القرون الماضية

« وعلاوة على ذلك فكلما زاد عدد السكان تفننوا في إيجاد الوسائل اللازمة للمعيشة فنظروا آراء ومخترعات لم تخطر ببال أسلافهم فيهم تقدم الزراعة والصناعة زيادة وسائل المعيشة كما يساعد عليها رقي طرق المواصلات والنقل بحيث يتخصص كل قطر في نوع معين من الإنتاج تساعد عليه ظروفه الطبيعية والاجتماعية معتمداً في باقي ما يلزمه على الأقطار الأخرى . وقد قارن الدكتور محمد صالح نظرية ابن خلدون بنظرية مالتس فقال : « ونحب أن نذكر هنا أن مالتس عند تقريره لنظريته الشهيرة الخاصة بالسكان ... لم يعقب على نظريته مؤكدة قيود هذه النظرية وأهمها ما يترتب على زيادة السكان من زيادة تجزئة العمل المفضى إلى زيادة الطعام وهو ما لمح ابن خلدون بالمعينة ... (١) » .

محمد محيي المربع المصري

بتجرد نظريته عن القيد الإقليمي أو الزماني ، وما يدل على صدق رأيه أننا نجد مثلاً الدكتور عبد الحكيم الرفاعي يقول : « المسألة التي يعنى الكتاب ببيانها في العصر الحاضر تنحصر في أنه لا محل للخوف التي أثارها مالتس في الممالك المتمدينة ، لأن الخطر الذي تستهدف له الدول في العصر الحديث ، ليس لإفراط السكان ، بل على التقيض من ذلك نقص عدده المواليد ... » . كتاب الاقتصاد السياسي - باب مسائل السكان .

وفي هذا المقام قال رجل من رجال الاقتصاد العرب في تنفيذه لنظرية مالتس : « لو كان عدد السكان يتضاعف كل ٢٥ عاماً ، لسكانت الأرض امتلات بهم منذ زمن طويل . لكن هذا لم يحدث إذ ما زالت هناك حتى الآن بقاع تكاد تكون خالية منهم ، على أن مالتس كان متأثراً في قوله برأفة خاصة لم يتكرر حدوثها مرة أخرى ، وهي تضاعف عدده سكان الولايات المتحدة خلال القرن الثامن عشر في مدة تقرب من خمسة وعشرين عاماً ، فإذا كانت الزيادة لم تحدث طبقاً لما تنبأ به مالتس فلأن هناك أسباباً عديدة تمنع من ازدياد عدد السكان بهذه النسبة التي توقعها ، إذ لا يمكن القول أن الزيادة في السكان هي بنسبة واحدة في مختلف الأقطار والأزمنة والطبقات .

كما يقول : « لا يوجد ما يبرر الشطر الثاني من النظرية ، الخاص بمواد المعيشة ، لأن

ماذا يُراد بالإسلام في إفريقيا !

للأستاذ محمد عبد الستار

الشعوب الفرنسية المستقلة ، تقسع غربي السودان وجنوب ليبيا ، يبلغ سكانها حوالي ثلاثة ملايين ونصف يمثل المسلمون ٩٠ ٪ . والباقيون مسيحيون ووثنيون من عبدة الأشجار والأحجار ، استعمرتها فرنسا عام ١٩٠٥ أي بعد توغّلها في أفريقيا بثلاثين عاما . والمؤامرة على الإسلام ديننا وشعبنا ينسج خيوطها الاستعمار الفرنسي بالطبع ، يستعين بأساليب جديدة يحقق بها مؤامراته ، وتساعد بها جماعات التبشير الكاثوليكي ، التي يعول عليها كثيرا في تنفيذ خطته .

ولما كانت اللغة العربية يتكلم بها ٩٥ ٪ من سكان تشاد المسلمين . لأنها وسيلتهم الكبرى إلى تفهم الإسلام وتدبر معاني القرآن والسنة الشريفة ، فقد عهد الاستعمار إلى اضطهاد هذه اللغة بشقّ الوسائل ، وتحديد إقامتها في مكاتب تحفيظ القرآن المحدودة على الأصابع ، والتي لا يسمح بإنشائها إلا بعد جهد جهيد ، وقد كانت توجد ١٥٠ جريدة عربية لم تمض خمس سنوات حتى أغلقت جميعا . والمدارس هناك فرنسية ، والمعهد الديني المتواضع الوحيد سمحت فرنسا بإنشائه عام ١٩٤٦ ثم أغلقت عام ١٩٥٢ ثم سمحت له

منذ أسابيع حمل إلى البريد رسالة مطولة تقع في بضع عشرة صفحة من ألفو لسكاب ، أرسلها الأخ الشيخ عثمان على محمد ناظر المعهد العلي الأهلّي بجزيرة أبا بالسودان ، وسيادته قام بحمل الرسالة من أخ مسلم غيور على دينه في مديرية د أبشة ، بجمهورية د تشاد ، الإفريقية شاء أن لا يذكر اسمه حتى لا يلحقه أذى الاستعمار الفرنسي وهو موظف في إحدى الشركات الفرنسية هناك ، وأما حقوى الرسالة فهو المؤامرة الكبرى على الإسلام ديننا وشعبنا في جمهورية إسلامية يمثل المسلمون فيها ٩٠ ٪ . ونحن قبل أن نعرض للرسالة التي طلب صاحبها مني أن أقوم بطبعها ونشرها ورفع نسخ منها إلى الأزهر والمؤتمر الإسلامي وأمانة الجامعة العربية ، والمجلس الإسلامي الأعلى بوزارة الأوقاف ، ثم إلى من يهمهم أمر الإسلام والمسلمين في سائر البلاد الإسلامية — قبل أن نعرض لهذه الرسالة يجب أن نمر مرورا عابرا على جمهورية د تشاد ، التي نكاد نجهلها نحن المسلمين وهي قطعة عزيزة من الوطن الإسلامي .

جمهورية د تشاد ، من الدول الإفريقية التي استقلت استقلالاً ذاتياً تحت ستار مجموعة

لإنشاء المساجد ، سمح بإقامة بعض المساجد الأخرى في المدن الكبيرة التي يغمرها الفساد والانحلال الخلقي .

ويواصل الأخ المسلم حديثه عن جانب آخر له خطورته قائلا :

إن الاستعمار لم يتخل عن مهمته في إبعاد المسلمين عن الإسلام ، ولم يلق السلاح بعد ، فهو حريص كل الحرص على إيجاد شعب لا يربط بعقيدته من قريب أو بعيد ، فالعقيدة في رأيه أقوى عقبة في سبيل تحقيق أهدافه ومواصلة حياته ، وهو لذلك لا يفسكر في الاستسلام مطلقا ، ولا في التقهقر خطوات إلى الوراء ، بل يتسكر الأساليب الحديثة ما يجعله متشبها برسائله ، فنحن نراه اليوم يسلك شعبين يلتقيان عند هدفه في تحطيم معنوية الإسلام .

فهو يشجع الجهل والخرافة والدجل والشعوذة بقشجيعه لبعض الطرق الصوفية الجاهلة وهي كفيلة بالاستيلاء على العقليات المنمدنة ، وإبعادها عن مفهوم الإسلام للصحيح ...

ثم من جانب آخر يولى زمام الحكم زعماء فقدوا ضمائرهم قبل أن يفقدوا عقائدهم ، ووكّل إليهم نشر الفساد من أوسع أبوابه ومسالكه ، وأبرز مظاهره : البغاء ، العلى والسرى على السواء ، حتى وصلنا إلى درجة من البهيمية لا مثيل لها في سائر بلاد الله . أما القائمون على عقائدهم الإسلامية ،

بنشاطه بعد أن ظل مغلقا زهاء أربع سنوات ، ولكن تحت مراقبة بالغة في الدقة . أما العقيدة الإسلامية فالاستعمار يعيها لها كل ما يملك من وسائل ، فإذا فشل التبشير في تنصير مسلم واحد ، لجأ إلى حيل أخرى يهدف منها إلى تحلل العقيدة ذاتها في نفوس المسلمين . هن طريق التشكيك ، يلقنه النشء في المدارس الفرنسية الابتدائية ، كما يلقنه الشباب في المعاهد الثانوية ، كما يلقنه الكبار عن طريق الرسائل والكتب والصحافة الفرنسية والمحاضرات الرتيبة في الحقول والمصانع على السواء . ويقول الأخ صاحب الرسالة :

إن التبشير حين عجز عن تنصير المسلمين ، وهذه مهمته الأصلية - أصبح يرصيه أن يتحلل المسلم من دينه ويتجرد من عقيدته . ويستخف بإسلامه ، وهو يتخذ من أبناء تشاد الذين شاء لهم حظهم العاثر أن يتعلوا في فرنسا هدفا يسلط عليه أضواءه ويستعديه على مقومات الإسلام .

والعجب الذي بلغ حد الخيال ، أن الاستعمار الفرنسي في سبيل أن يقلص عقيدة المسلمين خلال الأربعين عاما التي تلت استعمارهم لجمهورية تشاد لم يسمح إلا بإقامة ثلاثة مساجد فقط ، واحد في أبشه ، عاصمة مملكة وادي العباسية القديمة ، وواحد في قرية دسكين ، وثالث في فورت لامي ، العاصمة الحالية . وبعد عام ١٩٤٥ وإزاء إصرار المسلمين على

ص . ب ٦٨ - الأردن ، وهذه الرسائل مطبوعة طبعاً أنيقاً باللغة العربية ، والمقصود من العنوان تشجيع أى قارئ على طلبها بالإنجاء أيضاً . وعنصر النساء في التبشير يؤدي دوراً خطيراً ، بحاله إغراء الشباب المراهق بمفاتن الجسد ، وما إلى ذلك .

إن كثيراً من أبناء جمهورية تشاد الإسلامية نزح إلى البلاد الشرقية ليتلقى العلوم الدينية في معاهدها ، لاسيما الأزهر الشريف ، ولكن هؤلاء إذا ما عادوا إلى وطنهم الأم يكون مصيرهم الشارع ، فهم لا يمكنون من نشر الإسلام حتى في مساقط رؤوسهم ، ولا يلحقون بوظائف الدولة لأنهم لم يتلقوا الثقافة الأوروبية وهي شرط فيمن يريد أن يلتحق بوظيفة ، وهم إزاء ذلك إما أن يعودوا من حيث أتوا ليقطعوا مراحل حياتهم مهاجرين غرباء ، وإما أن يكسحوا في الأرض إن كان في أعناقهم أسرا يتحتم عليهم أن يعملوها .

ويتحدث الأخ المسلم عن ظاهرة أخرى جديرة بالتسجيل ، فهو يقول : إن المتدينين يتقبلون على حفظ القرآن عن ظهر قلب ، ويدفعون أبناءهم أيضاً إلى حفظه ، أما العلوم الأخرى : مدنية أو دينية فلا مجال لها ، وهم يقاطعون المدارس الفرنسية تبعداً ، ويعتبرون أنفسهم في نجاه وسلام وكفى ،

الذين لم يجتذبهم إحدى الشعبتين ، فالتوارون منهم في سلام مؤقت ، والمجاهدون منهم ، حققت عليهم لعنة الاستعمار : سجن وتشريد واضطهاد وتشكيل وحرمان من لقمة العيش . إن أخى المسلم الغيور من تشاد ، يتحدث عن الحكومة الوطنية هناك ، ولا تدهش إذا علمت أن رئيس هذه الحكومة في الجمهورية الإسلامية د مسيحي ، وليس هذا بعجيب ما دام للاستعمار الفرنسي اليد الطولى ، وإنما العجيب في أن هذه الحكومة تجمع أموالاً طائلة من الشعب للشئون الدينية الإسلامية والمسيحية معاً ، أما الشئون الدينية المسيحية فيعقد عليها إغداقاً شاملاً ، وأما الشئون الإسلامية فيعقر عليها تقطيراً مثيراً ، وقد يتلاشى العجب والدهشة إذا علمنا أن مدير الشئون الإسلامية إما أن يكون مسيحياً وإما أن يكون يهودياً .

وفي مجال التبشير ظاهرة لا ندرى كيف نكيفيةا - كما يقول الأخ المسلم - فالمبشرون بالمسيحية يضمون إليهم عدداً وفيراً من اليهود ، جاء هذا العدد الوفير ليسهم في تحويل المعمدين عن عقائدهم ، وكل مبشر من هؤلاء افتتح في مسكنه مكتبة للاستقبال فيه علاج للرضى ، وفيه تباع الكتب المدرسية المقررة ، ويمنح كل طالب لعلاج أو كل مشتر للكتب المدرسية رسائل دينية مسيحية تبشيرية بالإنجاء ، على غلافها : القدس - بيت لحم -

الرصاص إن أريد منه ذلك ، وهو يستمع إليه ينطق بالشهادتين ، ومع ذلك لا يستطيع أن يتبرم أو يتوقف ، لأنه يعلم مصيره إن حاول التبرم أو التوقف .
والذي نريد أن نقوله أخيراً :

إن في الوطن الإسلامى كثيراً من الأقليات الإسلامية عدداً وضعفاً ، لم تزل تعيش في بلادها ذليلة ، وفي ديارها غريبة ، وهى بين الفينة والأخرى قصرخ وتستغيث لأنها لا تملك إلا الصراخ والاستغاثة ، وحين تيمم وجهها في صراخها واستغايتها فإنما تيممه إلى الأزهر باعتباره القاعدة الكبرى للمسلمين في سائر بلاد الله ، دون أن تيممه إلى رؤساء المسلمين وأمرائهم ، والأزهر يستطيع أن يفعل الكثير والكثير ، وأخشى ما أخشاه أن تتوالى صرخات المسلمين المعذبين في الأرض ، ثم لا تجد صدًى ، فتفقد الثقة والأمل في الأزهر ، الذى لا تزال الشعوب الإسلامية بأسرها ترى فيه الجامعة التى تنو إليها الأبصار ، وتشرب إليها الأعناق ، ولا خير عليها بعد ذلك إذا هى ملكت الكفاح المبرر واستسلمت أو على الأقل تستكين ، وهى تردد من أعماق نفوسها ، والحسرات تمزق نياط قلوبها :

اللهم قد بلغنا .. اللهم فاشهد .. !

محمد عبد الله السعاده

أما المسائل التى تهتم الوطن الإسلامى :
سياسية واجتماعية فلا يهتمون بها ، ولا يهتمهم من أمرها شيء ، والاستعمار يرحب بهم أيما ترحاب ، يرحب بالنعزاليين وسليبيهم ، ويتمنى أن لو كان شعب تشاد ، بأسره على طريقتهم .

* * *

وبعد ...

ففى المذكرة المسببة الكثير من المآسى التى تحيق بوطن إسلامى يعيش فى قلب أفريقيا السوداء ، لا يسكاد المسلمون فى سائر بقاع العالم يعلمون عنه قليلاً أو كثيراً . فى هذا الجزء من الوطن الإسلامى الكبير يقوم صراع عنيف بين الاستعمار الفرنسى المسلح بكل وسائل التسليح الحديثة ، وبين العقيدة الإسلامية التى لا تملك إلا نفوساً مسلحة بالفقر والجهل والمرض ، وبيننا الاستعمار يستورد المبشرين الكاثوليك ، والأفاكين الصهبانة ، ويغرى من يملك إغراءه من الوطنيين المارقين بالأموال والمناصب ومفاتيح الجسد الرخيص ، ويعمد إلى التثكيل والتشريد والاضطهاد إذا ما فشلت وسائل التبشير والإغراء معاً ، بينما يقوى الاستعمار الفرنسى على كل هذا ، يقف الشعب المسلم مكتوف اليدين ، يستغيث ولا مغيث ، ويستصرخ ولا مصرخ ، ويجند قسراً ليقا تل أخاه المسلم فى الجزائر ، ويصوب إلى صدره

الإخلاصُ في تقديرِ الشريعةِ وعلماء النفس للأستاذ عباس طه

الأعمال الصحيحة المقبولة ، فمن لم يخلص في اعتقاده وقوله وعمله لا يحق له أن يطمع في قبول شيء منها لا قليل ولا كثير بل قد تكون عند الله شرا ووبالا عليه كما ستعرفه بعد . فعلى أساس الإخلاص أمر الله الناس بعبادته ، قال تعالى : دوما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، وذلك صريح في أن الذي يعبد الله غير مخلص لا يكون محصلا للعبادة التي أمره الله بها قطعاً . وعلى أساس الإخلاص وهذا الله التائبين من المنافقين بالقبول والأجر العظيم مع المؤمنين العاملين ، قال تعالى : دإلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ، وهذا المعنى قد جاء في كثير من الأحاديث الصحاح ومنها حديث أسامة الذي نتكلم فيه هنا . ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن الإنسان لا يحسب في عداد المؤمنين العاملين إلا إذا كان مخلصاً في عقيدته ، مخلصاً في معاملة الخلق والمخلوق حسبما أمره الله تعالى وكفى بذلك دلالة على

عن أبي أسامة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلاً غزوا يلتمس الأجر والذكر ماله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له ثم قال إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه ، رواه أبو داود والنسائي بسند جيد من كتاب الترغيب والترهيب .

هذا الحديث صريح في أن الله لا يقبل الأعمال إلا إذا كانت خالصة ويتعلق بذلك أمور : (١) فضل الإخلاص وقيمه في نظر الدين الإسلامي . (٢) حقيقة الإخلاص ماهي . (٣) بيان حكمة مشروعية الإخلاص . (٤) هل عدم الإخلاص يحبط أجر العمل فقط أو يستلزم مع ذلك الإثم .

١ - فأما فضل الإخلاص في نظر الدين الإسلامي فيعدل عليه كتاب الله وسنة رسوله أوضح دلالة وقد ورد فيهما ما يفيد أن الإخلاص هو الأساس الذي تنبنى عليه

بدون أن يزاحمه سبب آخر كانت تلك النية خالصة والفعل المترتب عليها خالصا . وقد يسمى الفعل في هذه الحالة إخلاصا ؛ مثلا : إذا تعلققت إرادة الإنسان بالجهاد في سبيل الله أو بالحج إلى بيت الله الحرام فتحركت أعضاؤه لتحصيل ذلك الفعل فإن انبعثت الإرادة وتعلقها بالجهاد أو الحج لا بد أن يكون لغرض من الأغراض ، فإن كان ذلك الغرض مقصورا على ابتغاء مرضاة الله كما ورد في الحديث كانت النية خالصة وكان الفعل المترتب عليها خالصا وكان الفاعل مخلصا ومثل ذلك ما إذا تعلققت نيته بالجهاد لغرض تحصيل الثواب الآخروي الذي وعد الله به المجاهدين فإن ذلك السبب يرجع إلى مرضاة الله أما إذا تعلققت إرادته بالجهاد لتحصيل الثواب وليسكون له ذكرى حسنة ، فإن عمله هذا لا يكون فيه إخلاص وذلك لأنه بناء على سببين : قصد الثواب وقصد الشهرة وعلو المسكاته في أعين الناس ، والسبب الثاني غير صحيح في نظر الدين . فكانت نتيجة بناء العمل عليه حبوط أجر ذلك العمل وضياحه حتى كأنه لم يكن .

وهذا المعنى هو كقول علماء الأخلاق : إن الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا . بل يعمل لمجرد الغرض الديني الذي بعثه على العمل ، وعلى أي حال فالإخلاص

فضل الإخلاص وقيمته في نظر الدين . ولذا قال بعض علماء الأخلاق : إن أمر الدين كله يرجع إلى أصلين : عمل من الله لعبده ؛ وعمل من العبد لربه ، فمن أراد أن يظفر بالسعادة الخالدة فعليه أن يرضى بعمل خالقه ويخلص هو في عمله له ، فمدار الدين كله على الرضا والإخلاص .

أما حقيقة الإخلاص فقد بينها علماء الأخلاق بيانا حسنا وإليك توضيح ما قالو : إن الإخلاص هو عبارة عن تخلص العمل عن كل ما يمكن أن يخاطبه من شوائب الشرك بجعله مقصورا على السبب الذي حصل الفعل من أجله وهذا السبب يجب أن يكون صحيحا مدوحا في نظر الدين فإذا عمل الإنسان عملا مقصورا على سبب فاسد كما إذا قصد بعبادته الحصول على لذة من اللذات كشجرة أو مال أو جاه فإنه لا يكون مخلصا في عبادته لربه وإنما يكون لذلك الغرض الذي بعثه على العبادة وهذا لا يسمى إخلاصا شرعيا . ويتضح من هذا البيان أن الإخلاص أمر يتعلق بالقلب وإن شئت قلت يتعلق بالنية وذلك لأن النية وهي الإرادة صفة نفسية يرجح بها تحصيل الفعل المرغوب فيه فإذا مالت إرادة الإنسان إلى أمر يرغبه وتعلق به . مستغفرت القدرة لتحصيل ذلك الأمر فإذا تعلققت الإرادة بالفعل لسبب باعث صحيح

وتخلقون إفسكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ، من أجل ذلك فرض الله الإخلاص فنهت الشريعة الإسلامية عن بناء الأعمال الدينية على أسباب غير مشروعة نهيا جازما لما فيها من التشبه بالوثنيين .

وأما الثاني : وهو استمرار العمل الصالح وعدم انقطاعه فذلك لأن الدين قد جاء بكل فضيلة ونهى عن كل رذيلة فحث الناس جميعا على تحصيل كل ما فيه سعادة المجتمع في الدنيا والآخرة فكل أعمال البر التي يترتب عليها عز الأمم ومجدها وهناؤها في حياتها أمر بها الإسلام فقد فرض الإتحاد والتعاون على أعمال البر ونهى عن الفرقة والتخاذل وأمر بالعطف على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات وفرض للمحتاجين قدرا معينا في أموال الأغنياء ، قال تعالى : وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، وأمر بإغاثة الملهوف وإنقاذ المكروب وإعانة الضعيف والأخذ بناصر المظلوم وأمر بصلة الأرحام ومراعاة حقوق الجوار ، والصدق والعفاف والعدل إلى غير ذلك من الأعمال التي يسعد بها المجتمع سعادة حقيقة .

وبدعى أن هذه الأعمال التي يتوقف عليها صلاح المجتمع وتنبنى عليها سعاداته في الدنيا والآخرة يجب أن تستمر وتبقى وهي لا تبقى

أمر يمكن تحصيله بسهولة متى كانت النفس مهذبة نشأت على حب الفضيلة ومجاناة الرذيلة بل ربما كان العمل بدون الإخلاص أشق على تلك النفوس الطاهرة من غيره فلا يجدون اللذة الحقيقية إلا في العمل الخالص لمخالقهم ولا ريب في أن الذى يعمل لمرضاة الإله القادر الذى بيده مكافأة العاملين سيفال من الجزاء أحسنه ومن المكافأة ما تقر به عينه من غير أن يتكلف قصدا لمكافأة والجزاء (على أن الأغراض الدنيوية إذا كانت مما يترتب على عمله فإنها تتحقق بدون أن يقصدها وقد يتحقق منها أضعاف ما يمكن أن يتصور) .

أما حكمة مشروعية الإخلاص فإنها ترجع إلى أمرين عظيمين : أحدهما البعد عن الوثنية وما يشاكلها ولو ظاهرا ، ثانيهما : استمرار أعمال البر ودوامها ، فأما الأول فإن الدين الإسلامى قد جاء بتوحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وأنه هو وحده المستحق للعبادة لكونه موجدا للعالم وموجدا للوسائل التي بها يبقى العالم إلى الأجل الذى يريده فهو الخالق الرازق . أما الأصنام والآلهة التي يشركونها في العبادة فإنها مخلوقة لا خالقة ولا تملك لهم رزقا فهي طاجزة عن إيجادهم وعن إيجاد ما به يعيشون . فمن السفه عبادتها ولذا قال تعالى : إنما تعبدون من دون الله آوثانا

أعمال البر فيما بينهم فلا تنقطع ما دامت الحياة الدنيا . فمن أجل ذلك فرض الله الإخلاص كي يقصر الناس أعمالهم على مرضاة الله تعالى ويروضوا أنفسهم على أن يتسابقوا في أعمال البر طمعاً في مرضاته تعالى بصرف النظر عن الغايات والأغراض الأخرى لتدوم الأعمال الصالحة ويحظى العاملون بأعلى الدرجات . ولا يغيب عن تقدير الحضيف من العلماء أن الإخلاص قدر فرضته السنة بآثاره وعواقبه الرضية المرضية على الذين يقدرون آثاره وعقباه ويفهمون دلالاته وخواه . على أن كثيراً من علماء السنة والجماعة ذهبوا إلى أن الإخلاص مفهوم عام يتفاوت بتفاوت أهليه وذويه وهو مع ذلك مفهوم لا يستقصى وحده لا يقصى .

إذا : فالعاصم هو الله والموجه هو الله والملمم هو الله ، وكما قال العلامة الكسبي ابن حزم في كتابه الملل والنحل : إن الإخلاص مفهوم من المفاهيم العامة صعب المنال كثير الأثقال فهو لا يدرك إلا بتوفيق من العلى المتعال ، ولذلك يروى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الناس هلكي إلا للعالمون والعالمون هلكي إلا للمخلصون والمخلصون هلكي إلا لغيرهم .

عباسي طه

إلا إذا كانت مرتكزة على سبب دائم مستمر وإلا انقطعت بانقطاع أسبابها الزائلة . وهذا السبب الدائم الذي لا يتغير أبداً هو مرضاة الله فإذا عمل الإنسان هذه الأعمال امثالاً لأمر الله وابتغاء مرضاته كانت لازمة دائمة لا تنقطع أما إذا عملها لغرض شهوى فإنها تنقطع بانقطاعه طبعاً . مثلاً : إذا تصدق على الفقراء ليمدحه الناس بالسخاء فإنه لا يتأخر عن قطع هذه الصدقة إذا استغنى عن سماع مدحهم بعارض آخر أو يئس من ذلك المديح وكذا إذا أنفق بعض ماله في أعمال البر للحصول على منصب أو جاه فإنه يقطع ذلك الإنفاق بمجرد الحصول على المنصب أو اليأس منه وفي ذلك غبن ظاهر للجمتمع ، ومثل ذلك ما إذا جاهد في سبيل الله ليظهر بمظهر الشجاع في عين امرأة يرغب في زواجها فإنه يستغنى عن الجهاد ويقطعه حتماً متى ظفر بها أو يئس منها .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينسكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وبالجملة فكل أعمال البر إذا لم تكن مبنية على سبب دائم فإنها تنقطع عند انقطاع سببها ومن مصلحة الأفراد والجماعات أن تستمر

إفريقيا الجديدة

للأستاذ عباس محمود العقاد

ولقد كان شأن الإسلام في مقدمة الشئون الأفريقية التي عنى بها المؤلف حيث ترتبط بالعلاقات الوطنية (المحلية) أوحث ترتبط بالعالم الواسع كلما اتصلت بجهة من جهاته ، وكلامه عن الإسلام في القارة الأفريقية هو الذي يعنينا من هذا المقال .

إن المؤلف يردد الحقيقة المقررة عن عراقه تاريخ الإسلام في القارة الإفريقية وحق أثره بين قبائلها وشعوبها ، ويزيد على المؤلفين السابقين أحيانا أنه يبحث عن عراقه الأسماء في المواقع التي يخيل إلى الكثير أنها دحض وثنية ، أو دحض جاهلية أفريقية ، ... ومن ذلك أنه يتعقب الروايات المنقولة عن أصل كلبه (بورنو) أو (بورنيو) فيقول أنها على غير الظاهر من نطقة الإفريق قد ترجع إلى كلمتين عربيتين وهما (بحر نوح) سقط منهما لفظ الحائين لأن الحاء لا تنطق في كثير من اللهجات الحامية فأصبحت (برنو) وأطلقت على موقعها لاعتقاد شاع بين العرب الأولين هناك عن هلاقة بحيرة (شاد) بطوفان نوح .

ويرى المؤلف أن الإسلام أهرق وأثبت

ألف هذا الكتاب باسم (أفريقية الجديدة) صحنى أمريكي يكتب عن الرحلات بأسلوب الصحافة فيما تعرض له من موضوعات الاستطلاع العلمى أو السياسى : وهى موضوعات - عند الصحافة العصرية - موفورة المادة من الإحصاءات والمراجع التاريخية والسياسية ، يستعان عليها أحيانا بتوفير أدوات الرحلة السريعة بزمائها ونقائصها التي تجتمع في شئ واحد : وهو السرعة أو العجلة .

فالرحالة الصحفي قد تزود لتأليف هذا الكتابات بزاد ضخ من الإحصاءات المجهزة والمراجع الموجزة وتذاكر السفر الحاضرة على كل مطية من المطايا الميسورة في القارة الأفريقية ، وهى تنظم أنواع المطايا من قبل الطوفان إلى السنة الأخيرة بعد منتصف القرن العشرين ... ثم دون محصولة سريعاً في إعداد العدة ، وسريعاً في استخلاص النتائج منها . فوضع بين يدي القارئ كتاباً يغنيه في مثل هذا الغرض للإحاطة السريعة بأحوال القارة الأفريقية في لمحات معدودات ، ولسكنها تستند وراءها إلى مستودع غير قليل من مراجع الوقائع والأرقام .

وهو يشرب الخمر ليعطى المرح حقه في المواسم الدينية .

ومن المشكلات الإفريقية التي تمس المسلمين وغير المسلمين أن لهجات الخطاب بين القبائل تختلف في القطر الواحد حتى تعد بالمشات ، وأن التفاهم بينها إنما يتأق بلغة تعليمية ، يتلقونها من طريق الدعوة الدينية ؛ وهي بين دعوة تسرى من جانب المبشرين أو تسرى الآن كما سرت من قبل على أيدي السكان المسلمين .

ويذكر المؤلف أن المسلمين ربما تحلفوا عن جيرانهم الوطنيين في بعض الأقاليم لأنهم قاطعوا المدارس العصرية يوم كانت تابعة كلها لبعوث التبشير ، فلم يخرج منهم في تلك المدارس غير قليل من الموظفين الصالحين لأعمال الدواوين .

وقد أغلقت مئات من هذه المدارس في أعلى النيل وأواسط القارة ، ولم يخلفها عدد يضارع هذا العدد من المدارس الإسلامية أو الوطنية المنفصلة عن إدارة التبشير .

ولا يكتم المؤلف أنه لقي في بعض تلك البلاد أناسا (محليين) يجهرون بالسخط على حكوماتهم ويتساءلون عن الدول الأمريكية والأوروبية : هل لهم أن يتطلعوا إلى معونتها السياسية في مقاومتهم لجيرانهم المسلمين ؟ قال : وإنهم ليعربون عن أسفهم علانية

في القارة من أن تعوقه عن الانطلاق في أرجائها هوائق التبشير أو المقاومة السياسية : فإن المسيحية لم تفلح قط في مقاومة الإسلام بالقارة ، وإنما كان العائق الوحيد الذي حال بين دين النبي وبين الانتشار فيها هو طاق - القسي تسي - أو ذبابة مرض النوم . إذ كان الإسلام ينتشر دائما على أيدي فرسان الصحراء وكانت الخيل عرضة للإصابة بأذى تلك الذبابة وليس لها عمل غالب في أقاليم الغابات . ومن جملة التسجيلات ، الإحصائية أو العيانية التي راقبها المؤلف يخرج القارىء ببيان موجز عن مشكلات المسلمين في بلاد القارة التي بلغت استقلالها أخيرا أو لا تزال في طريق الجهاد لبلوغ ذلك الاستقلال .

ومن هذه المشكلات أن الحساسة للعقيدة الإسلامية يشوبها أحيانا جهل المسلمين البدائيين بفرائض تلك العقيدة واحتفاظهم بالكثير من أساطير الوثنية الأولى التي توارثوها هند جاهليتهم القريبة ، ولكنه يسوى بين القبائل الإسلامية والقبائل المسيحية ، التي تحولت عن جاهليتها بدعوة البعوث المسيحية فإن هؤلاء وهؤلاء معا يأخذون من الدين الجسديد بالقشور ولا يتعمقون فيه إلى جوهره وروحه وقد يشاهد الأفريقي المسيحي في الأقاليم التي تجاور القبائل الإسلامية وهو يلبس التعاويذ القرآنية و الأحبة ، الموصوفة في طب المشايخ والفقهاء ، كما يشاهد الأفريقي المسلم

نظاما بدويا يناسبها ويستوى إليه أبنائها ،
وهو نظام المدارس المتنقلة كأنها ضرب من
قوافل التعليم .

وقد أوما المؤلف إلى خطة التفرقة بين
العرب والبربر في المغرب الأقصى ، واستطرد
منها إلى الإلمام بأثارها السياسية والاجتماعية
في السنوات الأخيرة .

ويرى المؤلف أن من أسباب قوة الإسلام
بين قبائل (الهوسا) إلى الجنوب من بلاد
المغرب الأقصى أن الشعائر الإسلامية قد
أصبحت عندهم « طريقة حياة » مع الإيمان
بعقائدها الروحية ، وقلما ينجح المبشرون
في المزج بين التدين وأساليب المعيشة اليومية .
وقد أوما المؤلف كذلك إلى نشاط
الطائفة الإسماعيلية في إفريقيا الشرقية ،
وإفريقية الغربية ، وقال إن واحداً من
دعاتها في (سيراليون) يقدر عدد الوثنيين
الذين تحولوا إلى الإسلام على يديه بخمسة
آلاف .

وقد تحدث المؤلف عن إقبال المسلمين
الإفريقيين على تعلم دروس الدين في الجامع
الأزهر فقال إن أكثر من مائة وسبعين شاباً
صوماليا كانوا يتعلمون في مصر سنة ١٩٥٧ ،
وإن الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى
تجتذب إليها المزيد من أولئك الطلاب عاماً
بعد عام .

كلما قيل لهم أن الدول لا تنوى أن تعرض
لهذه الشئون . . ثم يقولون : إنه لا أمل
إذن في غير معونة السماء !

وكلام المؤلف عن الأقاليم الإسلامية التي
يراقبها جيرانها بين شواطئ الأحمر ووادى
النيل جدير بالأمل وطول النظر ، لأنه (غير
مفهوم) على حقيقته وغير معلوم بتفصيلاته
فيما ينقل إلينا عن أخبار تلك البلاد .

ويرى المؤلف أحاديث الزعماء المسلمين
حيث يشيع الإسلام بين الملايين من السكان ،
فينقل عنهم أنهم صريحون في المجاهرة
بنفورهم من الخضوع لغير أبناء دينهم .
ولكنه يعقب على ذلك في بعض المواضع
فيقول : إن هؤلاء الزعماء على تدينهم
ومشاركة الملايين لهم في الدين ليس لهم أتباع
سياسيون بمقدار عدد المشاركين لهم في الدين .
ومن ملاحظات المؤلف على مسلمى الصحراء
أنهم (محافظون متشددون) ينظرون بشيء
من الريبة إلى مسلمى الحواضر ولا ينتظرون
أن يتلقوا منهم الهداية الروحية ، لاعتقادهم
أنهم مسلمون متفردون ، أو مسلمون غير
أثرمة كسبيين .

وقد أشار المؤلف إلى احتيال الفرنسيين
على تعليم هؤلاء (الصحراويين) في غير
المدارس النظامية التي يعرضون عنها
ويستريبون بها ، فإنهم أبدعوا في الصحراء

السباق الأربعة

صهيب بن سنان

للأستاذ عبدالمجود عبدالحافظ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« للسباق أربعة : أنا سابق العرب ،
وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة
وسليمان سابق الفرس » .

صهيب أحد السبعة الأول الذين أظهروا
الإسلام استجابة لدعوة الرسول عليه السلام ،
وناله من المشركين ما نال غيره من
المستضعفين ، فقد أودى وعذب في سبيل الله ،
ولم يزد هذا الإيذاء وهذا التعذيب إلا تمسكا
بالإسلام وإخلاصاً له . قال خالد بن الوليد :
« كنت شاباً أحب أن أمتنع ناظري برؤية
هؤلاء النفر يعذبون فكنت أرى منهم العجب
العجاب ... من ذلك أني رأيت صهيباً
والقوم يعذبونه بالنار وينوشونه بالرمح
ويلهبون جسمه بالسياط ومع ذلك فهو
يتحدث إليهم حديث من لا يحفل بما كانوا
يفعلون به من الأذى . وربما اشتد عليه
العذاب ، فعمد لسانه عن القول برهة ،

وتفقد جبينه عرقاً ، ثم لا يلبث أن تثوب
إليه نفسه فيعود إلى التحدث إلى مصفيه
في بعض أمرهم ، كأنهم لم ينالوه بمكرهه ،
فيستمررون في تعذيبهم له بالحديد والنار
والسياط ، ويستمر هو يعذبهم بهدوء
وثباته وتحذنه إليهم في أيسر أمورهم ، حتى
إذا ضجروا وملوا ضاهفوا له العذاب
وخرجوا عن أطوارهم ، فينال صهيباً شيء
الذهول ، ثم يأخذه شيء يشبه السكر ، فيمضى
في حديثه ولكنة حديث يحاذه الصواب ،
عند ذلك يعلم معذبه أنهم قد بلغوا منه
بعض ما كانوا يريدون ، فيسكفون
عنه عذابهم .

يقول خالد : وأشبه أني قد أتيت لأمتع
نظري فأنصرفت وأنا كاره لبعض أمر
هؤلاء القوم .

* * *

ولد صهيب على الضفة الغربية لنهر دجلة
بالموصل بالعراق لأبوين عربيين فأبوه
سنان بن مالك من أحرار العرب إذ

الربح وموارد الكسب، ثم يخبرنا عن الوجهة التي فيها لنا كسب ، فإذا ذهبنا إلى حيث ذكر بعنا كأحسن ما يكون البيع وشرينا كأحسن ما يكون الشراء ، لقد عرف كيف يرد موارد الربح في بلاد النجاشي ، فاشترى من البضاعة ما لم نكن نطمع في شرائه ، كما احتال حتى أظادنا إلى مكة في سفن اتفق مع أصحابها أن يرسلوا معنا رسلا منهم يشترون منا إذا بلغنا أرضنا ما يملثون به سفنهم حتى لا تعود إلى الحيشة فارغة ، فهو بذلك قد أظادنا كسبا لم نكن لنحصل عليه في رحلتين .

وأثنى عبد الله بن جدعان على غلامه ثناء جميلا ، ثم أحب أن يعتقه ، فقال له : لقد عزمت أن أرد عليك حررتك وأن أجعلك سيد نفسك ، ولكن بعد أن أختبرك اختبارا قاسيا .

فقال له صهيب : أمسك عليك هذه الحرية التي تريد أن تمنحني إياها ، فالحرية لا تباع ولا تشتري .

قال عبد الله بن جدعان : ويحك يا صهيب ألم أشتريك بمالي من السكبي ؟ فقال صهيب : إن أحدا لم يشتري من نفسي وإنما عدا على العادون فباهوني على كره مني ولم أكن عن ذلك راضيا .

ولذلك فإنكم ترونني هبدا منا تتسلطون على جسمي بسلطانكم وقوة مالكم ، وأنا

ينتهي نسبه إلى زيد مناة بن النمر بن قاعد ، وأما أمه فمن بني مالك بن عمرو بن تميم . وقد ولي سنان أبو صهيب هو وأخوه بعض الولايات من قبل كسرى ملك الفرس . ولما كانت الحرب سجالا بين فارس والروم فقد أسر صهيب وهو صغير في غارة من غارات الروم ، وهناك نشأ بينهم وتعلم لغتهم حتى غلبت عليه وأصبح لسانه يرتضخ لهجسة رومية^(١) وصار ألسن ليس في مقدوره أن يفصح عن آرائه في عبارة عربية صحيحة . ولذلك سمي (الرومي) والحكمة أرادها الله بيع صهيب لرجل من قبيلة بني كلب ، ثم باعه السكبي بمكة فاشتراه مكرها عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب التيمي الذي عقدت قریش في داره حلف الفضول .

وقد اشتهر صهيب بين القرشيين بالحذق والمهارة ونفاذ البصيرة وحسن النظر في التجارة وتثمين المال ، فعهد إليه سيده أن يتاجر له في ماله .

حدث حرب بن أمية عبد الله بن جدعان عن صهيب بعد أوبة من إحدى الرحلات التجارية إلى بلاد الحبشة قال :

لقد رأيت في رحلتنا تلك إلى اليمن وعندما اجتازنا البحر إلى الحبشة ، يتحسس مصادر

(١) فلان يرتضخ لسانه أعجمية إذا كان في شيء منها .

الذى يمسكنى على الإقامة فيها .
 فيقول عبد الله بن جدعان متعجبا : وما
 ذاك يا صهيب ؟

قال صهيب : لو أنى هرقته لأخبرتكم ،
 ولكن قسأ فى بلاد الروم أخبرنى أنى سأباع
 بشمن بخس ، وأنى سأعيش فى بلدكم هذا شطرا
 من عمرى ثم أنتقل إلى بلد آخر أعيش فيه
 الشطر الذى يبقى ، ثم أموت وأدفن فى أرض
 الحجاز ، وقد صدقت نبوءة القس فى شطرها
 الأول ، وما أرى إلا أنها ستصدق فيما بقى
 فأرد على حريقى الآن إن شئت فأنى لأفارق
 أرضكم ، ولو أنى أخرجت منها فى الصباح
 لرجعت إليها فى المساء ، وأهلم أنى لك
 ناصح أمين .

قال عبد الله بن جدعان : إذا اصحبنى إلى
 المسجد فأنى أريد أن أشهد قريشا على أنك
 حر . ولكن صهيبا يقول له : ليس لى فى شهادة
 أحد على حريقى رغبة ، وحسبى أن تشهد
 نفسك وتشهدنى على أنى حر .

وأعتق عبد الله بن جدعان غلامه واستأمنه
 على ماله وتجارته ، وعلمت قريش بما
 فعل عبد الله فلم تنكر عليه شيئا مما فعل .

حاش صهيب زهرة شبابيه فى مكة ينشر
 لعبد الله بن جدعان تجارته ويشمر له ماله فى
 بلاد قيصر وكسرى والنجاشى ، حتى أصبح

أرأنى فى نفسى رجلا حرا لأنكم لا تجدون
 لأنفسكم هلى نفسى سبيلا .

فنظر إليه عبد الله فى دهش واستغراب وقال :
 لماذا لا تعمل كما يعمل غيرك من الرقيق الذين
 يكاتبون على أنفسهم ويشترون حريتهم بما
 يقومون به من أعمال وما يدفعونه من أموال .
 فيرد عليه صهيب قائلا : لهم ما يعملون
 وأما أنا فلن أفعل فعملهم لأنى لست فى حاجة
 إلى شراء حريقى ، فأنا ما زلت أرأنى حبرا
 فى نفسى .

أما إن أردت أن تبلونى فإن مالك على من
 سلطان يبيع لك كل ما تريد ، ففرنى تجدنى
 هند ما تحب ، ولكن لا تعدنى شيئا ، فإن
 أبغض شيء إلى نفسى الأمانى والوهود ، ثم
 قال لسيده متعجلا : هون عليك فأنى سأخبرك
 بما تريد ولا تستطيع الإفصاح عنه ، فأنت
 تريد أن ترسلنى فى تجارتك إلى الشام ،
 ولكنك تخشى أن أفر بما استودعنى من تجارة
 ومال ، عندما أرى الأرض التى تمتعت فيها
 بحريقى .

فقال عبد الله بن جدعان : أما هذا فلا ،
 لأنك عندى أمين على المال والتجارة .

قال صهيب : إذا ففهم تجارتك فسأذهب
 إلى حيث تريد وأهود إليك بما لم ترمله ،
 وليس لى فى غير قريشكم هذه مأرب . فقد
 أنبئت أن لى فيها شأنا أى شأن ، وهذا هو

ويسمع أبو جهل بإسلام صهيب فينادي
في قومه أنه سيُعذب صهيباً وآل ياسر جزاء
اتباعهم محمداً ...

ونال صهيباً من السخرية والإيذاء والعذاب
ما نال غيره من المستضعفين ما بقي في مكة .
ولما اشتد إيذاء المشركين على محمد وأصحابه
وأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، لم يشأ صهيب
أن يترك رسول الله ، وهو العليم بالكثير
عن بلاد الحبشة ، والقادر على أن يجد
هناك حياة حرة كريمة يمارس فيها تجارته
ويعبد ربه ، ولكن نفسه قد تعلقّت بمحمد
فبقي بالقرب منه .

ولكن المشركين يلجون في غيهم ويعملون
على استئصال المسلمين ، فيأمرهم النبي بالهجرة
إلى المدينة .

غير أن صهيباً لا تطاوعه نفسه أن يفارق
مكة مدة بقاء الرسول فيها ، وكان يطمع أن
يصحبه الرسول أو أبو بكر في هجرته .

ويصبح ذات يوم فيعرف أن صاحبيه
قد هاجرا إلى يثرب ، ثم يلحق بهما على
ابن أبي طالب . عند ذلك يعزم
صهيب على الهجرة ، فقد وضع له أن البلد
الذي سيقضي فيه شطره الآخر من عمره
هو يثرب ، وتعرف قريش أن صهيباً يريد
الهجرة فتحبسّه عن الهجرة مع من حبستهم

عبد الله بن جعدان من أكبر رجال قريش
مالاً وأعظمهم ثراءً وأسخمهم عطاءً .

فلما مات عبد الله استمر صهيب في عمله
حتى كثر ماله ، ولكنه كان لا يبعد في التجارة
عن مكة كثيراً ، وجعل يصل من كان يصلهم
عبد الله بن جعدان ، فاطمأنت قريش إليه
ووثقت به .

فلما بعث رسول الله عليه السلام وأخذ
يدهو الناس إلى الإسلام الذي يسوى بين
معتنقيه على اختلاف أجناسهم ومراتبهم .

سمع صهيب أن محمداً يجتمع بأصحابه في دار
الأرقم بن أبي الأرقم يتلو عليهم ما ينزل عليه
من كتاب الله ، فأحس أن ما كان يمسكه في
بلاد الحجاز منذ قدم إليها ، قد أصبح منه
على قيد خطوات . فيندفع إلى دار الأرقم
ابن أبي الأرقم حيث يجتمع المسلمون يسمعون
من رسول الله ، وأمام الباب يرى عمار
ابن ياسر يقبل عليه يسأله :

ماذا تصنع هنا يا صهيب ؟

فيقول له صهيب : وماذا تصنع أنت ؟
فيجيبه عمار : أريد أن أدخل فأسمع من
محمد وأعلم عليه .

فيقول صهيب : وأنا أيضاً أريد ذلك .
ثم يدخل الرجلان فيسمعان حديث محمد
وإنه لحديث ذو شأن بهرهما ويشرح صدرهما
للإسلام .

ثم أضربكم بسيفي ما بقي منه شيء في يدي ،
أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيل ؟
ويجحد القوم أنهم في موقف لا يحسدون
عليه فيؤثرون العافية والسلامة والمال ،
ويقولون له نعم ، فدلنا على مالك .

فيخبرهم بمكانه ، فيعودون من حيث أتوا .
ويواصل صهيب رحلته إلى المدينة فيلقى من
الجهد والوصب الشيء الكثير .

ولم يصل المدينة إلا وقد بلغ منه الإعياء
والجوع مبلغا عظيما ، كما أصابه في الطريق
رمد جمعه لا يرى إلا في مشقة وصعوبة .

* * *

بينما النبي صلى الله عليه وسلم وبعض
أصحابه جلوس في المدينة يتنازلون بعض
التمر شاهدوا شخصا مقبلا عليهم في جهد
وإعياء . فقام بعض الأنصار إليه يستقبلونه
ويعينونه . وينظر النبي إلى القادم فإذا هو
صهيب ، فيلقى السلام على الجالسين ثم يجلس
ليرد بعض جوعه ببعض التمر . وينظر إليه عمر
ابن الخطاب وهو يأكل التمر ، ثم يقول
للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا ترى يا رسول
الله إلى صهيب يأكل التمر وهو رمد ؟

فيقول صهيب إنما آكله بشق عيني التي
لم ترمد ، فيقسم النبي ويضحك الجالسون .
ثم يسأله النبي كيف استطاع الهرب من
قريش ، فيقص عليه قصته وأنه لم يصل

من أصحاب محمد ، تريد أن تفنهم عن دينهم
وأن تصدهم عن سبيل الله ، ويقبل أبو جهل
وقد امتلأ قلبه غيظا وكدا ، ويقول لصهيب
على ملاء من قریش :

أتيتنا صعلوكا حقيرا لا تملك من الدنيا
شيئا ، فكثير مالك وبلغت الذي بلغت ،
ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك إلى محمد ،
واقه لا يكون ذلك .

قال صهيب : يا معشر قریش فإن خليت
بينكم وبين مالي أتخلون بيني وبين ما أريد
من الهجرة . . ؟

فيقول أبو جهل : هيات ، فلسنا في حاجة
إلى مالك ولسكنا في حاجة إلى نفسك
فسنعذبك حتى نأخذ مالك ثم نقضى عليك
أو نعود إلى ديننا .

فينظر صهيب إلى أبي جهل في ألم ويقول
له في صوت حزين :

لو عاش عبد الله بن جندعان لما بلغت
منى ما ترى .

وتمسك قریش صهيبا عن غرضه ولكنه
لا يلبث أن ينسل من محبسه ويترك مكة ،
فترسل قریش في إثره الخيل ، تريد إرجاعه ،
ولكن ما يكاد صهيب يرى المطاردین حتى
ينثر كسائته ويقول لهم في صوته الحازم :
معشر قریش لقد هلتم أنى أركامكم سهما ،
ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى

ولما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين ،
وسمع الناس يتحدثون عن كرم أبي يحيى
وسخائه ، سأل عن أبي يحيى هذا فأخبروه
بأنه صهيب ، فعجب عمر لهذه الكنية إذ لم
يكن لصهيب ولد اسمه يحيى . ولما التقى عمر
بصهيب في المسجد سأله عن كنيته وعن سرفه
في المال وعن نسبه ، فقال له صهيب
أما كنيتي فقد كنانها النبي صلى الله عليه
وسلم ، وأما تبذيري في المال ، فما أنفقه
إلا في حق ، وقد سمعت رسول الله يقول :
(إن خياركم من أطعم الطعام ورد السلام)
أما نسبي فأنتي عربي من أهل الموصل
سبتي الروم بعد أن عرفت أهلي وقومي .
وقد عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه
لصهيب مكانته من رسول الله وسابقته إلى
الإسلام فكان يقدره حق قدره ولا أدل
على ذلك من وصايته له بأن يصلى بالمسلمين ،
فعندما طعن عمر رضى الله عنه أوصى صهيبا
أن يصلى بالمسلمين ثلاثا حتى يجتمع المسلمون
على إمام .

* * *

وهذا أكبر دليل على المكانة التي وصل
إليها صهيب . وهل هناك مكانة أعلى من أن
يعهد إلى إنسان أن يؤم المسلمين في الصلوات
المكتوبة وأن يقوم حارسا على تنفيذ
السياسة التي رسمها عمر لاختيار خليفته وأن

إلى المدينة إلا بعد أن اشترى نفسه من
قريش بماله جميعا . فيقول له النبي مبشرا
وهو اسيا : ربح البيع أبا يحيى ، ثم لا يلبس
جبريل الأمين أن ينزل على حبيبه محمد بقول
الله تعالى :

« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله والله رءوف بالعباد . »

ولازم صهيب رسول الله وأصبح من
أكثر المسلمين محبة له وأقربهم مكانة عنده ،
وشهد مع الرسول كل غزواته وبيعاته ، وقد
اشتهر بين المسلمين بالخذق في رمي السهام .
روى عن نفسه فقال :

« لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشدأ قط إلا كنت حاضره ، ولم يبايع
بيعة قط إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية
قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة قط
إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا
أمامهم قط إلا كنت أمامهم ولا ما وراءهم
قط إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين العدو قط ،
وسار صهيب بعد هجرته سيرته الأولى يعمل
في التجارة بخذق ومهارة حتى كثر ماله وخاصة
بعد الفتوح الإسلامية ، فكثرت عطاؤه وسخاؤه
وتحدث الناس عن كرمه وبره بالمسلمين ،
فقد كان يجمع كل ليلة جمعا كبيرا من الناس
حول الطعام . »

الحديث عن النبي مخافة أن يخطيء ، وكان يقول للناس : (هلموا أحدثكم عن مغازينا فيما أن أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا)

فانظر كيف رفع الإسلام شأن المستضعفين من العرب وأهلهم المسكاة اللاتفة بأعمالهم مصداقا لقول الله عز وجل :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (ف الله عليم خبير .

عبر الموهود عبر المحافظ

يفوض إليه أن يحسم الخلاف الذي يقوم بين المتشاورين بقتل الخارج على رأى الجماعة .

وفى خلافة عثمان بن عفان أثر صهيب الهدوء والدهة بعد أن تقدمت به السن فلم يشارك في الحركات السياسية .

وتوفى صهيب في السنة الثامنة والثلاثين أو التاسعة والثلاثين للهجرة وذلك في عهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، بعد أن ظل مسلما أكثر من خمسين سنة عاصر فيها كل أحداث الإسلام من يوم مولده حتى أدرك اتساع رقعة الدولة الإسلامية .

وبالرغم من ملازمة صهيب للنبي صلى الله عليه وسلم مدة حياته فقد كان يتحفظ في رواية

(بقية المنشور على صفحة ١٠٠٢)

في القارة الإفريقية ، فإن المؤلف يطوى الأحاديث عن هذا الموضوع طيا لا يتسع للصراحة والبيان الوافي ، وإن تكن أيسر الصراحة هنا كافية للعلم بما وراء الثنيات ، أو للعلم بمحاولات الصهيونية المتشعبة للانتفاع بإشارة التعصب بين الأفريقيين المسلمين وغير المسلمين ؟

عباس محمود العقاد

ولا نختم تلخيص هذا الكتاب دون أن نشير إلى موضعين فيه يستحقان من القارئ المسلم كل عناية بالتوسع فيهما والاعتماد على النفس في استقصاء أخبارهما ، بنجوة من المصادر الأجنبية التي لا تخلو من قلة الاهتمام إن خلت من سوء النية .. وهذان الموضعان هما موضع « تسجيلاته وتبليغاته ، عن تاريخ الإسلام الحديث في جوار الحبشة ، وموضع « تسجيلاته وتبليغاته ، عن مساعي الصهيونية

الكتيب

الشوقيات المجلد

للاستاذ على محمد حسن العماري

الذي قصده ، والذي يدل عليه عنوان الكتاب .

ذلك أن المؤلف لم يقتصر - كغيره من ناشري للكتب - على آثار الشاعر الذي وجه همهته إلى نشر تراثه ، ولكنه عرف بالشاعر ، وبأدبه ، وبعصره تعريفاً كان محبوباً للآداب والتاريخ في مسيس الحاجة إليه .

رجع المؤلف إلى جميع الصحف والمجلات التي صدرت من (١٨٩٢ - ١٩٣٢ م) أي منذ أن سافر شوقي إلى فرنسا لدراسة الحقوق في جامعاتها إلى أن توفي ، والمؤلف يعتبر فترة الدراسة في أوروبا من أهم الفترات في حياة الشاعر ، وكان - كما يقول - لها نتائج بالغة في جميع أطوارها ، وكذلك استعان المؤلف بكل ما نشر عن شوقي سواء في الصحف أو في المجلات أو الكتب التي صدرت بعد وفاة الشاعر ، ومثل هذه الدراسة ، مع معاصرة كثير من أحداث العصر ، ومع الصبر ونفاذ

هذا اسم كتاب أخرج الجزء الأول منه الدكتور محمد صبري ، وقد عني فيه بآثار شوقي التي لم يسبق كشفها أو نشرها ، كما كتب بحثاً ضافياً ألقى فيه أضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وأدبه .

وقد كان في النية عند البدء في قراءة الكتاب أن أكتب عنه كلمة موجزة لا تتعدى التعريف به ، والإشارة العابرة إلى ما احتواه ولكنني عندما تقدمت في قراءته رأيت أن من الظلم للكتاب أن يكتفي فيه بكلمة عابرة ، وأن ما تضمنه من دراسات جديدة بأن يقف القارئ عندها .

يبدو من عنوان الكتاب أن الغرض الأهم منه هو نشر آثار شوقي التي لم تكشف أو لم تنشر ، ولعل مؤلفه جعل هذا الموضوع كل وكده - بادئ ذي بدء - ولكن الدراسات التي قدم بها المؤلف ، والتي أشاعها في أثناء الكتاب لا تقل أهمية عن الغرض الأول

يلقاها الباحث في بحثه ، لأن القارئ لا يرى من البحث إلا النتيجة ، ولكن الطرق والمصاهب التي كابدها الباحث وعانها ، وشق فيها تظل متوارية وراء الغيب لا تدرك إلا بالظن .

وهنا أمر يزيد من صعوبة البحث - كما قال المؤلف - وهو أن شوقي كان كثيرًا ما يستعمل إمضاءات مستعارة ، بسبب أو بغير ما سبب ، وبهذه المناسبة قد ذهب الناس مذاهب في تعليل اختفاء شوقي وراء إمضاءات مستعارة ، ولكن المؤلف يعلله بأنه نوع من الدلال ، دلال شاعر الأمير ونابغة العصر وشاعر الدارين .

وقد استعان المؤلف بحججه الأدبية ، وبأنفاس شوقي النشأة عليه فاستدل على شعر شوقي الذي نشره بإمضاء مستعار ، ولا شك أن معاصرة المؤلف للنهضة الكبرى على يد البارودي وشوقي وصبري أمانته على أن يميز هذا الشعر وإن كانت الأنفاس النشأة لا تصدق دائمًا .

وقد أعجبني بعد ذلك في عمل المؤلف أمران : الأول : تأريخه للقصاصد التي نشرها وهذا التأريخ له أهمية كبيرة في معرفة عصر الشاعر والعوامل المختلفة التي تأثر بها في أدبه ، كما أنه يلقي أضواء ساطعة على الحياة السياسية والاجتماعية التي ولد فيها الأدب ، ولو أننا

البصر ، تؤق أطيّب الثمار ، وتوصل إلى أحسن النتائج ، وهذا ما لمسته بوضوح في هذا الجزء من الكتاب .

عرف المؤلف في أول صفحة من الكتاب بعمله الذي ضمنه هذا الكتاب فقال : لست بحاجة إلى القول إن الكتاب الذي أقدم به بحث أدبي تاريخي ، يستند كمثل بحث إلى قدرة الكاتب في حسن العرض ، والاختيار وبناء الموضوع ، ومعلوم أن الطريقة التاريخية الحديثة تمتاز بمحيص الوقائع ، ونشر الوثائق والتعليق عليها ، وهذا هو لباب التاريخ يستوى في ذلك تاريخ الحوادث ، وتاريخ الأدب .

وقد وجدنا لشوقي أكثر من مائة وثلاثين صيدة أو حوالي ٤٠٠ بيت من الشعر وذلك بخلاف حوالي ١٠٠٠ بيت من المقطوعات والأبيات المتفرقة ، وبخلاف حوالي ستين مقالة أو قطعة نثرية ، وكل هذا لم يسبق نشره في دراوين شوقي ومؤلفاته التي طبعت في أثناء حياته ، وبعد مماته وبعبارة أخرى لقد وجدنا كل ذلك التراث بعد ما أفرغت أسرته كل ما في جرابها ونشرته ، ولست أشك أن المؤلف قد لقي صعوبات كثيرة ، وعانى متاهب جمّة ، في جمع هذا تراث وهو صادق حين يقول : والواقع أن التوفيق ساعدنا كثيرًا ، وليس في مقدور القارئ مهما بلغ علمه أن يدرك المشقة التي

يا لواء الحسن أحزاب الهوى
أيقظوا الفتنة في ظل اللواء
والتي يقول فيها :
أنت روحانية لا تدعى
أن هذا الشكل من طين وماء
وانزعى عن جسمك الثوب بين
للأفلاك تكوين سكان السماء
وأرى الدنيا جناحى ملك
خلف تمثال مصوغ من ضياء

والمؤلف يقول قبل ذلك إن القارىء
سيبتين المنهج الذى أتبعه فى تاريخ القصائد
وذكر ظروفها ومناسباتها وشرحها ، وأنه
لم يهمل وسيلة من وسائل التحقيق .
الثنى : النقد الممحصر الذى يشيع
فى الكتاب كله من أوله إلى آخره ، وقليل
من المؤلفين من يسلكون هذا المسلك ،
ولكنه فى الحقيقة أكثر جدوى ، على
القارىء من أى عمل آخر ، وهو أدل على
يقظة المؤلف ، ودقة إحساسه ، وسر ذوقه
وربما كان الجمع عملاً شاقاً ، ولكن العمل
الأشق هو النظر بعين فاحصة ، وذوق نافذ
فى هذا الأثر الذى جمع .

ولم يقتصر نقد المؤلف على آثار شوقي بل
تعداها إلى نقد كثير من الشعراء والكتاب
فعرض فى الكتاب مثلاً لابن زيدون وابن
خفاجة والبارودى وحافظ وإسماعيل صبرى

هرقنا توارىخ قصائد كل شاعر من شعرائنا
لتغيرت عندنا دراسة الأدب العربى إلى حد
كبير ، ولعل من الأمور ذوات البال فى هذا
التأريخ أن نعرف السابق واللاحق من الشعراء
أو الشعارين الذين اشتركوا فى معنى واحد ،
وقد استعان المؤلف بهذا التأريخ ، فى حادثة
جزئية ، ولها مثيلاتها فى تاريخ الأدب كله .
وكان أحمد نسيم الشاعر يقول إن شوقي فى
بينه المشهور :

صوفى جمالك عنا لإننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحانى

أغار على اسماعيل صبرى فى قوله :

أنت روحانية لا تدعى

أن هذا الجسم من طين وماء

وقد أخطأ نسيم لجهله بتاريخ القصائد .
صبرى هو الذى أغار على شوقي . فقد نظم
هذا الأخير قصيدته (الله فى الخلق من صب
ومن عانى) والتي يقول فيها :

صوفى جمالك عنا لإننا بشر

من التراب وهذا الحسن روحانى

أوقا بتغى فلما تأوينه ملكا

لم يتخذ شركا فى العالم الفانى

فى سنة ١٨٩٤ (وقائع ٧ مارس) ونشرت
(المجلة المصرية) فى عدد يونية سنة ١٩٠١
قصيدة صبرى التى مطلعها :

وعند المؤلف أن البارودي فيما عدا القصائد التي تعتمد فيها مجازاة الأقدمين كان في شعره طابع التجديد والشخصية لأنه كان شاعرا بالسليقة لا ينطق إلا عن عاطفة ووجدان صادق ، وليس له كما لشوقي عشرات القصائد التي تبدى بالغزل أو الغنيسب (الصناعي) وتنتهى بالمديح وذكر البدر والشمس والنوال والأساد والآرام جريا على عادة الشعراء العباسيين .

وشوقي - كما يقول المؤلف - ظل طول حياته يرى بالدر ويرى بالصدق فهو لم يتطور كما تطور مطران ، وقد كان لشوقي في جميع عصوره شعر قديم ، وشعر جديد ، شعر رائع ، وشعر خسيس ، وهو يرجع ببطء للتطور عند شوقي أنه ظل طوال حياته لا يهتم في أحاديثه وفي مطالعته إلا بالأدب العربي ، أما مطران فقد تمكن من دراسة الأدب الغربي ، والتشرب بمذاهبه ، ومناحيه ، فساهده ذلك على التحرر من القديم في نواح كثيرة في سنوات .

ويخلص من ذلك ، ومن إسراف شوقي في استعمال بعض أدوات التشبيه بكثرة في بعض القصائد : « فقد استعمل عشرين مرة كأن في ستة وعشرين بيتا متتابعة » . إلى أنه لو لا هذه المأخذ والمناحي لاحتل شوقي مكانه في الشعر العالمي . كما احتله في الشعر العربي .

والمويلحي والمنفلوطي ، وفي كل ذلك يعطى أحكاما نوافقه على أكثرها ونخالفه في أقلها فهو يقول عن شوقي مثلاً في هامش ص ٢٠ بعد أن أشار إلى ضالة محصول شوقي في فترة الخمس السنوات التي قضاها في ربوع الأندلس (١٩١٥ - ١٩١٩ م) : « ولا شك أن مواقع الأندلس ومشاهدها كان لابد أن توحى إلى شاعرنا ديواناً ضخماً من شعر الطبيعة وفلسفة الحياة ، فأين هذا الشعر ؟

ولكن شوقي عاش بذمته وخياله في البيئة العربية القديمة ، قريباً من تلك المواقع والمشاهد التي لا تشحن إلا ذهن من يمر بها ويهيم بها ، ويستلهمها ، ويقف منها موقف العابد ، ويعيش في أجوائها .

ومن هنا كانت ضالة محصوله الحقيقي في أو (الصافي) من ناحية الحكم والكيف معا ويظهر أن شوقي نظم كثيراً ، وكتب كثيراً في الأندلس ، ولكن بغير نظام كما أنه لم يحسن اختيار ما يلائمه من المواضيع^(١) وطريقة معالجتها .

(١) المؤلف يستعمل أحياناً كلمات أو تراكيب لا ترضى عنها العربية من ذلك قوله في هذه الفقرات (في فترة الخمس سنوات) ولا بد - على أصح الآراء - من تعريف المعداد إذا عرف العدد - كما فعلنا - ومن ذلك استعمال كلمة مواضيع ، ومفعول لا تجمع على مفاعيل ، وإنما تجمع جمع تصحيح ، وما جاء منه على مفاعيل نادر لا يقاس عليه .

ويعلق المؤلف على هذا النقصد بقوله :
لا نوافق الدكتور أبو شاذى فيما ذهب إليه ،
ونرى أن البيتين اللذين ذكرهما شوقى
(دقات قلب المراء - فما العبد إلا كالدخان)
بيتان جيدان من الناحية الشعرية فحسب ، لأن
مادة كليهما صورة خيالية جوفاء ، وإن كانت
جميلة . أما قوله : (وإنما الأمم الأخلاق)
فهو حكمة حميقة .

والذى يبدو لنا أن كلا من المؤلف
وأبى شاذى على صواب ، فى اعتداده بالحكم
الثلاث الأخيرة ، ففيها كما قال - شعر وحكمة ،
وليست (دقات قلب المراء) من الخيال
الاجوف - كما ذهب إليه المؤلف - وإنما هى
حقيقة ثابتة ، يشعر بها كل حى ، كما أن
التشبيه فى (فما العبد إلا كالدخان) مع جماله
من الناحية الشعرية يعبر عن طبيعة ثابتة ،
وحال معروفة فى صغار النفوس ، فهو يبرز
لنا صورة نعرفها جميعا ، ونؤمن بها فـ
معرض شعرى جميل .

وقد أخطأ أبو شاذى فى عده (وإنما الأمم
الأخلاق) من الحكمة الساذجة ، والحق
فى هذا الشأن مع المؤلف ، فإن كثيراً من
الحكم يجرى على الألسنة ، ويشيع بين الناس ،
ولكن ذلك لا يفقده روعته وقوته ،
بل العكس ، قد يكسبه - فى بعض الأحيان -
قوة وروعة ، وما سار وانتشر واهتزت له

فشوقى درس الأدب الغربى دراسة عابرة
لا دراسة استيعاب ، وهذا ما يقوله الدكتور
طه حسين . وشوقى والمولى على - فى نظر
المؤلف - لم يقشرا الأدب الغربى ، ولم يكن
فى مقدور أحدهما الموازنة بين الأدبين .

ويقف المؤلف وقفة قصيرة مع الدكتور
أحمد زكى أبى شاذى ، حول أبيات لشوقى ،
فقد كتب أبو شاذى فى مجلة أبولو (ديسمبر
سنة ١٩٣٢ ص ٥٠٠) عن شوقى يقول :
« حتى بيته المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ليس من الشعر فى شئ ، وإن كان آية من
الحكمة الساذجة ، ولكن الشعر والحكمة
تجتمعان فى مثل قولى شوقى :

دقات قلب المراء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان

وقوله :

فما العبد إلا كالدخان وإن علا

إلى النجم منحط إلى الأرض سافل

وقوله :

ومن تبسم الدنيا إليه فيغتر

يم كقتيل الغيد بالبسات

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة

فى شوقياته ، كما يوجد بجانبها غير قليل من
النظم الخبرى التقريرى الذى لا نعهده من
الفلسفة الشعرية فى شئ .

إلا خلى) من الشعر الركيك، لأن هذا الشطر يعبر عن معان نفسية رائعة، فالسخرية من الليل واضحة في قوله (يا أسود) والمفارقة واضحة في خلو الليل من العشق والحلم، وامتلأ قلب الشاعر بهما، والذوافة يحس عند قراءة هذا الشطر بالروح الشعرية قوية منفعة، ولا يلاحظ ركة ولا ضعفا في النسيج.

وقد تعرض المؤلف في أثناء الكتاب للمقارنة بين شوقي وغيره من كبار شعراء عصره، ولا شك أن كنية الموسيقى والأنغام العميقة في شعر شوقي أضعاف أضعاف موسيق حافظ اللغزية الطافية التي هي أقرب إلى الضجيج الخطابي منها إلى الموسيقى، ولا يستطيع التطريب وحسن الإلقاء مهما بلغا من الإتقان إلا خلق موسيقى صناعية وقتية تنطفي بمجرد الإلقاء، ص ٤١.

وشوقي ولا شك - على حد قوله - أرق خيالا من البارودي وحافظ، قال ذلك بمناسبة وصف الشعراء الثلاثة للقطار، فوصف حافظ معنوى ركيك لا تصوير فيه ولا إبداع، والبارودي لم يسعفه خياله فلم يصور القطار ولا مناظر الريف المصرى، ولكنه فعل ما فعله حافظ فيما بعد وأشرنا إليه خشا قصيدته باستعارات وتشبيهات مبتذلة لا تمثل القوى التي تزخر بها الطبيعة والحياة، أما شوقي فكان قوى الملاحظة، فقد فتح عينيه على منظر

النفوس إلا لأنه يعبر عن حقيقة رائعة في حياة الجماعات.

وللؤلف موقف آخر مع أديب آخر، حول شوقي أيضا:

انتقد داود عمون - في المقطع - قصيدة لشوقي، فقال إنها من الشعر للعادى، وقد عاب على شوقي أبياتا منها قوله في مخاطبة الليل:

يا ليل قد جرت ولم تعدل
ما أنت يا أسود إلا خلى
فقال إنه مما يذكر في موضع الركاكة، ثم قال: ومن المعاني السقيمة المضطربة:

قاله لو حكمت في الصبح أن
تفعل - خفت الله لم تفعل
أو طلت سيفا في جيوش الضحى

ما كنت للأعداء ما أنت لى
قالبيت الثانى تكرار البيت الأول، وذنب الليل إلى الشاعر طوله، وزواله إنما يكون بالنسبة إلى الشاعر وإلى الصبح في وقت واحد، فهو لا يفعل بالصبح عدوه أكثر مما يفعل بالشاعر.

واستمر الكاتب ينتقد شوقي، وجاء المؤلف فوافقه على كل ما قال، ولم يأخذ عليه إلا أنه أغفل بيتا جميلا في القصيدة.

وأرى أن المؤلف بذوقه الناقد الصافى كان يمكن أن يناقش داود عمون، فمثلا قد جار عمون في اعتداده هذا القول (ما أنت يا أسود

المؤلف قد يكون له مغزى عند آخرين من النقاد والباحثين ، ومعرفة الأطوار الفنية للشاعر ، والخلجات النفسية حتى والعواطف المتكلفة ، ضرورة وذات مغازل للتاريخ الأدبي ، والمؤلف نفسه هم بحذف قصة من القصص ، ولكن تبين له أن لها مغزى سياسيا وأديبا ، فنشرها ، قال (ص ٢١٧) : كانت هذه القصة (أمة الأرانب والفيل) من قصص شوقي الأولى التي جرى بها لافونتين الفرنسي شاعر الحكايات على أسنة البهايم والطير ، وهي خالية من روح الشعر التي ظهرت فيما بعد في سنة ١٩٢٨ م في (الوطن) ، د عصفور تان في الحجار ، لذلك كنت أرى حذفها من شعر شوقي لضعفها حتى تبين لي من هذا المقال (يشير إلى مقال نشر في المؤيد في ٣١ يولية سنة ١٩٠٠) المغزى الأدبي والسياسي الرفيع الذي كان يرمى إليه شوقي في نظم قصص وأناشيد الأطفال ، وأقول إن الخلو من روح الشعر هو - في حد ذاته - مغزى يحتم على كل ناشر أن ينشر ما وجدته من شعر شوقي أو غيره من الشعراء ، ومن المعروف من قديم أن الشاعر الحق هو الذي يجمع بين الدرة والحصاة فالناقد أو الباحث يهمله أن يعرف درر شوقي ، ويهمله كذلك أن يعرف حصاه .

وأنا معه في العيب على شوقي الذي ضمن

من أدق وأروع مناظر الطبيعة والحياة ، منظر سواد القطار وهو ينساب في خمير الليل والبلاد . الخ .

ونحب - بعد هذا كله - أن نقف مع المؤلف وقفة قصيرة .

المؤلف لم ينشر كل شعر شوقي المجهول ، وإنما انتخب منه واختار ، وقد بنى اختياره على أن تكون القصيدة من غرر القصائد ، وأبيات المديح فيها قليلة ، كما أنه أسقط المديح الذي ليس له مغزى خاص (ص ١٠٣) وقد امتدح شوقي لأنه أسقط المديح من بعض القصائد ، خصوصا وأنه من الناحية الأدبية لا قيمة له ، وإن كان له قيمة من الناحية للسياسية ولذلك رأى المؤلف في هذه القصيدة بالذات كان يجب أن تنشر (ص ٩٩) . وعنده أن أكبر إساءة إلى صبرى كانت في نشر ديوانه بقبضه وقضيضه من شعر الصبا إلى شعر الكهولة .

ونحن لا نوافق المؤلف على هذا الصنيع ، فكان يجب - من وجهة نظرنا - أن ينشر قصائد شوقي كاملة دون أن يحذف منها شيئا ، أو يعدل في أبياتها لفظا ، لأن التاريخ يريد أن يعرف كل شاعر على حقيقة ، ولستنا نحن الذين نصنع الشاعر ، وإنما هالينا أن نأخذ كما وجد ، والمديح الذي ليس له مغزى عند

وقال إن شوقي أخذ المعنى من المتنبي ،
ولكنه ربما كان أحق بالمعنى منه ، وهو حكم
جائر على أبي الطيب ، فقوة الأداء في بيته ،
والدقة ، والتشيل الذى أكد المعنى وقرره ،
والجرس الصوتى الذى يملأ السمع رنيناً ،
كل ذلك يجعل كلمة شوقي تتضال بهدوتها
وبساطتها .

وآية ما ذهبت إليه هو تعليق المؤلف نفسه
على بيت لشوقي :

لم نفق منك يا زمان ففشكو

مدمن الخمر ليس يشكو الخمارا
هذا البيت الرائع طالما أطنب في امتداحه
الأديب الذواق المرحوم مصطفى لطفى
المنفلوطى وقد هبط به شوقي إلى الحضيض
بصياغته الجديدة :

لم نفق منك يا زمان ففشكو

مدمن الخمر لا (يحس) الخمارا
فكل ما فعله شوقي أنه غير كلمة (يشكو)
بكلمة (يحس) والفرق بينهما هو الفرق بين
(يؤذنها) فى كلام شوقي و (يسهل الهوان
عليه) فى كلام المتنبي .

وقد روى بيت شوقي فى قصيدته (يا ليلة
سميتها ليلتي) وهى القصيدة التى قيلت بمناسبة
ولادة بنته أمينة ، ووفاة والده فى ساعة
واحدة ، روى هذا البيت :

على نسب إحدى قصائده بإعادة نشره
فى الطبعة الحديثة من ديوانه ، وإن لم يكن
فى ذلك الشعر من الحكمة وحسن الصياغة
ما هو أعلى وأغلى من الكثير من مخناراته
فى باب النسب من الجزء الثانى .

وإن عذرنا الشاعر فى حذف أجزاء من
شعره لأنه يرى أنها تحط من مكانته الفنية فإننا
لا نعذر الناشر لأنه لا ينبغي أن يذهب مذهب
الشاعر فى محاولته لإظهار فنه فى أعلى درجاته ،
والمؤلف يعبر عن ذلك بقوله فى ص ٢٢٦ :
لذلك رأينا انتقاء الشعر الجيد الذى هو خير
ما فى الرواية (يريد رواية عذراء الهند)
ولب لبابها ، ولا يشفع له قوله بعد ذلك :
خصوصاً وأن شوقي قد عاد إلى معالجة
الموضوع شعراً وبأسلوب جديد فى رواية
قبيز . .

والنقد الذى أشاعه المؤلف فى جميع فصول
الكتاب ، أعجبني ، واهتزت له كثيراً ،
ولكنى - مع ذلك - أحب أن أراجعه للقول
قليلاً فى بعض لمساته التى لم ترقى .

فضل قول شوقي فى بعض قصائده :
(والنفس إن صغرت لاشئ يؤذنها) على قول
المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح يميت إيلام

والقلب ما بينهما حائر
 من بلدة أسرى إلى بلدة
 بكلمة (يسرى) بدل (أسرى) قال
 المؤلف : وبين الكلمتين بـ **ون** شامع ،
 أسرى تخفض البيت وتذهب بروائه ،
 ويسرى ترفعه .

واست مع المؤلف في هذا ، فزوج شوقي
 في حلوان ، ووالده في القاهرة ، زوجه جاءها
 الخاض ووالده جاءه الموت .

وقد انتقل الشاعر في الليل — من بلد إلى
 آخر — ولا أظنه يريد أن يقول إنه طول
 الليل يتنقل ، ولا كانت المواصلات في سنة
 ١٨٩٧ م تسمح بهذا التنقل المتكرر في ليلة
 واحدة ، والذي يستفاد من الفعل المضارع
 (يسرى) . ولو كان في أيامنا هذه لقلنا
 لعل الشاعر ذهب إلى حلوان ثم رجع إلى
 القاهرة ، ثم عاد إلى حلوان وهكذا ، لكن
 تاريخ القصيدة يجعلنا نعتقد أن شوقي جاء
 ليلا من أحد البلدين إلى الآخر ، وفي هذا
 من المتاعب ما فيه في ذلك الزمان ، ويساعدنا
 على هذا الفهم أن القصيدة نشرت وأعيد
 نشرها في حياة شوقي ، برواية الفعل الماضي ،
 أما الفعل المضارع فهو من رواية الأستاذ

الجديل ، ولا شك أن الشاعر أهرف بما يريد .
 والمؤلف قد أدخل في النقد ما ليس منه ،
 وذلك حيث يقول عن بعض القصائد :
 وهي جيدة النسيج ، ولكن يعيبها أنها مدح
 في توفيق ودم في العرابيين . فن الناحية
 الفنية لا يعيب القصيدة موضوعها ، وإنما
 يعيبها ذلك من نواح أخرى ، وهذا لا
 مدخل له في النقد ، وإلا لآلغينا كثيرا من
 الشعر العربي ، بل وكثيرا من الشعر في جميع
 اللغات إذا كان الموضوع لا يرضينا .

ولست أوافق المؤلف على أن ابن خفاجة
 ليس له شعر يشف عن وجد بالطبيعة وتعلق
 بها ، وليس في شعره إلا تشبيه متكلف ،
 ففوق أن النقاد يكادون يجمعون على أن ابن
 خفاجة شاعر الطبيعة نجد حياة ابن خفاجة
 كلها وجد بالطبيعة وتعلق بها ، وكذلك شعره ،
 أما التشبيهات فهي نتيجة هذا الوجد فيما
 أعتمد ، وإن كان يبدو في بعضها التكلف ،
 فأى شاعر لم يتكلف ؟ .

(وبعد) فهذه الوقفات القصيرة لا تغض
 من قيمته الكتاب ولا تغير رأينا فيه ؟

على العمارة

بريد المجلة

فئة من جنوب أفريقيا تشير بجامعة
الزهر وترغب المرأة فيها :

السيد وكيل جامعة الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله .

سيدى :

اشتملت صحيفة محمية صادرة هذا الصباح على
مقال يعلن السماح للفتيات بدخول الأزهر ،
فإذا كان هذا النبأ صحيحا ، فإن الله قد
استجاب لدهاء قلب معذب .

إننى إذ أكملت دراستى إلى مستوى الجامعة
اضطرت إلى ترك منزلى طلبا للمعرفة
الإسلامية ، نظراً لأن الفناء فى بلدى - جنوب
إفريقية - جامعات بأبسط مبادئ الإسلام إلى
درجة فاحشة ، وإن كان الرجال لا يفضلونها
فى هذا السبيل . والحق أن الإسلام كان ينتشر
وما يزال ينتشر بدرجة هائلة ، ولكن
لا توجد امرأة واحدة تستطيع أن تطفىء
الظلمة فى قلوب آلاف من رفاقى إلى المعرفة
الدينية . وقد كتبت واستفسرت من مختلف
المعاهد فى أنحاء العالم عما إذا كان هناك
دارا للعلوم ، مخصصة للفتيات ، يمكننى أن

أقصدها لدراسة الإسلام قبل أن أشرع
فى معاونة أخواتي السكثيرات اللاتي افتقدن
العلم الواضح البسيط بالإسلام حتى كدن
يصرن مسلمات بالاسم بحسب .

وما دام نساؤنا على حالهن فى الجهل
بإمكانيات التطبيق العمل للإسلام فى حياتهن
اليومية ، فإن التقدم العالمى للسلمين الذى
سيضطلع به جيل المستقبل ، سيفتقد الصلة
الصحيحة بالدين . أفليست الأمهات هن اللاتي
يؤدين أعظم دور فى تنشئة الأطفال ؟

إن المعهد الوحيد الذى أجبني كان
فى باكستان ، وعند وصولي وجدت مستواه
بسيطا جداً ، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتنقل
طوال ستة شهور ما بين الأروقة والأعمدة ،
أرجو علماء الهند تلقيني القرآن والحديث
على الأقل ، ولكن الجميع أعاروني آذانا صما ،
لأنهم لا يرغبون فى تعليم فئة .

إننى على استعداد لأمّنح حياتي كلها للعمل
على إنهاض الإسلام ، ولكننى أريد أولاً
فرصة لتهيئة نفسى . أعطوني فرصة لأعرف
كلمة الله والنبي . إن علمى بالعربية محدود ،
ولكننى أرغب فى الوصول إلى أى مدى من

العلم ، لأن مقصدي هو تعلم القرآن الذي نزل بهذه اللغة الشريفة .

فإذا كان صحيحاً أن الأزهر سيفتح أبوابه للفتيات ، أرجو أن تصلني بالبريد كل المعلومات . وهل هناك أى منح دراسية يمكن الحصول عليها ؟ لأننى أسأل نظراً لأننى ابنة رجل محدود الدخل نسياً . أما مؤهلاتى الدراسية فقد ذكرت أنى دخلت جامعة عادية . وقد عالجت دراسة لغتين أوروبيتين ، التاريخ ، والجغرافيا ، العلوم (علم الحياة ، علم وظائف الأعضاء ، علم الصحة ، الطبيعيات) حتى مستوى الجامعة . كما أننى أهرف الأردية واللغة الإفريقية ، وبعض الفارسية ، وشيتاً من العربية .

وأدعو الله أن يجعل الأزهر مركز المعرفة الهدية لا للرجال لحسب ، بل للنساء أيضاً ، وليبارك الله من فكروا فى هذه الخطوة الحكيمة .

أرجو أن ترسلوا كل المعلومات فى أقرب فرصة نظراً لأننى فى هذه اللحظة لا أنظم فى معهد مناسب ، وإنما أعلم دروساً خاصة فى العربية بقصد التقدم للكلية الشرقية فى لندن التى عرضت منحة دراسية لسة طلاب .

الخلاصة لكم فى الإسلام

الآنسة ز. آدم

دراسة عن العرب فى أندونيسيا :

وردت إلى المجلة تعقيبات على هذه الدراسة التى كتبها الأستاذ عبد القادر الجفرى . وسنستكتفى بنشر كتبتين من هذه السكتات نرى فيها غناء ، ونرجو أن ينزه كل مسلم لسانه وقلبه عن العصبية البغيضة التى فرقت كلمة المسلمين فى الماضى ، فإن ديننا الخفيف يدعو إلى الوحدة والتواد والمحبة . وليس منا من دعا إلى عصبية .

العرب فى أندونيسيا :

لم أكن أود أن أرد على ما كتبه الأخ عبد القادر عبد الله الجفرى فى مجلة الأزهر الصادرة فى جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ . تحت عنوان « دراسة عن العرب فى إندونيسيا » . ولكن أرانى مضطراً للرد على الجفرى ، تقريراً للحق وللواقع وللتاريخ وتصحيحاً للأخطاء التى ارتكبها الجفرى . فالأمل عملاً بحرية النشر وخدمة للتاريخ ، أن تتكرموا بنشر ما بلى ، ولفضيلتكم منا جزيل الشكر والثناء العاطر .

قال الجفرى : التجار الحضرميون الأوائل الذين نشروا الإسلام فى ملايا وسومطرة وصولاً وجارة وغيرها من أحفاد المهاجر أحمد بن عيسى .

ونقول : إن المؤرخين الإندونيسيين

أحد من الحضارم يعاني الأسفار ويغامر في البحار ، الخ .

ونقول : إن السادة الحضارم هرفوا الأسفار منذ القدم إلى الأقطار القريبة والبعيدة قبل وجود آل باعلوى في حضرموت وبعد وجودهم فيها .

وقال الجفري : ولم يكن أمام هؤلاء بادی ذی بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ما شاء الله من المال ، هنا يتدربون على البيع والشراء ببعض الحاجيات للصغيرة فيدورون في الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ، ويدفع الثمن مقسطاً بأرباح كبيرة ثم تغرم سداجة الأهلين وطيبتهم فيبدأون في السير في طريق المرباة والحيل ، ولقد نبغ منهم الكثير في هذه العمليات فاحتلوا مكاناً من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا في اختراع أساليب الابتزاز .

ونقول للجفري : أما الاستجداء فقد اشتهر بممارسته بعض آل باعلوى سواء في حضرموت أو في غيرها من المهاجر ، وهذا شيء مشهور ومعروف عند السادة الحضارم وعند آل باعلوى أنفسهم ، ولا يختلف فيه اثنان .

وأما السير في طريق المرباة والحيل ، فهذا شيء شاذ ، والشاذ لا حكم له . فإذا كان

متفقون على أن أول من جاء بادی ذی بدء لنشر الإسلام في إندونيسيا هم جماعة من التجار من مسلمي قوجارات ، في الهند ، لامن العرب وأن أول بقعة من بقاع إندونيسيا بدأ يرفرف عليها العلم الإسلامي وينتشر الدين الإسلامي فيها ، هي « فاساني » ، « وثيرلاك » ، في سومطرة الشمالية ، وهذا التاريخ هو المعروف والمعتمد عند الشعب الإندونيسي ، ويدرس في المدارس والجامعات الإندونيسية الحالية في الوقت الراهن .

ثم قال الجفري : والعلويون هؤلاء كان منهم أولياء تجاب دعوتهم وتظهر على أيديهم الخوارق المشهورة وكان الناس يقدسونهم ويتبركون بآثار أقدامهم فيأخذون التراب الذي مسه أقدامهم وينثرونه في منازلهم .

ونقول للجفري : هكذا كان آل باعلوى ينشرون الخرافات والخزعبلات والشرك بالله في المجتمع الإندونيسي . ولا يخافون الله ولا يخشون لومة لائم ، وهكذا بدلا من أن ينشروا مبادئ الدين الإسلامي للصحيح والعقيدة الإسلامية للصحيحة . فتجد الناس يعتقدون في أهل القبور من الأموات والأحياء ، ونعوذ بالله ، ويتوسلون بهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال الجفري : ولم يكن غير (العلويين)

مجلة الأزهر الصادرة في جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ . وذلك : هند ما زار مدينة الصولو بأندونيسيا فضيلة شيخ الأزهر طلب من الأخ عبد القادر الجفري مقالاً عن العرب في أندونيسيا وحالتهم الاجتماعية وما ينقصهم وما يعترض سبلهم في أداء رسالة الإسلام وتعاليمه ، والمفهوم بالبداية أن فضيلة الشيخ كان يؤمل أن يقدم الكاتب دراسة علمية عميقة تعتمد على أصح المصادر التاريخية الثابتة ، إذ يجب أن لا تشوه الحقائق التاريخية ، وتمزج بالميل والعواطف .

إنه لا يهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن يعلم أن في الحضارم علويين وسلفيين وأن فيهم غوغاء ورعاعاً وأميين ، إذ في كل أمة يوجد مثلهم ، ولا يهمه أن يعلم أن المسلمين في أندونيسيا كانوا يقبلون تراب أقدام العلويين ، ولا يهمه أيضاً أن يعلم أن العلويين كانوا في الماضي البعيد دعاة وهداة ومرشدين في أندونيسيا ، وأن غيرهم من المواطنين العرب الذين دخلوا أندونيسيا حديثاً كانوا أشراراً وفسقة . وإنما الذي يهمه أن يعلم المجهود الذي يبذله العرب الآن في أندونيسيا نحو رسالة الإسلام ولغته وكم عدد مدارسهم وما أدته من خدمة للإسلام وما ينقصها أو يعترضها من مشاكل في أداء رسالتها الإسلامية ، ولعل فضيلة الشيخ يشير

نمى شواذ من السادة الحضارم أخذوا يرابون فيما مضى ، وجعلهم الجفري حجة ، ففي إمكاننا أن نقول إن بعض آل باعلوى أنفسهم كانوا يرابون ويحتالون على الأندونيسيين فيما مضى ، ولكن مثلنا قلنا إن الشاذ لا حكم له ، ولا يمكن أن يؤخذ بالأعمال الشاذة وجعلها حجة وبرهاناً .

وقال الجفري : لا شيء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيراً من الحضارم كالوباء الذي يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار . الخ .

ونقول للجفري : أنسيت أم تناسيت ما حدث في أمشية من أعمال سومطرة الشبالية وفونتيانك — أندونيسيا — وغيرها من خيانات ومؤامرات نحو الوطن الأندونيسى؟ ومهما يكن الأمر ، فإننا نرى ذلك من الحوادث الشاذة التي لا حكم لها كما أسلفنا القول . أو ليس الذي مثل هذه الحلقات الخيانية نحو الوطن الأندونيسى هم بعض أفراد من آل باعلوى ؟ .

شوكت البحري

(أستاذ في جامعة شكر وأمينوتو)

الجفري والعرب في أندونيسيا :

اطلعت بطريق المصادفة على مقال نشرته جريدة الطليعة الحضرية الغراء نقلاً عن

إننا نعتقد أن فضيلة شيخ الأزهر لا يريد من الأستاذ الجفرى فى دراساته التاريخية إشاعة مثالب طائفة من العرب المواطنين وإنما يريد أن يعلم الحد الأدنى للجهود العربية نحو رسالة الإسلام فى هذا المهجر بدون قذح ولا تجريح .

إنه من سوء حظ العرب أن الظروف لا زالت تتيح لبعض العناصر مساومات لحل مسؤوليات كبيرة وأمانات لا قدرة لهم بها تلك الأمانات التى أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال ، ومن مصائبنا أيضا أن الأميين وأنصاف المتعلمين الذين تغلب عواطفهم على عقولهم يتقدمون بجرأة لحل المسؤوليات الثقيلة .

تاريخ الإسلام فى أندونيسيا أمر مختلف فيه جدا لقلة المصادر الوثيقة ، فبعض الكتاب يقولون إن الهنود هم الذين نشروا الإسلام ويستشهدون بآثار وتقاليد موجودة إلى الآن فى بعض مناطق أندونيسيا ، وأخيرا جاء للسفير الإيراني الحالى وزعم أن الفرس هم الذين نشروا الإسلام واستشهد بآثار لغوية وتقاليد فارسية لا زالت موجودة فى بعض المناطق الأندونيسية . والحق الذى لا جدال فيه أن الذين نشروا الإسلام هم لفيف من تجار المسلمين الذين جاءوا من الهند والبلاد العربية وفيهم من هرب المغرب

بطرف خفى إلى استعداده لأن يكمل النقص أو يزيل ما يعترضها من عراقيل ، ولكن الأخ الجفرى استغل هذه الفرصة السعيدة لصالح قبيله فقط باستعراضه أساطير وقصصا ملفقة فى صورة تاريخ زيه ليخلق لذويه نخارا من الأوهام ، فإن كان لنا ماض مجيد فهو فى تاريخ الإسلام فقط ومنه نستمد الفخار والعزة والكرامة ، وهذا للجميع لا لفئة دون أخرى .

نحن أمة واحدة يجمعنا تاريخ واحد وإن فضائل هرب الجنوب وعرب الشمال وعرب المغرب وعرب المشرق هى مفخرة للجميع ، كما أن رذائل طائفة منا ينجل لها كل العرب وبهذا نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداهى له كل الجسد بالحنى والسهر .

قال الأستاذ الجفرى : إن التجار الحضرميين الأوائل ، الذين نشروا الإسلام فى ملايا وسومطرة وجاوا هم من أحفاد أحمد بن عيسى المهاجر إلى حضرموت ، وهو الجسد الأعلى للعلويين الحضارم . ثم عطف وقال عن غمى العلويين إنهم أوباش جهال ورواع نفضتهم الصحراء إلى الخضراء فعاثوا فسادا واشتغلوا بربا النفسية ، ونبغوا وامتازوا فى أساليب الابتزاز ، فكانوا كالرباه الذى يحمل معه جرائم الانحلال والانهيار إلى أندونيسيا .

الغدير المسلم وأنهم حاولوا دون التعاون مع أهداف الاستعمار الهولندي باندونيسيا. كل هذه مزاعم تتعارض مع ما نشره السيد اسماعيل العطاس العلوي في كتاب المذهب الذي طبعته ونشرته حكومة الهند الهولندية سابقاً ثم أهدته للحكومة هولندية بمناسبة ذكرى العيد الفضي عام ١٩٣٥ م وقد شرح الكاتب في مقاله فضل العلويين على الاستعمار الهولندي وتعاونهم معه اه

لقد أساء الأستاذ الجفري إلى الأمانة التي أسندها إليه فضيلة شيخ الأزهر ثم أساء إلى عامة الشعب العربي .

ومن أود أن يفصل نفسه عن المجد العربي والعلم ليحاول أن يبني له نوعاً جديداً من المجد الخاص لطائفة خاصة فقد باء بالهوان . يجب على كل عربي أن يسعى جهده في بناء مجد العرب كلهم بل المسلمين عامة على طريقة السلف الصالح . المجد المبني على العمل والكفاح واقتحام المشقات لا الخلود إلى الكسل والراحة والانسكال على الأوهام والخرافات . فكل عربي يسعى لمجد العرب كلهم ويدعوهم إلى الوحدة والإخاء بدون احتكار الفضل له أو لزمريه يحمله العرب على الاكتاف وفوق الرموس ويضعونه في سويداء قلوبهم على حد قول الرسول « خادم للقوم سيدهم » - وما هو ذا جمال عبد الناصر

وعرب الجنوب ثم الهندووالفرس وكل ترك له أثراً في مجتمع الإسلام باندونيسيا وملايا وفلبين . أما قول الأخ الجفري إن الحضارم المغتربين ينقسمون إلى قسمين قسم منهم يمثل صورة المسلم الداعي والعربي المجاهد والتاجر النزيه والناشر لتعاليم الإسلام ولغة القرآن والباعث لروح الوطنية ومقاومة الاستعمار في نفوس الأندونيسيين وهم أحفاد المهاجر إلى حضرموت أحمد ابن عيسى فذلك طمس لمعالم التاريخ وقلب للحقائق .

ونحن نمسك القلم عن الاسترسال مع رجائنا من الكتاب العرب أن يتجنبوا المفاخرات أو تخصيص طائفة من المواطنين بمحاسن والخط من قدر طائفة أخرى إذ لكل حسنات وسيئات فإن كان هناك مفخرة فهي مفخرة القومية العربية الشاملة لأن رفعتنا وسقوطنا واحد . وهامى ذى البطولة الخالدة التي أظهرها عرب الجزائر في نضالهم الوطني المجيد يفخر به كل عربي لأنه قسم في هذا المجد ومثل ذلك بطولة عرب عمان الأشاوس في نضالهم ضد الاستعمار هو أيضاً نخر لنا جميعاً كما أن مثاب طائفة منا هي عيب للجميع لأننا كالجسد الواحد . ولعل الأخ الجفري ظلم التاريخ عندما قال إن عشيرته كانت مصدر روح المقاومة لحكم الاجنبي

الله بنصرهم صار الآن متعلقا بالحرب لاحالة :
غير أن فريقا من المؤمنين يكرهون التمثل بها
قبل أن يتم استعدادهم لها في مواجهة عدو
مستعد يكثرتهم عدداً ويتربص بهم الدائرة .
ونظرة عابرة في صفحة - ٨٠٠ ، ٨٠١ -
من عدد رجب تهدي إلى ذلك كله في غير
تسكف ، ولا عناء ..

ولكن بعض الإخوان فاتهم العلم بالوجه
الأول ، وفاتهم أن يتمهلوا في قراءة
ما كتبت ، فاضطرب عليهم المقصد ، وتجاوزا
ما أوضحت ، وزعموني بترت الآية عن السياق ،
ونسوا أن السياق ليس مانعا في اصطلاح
العلماء من قول آخر - كما أسلفت عنهم -
ولنما هو مرجح فقط .

ولو أن الإخوان الذين زعموا مقالى بعيدا
عن الآية تريشوا حتى يسألوا لأراحوا
واستراحوا ... والله يهدينا إلى الحق ،
ويزيدنا من أدب العلم .

عبد اللطيف السبكي
عضو هيئة كبار العلماء

ود على الرد :

أرجو أن يتذكر فضيلة الأستاذ الجليل
الفرق بين الاستئناف البياني والقطع
أو الاستئناف النحوى ، ولو استحضرت
في ذهنه الفرق بينهما ما خطر بباله احتمال
أن يكون الجدال من الكيفار ، بعد قول الله

خادم القومية العربية والساعى لإعلاء كلمتها
وتوحيدها وإحلالها مركزا مرموقا في العلم
والصناعة ولذلك ترى أفئدة العرب في كل
أقطارهم تهوى إليه وتلتف حوله لأنه خادم
العرب كلهم لا طائفة خاصة .

عمر سليمان ناجي
جاكارتا . أندونيسيا

رد على نقد :

« مجادلونك في الحق بعد ما تبين »
كتبت في عدد رجب من مجلة الأزهري -
عن الآية المذكورة ، وأوضحت فيها وجهين
من العلماء ، أحدهما أن الآية في شأن
الكافرين الذين كان دأبهم أن ينكروا الحق
الذى جاء به محمد - عليه الصلاة والسلام -
بصفة عامة ، دون تخصيص لإنكارهم بشيء .
معين ، بل التخصيص يكون خطأ في الفهم .
والآية على هذا الوجه مستأنفة عن السياق ،
ولا علاقة لها بما قبلها في شأن المؤمنين ،
وهو وجه منصوص ، وقد حكيت عن
المفسرين السابقين .

ثماني الوجهين - وهو المشهور الذي بنيت
عليه حديثي - أن الآية في شأن المؤمنين ،
تمشيا مع ظاهر السياق ، وأن الحق الذي
كان فيه الجدل هو الحرب مع قريش في غزوة
بدر الكبرى ، بعد أن أفلتت العير مع
حراسها ، وأصبحوا أضحا للمؤمنين ، أن وعد

والمعروف أن المسئلة بعد أن تحجج تبدأ مرحلة جديدة في مظهرها ومبطنها ؟ .

وأجابت السيدة الناظرة ، بأن الأعمال بالنيات ، وأنها لو قرأت قصة عبد الله بن السلطان لا يقنت ذلك . .

وسمعت بنفسى إلى إحدى مكشبات ميدان الأزهر لأشترى « المجموعة المباركة » وكدت ألجح حين علمت أن هذه المجموعة يطبع منها مئات الألوف لترسل إلى السودان والمغرب العربي ودول أفريقيا الإسلامية .

أما المجموعة المباركة فتحتوى على أدعية مأثورة وغير مأثورة ، ثم على قصة المدعو « عبد الله بن السلطان » وقصته كما روتها المجموعة : أنه كان معاصراً لرسول الله - صلوات الله عليه - وكان يرتكب شتى الموبقات ويتمرد على الفرائض الدينية بأسرها ، وعند ما مات ولم يقبل على تشييع جنازته أحد ، أوحى الله إلى رسوله بالصلاة عليه وتشيع جنازته وانزول في لحده ، وحينما سئل الرسول لم كان يمشى على أطراف أصابعه ولم ابتسم وهو خارج من لحد الرجل ؟ أجاب : بأنه تزاحم الملائكة في التشييع وتنافس الحور في استقبال هذا الميت . .

وقصد الرسول إلى منزل الرجل ، وعلم من زوجه أن زوجها كان عريساً فاسقاً حتى بلغ به الفجور إلى شرب

« وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، ولو تفضل فضيلته فذكر أسماء المفسرين الذين اعتمد عليهم في الوجه الأول لكان لنا معه كلام آخر ، ونكتفى بهذا القدر الذى لا يضيق به صدرى .
عبد الرحيم فوده

منى محمد إمامة هذه الكتب ؟

منذ سنوات طلبت منى سيدة مسئلة متدينة ، تقدمت بها السن ، وعلى جانب من الثراء أن أعانها في عمل رآته خيراً - بل كل الخير - للمسلمين ، كانت تود أن تطبع بضعة آلاف من كتيب صغير ، أطلق عليه « المجموعة المباركة » وحاولت أن أقنعها - وعيناً حاولت - بأن فى مثل نشر هذه الكتب الضالة المضلة تشويهاً للإسلام نفسه وإساءة إلى معانيه ، وتركبتها تبحث عن يشترك معها فى جهلها .

وقبيل شهر رجب الماضى طلبت منى منى تمت إلى بأوثق الصلات أن أحضر لها كتيباً دينياً مشهوراً فيه قصة عبد الله بن السلطان واستغفاره الذى يقرأ فى شهر رجب ، وذكرت لى أنها سألت السيدة ناظرة المدرسة التى تعمل فيها - وقد حججت قريباً إلى بيت الله - لم لم يظهر أثر للتدين على حياتها ،

العدر لسيدة على جانب من الثقافة ، ويوكل إليها الإشراف على توجيه المئات من النشء . وهي تثق في مثل هذه الحرافات الضالة المضلة التي لا شك في أن صانعها ليس إلا واحداً من اثنين : يهودى يود هدم الإسلام في نفوس المسلمين ، أو زنديق متجمل يود أن يشاركه المسلمون في انحلاله وتحلله .

ويحتمل أن يكون هناك ثالث ، ولكن هذا الثالث لا بد أن يكون من مدمنى المخدرات ، سولت له المخدرات أن يبتكر هذه الحالات أو هذه الرزايا .

ليست المجموعة المباركة وحدها ، ولكن عشرات بل مئات من أمثالها ، تطبع على بضعة خطوات من الأزهر المعمور ، لتنافس الثقافات الإسلامية التي يوردها إلى العالم الإسلامى لتغذى عقول شعوبه .

نحن لا نستطيع أن نلقى المسئولية إلا على الأزهر الشريف ، وأعتقد أن المهمة يسيرة إن حاول أن يؤدى رسالة نحو الثقافة الإسلامية ، هى بمثابة أمانة فى عنقه ، يسأل عنها أمام الله والتاريخ .

لو أن الأزهر الشريف كلف لجنة تفحص هذه الكتب التي تبلغ الأطنان في مكتبات حتى الأزهر ، وقرر استبعاد المخل منها بقيم الإسلام والمقوض لأسسه ، لم يجد من السلطة التنفيذية إلا كل ترحاب .

الخبر في نهار رمضان وما إلى ذلك ، إلا أنه كان إذا أقبل شهر رجب قرأ استغفاراً ؛ ومن كثرة قراءته حفظته منه ، فأمر رسول الله علياً بتسجيل هذا الاستغفار ، ثم عقب بقوله :

« من قرأ هذا الاستغفار وجعله في بيته أو في متاعه جعل الله له ثواب ألف صديق ، وثواب ثمانين ألف ملك ، وثمانين ألف شهيد ، وثمانين ألف حجة ، وثمانين ألف مسجد ، وثمانين ألف من أعتق رقبة من النار ، وثواب سبع سموات وسبع أراضين ، وثمانية أبواب الجنة والعرش والكرسى واللوح المحفوظ والقلم ، وثواب نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... » .

ومن قرأ هذا الاستغفار في جميع عمره مرة واحدة ، غفر الله له ولوالديه ولو كانوا من أهل النار ، ومن قرأه بنى الله له ثمانين ألف قصر في كل قصر ثمانون ألف حجرة ، في كل حجرة ثمانون ألف سرير ، على كل سرير ثمانون ألف حورية من الحور العين . إلى أن قال المؤلف المدعو عبيد محمد بابا ، ومن شك فيه فقد كفر والعياذ بالله .

وبعد — فقد يكون من الممكن أن نلتبس هذا السيدة تركية متدينة وعلى جانب من الجهل ، هى تلك التي رأت من الخير للمسلمين أن توزع عليهم « المجموعة المباركة » ، وهى تؤمن بكل ما جاء فيها إيماناً راسخاً . ولكن كيف نلتبس

تنوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير لما قدمتموه من جهود طيبة ومعاونة صادقة في الحملة الإعلامية التي قامت بها وزارة الداخلية لتبشير المواطنين بالاضرار التي تنتج عن تعاطي المخدرات والاتجار فيها ، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في إنجاح هذه الخطوة ونشر الوعي ضد هذه السموم .

وإنا نتضرع إلى الله أن يوفقنا جميعا إلى العمل لما فيه خير البلاد وحماية مجتمعا الاشتراكي من شرور أعداء الشعب ، والنهوض بجمهوريةنا العزيزة في ظل رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
مدير الشؤون العامة

وزارة الحرية تشكر أعضا :

السيد الأستاذ صاحب الفضيلة مدير قسم الوعظ والإرشاد بالجامع الأزهر الشريف . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فقد تسلمنا بمزيد الشكر كتابكم المؤرخ في ٩/١٢/١٩٦١ ومعه مجموعة من المواظظ الخاصة بمحاربة المخدرات من عمل قسم الوعظ والإرشاد بالجامع الأزهر الشريف - ونظرا لأهمية هذه المجموعة من حيث التدايل على خطر المخدرات وتحريمها شرعا وواجب القضاء عليها ، فقد رؤى طبعها ونشرها للإفادة منها على أوسع نطاق .

إن المثقفين في أفريقيا تصل إلى أيديهم مثل هذه الكتب ، ثم يلفظونها وهم يدعونها بسخريتهم ، أو يحرقونها ليسكني المسلمون شرها ، وقد كتب إلى أحدهم ، أنه كان يوفر من قول بيته يشتري منها ويحرق ما يستطيع شراؤه ، وهو يعتبر هذا بمثابة قربى إلى الله ، ولكنه توقف عندهما وجد أن أضعاف دخله لا تصمد أمام هذا السيل الجارف من هذه المخزيات .

هؤلاء المثقفون لا يعلقون على مثل هذه الكتب حين تصل إلى بلادهم لتسهم بقسط وافر في نشر الجهل ، وهدم كيان الإسلام ، إلا بعبارة واحدة هي :

أيها الأزهر :

ونحن لا نملك إلا أن نرددهم معهم أيضا : أين الأزهر من هذه الكتب التي تتنافس في هدم ما بناه وما يبنيه وما سيبنيه في المستقبل

محمد عبد الله السمان

وزارة الداخلية تشكر الأزهر على

محاربة المخدرات :

السيد مدير مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر .
بعد التحية : تهدي للشؤون العامة بوزارة الداخلية لسيادتكم أطيب تمنياتها ، ويسرنا أن

الأزهر والجامعات المصرية في أحياء التراث
الخالد للعلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي
قال فيه المؤرخ البريطاني الفيلسوف (تويني):
(إن عبد الرحمن بن خلدون قد خلف أعظم
عمل فكري أبدعه لإنسان في أي زمان وأي
مكان في تاريخ البشرية) .

وقد اجتمع هؤلاء العلماء في يوم الثلاثاء
الخامس والعشرين من ديسمبر ، بالمركز
القومي للبحوث الاجتماعية ، ورأس حفلة
الافتتاح السيد حسين الشافعي نيابة عن
الرئيس جمال عبد الناصر ، فألقى كلمة جاء
فيها : إن الشعوب وهي تعيش مراحل عمرها
تجتاز أطوار الشباب واليقظة وتحتاج في
الفترة الحاسمة إلى كل قواها المادية والمعنوية
والروحية ، وليس لإجسدي علينا في هذا
الوقت ونحن نقف على أبواب هذه المرحلة
من أن نتطلع في هزم وثقة إلى أجدادنا وعلمائنا
العرب لترجم أحلامهم ونحقق آمالهم
ونتخذ منهم علامات الطريق إلى مستقبل
مشرق .

في الطليعة من هؤلاء الأفاضل عالمنا
الأحمد عبد الرحمن بن خلدون . ثم أراح الستار
عن تمثال لهذا العالم .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع
الأزهر كلمة تجدها في افتتاحية هذا العدد .

وبما أن مشكلة المخدرات قد أضحّت خطراً
هاماً ، يهدد الناس في صحتهم ومالهم وحياتهم
ويهدم كيان الأسر ويقضى على الأخلاق ،
ويهدد الكرامات ، ويصيب اقتصاديات البلاد
بأكبر الخسائر ، وقد تفشت هذه السموم
تفشيًا ذريعاً فلم تجدد فيها إجراءات المكافأة
الإيجابية الجارية بوسائل الضبط والقمع
والعقاب ، لذلك اجتمع الرأي على وجوب
مكافئتها بوسائل الدعاية بالنشر والإعلان
والسينما والإذاعة بالراديو والتليفزيون
والخطب المنبرية بالمساجد ودور العبادة
والمحاضرات في دور العلم ، وذلك لإيقاظ
الوعي وتنوير الأذهان وتبصير الناس بمضارها
وتحذيرهم من عواقبها ، ويجري الآن تنظيم
حملة دعائية واسعة لهذه الغاية تشترك فيها
الجهات الرسمية وجميع الهيئات والعناصر
كل بطريقة الخاصة .

وليس أقدر على اقتحام حلبة الكفاح من
رجال الوعظ والإرشاد ، بل ليس أقرب إلى
قلوب الناس وأعذب لأسماعهم وأنفذ إلى
أذهانهم من كلمات رجال الدين الصادرة من أعلى
المنابر في بيوت الله .

مهرجانه ابن خلدون

دعت الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين
عالمًا من جامعات العالم ليشاركوا علماء الجامع

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

فطرة الله لا تقبل

كما خلق الله تعالى العين قابلة للرؤية والأذن قابلة للسمع ، كذلك خلق العقل قابلاً للمعرفة مدركاً لحقائق الأشياء ، وكما يقع العلم بالمبصرات والمسموعات عند فتح الأبصار وعند الاستماع والإصغاء ، كذلك يقع العلم بالمعقولات عند استعمال العقل وتوجيهه .

وكما لا يمكن إزالة العين عن الرؤية أو الأذن عن السمع إلا لعارض يعرض لها وآفة تطرأ عليها . كذلك لا يمكن إزالة العقل عن معرفة الحقائق والتمييز بين الأشياء واضدادها إلا إذا اعترضته العوارض كإضلال الأبوين وإغواء الشياطين ، خيئتُ محتمل نظره ويفسد مزاجه ، وينقلب علمه جهلاً ، ورشده غياً . هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وأشار لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخرج به الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون بها من جدعاء . »

يعنى أنه كما تلد البهيمة ولدها كاملاً سليم الأطراف : فلو ترك على ذلك لكان بريئاً من العيب . . . لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً تخرج على الأصل . فكذلك العقل يخلق سليماً . مستعداً للمعرفة وإدراك الحقائق على ما هي عليه مالم يطرأ عليه عارض يفسده وهذا الحديث الشريف الذي نعدده من المعجزات النبوية ، لأنه كشف عن الحقيقة الإنسانية وأخبر عن واقعها ، وقال كلمة الفصل فيها . هو بيان وتأويل لقوله عز وجل دفأتم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، وقوله تبارك وتعالى وانا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، أى أن الإنسان هو الذى صلح بفطرته الخاصة لحمل أمانة الله تعالى ، وهى المعرفة والتوحيد : فكل إنسان مستعد لحمل هذه الأمانة ومطابق لها فى الأصل ، وإنما تثبطه عن معرفتها والنهوض بأعبائها الآفات التى تطرأ عليه .

واختلف العلماء فى قوله تعالى : لا تبديل لخلق الله ، فقليل معناه لا ينبغى ولا يستقيم أن يبدل الناس هذه الفطرة فيخلوا بموجها

وما ضر الورود وما عليها
إذا المزكوم لم يطعم شسداها
(شوق)

... لو أنى أبو عنترتها

في أيام صباى قرأت قصيدة للشيخ يوسف
النهاني امتدح بها السيد أبا الهدى الصيادي
في أيام السلطان عبد الحميد جاء فيها هذه الأبيات:

ويممت دار الملك أحسب أنها
إلى اليوم لم تبحر إلى المجد سلما
فألفيتها قد أقفرت من كرامها
ولم يبق فيها للفضل إلا توها
وألغيت مثل أمة عربية
يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما نعموا منا بفى العرب خلة

سوى أن خير الخلق لم يك أعجبا
فاستحسننت هذه الأبيات، وطفقت أنشدتها
في مجالس بيروت معزوة بالصراحة إلى ناظمها
الشيخ يوسف للنهاني الذى هو من أشعر
شعراء العصر، وكانت القصيدة مطبوعة
منشورة، وكانت معلقة في دار أبى الهدى
بالاستانة، فاتفق بعد ذلك بقليل أن وقعت
مناقشة تعرض فيها (سليم سرركيس) لى وحمل
علىّ، وأخذ بالتشنيع فى حقى، ومن جملة
ما لجأ إليه لإلحاق الضرر بى أنه أخذ ينشر
هذه الأبيات فى جريدة كان يصدرها بمصر،

ولا يرتبوا عليها مقتضاها، باتباعهم الهوى
وقبولهم وسوسة الشياطين، وقيل المعنى
لا يقدر أحد على أن يغير خلق الله وفطرته
التي فطر الناس عليها وهي استعدادهم لقبول
الحق وتمسكهم من معرفته، ويجعل لهم فطرة
أخرى مكانها غير مستعدة لذلك ولا قابلة له.
وهذا هو الذى ذهب إليه الراغب. واختاره
ابن القيم، وبه نقول: فإن تعذر إدراك
الحقائق العقلية أو العلوم النبوية على بعض
الناس لوجود موانع خاصة بهم لا ينافي
وجود الاستعداد الذاتى لغيرهم، ولهم أيضا
إذا زالت عنهم الموانع المذكورة، كما أن
عدم رؤية بعض العيون للشمس وهي طالعة
ليس دونها سحاب لآفة تصليها أو حاجز
يحجبها لا ينافي أنها بحسب الأصل قادرة على
الرؤية متمكنة منها، وأن أصحاب العيون
السليمة يرونها ولا يعترهم فى ذلك لبس
ولا يداخلهم شك.

من كتاب (الإنسان والإسلام)

لفضيلة الشيخ محمد العاشر الحامدى

تبريل :

قد تشكر العين ضوء الشمس من رمد

ويشكر الغم طعم الماء من سقم
(البوصيرى)

ومن يك ذا قم مر مريض
يحده مرا به الماء الزلالا
(المتنبى)

أبو عذرتها أى أول من افتضاها والمراد هنا أول من قال هذه الآيات .

الوصمة العربية

والخلافة العثمانية

حينما كانت الدولة العثمانية إلى أوائل هذا القرن وإلى قيام الحرب العالمية الأولى تسيطر على البلاد العربية كانت هذه البلاد تعيش في تقارب تام ، وكانت الدولة العثمانية في الاستانة تعد حامية قوية مرهوبة الجانب ، وعلى الرغم من أن حكمها كان فاسدا مختلا ، وخاصة في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وعلى الرغم من أنها أخذت تتدهور وتضعف بسبب الرشوة وسوء الإدارة والقتال على السلطان ، إلا أن العرب لم يفكروا في الانفصال عنها ، ولكن فكروا في الشكوى من التصرفات السيئة ، فقد لاحظوا أن العرب لا ينالون حظهم في الوظائف والتعليم والحياة الحرة .. كان الحكم الأتراك يعاملونهم كأنهم جنس أدنى . ولا يعنون بشؤونهم ، بل يقدمون عليهم الأتراك في كل مجال ، بحيث أحسوا فعلا أنهم يخضعون لحكم استعماري وليس للخلافة بمفهومها التقليدي (الديني) ولابد من تقرير حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها . وهي أن الدولة العثمانية لم تعيش الفترة الطويلة التي عاشتها

ويضعها تحت اسم الجريده ، ويضع تحتها اسم « الأمير شكيب أرسلان » ليوم أنها من نظمي . مع أنه كان يعرف جيدا أن هذه الآيات ليست لى ، ولكنه كان يقصد إيقاعى في غضب الدولة .

وبقى « سليم سرركيس » نحو سنة يصدر جريدته بهذه الآيات مذيلة باسمى ، ولم يصبنى بسببها أدنى ضرر ، ولا أصاب الناظم الحقيقي ، بل كان يشغل منصبا عاليا في العدالة ببيروت ، ولم تكن الدولة تلتفت إلى أمور كهذه ، على أنى إظهارا للحقيقة كانت نشرت واقعة الحال ، وأوضحت أن هذه الآيات هي للشيخ النبهاني من قصيدة مشهورة ، مطبوعة منشورة معلقة في منزل الممدوح أبي الهدى في دار السعادة . ولكن تكرار نشر « سرركيس » لهذه الآيات بامضاتى . وعدم اطلاع الكشهرين على ذلك البيان الذى نشرته خيلا لهم أن هذه الآيات هي فعلا منى نظمي ، وطالما صادقت أناسا كانوا يمتنونى عليها ويترنمون بها ، وكنت أقول لهم . وددت لو أنى أبو عذرتها ، ولكن الحق أحق بأن يقال . وهو أن أباه هو الشيخ يوسف النبهاني .

الأمير شكيب أرسلان

من مقدمة كتاب النقد التحليل لسكتاب
« في الأدب الجاهلى » ،

إيضاح :

(العذرة بوزن العسرة البكارة ، يقال هو

الاعتصام بالدين :

كانت الحرب بين الأوس ، والخزرج في المدينة مستمرة مستمرة ، لا تنطفيء ناراها حتى تعود إلى استعارها ، فتأكل من أبناء هؤلاء وهؤلاء . ما يؤرث الأحقاد ، ويضرم نار العداوة والبغضاء بين هاتين القبيلتين ، وهما من أخوين تجمعهما لحمه النسب ! وكان لليهود على مقربة منهما . يحدون الدفء والضوء والأمن والمنفعة في النار التي تأكلهما ، فينفخون فيها ، ويمدونها بالدسائس التي تزيدها اشتعالا ، ثم شرح الله نفوس الأخوة بالإسلام ، فاستحالت النار الضارية نورا في الصدور ، يتألق بهمان البر والخير والأخاء .

ومر يهودي كبير على نفر منهم فغاظه أن يحدّم على ما رأى من ألفة تامة وشمل جميع ، وساوره الخوف على مصير قومه فقال هذه الكلمة التي يردد معناها باللغة العبرية بن غوريون : ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار: ثم أمر شابا من اليهود أن يجلس معهم ويذكرهم بما كان بينهم من فتن وعن يوم دبعث ، وهو يوم انتصرت فيه الأوس على الخزرج ، فاندس الشاب فيهم ، وذكر بعض ما قيل من الأشعار في هذا اليوم . حتى هاج النائرة ، وأثار النائرة ، وأيقظ الفتنة . فعادوا إلى حمية الجاهلية يتذاكرون التارويثقاذفون الفخر

مسيطرة على البلاد العربية بقوة السلاح ، ولسكنها عاشت بالسحر الروحي للخلافة . ونظر الشعوب العربية إلى هذه الخلافة على أنها مسئولة عن مصالح الشعب ، وأن الخضوع لآلها والدفاع عنها واجب ديني ، ومن هنا أعفيت الدولة العثمانية وحكامها في الأستانة عما كان لابد منه للاحتفاظ بسلطانهم وهو القوة العسكرية .

كانت الوحدة العربية إذن تحت ظلي الخلافة العثمانية قائمة ، ليست قائمة ، قائمة بمفهوم ديني صافي الدولة للعثمانية من التفكك ، وغير قائمة بسبب الإدارة السيئة التي بذت الضغينة والحقد في قلوب العرب والأتراك وأوسعت الهوة بينهما ، وسرعان ما أخذ العرب يتجمعون دفعا عن كياناتهم في داخل دولة الخلافة ، وتآلفت جماعات ، وأقيمت ندوات ، وأخذ العرب في كل مكان تظله خلافة الأستانة يتساءلون عما يعملون . . ؟ كان الظلم الواقع بينهم وسيلة لجمع صفوفهم ، ولم يكن الظلم فقط بل كان التاريخ القديم الذي جمعهم أبدا في موقع جغرافي واحد متكامل وفي أطوار من الصراع والهزيمة والنصر متقاربة بل متحدة .

من جريدة الأخبار

للأستاذ محمد زكي عبد القادر

الشعب ، ولكنه ينظر في أعذارهم فيقبلها أو يغضى عنها حينما يتوقف صلاح الولاية على ذلك .

قدم إلى الشام راكبا على حمار فلتقاه معاوية بن أبي سفيان في موكب عظيم ، فلما رآه معاوية نزل وسلم عليه بالخلافة فغضى في سبيله ولم يرد سلامه . فقال عبد الرحمن ابن عوف : أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فلو كلمته . . ؟

فالتفت إذ ذاك إلى معاوية وسأله : إنك لصاحب الموكب الذى أرى . . ؟

قال : نعم . قال : مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك . . ؟

قال : نعم . قال : ويحك . . ؟

قال : لأننا ببلاذ كثير فيها جواسيس العدو . فإن لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا . وهم علينا ، وأما الحجاب فإننا نخاف من البذلة جرأة الرعية . وأنا بعد عاملك ، فإن استنقصتني نقصت ، وإن استزددتني زدت ، وإن استوقفتني وقفت .

فقال عمر : ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه ، إن كنت صادقا فإنه رأى لبيب وإن كنت كاذبا فإنه خدعه أريب ، لا أسرك ولا أنهك .

محمود على الشرقاوى

من كتاب الديمقراطية عند العرب

حتى عصفت النخوة بعقولهم فتداعوا إلى السلاح وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين والأنصار . وقال : أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألف بينكم . . ؟ وما كاد صلى الله عليه وسلم ينهى من هذا الحديث الأسف للعائب للغاضب . حتى عرفوا أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح وبكوا . وعانق بعضهم بعضا . ثم نزل في ذلك قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكسفون وأنتم قتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أهداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . .

من مجلة لواء الإسلام

عبد الرحيم فودة

لا أسرك ولا أنهك

وكان عمر بن الخطاب يحظر على الولاية مظاهر الخيلاء والابهة التى تبعد بينهم وبين

has been decided to establish an Academy for the islamic Researches. This Academy will gather members from all the Muslim countries to discuss-internationally-the islamic researches and to revive the fourth source of the islamic law which is "Igmāa" "The opinion of the wise people" and this also will help Muslims to protect their faith and to spread the pure Islam among all people.

Surely, the new law of Al-Azhar university had put the plan to graduate the learned man who will have an experience and efficiency to preach Islam and to make his best to extend the islamic area and increase its

followers. But the law only had no ability to create good preacher, it is verily in need of jealous Azharites who love their religion, their language and their university. Also, the law is not able to undertake the responsibility of preaching the Message of Islam, but it is in need of faithful preachers and hard working people.

Many years ago, the reformers called for the reorganisation of Al-Azhar university, the Azharites themselves revolted for the same purpose. Now, Al-Azhar is taking its way towards the reformation which is a deposit in every Muslim's heart Verily, God will choose for His special Mercy whom He wills — For God is Lord of grace abounding.

Qur'an memorizing schools into consideration, and this of course will enable those schools to supply the Islamic institutes with the students who will be the memorizers of the Qur'an. Also, it would be impossible to satisfy the needs of the society, if the new law let the old system of education to be carried out. But, in fact, it put the new plan of education in the religious institutes with the aim to give the students of Al-Azhar equal opportunities with their mates of the other schools. Hence, the student of Al-Azhar will get the general preparatory certificate or the technical one beyond his religious studies and the other subjects and languages. He also will get the general certificate — literary or scientific — or the technical general certificate, whether it is an agricultural, industrial or commercial one, beside his studies of the religious subjects and the arabic language.

Getting the general certificate, the student of Al-Azhar has the right to continue his high studies at Al-Azhar faculties, the military college or the faculties of the other universities according to his will, and also he has the right to try the practical life fields to earn his living. The new law also does not neglect the faculties of Al-Azhar to continue their old program which led the students to be far away from

their societies, but it makes it a point to graduate the religious people who are physicians, philosophers, professors of history, mathematics and professional men who are ready to devote their life for their religion and at the same time take part in the work to gain their living.

According to this new law, Al-Azhar includes : Faculty of the arabic studies which maintains the language of the Qur'an and the Traditions of the Prophet, Faculty of the Islamic law which aims at spreading the Islamic culture everywhere and teaches the students how to understand the meaning of the glorious Qur'an and Hadith, Faculty of Theology which teaches the students Monotheism and the Islamic philosophy, Faculty of Islamic studies for girls which will be inaugurated next year, Faculty of dealing and Administration which was inaugurated the recent year. Beside the faculties of medicine, Agriculture, and Engineering and Industry.

Indeed, the new law of Al-Azhar university is the foundation and the plan which will lead Al-Azhar in its new era to have the active graduates who can react easily with their environment and with the other Muslim countries. Moreover, the new law considered Al-Azhar as an international university which leads Muslims to their happiness. Hence, it

end of his studies no job because the state did not give him his right and the society in which he lived never admitted him.

As a matter of fact, people nearly do not know the religion except through the personality of its representative who is mostly a religious man. But if this only is his profession and position in the society in which he lives, people may be of doubtful hearts or unsure belief. Also, if Al-Azhar lasted in carrying out its old system, surely Muslims will change their minds towards it. Indeed, the position of our nation—as a leader of all Muslim countries—is not emanated from our progress or because what the life was imposed upon us, but it was a result of the wide fame of Al-Azhar which had a place in every Muslim's heart all over the world. Therefore, we must do our utmost to maintain our position among the Muslim nations. This of course, will lead us to fulfill the needs of the Muslim society in our present time, whether they are political or, social needs and try to satisfy them. Because many Muslim nations got rid of the imperialists and led their way to a better life, we should put a new plan for the education—especially in Al-Azhar—to satisfy all the needs of the Muslim world.

As a result of what we have

mentioned, and as a response for the needs of all Muslims everywhere. The new law includes a solution for every problem, it prepares an experience for every field, it brings up preachers and guides to show humanity the straight way of its life, leads it to the goodness and instill in the people's hearts the spirit of Islam and the instructions of the Qur'an. So, the authority of the united Arab Republic issued the new law re-organising Al-Azhar university to promote it and to last—as it was before—the greatest Islamic university and the oldest one in both East and west. By promulgating the new law, the U. A. R. government is aiming at making Al-Azhar—as it was one thousand year ago—the stronghold of the religion and Arabism.

It wants Islam to be revived, ulamas (learned men) to be of a strong faith, living for the sake of their religion and not by means of it, remove the hindrances which stand in the way of the graduates of Al-Azhar to be equal to their fellows of the other universities.

As a matter of fact, the new law cannot realize our aim or satisfies our desire without a radical change. So, it started the way of the reformation of Al-Azhar from its outset. For example: The law put the controlling and the finance of the

of education, its sylepus and its program. All were qaoled from their similars in the European countries. As a matter of fact, the following of ihis system led us to be far away from the life which we should live. It cut the links which joined the education to its locality, its herita-ge, its history and its religion. But naturally, it was very obvious that Al-Azhar neglected this renaissance, as it lived away of the progressive society. This was because the new thoughts were against its nature and its characteristics.

After the first world war, there was an educational revival. The educational men tried their utmost to modify the learning system, but their modification was useless and they only confused and disconce-rted the educational system instead of amending and improving it, for example : The teaching of the arabic language and the religious sciences — though our schools took care of them — did not satisfy those who wish good and progress for the Isla-mic religion and the arabic language. This was because the policy of education was built upon the foreign fundamintals which are far away from our environment, our heritage, our faith and also our history. As a result of that, we committed two mistakes. The first one was while we translated the foreign educational

system — optionally or obligatory — which led us to be far away from the life that should be led by us.

The second was while we adju-usted partly the educational system be that it was carelessly or imitat-ingly. But at that time, Al-Azhar was far away from these new thou-ghts which were translated to the arabic language.

Also the inactive attitude of Al-Azhar towards this new educational system, and the progress and the evolution of the other educational organisation, caused its graduates much troubles. Consequently, the graduates of Al-Azhar considered as only men of religion. As a result of that, they used the religion as a professoion with which they can earn their living. Moreover, they lived in a complete loneliness, far away from their society, because their culture could not meet the requirements of the renaissance era especially in both fields of work and production.

Also, the unemployment problem increased their feeling of loneliness and annoyance because the graduates of Al-Azhar mostly suffer from it. On the other hand, they conceived that the former state of Al-Azhar was nearly to undermine the common belief about its graduates qualificat-ions, as it would be known that the man of religion will have at the

THE MESSAGE OF AL-AZHAR AFTER ITS REORGANISATION

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Since one thousand years of the Islamic history up to now, Al-Azhar is confidently performing its duty towards the message of Islam. Indeed, Al-Azhar is the spirit of both the Arab and the Muslim life, it is also a positive factor in their progress and development. As a matter of fact, the university of Al-Azhar is the best institute which teaches the religious education. Hence, it is the minaret of Theology since a long time, as it is the protector and the guardian of both Islam and Arabism. Students from all over the different nations of the world, left their countries and came to Al-Azhar to receive the arabic and the Islamic studies and this of course, will lead to enlarge the arabic speakers areas and also enables people to understand the holy Qur'an beside the other Islamic teachings.

During this long period, Al-Azhar gained many characteristics distinguished it from the other educational organisations, especially in

the fields of Faith, language, guidance and the leadership. Hence, the name of Al-Azhar brightened all over the world and consequently, thousands of students from all the nations left their homelands and came to Al-Azhar to increase their knowledges about Islam, and then they will be able to guide their people when they return back to them. So, since more than fifty years up to now, Al-Azhar is the educational organisation which occupies the highest place of the human heritage. As a matter of fact, the graduates of Al-Azhar are the leaders of the society as they are the guiders who show people the proper way of life.

But when the age of the revival began at the commencement of the recent century, the people were very eager to imitate the foreigner's acts, because they were deceived by their writings. Hence, they started to translate every thing and carry it out. Moreover, they translated the foreigner's way of life, their system

their troubles as if were the procession of daylight which removes the darkness.

Ramadan is the month of koran. It is diserable for this reason to read the koran and to consider its glorious meanings. Ibn Abbas told us "The messenger of God was so generous, but during Ramadan he reaches the climax, as soon as he meets Gabriel. He was accustomed to see him at every night in Ramdan to study the koran. Verily the prophet was more generous than the free wind".

The night of the 27 *th.* of Ramadan is called the night of power "O we revealed it on the night of power Ah! what will convey unto thee when the night of power is! The night of power is better than a thousand monthes. The angels and the spirit descend theirin by the permission of their Lord, with all decrees. That night is peace until the rising of the dawn".

(Surah the power V. 1—5)

The prophet shows the majesty of the glorious koran in these words "One who makes the koran his leader is led to paradise and one who leaves the koran behind him is led to fire".

It is our duty to make the koran our motto and walk the chalk line of its rules. "Now that come unto you light from Allah, and a plain scripture, where by Allah guideth him who seeketh his good pleasure unto paths of peace. He bringeth them out of darkness unto a straight path." (Surah the Table spread Vs. 15 — 16.)

This glorious koran had been revealed on a blessed night. This night was in Ramadan. Lo! we revealed it on a blessed night — Lo! we are ever warning" (Surah the smoke V. 3.)

It is said unto those who ward off evil what has your lord revealed? They say Good. For those who do good in this world there is a good reward and the home of the hereafter will be better. Pleasant indeed will be the home of those who ward off evil, . Gardens of Eden which they enter, underneath which rivers flow, wherein they have that they will. Thus Allah repays those who ward off evil. Those whom the angels cause to die when they are good. They says: Peace be unto you Enter the garden because of what you used to do."

many doctors summon the sick people to abstain themselves from food. God says : " Eat and drink, but be not prodigal, Lo ! he loveth not the prodigals " [Surah the heights V. 31].

Moreover fast strengthens the will and teaches people patience and endurance, and habituates them to be stout towards calamities and brave in troubles. It prevents them from giving full swing to their lusts.

Not only God orders the moslems to banish food but also God order them to abandon mischiefs, and bad actions. Better to be silent than to speak ill. One should restrain ones anger and one should not mourn in trouble from start to finish. One should not make a vent to one's warth during Ramadan. The ups of life should not make one vain, and the downs of life should not make one miserable.

No wonder Mohamed our prophet says : " If the people knew the bounteous advantages of Ramadan they would long and look eager to be a complete year. "

Fast is prescribed on those who are wise, adult, strong, sound, dwelling, and capable.

O believers ! a fast is prescribed to you as it was prescribed to those

before you, that ye may fear God. For certain days. But he among you who shall be sick or on a journey shall fast that same number of other days, and as for those who are able to keep it and yet break it, the expiation of this shall be the maintenance of a poor man, and he who of his own accord performs a good work shall derive good from it, and shall it be for you to fast if ye knew it !

At first and foremost it is the duty of the Moslems to stick to rules of the koran and to obey the orders of God. To keep fasting is not the sole duty or the sole aim. Mohamed says to assure this cause " What a number of fastings gain noting from their fast except thirst, and hunger ".

Ramadan is the month of charity. For this reason it is our duty to reveal the pains of the wretched, and give Alms to the poor. Its quintessence is to have the same feelings of those who are hungry and handle a loaf with the skin of the teeth, and seem weak as water. Charity makes them merry, dries their hot tears, and wipes out revengé from their broken hearts, instead of pouring out the vials of their wrath on the head of the society. They become secured from being criminals and law offenders. Mercy reveals

In this cave Mohamed was ordered to read "Read in the name of thy Lord who created, created man from a clot, Read and thy lord is the most bountiful who He taught (the use of) the pen, who taught man that which he knew not" (Surah the clot. V. 1 — 5).

When the rays of Islam appeared on horizon, Ramadan became more respectable and honourable. Its name was mentioned in the glorious koran. It was the only month which bears this honour.

God says: "The month of Ramadan in which was revealed the Qur'an a guidance for mankind, and clear proofs of the guidance, and the Criterion (of right and wrong). And whosoever of you is present, let him fast the month, and whosoever of you is sick or on a journey (let him fast the same) number of other days. Allah desireth for you ease. He desireth not hardship for you, and (He desireth) that ye should complete the period, and that ye should magnify Allah for having guided you, and that peradventure ye may be thankful" [S. the Cow. V. 185.]

Fast became a religious duty, for those who are capable to endure it, since the second year for Higrā till today.

It was told by Obada Ibn Alsamet that Mohamed said once at the advent of Ramadan "Ramadan has arrived the month of blessing through which God sends mercy, abolish sins, and replies appeals. God observes your rivalry and speaks haughtily about you to his angels. Lo! show benefits from yourselves, for the miserable, and wretched who lacks the mercy of God".

Once more he says: "Fast is a secure from fire, one who keeps fast with faith and profound believe, God forgives his previous guilts.

It was related by Abu Hurayra that the messenger of God once said "All the rewards on good actions of the son of Adam are doubled. The dole is rewarded with ten equals, till it reaches seven hundred matches except fast." God says: "it is for me and I reward on it. One leaves his desires, and food for my sake. There are two joys for the fasting. The former is when One breaks his fast. The latter is when he meets God. Verily the smell of the mouth of the fasting is better to God than the breeze perfumed with musk.

No doubt that fast gives much energy, and health to the body. It makes the nerves calm, arranges the turn of digestion, and puts the stomach in proper order. For this reason

RAMADAN

IN THE PRE-ISLAMIC AND ISLAMIC PERIOD

by

Dr. Gamal Addin Arramadi

The word "Ramadan" is derived from the verb "Ramad" which means to remove, and clarify from sins and guilts. The infinitive "ramad" means the violence of the sun beams on the sand or other things.

The month Ramadan was known during the pre-Islamic period among many Arab tribes of koriah, especially those who were devoted to God, and who were convinced of God's existence.

Modar, one of the famous Arab tribes held "Ragab" the lunar month in a high respect, and it was prohibited to make war or launch an assault in the course of this month. Moreover, the tribe was habituated to fast and offer sacrifice. For this reason Mohamed called it the "month of Modar".

It is evident that Mohamed arranged his life to spend a month every year to worship God, the lord of all the world, alone in Heraa cave. Solitude removed all the obstacles

between him and heaven. He grasped this opportunity to ask the mercy of God which swallows every thing.

The author of the book of "Sirah Halabia" says that Heraa cave was a place of worship for those who seek virtue and consider it the only true nobility in which lies their own reward.

The first man who worshipped God in Heraa cave was Abd El motaleb the son of Hashem. It was an ordinary course of conduct to make for Hera cave in order to worship God, to feed the poor, and to give alms.

Waraka Ibn Nowfal and Abi Omayya Ibn Elmo followed his footsteps and did the same thing.

It was also Mohamed's habit to follow those Hanifs and to assend to Heraa cave with the object to worship the compassionate, and the merciful Allah, and for alms giving.

(B) As a matter of fact, the new system organises the relation between Al-Azhar and the Muslims from every level and in all localities. It helps them to understand Islam, its principles, teachings and systems of life. Hence the new law of Al-Azhar includes the establishment of the Islamic researches Academy and defines the executive organ to what it called "The Missions and culture Administration". The Islamic researches Academy through this system will surely reflect the former picture of the (Rowaks) as it gathers the researches for only the aim of research and also to serve the maxims and the principles of Islam which organise both individuals and communities.

Undoubtedly, it is the duty of its executive organ to produce different levels of researches to feed all minds and thoughts. This will be by means of preparing a coming students, sending an Azharite Missions, publishing an Islamic book or a periodical magazine which explains the Islamic ideas and to solve the human problems.

4 — Through its new system,

Al-Azhar will be able to have more influence on all fields, especially in the cycles of education and research. as well as it will be able to spread Islam among all Arab and Muslim societies throughly. Meanwhile, the graduate of Al-Azhar will be a brother and a pioneer of the society and never be at all a competitor who mostly disputes and contends with the others. Moreover, through this new system, the graduate of Al-Azhar will be qualified to live without using the Islamic Message as a profession. This was the condition of the former Muslims who understood Islam fully. They did not use the call as a profession but they were of a message and they work only for its sake. They also were not apart from the society or its individuals, but they were its pioneers and leaders.

This is the goal of the new system of Al-Azhar which our hope is to realize the welfare and the good from it. Also, we pray for those who are striving for it and those who are carrying it out, to have a successful task and the reward of Almighty God.

student to be in relation with his citizens and his neighbours. Consequently, the student will be able not only to understand Islam, but also to know how to guide people to the straight path, which is its task as a graduate of Al-Azhar.

Because the new law of Al-Azhar includes the establishment of practical and scientific faculties beside the arabic and the Islamic ones, it does not mean — in the conformity with what was in the past — that it is maltreating the arabic cultural standard, or at least causing a harm to its values. But, on the contrary, the establishment of these faculties is indeed a help to the educational and the cultural standard. This is because it will widen the scope of both Islamic and arabic standard, as it will also widen the scope of thinking and qualify the graduate of Al-Azhar to be a good guider.

Surely, the student of the faculty of medicine, engineering, agriculture and the faculty of dealings and administration will be provide with both Islamic studies and arabic language, beside the other subjects which these faculties are supposed to teach such as mathematics, Physics, medicine and commercial and economical knowledges.

The Azharite student who expects to have a year more in the preparatory stage and other two years more in the secondary one, such a student will surely be of a unique sort among all the students in both the united Arab Republic and the other Islamic countries. In other words, he will be the required one wheather in our dear country or in the other Muslim nations. He may be also distinguished, because of this system of education which is expected to be a methodical educational system.

Indeed it is a mistaken idea of the Azharite student to think that he will have a temporal burden in his schoolastic life more than the other student who has a dissimilar educational system. This is because the different systems of education all over the world are not equal or similar and also the preparatory and the secondary stages are not alike or the same as they are in the educational systems of the different nations.

On the other hand, though the the previous educational system of Al-Azhar was known by the augmentation of its stages three years more, no student of Al-Azhar was complaint — at that time — of these additional three years.

what had happened in the past and what is happening in the present. They also advise them not to imitate what had happened in the past and what is happening in the present times, but to be of an intelligence and a far sight. Of an intelligence to understand Islam and of a far sight to notice the rules and the deductions in the name of science and also to solve the problems which will arise because of the civilization and the new life.

3—In case of the Message of Al-Azhar is defined by the Islamic understanding and its adaptation to the life events and problems, while these understanding and adaptation are tied to both the foregoing heritage and the following discoveries and happenings.

If it is so, the new system of Al-Azhar which is based on the law No. 103 of the year 1961, surely will help it to achieve its message. Because all the powers are supporting and cooperating to carry out this new system, it will be a good and a correct one.

As a matter of fact, the new system considers the different educational stages from the primary up to the high studies. In this system also there may be a sort of duality between the past and the present with regard to all the educational stages. It will qualify the student to

understand and its principles and also to have a full understanding of the Quranic provisions, prophetic sayings, Arabic language and the writings of the former Islamic writers. Hence, the graduate of Al-Azhar will be prepared to be the pioneer of the understanding of Islam and the way of such understanding too.

Meanwhile, the new system of Al-Azhar made it a point to give the student a chance to be of an opened eye to have a complete knowledge about the recent happenings, to face the different problems of the life and the other directions which may be delivered to him by means of the broadcasting stations, the different publications or by what he may be acquainted with, such as the scientific researches and the laboratories experiments.

Reciting of the holy Qur'an is cared of and will be confirmed in the new system of Al-Azhar. It also takes a care of the Islamic studies to be understood easily. This system also does not neglect the importance of the language's science and literature, Muslim history and the social Arabic and Islamic life.

In addition to all that, physics, Mathematics, Geography, human economy, history, Ideological philosophy and the way of research have been added to the syllabus, to help the

According to the previous Muslim cultural and intellectual heritage, copious studies for it should be there and also its way of searching should be estimated. Also, the Muslims way of thinking and their themes, should be investigated under the Islamic view and in cycle of the events which took place in the Muslims life through their past times. The rules and the deduction of the recent science and the human civilization problems also should be considered.

So, it is too important for any one who likes to have a full understanding of Islam, and to carry out its principles confidently to live with consideration of both the present and the past. In other words, not to stop at the past or leave it to stay at the present alone.

2—The Muslims previous cultural and intellectual heritage was different in its sides and level; such as the schools of Jurisprudence in the way of treatment and duties of the worship, the schools of Monotheism (Tawhid) concerning the source of Islam religion, the knowledges of the mathematicians about the mathematics, the opinions of the Muslim thinkers about the analysis of the nature and its elements, the trials and experiments of discovering the material and the immaterial human nature, the ways of research

and thinking and the other language and literary knowledges which serve the interpretation of the glorious Qur'an and the explanation of its teachings as a holy book revealed into a manifest arabic language.

As a matter of fact, the Muslim present is the time when the science can be proved by means of the results of the researches and experiments. As well as it is the time of machine which is nearly enslaving man by its development. The development of the machine surely has its effect not only on the human logic, but also on his conduct and manner.

Meanwhile, it is the Present which is full of numerous conflicting orientations and different means of announcement which try to distinguish one orientation from the other or at least attempt to make a conviction of a certain sect or a special belief, and beside all what we mentioned, in the present time of the Muslims there is the imperialist power which, though different in their style, is united in their final goal and purpose.

Indeed, both the past and the present of the Muslims urge those who are from among the contemporary Muslims and who like to have an Islamic studies, to have dual education and force them also to be in the situation of the judge for

AL-AZHAR THROUGH THE NEW SYSTEM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

1 — In order to have a definite judgement for the new system of Al-Azhar university which has been completely organised by both the law No. 103 of the year 1961, and its executive regulation which had been utilized since November the 4th 1691. you should be firstly acquainted with the main aims of Al-Azhar Message.

Actually, the Message of Al-Azhar university — from its history and from the stages of that history which they had passed over — is an act for getting a full understanding of Islam, its principles and instructions, then a conveyance of this pure understanding to the other different Muslim standards. This understanding and that conveyance are merely the suitability between the Islamic instructions and the life which Muslims used to live in the different generations. This actually assures that there is no separation or at least an aversion between Islam and Muslim life. As a result of

that, Islam will also keep the Muslim's belief away from hisitation, shaking or trembling.

The understanding of Islam and its teachings in addition to its suitability to the Muslim life, the more the time which Muslims live in, is far away from that time of the Qur'an and the sayings of the prophet Mohammad (sunnah), the more the sycle of the cultural and the intellectual heritage revision to become wider. This is the heritage which Muslims — wheather they are Arabs or non-Arabs — formed it since they began to have an Islamic culture.

Also, the more the sides of the life of the temporary man is numerous by means of the development of science which led to the increasing of the problems of the new modern life, the more the need of understanding Islam, its instructions and its suitability to both the life of science and the modern civilization.

The readiness for war is a mean of peace :

Islam orders Muslims to be ready-at any time-to face their enemies and to fight against them if they aggress Muslims. In this connection holy Qur'an says : " Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steeds of war to strike terror into (the hearts of) the enemies of God and your enemies, and others besides, whom you may not know, but whom God doth know."

[S. the spoils of war, V. 60.]

This verse states that the readiness for war is a way to prevent aggression and also to spread peace among all people. Moreover, Qur'an teaches Muslims how to solve the human problems and how to deal with those who quarrel with each other, wheather they are individuals or societies. He says : " If two parts among the believers fall into a quarrel, make you peace between them : But if one of them transgresses beyond bounds against the one that transgresses until it complies with the command of God : But if it complies, then make peace between them with justice, and be fair : For God loves those who are fair (and just). The believers are but a single brotherhood : So make peace and reconciliation between your two (contending)

brothers; and fear God that Ye may recive mercy."

[S. the inner Apart ment, V. 9-10.]

This is the way of God and that is his guidance. He revealed Qur'an to show people the correct way of life and to teach them how to treat each other, how to deal with themselves and their Lord and how to solve their problems without any aggressions. Indeed, Qur'an guides people to maintain peace and also to spread equality and security among all mankind to spend their life smoothly.

If what we mentioned are the instructions of the Qur'an, the teachings of Islam and the orders of our Lord, is not it the duty of the human beings to follow these teachings ? and to carry out these orders and instructions ? Is not it their duty to make their utmost to replace fear and confusion with security and peac ? to replace enmity among themselves with the mutual understanding and co-operation ?

Our Lord ! We confidently pray you in the name of peace which is one of your names (attributes), to guide your bondmen to the right path and to fill their hearts with love of peace.

The Qur'an also calls the followers of all God's Messengers to love each other, to cooperate and live in peace and brotherhood. He says. "The jews say "The christians have naught (to stand) upon"; And the christians say "The jews have naught (to stand) upon". Yet they (profess to) study the (same) Book like unto their word is what those say who know not, but God will judge between them in their quarrel on the day of judgement".

(S. the cow, V. 113).

Peace and the non — Muslims :

Islam calls to peace, it does not consider the followers of the religions as enemies, but — on the contrary — it orders Muslims to treat them kindly unless they transgress or maltreat them. In this respect Holy Qur'an says: "God forbids you not, with regard to those who fight you not for (your) faith, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them: For God loveth those who are just".

(S. The woman to be examined, V. 8).

Indeed, peace can be considered as a rule in the islamic teachings concerning the behaviour of Muslims towards those who refuse to believe in the message of the prophet Moha-

mad "peace may be upon him", This is because Islam orders Muslims to give the unbelievers the freedom to follow their chosen religions and not to oppose them in their religious duties or to usurp their properties. It orders them also to part with them the general rights and duties equally. Moreover, Islam obliges Muslims to offer help to the non-Muslims at the disasters, to co-operate with them and it also does not prevent them to marry the non-Muslim girls. Islam allows Muslims to fight against the unbelievers, if they aggressed them or tried to usurp their money. This is because fighting at that case will not be more than a defence for one's self or properties, and this of course is for the realization of peace, as it is for the realization of just, In this connection holy Qur'an says: "How can their be a league, befor God and his Apostle with the pagans except those with whom ye made a treaty near the sacred Mosque? As long as these stand true to you, stand you true to them: For God doth love the righteous".

(S. The Repentance, V. 7).

"But if the enemy incline towards peace, do thou (also) incline towards peace and trust in God: For He is the one that Heareth and knoweth (all things.).

[S. The spoils of war, V. 61].

salutation to Abraham!". "Peace and salutation to Moses and Haaron!" "Glory to thy Lord, the Lord of honour and power! (He is free) from what they ascribe (To Him). And peace on the Apostles!. And praise to God, the Lord and cherisher of the worlds"

Moreover, God called himself "Al-sslam" "peace" and also called the Paradise by the same name holy Quran says: "God is He, than whom, there is no other God; the sovereign, the holy one, the source of peace (and perfection), the guardian of faith, the preserver of safety, the exalted in might, the irresistible, the suprem: Glory to God! (High is He) above the parteners they attribute to Him." (S. the Gathering, V. 23.)

"For them will be a Home of peace in the presence of their Lord. He will be their friend, because they practised (Righteousness.)" [S. the Cattle, V. 127.]

"But God doth call to the Home of peace: He doth guide whom He pleaseth to a way that is straight."

[S. Yunus, V. 25.]

As a matter of fact, the Almighty God mentioned "peace" in the holy Qur'an through many verses to be cultivated in the Muslim's hearts.

He also calls his Paradise "Daru Assalam" which means: "The home of peace". And calls Himself: "Assalam" "peace" to show his bondmen the way which He likes them to follow during their life time. So, it is the duty of all humanity in general and the Muslims in private, to do their utmost for the sake of realizing peace and to spread it among all mankind.

The enemies of peace:

The enemies of peace are those who let God's guidance aside, and also those who refuse to carry out the Islamic teachings. They claim that they are believers, but indeed, they only are trying to deceive the others by such lies and they are also far away from the guidance of God. Verily God calls people to spread peace among all mankind, in this respect holy Qur'an says:

"Say: O people of the book! come to common terms as between us and you: That we worship none but God; That we associate no parteners with Him, that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God". IF then they turn back, Say "Bear witness that we (at least) are Muslims (bowing to God's will)".

(S. The family of Imran, V. 64).

other (not that ye may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. And God has full knowledge and is well acquainted (with all things).”

(S. The Rooms, V. 13.).

Following the Islamic general principle, holy Qur'an called people also to be of a good conduct and to treat each other kindly, it says : “Nor can goodness and evil be equal. Repel (evil) with what is better : Then will he between whom and thee was hatred become as it were thy friend and intimate.”.

(S. Fussilat, V. 34.).

“ Hold to forgiveness : command what is right; but turn away from the ignorant. If a suggestion from Satan Assail thy (mind), seek refuge with God; for He heareth and knoweth (all things). ” (S. the Heights, V. 199 — 200.) “ And the servants of (God) Most gracious are those who walk on the earth in humility, and when the ignorant address them, they say, “ peace. ” (S. Criterion, V. 63.).

The position of peace in Islam:

Indeed, peace is the greeting of Islam, when any Muslim meets another, he greets him by “Al-salam”

which means “ peace ”, holy Quran says : “ Those who believe, and work righteousness, their Lord will guide them because of their faith, beneath them will flow rivers in gardens of bliss. (This will be) their cry therein : Glory to Thee, O God and peace will be their greeting therein and the close of their cry will be “ praise be to God, the cherisher and the sustainer of the worlds. ”

(S. Younus, V. 9, 10.)

“ But if ye enter houses, salute each other a greeting of blessing and purity as from God ”.

(S. The Light, V. 61.).

“ O ye who believe ! enter not houses other than your own, until ye have asked permission and saluted those in them : That is best for you, in order that ye may heed (what is seemly) ”. (S. The Light, V. 27.).

Peace is the greeting of Muslims to their holy Prophet Mohamad “ peace may be upon him ” and also it is the greeting (all Messengers holy Quran says :

“ God and His Angels send blessings on the Prophet : O ye that believe ! send ye blessings on him and salute him with all respect. ” (S. The Angels, V. 56.).

“ Peace and salutation to Noah among the nations ”. “ Peace and

said " wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood ? whilst we do celebrate thy praises and glorify thy holy (name) ? " He said " I know what ye know not ". (S. The cow, V. 30).

The principles of peace in the Qur'an.

It is very easy for the faithful observers to know that Islam acknowledges that all human beings are the sons of one man and one woman, as they are also the bondmen of one Lord, This, of course, leads them to treat each other kindly, to spend their life in co-operation, unity and brotherhood.

Devine calls for Unity :

In the following Qur'anic verses, God calls people as the sons of Adam, He says : " O ye children of Adam ! We have bestowed raiment upon you to cover your shame, as well as to be an adornment to you, but the raiment of righteousness, that is the best. "

(S. The Heights, V. 26.)

" O ye children of Adam ! let not Satan seduce you, in the same manner as he got your parents out of the garden, stripping them of their raiment to expose their shame. "

(S. The Heights, V. 27.)

" O children of Adam ! Wear your beautiful apparel at every time and place of prayer : Eat and drink : But wast not by excess, for God loveth not the wasters. "

(S. The Heights, V. 31.)

" O ye children of Adam ! whenever there come to you apostles from amongst you, rehearsing My Signs unto you, those who are righteous and mend (their lives), on them shall be no fear nor shall they grieve. But those who reject our Signs and treat them with arrogance, they are companions of the Fire, to dwell therein (for ever). "

(S. The Heights, V. 35 — 36.)

In the holy Qur'an God honours people and calls them as human beings, He says : " O mankind ! reverence your guardian-Lord, who created you from a single person, created, of like nature, his mate, and from them twain scattered (like seeds) countless men and women ; reverence God, through whom ye demand your mutual (rights), and (reverence) the wombs (that bore you) for God ever waches over you. "

(S. The women, V. 1.)

" O mankind ! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know each

ISLAM CALLS TO PEACE

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University



In our present time, people all over the world are living in a complete fear, they are suffering from the cold war which is taking its place among the big nations, and having its effect on the small ones. Hence, people lost their stability, and also their hearts filled with terror because of the sudden movements which always cause loss in souls and destruction.

As a result of that, the wise people mostly speak about the world peace problem, and make their utmost to find a solution for it. This is to give people a chance to pass their life safely and also to direct their activities towards the productive works which surely will realize a complete happiness for all mankind.

Verily, if the powerful aggressors make their minds and think a little of what will be the end of the world because of their aggression, if they subject themselves to both judgement of the good mind and the religious instructions, and also to God's guidance which they believe

in it — as they presume —, if they know that the result of their aggression is indeed, a harm not only for the other people, but also for their nations and families; They will let the aggression aside and direct their activities towards the benefits of the human society, its stability and peace. Hence, the fear and the terror which filled the people's hearts, will be replaced with both security and satisfaction. The following of this way really means that they are getting on with God's wisdom of the world creation and using its materials for the human beings for the welfare and the benefits of themselves and the others too.

With such conduct, they are worthy of being the vicegerents of God on the earth and who govern the people and take care of their affairs. At that time, God's wisdom of creation of Adam to be his agent on earth, will be very obvious in front of the angels of heavens as holy Qur'an states in the verse "Behold, thy Lord said to the angels" I will create a vicegerent on the earth "They

يَشْتَرِكُ فِي الصَّيْرِ
عَبَّاسٌ مَحْمُودٌ لِعَقَارٍ
بَدَلُ الْإِشْتِرَاكِ
٤٠ فِي الْجُمْهُورِ الْعَرَبِيِّ الْمُتَحَدَةِ
٥٠ خَارِجَ الْجُمْهُورِ
الْمُدْرَسِينَ وَالطُّلَابَ بِتَقْيِضِ فُلُو

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعية

مُذِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرَئِيسُ الْحَرِيرِ
أَخِيذُ حَسَنِ الزَّيَّاتِ
العنوان
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٤١٤

بَيِّنَةُ عَنْ مَشِيخَةِ الْأَنْزَهَرِ فِي (أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ)

الجزء التاسع - رمضان سنة ١٣٨١ هـ - فبراير ١٩٦٢ م - المجلد الثالث والثلاثون

١٤
٢٢٢٢٦
د ر ك



سَمَاءُ الْمَرْيَمَ الْمَرْيَمَ

صَوْمُ رَمَضَانَ إِشْتِرَاكِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ

بقلم : أحمد حسن الزيات

الأذهان هذا السر ، تناكرت المعارف
وتدابر الإخوة ، فلا يتشاركون في خير ،
ولا يتعاونون على بر ، ولا يتناصرون
في شدة ، وإذن تصبح القوانين الاشتراكية
والأنظمة التعاونية كلاما لا معنى له وعملا
لا رجوع منه .

إن المجتمع الإنساني إذا خلا من هذا الروح
الإلهي أصبح مجتمعا حيوانيا لا يعطف الفرد فيه
إلا على وليده مدفوعا بغريزة حفظ النوع .
فإذا بلغ الوليد أشده واستوى تقطعت الرحم
وتباعدت القرابة وانقلب الولد ندا لأبويه

إن الاشتراكية المادية التي ندعو إليها
ونعمل لها ونعيش فيها لا يمكن أن تقوم ولا
أن تدوم إلا على ركن شديد من الاشتراكية
الروحية . ذلك أن الروح هو سر الله في كل
حي وفي كل نظام وفي كل مجتمع . به يحيا
الهامد ويتسق للنافر ويجتمع المتفرق .
هو الذي نسميه حبا أو جاذبية أو وحدة .
وهو الذي يجمع قلوب المواطنين على عبادة
إله واحد ، وحب وطن مشترك ، وتقديس
شعار متحد ، وطاعة زعيم قائد . فإذا ضعف
في النفوس هذا الروح ، واحتجب هن



الذى أنزله . فمن يرد إصلاح الفاسد من حال المجتمع دون أن يبت في أعضائه هذا الروح ، وينشر في جوانبه هذا النور ، أخطأ الطلاب الناجم لهذه العلة ، وضل السبيل الجامع لهذه الغاية .

إن دين الله اشتراكى بحكم طبيعته ومقتضى رسالته . شرعه الله نظاما للدين وسلاما للناس على أساس من عباده وتقدير من فضله ومنهج من هداية . فالملك ملكه ، والمال ماله ، والفقراء عياله ، والأغنياء عبادته ، والمصير كله إليه . على هذا الاتصال الروحي بين الخالق والمخلوق اجتمع الشمل في الأسرة الإسلامية الكبرى فكان الناس فيها سواسية ، والحكم شورى ، والإيمان أخوة ، والرزق شركة ، والجماعة وحدة . وإذا تدبرت الأركان التى بنى عليها الدين والأحكام التى جاء بها الشرع ، تجلت لك من مطاوعها ومرامها تلك الاشتراكية التى تؤلف القلوب بألفة الروح ، وتجمع الشعوب بجمعة الحب ، وتفرض على الواجد معونة الفاقدين ، ونوجب على الجميع نصرة الواحد ، ونجعل من المسلمين جميعاً جسماً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال الرسول الأعظم . خذ مثالا واحداً من ألف : صوم رمضان . أليس هذا الشهر المبارك مظهر الاشتراك الروحى بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض ؟

يدافعهم عن نفسه ، ويصارحهم على قوته ، وصار الاشتراك أو الإيثار الذى انبثق من الأمومة والأبوة فردية باغية وأثرة شديدة على أن هذه الغريزة تهذب فى بعض أمم الحيوان كالنحل والنمل فتتمو وتسمو وتقوم حتى تصبح اشتراكية مثالية تنظم فضائل المجتمع الإنسانى المرجو ، من فناء المفرد فى الجمع ، وجهاد الكل للكل ، وما يحقق ذلك من تضامن وتعاون وإخلاص وإيثار وتضحية حتى يبلغ من سمو الاشتراكية فى هاتين الآيتين أن النحلة أو النملة تعمل لنوعها كله ، لا لنفس دون نفس ، ولا لطائفة دون طائفة .

وهذا السمو الاجتماعى فهما لا تجد له نظيراً فى مجامع الذباب والقروء والناس . فلكل فرد من أفراد الإنسان وهو أرقاها شأنه الذى يغنيه ، ورزقه الذى يكفيه . فإن فضل شئ منه عن حاجته فلزوجه وبنيه . .

أما علاقته بغيره وغير أهله فهى علاقة الصائد الخائض أو اللص القاتل ، بختال ويغتال ويغتصب ويستأثر ، ولا يبالي أن يهلك العالم وتخرب الدنيا ما دام بدنه معافى وداره عامرة .

هذا السمو فى الاشتراكية المسادية لم يجعله الله أصلاً فى جملة الإنسان (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وإنما جعله فى الشرع الذى أوحاه وفى الكتاب

من الصلاح ، لشاع في نفوس المسلمين وجعل منهم مواطنين اشتراكيين يعمل كل امرئ منهم لوطنه كما يعمل لبلده ، ويحب لمواطنه ما يحب لنفسه ، ويكون لدولته كما يكون الانجليزى لامبراطوريته ، يخلص لها إخلاصه لعقيدته ، ويبرها بربها ، ويفنى فيها فناءه فى أسرته . ويومئذ ترى المصرى أو العربى كما ترى الانجليزى ، يقذف بنفسه فى المطرح البعيد والمنزل النابى ، ليعمل لقومه ، أو ليكدح لنفسه . فلا يضع أمام عينه ولا على صدره إلا جمهوريته : يمثلها أحسن تمثيل ، ويخدمها أخلص خدمة ، ويدعو إليها أصدق دعوة . يدعو إليها بفعله قبل قوله ، وبقلبه قبل لسانه ، ويخلفه قبل عليه . ويومئذ لا تعود ترى أو تسمع أن المصرى أو العربى يعيش فى الغربة مقطوع الأسباب عن بلده وقومه ، لا يعرض من وطنه على الناس إلا صورة الباطل ، ولا يتكلم عن أخيه فى الغيب إلا كلمة سوء . ذلك لأن الروح الوطنى الاشتراكى الذى يستمد سناؤه وسناه من روح الله إذا مرى فى نفس ابن آدم جعل فرديته قومية ، وأنايته غديرية ، وعصبيته إنسانية ، وخاصته من الخير لله وفى الله مشركة .

أحمد حسن الزيات

يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، ويكدون يتمقون على طعام واحد ، ثم ينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية ، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنسكر ، ويكفوا أسننتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغسلوا أيديهم عن الأذى ، ويصدوا أهواءهم عن سوء ، ثم يسمتون جميعاً صائموهم ومفطروهم سميت الصالحين ، فيمسكون السبحة ، ويتقنون الشبهة ، ويصنعون المعروف ، ويتمسكون تقاليد رمضان ، فيجهر السكير الكأس ، ويترك المقامر الورق ، ويؤجل الشرير الشر ، ويفى المجرم الجزية ، ثم يشركون المساكين فى طعامهم تكافلاً ورحمة ، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفاً وصدقة ، ويولون الولائم لإخوانهم تواصلاً ومودة ، ويشعرون أن أجسادهم المنفردة المختلفة يسرى فيها روح واحد يصدر عنه هذا الوجود المتحد وهذا الشعور المشترك .

هذا الروح الإلهى إنما أبقاه وقواه فى نفوس الصائمين عقيدة ووراثة وسنة . ولو أنه وجد فى الوطنية ما وجد فى العقيدة من الإيمان ، وفى النشأة ما وجد فى الوراثة من العمق ، وفى القدوة ما وجد فى السنة

رمضان

من شعائر الوحدة الإسلامية

للإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت شيخ الأنصار

أبنائي ، وإخواني ، المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :
فقد أهل علينا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبيّنات من الهدى والفرقان ، أهل علينا هذا الشهر العظيم ، الذي فرض الله علينا صيامه ، شعيرة إسلامية عامة للوحدة بين المسلمين في شتى النواحي ... وحدة لا تتقيد بالزمان أو المكان ، ولا تتقيد بالمسافات أو الأبعاد أو الحدود الجغرافية ، سياسية كانت أو طبيعية ، ولا تتقيد بالجنس أو اللون أو اللسان ، فالإسلام لا يعترف ، في بنائه لأمته ، وتكوينه لمجتمعه ، وتوثيق الروابط بين أبنائه ، بشيء من ذلك كله . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب .

وإنما هي وحدة تقوم على دعامة من العقيدة الواحدة ، التي يدين بها ، ولها ، كل من شهد الشهر فوجب عليه الصيام ... وحدة تبدو ظاهرة ، خلال شهر رمضان ، في مواعيد الأكل والشرب للجميع ، من مغيب شمس النهار حتى يقين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ... ووحدة في العبادات كلها ، صلاة ، وصيام ، وإنفاق في سبيل الله وتهجداً ، وقياماً ، وتسبيحاً ، وتقديساً ، وتلاوة قرآن ، وحدة في كل شيء حتى في اليقظة والنمائم .

نعم ، أهل علينا شهر الوحدة التي هي هدف الإسلام من كل تشريعاته ... هي هدفه في الصيام كما ذكرنا ، وهي هدفه في الصلاة التي هي شعيرة يومية متكررة لوحدة الوجهة والقيادة والعبادة ، فكل المسلمين يتجهون في الصلاة إلى قبلة واحدة ، وراء إمام واحد ويأتون في الصلاة حركات واحدة . ويتلون جميعاً قرآنا واحداً ، ويرددون تسيبجات واحدة ، في ركوعهم وسبحان ربّي العظيم ، وفي سجودهم وسبحان ربّي الأعلى .

ولا شك أن كل ذلك من شأنه أن يغرس في المسلمين معاني الوحدة والنظام ، والألفة والائتلاف ، والمحبة والتضام ، ولا يبقى مجال للفرقة والانقسام ، ومن ثم يكون المؤمنون إخوة ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ، ويكونون يداً على من سواهم .

غير أن المسلمين ، للأسف المؤلم ، أتى عليهم حين من الدهر ، غفلوا فيه عن كل هذه المعاني في دينهم ، وشغلوا عنها بمرض زائل من الدنيا ومتاعها الفاني ، وركن بعضهم ، في ذلك ، إلى أعداء الله وأعدائهم ، واتخذوهم « أولياء » من دون المؤمنين ، ناسين ما نهاهم الله عنه في هذا المجال بأقواله تعالى : « ولا تركزوا إلى الذين ظللوا فتمسكم النار » ، « وما لكم من دون الله من أولياء ، لا تتخذوا هدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، » ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يشفقوكم يكونوا لكم أعداء ، ويسطوا إليكم أيديهم وأستهم بالسوء ، « لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألو نكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، » ومن يتولم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، .

وهي هدفه في الزكاة التي هي رباط يوحد بين أفراد الأمة جميعاً برباط المودة والمحبة والتجدة والتعاون والوفاء والولاء ، بين الأغنياء والفقراء ... بين ذوي اليسار وذوي الحاجات . فأداؤها في مصارفها من شأنه أن يزيل الحواجز بين الطبقات ، فلا تكون هناك إحسن ولا أحقاد . ومن ثم يسرى بين الجميع تيار المحبة والألفة والتعاون ، ويكون الكل على قلب رجل واحد ، بعضهم أولياء بعض ، يشعر الغني بحاجة الفقير ، ويحس ذو اليسار بضرورة المحتاج ، فترى الغنى وقد مد يد المعونة لإخوانه الفقراء ، وترى الفقير ، في تجدة لإخوانه الأغنياء ونصرتهم إذا نزلت بهم نازلة أو أملت بهم ملية . الجميع « كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، » و « كالجلسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحى والسهر ، ... »

وهي هدفه في الحج الذى يشمل — فوق ما ذكرنا من شعائر الوحدة في الصيام والصلاة والزكاة — على مظهر رائع من مظاهر الوحدة لا تراه البشرية كلها إلا في موسم الحج ، وذلك عند ما يخلع الجميع ، وقت الإحرام ، ملابس التمايز فيما بينهم ، إلى ملابس موحدة الخامات واللون والتفضيل والأجزاء ، لا تعرف بينهم الأمير من الخفير ، ولا الرفيع من الوضع .

نعم ، نسوا كل ذلك ، خفت عليهم كلمة العذاب ، وكان ما نرى جميعا من شيوع العداوة والبغضاء والفرقة والانقسام بين أفراد الأمة وشعوبها وحكوماتها ، ومن تمزق وحدة بلاد المسلمين شر ممزق ، وتحكم المستعمر في مقدراتها وخيراتها وتقرير مصيرها ، واستغلاله بعض الأخوة في السكيد والتآمر ضد البعض الآخر ، مما يدمى له القلب وتصدع له النفس .

فهل لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد . فقصت قلوبهم ؟

وهل نلهم أن يتحرروا من الانخداع بالمستعمر وأعدائه . فلا يقعوا فيما يغريهم به من أسباب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، استغلاله لأمد تحكمه في بلادهم ، وانتهابه خيراتها .

وهل آن لهم أن يتخذوا من شهرنا هذا وشعائره ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن الكريم ، نقطة الانطلاق نحو الوحدة والقوة والعزة فينتصوا عن أنفسهم غبار الشحناء ، وينحسوا من طريقتهم عوامل الفرقة والبغضاء ، ويسدوا منافذ الاختلاف والمراء ، ويجتمعوا حول كتاب ربهم ، الذي يهدي للتي هي أقوم ، فيسيروا على هديه ، ويعملوا بإرشاده ، ويحكموه في كل ما شجر بينهم .

وهل آن لهم أن يستعيدوا ، بوعى ، قراءة الآيات الكريمة من قول الله تعالى : « أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، وقوله جل شأنه : « أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ، وقوله سبحانه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » .

وهل آن لهم أن يقرأوا بانتباه شديد ، قول الله الحكيم « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » ، وقول الله العظيم « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » ؟

إنهم لمن فعلوا ذلك فاستوعبوا هذه الآيات ، ونظروا فيما تأمر ، وتغرى به ، وفيما تنهى وتحذر عنه ، عرفوا أنهم أتباع دين يأمر بالتعاون والاتفاق ، وينهى عن التنازع والشقاق ، دين يغرى بالوحدة ولا يبنى يدعو لإيها ، ويحذر من الفرقة ولا يفرط في التنفير منها .

فهل لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد . فقصت قلوبهم ؟

وهل نلهم أن يتحرروا من الانخداع بالمستعمر وأعدائه . فلا يقعوا فيما يغريهم به من أسباب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، استغلاله لأمد تحكمه في بلادهم ، وانتهابه خيراتها .

وهل آن لهم أن يتخذوا من شهرنا هذا وشعائره ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن الكريم ، نقطة الانطلاق نحو الوحدة والقوة والعزة فينتصوا عن أنفسهم غبار الشحناء ، وينحسوا من طريقتهم عوامل الفرقة والبغضاء ، ويسدوا منافذ الاختلاف والمراء ، ويجتمعوا حول كتاب ربهم ، الذي يهدي للتي هي أقوم ، فيسيروا على هديه ، ويعملوا بإرشاده ، ويحكموه في كل ما شجر بينهم .

والوئام ، وتمكن فينا صفات المودة والمحبة بدلا مما فعانيه من حالات السكراهية والبغضاء .
فيتأتى للصف أن ينظم ، وللخناصر أن تتعاهد على الصبر في نصرة الحق ، واستعادة العزة لأمتنا ، وتمكينها من أداء رسالتها في الحياة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

أما بعد : فهذا حديثي إلى المسلمين ، في كل مكان ، بمناسبة شهر رمضان الكريم ، أوجه إليهم في ختامه قول الله تبارك وتعالى : يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحییکم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ، وقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

هدانا الله وإياكم لما فيه خير الأمة والدين وأعاد هذا الشهر على أمتنا وقد سارت أشواطاً طويلة نحو وحدة الكلمة ، وتوحيد الوسيلة ، وتحديد الهدف والغاية ، وما ذلك على الله بعزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولتسمعوا ولتقرأوا معي قول الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لني خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر .

محمد سلوات

ولا شك أن من كانوا كذلك ، لا ينبغي حنهم أو يرتضوا بدیلاً عن وحدتهم ، أو أن يعملوا ما يتنافى مع إخوتهم ولا يليق بهم أن يتناذبوا بالآلقاب ، أو يتراشقوا بالسباب ، فإن ذلك ليس من صفات المؤمنين الذين قال الله فيهم : د المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، فائحاد الولاية من شأنه أن تكون بين المتوالين وحدة تجمع قلوبهم ، وتضم شتات صفوفهم ، وتخرج بهم طريق التعاون ، وتسلك بهم سبيل التناصر . وهذا هو ما يدعو الله إليه المسلمين .

لجدير بنا ، وبخاصة في هذا الوقت الذي انفجرت فيه عرى الوحدة الإسلامية ، عروة هروء ، وتمسكنت فيه عوامل الإفساد ، داخلية وخارجية ، من قلوب المسلمين ، فقطعت أواصرهم ، وولايتهم ، وحالت دون تساندهم ، فصاروا طعمة لأعدائهم ، ووقفوا عن بلوغ الغاية السامية التي رشحهم لها العناية الإلهية - بما أمدتهم من دين صالح ، وهداية قوية ، وأخلاق كريمة ، جعلتهم د خير أمة أخرجت للناس ، - وهي قيادة العالم إلى سواء السبيل ، والوصول به إلى الحياة الطيبة السعيدة ... أقول لجدير بنا ، والحالة هذه ، أن نرجع إلى دستورنا وكتاب ربنا ، نعمل بهديه ، ونسير على إرشاده ، ومن ثم سنقول من بيننا ، حتماً ، أسباب الخلاف والخصام ، ويحل محلها الاتفاق

أقدم اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

أى اللغات أقدم :

كان الباحثون فى تاريخ اللغات يقصدون بالبحث عن أقدمها أن يصلوا إلى اللغة الأولى التى تفرعت عليها جميع اللغات بعد تفرق الأمم فى جوانب العالم المعمور ، وكانوا يفترضون أن اللغة الأولى كانت لغة الجنس البشرى كله يوم كان له مقام واحد فى قارة واحدة ، ثم تفرعت هذه اللغة بعد انفصال الناس وانقطاع الصلة بينهم حتى امتنع التفاهم بين المتكلمين بكل شعبة من شعب اللهجات المتفرعة فى مواطنها المختلفة .

إلا أن هذا البحث الطويل لم ينته إلى وحدة بين لغات الأمم غير وحدة العائلات ، اللغوية الكبرى التى يتعذر التقريب بينها اليوم بغير الاتفاق فى كلمات معدودات ، توجد فى الكثير منها ولا توجد فيها بأجمعها .. ففقد الباحثون ، إلى حين ، بالرجوع إلى أمهات العائلات اللغوية كل عائلة منها على حدة ، وكادوا أن يتعثروا فى هذا الطريق بعقبات كالعقبات التى صادفتهم فى بحثهم عن لغة واحدة للجنس البشرى بموطنه الأول ، وإن تمكن عقبات التحقيق فى مواضع الاتفاق بين فروع العائلات اللغوية أيسر تذليلا وأقرب أمداً فى مراحل التاريخ القديم .

والرأى الغالب بين علماء المقارنات اللغوية أن أصول العربية حديثة بالقياس إلى أصول العائلة الهندية الأوربية ولا سيما السنسكريتية والجرمانية .

ولكن هذا الرأى يقابله فى العهد الأخير اعتراض شديد من أبناء الهند أنفسهم ، من المسلمين خاصة ، فى معرض المقابلة بين السنسكريتية والجرمانية والعربية ، فإنهم يعتمدون على معرفتهم بلغات الهند ومعرفتهم بالعربية وبعض اللغات الأوربية لتصحيح أخطاء اللغويين الأوربيين عند المقابلة بين الكلمات ويصيبون كثيراً فى التنبيه إلى تلك الأخطاء وإثباتها بدلائل المعانى والألفاظ التى لا شك فيها ، ولكنهم يفساقون إلى مثل هذه الأخطاء عند المقابلة بين جذور الألفاظ العربية والأجنبية ، ويكاد بعضهم أن يرجع بمعظم هذه الجذور إلى أصل عربى يقاربه بحرفين أو ثلاثة حروف من الكلمة القديمة ، اعتماداً على القول الشائع عن نشأة الكلمات العربية جميعاً من حرفين اثنين تلحق بها الحروف الزائدة نارة فى أوائل الكلمات ونارة فى أواخرها .

ومن أمثلة هذه المقارنات بحث مستفيض للشيخ (محمد أحمد مظهر) بمجلة الأدب فى

وعلى هذا النحو تجرى المقابلة بين مئات من المفردات تتشابه بالحرف ، ولكن هذا التشابه لا يكفي لتحقيق اقتباسها من العربية إلا إذا كانت مادة الكلمة في جذورها عربية عن لغاتها الأجنبية ، وكان استخدامها عندنا سابقا لاستخدامها عندهم بمعناها أو ما يقرب من معناها ، وهو ما يصعب تحقيقه أو يظهر من التحقيق أحيانا أن للبادة أصالة واستخداما بتلك اللغات سابقا لاستخدامها بلغتنا .

ونحن نعتقد أن اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة ، وأن شواهد سبقها في القدم تزيد على الشواهد التي يستدل بها على سبق أقدم اللغات الأخرى ، ولكننا نحسب أن المقابلة بين الكلمات لا تؤدي إلى نتيجة يحسن السكوت عليها في هذا الباب ، وإنما نفضل على وسيلة المقابلة بين الكلمات وسيلة سهلة نرجع فيها إلى كل لغة على حدة ، فلا يصعب علينا بعدها أن نحكم على حظها من القدم بالقياس إلى غيرها :

تلك الوسيلة هي اشتقاق أسماء الحيوان فيها ، فإن اللغة التي ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها ، تسبق اللغات التي تتلقى هذه الأسماء جامدة أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها في أحاديث المتخاطبين بها .

فأسماء الأسد والكلب والذئب والصقر

تصدر بالإنجليزية في باكستان ، ينشره تباعا تحت عنوان (العربية أم جميع اللغات) ويسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللامظية أو المعنوية ، وقد وفق كل التوفيق في بعض هذه الكلمات ، ولكنه أوغل جدا في التخریجات المتتابعة للوصول بالكلمة إلى جذورها العربي فيما يراه .

فهو يقول مثلاً إن كلمة الذرة A-tom (أتوم) معناها لا يتجزأ أو لا ينقطع ، فهي على هذا مأخوذة من كلمة (طم) العربية بمعنى قطع ، لأن الهمزة الأولى زائدة بمعنى التي في اليونانية ، و (توم) هي (طم) بعينها إذا لاحظنا أن الأوربيين يضعون التاء موضع الطاء .

ويقول إن كلمة Bit (بت) في الإنجليزية بمعنى (قطع) وهي من مادة (بت) العربية : ويقول إن كلمة Arrive (أرايف) في الإنجليزية بمعنى وصل إلى المرفأ فهي مأخوذة من (أرفأ) العربية بهذا المعنى .

ويقول إن كلمة Aspire (اسبير) في الإنجليزية بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية .

ويقول إن كلمة Captive (كبتيف) بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة السكف العربية .

الصحراء حيث عرفه العرب قبل انتشاره في سائر الأقطار .

والبغل من مادة في اللغة العربية أصيلة في معنى الخلط والنسب المدخول وكل ما هو مدخول غير خالص أو صريح ، ويشبهه الدغل والزغل والنغل والوغل ، والغين واللام بمعنى الغل الذي يخامر الصدور .

والجمل من مادة الجمل بمعنى الضخامة ، والخروف منسوب إلى مواعده في الخريف ، وهكذا عشرات الأسماء التي تدل على وجود هذه اللغة في أقدم عهد عرفت فيه الأمة العربية هذه الحيوانات ، وهو عهد بعيد في القدم لم يعرف قبله عهد لهذه اللغة نقلت عنه تلك الأسماء بغير هذا اللفظ وغير هذا الاشتقاق .

وبقابل هذا في اللغة الإنجليزية أسماء كلها منقولة من غيرها أو مقصورة على مسمياتها التي لا يعرض لها التصريف في لهجات الخطاب .

فألسد Lion من (ليو) Les اللاتينية ، والحصان Horse من (روس) Ross الجرمانية ، والحمار (آس) Ass من (اسينس) اللاتينية التي يرجح أنها محرقة عن كلمة (آنان) السامية وأكثرها جامدة في أصولها التي نقلت عنها .

ومثما بقية الكلمات التي ذكرناها وأشرنا إلى جذور اشتقاقها بالعربية ، فإنها منقولة من أسماء جامدة ليس لها اشتقاق متداول

والغراب والفرس والحمار والبغل والجمل والحروف وعشرات غيرها من أسماء الحيوان هي كلمات ذات معنى يفهمه المتكلمون بها ويطلقونها أحيانا لإطلاق الصفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات وبين غيرها في إحدى صفاتها .

يقال أسد السكب للصيد أغراه به ، وأسد عليه اجترأ ، وآسد بين القوم أفسد بينهم ، ومعنى هذا على كل احتمال في سبق الكلمة اللغوية أو سبق الاسم أن العرب عرفوا هذا الحيوان وهم يتكلمون بلغتهم هذه ويستخدمونها للوصف أو للاشتقاق والمجاز . وكذلك معنى السكب من العض أو القبض وسائر معاني التكالب وألفاظه .

والفرس من الجرح والنقض والتمزيق لفظ أصيل في اللغة على الحقيقة أو على المجاز .

والصقر من الحدة في الحرارة أو في الطعم أو في اللس أصل صالح لإطلاقه على الطائر المسمى باسم الصقر أو الموصوف بهذه الصفة . والغراب من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ويتشامم الناس بنعيقه في الأماكن التي هجرها سكانها وتحلفت بها البقايا التي يحوم عليها .

والفرس من حدة النظر والاستعانة به على الاقتراس .

والحمار من لونه الأحمر الذي يشبه دمال

اللغات التي نقل الأوروبيون عنها أسماء حيواناتهم ، إذا تبين أن الاسم المنقول كان له لفظه المشتق في الأصل القديم واسكنه إذا رجع إلى أصل جامد غير مفهوم بأشتقاقه في لغة الخطاب فهو لاحق الزمن بنشأة اللفظ المشتق والوصف المفهوم .

ولا خلاف في دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقة على قدم اللغة العربية عند المقابلة بينها وبين اللغات الأوروبية من أقدم عهودها التاريخية ، ويبقى بعد ذلك محل للنظر بين العائلات اللغوية التي سجلت فيها ألفاظ مشتقة لأسماء حيواناتها ، ولم تزل لها في معجماتها المحفوظة معاني المشتقات والصفات ؟

عباس محمود العقاد

في لغة الخطاب ، فلا حرج إذن من الحكم بسبق اللغة العربية لجميع اللغات التي تخلقت من زمان التسمية الأولى لثلك الحيوانات بأسمائها المشتقة ، على العلم بما تعنيه من وصف وتشبيه .

والعلم بالحيوان المستأنس أو الحيوان المتوحش أقدم شيء في لغات بني الإنسان ، فلا نستطيع أن نتخيل أمة بادية أو حاضرة عاشت زمنا طويلا قبل التاريخ بغير حيوانات مستأنسة أو حيوانات وحشية تسميها وتحدث عنها ، فليس في تواريخ اللغات عهد أقدم من هذا التاريخ ، وفيه الكفاية للدلالة على انتشار اللغة وشيوع قواعد الاشتقاق والتسمية بين أبنائها في ذلك العهد السحيق ، وربما تساوت اللغة العربية في القدم وبعض

العطية قبل السؤال

نظر المنذر بن أبي سبرة إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قيص مرقوع ، فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رب بملوك لا يستطيع فراقه ، فبعث إليه بتحت من ثياب فقال أبو الأسود :

كسائي ولم أستكسه أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكرا بشرك من أعطاك والعرض وافر

إِمَامَةُ ابْنِ خَلْدُون فِي الْمَعْرِفَةِ

لِلأَسَازِ الدُّكُورِ مُحَمَّدٍ الرَّبَّيِّ

عحاولانها العقلية هي لتبرير هذا التبنى ودفع ما يوجه إلى هذا الفكر الدخيل من عيوب مصدرها الوثنية الأغريقية التي نقذت إلى الفكر الفلسفي عند الأغريق . وإن وقفت عند هذه القضايا من الفكر الدخيل معارضة إياها فقد كان وقوفها لإظهار وثنية الأصول التي انتزعت منه ، والكشف عن المبادئ التي أضنى عليها المنطق الإنساني طابع الفلسفة وطابع العقل وهي في صميم أمرها من العقائد التي كونها الوهم وحاكت روابطها الخرافة . قوقفة العقلية العربية وعدم استمرارها في البناء لأنها كانت تحاول أن تحدد موقفها من هذا الدخيل إما بالدفاع عنه وإما ببيان نقاط الضعف فيه . ويستحيل عندئذ أن يكون التفسير الإنساني في مثل هذا الموقف المردد بين التبنى وبين المعارضة امتدادا أو استمرارا لبناء فكري قام . لأن الامتداد والاستمرار في بناء فكري قام سابقا إنما يتحقق عندما تكون هناك موافقة عليه وعندما لا تدهو حاجة إلى توضيحه وإزالة اللبس فيه .

فالعقلية العربية في مجال الفكر الأجنبي الإلهي الذي دخل الجماعة الإسلامية هي في ذاتها بناءة وخالقة وإنما لم تقم بالبناء لأنه لم يكن

إِمَامَةُ الْعَرَبِ فِي هَوَائِبِ الْمَعْرِفَةِ :
رى العقل العربي بأنه عقل تقليدي ينقل ويروى دون أن يبتكر ويخلق ودون أن تكون له إمامة وريادة في المعرفة ، واصطنع الذين يتبنون هذه الدعوى الدليل من وقوف فلاسفة المسلمين في الجانب الإلهي عند حد الفكرة الأغريقية أو الفكرة الشرقية التي نقلها العرب عن الأغريق مرة وعن الفرس والهنود مرة أخرى .

وربطوا بين وقوف العقل العربي لمناقشة قضايا الفكر الإغريقي والفكر الشرقي في ملائحته أو معارضته لمبادئ الإسلام - وبين الحكم بصفة عامة على أن العقلية العربية لا تزيد في البناء وإنما تحمد في الحركة عند حد التردد والرواية . ولم يأخذوا بعين الاعتبار في هذا المجال أن العقلية العربية التي ناقشت الفكر الأغريقي والفكر الشرقي هي عقلية إسلامية تؤمن بالإسلام أولا كمصدر للتوجيه وكصدر لنظام حياة المسلم في المجتمع الإسلامي وهذه العقلية من أجل ذلك عندما وقفت عند قضايا الفكر الإغريقي والشرقي متبينة إياها في حدود الإسلام ومبادئه - كانت

ذلك الحكم العام الذي تصدره الدراسة الاستشراقية بعقم العقلية العربية ، وعدم استطاعتها البناء ، لأنها لم تبين على وثنية الإغريق التي جاءت مغلفة إلى العرب في صورة فلسفية وفي طابع منطقي له حججه وأدلته .

(ب) ابن خلدون في كتابة التاريخ والاجتماع :
ولما كان كتاب المسلمين من العرب وغيرهم قد جردوا في تفكيرهم وفي كتاباتهم فترات من الزمن ، وسلكوا في الفكر والتأليف مسلك التقليد ، وابتعدوا في هذه الفترات عن الإصالة والإمامة - فقد كان ذلك إلى وقت ابتدأ بعده عهد البحث وعهد النهضة من جديد في الفكر وفي التأليف والكتابة . فكان من الذين يمثلون هذا البحث وهذه النهضة ابن تيمية في مجال الفقه وفي الفكر الإلهي وفي السياسة الشرعية ، وكان ابن خلدون في مجال التاريخ والاجتماع .

فابن خلدون يحكي عن عمله في مقدمة كتابه : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، أنه لم يكن تقليداً لمن سبقه من كتاب التاريخ من الذين حكوا ما كان دون أن يراعوا ظروف الواقع وتطور الأحوال ، ومن الذين اختصروا فيما نقلوا ورددوا ما صنعه السابقون ، فكان الاختصار مجحفاً بالواقع وتصويره . فلم يكن ابن خلدون من بين هؤلاء ولا أولئك ، وإنما اختط طريق

هناك أساس صالح يبنى عليه ولم تكن هناك أرض مهيأة لإقامة بناء سليم يصلح للبقاء . ويتجلى بناء هذه العقلية في مجالات أخرى من التفكير . عدا الجوانب الإلهي كمجالات العلوم الطبيعية والرياضية ، مما لا يصطدم للعقل فيها برأى معين جاء به الدين وقامت على أساس منه عقيدته الصريحة . ومن أشهر الذين كانت لهم خالدية في البناء في هذه المجالات أبو عبد الله الخوارزمي في علم الجبر والمقابلة من الرياضيات ، وابن الهيثم في المناظر والبصريات من الطبيعيات . وغفر الدين الخطيب الذي لم يقف بالمنطق عند جملة آلة لاختبار الفكر وإنما جعله علماً ذا موضوع وذا غاية تخرج به عن أن يكون آلة ووسيلة ، والرازي وابن سينا في الطب ، وابن العوام في الفلاحة والزراعة فقد كان من آثار جهوده العلمية الفصل بين السحر وبين أحوال النبات وتطوره وما يتصل بنموه مما جاء في كتاب (الفلاحة النبطية) ، وبذلك جعل الزراعة فناً مستقلاً غير متصل بالسحر وصوره .

وهذه النماذج تدل دلالة واضحة على أن العقلية العربية هي عقلية إنسانية لها خصائص الإنسان المبدع عند ما تتوفر له ظروف الإبداع ، وخصائص الإنسان البناء عند ما تتوفر له أسباب البناء ، وخصائص الإنسان المدافع أو المعارض عند ما تدعو الحاجة إلى الدفاع أو المعارضة . ومن الغبن إذن

مفتشا عن أسباب ترحمها أو تعاقبها ،
باحثا عن المقنع في تباينها أو تناسبها ...
ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار ،
وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقصا
مقطوعة عن الانساب والاخبار ، موضوعه
عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار - كما فعله
ابن رشيقي في ميزان العمل . وليس يعتبر
لهؤلاء مقال ، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال ،
لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالماز
المعروفة للؤرخين والعوائد .

« ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت
غور الامر واليوم . . . أنشأت في التاريخ
كتبا ، رفعت به عن أحوال الناشئة
من الأجيال حجابا ، وفصلته في الاخبار
والاعتبار بابا بابا ، وأبدت فيه لأولية
الدول والعمران عللا وأسبابا ، ... وشرحت
فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض
في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ،
ما يمتنع بعقل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك
كيف دخل أهل الدول من أبوابها حتى تنزع
من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك
من الأيام والأجيال وما بعدك .. »

وبهذا الذي يذكره ابن خلدون في وصف
عمله يعيد أسلوب الإمامة والأصالة في كتابة
التاريخ ، وفي أن كتابته ليست أحداثا تروى
ولما هي علل وأسباب ، ومبادئ وقوانين
تحكم الطبيعة البشرية ، وتحكم المجتمع الإنساني ،

الأوائل ، وهو طريق الأصالة والإمامة
في كتابة التاريخ وفيما يعرض للطبيعة البشرية
في اجتماعها من عوارض :

« ... ثم لم يأت من بعده هؤلاء - أي من بعد
أئمة التاريخ مثل ابن اسحق والطبري ومحمد بن عمر
الواقدي والمسعودي - إلا مقلد وبليد الطبع
والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ،
ويحتذى منه بالمثل ، ويذهل عما أحالته الأيام
من الأحوال ، واستبدلت به من عوائد
الأمم والأجيال ، فيجلبون الأخبار
عن الدول ، وحكايات الوقائع في العصور
الأول ، صورا قد تجردت عن موادها ،
وصفاها انتضيت من أعمادها ، ومعارف
تستنكر للجهل بطارفها ونلادها . إنما هي
حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر
أجناسها ، ولا تحققت فصولها ، يكررون
في موضوعاتهم الاخبار المتداولة بأعبانها ،
اتباعا لمن عنى من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون
أمر الأجيال الناشئة في ديوانها بما أهوز
عليهم من ترجمانها ، فتستعجم صحفهم عن بيانها .
ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها
نسقا ، محافظين على نقلها وهما أو صدقا ،
لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب
الذي رفع من رايها ، وأظهر من آيتها ، ولا
هلة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعا
بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها ،

يخرج عن التبعية والتقليد إلى الإصالة والإمامة كافيته أن يكون قد سلك طريق الإصالة والإمامة ، وكافيته أن يكون قد خرج من غور التبعية ، وارتفع بنفسه فوق العمل الإنساني ليحكم عليه وفوق الأحداث إيراقتها ويشهد آثارها . وقد فعل ابن خلدون ذلك وأجاد فيما فعل وفيما سلك .

(ج) ظواهر المجتمع الإنساني بين ابن خلدون وفوند :

وإذا أردنا أن نقف على خصائص المنهج ، وعلى الإصالة في الفكر والكتابة في مجال التاريخ والاجتماع التي تعرف لابن خلدون - فيجب علينا أن نوازن بينه وبين فوند المفكر الذي أרך للظواهر الاجتماعية للشعوب في القرن التاسع عشر في أوروبا ، موازنة هامة ندرك منها حتما أن ابن خلدون - كان باحث نهضة في كتابة التاريخ وفي كتابة الاجتماع في المحيط الإنساني العام لأنه كان أصيلا فيما كتب .

ابن خلدون تناول الاجتماع الإنساني وتناول فيه :

- (أ) الدولة ، في نظامها ودواوينها .
- (ب) المجتمع ، في حضارته وبدائته .
- (ج) الحضارة ، في عمراتها وعلومها ، والعلوم في أنواعها وفي تاريخها .
- (د) الاقتصاد في صناعته وتجارته .
- (هـ) الفن ، في غنائه وفي موسيقاه ، والأدب في ثره ونظمه .

لا يختلف عنها في بداوته وحضارته أو في قوته وضمه ، أو في تماسكه وانحلاله .

وقد ربط ابن خلدون - تبعا لذلك - بين أحداث المجتمع وبين المظاهر والخصائص التي يكون عليها فيما عالجها من أحوال المجتمع العربي والمجتمع الإنساني بصفة عامة . ولم يخضع في نتائج بحثه إلا لمنطق الأحداث نفسها . وبذلك ارتفع فوق مستوى الأحوال والأوضاع والتقليد والعرف ، وحكم على المجتمع من أحداثه ، وتنبأ من الأحداث بأحوال المجتمع القادمة . وبذلك كانت بداية التاريخ توفيقك على نهايته وكان تاريخ مرحلة سابقة يوحى بمرحلة لاحقة ، وكان كتاب التاريخ من أجل ذلك مبتدأ ينظر الخبر .

والذي نضيفه هنا لابن خلدون ليس تعقبه للأحداث والظواهر واستنتاجه لخصائص المجتمع ، وترقبه لمستقبل الأمم والجماعات فقط . وإنما الذي يجب أن يكون في الاعتبار الأول لحسابه عندما يقوم عمله هو أنه خرج عن التقليد في وقت كان التقليد فيه مستحكما . واستعاد لنفسه أسلوب الإصالة والإمامة في وقت كان يمد الخروج فيه عن التبعية نشازا . ولا نؤاخذ ابن خلدون بعد ذلك إذا لم تكن إصالته هذه فيما فكر وفيما كتب قد بلغت قمتها ونهايتها ، لا نؤاخذ إذا ما وجدنا بعض العثرات أو الهنات في خط السير وفي المنهج الذي التزامه ، أو في التصنيف والتبويب لكتابه الذي وضعه . لأن الذي

المظاهر . ولكن ذلك لا يضعف إطلاقاً من قيمة ابن خلدون ولا من قيمة طريقته التي اتبعها .

ابن خلدون كان يذكر الحوادث التاريخية ليستخلص منها مظاهر المجتمع ، بينما فوند يذكر مظاهر المجتمع ثم يدلل عليها بالحوادث وابن خلدون فعل ذلك لأنه قصد أولاً إلى تدوين التاريخ والكتابة فيه ، بينما عمد فوند إلى الكتابة في أحوال المجتمع وظواهره بعد أن استنار بمن كتب قبله عن المجتمع البشري وخصائصه . وفي مقدمة هؤلاء الذين سبقوه بالكتابة ابن خلدون .

نحن لا ننظر إطلاقاً من ابن خلدون في الوقت الذي قام فيه ليدون التاريخ أن يكون صاحب منهج علمي موضوعي كامل في الاجتماع على نحو ما فعل ويفعل المحدثون ، وإنما كافيه — كما ذكرنا — أن كان الموقظ الأول والممهّد لعلم الاجتماع الحديث بل كان أول الذين خططوا لبنائه ، وقد خرج عن التقليد في كتابة التاريخ ، واستعاد لنفسه إمامة الأولين وسبق في كتابة علم الاجتماع . وكافيه جداً أن كان كذلك من المفكرين الذين حولوا مجرى التفكير الإنساني في كتابة التاريخ لدى المسلمين ثم لدى الأوروبيين إذ جعله علماً إنسانياً وعلماً عقلياً بجانب كونه أحداثاً واقعية .

دكتور محمد البهي

(و) التوجيه ، في طريقه وفي مناهجه . وابن خلدون في تناوله للاجتماع الإنساني أو للمجتمع وأحواله ، تناوله بالطريقة الرأسية مبتدئاً بالبداءة ومظاهرها . ثم بالحضارة ومظاهرها ، وعند ما تناول المجتمع بمنهجه الرأسي لم يكن عارضاً ولا واصفاً ولا حاكياً فقط ، وإنما كان منزعاً للعبارة ، وداعياً للوجهة السليمة في توجيه الإنسان ، متأثراً بنزعة البحث التاريخي .

ونحن بعد ذلك إذا عدنا إلى كتاب فوند — الذي يعتبر أصلاً من أصول فلسفة الاجتماع الحديث ، وكتابة التاريخ البشري — كتابه « فلسفة الشعوب » — نجد أن فوند تناول في هذا الكتاب :

(١) القرن (ب) اللغة (ج) العقيدة (د) الفكر . (هـ) الحكم .

وتناول مظاهر البداءة والحضارة في كل قطاع من هذه القطاعات ، يبتدىء بمظاهر البداءة ثم يثني بالتطورات التي تحدث في ذلك القطاع وتصل به إلى أن يكون المظهر الحضاري للمجتمع . فهو في منهجه يسلك الطريق الآتفي في تحديد بداءة المجتمع وحضارته .

قد يكون لطريقة فوند هذه أثر تنظيمي في الوقوف على مظاهر البداءة والحضارة في جوانب المجتمع البشري ، أكثر مما لطريقة ابن خلدون في الوقوف على نفس

الصَّوْمُ عِبَادَةٌ تَوْجِيهِيَّةٌ

لِلأَسْكَانِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ الْمَدِينِ

الجمال والجلال ، ومن شأن النفوس أن تحب من كانت هذه صفاته على سبيل الارتياح إليها ، أو الإعجاب بها ، والتقدير لها . وصفات الله في ذلك هي أعلى الصفات ، والله الأسماء الحسنى ، وما أسماؤه الحسنى إلا ينابيع كل حسن وكل جلال ، فهو أجدر من يحب ومن ترتبط به القلوب ، وتحيا على حبه النفوس .

واحد - جل جلاله - مع ذلك - قادر غلاب قوى قهار ، وتلك الصفات فيه أعلى في بابها من كل صفة أضيفت في ذلك إلى سواه ، فليس لأحد قدرة مع قدرته ، فضلا عن أن يكون له قدرة كقدرته ، وليس لأحد قوة ولا قهر ولا جبروت تقابل ما لله تعالى من ذلك . ومن كان هذا شأنه فإنه بمقتضى العقل مستحق لأن يخضع له مهابة وإجلالا ، وخوفا وإشفاقا .

ومن هذا يتبين أن العبادة واجب على المخلوقين بمقتضى ما عليهم من واجب الشكر وواجب الحب ، وواجب الخضوع .

١ - العبادة لون من ألوان الشكر والاعتراف بالجميل ، ومظهر من مظاهر الحب للقائم على نذوق الجلال ، والخضوع للقائم على إدراك العظمة والجلال ، وقد يجرى في عبارات الناس أن يقولوا لمن يبالغ في شكر إنسان ، أو في حبه ، أو في الخضوع له : هو يعبد ، أو كأنه يعبد ، وهو مجاز مستحدث ، وربما كان من الأدب مع الله تعالى ألا يعبر به في شأن المخلوقين .

والمستحق لأعلى درجات الشكر ، وأعلى درجات الحب ، وأعلى درجات الخضوع ، هو الله جل جلاله ، لأنه هو الذى خلق ، وهو الذى أنعم ، وهو الذى يوالى المخلوقين بالنعماء في كل لحظة ، فلأنه تركهم بدون نعمته لحظة واحدة لهلكوا ، فهم مستندون إليه في أصل الخلق ، لولاه ما وجدوا ، وفي استمرار الحياة والتحرك من السعى والتحرك والعمل والتمتع : لولاه ما بقوا ولا تمسكوا ولا يتمتعوا .

والله تعالى مع إنعامه يتصف بصفات

ولا شك أنه يحس بحاجة إلى التعبير عن ذلك كله والإفصاح عنه أمام صاحبه .

هذا هو حكم الفطرة ، وما تقرره العقول السليمة .

فهذه الأرض وما عليها وما يحيط بها ، وما يحجر فيها وفيها حولها ، كلها هدية من الرحمن للإنسان .

فلو أنه تعالى كفنا أن نقوم بأية عبادة لا تستهدف أى هدف لنا في حياتنا ، رلا تحقق أية فائدة لنا . لكان ذلك بحكم الفطر السليمة ، والعقول المستقيمة ، بحق أنه خالق منعم ، متفضل ، محبوب ، مهيب !

٢ - ولكن الله تعالى طامل عباده بموجب حكمته ورحمته وسابغ نعمته ، فشرع لهم من العبادات - التي هي شكر له ، ومظهر لحبه والخضوع له - ما يلائم مصالحهم ، ويتمشى مع منافعهم ، ويعينهم على أداء رسالتهم في الحياة ولا يتعارض معها .

فاذا نظرنا إلى أية عبادة شرعها الله تعالى فإننا نجد أنها تهدف إلى ناحية إصلاحية تصلح عليها حياة الناس ، وتعينهم من قريب أو من بعيد على استقامتهم لها واستقامتها لهم . ومعنى كونه عبادة توجيهية ، أنه يدفع بالمرء إلى آفاق عملية في واقع الحياة ، فهو ليس فقط صلة خاصة بين المرء وربّه ، ذات طابع فردى محدود ، ولكنه مع ذلك قائد

لو أن إنسانا وغسل في صحراء مترامية الأطراف ، منقطعة عن العمران ، ليس فيها إلا الوحوش والهوام ، والظلمات والخواف ثم أدركه الجوع والعطش فلم يجد طعاما ولا شرابا ، فأحس بالموت يدنو منه رويدا رويدا ، وهو يسهر ضاللا على غير وجه ، ثم رأى نفسه لجأة أمام قصر شاخ البنيان تحيط به حديقة غناء ، فيها من الثمار ما لذ وطاب ، وفيها صنابير المياه ، فأكل ماشاء ، ثم دخل للقصر فرأى من هندسته وفرشه وبسطه وخدمه ومتاعه ما بهره وأخذ بلبه وجعله يأنس للحياة بعد أن كان قد اعتراه اليأس منها ، ثم رأى صاحب هذا القصر ، فعلم أنه هو الذي وضع نظامه ، ورسم هندسته وقام بكل ما فيه إنشاء وترتيا وصونا ، ثم قال له : قد أجتك هذا القصر وما فيه فانزل منه حيث شئت ، وتمتع فيه بما شئت - ماذا يكون حينئذ شعوره بنعمة هذا المنعم ، وبفضله ؟ وماذا يكون شعوره أمام هذه العقلية المرتبة المنظمة التي قامت على إبداءه وتنسيقه ؟ وماذا يكون شعوره إذا خطر بباله أنه ربما حرم هذا المتاع وأقصى عنه ، إذا تصرف تصرفا غير ملائم لمن أنعم به ؟

لا شك أن نفسه تعمل بعوامل يمتزج فيها الشكر بالتقدير والعرفان والحب والإجلال

عرفوا سره وفيما لم يعرفوا سره على السواء ،
« والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » .
وإذن فالعبادات كلها توجيهية ، بل العقائد
أيضا توجيهية ، فشهادة أن لا إله إلا الله
تجمل المؤمن بها قويا عزيزاً لا يطأطئ .
هامته إلا لله ، ولا يخشى أحداً إلا الله ،
ولا يؤثر على رضا الله شيئا من الأشياء ،
وهكذا .

ثم قلت لنفسي : إذن لماذا أعطيت هذا
العنوان : « الصوم عبادة توجيهية » ، وربما فهم
منه أن هناك نوعا من العبادات صامتا
لا توجيه له ؟

والواقع أنه لا مفهوم لهذا ، وأن كل
العبادات كذلك لها وظيفة توجيهية إلى الخير
والصلاح والتهديب والبر والاستقامة ،
وليس الصوم وحده هو المنفرد بالتوجيه .

٤ - والصوم له صورتان : الصورة
الظاهرة ، والصورة الباطنة .

فالصورة الأولى صورة الكف عن
الطعام والشراب والتمتع من طلوع الفجر
إلى غروب الشمس .

والصورة الثانية كف الجوارح عن الآثام .
وإذا نظرنا إلى المفطرات في الصورة الأولى ،
وجدناها تتناول أى طعام وشراب أو ما إلى
ذلك من المفطرات الحسية ، ووجدنا التشريع
اللفظي يعنى بتفصيل ذلك وما يفطر وما

وموجه إلى أنواع من السلوك ، أو من
الفوائد التي من شأنها أن تعود على الآخرين ،
ولذلك نستطيع أن نقول : إنه عبادة أراد
الله بها أن تكون اتجاها في طريق الإحسان
إلى الناس ؟ شرعها المحسن الأعظم ، والمنعم
الأكبر ، فكان محسنا بتوجيهه وبرسم
الأسلوب الذي يشكر به ، كما هو محسن
بخلقه وإنعامه .

٣ - قلت لنفسي وأنا أكتب هذا
المقال : هل هناك عبادات توجيهية ،
وعبادات غير توجيهية ؟ وارتدت أن
يكون الجواب على طريقة الاستعراض ،
أى أن أستعرض العبادات . واحدة بعد
واحدة ، لأرى الفرق بين عبادة وعبادة ،
فلم أجد إلا لونا واحدا ، هو العبادات
التوجيهية ، حتى العبادات التي يصفونها بأنها
أحكام تعبدية أى غير واضحة الحكمة ،
ولا معروفة من حيث أسرار التشريع ،
فإن لها على الأقل موجها إلى الطاعة للتامة
للكاملة ، فإن المرء لا تكمل طاعته بمجرد
الامتنال والتقبل فيما يدرك سره ، ويعرف
حكمة مشروعيته وإنما تكمل وتصل إلى
غايتها ، من حيث هي خضوع لله المنعم
المتفضل إذا تقبل وامتنل ، فيما يعرف وفيما
لا يعرف ، وفيما ينشط له وفيما يكره ، ومن
آداب الجندية أن يطيع الجنود قائدهم فيما

عليه وسلم : قل لها : قيتا فيه ما أكلتا ، فقامته
إحدهما نصفادما عبيطا ، ولحا غريضا ،
وقات الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما ،
فمجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله
عليه وسلم : هاتان صامتا عما أحل الله ،
وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما :
فعمدت إحدهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابانه
الناس ، فهذا ما أكلناه من لحومهم .

وقد أفاض الغزالي في بيان شروط الصوم
الباطلة ، من غش البصر ، وكف السمع ،
وحفظ اللسان من الهذيان ، والكذب ،
والغيبة ، والنميمة ، والجفاء ، والخصومة ،
والمراء ، كما تحدث عن صوم القلوب عن
الأفكار الدنيئة ، والأشياء الخسيسة ،
وأن المؤمن صائم بهذا المعنى دائما ، مترفع
عن التفكير في الأمور السبئية ، وهو فصل
يتمتع يدل على ما للصيام من وظيفة توجيحية
تهذيبية ، وأنه ليس مجرد تحمل للحرمان
مدة من الزمان .

محمد محمد المرنى

لا يفطر ، وما تكون فيه الكفارة مع القضاء ،
أو القضاء فقط ، أو ما لا قضاء فيه أصلا .
أما الإفطار والمفطرات في الصورة الثانية
فقد جاءت في كثير من الأحاديث ، ولها نفس
الدلالة على الإفطار مثل المفطرات الحسية .
وبذلك نعلم أنه ليس الإفطار فقط بالمفطرات
الحسية ، وليس كل من كف عن المفطرات
الحسية بصائم ، وليس كل من أفطر بالمفطرات
الحسية مفطرا بالمفطرات المعنوية .

ولذلك يقول الإمام الغزالي : كم من صائم
مفطر ، وكم من مفطر صائم ، فالمفطر الصائم
هو الذى يحفظ جوارحه من الآثام ،
ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى
يجموع ويعطش . ويطلق جوارحه ، وفى
الحديث الشريف : كم من صائم ليس له من
من صيامه إلا الجوع والعطش ، وجاء فى
الحبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأجهدهما الجوع والعطش
من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا ، فبعثتا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذناه
فى الإفطار ، فأرسل إليهما قدحا وقال صلى الله

استفت قلبك

وروى أن زيد الخير سأل النبي عليه السلام فقال :

دلى يا رسول الله على علامه أعرف بها رضى الله عني ، فسأله كيف أنت يا زيد الخير ؟
قال : أحب الخير ، وأحب من يفعله ، وأكره الشر وأكره من يفعله ، فقال رسول الله :
هو ذلك .

نفحات القرآن

طاعة الله ورسوله شيء واحد ...
والمخالفون للرسول محاربون لله تعالى
للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

(١) ١ - «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ٢ - ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون. ٣ - ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ، وهم لا يسمعون .»

سامعون ، وحريصون ، وواقع الأمر فيهم أنهم غير متفهمين لكلامه ولا مصغين إليه ، ولا مفسحين له قلوبهم التي خيم عليها ظلام النفاق والكفر .

فاختار الله تعالى للمؤمنين أن يحجبهم الإعراض كمن أعرضوا ، وأن يحجبهم اصطناع الدين ، وتمكف قبوله ، والإقرار بالسباع ، وهم لا يسمعون كما كان شأن أولئك المرائين .

ولست الدعوة ، ولا الهى في هذا المقام بالأمر النادر في كتاب الله ، بل ذلك يدن مألوف في كثير من المواطن القرآنية .

لأن كتاب الله في صدد العلاج للقلوب ، وتربية الأنفس ، وخلق الضمير الإنسانى المذهب ، وتركيز الدين والخلق الفاضل ، لتحقيق الهدف من هذا كله بتوثيق الصلة

١ - هنا دعوة من الله وتكليف للمؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله على وجه الإطلاق : أى فى كل ما جاءهم به من عند الله فى شأن الدين والدنيا .

٢ - ويقترن بهذه الدعوة - أولاً - نهى للمؤمنين عن التولى والإعراض عن دعوة الرسول وهم يسمعون يوم كان فيهم ، ويسمعون القرآن دائماً من بعده ، وفى القرآن ما فيه من توجيههم إلى الإيمان بمحمد ورسالته . والخذ بما بلغهم عن ربه مهما طال الزمن .

٣ - ويقترن بهذه الدعوة - ثانياً - وبالنهى معها - نهى ثان أن يتشبهوا بغيرهم ممن لم يخلصوا فى الإيمان ، وكانوا يتصنعونه ، ويتظاهرون بالإقبال على دعوة محمد والاستماع إلى نصحه وإرشاده ، ويزعمون للناس أنهم

إليها ، فاتجه الخطاب إليهم تكريما لهم ،
وعناية بشأنهم ، وتكميلا لدينهم الذي
ارتضوه حقا عن طمأنينة إليه .
ولعل في تخصيصهم بالخطاب تليحا قويا
بالفرق بين الجانبيين لكل ذى لب .

هـ - وليس يغيب عنا أن مثار هذه
الدعوة وما معها من النهى مرتين هو ذلك
الموقف الذى وقفه المؤمنون فى غزوة بدر :
حين اختلفوا - أولا - فى دخول الحرب ضد
قريش ، ولإمعان بعضهم فى الجدل مع الرسول
صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إلى رأيه
وحاربوا ، وانتصروا ، وحين اختلفوا .
ثانيا - فى تقسيم الغنيمة أخيرا ، ورغب
فريق منهم فى المفاضلة بين المجاهدين حسب
اختلافهم فى بلاء الجهاد - على ما حدثناك
من قبل فى مقالين سابقين .

ومع أن الله تعالى تكفل بحسم خلافهم
فى الموقفين ، وعاتبهم على ما وقع منهم :
كان من تمام فضله أن يزيدهم هداية ، وأن يشد
أركان الإيمان فيهم بتعليمه إياهم ما لم يكونوا
يعلمون - هم لا شك - مؤمنون . . ولم يكن
جدلهم عن ريبة فيهم ، أو مشاقة منهم . .
بل هو الرأى كان يبدو لبعضهم مستحبا ،
ولا يحسدونه مأخوذا عليهم ، وهم قوم حديثوا
هدى بالإسلام ، ولم تزايلهم تقاليد العصبية
جملة لما يروونه ويخجون إليه .

بين العبد وربّه ، وبين الإنسان ، وأخيه
الإنسان .

فكان من حكمة الله فى مصلحة البشرية
أن تكرر الدعوة ، والنهى للإيقاظ من الغفلة ،
ومقاومة للفسيان فى الإنسان .

و - ونحن نعلم أن الدعوة الإسلامية عامة
للناس جميعا ، دون تفرقة بين أحد وأحد
وما أرسلناك إلا كافة للناس ... قل يا أيها
الناس إني رسول الله إليكم جميعا ، .
يا أيها الناس اعبدوا ربكم - قل أطيعوا
الله والرسول .. فالناس جميعا أمة دعوة
إلى الإسلام .

ولكن الدعوة فى الآيات المذكورة
فى مطلع الحديث موجهة إلى المؤمنين خاصة
أن يطيعوا ، مع أن المفروض أنهم أطاعوا
وآمَنُوا ۝ ١١٤٩

وجواب هذا فى توجيهين :
أحدهما - أن غير المؤمنين قد انحازوا
عن الدعوة إلى ضلالم ، وإفكهم على الله ،
وتعاضموا على طاعة رسوله ، ومقابلته ،
فقبل هذا الإعراض منهم بالإعراض عنهم
من جانب الله تحقيرا لهم ، وهوانا بهم ،
إذ الإنسانية الواعية لا تتخبط فى باطل ،
وتعرض عن الصراط المستقيم .

ثانى التوجيهين - أن المؤمنين هم المقبلون
على دعوة الله ورسوله فى ثقة بها ، وارتياح

ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مهين - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم . . . وهكذا .

وقد عودنا القرآن أن يقرن بين طاعة الله ورسوله في الذكر للدلالة على التلازم بينها في الواقع : لا للخيارية بينهما بالعطف كما قد يتوهم من السياق اللفظي ، فهي مغايرة في المفهوم لا في المصادق .

بل جعل الله كلمة التوحيد وهي عنوان الإسلام والإيمان مؤلفة من الشهادة لله تعالى بالوحدانية في ألوهيته ، ولمحمد بالرسالة ، وبدون ذلك لا يتم العقد الديني بين العبد وربّه . . . فمن ظن أن أحد الجانبين من الشهادة ، أو من الطاعة يكفي ، لدعواه الإيمان والتدين فقد انتقض على ربه فيما شرع ، وأعظم الفرية عليه فيما زعم .

وقد عاب القرآن هذا التشقيق في كثير من الآيات ، وجاءت به السنة ، وأجمع الأمر فيه من البديهيات المعلومة من الدين علماً ضرورياً ، حتى ليكفر منكروه ، أو المتشكك فيه عن شائبة من الريبة .

ومع هذا : فقد أطاش الغرور بعض العقول الواهنة بمن ينتمون إلى الإسلام فحاضوا في بحوثهم بالباطل . . . وكتبت مجلة في مصر عن لسان مسلم إيراني : إن ما يخبرنا

لذلك لم يعتبروا منسلخين من وصفهم بالإيمان ، وإنما هم بحاجة إلى التهذيب ، والصقل . . . فبعد أن كان المقام مقام عتب عليهم للجدل والخلاف ، أصبح مقام توجيه إلى الطاعة التامة ، وإلى متابعة الرسول فيما يبلغهم ، والنزاهة عما يشبه غمار المعاندين من غيرهم .

هم مؤمنون ، تخلوا عن الكفريات كلها ، والله ينههم عن التعثر فيها لنتم فيهم معالم الإيمان وكاله ، فيكون الإيمان والتربية على آدابه من قبيل التخلية عن القبيح ، ثم التخلية بالكمالات على نحو ما يقول العلماء : التخلية ثم التخلية ، وذلك أليق بالمؤمنين ، وهم أمة الإجابة .

فالله تعالى يعلم المؤمنين أن الطاعة لله ولرسوله شيء واحد لا ينفك بعضه عن بعض . . .

فلا يقال : مؤمن ولا مسلم على وجه الكمال إلا لمن آمن بالله ورسوله ، بل برسله جميعاً . ولأن جاز إطلاق المسلم على من يتظاهر بطاعة الرسول ، دون تصديق بقلبه كما كان شأن المنافقين فإن هذا من باب المجازاة لطاعتهم المصطنعة في الظاهر .

ولكن دين الله لا يتجزأ ، وطاعة العبد لا تتحقق إلا بتمام التصديق بما جاء على لسان محمد . . . من يطع الرسول فقد أطاع الله - ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً -

أسوأ حالا من البهائم التي خلقت بلا تميز
فلما عذرهما ، إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أصل .
وصح كذلك أن يعتبروا شر الدواب التي
تعيش على وجه الأرض ، لأنهم تخلفوا عن
السمع والطاعة وأفسدوا ، واستهزؤا ،
فوضح قول الله فيهم : إن شر الدواب عند
الله الصم البكم ، الذين لا يعقلون ، نعم !!
كرمهم ربهم بالآدمية ، ومنحهم مواهب
الإنسانية ، ولكنهم طرحوها ، وحرّفوها
عن رسالتها ، دعا شرا بها في سلبية ، والإنسان
لم يخلق للسلبية في دنياه . وهم بسوء اختيارهم
لا أنفسهم ليسوا أهلا للإرشاد ، بل لن يزيدم
الإرشاد إلا تماديا في الضلالة كما علم الله من
شأنهم ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ،
ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون .

فليعش هؤلاء في معزل عن التبصر ،
والهداية . وليظلوا في طغيانهم يعمهون ،
وذلك بما كسبت أيديهم ، وبما كانوا
يفرحون في الأرض بغير الحق ، وبما كانوا
يمرحون ...

(ب) المرء في طاعته لله ورسوله بحاجة
إلى الثبات وتثبيت الله تعالى .

ويا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحبيكم .

٦ - وهذه دعوة تعزز دعوتنا إلى طاعة
الله ورسوله . والقصد منها أن تكون الطاعة
عن يقين راسخ . فإن الاستجابة لفظ يوحى

به الرسول من أمور الغيب لا يجب علينا
التصديق به ، وعلى هذا الضلال لا يتحتم
التصديق بكثير من أمور الآخرة . وسعما
لرأى وصاحبه .

كذلك شذ في مصر رجل فآلف ونشر
كثيراً لإنكاره للسنة النبوية بتمامها ، وقصر
هقله للكليل على القرآن فقط ، ثم تجاهل
ما في القرآن من توجيهات حتمية إلى الأخذ
بالسنة عن الرسول وطاعته ، وليته عرف
أن يفهم شيئاً من القرآن ، أو تواضع ،
وتفاهم مع غيره ، ولكنه كان بوقاً لمن
يزجون به ، وينفقون أموالهم ، ويتسترون
خلفه ، وما تراث الرجل إلا بانتهاء حياته .
وهذه نزعات يشر غبارها في البيئة
الإسلامية .

وما هي إلا اقتراب من مذهب الوجوديين ،
ومحاولات في التحلل من تعاليم الدين .

والحلال بتين ، والحرام بتين وستظل
تلك النزعات والحمد لله هزيلة وخامرة .

وقد كان الإعراض عن الرسول ،
وإغفال دعوته من قوم يرون الحق
ويتغاضون عنه إهمالا للعقول ، واختيارا
للضلال ، فصاروا بهذا فاقدين للوهاب
الإنسانية ، فكأنهم لا سمع عندهم ،
ولا منطق لهم ، ولا جدوى في عقولهم ،
فصح أن يوصفوا مرة بالبهيمية ، أو هم

يتخذ لها مرشدتها ، ويتعهد بها بالتركية فهو ظالم لها بالغفلة عنها ، ويكون هذا في غير رعاية الله وألوبة الشيطان . كما تكون الشاة القاصية عن عين حارسها خطيفة الذئاب .

وبقدر ما يكون للإنسان من رعاية لنفسه واستئناس بدينه يكون في القلب هداية ، وسكينة ، وإيمان ، وإلا حال الله بينه وبين قلبه فلم يجعل للهداية سبيلا إلى وجدانه ، ووكله إلى نفسه ، وهيات أن تكون له حياة أو نصيب من الحياة التي يبتغيها الراشدون . وقد كان النبي صلوات الله عليه يكثر في دعائه من قوله - يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك - حتى سأله أم سلمة رضي الله عنها عن إكثاره من هذا الدعاء ، فقال لها : يا أم سلمة ، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله تعالى ، فمن شاء أقام . ومن شاء أزاغ ، يريد أن المرء في قبضة الله ، وتحت سيطرته . وهو عرضة للتحويل من حال إلى حال . حسب ميوله واختياره ، وقد ربط الله بين الأسباب والمسببات ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . والله يتولانا برعايته .

عبد اللطيف محمد العسكي

عضو هيئة كبار العلماء

بالإقبال عن رغبة ، وطواعية ، واطمئنان ، وهذه منزلة فوق منزلة الطاعة ابتداء ، فربما كانت الطاعة عن هواة وملينة لا عن تعمق في الاقتناع والاستسلام ، ودعوة الدين تتعلق دائما باليقين ، وتنشد الإذعان ، والبراءة من الوهن والذبذبة ، فالاستجابة المذشودة هي الطاعة في أصدق مفهومها ، وأقوم كيانها . وخاصة إذا تيقن المرء أن دعوة الرسول متعلقة بما يكفل الحياة لنا .

فالتخلف عنها موت ، والاختذ بها حياة والنفس لا تعز بشيء . ، ولا تحرص عليه مثل حرصها على الحياة ، ولا تزهد في شيء ، وتتحاشاه مثل الموت .

فموقف المرء من دعوة الرسول موقف بين حياة يختارها إذا أجاب ، أو موت يتردى فيه إذا أعرض .

وسواء : أكانت الحياة المرادة في الآية حياة دنيا لما في الدين من علم ومن أدب ، واستقامة ، وكرامة ، وقيام على العدل ، وسيادة بالمجد ، أم كانت الحياة حياة النعيم في الآخرة ، والهناء فيها برضوان الله وجواره : فإنها حياة يقصدها الدين لأهله ، ويدعوهم إلى سبيلها من طريق العلم والعمل . وعندى أنها الحياة الطيبة بأوسع معانيها في عاجلنا ، وآجلنا ، فذلك دعوة الله والله ذو فضل عظيم ومن لم يفتن إلى نفسه ، ولم

من رُحَى رَمَضان :

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نَفُوسِكُمْ

للأستاذ محمود الشقراوى

لحكمة بالغة يقول الله تعالى بعد ذلك وبعد أمره بصوم رمضان : « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب » (١) والله القريب العالم بقلوب عباده المطلع على الضمائر المحيط بالسرائر ، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له . وأن يكون المتعبد العامل صادقا فيه كل الصدق : « وهو الذى أمر الله تعالى به حين يقول « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٢) .

« فمن شرح ذلك : أن يكون العبد يريد الله ، عز وجل ، بجميع أعماله وأفعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها ، لا يريد بها إلا الله وحده ، قائما بفعله وعمله على نفسه وقلبه ، راعيا لهما ، قاصدا إلى الله تعالى بجميع أمره ، لا يحب مدحه ولا ثناءه ، ولا يفرح بعمله إذا أطلع عليه المخلوقون ، فإن عارضه من ذلك شيء اتقاه بالسرعة والكرهية ولم يسكن إليه . لكن إذا أثنى عليه أحد .

١ — جاء رمضان ، وبدأ المسلمون يتهيؤون لما يجب عليهم فيه من الصوم والعبادة والصدقة والتوجه إلى الله : امتثالا وطاعة وإيمانا وحبا ، وبعضهم رهبة وخوفا . وآخرون رغبة في الجزاء والثوبة .

والإيمان التزام حدده الغزالي في قوله : « إن التلطف بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للوحد محبوب سوى الواحد للفرد ، لأن المحبة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى .

هذا الالتزام الذى يصل بالمومن إلى المحبة ، وهذه المحبة التى لا تقبل الشراكة . هما أساس العبادة الصادقة المقبولة ، والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات : أكملها وأقربها إلى قبول الله ما كان أساسه هذا الالتزام والإحساس بالقرب من الله ورقابته .

ولحكمة بالغة يقول الله تعالى — بعد ذكره شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان —

(١) البقرة : ١٨٤ — ١٨٦ .

(٢) الكهف : ١١٠ .

صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة
ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، فأى ذلك
في سبيل الله ... ؟ فقال : من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ،^(١) حتى
من كان ، في جهاده وعبادته ، يقصد الثواب
وحسن السمعة ، لا شيء له : عن أبي إمامة
قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم . فقال له : أرأيت رجلاً غزاً يلتبس
الأجر والذكر ماله ... ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لا شيء له ، فأعادها
ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا شيء له . ثم قال : إن الله
لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى
به وجهه ،^(٢) .

والصوم والعبادة أثر من آثار الإيمان .
والإيمان الحق — كالعبادة الحقة — لا بد
لها من الإخلاص عن النفاق والغرض
وسوء الخلق : الكذب والخلف والفتور
في الخصومة وغيرها .

يقول الغزالي : « وأما ارتباطه — أى
الإيمان — بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى
فقله صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن
فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم

حمد الله على ستره عليه حين وقفه لحير رآه
العباد عليه .

نعم . ثم يخاف عند ذلك من عمله الردى
وسريته القبيحة التي خفيت على الناس
ولم تخف على الله فأشفق من ذلك وخاف أن
تكون سريته أقبح من علانيته . فهكذا
يروى في الحديث : « السريرة إذا كانت أقبح
من العلانية فذلك الجور ، وإذا استوت
السريرة والعلانية فذلك العدل ، وإذا فضلت
السريرة على العلانية فذلك الفضل ، ثم يقول
أبو سعيد الخزاز : « فالواجب على العبد أن
يخفى عمله جهده حتى لا يطلع عليه إلا الله تعالى ،
فذلك أبلغ في رضا الله عز وجل وأعظم
في تضعيف الثواب وأقرب إلى السلامة
وأوهن لكيد العدو وأبعد من الآفات .
وروى عن سفيان الثوري ، رحمه الله أنه
قال : « ما أعبؤ بما يظهر من عمل ، ويروى
في الحديث : « إن عمل السر يفضل عمل
العلانية سبعين ضعفاً ،^(١) .

حتى الجهاد في سبيل الله ، لا بد له من
الإخلاص والتجرد من الرياء ومن كل شيء
يقصد ويراد ، سوى « سبيل الله » هذه :
عن أبي موسى قال : سئل رسول الله صلى الله

(١) رواه الجماعة .

(٢) رواه النسائي وأحمد .

(١) أبو سعيد الخزاز ، للتصوف ، « الطريق

إلى الله » ص : ١٨ — ١٩ .

عليه وسلم ، أجد بالخير من الریح المرسلة .
والله تعالى يقول : « لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيراً » .

وقد يجد بعض المؤمنين أنه ليس عندهم
فضل مال أو شيء يتصدقون به ويحسنوا ،
وهؤلاء أيضا يستطيعون أن يحسنوا
ويتصدقوا ولهم عند الله ثواب الحسن
المتصدق : دلم النبي الكريم على هذه الصدقة
المحمودة المقبولة حيث قال : « فراغك من
دلوك في دلو أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف
ونهيك عن المنكر صدقة ، وتبسمك في وجه
أخيك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك
والعظم عن طريق الناس لك صدقة ، وهدايتك
الرجل في أرض الضالة صدقة » (١) .

وهذه كلها صدقات سهلة يسيرة هينة
البذل ، يستطيعها من عنده من المال فضل
فتزيد من حسناته وأجره على ما يبذل من ماله .
ويستطيعها من ليس عنده فينال عنها أجر
المتصدق . ويزيد بها حياته وحياة الناس
سعادة ورواء وبهجة .

ولهذا البر وهذه الصدقة آداب بل شروط
أوجبها الله وأمر بها : « قول معروف خير
من صدقة يتبعها أذى » (٢) ، « يا أيها الذين

(١) أخرجه الترمذى ورواه البخارى في باب

الأدب المفرد .

(٢) ٢١٣ — البقرة .

أنه مؤمن : من إذا حدث كذب ، وإذا
وعد أخلف ، وإذا اتنم خان ، وإذا خاصم
لجره ، وفي بعض الروايات ، وإذا عاهد غدر .
وفي حديث أبي سعيد الخدرى : « القلوب
أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب
المؤمن ، وقلب مصفتح فيه إيمان ونفاق
فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء
العذب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها
القميح والصديد ، فأى المادتين غلب عليه
حكم له بها » .

وقال بعض العلماء : « أقرب الناس إلى
النفاق من يرى أنه برى من النفاق » .
والمؤمنون الصالحون يخافون النفاق
ويخشون أن يدخل نفوسهم ويندس إلى
قلوبهم فيحبط ما قدموا من عبادة .

سمع الحسن أن قوما يقولون إنهم لا يخافون
النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى
برى من النفاق أحب إلى من قلاع الأرض
ذهبا . ثم قال : إن من النفاق اختلاف اللسان
والقلب والسر والعلانية .

٢ — ورمضان موسم من مواسم البر
والصدقة . والصائمون يعرفون ويتلون الحديث
الشريف الذى يقول : « كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أجود الناس ، وأجود ما يكون
في رمضان » .

إذا جاء رمضان كان رسول الله صلى الله

وشرح بها شارح الجامع الصغير حيث يقول
إن البخاري « بدأ بهذا الحديث لتنبها على
تصحيح النية والإخلاص من كل أحد ،
من العالم والمتعلم » .

٣ - والعجب والغرور والخيلة مما يحبط
صالح العمل : « وهكذا روى عن أبي البرداء ،
رضي الله عنه ، أنه قال : (يا حبذا نوم
الأكياس وإفطارهم . . كيف غنموا سهر
الحق وصيامهم . ولشغال ذرته من صاحب
تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال
من أعمال المغترين) (١) .

إن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل
إزاره (٢) أي يرخي ثوبه إلى أسفل كعبه
اختيالا ، وعجبا .

فالعبادة إذ ذاك ليست بالقدر
والهيكلة . وليكنها بالكيفية والصفاء
والإخلاص .

في ذلك جاء الحديث الشريف : « عن أبي
هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله : فلانة
يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها ،
غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال : هي
في النار . قال : يا رسول الله : فإن فلانة ،
يذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها ،

آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذي
ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر ، فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه
وابل فزركه صلدا لا يقدرُونَ على شيء مما
كسبوا ، (١) .

فهذه آيات يبنيها حدادته فيها آداب الصدقة
المقبولة ، فيها من القوة والبيان والإيجاز ما
ينفي عن كل تفسير ، بل إن كل تفسير لها
هو أضعف منها وأقل أثرًا وقوة وبيانًا .
وإخفاء الصدقة من آداب البر التي أمر بها
الله : « إن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو
خير لكم ، (٢) .

وفي الحديث الشريف : « أفضل الصدقة
جهد المقل إلى فقير في سر ، (٣) وفيه أيضا :
« ثلاث من كنوز البر ، منها إخفاء الصدقة ، (٤)
ومن آيات الإنجيل : طوبى لمن لا تعرف
يمينه ما تقدم يسراه من الخير .

« إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان
خالصا محضا ، كما يقول الإمام الشوكاني . ولا مر
جليل واضح جعل الإمام البخاري مفتتح
أحاديثه في : « الجامع الصحيح » ، هذا الحديث
للشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما
لكل امرء ما نوى » ، وقد أدرك هذه الغاية

(١) ٢٦٤ - البقرة -

(٢) ٢٧١ : البقرة .

(٣) رواه أحمد وأبو داود .

(٤) رواه ابن عباس .

(١) أبو سعيد الخزاز : « الطريق إلى الله »

ص : ٥٣ .

(٢) شرح العزبي على الجامع الصغير .

د إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين (١) .

والذي يحس أثر هذا التوجه ، وهذا د الإسلام ، في كل ساعة ولحظة من نهاره وليله . ثم يجد من ذلك كله حاكاً ومهيئاً على سلوكه وضميره وعمله وخطرات نفسه وأحاسيس قلبه : عبادة وصفها الرسول الكريم إذ يقول : « إنما الصلاة تمكّن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم ، وتضع يديك فتقول : اللهم اللهم ، فمن يفعل فهو خداج (٢) » .

وهي التي يصفها الرسول الكريم في قوله : من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ، ويصفها القرآن الكريم في قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

هي صلاة رسول الله التي وصفها عائشة فقالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ، إنصرافاً بوجهه وقلبه وإحساسه كله لمن وجه له وجهه » .

و « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما يقول الحديث الشريف .

و « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » .

(١) : ٧٩ الأنعام .

(٢) نقصان من خدجت الذاقة أي ألفت ولدها قبل تمام أيامه .

وأنها تصدق بالآثار (١) ؟ ، الأنط (٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : هي في الجنة ، (٣) .

فعبارة هذه العبادة وأثرها في النفس وهيمتها على الضمير والسلوك هي القياس الصحيح لهذه العبادة : صلاة أوصيأما أو صدقة . العبادة السكاملة هي التي تجعل صاحبها كاملاً والتي يشعر مؤديها بأنه قد « أسلم » روحه ووجهه وحواسه لله حقاً : « فإن حاجوك فقل أسألت وجهي لله ومن اتبعن » (٤) . « وأمرت أن أسلم لرب العالمين » (٥) . « ومن يُسلم وجهه إلى الله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٦) .

العبادة السكاملة المقبولة المبرورة ، صوماً أو غيره ، هي التي يحس مؤديها ، بكل كيانه وفكره ، أنه قد وجه وجهه لله حقاً ، لا يشرك معه سواه ، ولا يخشى أو يرجو إلا إياه . هو الذي يقول - بقلبه ولسانه - :

(١) في النهاية من غريب الحديث والاثار : التور إناء من صفر أو حجارة قد يتوضى منه وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تصدق بالعمى القليل .

(٢) الأنط ، أو الإنط شيء ، يتخذ من اللبن الخيض : الإبل خاصة أو للفرس .

(٣) مسند أحمد : ص ٤٤٠ الجزء - ٢ .

(٤) ٢٠ : آل عمران .

(٥) ٦٦ : غافر .

(٦) ٢ : لقمان .

والعبادة التي يقبلها الله هي التي يتحرك بها القلب، وتخضع لها النفس، ويصفو منها الضمير، وينسى فيها المتعب كل ما في الدنيا من مال ومتاع وشيء. يقول الرسول الكريم: «من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وهي عبادة الخشوع والخضوع والاستسلام والتبذل التي يعرفها ويتعبد بها وينادب بأدبها: «عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما».

هـ — والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات، كما قلنا من قبل: «صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص». أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة. وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان، واليد والرجل، وسائر الجوارح عن الآثام. وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية،^(١).

هذه درجات ثلاث للعبادة والصوم. فاختر لنفسك ما ترضى. وضع صومك وعبادتك حيث تريد أن تضعهما من قبول الله.

محمود الشرفاوي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود، فقالوا: يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه، فقال صلى الله عليه وسلم: أرى على وجهه سقعة من الشيطان، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم، فقال النبي صلى وسلم: نشدتك الله هل حدث نفسك حين أشرف على القوم أنه ليس فيهم خير منك؟ فقال: اللهم نعم^(١).

وكان للنبي عليه السلام: صفوة الخلق وأطهرهم، يتوب إلى الله مستغفرا فيقول: «اللهم إني استغفرك لما علمت، وما لم أعلم، فقل له: أتخاف يا رسول الله؟ فقال: وما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء».

٤ - أما أهل التصوف، وهم الصفوة، فهم يخشون الفتنة من العبادة والمكانة ويخافون غرور النفس بذلك حتى يقول واحد من كبارهم هو سري السقطي: «لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور ناطبه كل طير منها فقال: السلام عليك يا ولي الله، فسكنت نفسه إلى ذلك، كان أسيرا في يديها».

(١) رواه أحمد والبخاري والدارقطني من حديث أنس

(١) الغزالي في الإحياء: ص ٣٨ الجزء ٣.

ترکستان ومكانتها في تاريخ الإسلام

للأستاذ م. روجي أوفور

- ٢ -

إليه وحثم على نشر العلوم والمعارف وقد أسس في غزني - التي كبرت واتسعت وازدهرت في عهده - أكبر جامعة للعلوم والفنون جمع فيها صفوة من نوابغ العلماء والفضلاء ومن بينهم الشاعر الفارسي الشهير صاحب الشاهنامة الفردوسي - وأبو القاسم أحمد بن حسن الميمندي ، وأبو الفتح البستي الذي كان كاتب سره ومستشاره ، وأبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي مؤرخ الدولة للغزنوية الكبير ، والفيلسوف الإسلامي الكبير أبو علي بن سينا ، وأبو الريحان البيروني صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وأبو سهل المسيحي وابن الخوار ، وأبو نصر العراق وغيرهم من مشاهير العلماء والفضلاء .

(عهد السلاجوقيين) - وقد كان لظهور السلاجوقيين أثر بارز في تاريخ التركستان فقد أسسوا فيها دولة مرموقة استمر سلطانها

أحرز الغزنويون مقاما مرموقا حيث أسسوا الدولة الغزنوية التي قاست في سنة ٥٤٥١ هـ إلى سنة ٥٨٢ هـ ومن أشهر رجال هذه الدولة بل من أشهر أعلام الإسلام فيها محمود سبكتكين الذي وطد ملكه ووسع فتوحاته في الهند إلى ما وراء كشمير والبنجاب ومنها إلى نهر الكنج حتى وصل إلى إقليم بكرات ، ومن الجانب الآخر استولى على بخارا وما وراء النهر ومنها تقدم إلى جورجيا غربا - وهو الذي حطم القسم الشهير سومنات في بكرات وقد عاش خلفاؤه في لاهور وخكوا فيها زهاء ١٥٠ سنة ويكفي أن نقبس ما قاله بارتولد في شأنهم - كان لعهد محمود الغزنوي أهمية كبرى في تاريخ الشرق كله حيث وصل نظام الحكومة الإسلامية في عهده إلى أرقى درجاته - وبالإضافة إلى ما اشتهر به محمود الغزنوي من فتوحاته فقد اشتهر بالعدل والنصفة وحب العلماء والمشائخ وتقريبهم

من سنة ٦٢٩ إلى سنة ٧٠٠ هـ وقد انصف
عهدهم بالازدهار العلمى والثماني وبرز من
بينهم علماء ومفسرون منهم نظام الملك
وزير ألب وابنه ملكشاه ، والمفكر
الإسلامى الكبير الإمام الغزالى وعمر الخيام
والحربرى صاحب المقامات . كما ظهر السعدى
وحافظ الشيرازى فى عهد أنا بكىة فارس التى
كانت من يقايا السلجوقيين الحسكام فيها
منذ سنة ١١٦٧ م وكذلك جلال الدين
الرومى الذى عاش فى قونية والذى كان يحظى
برعاية علاء الدين كيقباد الأمير السلجوقى
فى آسيا الصغرى .

(عهد الخوارزميين) وقد استطاع
الخوارزميون أن يؤسسوا إمبراطوريتهم
على أنقاض الإمبراطورية السلوقية - ولولا
ما أشغلهم من غزو المغول - ولو أن الحوادث
أمهلتهم لاستطاعوا أن يسيطروا على عاصمة
الخلافة وأن يتخذوا لأنفسهم ذلك المركز
الذى اتخذهُ البويهيون والسلاجقة من قبل -
غير أن الحوادث عاجلتهم وأفزعتهم المغول
فى حرب لم يعرفها المسلمون قبلهم .

ومع ذلك وفى غمار هذه الحرب الدامية
التي سادت الشطر الأكبر من حكمهم رأينا
كثيرين من الأدباء والشعراء والكتاب

يرزون فى عهود سلاطينهم المختلفة وبفضل
تشجيعهم للعلم والأدب نبغ كثيرون ممن
كتبوا باللغة الفارسية فى شتى النواحي من
بينهم زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن
الجرجاني الذى قصد خوارزم سنة ٥٠٦ هـ
والذى عاش هناك فى كنف الخوارزميين
ردحا طويلا من الزمن إلى أن توفى سنة ٥٣١ هـ
وله كتاب باسم ذخيرة خوارزمشاه وهو
من كتب الطب الشهيرة . ومن الكتاب
البارزين أيضا رشيد الدين محمد عبد الجليل
البياني الذى كان يلقب بالوطواط بسبب
قصر قامته وقبح منظره وكان شاعر البلاط
الخوارزمى وقد ألف كتابا اسمه حقائق
السحر فى دقائق الشعر وهو من أقدم المؤلفات
الفارسية المعروفة التى تعالج صناعة الشعر
وله كتب فى اللغة العربية أيضا ، وقد استمر
الوطواط فى خدمة الخوارزميين فى عهد كل
من السلاطين إيل أرسلان وابنه علاء الدين
تكش - وكان علاء الدين خوارزمشاه
وابنه جلال الدين منسكبرتى بهتان بالعالم
والأدب وبقلدان من يرزمن العلماء والأدباء
والشعراء بعض مناصب الدولة العامة -
ومن هؤلاء حمزة بن محمد الذى تقلد بعض
المناصب المختلفة فى الدولة رقد ولى حاكما

إصلاح ما أفسدوه ، واستغل المسلمون هذه الروح الطيبة منهم - على أن المسلمين لم يعدوا وسط موجات الاضطهاد أناسا يعطفون عليهم ويؤمنون بالإسلام . فاعتنق كورجوز حاكم فارس من قبل أوجتاي خان الإسلام في أواخر أيامه . وقد تم النصر الحقيقي للمسلمين باعتناق بوركه خان رئيس للقبيلة الذهبية للإسلام سنة ٦٥٤ ، ٦٦٦ هـ . وخاصة بعد أن تبعه السواد الأعظم من أتباعه بل يمكن القول بأن كل رجاله وجيشه كانوا من المسلمين ، وكان من أثر ذلك أن توطدت العلاقات بين بوركه خان والظاهر بيبرس في مصر بل تحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذي يتمثل في أسرة هلاكو .

وبمرور الزمن قوى نفوذ المسلمين حتى أن تكودار أحمد سنة ٦٨٠ - ٦٨٣ هـ اعتنق الإسلام وكان مسيحيا من قبل واسمه نقولا وكان يقوم بالدعوة إلى الإسلام الدين الجديد ويجزل العطايا والمنح وألقاب الشرف على رجال دولته لمن يعتنقه منهم وقد لجأ في دعوته للإسلام إلى طريق الترغيب دون إكراه أحد على الدخول فيه .

وعندما تولى غازان محمود سابع إيلخانات المغول في فارس الحسم ٦٠٤ هـ - ٧٠٣ هـ

على مدينة مساء وكان يجيد نظم الشعر العربي والفارسي ومنهم أفراد أسرة الجويني الذين عظم نفوذهم ووصل بعضهم إلى أرق مناصب الدولة في عهد علاء الدين خوارزمشاه وجلال الدين منكبرتي وقد حفل برعايته محمد النسوي الذي ألف كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي عن الدولة الخوارزمية .

ولم يقتصر تشجيع الخوارزم على رجال العلم والأدب فحسب بل أسسوا المدارس في مختلف المدن وعلى الخصوص الكبرى منها ، وعينوا فيها كبار العلماء والفقهاء والأدباء في الدولة للتدريس فيها ، ومنهم شهاب أبو سعد ابن عمران ، وكان من المتضلعين في أصول المذهب الشافعي وفي الطب واللغة أيضا وكان لعلو منزلته في الدولة أن عهد إليه بالتدريس في خمس مدارس بمدينة خوارزم وإليه يرجع الفضل في تأسيس دار الكتب فيها .

(عهد المغول وأثره في التاريخ الإسلامي)
ولقد كانت فترة غزو المغول على يد جنكيز خان في بلاد غربي آسيا فترة عانى فيها المسلمون الشيء الكثير من الخراب والتدمير وسفك الدماء - ثم جاءت بعد ذلك فترة أخذ المسلمون فيها يصلحون ما أفسده جنكيز خان وأعوانه كما بدأ المغول يكفرون عما ارتكبهوا فأولوا

كان منهم متصوفون طبعوا الشعر الذى خلفوه وراهم بروح التصوف العالية .

وما دمنا قد تطرقنا فى الحديث عن المغول بايجاز لا بد لنا من الاشارة إلى الأعمال العظيمة التى قام بها تيمور وأولو بك وشاهبرج ومحمد حسين بايقرا وغيرهم خصوصا الاشارة إلى ذلك الرجل العظيم ظهير الدين بابر مؤسس الامبراطورية المغولية التى ازدهرت فى الهند .

وقد تحدث مؤرخون كثيرون عن تيمور فوصفوه بأنه يشبه نابليون إلى حد كبير وقال عنه هارولد لامب إننا نجد قليلا فى التاريخ مثل تيمور ما عدا اسكندر المقدونى الذى استطاع أن يتوج غزواته بالفتح والنصر كما يرجو — بل كان تيمور نابليون آسيا وكان رجلا صلبا حديدي العزم قوى الإرادة لا نظير له وكان سر نجاحه فى قوة إرادته وصلابته فهو لم يتزعزع ولم يتراجع وكانت له جاذبية خاسنة فى السيطرة على رجاله وكانت له قدرة فائقة فى حل معضلات المسائل مهما تشعبت وكانت له قوة ذاكرة خارقة للحفظ حتى كانت أقل المسائل لا تغيب عن ذهنه وكان ينتهز كل فرصة لاستغلالها وقد استطاع أن يحشد جيوشا جرارة وأن يديرها ويمرنها أحسن تدريب وتمرين — ويختلف وجه

اعتنق الاسلام وجعله دين الدولة الرسمى — ومنذ ذلك الحين أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة فى دولة إيلخانات المغول فى فارس واختلاط المغول بالمسلمين فى الشرق قد أدى بطبيعة الحال إلى خلق جيل جديد من المغول والعرب نتج عنه تجديد فى الحياة العقلية والفكرية والثقافية وبرز علماء تسنموا الذروة ومن أشهرهم فى عهد هولاكو نصير الدين الطوسى الذى امتاز بأبحاثه فى علم الفلك وقد شجعه المغول فأسسوا له مرصدا كبيرا فى مدينة فراغة وسمى ذلك المرصد باسم مرصد الإيلخانية ، ومنهم أميرة الجوينى الذين أسبغوا عليهم عطفهم وعطايهم الجزيلة وكان لهذه الأسرة قصب السبق فى نشر العلوم والمعارف ، ومن نبغ منهم علاء الدين عطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهان كشائى كوينى الذى تعمق فيه بالبحث عن تاريخ المغول منذ نشأتهم حتى سنة ٦٦٦ هـ أى إلى عهد منجو خان . ومن المؤلفين الذين ظهروا فى عهد مغول فارس أيضا رشيد الدين فضل الله الهمذانى وكان من المقربين إلى كل من أباخان وغازان وأرجاينوا ويرجع نشر اللغة الفارسية فى بلاد الهند وآسيا وجعلها لغة البلاط المغولى فى الهند إلى العلماء والأدباء والشعراء الذين هاجروا إلى هذه البلاد . وقد

حسين بايقرا نفسه شاعرا يحب العلم والعلماء ويشجعهم وديوانه يقرأ ويعتز به في بلاط الملك حسين أرغون في السند وغيرها من بلاد شبه القارة الهندية الباكستانية .

أما بابر الامبراطور العظيم فإن أعماله لا تحتاج إلى الإشادة والتبجيل — ونكتفي بالقول بأنه بدأ حياته مهاجرا من وطنه تركستان فقيرا لا يلوى على شيء ولا يحمل معه سوى همته العالية وإرادته الصلبة القوية فجاء إلى الهند فاتحها ظافرا فأسس إمبراطورية المغول الإسلامية العظيمة ووضع أسسها وأحكم دعائم بنائها قبل سنة ٧٦٨ هـ والتي ظلت قائمة إلى القرن الثامن عشر الميلادي والتي انتهت بمأساة نفي آخر أباطرة المغول بهادر شاه ظفر . غير أن الإسلام الذي وطدت أركانه في هذه البلاد العريقة أبي إلا أن يستعيد مجده بظهور دولة باكستان العظيمة التي ترنم بها شاعر الإسلام لإقبال والتي تم تأسيسها على يد القائد الأعظم محمد علي جناح والتي يقود زعامتها ويدير دفة سفيتها بحكمة ومهارة الآن إلى شاطئ الأمن والسلامة الرئيس المهتم محمد أيوب خان .

منقول عن مجلة العرب الهندية .

الشبه بينه وبين نابليون في شيء واحد هو أن نابليون انتهت به عظيمته في سانت هيلانة منهوك القوى محطم الأعصاب بينامات تيمور وهو زاحف بجيشه الجرار على الصين ولم يعرف الهزيمة قط ، وتحدث عنه سير برسي سالكس - فقال إننا لا نجد في أدوار التاريخ فاتحا أنجز أعمالا عظيمة بالسيف ونال مقاما ممتازا كتيمور .

وقد ازدهرت سمرقند في عهد تيمور كما ازدهرت هرات في عهد شاهبرج وحسين بايقرا وغيرهما من آل تيمور — وكانت بخارى مركزا من مراكز النشاط العلمي والثقافي والأدبي والفني واتصل هذا النشاط عن طريق العلماء والأدباء والشعراء والفنانين ببلاط بابر وأكبر وشاهجهان في دهلي وبلاط الأرغونيين والقرغانيين والترغانيين والتابوريين في تاتقته بالسند وغيرها من مراكز النشاط العلمي والثقافي ، وكان بمن برز في ذلك العهد كمال بهزاد الرسام المعروف وخاتم الشعراء مولانا حامى والشاعر التركي المعروف أمير علي شيرنواي وزير حسين بايقرا وغيرهم . فقد كانوا أشهر من رجال العلم والأدب في ذلك العصر الذهبي وكان

من معانى القرآن

وقل الله خالق كل شيء وهو الواحد
القهار ، أنزل من السماء ماء فسالت أودية
بقدورها فاحتمل السيل زبدا رابيا وبما
يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع
زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل
فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال .
الأودية جمع واد وهو الموضع الذي
يسيل فيه الماء بكثرة .
والزبد بفتح الباء هو الرغوة التي تطفو
فوق سطح الماء .
وضرب الأمثال صنعها لتشبيه حال بحال .
البقاء لم يصح :

الله الذي خلق كل شيء ، الواحد الذي
لا شريك له في الملك والخلق والحكم . القهار
الذي يخضع له كل شيء طوعا أو كرها ،
أنزل من السحاب ماء ، وخلق في الأرض
معادن ، وجعل من الماء حياة الإنسان
والحيوان والنبات ، ومن المعادن أدوات
انتفاع ودفاع ومتاع ، وقد تكفل سبحانه
بنصرة الحق وأهله وجعل مثله الماء الذي
ينزله من السماء بمقدار ما ينفع الناس وتسعه
الأودية فتجري به الأنهار وتتفجر به العيون

والآبار ، والمعادن التي تصهر بالنار لتخلص
من خبثها ومن المواد الغريبة عنها ، وجعل
مثل الباطل الزبد الذي يطفو فوق سطح الماء
وعلى وجه السوائل المنصهرة من المعادن ،
فكما أن الماء يبقى في الأنهار والآبار ويبقى
أثره أو يمتد وجوده فيما نرى من أشجار
وثمار وسائر مظاهر الحياة في الإنسان
والحيوان ، وكما أن المعادن تبقى وينتفع بها
الناس أدوات الزينة أو أدوات أخرى
كالأواني للبتاع ، أو أدوات الدفاع كالسيوف
والدرع والمدافع ، كذلك الحق وأهله ،
يبقى ويبقى أهله مصدرا للخير والنفع العام .
أما الباطل فإنه كالزبد يحقوه السيل ويرى به
فلا يبقى ولا ينفع . بل يذهب كالهباء
في الهواء ، وهذا المثل الذي ضربه الله للحق
والباطل تفسير لحقيقة الحق والباطل ، فإن
معنى الحق كما ذكرنا أو أشرنا لا يكاد يخرج
هن معنى الثبوت والخير والاستمرار ، أما
الباطل فمعناه مالا فائدة منه ولا خير فيه .
ولا دوام له ، وصدق الله إذ يقول ، بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
زاهق ، نسأل الله أن يرينا الحق حقا فنبتعه
والباطل باطلا فنجتنبه .

الباحثون عن الحور في رأى الغزالي :

الغزالي والمتكلمون

للدكتور عبد الحليم محمود

ومن أجل ذلك أخذ بعض المفكرين يتهمون على بعض دارسى الفلسفة فى العصر الحديث ؛ لأنهم يشغلون أنفسهم بالوسيلة عن الغاية . أى يشغلون أنفسهم بنظرية المعرفة ولا يلقون بأنفسهم فى خضم المعرفة نفسها يرثفون منه وينهلون ...

— ٢ —

وشغلت نظرية المعرفة الإمام الغزالي ، لقد فكر فى وسائل المعرفة ودرسها ، وانتقدها ، وسواء كانت الوسيلة : هى الحس ؟ أو هى العقل ، فإنه قد ركلا حق تقديره ووضع فى مكانه المناسب له . وسنتحدث عن ذلك حينما نتحدث عن موقفه من الفلسفة .

وشغل نفسه بنظرية المعرفة من حيث الاتجاهات والطرق والسبل التى سارت فيها طوائف مختلفة من الباحثين فوصلوا إلى نتائج مختلفة تنفق أحياناً وتختلف وتتعارض فى كثير من الأحيان .

يحتل البحث فى نظرية المعرفة مكاناً كبيراً فى العصر الحاضر ، حتى لقد رأى بعض المفكرين أن نظرية المعرفة إنما هى نصف الفلسفة

ولأنه لمن الطبيعى أن يبحث الإنسان فى الوسائل التى تؤدى به إلى الهدف الذى يريده ، ومن هنا كانت أهمية نظرية المعرفة فى الفلسفة الحديثة .

بيد أن البحث فى هذا الجانب أصبح فى العصر الحاضر كأنه هدف لا وسيلة ، فأصبحت نظرية المعرفة تدرس لنفسها ، كأنها جزء من الفلسفة .

ومن الواضح أنه من الانحراف عن الطريق الفلسفى المستقيم أن يوجد لـإنسان يستمر طيلة حياته يبحث فى نظرية المعرفة من جميع أطرافها وتقتصر على ذلك فلا يتخطاه إلى المعرفة نفسها ، ومع ذلك يطلق عليه الباحثون لقب « فيلسوف » .

وعلم الكلام ، الذى كان على عهد الإمام الغزالى ، هو علم الكلام الذى ندرسه الآن ، فإذا تحدث الإمام الغزالى عنه فليس ذلك الحديث مختصاً بالفترة التى عاش فيها الإمام الغزالى ، وإنما هو عام يصل إلى العصر الحاضر ، وإلى هذا النهج من الدراسة الموجودة فى كتب علم الكلام المتداولة الآن . وإذا تحدث عنه الإمام الغزالى فإنما يتحدث حديث الواثق الخبير ، فقد حصل وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ما أراد الله أن يصنف ، ثم كان له فى النهاية رأيه الشخصى .

وهذا رأى الشخصى رأى جرىء حاسم يتفق حقيقة مع الوضع الإسلامى الصحيح ، ولكن الظروف أوجدت الإمام الغزالى فى بيئة كان لعلم الكلام فيها - على ما هو عليه - قداسته واحترامه ، فحاول الإمام الغزالى أن يعلن رأيه على أساليب مختلفة وعلى أنماط متعددة منها المجامل الرقيق الذى لا يرضى كل الرضا ولكنه يتساع فى أسلوبه ويحامل فى تعبيراته ويعطف ويشفق ومع ذلك يقبى فى وضوح أن الوضع خطأ ، وفى أحيان أخرى تضيق نفسه بالوضع الخاطى فيغضب ويثور ويحسم الأمر فى أسلوب قوى ، وفى حدة ، ما كان الإنسان يتوقعها من صاحب الاقتصاد فى الاعتقاد .

وبدأ بحثه فى هذا الجانب بحصر الطالبين للحق السالكين سبيله سواء كانوا سائرين على الطريق الصحيح أو متكبين سواء الصراط .

فوجدهم لا يعدون أربع فرق :

١ - المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل رأى والنظر .

٢ - الباطنية : وهم يزعمون أنهم أصحاب التلميم ، والمختصون بالاعتباس من الإمام المعصوم .

٣ - الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

٤ - الصوفية : ويدعون هم أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة (١) وهذا الحصر ، للسالكين سبيل طلب الحق ، أوسع مما تبحث فيه الفلسفة الحديثة . إذ الفلسفة الحديثة تهمل إهمالاً يكاد يكون تاماً طريقة المتكلمين ، وتهمل أيضاً إهمالاً يكاد يكون تاماً هؤلاء الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم ومن المختصين بالاعتباس من الإمام المعصوم .

ويبدأ الإمام الغزالى ، بعد هذا الحصر ، بالبحث فى عمق فى هذه الطرق واستقصاء ما عندها مبتدأ بعلم الكلام .

(١) المنقذ من الضلال .

أما إذا تساءلت عن إيمان المتكلمين فإن إيمانهم ومزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام (١) .

ويرى الإمام الغزالي أن جميع أهل الحديث من السلف، ذهبوا إلى تحريم الكلام، وإلى التجريم أيضا، ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان .

وسنكتفي هنا بذكر رأى الإمام الشافعي ورأى الإمام أحمد بن حنبل بحسب رواية حجة الإسلام :

« قال ابن عبد الأعلى رحمه الله : سمعت الشافعي رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المغزلة يقول : لأن يلتقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء . من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضا : قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام .

وحكى الكرايىسى أن الشافعي رضى الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل هن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله . ولما مرض الشافعي رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد ، فقال له من أنا فقال :

ومن أجل أن يكون رأى الغزالي مقنعا ، ومن أجل أن يأخذ رأيه المكانة التى يريدتها والذئوع والانتشار الذى يطمح إليه أخذ يستشهد بأداء أئمة السلف فى علم الكلام كالإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد ابن حنبل وغيرهم من السلف الصالح الذين تؤمن بسعة علمهم وبإخلاصهم وباتباعهم للفتح الدينى الصحيح .

والآن نذكر رأيه فى صورته الحاسمة : إنه يتحدث عن الكلام فى كتابه النفس وإحياء علوم الدين ، فيقول : « وأما منفعة فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هى عليه ، وهيات ، فليس فى الكلام وفاء لهذا المطلب الشريف . ولعل التخييط والتفصيل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، هذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا ، فاسمع هذا من خبر الكلام ثم فلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود (٢) . ويرى الإمام أن المتكلم لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما .

وقال له ويحك ! ! ألسنت تحكي بدعتهم أولا
ثم ترد عليهم ! ألسنت تحمل الناس بتصنيفك
على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات
فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث (١)
وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة (٢)
هذا الاتجاه الذي سار فيه الإمام الغزالي
إنما هو اتجاه الصوفية على وجه العموم وهو
فيما نرى الرأي الصحيح الذي انتهى إليه
الإمام الغزالي بعد تجربة محصنة وخبرة واعية .
وستحدث عن رأيه في الفلسفة في مقال
تال إن شاء الله وبالله التوفيق .

الركنور عبد الحليم محمود

رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

- (١) كان كتاب الحارث المحاسبي الذي يتحدث
عنه الإمام أحمد بن حنبل : في الرد على المذلة .
(٢) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول .

حفص الفرد : لا حفظك الله ولا رعاك حتى
تتوب بما أنت فيه .
وقال أيضاً : لو علم الناس ما في الكلام
من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد .
وقال أيضاً : إذا سمعت الرجل يقول :
الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه
من أهل الكلام ولا دين له .
قال الزعفراني قال الشافعي : حكي
في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجرید ،
ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال :
هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ
في الكلام .

وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب
الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر
في الكلام إلا وفي قلبه دغل . وبالع في ذمه
حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه
بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة ،

اللغة العربية

عقمت فلم أجزع لقول عداق
وما ضقت عن آي به وعظات
وتنسيق أسماء المختبرات
فهل سألوا الغواص عن صدقاني
من قصيدة لحافظ إبراهيم

رموني بعقم في الشباب وليتني
وسعت كتابي الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
أنا البحر في أحشائه الدركا من

الاشتراكية فضيلة إنسانية

للأستاذ محمد سعد جلال

التي تهدف إليها الفكرة الاشتراكية ... أليست هي خدمة البشرية وتخليص البشر من ويلاتهم وآلامهم ، والترويج على نفوسهم الظمأى المتناظية بوهج الحرمان والتعاسة والسخط ... نعم . فلم تكن الاشتراكية إذن في جوهرها وصميمها إلا خدمة إنسانية وما كانت تلك الأفواج من المرسلين والأنبياء والربانيين من سائر الأمم لا لتخدم غرضا إنسانيا أصيلا .

نستطيع أن نقول أن الفكرة الاشتراكية منطق إنساني ، أى وضع من أوضاع التعايش ، تقتضيه في مرتبة من مراتب الكمال طبيعة الوجود الإنساني وأن هذا الوجود الإنساني لا يبدو في صورة ارتقائه وكمال ، وقدرته على تحقيق ذاته العليا - إلا في وضع اشتراكي - لماذا ؟ لأن هذا الوضع الاشتراكي سيعطى الفرصة لجميع عناصر القوة والعمل في هذا المجتمع أن تجود بكل طاقاتها ، وأن تستثير كل ملامكتها للخدمة السكينة والتساند المطلق على إنهاض المجموع في كل أركانه وفي كل نفاعلاته وفي كل صورده لماذا ؟ مرة ثانية .

لأن انعدام الاشتراكية في صورتها التطبيقية المنفذة ، يفضي دائما - إلى طغيان

في كل عصور التاريخ تقريبا كانت الفكرة الاشتراكية هداية التجربة الإنسانية إلى أصلح النظم وأكثرها سدادا ، وأقربها إلى طبائع الأشياء في علاقات الناس بعضهم مع بعض ، كما كانت هذه الفكرة الأصلية ذاتها . رسالة جميع الأنبياء الذين يتنزل عليهم الوحي من لدن رب العالمين ، وأيضا رسالة أصحاب المذاهب الدينية والروحية الذين يعتبرون في عداد الربانيين والمهامين في أثناء دراسة تاريخ المجتمع الإنساني على صورة واسعة وأسلوب فاحص ، خلو عصر من العصور ، عن إنسان عظيم كان يدعو الناس لتحقيق الفكرة الاشتراكية في أسلوب حياتهم ، وأمور معاشهم سواء أسميت هذه الفكرة باسمها الذي نداول استعماله اليوم أو باسم آخر أو كانت سلوكا واقعا لم يتخذ له اسما معينا ، ماذا كان سلوك بوذا وكنفشيوس ... ثم ماذا كان سلوك ودعوة جميع الأدياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم - ألم تكن كل هذه الأنماط من السلوك ، وكل تلك الدعوات تنطوي في مضمونها على معنى الاشتراكية وفكرتها ، والأغراض التي تهدف إليها مآلى الأغراض

كلا ، ليس الإنسان هو ذلك الطاغى بماله ولا هو ذلك الملتصق بتراب الأرض عجزاً ودلاً . ولكنّه الإنسان المتوسط بينهما - هو الإنسان الاشتراكي . قال تعالى ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، . والمراد بالوسط هنا الوسط في الاعتقاد والاقتصاد . وقد ينظر بعض الناس إلى موضوع الاشتراكية فيقوم أن الأمر في تقريرها يرجع إلى أهمية المال في حد ذاته - وهو نظر قاصر فإن حقيقة الأمر في موضوع الاشتراكية - إنما هو القصد إلى تحقيق الكرامة الإنسانية .

لأن المال - وهو من أكبر عوامل الحركة والتأثير في شؤون الحياة - ترتبط به قيم كثيرة في نظر الناس : قد يكون سبباً لسلب الفقراء الحقوق الإنسانية المتعلقة بالكرامة والشرف وحرية الاعتقاد ، والعمل .

وفي المجال الاشتراكي والنظام الاشتراكي الذي لا ينحاز فيه المال لجانب واحد تتساوى قوى الأفراد ، أو تتقارب ، فلا يعلم أحد على أحد ، أو يعدو على كرامته ، أو يظلمه في حق من حقوقه ، أو يمنع حريته التي يتصرف . وهكذا نبذوا الاشتراكية كرامة إنسانية أكثر منها حظاً مالياً ، وخلقا مادياً .

محمد سعيد جمال

وأس المال ، وإلى احتكار الفرص الاقتصادية والعلمية ، بل الصحية ، وبجالات النفوذ والحركة للأقلية القليلة من أبناء كل أمة ، فيترتب على ذلك طوفان ممتد من قتل المواهب الإنسانية وتعطيل ملكات الإثمار والإنتاج في مجالات العمل التقدمي ، والسعي الناقد لحركات الدفع الإنساني - لدى الأكثريات الكاثرة من أبناء الشعوب ، وجماهير الأمم . هناك فضائل تنسب إلى الأفراد مثل فضيلة الشجاعة ، والسخاء ، ويقولون إن الفضيلة حينئذ ما كانت وسطاً بين رذيلتين ، فالشجاعة وسط بين الجبن ، والتهور ، والسخاء وسط بين البخل والإسراف ، فإذا صحت هذه الفلسفة فيأني أرى أن هنالك فضائل لا تنسب للأفراد ، بل تنسب للإنسانية عامة . للكيان الإنساني نفسه ، وأظهر هذه الفضائل فيما أعتقد ، الاشتراكية ، فالاشتراكية هي فضيلة الإنسانية ، وهي حد وسط بين الغنى المفرط والفقير المدقع . ذلك أن الغنى المفرط يجر أصحابه إلى الطغيان ويغريهم بفعل القبائح وارتكاب المظالم ، قال تعالى ، إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، ثم وصف الفقراء بمثل قوله : ، مسكيناً ذامياً ، أي إنساناً معدماً قد لصق من شدة فقره بالتراب عجزاً وهواناً ، فإنه قيمة إنسانية من حيث الوجود والعمل ، أو أداء الرسالة لمثل هذا العاجز الملتصق بتراب الأرض مذلة وهواناً .

عناصر التأشير في خطابة الرسول

للأستاذ محمد رجب البيومي

الفكري صادق مخلص ، بقدس الحقائق اليقينية ، ويحترم هائب العقل فلا يميل إلى خلاصة زائفة ، أو قعقة مدوية ، بل يصل إلى الحق من طريق المنطق السديد ، ثم يقتصر عليه ، فلا يهيم في كل واد مع الخيال المضلل ، والشاخص المغرور ، وإذا ذاك يصيب الهدف من نفس سامعه ، ويصرفه إلى التفكير الجدي فيما قال ، وأنت ترى في بعض الآثار المتواترة ، أن الرسول كان يرحب بالشعر الجيد ، ويعجب به ، فيهدف بحسان « قل وروح القدس معك ، ويتحدث عن القرير فيقول « إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة » وقد يظن بعض الناس شيئا من التعارض الموهوم بين الترحيب المدافع ، وما تقر من أنه لم يعلم الشعر وما ينبغي له ، والحق أن جميع ما استحسنته الرسول من أقوال الشعراء كحسان وليبد وعذرة مما يتفق مع طريقته في إثبات الصدق المخلص والتركيب السهل ، والإيجاز المحدد ، وهذه الثلاثة أوضح عناصر خطابه ، وأدنى لنفع السامع وتسديده وأدعى لتأمله الباحث من كل قصيد مطيل . وإذا كانت الخطابة ملكة فطرية في نفس

تقرأ قول الله عز وجل عن محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » .

ثم تقرأ قوله تعالى في سورة أخرى « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، فتعرف من الآية الثانية تعليل الآية الأولى ، إذ أن الرسول لا يقول الشعر لأن أكثر قائله لا ياتزمون الصدق المخلص بل يهيمون في أودية الكلام كما نبيحهم لهم طبا نعم المناشزة ، وأخرى بهم أن تكون أشعارهم صادقة الرأي ، صافية المنبع ، عادلة الميزان .

والخطابة ملكة كالشعر ، وصاحبها إنسان موهوب يجتمع له القوم ، فيفيض على عقولهم وقلوبهم بما يتفق الظمأ ، ويرد الصدر ، وإن يبلغ مبلغ الخطيب المؤثر غير إنسان بعيد النظر ، رصين العبارة ، كثير التجربة ، صادق الإحساس ، وقد كان رسول الله خطيبا موهوبا دون نزاع ، ولو أردنا أن نرجع بتوقيفه الخطابي إلى علة واضحة ، فإننا نجد فيها صرفه الله عنه من قول الشعر ، فهو في بيانه

والفصاحة ، فهو يرسل القول البليغ طبعيا سمحا ، كما ترسل الزهرة العطر ، والقمر الضوء ، وهو بعد ذو أصالة تميزه فلا يختلط قوله بقول ، أو يشبهه اتجاهه باتجاه .

وسنلم هنا بعض الإلمام بعناصر التأثير في بيانه الخطابى الشريف ، وقد تحدث عنها مؤلفو الأدب والتمتد حديث المعارف البصير ، وإن يكون حديث اليوم تكرارا لما سبق من القول . ولكننا نأمل أن نضيف بعض الجديد في تفسير رأى ، أو تأييد حجة أو مناقشة افتراض .

قال الجاحظ عن بيان رسول الله (١) ولم تسقط له حجة ، ولا زلت له قدم ، ولم يقم له خصم ، بل يبرز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا ينجح إلا بالصدق ، ولا يطلب التفاج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواردية ، وهذه الصفات الموهوبة لا تتيسر لكل خطيب يحدث الناس ، ولكننا ممكنة معقولة من يتحدث عن القضايا العادلة ، ومن يلزم جانب الحق فيما يقول ، فالشرط الجوهرى لنجاحها الكاسح ، أن يكون صاحبها صادقا بينه وبين نفسه ، قد فكر في موضوعه تفكير المنعقل المأمل ، ثم اعتقده عن يقين لا يقبل الشك ، حتى إذا سرى منه

الخطيب ، فإن دواعيها الختمية قد اكتملت لرسول الله مع إحساسه النافذ واستشفافه البعيد ، وإلهامه الصائب قد نشأ بين قوم لا يتباهون بغير الكلام ، وقد جعل الله أبوته في بنى هاشم وخؤولته في بنى زهرة ، ونشأه في قريش مما يضئ بيانه ، ويشحن عبقريته ، فنظر على الفصاحة المؤثرة ، والمنطق الجميل ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يعتمد الخطابة تمعدا ، ولم يسع إليها سعيا لتسلس إليه قيادها . بعد اعتمال ، وإنما جرت في عروقه النابضة كما يجرى الماء في فروع الدوحة المزهرة ، فإذا نطق فمن طبع أصيل ، وإذا خطب فمن رغبة واقتدار .

نقرأ في تاريخ بعض الخطباء كديموستين مثلا ، أنه لم يكن في مطلع حياته ذا بيان وإفصاح ، وإن رزق الرغبة الحارة في التفوق الخطابى والإبداع البيانى ، فكان يسعى في صباه وصدر من شبابه إلى البحار الواسعة الممتدة ثم يرسل لسانه بما يسعفه من القول منفردا بنفسه ، مختلط صدى حديثه بدمدمة الريح وهدير الموج ، ثم يواظب على هذا المران الجاهد حتى تستجيب له الخطابة بعد تلكؤ ، وينطلق لسانه بعد حبيسة ، ويصبح خطيبا مصقعا ، ١١ اثن صح ما رواه الناس عن ديموستين فإن بلاغته المكتسبة لا يمكن أن تقاس ببلاغة بنى موهوب ، فطر على الجودة

مسرى الدم في الجسم ، هتف به على الناس فأتى الخضم بما يعرف الخضم ونال بالإيجاز ما لا ينال المسهب المكشور ، وأحنج بالصدق فطلب الفلج بالحق . فإذا رزق وراء ذلك فصاحة اللسان ، وثبات القلب . فقد أصبح مثاليا تتطلبه المنابر العالية فلا تكاد تعثر عليه في غير النادر من القرون المتلاحقة ، ثم هي إذا رأته حرصت على تخليده وتمجيده وفرضت شخصيته على الأجيال . لقد تحدث المتحدثون عن شيشرون الخطيب الروماني فذكروا أن سر نجاحه العبقري تمسكه بالصدق في مجادلة خصومه ، واعتقاده الصائب فيما يقول ، مع جرأة في القلب ، وثقة بالنجاح ، فإذا كان شيشرون يبلغ الذروة الخطابية لأنه يعتمد الحق في نصرة فريق على فريق بمجلس الشيوخ الروماني : فما ظنك — وللرسول المثل الأهل — بخطيب أرسله الله بالحق الصريح ليخرج الناس إلى النور من الظلمات ، وكان من الثبات والرسوخ بحيث قال لعمه : لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ؛ إن اعتقادا صادقا كهذا الاعتقاد يلزم صاحبه إلزاما أن يحتج بالصدق ، ولا يطلب الفالج إلا بالحق كما قال الجاحظ عن قريب .

الخطب الطوال بالكلام القصير ، إذ أن الإيجاز العربي في بلاغته المعجز وليد ذهن ثاقب يستعرض حشودا من المعاني ، ليخلصهما في عبارة محدودة ، تكون من جوامع الكلم ، وشوارد المثل ، فهي عصارة مركزة لمادة دسمة تضم من أسباب القوة ما يتيح لها التغلب والنفوذ ، وهنا كان الأديب الموجز أعرق في البلاغة من غيره ، لأن الثاني يدون خواطره كما تجي ، أما الأول فيقف وراء هذه المعاني المثالة يطالع وجوهها ، ويتأمل منازعها ، ثم يأتي بفحواها الشامل في جملة تصيب المحز ، وتطبق المفصل ، . . وأذكر أن بعض البلغاء من أساطين الأدب أرسل خطابا مسهبا في بعض أموره ، ولم يفته أن يعتذر في نهايته عن الإطناب كأثر ملحوظ إذ لا وقت لديه يتسع للإيجاز ، وإن يقدّر هذا الاعتذار الصادق غير من تمرس بأساليب البيان فعرف مضايق الإيجاز ومزلق الإيجاز ، وقد فطن أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات إلى روعة الإيجاز في البلاغة العربية فقال متحدثا عن بيان محمد ، والإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول ، لأن الإيجاز قوة في التعبير ، وامتلأ في اللفظ وشدة في التماسك ، وهذه صفات متلازم قوة العقل وقوة الروح ، وقوة الشعور ، وهذه القوى كلها على أكمل

ولنا وقفة عند إيجاز الرسول حين يبرز

بعد العصر فما زال يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حُمْرة فوق أطراف السعف :
ولسنا نجد من يخبرنا عن موضوع خطبته تلك ، لنعرف الدافع الذي حدا بمحمد إلى تجنب الإيجاز ؛ ومن يدري لعل الله قد شاء له أن يُطيل - لا شعورياً - في موقف كهذا ليعلم الجسدة من أعدائه أنه يملك أزمة البيان ، وأن إشارته الإيجاز ترجيح شديد للجادة المثل من طرق الحديث ، وإذا كان لكل مقام مقال فإن مقال الإيجاز يستدعي من الخبرة النفسية ، والثنافية المهمة ذخيرة وافية ، فقد تحين المناسبة المرتقبة ، وتفتح نوافذ القول من كل ناحية ، ويظن المستمعون أن مجال القول ذو سعة ، ثم يقف الخطيب فيوجز إيجازاً لا مجال بعده لإطناب وتهويل ، ويترك النفوس ذاهلة لا تدري كيف استطاعت الكلمة الواحدة أن تفعل ما لا يفعله حديث لليوم الطويل ، فتخلق جواً من التأمل والعبرة والحيرة ، يمتد أياماً طويلة دون أن ينقطع فيضه أو يغيب صده ، وهذا رسول الله يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم ، فيقتحم هريناً يجمع أعداءه ، وذوى الحفيظة من منافريه ، وتخفق راية النصر على جيشه الظافر السباق وتطلع العيون الكافرة دامعة مغيظة ، ترتقب أن يدهمها الجزء الرادع دون إبطاء ،

ما نكون في الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه (١) ،
ونحن نعلم أن أصحاب الدعوات الجديدة في حاجة ماسة إلى تكرار القول وترديده ، والخروج به من نطاق الدقة والإيجاز إلى مجال الإسهاب والتطويل ، لنرسخ مبادئهم في الأذهان ، وتصل تعاليمهم إلى القلوب ، فالإيجاز لديهم في ظاهر الأمر لا يصل بهم إلى هدف منشود !! نعلم ذلك ولا نستغربه من قادة الرأي ، ورواد الإصلاح في عصرنا الحديث ، ولكننا بالنسبة إلى عصر النبوة ، في قوم بلاغتهم الإيجاز أمر غير مستغرب ، أضف إلى ذلك أن الأطناب مدعاة قرينة لاختلاف الفهم ، واقتراق الرأي ، فكلما تشقق الحديث وتشعب كثرت حوله الآراء ، وانفجرت زوايا النقاش ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حريص على أن تجتمع أمته على أمر واحد ، فهو يبالغها بالحكم الموجز ، ثم يعلن على الملأ أنه يكره الثثرة والتفنيق ويقول في بعض أحاديثه : « إن أفضكم إلى » ، وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون .

وقد يقتضى الأمر لمناسبة عارضة أن يفيض في القول فلا يتأخر ، ولذلك روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله قد خطب ذات يوم

ولم تأت هذه الخبرة النافذة ارتجالاً في موقف عابر ، ولكنها وليدة نفس فسيحة الجوانب متسعة الآماد ، قطعت أشواطاً متناهية في التحليل والتعليل ، والترجيح والتفسير حتى استقرت في حياتها الهادية على فلسفة صادقة تؤمن بمسكارم الأخلاق وترى الحلم سيد الفضائل فهمي تأمر بالعفو ، وتعرض هن الجاهلين ، وفي اعتقادي أن فترات العزلة الساكنة التي نخلت حياة محمد كانت ذات أثر في دراسته الصامتة ، وإحاطته الشاملة بالمطامير الخافية والمهاوى السحيقة في أعرق أهوار الوجود ، فجاءت خطابه تطبيقاً واعياً لما اهتدى إليه من كشف نفسى دقيق ! وهذا الكشف الباهر الذي تجلى ساطعاً في خطابه الأول حين أراد أن يجهر بدعوة الله ! إنه لم يعد خطبة منمقة الإيجاع كأرباب الكهان ، ولكنه يجعل الإيجاز الدقيق مطية الإقناع العاقل ، فيقف على الصفا . ويجمع الملامح قريش ، ثم يفاجئهم بهذا السؤال في هدوء : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ فتصايح الشفاء : نعم ماجربنا عليك كذباً ؟ فيطعن السائل إلى هذا الاعتراف الصريح والشهادة المنصفة ، ويلجأ إلى المنطق المستقيم بعيداً عن الثروة والتشويق فيقول : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس

ويقف الخليل القائد فلا يشك أحد في أنه سيتعرض إلى تاريخه مع أعدائه متشغياً ثائراً وسيعمد دماً من الله عليه به من فوز سباق ، ثم يحيل بالتهديد والوعيد إلى قوم أخرجه من وطنه ، وآذوه في دعوته ، وناصبوه الحرب في مغزبه ! يا الله : كم ينظر السامع من محمد في مثل هذا اليوم الأغر ! إنه ليقف والابصار خاشعة والرقاب منحنية فيسأل في هدوء الحلم : يا معشر قريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فيجيبون بالسنة المشفقة : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فيغوه بخطبته الموجزة التي لا تخرج عن جملة قسمة : لإذهبوا فأنتم الطلقاء !! ما هذا السحر الرائع تنبعث به حروف معدودة فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة ! كم يستشعر الطليق في ذات نفسه قدم الخجل ، وفي وجهه عرق الخزي ، وفي حلقه مرارة الأسف ، وكم من الساعات والأيام سيظل مردداً صدى هذه الكلمة في أعماقه ، واصفاً عمق تأثيرها في كيانه ، مستحياً أن تعود به الذكرى إلى عهد سلف ، وباطل أدبر ، !! أرايت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس ، فيه يكون مثلاً شروداً قصير السكيات مجلجل الأصدا ، ولولا هذه الخبرة البصيرة بالأهواء ، وهذه المكاشفة النافذة لحاجات الحس ، وهمسات الضمير ما استطاع الإيجاز أن يفعل فعله على لسان الرسول ،

ومقاوّل الجدّل ، فبرى فنونا من الخطابة الأدبية تجلّى في معارض زاهية من الأسلوب وترن في مرتفع سامق من المسكان ، غير أنه ذكر من هؤلاء قس بن ساعدة فروى خطبته ووصف موقفه فوق ناقته ، وأثنى عليه حين قال . أنه يبعث أمة وحده ! ولا أريد بذلك أن أشير إلى تلذذة أو استاذية فكثيرا ما يفوق التليذ جميع أسانيذه ؛ ولا يمنع هذا أن يقول قائل إنه تأثر بهم في مطلع حياته البيانية ، وإنما أشير لإشارة طائفة إلى أن الخطبة التي رواها محمد صلى الله عليه وسلم عن قس تحمل بعض الخصائص الفنية لخطابة الرسول ، وإن قول قس فيها « ما بال الناس يذمّون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يذكّرنا بقول محمد ، كأن الموت فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذي نشيعه من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل من ترائهم ، كأننا نخلدون بعدهم ! ومع التسليم الصريح بأن الحديث عن المذوت من المعاني المشتركة لدى جميع الناس في الشرق والغرب ، إلا أن المنهج الخطابي في الإيجاز والصدق والإخلاص للفكرة ومشافهة العواطف يتضح في كلا الموقفين ، وإن نذهب مذهب من ينسكّر خطبة قس مع تواترها المتتابع ،

جميعا ما كذبتكم ، ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إلى رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، واقفتموتن كما تنامون ، وتبعن كما تستيقظون وتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا ، دعوة جديدة تزلزل عقيدة ثابتة ، يفاجأ بها القوم فيلبدون في أماكنهم ذاهلين ، لقد اعترفوا بجمعين أنهم ما جربوا على الرجل كذبا ، وهم يعلمون أن الرائد لا يكذب أهله ، ثم لا يملكون في سطوة هذا البيان الحاسم أن يدفعوه ، فيكون قصارى قائلهم أن يقول : ألهذا جمعنا ١١ ويتفرقون تائبين ليجتمع رأى إلى رأى ، وليتقوى خصم بخصم ، وقد حفظوا كل ما قاله محمد ، وجعلوه محور نقاش وحوار ؛ ليت شعري ماذا صنع الإيجاز الدقيق في مثل هذا الموقف الخطير ؟ إنه الإيجاز ، وكفى .

وقد تعود الكتاب أن يستشهدوا لتربية الرسول الأدبية ، بقوله : أدنى ربّي فأحسن تأديبي ، وهذا حق لا مرية فيه ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولستكننا لا ننسكّر مع ذلك أثر المعاصرة الراهنة ، في خلق الخطيب وتسكين شخصيته الفكرية ، وقد كان الرسول في صباه الأول وشبابه الباكر يتردد على سوق عكاظ ، ويستمتع إلى مصافح القول ،

وذبوعها طائر ، وإلا لاستطعنا أن ننكر في سهولة مضحكة جميع الجاهليين ١١ إن قسا بشهادة محمد قد استرعى انتباهه ولو حفظت لنا بعض خطبه الكثيرة لاستطعنا أن نحدد مكانه الخطأ على وجه مريح ، وكأن القدر قد كافأه بوسام لامع حين سجل الرسول كلامه ويالك من مجد ١١ .

وهناك عنصر هام من عناصر الخطابة النبوية يكاد يبلغ وحده من التأثير ما تبلغه كل الخصائص مجتمعة ، لأنه ينبئ عن معدن قائله ، وأعنى به عنصر الشجاعة الأدبية لدى المتكلم ، فالخطيب إذا كان شجاع الرأي يزار في وجه العاصفة ، بعزيمة لا تعرف النكوص فإن المعجبين به يتزايدون حتى ليكون من بينهم بعض خصومه ، وإذا كان هؤلاء يستثمرون الغيظ لجرأته فإنهم في قرارات نفوسهم يسمعون أصوات الضمائر صارخة بالإعجاب والدهشة ، هؤلاء هم المعارضون ؛ فإظنك بالمؤيدين الذين يجدون في حديث الخطيب ترجمة عن مشاعر مكظومة ، وتعبيرا عن أحاسيس مكبوتة ، ومهما كانت عبارة الخطيب للشجاعة سهلة قريبة فإن هدفها الأسمى يغني عن كل صورة خالصة ، ولم يعرف تاريخ النبوات رسولا حمل أمانة اللسان كما حملها محمد بن عبد الله ، لأن بيئته العربية قد جمعت قوماً لهذا يرمون بالخطب الطوال ويتذفون بالحج

السواثر ، فإذا صيح في وجوههم بما يسفه أحلامهم ، فتلك هي الشجاعة دون مرأ ، ولدينا ضرب من الشجاعة الأدبية يفوق مجاهدة الباطل ومداغة الطغيان ، ذلك هو الاعتراف الصريح بحقوق المعارضين ومواجهة مطالبهم ، بما يحفظ الحيطة والإنصاف والخطيب في مثل هذا الموقف يحتاج إلى رصيد ضخم من كرم التحيزة وعراقة الضمير ، ومثانة الخلق ، إني لأعرف لمحمد مواقف رائعة أنصف فيها معارضيه من نفسه في شجاعة مغلصة ، فزاده الإقرار بالحق رفعة وإجلالا ، لقد غضب بعض الأنصار عقب غزوة حنين إذ نال المهاجرون من سبي المعركة أكثر مما نالوه ، وهم ذادة الدعوة وحماة الإسلام ، ومضى حديثهم إلى محمد فبادر بالانحسار إليهم ، وواجه الموقف في نزاهة العادل وإنصاف الأمين ، فعرف لهم حقهم كما عرف لنفسه حقها ، وكان في مكنته - لو تخلى عن شجاعته المنصفه - أن يتحدث عن نفسه وحدها ، فيفيض فيها نشره الإسلام على المدينة من أمن وسيادة ، ولكنه نظر إلى نفوسهم فعرف خوالجها المقنعة ولمس نبضات الافئدة وهمسات النوازع فعرف صدقها الصريح ، وصوت ذلك حين قال : يا معشر الأنصار ، ما قاله قد بلغتني عنكم ، وموجسة وجدتموها (البقية على صفحة ١٠٩٢)

وذبوعها طائر ، وإلا لاستطعنا أن ننكر في سهولة مضحكة جميع الجاهليين ١١ إن قسا بشهادة محمد قد استرعى انتباهه ولو حفظت لنا بعض خطبه الكثيرة لاستطعنا أن نحدد مكانه الخطأ على وجه مريح ، وكأن القدر قد كافأه بوسام لامع حين سجل الرسول كلامه ويالك من مجد ١١ .

وهناك عنصر هام من عناصر الخطابة النبوية يكاد يبلغ وحده من التأثير ما تبلغه كل الخصائص مجتمعة ، لأنه ينبئ عن معدن قائله ، وأعنى به عنصر الشجاعة الأدبية لدى المتكلم ، فالخطيب إذا كان شجاع الرأي يزار في وجه العاصفة ، بعزيمة لا تعرف النكوص فإن المعجبين به يتزايدون حتى ليكون من بينهم بعض خصومه ، وإذا كان هؤلاء يستثمرون الغيظ لجرأته فإنهم في قرارات نفوسهم يسمعون أصوات الضمائر صارخة بالإعجاب والدهشة ، هؤلاء هم المعارضون ؛ فإظنك بالمؤيدين الذين يجدون في حديث الخطيب ترجمة عن مشاعر مكظومة ، وتعبيرا عن أحاسيس مكبوتة ، ومهما كانت عبارة الخطيب للشجاعة سهلة قريبة فإن هدفها الأسمى يغني عن كل صورة خالصة ، ولم يعرف تاريخ النبوات رسولا حمل أمانة اللسان كما حملها محمد بن عبد الله ، لأن بيئته العربية قد جمعت قوماً لهذا يرمون بالخطب الطوال ويتذفون بالحج

مع البحترى فى ذكراه

للأستاذ إبراهيم محمد نجبا

أجل العبارة ، ولكنّه بحسن تأنيه ، ولطف تأنيه ، يعرف كيف يهيم* للبنى الجميل أجمل الأزياء ، فيبدو فيه كما تبدو الحسنة فى ثوب الزفاف الذى يحمل الشكل ولا يغير الذات . ولكن المجلس الأعلى أراد أن يكون حديث الزيات عن شخصية البحترى فكان له ما أراد . وفى هذا المجال استطاع أديبنا أن يرينا شخصية البحترى من الداخل ، بعد أن سلط عليها الأضواء ، فبدت أمامنا صورة مجسمة واضحة الألوان . موحية الظلال ...

وقد استعان على هذا الغرض بكشافين كبيرين أحدهما حب المال ، والآخر حب الجمال ، وبالكشاف الأول أوضح لنا سر ما استفاد من البحترى من أخبار التدفق والشح ، ووسائل التقلب والاحتياى .

كما أبان لنا بالكشاف الآخر سر هيامه بالطبيعة الضاحكة ، والقصور الرائعة ، وسر اهتمامه بالكلمة المفردة ، والعبارة الراقصة ، والموسيقا الجميلة . والذين يعرفون النفوس بالملاحظة والتجربة ، يدركون أن النفس البشرية قد يمتزج فيها الماء بالنار ، وتختلط

كان جميلا من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أن يدعو الآداب والشعراء إلى الاحتفال بذكرى البحترى ، وقد مر على مولده أكثر من ألف عام ، على سفته الكريمة وسفته القويم فى الاحتفال بالعباقرة الخالدين من الآداب والفنانين . وشاعرنا البحترى بين هؤلاء العباقرة من أجددهم بالاحتفال ، ومن أحقهم بالتكريم ، فقد كان خلد الله ذكراه . وطيب ثراه — وترأ من أرق الأوتار فى قيثارة الشعر ، أخرج لنا أعذب الأنغام ، وأسمعنا أروع الإنشاد .

وكان أول المتحدثين فى هذا الاحتفال أمير البيان أستاذنا الزيات ، فكان ذلك حسن ابتداء ، وبراعة مطلع . وكنت أود أن يتحدث الزيات ، وهو الناثر الذى رنم بالكلمة أجمل ترنيم ، عن شعر البحترى ، وهو الشاعر الذى غنى بها أعذب غناء ، وأنا أجزم بأن الزيات لو لم يكن ناثراً من طراز ... الزيات ، لكان شاعراً على مثال البحترى ، لولا أن كانبنا لا يهضى أبداً بالمعنى فى سبيل اللفظ ، ولا يغير الصورة من

عند البحترى لا ينقصه جمال الوصف ، ولا
تعوزه روعة الأداء ، ولكن الذى ينقصه
هو الامتزاج بها ، والفناء فيها ... ولنقرأ
آياته المشهورة فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يترنما

وقه نبه النيروز فى غسق الدجى

أوائل ورد كنت بالأمس نوما

يفتقها برد الندى ، فسكرانه

يبث حديثا كان قبل مكتما

فن شجر رد الربيع رداه

عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحل فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى للعين إذ كان محرما

فنجد فى هذه الآيات أن البحترى ، بحس ،

الربيع ، ولكنه لا يشعر ، به ، لماذا ؟

لأنه رآه من الخارج ، دون أن يتغلغل فى

أعماقه ، ولأنه حين رآه لم يره بأعين نفسه ،

ولنما رآه بعينى رأسه ... فالرؤية النفسية

هى ما كان ينقص البحترى حين يقف أمام

الطبيعة ، وهذه الرؤية لم تتحقق لشاعر من

شعراء العرب على مثالها الذى يقرب من السكالك

إلا للتنبى وابن الرومى ، على اختلاف

موضوع الرؤية عند الشعراء العظميين .

ونحن نجد فى البيت الأخير أن حرص

البحترى على المقابلة بين الألفاظ قد أفسد

فيها الظلمة بالنور ، ولهذا فقد كان الزيات
موفقا كل التوفيق ، دقيقا غاية الدقة حين
لاحظ أن العناصر المادية كحب المال والعناصر
المعنوية كحب الجمال تتقارب وتتضارب
وتتفاعل فى نفوس البشر ، فلا يكون هناك

حس محض ، ولا معنى خالص . وهذا يفسر

الاناقة التى طبع عليها البحترى فى اختيار ألفاظه

وتنسيق كلماته ، والفوضى التى عرفت منه فيما

يحب الهندام والآثام ، ونزوع البحترى إلى

إهمال ملبسه وآثام بيته ، دليل قوى على

أن حب المال كان أقوى فى نفسه من حب

الجمال ، وفى رأينا أن ذلك الحب هو الذى

دعاه - إلى جانب غيره من الدواعى - إلى ما

اشتهر عنه من العناية الفائقة بشعره ليستزيد

من الضياع ، ويستكثر من الأموال ، دون

مبالاة بكرم الوسيلة وشرف الأداة حتى

أجاز لنفسه أن يمدح بالقصيدة الواحدة

أكثر من واحد ، وأن يتوسل بشعره إلى

إعفاء ضياعه من الخراج ! وقد قال الصولى

لأنه نقل نحوًا من عشرين قصيدة من مدائحه ،

من قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير الأسماء

وبدل المعالم . ولو كان فى رأى البحترى أن

حسن الهندام يجلب المال ، لرأيناه رائد

المتأقين فى هذا المجال .

وقد كان هيام البحترى بالطبيعة أثرا من

آثار حبه للجمال ، ونحن نرى أن شعر الطبيعة

ولكنى لا أحب أن أترك هذا البحث دون أن أذكر أن الأستاذ الزيات قد ترقى بالشاعر أكثر مما ينبغى حين التمس له العذر فى انحراف شخصيته عن سواء السبيل ، وشرف العناية ، فوجده كامنا فى أحوال المجتمع ، وأخلاق العصر . والذى أراه أن سوء المجتمع قد يبرر أعمال العامة ، أما العباقرة والأفذاذ فرسالهم أن يغيروا المجتمع وواجههم أن يحولوا التاريخ ؛ لأنهم يدركون رسالة الكلمة ، ويعرتون واجب القلم .

ثم ننقل إلى بحث آخر من الأبحاث التى كتبت عن البحترى فى ذكره ، فتحدث عن البحث الذى كتبه الدكتور جودت الركابى ، وجعل عنوانه : « ديباجة البحترى » .

فى هذا البحث يذكر الدكتور أن أهم ما يميز أسلوب البحترى العناية بإشراق اللفظ ووضع المعنى ، وتجنب الأسلوب المنطوق .

والابتعاد عن الغريب والتعقيد ، وإطلاق العنان للخيال ، والاعتماد على روعة النغم ، وسحر الموسيقى ، ثم يذكر أن هذا الأسلوب هو السمة الغالبة على شعراء الشام ؛ لأن بادية الشام كانت ترفدهم بالفصاحة من جانب ولأن الطبيعة كانت تغذى عواطفهم ، وتثير خيالهم من جانب آخر ، ثم يتحدث عن استاذية أبى تمام للبحترى ، ويبين أنه على الرغم من هذه الاستاذية ، فقد اختلف أسلوب البحترى

عليه معناه ؛ لأن الشجر حين يتجرد مما يزينه من الأوراق والأزهار والثمار قد يؤذى بمنظره ، ولكن المحرم الذى تجرد من بهرج الحياة ، وتحلى بطاعة الله ، لن يؤذى بمنظره إلا الذين لا يهتمون برؤية النفوس واستجلاء الأرواح ، ولو أن البحترى استعان هنا بالرؤية النفسية لرأى الفارق الواضح بين تجرد الشجر من طبيعته ومعناه ، وتجرد المحرم من بهرج المال ، وحلية الجاه .

وكما كان هيام البحترى بالطبيعة أثر من آثار حبه للجمال ، فقد كان كلفه بالمرأة أثر من آثار هذا الحب أيضا ، وقد أوضح أستاذنا أن البحترى قد أحب المرأة بحسه لا بنفسه ، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه ، كما سجلت ذلك أيضا الأدبية الباحثة الدكتورة نعام أحمد فؤاد فى بحثها القيم عن المرأة والغزل فى شعر البحترى .

وهكذا بهذا الكشفين : حب المال ، وحب الجمال استطعنا أن نرى شخصية البحترى فى وضوح وجلاء ، وأن نرد كل ما صدر من هذه الشخصية إلى مصدره الأصيل ، ومبعثه الحق .

ثم يأتى تواضع أستاذنا إلا أن يجعله يقول فى ختام بحثه البليغ القيم إن الصورة التى رسمها للبحترى ليست صورة تقريبية لشخصية هذا الشاعر العظيم !

عن أسلوب أستاذه أبي تمام اختلافا ليس
باليسير على أى حال .
ولكن ما الذى جعل ديباجة البحترى
تخالف ديباجة أستاذه أبي تمام ؟
ذلك ما لم يتحدث عنه الدكتور جودت
الركابي ... وفى رأينا أن هذا الاختلاف بين
للشاعرين العظميين ، يعود إلى جملة أسباب
من بينها الفطرة والوراثية ، فقد ذكر معاصرو
البحترى أن وجهه كان مسنونا ذنوبا ، وهذا
هو السميت الغالب على رجال الفن ممن
يعكسون على فهم جمال الطبيعة ، وروعة العاطفة
ورهاقة الحس . وروعة الخيال ، وفى يقيننا
أن البحترى لو لم يكن شاعرا لكان رساما
يصور مشاهد الطبيعة بالألوان والظلال ،
أو موسيقيا يعبر عن مشاعره الطليقة بالانغام
والألحان .
والذى يقرأ البحترى يرى أن الموسيقى
هى الميزة الأساسية فى شعره ، وهى مصدر
ما نراه فى هذا الشعر من التألق المفرط فى
اختيار الألفاظ ، وتنسيق الكلمات ، بحيث
يجلب جمال الجرس ، وروعة النغم ، ومن
الكلف الشديد بألوان من البديع يتحقق بها
ذلك الجمال وتلك الروعة . كالتقسيم والمقابلة
وذلك يبدو جليا فى هذه الأبيات :

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا
وأعاد الصدد منه وأبدا

يتأبى منعا ، وينعم إسعا
فا ، ويدنو وصلا ، ويبعد صدا
اغتنى راضيا ، وقد بت غضبا
ن ، وأمسى مولى ، وأصبح عبدا
وبنفسى أفدى على كل حال
شادنا لو يمس بالحسن أعدي
مرى خاليا فأطمع فى الوصـ
ل ، وعرضت بالسلام فردا
وثنى خده إلى على خو
ف ، فقبلت جلنارا ووردا
سیدی أنت ، ما تعرضت ظلما
فأجازى به ، ولا خنت عهدا
رق لى من مدامع ليس نرقا
وارث لى من جوانح ليس تهدا
وليس من شك فى أن هذا الغزل يخلو من
صدق الشعور ، وحرارة العاطفة ، وليس
من شك أيضا فى أن هذا الشعر قد بلغ الغاية
فى جمال الصياغة ، وروعة النغم .
والبيئة من الأسباب التى جعلت البحترى
يخالف أستاذه فى أسلوب الشعر ، فقد عاش
حياته الأولى فى منبج وهى بلدة وصفت بأنها
عذبة الماء ، طيبة الهواء ، قليلة الأدواء
والذى ينشأ فى هذه البيئة حرى بأن يكون
رقيق الحس ، معتدل المزاج ، وخاصة إذا
كان من ناحية الفطرة والوراثية صاحب مزاج
فنى كصاحبنا البحترى .

ما يراه ، أو توحى إليه بفكرة عما رأى ، ثم بين أن النظرة واحدة عند الناس من الناحية المادية ، ولكن نظرة الفنان فيها شئ يضاف إلى النظرة العادية ، وهذا الشئ هو الذى يميز الفنان من غيره ، فتصبح نظوته ذات معنى خاص لا يشاركه فيه الرجل العادى ولو أردنا نحن أن نفرق بين نظرة الفنان ونظرة غيره من سائر الناس لقلنا إن الإنسان العادى لا يلبس بنظرته جوهر ما يراه فى كثير من الأحيان ، على حين ينفذ الفنان ببصيرته إلى طبيعة ما يراه على اختلاف فى درجة النفاذ بين فنان وفنان .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمكننا أن نقول إن الإنسان العادى لا يحس ما يراه أو يشعر به كما يفعل الفنان ، ومن ثم لا يستطيع أن يعبر عنه تعبيراً يوقظ النفس ، ويشير الحس ، ويلهم البصيرة ، بينما الفنان لا يجد بدا من هذا التعبير حين تمتلئ نفسه بما يراه كالسكاس لا يستطيع إلا أن تفيض حين تمتلئ بالمسائل الذى تحويه .

ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن موقف الشعراء ما يرون من الأشياء ، فيذكر أنهم فريقان : فريق ينظر إلى ما يراه فتحفظ عينه صورته حفظاً لا سهو فيه ولا خطأ ، فإذا انتقلت هذه الصورة إلى النفس الشاعرة جرى قلم الشاعر برسمها لتخرج كالأصل وقد تحركت

وسبب آخر يضاف إلى ما قدمناه من أسباب ، وهو أن البحترى بفطرته وورائته وطبيعة مزاجه صدف عن تعمق ما شاع فى عصره من المعارف والثقافات ، وخاصة العلوم والفلسفات ، فانسع المجال أمامه للعناية بصقل اللفظ ، وتنسيق العبارة ، على حين شغل أبو تمام ومن جرى مجراه من ذوى الثقافة المتنوعة بما يبين سعة اطلاعهم وعمق ثقافتهم وإذا كان أبو تمام قد عنى فى شعره بالبديع كما عنى البحترى ، فلم تكن هذه العناية صادرة عن إحساس فى بجدواه ، وإنما كانت وسيلة من وسائل الافتنان فى التعبير ، ومنافسة منه لغيره من الشعراء فى عصر كان للبديع فيه شأن ملحوظ ، ومقام معلوم . أما البحترى فالبديع فى شعره قد صدر صدورا تلقائياً عن نفسه التى كانت تحب النغم ، وتعشق الكلمة .

وفى رأى الكاتب الباحث أن البحترى يفوق المتنبى فى عصر الصياغة حين يقارن به وهذا رأى يحتاج إلى مناقشة طويلة وسوف تناقشه فى مقال خاص نتحدث فيه عن الصياغة فى شعر البحترى والمتنبى .

و د الوصف عند البحترى ، كان موضوع بحث الأستاذ أحمد الجندى .

وقد بدأ الأستاذ بحثه بتحديد معنى الوصف فقال إنه نظرة واعية فاهمة تنقل المرائى صورة

وقد أراد الكاتب أن يؤيد ما قاله عن
منهج البحترى في وصف الأشياء ، فجاء بأبيات
من شعر الغزل ، وزعم أنها من الشعر الوصفى
الذى يدل على أن البحترى لا يصف الأشياء
ولمّا يصف ما نشير في حسه ، وما توحى
إلى نفسه . . . يقول البحترى :

ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا
مقصرا من صباة أو مطيلا
قف مشوقا ، أو مسعدا ، أو حزينا
أو معينا ، أو عاذرا ، أو عدولا
وخلاف الجليل قولك للذا

كر عهد الأحباب : صبرا جميلا
فيقول الكاتب تعقيبا على هذه الأبيات :
إنه لا يقف عند وادى الأراك ليصف لك
ما فيه من معالم وخطوط ، بل يقف ليذكر
نفسه وما فيها من لواجب وآثار تركها هذا
المنظر الأخاذ ١١

وأظن أنه من اليسير جسداً أن نلاحظ
أن البحترى لا يصف هنا ، ولمّا يبدأ
قصيدته بالغزل على طريقة شعراء العرب ،
وكما فعل هو في قصائد كثيرة من شعره .
وهل يحسب الكاتب أن البحترى قد وقف
حقا عند وادى الأراك ؟ وماذا في وادى
الأراك مما يشير حاسة الوصف عند البحترى
لو وقف عنده ؟ أترأه يصف بحر الآرام
في عرصاته وقيعانه ، ذاك الذى وكأنه حب

فيها الروح ، ودبت فيها الحياة ، وهؤلاء هم
الشعراء المصورون ، وعلى رأسهم ابن الرومى
وفريق آخر لا يهتم بنقل المراتب كما هي
في الخارج ، وإنما يعنى بنقل انطباعاتها في حسه
وتأثيرها في نفسه ، ومن هؤلاء الشعراء ،
بل من أعظمهم شاعرنا البحترى !

وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ؛ فإن البحترى
ينطبق عليه في مجال الوصف ما ينطبق على
أكثر شعراء الوصف في الأدب العربى وهو
أن هؤلاء الشعراء لم يعنوا بوصف تأثير
الأشياء في أنفسهم كما عنوا بوصف ظواهر
هذه الأشياء ، وأنهم حين نظروا إلى ما يرونه
لم تكن نظرهم نظرة كلية تستوعب المنظور
وتحيط به ، وإنما كانت نظرة جزئية تتبع
أجزاء الشيء في غير ترتيب حيناً ، ودون
استقصاء حيناً آخر ولهذا جاء المنظور
في شعرهم ، أجزاء ، مرتبة أو غير مرتبة ،
ولم يكن دكلاً ، متصلاً ، ووحدة متناسقة .
ومن البدهى أنه في مجال الوصف والتصوير
لا يكفي أن تلم بكل الأجزاء والتفاصيل ، بل
لا بد أن تصور العلاقة السكّانة بين الأجزاء
بحيث يدرك القارئ أن جزءاً منها لا ينفصل
عما عداه ، دون أن ينقص تأثيره ، وتقل
جدواه . وأبيات البحترى في وصف الربيع
وفى وصف بركة المتوكل تعد مثالا يمكن أن
يوضح ما قلناه .

وهذه هي الرؤية النفسية التي تضيف إلى المنظور من شعور النفس ، وتأثر القلب ، ما يملؤه حركة وحياة .

ثم يورد الكاتب بعض أبيات البحترى في وصف بركة المتوكل ، ويذكر أن الوصف في هذه الأبيات كان وصفا لشعور الشاعر ، وخلجات نفسه ، وإحساس قلبه ... وهذه هي الأبيات :

تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من جبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حبا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
وريق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم ترامت في جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها
فهل في هذه الأبيات من وصف الشعور ،
بقدر ما فيها من تسجيل ظواهر المنظور ؟
إن الذي ينقصها إنما هو النظرة الكلية
إلى الموصوف ، والشعور الذي يشمل
جوانبه ، وينفذ إلى أعماقه .

ولو أردنا أن نتوسع في نقد هذه الأبيات
لقلنا إن تشبيه الماء بالفضة تشبيه لم يصدر
عن رؤية نفسية ، وإنما صدر عن رؤية

فلفل ، كما فعل صاحبه امرؤ القيس حين وقف
على « سقط اللوى بين الدخول والخومل » ؟
وبينا نرى الكاتب يذكر أن البحترى
لا يصور المنظور ، وإنما يعبر عن أثره
في نفسه ، إذ بنا نراه يقول إنه لا يعجبه من
صينيته غير هذين البيتين :

يغلى فيهم ارتياح حق
تتقراهم يداى بلس
والمنايا موائل ، وأنو شر

وان يزجى الجيوش تحت الدرفس
فهل كان البحترى في هذه القصيدة من
شعراء الوصف المصورين ، أم كان من
شعرائه التأثيريين ؟ وهل يعد من باب
« النقل الحرفى » لما في الصورة قول البحترى
في قصيدته هذه .

وكان الإيوان من عجب الصند
مة جوب في جنب أرعن جلس
يتظنى من السكابة أن يه
دو لعينى مصبح أو عرس
مزججا بالفراق عن أنس إلف
عز ، أو مرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالى ، قبات المشد

ترى فيه وهو كوكب نحس
الحق أن هذا هو التصوير الفنى الذى
نفقده في كثير من شعراء الوصف هذه
البحترى وعند غيره من الشعراء الأقدمين ،

والذى أراه بعد ذلك أن الأستاذ الجندى
فى حاجة إلى أن يراجع بحثه ، وأنه إذا شاء
أن يأتى فيه بجديد ، فعليه أن يكتبه
من جديد .

وفى مقال آخر سوف نتناول بقية الأبحاث
بالتعقيب لنصح ما يحتاج إلى التصحيح
فى نقد البحتى خاصة ، ولنصاح ما يحتاج
إلى الإصلاح فى موازين النقد عامة .

ابراهيم محمد نجبا

مادية ، ولهذا لم ير الشاعر برؤيته المادية
غير ما يشترك فيه الماء والفضة من اللون
والقوام ، فقرن بينهما فى شعره ، ولو أنه
رأى كلا منهما رؤية نفسية ذات حساسية
ونعمق ، لأدرك أن الماء فى جوهره
ووظيفته أغلى من أن يقوم بكنوز الأرض
جمعاء ..

ثم ما هذه الصورة التقليدية التى يقترن فيها
الماء المتموج بالجواشن المصقولة ؟ إن الماء
التموج يمثل الحركة والحياة ، فهل تمثل
الجواشن تلك الحركة ، وهذه الحياة ؟

(بقية المنشور على صفحة ١٠٨٤)

الناس شعبا ، وسلك الانصار شعبا ، لسلك
شعب الانصار .
هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب
نزول الغيث الدافق على المحل الظامى . فأخصبت
الجديب وأنعشت الذاوى بل إن تيارها
الحنون قد دفع بالدمع إلى العيون ففاضت
المهاجر ندما واستلما ١١ ولا أجد أروع
ولا أبعد من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع
المهاجرين بالشاة والبعير ، ورجوع الانصار
برسول الله ١١ وهى إحدى وثبات العبقرية ،
وكم لها فى أدب النبوة من أمثال .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

فى أنفسكم ، ألم آتكم خيلا فهداكم الله
وعالة فأغناكم الله ، وأهداهم فألف الله بين
قلوبكم ، قالوا بلى ، لله ورسوله المن والفضل
فقال ألا تحيىونى يا معشر الانصار ؛ قالوا ،
وبماذا نجيبك يا رسول الله . قال ، أما والله
لو شئتم لئنم فصدقم وتصدقتم . أتيتنا
مكذبا فصدقناك ، وخذولا فمصرناك ،
وطريدا فأريناك . وعائلا فأسيناك ، وجدتم
فى أنفسكم يا معشر الانصار فى لاعة من الدنيا
تألفت بها قوما ليسلوا ، وولكنكم إلى إسلامكم
أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يرجع
الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله
إلى رحالك ، فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة
لكنتن أمرا من الانصار ، ولو سلك

رمضان بين الأيس واليوم

للدكتور محمد غلاب

دأما تنتهى بأولئك المؤمنين إلى نتيجة واحدة لا تختلف ولا تتخلف وهي اليقين بأن وجدان العالم الإسلامى يعتمد على الدين وبأن الإيمان المستنير النقي المخلص هو الذى يكيف هذا الوجدان ويكون له بمثابة المنبع الذى تنبعس منه درجات سموه وسيره نحو العكال .

هذا هو هدف الدعوة العظمى التى أشرقت على حنادس العالم فأحاله نورا وبهاء ، وفاضت على كل ما كان يكتمه من ضلال وشك فصيرته هدى وبقينا وانبعثت في وسط الهمجية المطبقة فجعلتها فظاما وانسجاما .

هذا هو الذى كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأماجد رضوان الله عليهم أيام أن كان عشرة من المؤمنين يغلبون مائة من الأعداء الأقوياء ، وعشرون يغلبون مائتين ، لا لشيء سوى أن عقيدتهم كانت أرسخ من الطود ، ولما بانهم أنقى من الثلج ، وأنهم انصرفوا تماما عن الاعتماد على أهل الأرض واتجهوا بكل كينوتهم نحو الواحد الأحد الذى يملك وحده دون غيره أن يعز من يشاء ويذل من يشاء .

كان هذا أيام أن فهم المسلمون دينهم حق الفهم وترفعوا بالتشريع الإلهي الحكيم عن

كان رمضان في ربيع الدعوة الإسلامية الباهرة — بما فيه من صوم حقيق وعبادة خلصة ، وصفاء تام — عملاقا نورانيا هائلا يتحدى أرواح الشر وشياطين الإثم ، ولا يزال يدعوهم إلى المنازلة حتى يشتبك معهم في حرب طاحنة يقضى عليهم فيها قضاءه الأخير ، فلا يحل بالامة الإسلامية شهر شوال حتى يكون جيش الآثام والسيئات قد انهزم هزيمة منكرة لا يسترد منها قوته إلا بعد لآي وعناء شديدين ولا يكاد يستخدم هذه القوة الشريرة التي استردها حتى يباغته رمضان من جديد فييده إلى هزيمته الأولى أو إلى ما هو أشد منها نكرا ونكالا .

ولم يكن رمضان يقتصر على ذلك الموقف السلبي بما اشتمل عليه من الوان الكفاح المغنوى وعدده الروحية ، وإعداد المؤمنين للانتصار على جيوش الإثم والفساد وتمزق كئائبها شرمزق ، وإنما يقوم بدور إيجابي فعال ، وهو أنه يقدم — بصفاته ونفائه — أعظم مآرى للقلوب الطاهرة ، وأقوى ملجأ للقول المتأملة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما من آيات بينات ، وعبر نيرات . ولا ريب أن هذه التأملات

قويا يمنعه من لذائذه فيمتنع عنها حتى في الخفاء فيحول ذلك الشعور بينه وبين الطغيان النفسى البغيض الذى هو أولى دركات الغرور المهلك .
فخدتنى بربك أيها القارىء أمتحقة الآن من صيام المسلمين تلك الأهداف العالية التى قصد إليها الشارع والتى كانت متحقة فى صدر الإسلام بقضها وقضيضها ؟ .

فهل يعتبر الآن صائما ذلك الذى يمتنع عن الطعام والشراب ثم يوغل فى الكذب والخيانة والغدر والهدس والملق والرياء والغيبة والنميمة والغمز واللمز ، وتتضاف عنده شدة الغضب فى رمضان ، وتعدد لديه أحداث التهور إلى حد لا همد للناس به فى غيره من الشهور كأن رمضان شهر شر وغضب وحق وجهل ، لا شهر حلم وتسامح وسماحة وصفح وصفاء للنفس ، وتهذيب للخلق كما قصد منه المشرع الحكيم .

وهل يعتبر من الصائمين هؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون ، وأؤلئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون فى الزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإنفاق وإخلاص .

على أن الذى زاد الخطب فداحة والجو ظلاما أن أذئاب الاستعمار وسماسته الذين

أن يفترض الصيام لينع الناس من تناول الطعام والشراب ودحا من الزمن يتهى كل يوم بغروب الشمس ، فيعود بهم إلى إباحة ما حرمه عليهم منذ ساعات ، أو أن يفرض الصلاة ليكره الناس على إتيان حركات رياضية معينة لا روح فيها ولا حياة ، وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة . ولقد ترفع المسلمون الأولون عن هذا السخف فى الفهم وسموا بدينهم عن هذه الدركة التى لا يقرها العقل المستقيم ، ولا يستسيغها الذوق السليم ، فاستوحوا كتبهم ، واستلموا سنة نبيهم فألفوا لدهما حكمة هذين الركنين من أركان الإسلام واضحة جليلة وهى أن الصلاة إنما شرعت لتخرج الآثم وتجلله بالتحجل كلبا وقف بين يدي ربه ملوثا بالذنابل والسيئات ، فلا يسمعه إلا العدول عنها ذهابا بنفسه عن مواطن العار الذى يلحقه خمس مرات فى اليوم واليلة ، وإلا هوى فى حضيض السخط الإلهى لصفاقته وفقدانه معنى الحياة الإنسانى ، واستخفافه بتكرار مواجهة ذى القوة والجبروت متلبساً بالإثم ، متشبثاً به ، مصراً عليه ، فينطبق عليه قول النبي الجليل : « من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداء » . وإنما أيقنوا أن الله قد شرع الصوم لحكم خلقية واجتماعية شتى . منها أن يشعر الصائم بأن هناك سلطانا

أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، د ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، .

ومنها الاستقامة والفقاعة وحسن معاملة الجار وحب الخير للناس د قل آمنت بالله ثم استقم لا تزدد على ذلك شيئا ، د اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، .

ومنها التعاون على الخير والتحذير من التعاون على الشر وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، . ومنها ذم الغيبة والنميمة والحسد والاعتداء والغمز واللمز والتناذب بالألقاب: د ولا يغتب بعضكم بعضا ، يحب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، د ويل لكل همزة لمزة ، د ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، د إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، . ومنها الصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهد ، واستيفاء الأجير أجره : د يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، د إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، . د ولا يجرمنكم شنان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، . د وأوفوا

كان سادتهم من المحتلين في ذلك العهد المشعور يعدون لهم ميزانية خاصة ينفقونها في إفساد هقائد الشباب وتربيتهم وعقولهم قد نجحوا في النصف الأول من القرن العشرين في أن ينقشوا في أذهان أنصاف المثقفين من المواطنين أن أداء الفروض الدينية من صوم وصلاة وما إلى ذلك من التكاليف من شأنه أن يجلب إلى أصحابه الاستهانة والاستهزاء ، ولقد خلقت هذه المحاولة الاستعمارية الخطيرة في نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية كان من نتائجها أن دعيتهم إلى التعاون في للشعائر الدينية التي هي مناط التماسك والترابط ، وتلك هي الغاية الجهنمية التي رعى إليها المحتلون لأنهم يعلمون تمام العلم أنه متى عم الاستهتار بالعقيدة ، ساد الانحلال ، ومتى ساد الانحلال انهار السكيان من أساسه ، ومتى انهار السكيان تثبتت أقدام الاحتلال .

ولقد تنبه إلى هذه الحقيقة فريق من المستشرقين الذين درسوا الإسلام دراسة عميقة وتبينوا مبادئه الأساسية وعناصره الأولية فأفسروا إلى مواطنيهم أن الإسلام دين خطير ، لأنه اشتمل على مبادئ يمكن أن تقيم الدنيا وتقعدها ، وإذا تحقق تطبيعها ساد أهل هذا الدين الكرة الأرضية كلها ، فمن هذه المبادئ مثلا : الترابط والتماسك والاتحاد : د واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم

وأن يتحرر منذ الآن أولئك الضعفاء الذين يضطربون فرقا أمام المنحطلين من دينهم وأخلاقهم فيجارتهم في التحلل، بل بسببهم وإليه، وما أساس هذا كله سوى الجهل وضعف النفسية والجبن والانمياح.

وأخيراً - وإلى أن يتحقق هذا الاستيقاظ المرموق - هل ينبغي الصمت بإزاء هذا كله حتى نهوى أكثر مما هويما، ونتهمل إلى الورا أكثر مما تهملنا؟ وأن نبقى كما نحن معتمدين على أن الله غفور رحيم، ناسين أو متناسين أن عذابه هو العذاب الأليم؟ وأن نظل مكتفين بالقشور دون اللباب كأننا لسنا من ذوى الألباب؟ قانعين من الشعائر بالأعراض والأشباح دون الجواهر والأرواح؟ كلا، لا ينبغي أن نغضى عن هذه الحالة ولا أن نمد في عمر هذا النوم الذى طال مداه، ولا أن نتابع ذلك الخمول الذى اشتد ظلامه، وران على قلوب المسلمين قتامة، بل يجب أن ينهض الإسلام بالعالم من جديد كما نهض به منذ أربعة عشر قرنا، فالنفوس معدة، والقلوب مستعدة، إذ أننا الآن نحيا في عالم قد أصبح - بسبب هذه المدنية المادية التى تسوده وتؤوده - يسخر من المبادئ، ويمزأ بالفضائل، ولا يمجّد لإحكام القوة، وأمست مقاييسه محصورة فى النجاح ولو على حساب الفضائل والأخلاق، وأوشكت القيم الخلقية فيه أن تنهار، وأضحت مقدسات

بالعهد إن العهد كان مشحولا، . . . قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر... ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره، . . . آية المنافق ثلاث: إذا تحدث كذب، وإذا اتهم خان، وإذا وعد أخلف، . . .

وأيا ما كان فإن هذا الفريق الأخير من المستشرقين يعلق على هذه المبادئ القرآنية بعبارات مختلفة، مؤداها كلها أن المسلمين إذا هرفوا كتبهم حق المعرفة وطبقوه أكمل تطبيق. فالويل كل الويل للاستعمار، إذ أنه لن تقوم له قائمة بعد الساعة التى تتم فيها هذه المعرفة، ويتحقق فيها ذلك التطبيق.

ومن ثم يتبين ذلك المجهود الذى يبذل المستعمرون فى أن يبقى الإسلام مجهولا، وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ. غير أننا نأمل أن نفوت على المستعمرين ونناصحهم من بنى جلدتهم هذه الفرصة الخطيرة حتى لا يظفروا بهذه البغية التى طالما عملوا لها فى عصور الخمول والظلام. ونرجو أن تستيقظ الأمة الإسلامية من نومها الذى طال مداه، وأن تنفض عن كواهلها غبار الركود، وأن تتخلص من مركب التقهقر الذى طالما أرهق نفوس الكثيرين من بينها، وهصر قلوبهم وسؤل لهم أن مناصرة الدين نوع من التأخر، وتأيبده لون من الرجعية،

دياجير الوجود ، ومحتاجة — في تنظيم معاشها وعلائقها — إلى قواعد ثابتة ، ومناهج مقررّة تسد حاجاتها وتحقق سعادتها ولا يتيسر هذا إلا في قوانين الأخلاق الخالدة ، وتعاليم الدين الحكيم الذى هبط من لدن المستغنى الذى لا يناله شيء ، لأنه فوق كل شيء ، وإنما شرع ما شرع لنفع الإنسانية ، وإسعادها وتعاميرها ومنحها النصيب الميسور لها من درجات الكمال .

وإذا كان كل ذلك ثابتاً مقررّاً ، فإن الإسلام يجب أن يزعم الآن ثورة التجديدين الخلقى والاجتماعى كما تزعم من قبل ثورة التوحيد النقى الذى قلب كيان الوثنية رأساً على عقب ، وأن ينهض بهذه الأمة من كبوتها ويقبّلها من عثرتها ، وهذا أهون عليه فقد خاق الإسلام قبل ذلك من الفوضى والهمجية والجهل أمة عز سلطانها ، وعلا صولجانها وررفت أعلامها ، وتغلّغت آفاقها وسادت قوانينها رقعة من السكرة الأرضية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف : والسبب الأول والآخر لهذه العزة العظمى هو فهم المسلمين دينهم على حقيقته ، وتطبيقهم روحه دون الاكتفاء بحرفيته ، والعمل على تحقيق هدفه وغايته ، وهذا هو ما نريد أن يكون عليه المسلمون حتى لا تفوتهم القافلة التى نرجو لهم أن يكونوا قادتها الأولين .

المركز محمد مغلوب

الإنسانية معرضة للإهانة والدوس بالأقدام . ولما كان خروج كل شيء عن حده يؤذن بالانقلاب إلى ضده ، فإنه لا بد أن تبدأ هذه المادية البغيضة فى الانهيار ، وتصير الكلمة الأخيرة الحاسمة للروحانية المشرقة .

نعم إن كثيراً من المعاصرين الذين بهرتهم هذه المدنية المادية يسمون بخيرية من هذا الرأى ، ذلك لأنهم اعتادوا على أن يرجعوا كل عمل إنسانى إلى بواعث نفعية وغايات شخصية ومع ذلك فإنه — رغم مبادئهم المادية — لا يذبحى لهم سوى قليل من الشجاعة وحسن النية ، لىكى يعترفوا معنا بأن الفضائل ليست منسجمة مع التعاليم الدينية ، والفطرة الإنسانية المستقيمة فحسب بل هى متفقة مع الضرورات الأولية لجميع المشروعات الاجتماعية الأساسية فى الحياة . وذلك لأنه إذا كان تعريف الفضيلة هو د كل ما لو عم لأصلح الحياة ، وتعريف الرذيلة هو د كل ما لو عم لأفسد الحياة ، فقد وجب الجزم بأن من المستحيل إقامة بناء أى مشروع متين ثابت مفيد للإنسانية دون أن يؤسس على دعائم الفضيلة والأخلاق ، كما أن من أسباب الفشل الجوهرية أن يفتى وُضاع المشروعات الاجتماعية أن البشرية إذا لم تكن كلها متمتعة بحياة عقلية ، فإنها جميعها مفتقرة إلى حياة روحية ترشدّها أثناء اجتيازها

حقيقة الاشتراكية في الإسلام

للأستاذ أحمد محمد

اشتراكية الإسلام شاملة:

يتحدث الكثيرون عن الاشتراكية ويكتبون فيها ولكن قل منهم من يكتب عنها بمفهومها الصحيح ويحدد معناها تحديداً شاملاً جامعاً، فلكل كاتب وجهته ولكل زاويته الخاصة التي ينظر منها إلى مدلول الاشتراكية ويحدد في إطارها معالمه وحدوده ولعل النظرة الغالبة هي المعاني الاقتصادية وحدها عند تحديد الاشتراكية والمطالبة بالآخذ بها.

ومما ترتب على هذا الاتجاه - المعيب - أن الذين يتحدثون عن الاشتراكية الإسلامية يقصرون مفهومها على المجالات الاقتصادية وحدها، بل منهم - وهم كثير - من يزيد فيستند إلى بعض الأحاديث منحرفاً بمعانيها لتأييد ما ينادون به من اشتراكية متطرفة تذهب بخير الاشتراكية الإسلامية كما رسم حدودها الإسلام وبين معالمها وأركانها، وهم في هذا يديحون لأنفسهم القضاء على الملكية الفردية وامتلاك الدولة للموارد الثروة وعناصر الإنتاج كافة وهم في دعواهم ينقضون

الاشتراكية في أصولها. إذ يفترض أي نظام اشتراكي وجود مجموعات من البشر يتعاونون فيما بينهم لخدمة المجموع وتكون علاقاتهم منتظمة في إطار يكفل للجميع الخير ولا يساعد البعض على السيطرة على الآخرين. والاشتراكية الإسلامية لا تقف عند مجالات الحياة المادية وحدها بل تشمل كافة المجالات الحيوية للمجتمع كله، فالإسلام - دين الاشتراكية الحقة - دين اشتراكي في العبادة حيث يقف الناس جميعاً بين يدي الله تعالى لا فرق بين إمام ومأموم، وم كذلك في صياهم وحجهم. وأبلغ دليل على اشتراكية الإسلام في الحكم هو أمر الله عز وجل إلى نبيه ورسوله عليه صلاه وسلامه بمشاورة المسلمين بالرغم مما اختص من نبوة وتشريف بالرسالة وأنه لا ينطق عن الهوى فيقول تعالى: وشاورهم في الأمر. كذلك فإن كل فرد مشترك في المسؤولية في هذا المجتمع الإسلامي لا فرق بين حقير وعظيم (فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته). وتذهب الاشتراكية الإسلامية في ذلك

إلى بعض حكته ويستضيئون بقبس من نوره .

اشتراكية انسانية :

فالإسلام في اشتراكيته يهدف إلى تكوين مجتمع متكافل ترد فيه الحرية إلى أسير مغلوب على أمره أو يسان فيه عقل ماجن مغلوب على إرادته كما يهدف إلى إطعام الجائع وإسفاف المسكروب .

الحقوق الاشتراكية الأساسية في الإسلام

إن هناك مجالات عديدة تتطلب الاشتراكية كنظام يكفل لها البقاء والاستمرار ، فبدونها لا وجود لها ولا جدوى فيها . وهناك حقوق أساسية لا ينتفع بها إلا إذا اتم تطبيقها بروح الاشتراكية ، وهي : حق الحياة ، وحق الحرية وحق العلم ، وحق الكرامة ، فالأفراد تعتمد حياتهم على هذه الحقوق وتدور معها وجودا وعدما ، فلا وجود لإنسان لا حياة له ، ولا معنى لحياة الإنسان ما لم يستمتع بنصيب موفور معلوم من الحرية في حدود ما شرع منها ، ولا يفهم الحرية ولا يقف عند حدها الصحيح إلا من تلقى نصيبا معقولا من التعليم ، ولا علم لمن لا كرامة له .

فالناس جميعا شركاء في هذه الحقوق الأساسية ووجودهم مرتبط بها ، وما معنى

إلى أقصى مداها حين تحمل كل فرد مسئولية المشاركة في الحياة العامة للقضاء على المفسد الاجتماعية والأمراض الجماعية فلا يتعزل الفرد عن الناس (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) ولا يتفرد بنيته وحسن طويته فيما يعمل به ويأتيه من أعمال ، بل يرضى شعور الآخرين وأفكارهم فيحرم على النساء الظهور بما يفسد الشباب والرجال ويطلع فيهن الذين في قلوبهم مرض ولو كانت النساء لا يردن بذلك أن يتحقق أى من هذه الأضرار . وفي أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم فتزول بذلك قوارق الطبقات بآثارها من عوامل الحقد من جانب الفقراء والطغيان من جانب الأغنياء .

أما هؤلاء الذين يقصرون معاني الاشتراكية الإسلامية على النواحي الاقتصادية وحدها ، فهم على جهلهم بحقيقة أوضاع الإسلام وقواعده وأحكامه يجهلون أيضا حقائق تطور البحث الاقتصادي الحديث ، فقد بدأت تدخله النواحي النفسية للأفراد وتأثيراتها في النشاط الاقتصادي ، وهذه النواحي النفسية إنما تستمد وجودها وتقلباتها من الأوضاع الاجتماعية والدينية وما يتصل بها من ثقافة وخلق ، وما هو الإسلام سابق بحكمته وعظمته وإن كان هؤلاء الباحثون فيما عداه يتعثرون للوصول

أحيا الناس جميعا) بل إنه لا يقف عند هذا الحد ، فإذا لم يعرف القاتل على وجه التحديد أوجب على أهل البلدة التي قتل فيها أن يدفعوا الدية لأهل القتل إذ المفروض أن يحافظوا على أرواح كل فرد بينهم .

أما عن حق الحرية فإن بيان أوجه التقرير والتأكيد التي جاء بها الإسلام خاصا به لما لا يتسع له المقام فيكفي أن نذكر أن الإسلام يكفل للمرد حريته في عقيدته (لا إكراه في الدين) ولكل فرد أن يختار الدين الذي يروق له (لكم دينكم ولي دين) . وأما عن الحرية السياسية فإن لكل فرد مهما كانت مكانته أن يقف أمام أمير المؤمنين ليقول براه . يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك (وتواصوا بالحق) فلاخير في حاكم لم يسمعها ولاخير في محكوم لم يقلها .

ولم يكن حق العلم أقل نصيبا في حناية الإسلام به بل ما زال القرآن يأمر بالعلم ويوضح للناس أسس العلم الصحيح ومناهج البحث والتعليم ، فمن آياته ما يعيب بها على التقليد والجور ويدعو إلى التحرر في البحث عن حقائق الوجود بلا تعصب لفسب أو جاه أو شهوة أو تقليد أعى (وإذا قيل لهم انبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أول لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ويكرم العلم في شخص العلماء

الوجود لإنسان لا يستطيع أن يحيا حرا متعلما كريما ؟ إن حق الحياة شركة بين الجميع وليس حكرا لفرد أو وقفا على طائفة أو منحة لشعب ثم يحكم على الآخرين بالدمار والهلاك والإبادة ، كما أن حق الحرية شركة بين الجميع لأن الحياة تفقد ما فيها من سر ويظلم ما فيها من نور ويسكبو ما فيها من أمل ويخبو ما فيها من رجاء ويكتئب ما فيها من سعادة إذا فقدت حريتها ورزحت تحت أثقال القيود ورسفت في أصفاد العبودية والهوان . وحق الحرية دون علم منير وعقل مستنير : انطلاق محموم وانحلال مذموم وشهوات جاححة ونكبات جاححة ، وحق الكرامة يحفظ للره حرمة ويصون له سمته دون إهدار للقيم أو عبث بالمثل أو إفساد للناس .

ولها هذه الحقوق من أهمية بالغة في انتظام المجتمع الإسلامى واستقراره ، فقد هنى بها الإسلام عناية فائقة ، فاعتبر العدوان على حياة فرد عدوانا على المجتمع كله وأوجب على المجتمع القصاص من الجاني (ولكم في القصاص حياة) باعتبار أن من قتل فردا فقد قتل الناس جميعا لأن حياة الفرد من حياة الجماعة وعليها أن تحافظ عليها وتحميها (فمن قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فسكأنا قتل الناس جميعا ومن أحياها فسكأنا

وتعتمد على تنظيمه . إلا أن ذلك لا يعنى أن تذوب حقوق الإنسان الأربعة الرئيسية في تنظيم حقه في التملك .

ولقد أقر الإسلام هذا الحق وتناوله بالتنظيم ، فأحكم تقرير أركانه ومقوماته والمجالات التي يمكن إعماله فيها ، وحدد معالم الطريق الذي يسلكه النظام الاقتصادي بصفة عامة ، ولا نغالي إذا ذكرنا هنا أن الإسلام قد وضع أحكامه في التنظيم الاقتصادي بطريقة لم تستطع النظم الحديثة أن تصل إليها ، وإلى عمق علاجها للشكلات الاقتصادية المختلفة ، فتد حق الإسلام اشتراكية اقتصادية في وقت لم تكن اقتصاديات الدول الأوروبية قد حظيت فيه بشيء من العناية والتنظيم ، بل تزيد على ذلك فنقول إن البحوث الاقتصادية لم تصل إلى تقرير نظام محكم حتى الوقت الذي نعيش فيه ، فإن النظام الاقتصادي الإسلامي على بساطته دقيق في علاجه كل نواحي الهيكل الاقتصادي للجمع بحيث لا يترك كبيرة ولا صغيرة بدون علاج ، ولا يدع مجالاً لظهور مشكلات جديدة تخل بانتظامه واستقراره .

الاشتراكية الاقتصادية وسيلة لا غاية

ومن الواضح أن الاشتراكية الاقتصادية في الإسلام إن هي إلا وسيلة لتحقيق غاية

فيرفعهم يوم القيامة إلى أعلى الدرجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وذلك لأن العلم يقودهم إلى حسن معرفة الدنيا والآخرة فيخشون الله ويتقونه حق تقاته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وأما حق الكرامة ، وهو أساس هذه الحقوق جميعاً ، فهو أهم ما يعنى به الإسلام فيحرص على إبعاد الشبهات عن الإنسان حتى يكون موضع احترام المجتمع ومحل ثقته فيترابط الأفراد ويتماسك المجتمع (بأياها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) ويحرم استهزاء الناس بعضهم من بعض (ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) ولقد سجل القرآن حق احترام كرامة الإنسان في قوله عز وجل (ولقد كرّمنا بني آدم) .

حق التملك :

ولعل حق الفرد في التملك هو المجال الخصب الذي تجول فيه أقلام السكاتيين في الاشتراكية وخاصة الذين يقصرون معاني الاشتراكية على الحقوق الاقتصادية وحدها . وقد يكون لبعضهم العذر في ذلك إذ نستند كثير من الحقوق الأربعة السابقة إليه

للوصول إلى الكمال في تنظيم اقتصاديات المجتمع
الإنساني على أساس من الاشتراكية .

إن الاشتراكية الإسلامية تنبثق من روح
الإيمان لدى الإنسان ثم هي بعد ذلك تهدف
إلى إنماء روح الإخاء بين الناس ودعم
معاني الوحدةانية وتثبيت الحرية الفردية
واحترام كرامة الإنسان وتزكية روح
العلم لديه .

ولقد توسل الإسلام لتقرير هذه الاشتراكية
بوسائل غفلت عنها جميع المذنيات وأقفر
منها جميع النظم ، فقد ربط لإطعام الفقير
والمسكين بكثير من المخالفات الدينية والأعياد
السنية ، والعواطف الإنسانية ، فمن
المخالفات كفارات الظهار والفطر في رمضان
بغير عذر مشروع وكفارة اليمين ، وفي
الأعياد مناسبة كريمة لإعطاء المحروم وإشاعة
روح التآخي والمساواة فيلزم الفرد
بزكاة الفطر عن نفسه ومن يعولهم في آخر
يوم من رمضان ، وشرعت الأضاحي في
عيد الأضحي (يأبى الناس على كل أهل
بيت في كل عام أضحية) فهي واجبة على
كل قادر . وفي الأوقاف وللنذور والوصايا
فتح الإسلام أبواباً رحبة تلج منها العواطف
الإنسانية إلى آفاق البر والإحسان إلى فئات
كثيرة من المعوزين والمحرومين .
ويتساوى الناس في هذه الأحكام جميعاً

كرامة وهي الحياة الحرة الكريمة المستنيرة
للإنسان ، فهي وسيلة إلى حضارة تقوم على
الفضيلة وتنطوي على الإيمان بالله ووحدانيته
وليست وسيلة إلى حضارة تقوم على الرذيلة
والفوضى والتناحر بين الأفراد والكفر
والإلحاد ، فالإسلام عند ما يقرر (إنما
المؤمنون أخوة) لا يقصد بهذا مجرد الأخوة
المادية في الطعام والشراب والكساء فحسب
ولكنها أخوة رحيمة متكافلة . إذ يجب الأخ
لأخيه ما يجب لنفسه ويتألم لمصابه كما يتألم
لمصاب نفسه : « مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه
عضو نداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ،
فالمسلم يحرص على حقوق أخيه وحياته وحرية
كما يحرص على كرامته ، فيضطرب لاضطرابه
وبألم لآلامه ، ولا يستقر خوفاً على مستقبل
أخيه المسلم ولو كان مستقراً ثانياً . فالأخوة
الإسلامية أخوة في المشاعر والأحاسيس كما
هي أخوة في المطالب والحاجيات على حد
سواء .

الاشتراكية المادية في الإسلام في الذروة

وقد بلغت الاشتراكية المادية في الإسلام
ذروتها إذ سبقت عقول الباحثين بأجيال
وأجيال ، فما زال هؤلاء يخبطون خبط
عشواء ، وتحمل الإنسانية مرارة تجاربهم

الدول الغربية حتى هذا الزمان من إطلاق حرية أصحاب الأموال في استغلال أموالهم بلا حساب لحياة الناس وكرامة بنى الإنسان . وكان آخر ما وصلوا إليه الضرائب التصاعدية إلا أنها عجزت عن أن تكفل معاملة الجميع على السواء فما زالت مشاكل الأعباء المختلفة وفروق المراكز الاقتصادية متفاوتة أقوى من أن تحلها الضرائب التصاعدية . وهنا ظهرت بين أقلام الكتاب أقلام تشير إلى قوة الزكاة وإلغاء الربا في علاج مشكلات المجتمع الاقتصادي الحديث .

ولا تقف أحكام الإسلام في تنظيم الاشتراكية الاقتصادية بين الناس عند هذا الحد بل إنها تقر حقوقا كثيرة على الأموال ؛ منها حق الحصاد ، وآتوا حقه يوم حصاده ، وحق الجوار ، فالإسلام يوصى بالجوار ويقر له الحقوق تلو الحقوق فينبقى صفة الإيمان من مسلم نام شعبان وجاره جائع ، ما آمن بى من بات شعبان وجاره جائع ، ، وحق الماعون حين يتوعد المصلين الذين يمنعون الماعون وتبادل المنافع والخيرات ، فويل للصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يرادون ويمنعون الماعون ، .

ونظرة واحدة إلى نظام الإرث في الإسلام تكشف عما فيه من قضاء على تكتل الأموال لدى بعض الأفراد وتوزيعها على

ما داموا قادرين ولا يقتصر حكمها على الأغنياء ومن آتاهم الله من فضله بغير حساب . ثم يقضى الإسلام بأحكام أعمق في آثارها وأعظم في نفعها فيفرض الزكاة على ذوى المال فيأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء والمعوزين ، وهى أيضا تقضى على تكتل الأموال في أيدي أفراد فتنتص من أموال الكسالى والعاطلين الذين لا يفيدون المجتمع بأموالهم والذين يكتسبونها ولا ينفقونها في خيرهم وخير العباد ، وتقل الأموال إلى أيدي أكثر نشاطا وأقدر على التنمية والاستغلال فيزداد الإنتاج والرخاء على حد قول كتاب الاقتصاد .

ويحارب الإسلام تكتل الأموال في أيدي قليلة ويحارب سيطرة المال على جهود الأفراد واستغلال حاجة المحتاج وكربة المكروب فيحرم الربا في كل صوره ، فمن كان له رأس المال فهو شريك أو لا يكون على الإطلاق ، فإن أحجم واكتنز الزكاة تكفل للمجتمع نصيبا من ماله وتحرمه منه بعد قليل من الزمان وتنقله إلى العاملين الذين يشاركون في البيع والشراء والأخذ والعطاء يتعرضون للغم ويتعرضون للخرم على السواء .

وكم بحث الباحثون واقترحوا من حلول للقضاء على مشكلات الرأسمالية المنبثقة من هيوبها السكامة في أصولها والتي تسير عليها

بإدارتها وتستقر ملكيتها في يدها لتحقيق بها المصلحة العامة وتتوافر الضرورات الاجتماعية .

والحديث اليوم إنما يكثر عن التأميم باعتباره المظهر المعاصر الشائع من مظاهر الاشتراكية ، وما زالت المذاهب تتصارع للأخذ بالتأميم أو عدم الأخذ به ، وفي مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي لتحقيق المبادئ الاشتراكية الاقتصادية .

التأميم ضرورة عند الضرورة :

إن هناك كثيراً من أوجه النشاط الاقتصادي التي يميز الفرد أو المشروعات الفردية عن القيام بأعبائها ، إما لأنها لا تحقق الأرباح التي تفجع الأفراد على القيام بها مهما بلغت من المشروعية ، أو لأن قيام الأفراد بها يهدد لهم سبيل السيطرة والتحكم في أرزاق الناس وأقواتهم وحاجاتهم ، ومن هذه المشروعات إنشاء السكك الحديدية ومحطات القوى الكهربائية وإنشاء البنوك مع ما لها من قوى في توجيه النشاط الاقتصادي ، فهذه المشروعات تختم طبيعتها بالأمور قيام الدولة وحدها بتنفيذها دون الأفراد تحقيقاً لمصالح المجتمع ولو لم تحقق منها الربح .

إلا أنه من اليقين أن الأخذ بسبيل التأميم تحقيقاً للاشتراكية إنما هو ضرورة عند

الأقارب وتفرقة بين الرجال والنساء فيزيد في نصيبه لأنه يتجه إلى الاستغلال والإثماء والمرأة غالباً تتجه إلى الاستهلاك .

ويبلغ الإسلام ذروته فيقرر حقوقاً لمن ليست لهم حقوق إرث أو وصية ، وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فازقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ، فلا تقف نصوص الموارث جامدة تقضى على الأخوة الروحية بين الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، وتحول بين مشاعرهم بل تمنعها وتزكيتها بروح من الاشتراكية في أسمى معانيها ، فازقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً .

التأميم والاشتراكية :

ورغم أن الاشتراكية الاقتصادية تعني الاشتراك في ضروريات الحياة وحاجياتها ، إلا أن المعنى السائد هو التأميم أى استيلاء الدولة على الملكيات والإشراف عليها إدارياً وفنياً . والحقيقة أن الاشتراكية أشمل وأعم من التأميم ، فالتأميم إنما هو أسلوب من أساليبها ومنهج من مناهجها وليس هو مظهر الاشتراكية الوحيد .

والواقع أن التأميم سبيل سليم من سبل تحقيق الاشتراكية الاقتصادية فهناك من الأعمال والمشروعات ما يجب أن تنفرد الدولة

الوسائل حتى تحافظ على جمهور المتعاملين معها ولذلك تبقى في حالة تجديد مستمر وبحسب عن مصالح الجمهور وهو ما لا تقوم به المشروعات التي تباشرها الدولة .

وقيام الدولة بهذه المشروعات لا يراعى فيه إمكانيات المشروع المالية لأن الدولة تمديد المعونة ، وبلا حساب ، لهذه المشروعات فتتوهم بها الخزانة العامة وتحمل الأفراد في النهاية عبء التويل في صورة ضرائب أو رسوم وهو ما يناقض نتائج الاشتراكية المقصودة بالتأميم وهي القضاء على سيطرة رأس المال وخفض تكاليف المعيشة للأفراد وتيسير الحاجيات . ولقد انتج الإسلام سيلا رشيدا يكفل للأفراد ضروريات الحياة بعيدا عن الاستغلال والتحكم فأباح للدولة القيام بمثل هذه المشروعات ولكنه إلى جانب ذلك أحترم الملكية الفردية وأحاطها بسياس من الحماية وشجع أوجه النشاط الفردي في مجاله . فيروى أبو عبيد في كتاب الآوال أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقطع بلال بن الحارث النقيع كله وهو من أراضى المدينة التي لا تصل إليها المياه ، وكذلك أقطع كلا من الزبير بن العوام ووائل بن حجر وعبد الرحمن بن عوف ، وكان يشجع إلى التملك للاستثمار وزيادة نماء البلاد فيقول (من أحيا أرضا ميتة فهي له) و

الضرورة ، فهو سبيل يؤخذ به عند الضرورة أى في الحالات التي تستلزم قيام الدولة بتملك المشروع وإدارته وحدها وليس في كل أوجه النشاط الفردية والا انقلبت الدولة إلى تاجر يبيع ويشترى وينافس الأفراد في أعمالهم ، وهي - نظرا لضخامة إمكانياتها وقدرتها على تحمل خسائر لا يتحملها الفرد - تستطيع أن تقف في الميدان الاقتصادي وحدها وتنقلب إلى محتكر لأوجه النشاط الاقتصادي المختلفة مع ما في ذلك من مضار لا تخفى لكل من يعلم حقيقة الحرية الاقتصادية ومساوى الاحتكارات ، وهو ضرورة أى حالة خاصة لعلاج الضرورة التي تبرره ، فيجب أولا ألا يكون هناك سبيل آخر لعلاج هذه الضرورة التي تستلزم التأميم ، فإن وجدت طريقة تعالج المشكلة القائمة أخذ بها ولا داعي للتأميم لأنه نظام مخالف لطبائع الأمور وهي قيام الأفراد بمباشرة الأعمال الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك فإن مباشرة الدولة لهذه المشروعات الاقتصادية يتسم بالطابع الإداري وحده دون وجود الدافع الشخصي لإدارة مثل هذه المشروعات ، وانعدام هذا الدافع يقضى على روح التجديد والسمي لإرضاء المنتفعين بهذه المشروعات وإدخال التحسينات ومعالجة أوجه النقص في أقرب رقت وبأحدث

فلا هي تحترم العقل ولا الكفاية لأن التنافس بين الأفراد يخلق طبقات من الناس والطبقات في الاشتراكية الشيوعية معناها وجود حرب بين الناس لأنه لا يفهم هناك أن بين الطبقات تعاوناً وتضافراً لتحقيق الخير للجميع . وأن القوى يعطف على الضعيف ويبدل له من الجهد والمال ليرفع عنه الكربة والظلم ، ولكن الطبقات في الشيوعية قوى متحاربة قوام العلاقة بينها الكفر بالله ونكران العواطف الإنسانية وإهدار القيم الأخلاقية فالعلاقات هناك تقوم على أساس من الشهوات والرغبات المادية وحدها ولذلك كانت حرب على الرحمة لأنها لا تعترف بالضعفاء بل يجب أن يعمل الجميع ليحصلوا على أقواتهم دون رافة بالضعفاء والعاجزين . ولعل الشيوعية استوحت مبادئها من إبليس الذي رفض أن يحترم الإنسان لأنه لا يثق فيه . إن الشيوعية لا تثق في الإنسان وحرى بالإنسان ألا يثق في الشيوعية .

ونظرا للمساوى التي يتعرض لها الإنسان في النظام الرسمالي المطلق في العصر الحديث فقد أخذت الدول الأوروبية الحديثة بمبادئ الاشتراكية للحد من هذه المساوى والقضاء على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وإن كان الأخذ بالاشتراكية فيها يختلف فيما بينها وذئق

(من أقام حائطا على أرض فهي له) وذلك كله لتشجيع الأفراد على الحيازة والاستثمار ، ولذلك من احتجز أرضا ولم يعمرها نزعت منه (ليس محتجز بعد ثلاث سنين حق) .

اشتراكية المسموم هي اشتراكية الفطرة

وليس من شك أن اشتراكية الإسلام إنما تستوحى في أحكامها الفطرة الإنسانية وتعتمد على المواهب البشرية ، فاحترمت الملكية الفردية واعتبرتها وظيفة اجتماعية يقوم بها الفرد لمصلحته ولخير الناس جميعا ولا يحرم منها إلا من أساء استغلالها وأضر بالناس وهي اشتراكية قوامها التعاون والتكافل بين طبقات المجتمع كافة وليست حربا من طائفة ضد أخرى فهي تدعو الغنى إلى البذل إلى الفقراء وتدعو الفقراء القادرين إلى العمل والكسب في سبيل القوت والرزق ، فتضمن للمحروم حاجته ، وللجائع قوته ، وللريض دواءه ، وللعمار كساده ، وللشيخ التوقير والعناية ، وللطفل التربية والرعاية ، فلا يبقى في المجتمع إلا إنسان راض مطمئن على مستقبله .

وهذا كله لا يتفق مع الاشتراكية المتطرفة المعروفة بالشيوعية التي تنكر حق الملكية الفردية ، وتقضى على الدافع الشخصي للفرد فتقتل في نفسه الموهبة والكفاية الشخصية ، وتحيله إلى عامل ينفذ ما يوجه إليه من عمل

واختلاف ظروف كل دولة والأوضاع السائدة فيها .
ونحن والحمد لله نأخذ بالاشتراكية على هدى من الإسلام ، فقد صدرت عدة تشريعات تهدف إلى تخفيف الفوارق بين الطبقات والتقريب بينها ، وأخرى تهدف إلى القضاء على تكتل الملكيات في أيدي فئة قليلة من الإقطاعيين والعاطلين ، وهي إلى جانب ذلك تحترم الملكية الفردية وتدعمها فقامت بتوزيع الأراضي الزراعية على صغار الفلاحين ، وأشركت العمال في أرباح أصحاب الأعمال .

وصفوة القول أن الاشتراكية ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة ومخالف لما شرع الله ، وكذلك الفردية في مجالها المشروع ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة وفطرة الإنسان ومخالف لما شرع الله وفق الله على الخير خطانا وهذا ناصراطا مستقيما .

أحمد محمد

الواعظ العام بالقاهرة

خطر الكلمة يستهونها القائل

في إحياء علوم الدين للغزالي :
وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنتها ، فلذلك لا يخص إلا بالاختصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا ، وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقها ، فقد قال بلال بن الحارث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » .

مفردات قرآنيّة مَادّة الأَمْن في القرآن

للاستاذ أحمد الشرباصي

وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمان اسم للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان^(١)، نحو قوله تعالى: «لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم»، وقوله: «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون»، وقوله: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها».

والنساقّة الأمانون هي التي يؤمن فتورها وعثورها^(٢)، أو هي للقوية المأمون فتورها، جعل الأمن لها وهو لصاحبها^(٣). واستأمن الحربي، أي استجار وطلب الأمان ودخل دار الإسلام، لا يعتدي عليه ما دام مستأمنًا... ونعود إلى الاستعمال القرآني لمادة «أمن»، فنجد بعض هذا الاستعمال يورد المادة بمعنى «الأمن»، وهو زوال الخوف، وهو معنى له جلالاته ومكانته في الحياة الفردية والحياة العامة، لأن الخوف في الفرد والجماعة هو سبب الكثير لنكبات البشرية وكوارث الإنسانية. ولأن زوال الخوف مفتاح للاستقرار

وردت مادة «أمن» في القرآن الكريم عشرات المرات، ونجد هذه المادة تستعمل أحياناً بمعنى الأمن وهو ضد الخوف وتستعمل أحياناً بمعنى الأمانة وهي ضد الخيانة، وتستعمل أحياناً بمعنى الإيمان وهو ضد التكذيب. ويحسن قبل استعراضنا للمواطن الاستعمال القرآني لهذه المادة بمشتقاتها، أن نتعرف إلى معناها اللغوي، وقد قال ابن زكريا: «الهمزة والميم والنون: أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق؛ والمعنيان كما قلنا متدانيان». ويقول أيضا: «الأمان إعطاء الأمانة... والأمين المؤمن... وبيت آمن: ذو أمن، قال الله تعالى (رب اجعل هذا البلد آمناً)... وأما قولهم: أعطيت فلاناً من آمن مالي، فقالوا: معناه من أعزه على... لأنه إذا كان من أعزه عليه فهو الذي تسكن نفسه إليه»^(٤).

ويقول الزخشري: «دأعطيت فلاناً من آمن مالي، أي من أعزه على» وأن نفسه، لأنه إذا عز عليه لم يعقره، فهو في آمن منه»^(٥).

(١) مفردات القرآن للأسفهاني، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) أساس البلاغة ج ١ ص ٢٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ج ١ ص ١١٣.

(٥) أساس البلاغة، ج ١ ص ٢٠.

الإيمان متقاربان ، لأن الأمن اطمئنان واستقرار ، والإيمان فيه اطمئنان قلب واستقرار اعتقاد .

ويقول القرآن عن البيت الحرام : « ومن دخله كان آمناً ، أى آمناً من النار ، وقيل من بلايا الدنيا التى تصيب من قال فيهم القرآن : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ، ومنهم من قال : إن الكلام فى الآية لفظه خبر ، ومعناه أمر ، أى اجعلوا من دخله آمناً ، وقيل : آمن فى حكم الله ، وذلك كقولك : هذا حلال وهذا حرام ، أى فى حكم الله ، والمعنى لا يجب أن يقتصر منه ولا يقتل فيه إلا أن يخرج (١) .

ومثل هذا قوله تعالى : « أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ، ؟ وقوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً . يقول الطبرسى فى تفسير هذه الآية : « وإنما جعله الله آمناً بأن حكم أن من عاذ به والتجأ إليه ، لا يخاف على نفسه ما دام فيه ، وبما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه ، حتى كانوا لا يتعرضون لمن فيه ، فهو آمن على نفسه وماله ، وإن كانوا يتخطفون الناس من حوله ، ولمعظم حرمة لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جنابة فالتجأ إليه وإلى حرمة ، لكن يضيق عليه فى الماطم والمشرى ، والبيع والشراء ،

والإثمار ، وإذا كنا نجد اليوم تشريعات وتقنينات ومحاولات يراد منها تحقيق الأمان الفردى والتأمين الاجتماعى ، ويعنى بهذه التشريعات باحثون ومتخصصون هنا وهناك ، فمن حق القرآن الكريم علينا أن نعتز له بأنه قد سبق نخص هذه الناحية بالحديث الصريح تارة ، وبالإشارة أو الرمز أو التلميح تارة أخرى ؛ ونفهم من هذا أيضاً أن مبادئ « التأمين الاجتماعى » لها بدورها وجذورها فى كتاب العربية الأقدس وهو القرآن الكريم ، ولو أحسن الدارسون تتبع هذه الجذور ، وتحليل تلك البذور ، لوصلوا إلى نتائج هامة ومقررات جليلة .

إن القرآن الكريم يشير إلى أمن الجماعة المستقرة فى موطن يضمها ويشملها حين يقول : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . والمراد من الآية دعاء إبراهيم المؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة ، بما يجلب إلى مكة ، لأنها بلد لا ذرع ولا غرس فيه ، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحي ، وتعذر العيش فيها (١) .

ونلاحظ هنا أيضاً الرمز إلى ارتباط الأمن بالإيمان ، فإبراهيم دعا بالأمن لمن آمن وحديق ، وقد عرفنا أن معنى الإيمان ومعنى

سهلا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله
وجحدت آلاء الله عليها ، وأعظم هذه الآلاء
هى بعثته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا
بدلم الله بحالهم الأولين خلفهما ، فقال
« فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ،
أى ألبسها وأذاقها الجوع ، وبدل أمنها
خوفا ... » (١)

وكان كفران النعم الإلهية ، والنمرد
على توجيه الناس إلى الطيب من العمل والقول ،
وإساءة الصنع والتصرف ، مما يستوجب
النقمة وزوال الأمن ؛ ويحسن بنا أن نلاحظ
هنا ما يشبه التلازم بين الأمن والتعبد ،
لحسن التعبد لله عن طريق صدق الإيمان به
والخضوع لأمره يستتبع تفضل الله بالأمن
على هؤلاء المتعبدين ، والكفر بالله والتمرد
على حكمه يستتبعان زوال الأمن والرزق ،
وإقبال الخوف والجوع ؛ ومن ناحية أخرى
نلاحظ أن تحقق الأمن عامل جوهرى يؤدي
إلى صلاح العبادة ، لأن الخائف فى حسه
أو نفسه أو رزقه لا يتقن العبادة ولا يؤديها
على وجهها ، لتسيطر القلق عليه واستبداد
الخوف به ، ونظر الدين الرازى يقول :
« إن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين
كان ذلك من أعظم أركان الدين ، فإذا كان
البلد آمنا ، وحصل فيه الخصب ، تفرغ أهله

حتى يخرج منه فيقام عليه الحد ؛ فإن أحدث
فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ، لأنه
هناك حرمة الحرم ، فهو آمن من هذه
الوجوه ، » (١)

وكان الله تبارك وتعالى يريد بهذا التشريع
أن يذكر الناس بأن الأمان والاطمئنان
وزوال الخوف غاية يطمح إليها الإنسان
لتكون تاجاً لسماعته فى الحياة ، ولذلك جعل
يقيم موطننا لنوافر هذا الأمان ، حتى مع المذنب ،
ليكون فى ذلك تذكير بعنصر التأمين الذى
يجب أن يتعاون الناس على تحقيقه فى الدنيا
بكل وسيلة ، مع عدم الإجحاف بواجب
العدالة والقسطاس .

ولكن القرآن الكريم فى موطن آخر
يذكرنا بأن المتمتع بنعمة الأمان والأمن
والاطمئنان إذا لم يتدبرها ويشكرها ويعمل
بمقتضاها ، سلبها الله منه ، وردة إلى نقيضها ،
ولذلك يقول : « وضرب الله مثلاً قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ،
فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون » .

وقد ذكر ابن كثير أن هذا مثل أريد به
أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ،
يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها كان
آمناً ، وأن رزقها يأتيها رغداً ، أى هنيئاً

أتمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاية عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، وله الحمد والمنة ، (١) .

ويقول الرازى فى تفسير الآية أيضا : « أعلم أن تقدير النظم : بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون ، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، أى الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم فى الأرض فيجعلهم الخلفاء ، والغالبين والمسالكين ، كما استخلف عليها من قبلهم فى زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما ، وأنه يمكن لهم دينهم ، وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا ، بأن ينصرهم عليهم ، فيقتلهم ويأمّنوا بذلك شرهم . فيعبدوننى آمنين ، لا يشركون فى شيئا ولا يخافون ، فمن كفر أى من بعد هذا الوعد وارتد فأولئك هم الفاسقون (٢) .

والقرآن يعود فيكرر ارتباط تحقق الأمن بتحقيق الإيمان المحفوظ من الظلم والبغي والانحراف ، فيقول : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن

لطاعة الله تعالى ، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك ، (٣) .

وقد نفهم من ذلك أن الذين يسعون لتوطيد دعوة الله بين الناس ، والذين يجاهدون لتثبيت دعائم تعاليمه بين خلقه ، يجب عليهم أيضا أن يسهموا فى توفير الأمن الحسى والتأمين الاجتماعى ، والاطمئنان المعاشى ، بما يستطيعون من وسائل ، لأن توافر الأمن والاطمئنان يعاون على حسن للعبادة وبشر الاستجابة الواسعة للنطاق لأحكام الدين وتعاليم الدعوة .

وفى مجال الارتباط بين الإيمان والعمل الصالح ، وتحقيق الأمن والاطمئنان نجد قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون فى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . فالمستحقون للاستخلاف والتمكين والأمن هم المصدقون بالله ودينه ، العابدون لله بلا شريك ، الذين يعملون كل عمل صالح لازم فى هذه الحياة ، ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) تفسير الرازى ، ج ٦ ص ٢٨٧ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٨٦ .

ولا في أعمالهم البدنية والنفسية ، من دينية ودينية ، ولا بغيرهم من المخلوقات من العقلاء والعجارات ، أولئك لهم الأمن من عذاب الله تعالى الديني على ارتكاب المعاصي والمنكرات وعقابه الديني على عدم مراعاة سنته في ربط الأسباب بالمسببات ، كالفقر والاسقام والأمراض ، دون غيرهم ممن ظلموا أنفسهم أو غيرهم ، فإن الظالمين لا أمان لهم ، بل كل ظالم عرضة للعقاب ، (١) .

ويأتي الحديث النبوي مؤكداً أن الرسول كان بدعوته وهدايته أمناً لأمته ، وأن أصحابه بحرصهم على تبليغ سنته كانوا أمناً لهذه الأمة أيضاً ، وهذا يستفاد منه أن الاعتصام بهدي الله سبب الأمن والأمان ، فيقول الحديث : « النجوم أمنة السماء فإذا ذهب النجوم أتي الساء ما توعده ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهب أتي أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما توعده » .

وقد أراد - كما في اللسان والنهاية (٢) - بوعده السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة ، وذهاب النجوم : تكويرها وانكسارها وإعدامها ، وأراد بوعده أصحابه ما وقع بينهم

وهم مهتدون ، والمعنى - كما يقول الرازي - إن الذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهدى الوصفين : أولهما الإيمان ، وهو كان القوة النظرية ، وثانيهما هو عدم التباس الإيمان بالظلم ، وهو كمال القوة العملية (٣) .

وهناك فريق من المفسرين يذهب إلى أن المراد بالظلم في الآية هو الشرك ، وهذا تخصيص لعام بدون موجب ، فالظلم قد يكون شركاً ، وهذا أشنع أنواع الظلم ، وقد يكون هضماً لحق ، أو بغياً على شخص ، أو غير ذلك ، وحينما تعرض الطبري لتفسير هذه الآية ذكر روايات في أن المراد بالظلم هو الشرك ثم قال : « وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخطئوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم ، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله ، وقالوا : الآية على العموم لأن الله لم يخص به معنى من معاني الظلم » (٢) .

والى هذا الرأي أميل ، وقد رجحه الزخشري حين قال في تفسير الظلم هنا : « أي لم يخطئوا إيمانهم بمعصية تنقسمهم » (٣) . ويؤيده صاحب « تفسير المنار » ، حيث يقول في الآية : « المعنى : الذين آمنوا ولم يخطئوا إيمانهم بظلم ما لأنفسهم ، لأن إيمانهم

(١) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٥٨١ .

(١) تفسير الرازي ج ٤ ص ٨١ .

(٢) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٤ . ولسان

(٢) تفسير الطبري ، ج ٧ ص ٢٥٨ .

العرب طبعة بيروت ، ج ١٣ ص ٢١ .

تفسير السكشاف ج ٢ ص ٢٥ .

أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم هليبا به تليعا » « أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلون كيف نذير ، » « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون . »

وقد جاء من مادة « الأمن ، في استعمال القرآن كلمة « أمنة ، — بفتح الألف والميم والنون — وهي بمعنى ضد الخوف أيضاً ، وذلك في قوله تعالى ، في شأن المسلمين في غزوة بدر : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وهذه كما في تفسير المنار ^(١)منة من الله تعالى على المؤمنين التي كانت من أسباب ظهورهم على المشركين ، وهي إلقاءه تعالى النعاس عليهم ، تأمينا لهم من الخوف الذي كان يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم في العدد والعدة ، وذلك لأن من غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف ، كما أن الخائف لا ينام .

ومثل هذا ما جاء بسورة آل عمران من قوله تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ناعسا يغشى طائفة منكم ، . وفي بيان وجه الامتنان بإنزال النعاس على المؤمنين المجاهدين يقول الإمام الشيخ محمد عبده —

من الفتن ، وكذلك أراد بوعد الأمة ، والإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير ، فإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه ، فلما توفي جالت الآراء واختلفت الأهواء ، فكان الصحابة رضى الله عنهم يسندون الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في قول أو فعل أو دلالة حال ، فلما فقدت الأنوار وقويت الظلم ، وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم ...

وقد جاءت مادة « الأمن ، بمعنى عدم الخوف في مواطن من القرآن أريد فيها التحذير من الاغتراف بأعمال الله جل جلاله لعباده إذا أهملوا أو أساءوا ، والتحذير من الاطمئنان إلى متاع الحياة اطمئنانا يؤدي إلى عدم الخوف من الله ومن حسابه على ما قدمت الأيدي وعقابه على ما اجتاحت من السيئات ، وذلك كما في الآيات التالية :

« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، » « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، » « أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ، أم أنتم أن يعيدكم فيه تارة

(١) تفسير المنار ، ج ٩ ص ٦٠٩ .

للأجسام ، والتسليم للقضاء ، أن سهل على هؤلاء المؤمنين اقتفاء أثر المشركين بعد انصرافهم ، وعزموا على قتالهم في حمراء الأسد عندما دعاهم الرسول إلى ذلك فاستجابوا له مدعين (٢) .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد أبان في هذه المواطن السابقة عن أهمية الأمان للإنسان ، وعن الأثر البالغ الذي يحدثه الخوف في نفسه ، فإنه إذا كان قلقلًا خائفًا لم يستطع أن يشر أو يعمر أو يقاوم ، ولكنه حين الأمان والاطمئنان يستطيع أن ينفع وينتفع ، وفي هذا إيحاء أى إيحاء بأن تعمل الأمة بجميع طاقاتها على أن يتوافر الأمان والاطمئنان لها وهى أمة ولعل من فيها من الأفراد . للبحث بقية ،

أحمد الشرباصى

(١) تفسير المنار ج ٤ ص ١٨٧ .

كما روى صاحب المنار — : وقد مضت السنة فى الخلق بأن من يتوقع فى صبيحة ليلته هولا كبيرا ومصابا عظيما ، فإنه يتجافى جنبه عن مضجعه ، ويبيت بلبلة المسوح . فيصبح غاملا ضعيفا ، وقد كان المؤمنون يوم بدر يتوقعون مثل ذلك ، إذ بلغهم أن جيشا يزيد على ثلاثة أضعافهم سيحاربهم غدا ، وهو أشد منهم قوة وأعظم عدة ، فكان من مقتضى العادة أن يناموا على بساط الأرق والسهاد ، يضربون أخماسا لأسداس ، ويفكرون بما سيلاقون فى غم من الشدة والبأس ، ولكن الله رحمهم بما أنزل عليهم من النعاس ، غشيم فناموا واثقين بالله تعالى ، مطمئنين لوعده ، وأصبحوا على همه ونشاط فى لقاء عدوهم وعدوه . ويقول أيضا : والنوم للصاب بمثل تلك المصائب نعمة كبيرة وعناية من الله عظيمة ، وقد كان من أثر هذا الاطمئنان فى القلوب والراحة

من صفاته صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف فى وجهه غضبه ورضاه ، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحينه الكريمة ، وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه ، دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها ، فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه ، يعنى الصفرة .

حرية الكلمة في الإسلام

للأستاذ علي محمد حسن العمّاري

الفرد نتيجة خطيرة وهي المسؤولية، وضرورة تحملها، ثم الانزام بالفعل والقول، (١).
والدين الإسلامي وهو أقوم نظام عرفته الإنسانية، وأسمى شريعة جاء بها نبي مرسل ما كان له أن يعطي الناس حرية مطلقة — ولو أنه أعطاهم حرية واسعة — لأن مصلحة الجماعة — دائماً — مقدمة عنده على مصلحة الفرد و (بعض الحرية في التقيد وبعضها في السلب ، وإذا تعارضت منفعة الفرد في إطلاق الحرية ، ومنفعة الأمة في حدها أو سلبها وجب نزع (ملكية) هذه الحرية ، ولو على الوجه الذي تؤخذ به دور الناس لتطريق شارع (٢) .

وقد ضرب الإسلام أحسن مثل للحرية التي منحها لاتباعه ، بين فيه أن مصلحة الجماعة أولى بالرعاية ، وأحق بالاعتبار ، قال صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٤٤ ، ١٤٥ دكتور

مندور .

(٢) تحت راية القرآن ص ٣٦٩ للمرحوم مصطفى صادق الرافعي .

(٦)

لا أعرف ديناً سماوياً ، ولا قانوناً وضعياً ، ولا مذهباً اجتماعياً ، ولا حزباً سياسياً ، لا أعرف شيئاً من ذلك أعطى لاتباعه حرية مطلقة ، ولا أظن أنه سيحيى في المستقبل القريب أو البعيد لون من هذه الألوان إلا أن تتجسم الفوضى ذاتها بشراً سوياً ، وتدعو أتباعها إلى شريعة من شرائعها ، وحينئذ سوف لا تركهم يعيشون في العمران ، وإنما ستجرجرهم إلى غابة من الغابات يمحرون فيها ويلعبون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام .

فلا يمكن أبداً أن تترك الحرية للناس في أي نظام كان ، يفعلون كل ما يشاءون ، ويقولون كل ما يجيش به خواطرهم ، حتى الوجودية التي دعت الفرد أن يتحرر من كل موروث من الاعتقادات والتقاليد والعادات ، وأن يتخلص من كل المبادئ والأحكام السابقة حتى هذه لم تترك له تلك الحرية مطلقة الزمام بغير هدف ولا غاية ، أي لا تجعل من تلك الحرية غاية في ذاتها فتقلب إلى ما يشبه الفوضى .

نعم لا يدعوا سائرنا إلى مثل هذه الحرية الشبيهة بالفوضى ، وإنما يرتب على حرية

قوانين ، ونهى عن أنواع منها ، وتوعد عليها ، وبعض وعيده يشير إلى العقاب الأخرى فقط ، كما في نهيه عن اللغو من القول ، وعن ترديد الإلفك الذى يرى به بعض المسلمين بعضا ، وجاء فى ذلك قوله تعالى : « إذ تلقونه بأستسكم وتقولون بأؤاهاكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، وبعض وعيده أخرى ودينوى ومن ذلك إذاعة قالة السوء عن المسلمين ، وإشاعة الأكاذيب التى تضر بجماعتهم ، أو تؤثر فى سياستهم الحربية أو غيرها وقد جاء فى هذا قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنگرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ، والمرجفون ناس كانوا يرجعون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا . ومعنى لنگرينك بهم ، لنا نركك بأن تفعل بهم الأفاعيل التى تسوهم ثم بأن تضطرم إلى طلب الجلاء عن المدينة . وشييه بهذا : الإرجاف بعقائد الناس ومقدساتهم فإن ذلك يوقع البلبلة فى النفوس ، ولا وجه لما يقال أن حرية الرأى نور ولا يخاف النور إلا الضعفاء لأن ذلك حق

على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقا . ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ، فلا بد إذن من الأخذ على اليد حين يكون استعمال الحرية مهلكا للجميع ، وهذه - فيما أعتمد - قضية طبيعية لا يختلف فيها اثنان . وفى الحديث - على ما قال ثقات الشراح - تشبيه الواقعين فى الحدود بمن أصابوا أسفل السفينة ، وتشبيه القائمين عليها - وهم الذين يحلون الحلال ويحرمون الحرام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - بمن يركبون أهلى السفينة . وفيه - أيضا - إرشاد القائمين على حدود الله أن يأخذوا على أيدي المعتدين عليها ، وألا يسمحوا للفاحشة أن تشيع فيهم ولا يآذنوا للفساد أن يستشرى بينهم : فإنهم إن لم يقوموا بما افترض الله عليهم من المحافظة على تعاليمه وألقوا حبل العابثين على غواربهم ، وتركوهم يخوضون الباطل خوضا صهما الله بعذابه .

هذا من الناحية العامة ، وأما من خصوص الكلمة ، فالإسلام - على مبدئه العام - لا يتركها للناس يقولونها بحرية مطلقة ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، بل حد لها حدودا وشرع لها

ينشر على الناس - مثلاً - أن القرآن يحتوي على أساطير ، أو أنه أنزل بالمعنى والصيغة من عند محمد غير بلبلة الأفكار ، والتهجم على أقدم ما يعتز به المسلمون .

نفهم أن يفسح للرأى في الذبوع والنشر إذا كان من وراء نشره ما يفيد الجماعة فيبصرهم عماية يقعون فيها ، أو يرشدهم إلى مسلك جهلوه ، أما أن يكون القصد من الرأى هو مجرد الهدم فلا أرى معنى لنشره لأن في ذلك مساعدة لقلب مريض على أن ينفث من دائه في صدور المعافين الأصحاء . ومن عجب أنه ما أثرت حرية الرأى ، أو حرية الكلمة إلا حيث وقع شر أجمع العقلاء أصحاب الدين الصحيح على أنه شر ، وما رأينا قوما دافعوا عن حرية الرأى المطلقة إلا وفي تاريخهم ما يؤخذ عليهم من وجهة النظر الإسلامية ، ولماذا - فقط - لا يدور الجدل حول هذه المسألة إلا حين يكون طعن يراه رجال الدين العارفون به مطعناً في دينهم ؟ إن الذين يناصرون الخارجين عن الدين يحجمون أن يقولوا كلمة واحدة حين يتعلق الأمر بغير الإسلام ، وأنا - في الحقيقة - لا أريد أن أحكم هنا على أن هذا الرأى أو ذاك خروج على الدين لأن هذا ليس غرضي ، وإنما الذي أريد أن أقوله إذا كان في الرأى ما يراه العلماء مضراً

يراد به باطل فليس كل مسلم قادراً على أن يميز الحبيث من الطيب ، وكثير من الناس حتى المتعلمين منهم سريعو التأثير بما يسمعون أو يقرأون ومن واجب أولى الأمر أن يحموا عقائد الناس من أن يتلعب بها أهل الزيف والإفساد الذين يتبعون المتشابه من الآيات كما قال تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » ، قال الشاطبي في الاعتصام : « من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها وبالعمومات قبل لها خصصات أولاً ؟ وكذلك العكس ، بأن يكون النص مقيداً فيطلق أو خاصاً فيعم بالرأى من غير دليل سواء . فإن هذا المسلك رعى في عماية ، واتباع للموى في الدليل . ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن ، ومناقضة بعضها بعضها وفساد معانيها أو تحاليفها للعقول^(١) .

والكلمة التي تضر بالجماعة سواء كانت كلمة تطلعن في الوطن أو في الدين أو في الخلق يجب أن تحبس ، وأن يضرب على يد صاحبها ، سيما إذا كان رجلاً لا يعنيه إلا أن يقول ، فليس بصاحب هدف سام يريد أن يصل إليه ، وليس بصاحب مبدأ في الإصلاح حتى يقال إنه إنما يريد خير أمته ، وأى خير في أن

ثم قال له ما تقول ، فقال غيلان : قد كنته
أعمى فبصرتني وأصم فأسمعتني وضالاً
فهديتني . ثم أمسك عن الكلام في القدر ،
فلما مات عمر تكلم في القدر فبعث إليه
هشام بن عبد الملك فقطع يده ثم تكلم
في القدر فصلبه (١) .

وقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما
أن أعمى كانت له أم ولد ، تشتم النبي صلى الله
عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنهى ، فلما
كان ذات ليلة أخذ الممول فجعله في بطنها
وأتمكأ عليه فقتلها ، فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم ، فقال : أشهدوا فإن دمها هدر
قال صاحب (بلوغ المرام) في هذا الحديث :
ورواته ثقات .

أما قتل المرتد فقد أجمع عليه علماء
المسلمين . قال الصنعاني صاحب سبل السلام
بعد أن روى حديثاً عن معاذ بن جبل :
الحديث دليل على أنه يجب قتل المرتد وهو
إجماع (٣٠ ص ٣٦١) .

وذكر حديث ابن مسعود - رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يحل
دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى
رسول الله إلا بإحدى ثلاث : اللبث الزانى ،
والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق
للجماعة . قال صاحب بلوغ المرام في الحديث

بالدين أو يراه الساسة مضرأ بالوطن ،
يجب أن يحال بينه وبين الذبوع ، ولا يعتبر
هذا حجباً على الحرية ، لأن الحرية المطلقة
كما قلت آتفا - لا تكون إلا في الغابة أو كما
يقول الرافعى - رحمه الله - : دما هي قيمة
حرية التفكير وأنت لا تجدها على أعظم
شأنها وأكثر أسبابها وأوسع أشواطها إلا في
المعتوهين والموسوسين وألفافهم .

وفي الإسلام نصوص كثيرة تدل على أنه
ينبغي أن يحال بين الكلمة الصلحاء وبين
الذبوع ، بل تدل على وجوب معاقبة صاحبها ،
ذكر صاحب الاعتصام أن عمر بن الخطاب
- رضى الله عنه - ذكر له رجل يقال له صبيغ
فلما ظفر به جلده حتى سقطت عمامته ، قال
السيد رشيد رضا معلقاً على هذه القصة :
وما ذكره المصنف هنا مروى بالمعنى ،
وجملة الأمر أنه - أى صبيغ - كان أول من
وقع منه الشك وتشكيك الناس في مقشابه
القرآن ابتغاء تأويله ، وكان قد كثر الداخلون
في الإسلام من الشعوب المختلفة غشى عمر
الفتنة على الجاهلين فأدبه وأبعده إلى البصرة ،
ونهى الناس عن مجالسته ومكالمته (١) .

وروى صاحب الاعتصام - أيضاً - قصة
غيلان القدرى مع عمر بن عبد العزيز ،
وأن عمر أرسل إليه فلما جاءه ناظره وأرشد

لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن :
أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد
وإلا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت
عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب
عنقها . قال الحافظ : وسنده حسن ، وهو
نص في موضوع النزاع فيجب المصير إليه^(١) .
وقد قتل أبو بكر الصديق في خلافته امرأة
ارتدت والصحابة متوافرون فلم ينكر عليه
أحد ذلك (٢) .

ومن عجب أنى قرأت لأحد السكانيين كلمة
في صحيفة يومية جاء فيها بالحرف الواحد :
(فإن ارتدت الزوجة هي الأخرى عن الإسلام
فالإجماع بين علماء الإسلام على تركها حرة
مختارة ، وعدم التعرض لها بأى سوء فضلا
عن قتلها) والكاتب قد نقل في كتبه عن كتاب
(نيل الأوطار) فبدهى أن يكون اطلع على
هذا الخلاف فخبايته الإجماع على عدم قتل
المرتدة لا يحمل إلا على الجرأة البالغة ،
والخيانة العلية ، فكيف نأمن أمثال هذا
على رأى يذيعه أو كله يقولها وهو يكذب
في النقل في موضوع يعلم أن الحديث فيه
لن يمر دون درس وتمحيص .

وقد تمسك هذا الكاتب في عدم قتل
المرتد - كما تمسك كاتب آخر قبله - برأى نسب

متفق عليه ، أى رواء البخارى ومسلم ،
وغير صاحب سبل السلام التارك لدينه بأنه
كل مرتد عن الإسلام بأى ردة كانت فيقتل
إن لم يرجع إلى الإسلام ، وفسر المفارق
للجماعة بأنه كل خارج عن الجماعة ببدعة أو
بنى أو غيرهما كالخوارج إذا قاتلوا وأفسدوا
في الأرض .

ومن الأحاديث في هذا الموضوع قوله
صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه ،
وقد رواه البخارى وأصحاب السنن .

ومن حكي الإجماع على قتل المرتد ابن
عبد البر في التمهيد في الكلام على حديث
(من بدل دينه فاقتلوه) قال : وفقه الحديث
أن من ارتد عن دينه حل دمه ، وضربت
عنقه . والأمة مجمعة على ذلك .

وصاحب المغنى من فقهاء الحنابلة قال :
وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ،
وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى
ومعاذ وأبى موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر
ذلك فكان إجماعا .

وقال ابن دقيق العيد في شرح العمدة :
فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة
دمه بالإجماع .

وقد اختلف الفقهاء في المرتدة ، فقال
الأحناف : لا تقتل ، وقال غيرهم تقتل ،
وجاء في نيل الأوطار حديث عن النبي قال

(١) ج ٧ ص ٣٩٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٩٣ .

لأن الدعاء كان يلزم أبداً مكرراً بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً ، وليس دعاء المرتد - وهو أحد الكفار - بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحريين ، فسقط هذا القول . ١٥١ .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعي غير مراد ؛ لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شيء فيتعين حمله على أنه يستتاب كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ بن حجر في فتح الباري : وعن النخعي يستتاب أبداً ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اهـ ... وقد روى البيهقي في السنن الكبرى بسنده هذا المعنى عن النخعي أي أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعي ما ذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال :

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم النخعي : تقتل المرتدة اهـ (١) .

ولاشك أن كثيرين من المثقفين قد دهشوا من جرأة هذا الكاتب ومن جملة معا ،

(١) من بحث كتبه المرحوم الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقاً وقد رد فيه على كل ما كتبه هذا الكاتب في الصحيفة اليومية لأنه في الحقيقة ترديد حرفي لبحث كان نشر قبل ذلك . أنظر مجلة الأزهر العدد (شعبان سنة ١٣٧٥) .

إلى إبراهيم النخعي ، وهذا لم يقل بعدم قتل المرتد صراحة ، وإنما حكى رأيه عند استتابة المرتد ، وقد اختلف العلماء فيه ، فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور ، وقيل يجب قتله في الحال وإليه ذهب الحسن وطاووس . قالوا : وإنما تشرح الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة ، فأما من خرج عن بصيرة فلا .

واختلف القائلون بالاستتابة هل يكتفى بالمرة أم لا بد من ثلاث ، وهل الثلاث في مجلس أو في يوم أو في ثلاثة أيام ، ونقل ابن بطلان عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه يستتاب شهراً ، وعن النخعي أنه يستتاب أبداً (١)

فالذي حكى عن النخعي هو أن المرتد يستتاب أبداً ، قال عالم جليل في مقال نشرته مجلة الأزهر : دققهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل ، وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال ، - بعد أن حكى الإجماع كما سبق - : وقال النخعي يستتاب أبداً ، وهذا يفضي إلى أنه لا يقتل أبداً ، وهو مخالف للسنة والإجماع اهـ . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال في المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبداً ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ،

نظام للصلاة ، وما دام القرآن لم يذكر رجم الزاني المحصن ، ولا تغريب الزاني غير المحصن ، فلا رجم ولا تغريب ، ولا معنى لما جاء في القرآن (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . و (أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

بل ما هؤلاء العلماء الأصنام . وهؤلاء العلامات الاعلام أيضا ونصوص القرآن ، ألم تقل واحدة منهم في مجلة أسبوعية إن المرأة قد أخذت كل حقوقها فلا معنى لأن يذهب ميراثها عن ميراث الرجل ، ألم يقل عالم في بعض كتبه إن ضرب المرأة وحشية ، وألم يقل قدوة هؤلاء جميعا ، دلتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، ١٤ (١) .

(وبعد) فإن الإسلام وضع قاعدة ذهبية ، يا آيت كل مسلم يضعها أمام عينيه وذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) .

علي العمري

فقد ذكر (أن الفتوى بقتل المرتد أسربت إلى فقهاء المسلمين عن طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التي تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم في العصر العباسي وقد كانت هذه التقاليد وما زالت تقضى بقتل المسيحي إذا هو غير دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) الله . الله . فقهاء المسلمين قلدوا المسيحية في فتاواها ، فلنحرق إذن كتب الفقه كلها لأن الذين ألفوها كانوا غير أمناء وكانوا مغفلين ، ألم يقل ذلك (آدم متز) ذلك المستشرق العلامة ، ومن ذا بعد آدم متز ؟ وذكر الكاتب أن أبا بكر لم يقاتل المرتدين إلا بعد أن (هجموا بالسلاح على المدينة المنورة) وأنا - والله - أظن أن المحققين من علماء التاريخ الإسلامي يجهلون هذه الحقيقة : هجوم المرتدين على المدينة ١ ، وأن أبا بكر قاتلهم لذلك ، كأنه لم يقل : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه . والقرآن لم يذكر قتل المرتد ، ولذلك فينبغي ألا يقتل ١ وهذه الفتوى من الكاتب على حد فتوى الشاعر الأندلسي الذي أخذ إلى القاضي والخمر تفوح من فيه فقال :

قرأت كتاب الله تسعين مرة

فلم أر فيه للشراب حدودا
فعلى هذه الطريقة الخمورة نأخذ ديننا ،
فإدام القرآن لم يذكر عدد الصلوات فلا

(١) الشعر الجاهلي ص ٢٦ للدكتور طه حسين

بمناسبة رمضان عيد رسول الإسلام :

تبييناً لكل شئ من رب كل شئ للاستاذ فتحى عثمان

حدث ينبغي أن يدرسه دعاة الأديان في كل مكان ! ...

لقد اجتمع ٥٧٧ مندوباً ، ليحاولوا تحديد إطار المسيحية غير الكاثوليكية ، وناقشوا ١٨ يوماً متابعة وقد أرسل الفاتيكان لأول مرة مراقبين عنه إلى هذا الاجتماع ، بصفة رسمية ، !

وكان أكثر الموضوعات التي أقيمت أصالة واستثارة ماقدمه الدكتور يوسف سينر أستاذ اللاهوت في الإلهيات بجامعة شيكاغو... إنه يرى أن الشيوعية ليست مادية صرفة ، إن الذي هياً للشيوعية فرصاً هو اتجاهها لإعطاء كل شئ قيمة ، وهدفاً ، ووضعها إياه في مكانه من النطاق الضخم لمجموع الإنسان والعالم !! وعلى العكس من ذلك يرى الدكتور ستيلر أن المسيحية قد تضاعفت وانحسرت ، حتى لم تعد أكثر من سناد للعجز ، وقرين للوحدة وخادم سماوى للأغراض القومية المحلية .

وهو يرى أن الذى تحتاجه المسيحية : نظرة توجيهية شاملة ، أصدق وأوسع

أختمت عام ١٩٦١ من ميلاد المسيح ، بحدث ديني ضخم في تاريخ الكنيسة المسيحية ، فقد انعقد مؤتمر ديني عدته مجلة « تايم » الأمريكية أضخم اجتماع مسيحي منذ القرن السادس عشر !!!

لقد كان الانعقاد الثالث للجاس العالمى للكنائس في دلهى عاصمة الهند . وقد أعرب أحد أقطابه : الرئيس هنرى تبنى فان دوزن عن إيمانه بأن هذا الاجتماع سيعد بحق « أحد الأحداث المبكرة في ثانی إصلاح كبير في المسيحية ، !!!

لقد أخذت كل الكنائس تحس بالحاجة إلى تعبئة الجهود ، وتنسيق الخطط ، وتعاون القوى ... للانطلاق !!!

الكنائس الأرثوذكسية اجتمعت في رودس ، والبابا يوحنا يؤمل في وحدة الكنيسة ويسير إلى الأرثوذكسية الشرقية والبروتستانتية الغربية بروح من المودة . أما البروتستانتية في أمريكا فتريد أن تجمع شتاتها ...

وفي هذه الظروف جاء اجتماع دلهى ، وهو

الاجتماعية وأثرها في الحياة المسيحية ،
وأهاب بها أن تكافح بجد في سبيل المساواة
بين الأجناس ، وحث الشعوب الغنية على
مساعدة الشعوب المحرومة ، كما استنصهم
المسيحيين للعمل من أجل قيام المنظمات
السياسية التي تشجع اشتراك كل المواطنين
في الحياة السياسية ، والتي تحمى كلا من حرية
الفرد في ضميره وحرية تعبيره . وقد كانت
توصيات المؤتمر قوية في صدد الدفاع عن
الحريات الإنسانية . وأذرت من أن حكومة
لا تستند إلى رضا المحكومين لا يمكن أن
يؤيدها المسيحيون في هذا العصر ١١١

* * *

يفعل هذا دعاة الدين الذي قال داعيته
الأول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ،
وما لله لله ، ١

فماذا يفعل دعاة الدين الذين يقرأون :
« ونزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء ،
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، ١١
لقد فصلت أوروبا بين الدين والدولة ...
فماذا كانت النتيجة ؟ ؟

يقول روجيه باستيد R. Bastide في كتابه
مبادئ علم الاجتماع الديني :

« ... مع أن التفرقة بين الهيئات الكهنوتية
وبين الدولة قانون مطرد ، فهناك طغيان
متبادل بين هاتين السلطتين عندما تكونان

وأثبت من النظرة الماركسية ، مع روحانية
في الأعماق تنير الطريق : « في مجالات
الاقتصاد ، والسياسة ، وشتى مجالات النشاط
الإنساني ، ١١

إن الدكتور سيتلر يريد مسيحية عالمية
إيجابية فعالة Cosmic Christology ،
لا يوضع فيها المسيح ضد الواقع وضد مجرى
الطبيعة ! إن الذي كان لدى المسيحيين هو
مسيحية (التاريخ) ، لكن الذي يحتاجونه
هو مسيحية (الطبيعة) ١١

وقد أثارت كلمات الدكتور سيتلر جدلاً
كثيراً ... وتمسك هو بالدعوة الحارة إلى
الوحدة : « إن الكنيسة قد وجدت كثيراً
من الطرق (المستيرية) للتعبير عن خلافاتها ،
ولكنها وجدت طرقاً أقل للتعبير عن
وحدتها ! ولكن إذا دعونا حقاً إلى الوحدة ،
وإذا استجبنا لهذه الدعوة في صورة مسيحية
عصرية تتسع للتسوع - نظرة الإنجيل
الشاملة ، فقد يكون من الجائز أن نلتقي بعد
ذلك على وحدة أكمل ، لأننا سنكون أهلاً
لتوفيق الله ، ١١١ .

وقد وضع المؤتمر قراراته التوجيهية التي
شملت كل شيء ، من الاستثمار البرتغالي
في أنجولا إلى الاعتراف بالصين الشيوعية
عضواً في الأمم المتحدة ! ودعا المؤتمر إلى أن
تكون الكنائس على وعي كامل بالتغيرات

الدين واضحاً في كتابات تشرشل وأنتلي وأيزنهاور ودلاس ... وعندما أتاحت للمسيحية فرصة الإفادة من السلطان لم تتردد - في الدولة الرومانية الشرقية أو في الدول الأوروبية في الغرب ... وقد تحمس الأباطرة البيزنطيون منذ قيام ليو الثالث رأس الأسرة الإيسورية سنة ٧١٧م لنزعة في الدين عرفت بالاصورية Iconclast ، وقد سعى الأباطرة لفرض هذه الفكرة ومحاربة مخالفيها بكل سبيل ... وجرى الصراع بين البابوية وبعض روس السلطات الزمنية في أوروبا ، وكان الفصل الظاهري الرسمي لسلطاني الدين والسياسة يحمل معه أسس النزاع حول سيادة أيهما على الأخرى ، .

* * *

والمسلمون اليوم في شهر رمضان الهدي أنزل فيه القرآن ، وهم يمجّدون عيد دستورهم بمواكب الصائمين القائمين ، عليهم أن يكونوا على وعى بين تطول الأمور في أرجاء العالمين .
* والحقيقة الأولى التي ينبغي أن يعوها جيداً : أن في العالم مجاعة روحية ، وحيناً إلى العودة إلى الدين ، وإلى تغشية كل مجالات الضمير والسلوك والتنظيم بهذه الهداية السابعة الرحيمة .

* والحقيقة الثانية : أن الفصل الظاهري بين الدين والدولة ، في تاريخ المسيحية ، ينبغي

منفصلتين . وهنا يجب علينا أن نفحص ثلاث حالات :

أولاً : طغيان الكنيسة التي تطالب بنصيب في التشريع ، وبالحصانة من توقيع العقوبات ، والتي تسكرس المألوك ، وتخلق الأحزاب السياسية .

ثانياً : طغيان الدولة التي تحل الهيئات الدينية ، وتنص على عدم مشروعية نظام الرهبنة .

ثالثاً : ويوجد أخير طغيان غير شعوري ينجم عن هذا الأمر ، وهو أن نفس الأفراد ينتمون في آن واحد إلى كلتا الناحيتين . وأنهم يحدون مشقة كبيرة في تقسيم نشاطهم قسمين ، !!

هذا رأى علم الاجتماع وعلمائه الغربيين .. وقد عالجت في كتابي الأخير : « مع المسيح ، قضية الدين والدولة » في ضوء تعاليم المسيحية ، وكان مما قلته في ذلك :

« ... والكنيسة في الغرب كثير ما تتدخل في شئون السياسة ، وهي ما برحت حتى اليوم ذات تأثير كبير - في بعض الدول على الأقل . وقد تولى أسقف مسيحي أخيراً رئاسة السلطة الزمنية في قبرص دون أن يخلع رداء الكهنوت والاتجاه المسيحي يلون النزعة الاشتراكية عند بعض أحزاب ألمانيا وإنجلترا وباكستان الاشتراكية والديموقراطية ، ويبدوا أثر

الدكتور محمد الهبي ، في كتابه د الفكر الإسلامي الحديث ، :

« إن رجال السياسة في الغرب عامة يعرفون جيداً الثمن الذي دفعوه للفاتيسكان مقابل تأييده للحلفاء ضد النازية والفاشية في الحرب الأخيرة ، ويعرفون جيداً الثمن الذي يدفعونه الآن لقاء تعصيده ومقاومة الشيوعية في العالم المسيحي . . . والتاريخ السياسي الحديث لم يزل يذكر ثورة الأرجنتين على ديكتاتورها السابق عندما شق عصا الطاعة على رجال الكنيسة الأرجنتينية . ومع أن (مثوية) الإنسان التي قام عليها الفصل بين الدولة تعتبر فكرة غير سليمة من الوجهة العلمية ، وغير عملية من الوجهة التطبيقية - فإن دعاة (التجديد) في الفكر الإسلامي الحديث لم يزلوا يرونها (تجديد) لأن الغرب المتحضر قال بها يوماً . . . »

إن تجديد الشرق في الفكر الإسلامي الحديث ، تقليد لفكر الغرب في القرن التاسع عشر . . . تقليد لفكر إنساني انكشف ضعفه وهواه ، وانتهى أجله واعتباره . . . إنه الشرق يستورد ولا يخلق . . . هل نرجو الآن إنه قد وعى ، وسيخلق ليبنى ، ثم يورد لغيره كما كان ؟ ؟ ،

أدعو الله مع الأستاذ الدكتور . . . أن يحقق الرجاء ؟

فتمى عثمان

أن يدرس في ضوء حقائق التاريخ وعلى النفس والاجتماع ، وينبغي لدعاة الإسلام أن يتابعوا أحدث ما يقوله فلاسفة المسيحية في هذا العصر عن هذا الموضوع .

فهل نقدر الأمانة . . . ونهض بعبء الرسالة ؟ هل نرى دقة موقفنا في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الحضارة الإنسانية ؟

هل ندرس ما يسمى د بالاستراتيجية الإيديولوجية ، في صراع الأفكار والمذاهب ؟ إننا نتخطف بدستورنا الخالد ، الذي لم يفصل بين النظام والعقيدة وبين الجسد والروح ، وبين الأجهزة الحاكمة الضابطة والروح الموجهة . . . ولا نفتأ نبدأ ونعيد في شمول القرآن ، وإحاطة القرآن ، وعلاج كل الأمور في القرآن !!

وتدخل هذه الحقيقة إلى أذهاننا في رمضان أو في غير رمضان ، لتعيش على وفاق عجيب وونام منكر مع متناقضات كثيرة في أذهاننا وسلوكنا وواقعنا . . .

* منها : أن الدين صلة بين العبد وربّه . . .
* ومنها : أن الدين ينحسر في هذا العصر . . .
وأنه قد انحمر تماماً في الغرب . . .

* ومنها : أن أصول الدين نفسه تبرر هذا الانحسار !!

وأقوم سبيل للاحتفاء برمضان ، وبدستورنا (القرآن) : أن ندرس موقف « الدين » في العالم وموقف « الإسلام » بين الأديان . . . وأذكر هنا كلمات منيرة هادية ، للأستاذ

الثورة الباقية

للأستاذ محمد محمد خليفة

بعد الظمر لتعلن. للدنيا أنها تسير أبدا
في كنف الله .

ثم كبر العرب حين رأوا الثورة الاجتماعية
تذيب الفوارق الطبقية وتنتشل من وهدة
الاستكانة العامل والمصانع والزراع من
استعبدهم الإقطاعيون وامتص دمهم وقواهم
أصحاب المعامل والمصانع ، وكان هدف هذه
الثورة خلق الكرامة لمن سلبت منه الكرامة ،
وبعث الحياة فيمن كان يمن عليهم بأسباب
الحياة ، حتى عافوا دنياهم التي يعيشونها بين
عقارب المن وجوائح الاستغلال .

كل هذه الثورات حققت للأمة حياة عاشت
ترقبها من خلال تاريخها أعواما طويلا .
وكل هذه الثورات أزجت إليها أملا طالما
نلتسته في ماضيها حتى لمست في حاضرها .

ولكن ... ولكن بقيت ثورة هي أشد
حاجة إلى القوى الصالحة المصلحة وإلى الإرادة
المتيقظة البانية وهي أولى الثورات بعناية قادة
الثورات ، لأنها تطرد نوازع السوء من طريق
أولئك الذين تحملهم الأمة أعباء رسالة
المجد .

إنها الثورة على الانحلال ... الانحلال

زحفت ثورات الجمهورية العربية المتحدة
السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية
في مختلف ميادينها ، وكتب الله لها في كل ذلك
نصراً هزت نشوته العرب جميعاً فكبروا
حين رأوا عرش الطغیان تتحطم قواعده ،
وحين رأوا الذئاب الاستعمارية تتسلسل تحت
ظلمات الحزى والخيبة مشبعة بلعنة السموات
والأرض يطاردنها البعث المسلح بالعزائم
الصارمة .

وهل العرب حين رأوا نفسائهم
ومقاتلاتهم تمزق في حدة طباق الجو وتعلن
للدنيا قدرة قواعدها على حماية حماها .

وهلوا حين رأوا الغواصات وزوارق
(الطوربيد) وغيرهما من الأسلحة البحرية
ترعد بين البحار فترعد من بأمرها أحلام
الصهيونيين .

وهلوا حين رأوا الجيوش الرابضة على
الحدود في إيمان يسخر بقوى الأرض لأنه
ابن السماء .

وكبر العرب حين رأوا الثورة الاقتصادية
تحطم الأغلال التي صنعها الغرب وبذبح
القيود التي أحكمتها مصانع الغدر وتمضي

تدمر النفوس المريضة وتصادر ما جمعت من مال لتجعل أصحابها عبدة لمن عسى أن يعتبر، وما أكثر مرضى النفوس في هذا المجتمع وما أشد خطرهم وما أفظع مصيبة القادة بهم .

نريد ثورة على المحسوبيات التي قتلت الكفايات ووثبت بالكثير من غيرهم إلى مناصب مرضت بهم وتعثرت خطاها فلم تستطع المضي في كنف الركب الزاحف وكم نادى السيد الرئيس وندد بأولئك المستغلين لمناصبهم . ولكن ما زال في الدولة من في أذنيه وقر وما زال خطر المحسوبيات تمزق مخالبه أحلام الكفايات وتوهن من جهودها .

نريد ثورة على النفاق الذي عشن في قلوب الضعفاء وصرع فيها معاني العزة والكرامة ومحاسنها من مقومات الرجولة ، فماش المنافقون في دنياهم أشباه رجال على جباههم من شيات النفاق طابع تزيد كل يوم حدته . فهو أبدا ينطق بمعاني الذلة ولهؤلاء

خطرهم على نفوسهم وعلى أبنائهم وعلى مجتمعهم وخلق بالدولة ألا تدع هؤلاء ينشرون الضعف في ذلك المجتمع الشامخ .

نريد ثورة على الغش يعمل فيها القانون عمله ويعمل إلى جانبه المصلحون بأستهم وأقلامهم وتجمد لها الصحافة والإذاعة قوة ننزع من نفوس الغاشين جشعهم الطاغى وتخلقهم للجمع الجديد خلقا جديدا .

الذي استشرى خطره منذ فجر الاحتلال ، فأتر حينما أردية الحضارة البراقة ، وخطر حينما وراء أستار المذاهب الوافدة من الغرب أو الشرق ، وخلع حينما هذا وذاك ، فظهر متحللا من روحانية الشرق الإسلامي ومن كل مقومات الأخلاق ومادعت إليه الأديان .

إن الانحلال الذي نخر في كيان هذه الأمة وامتد في أعضائها ، ونهشت أخطاره حياتها أحوج ما يكون إلى ثورة جاثمة تستأصله وتقضى على عوامله التي قد تتجسم صخوراً وعقبات تسد على الثورات الزاحفة سيلها ، وتضع العراقيل المعوقة في طريق المصلحين .

وليس الانحلال الذي يهددنا وليد اليوم وإنما شب في أحضان الاحتلال يرعاه ويدلله فهل من لفنة حازمة تقضى عليه ، وتبيء للثورات المنطلقة الآمن في كنف أمة تكون لها من أخلاقها قوة تصون ، قبل أن يكون لها من سلاحها قوة تحمي .

وإننا نستهدف للملاحم دامية من الصهيونية ولحملات تبشيرية صليبية ، ولكن أعنف ما يخيف تلك التيارات الإلحادية التي تهدد العقائد وتعصف بالمؤسسات ، فهل من ثورة تمزق ما عبأ الملاحدة قبل أن يمزقوا أقدس ما نعتز به .

نريد ثورة على الانحلال الديني ثم نريد ثورة على الانحلال الاجتماعي ، ثورة على الرشوة

لخير الأمة ، وليس أنجع في هذه الثورة من حكم الله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، هذا حكم الخالق في قضية السارق وكشفه للجمع ليكون عبرة تحذر وتخيف المستسلمين لأهوائهم وفي هذا الجزاء علاج أى علاج لمرض يهدد كياننا .

وأخيراً بل أولاً نريد ثورة على الأغاني الساقطة التي تقتل في شبابنا كل معاني العزة والرجولة وفي قتياننا كل المعاني الخلقية النبيلة وترى هؤلاء وأولئك في محيط صاحب من شهوات النفس وغرائزها يلاطمون أمواجه وتلاطمهم ثورانه وتشغلهم مغامراتهم عما يطلبه الوطن العربي الكبير من كفاح أجياله في سبيل أمجاده .

وخليق بأيدي البناء والمصلحين أن تمتد إلى هذا اللون في دار الإذاعة فتأق عليه وتحطمه قبل أن يعثر قوافلنا الماضية في الحياة . وخليق بالقادة ألا يدعوا المرأة الحقيقية لأخلاق الأمم تعكس للعالم صوراً تشفى عن حياة رخيصة هزيلة لا تتلام مع الانطلاقات الفتية في حياتنا .

وخليق بهم كذلك - ويدهم المقاليد - أن يعلنوا لمؤلفي الأغاني منهاجاً جديداً يخلق ولا يفنى ، يحيى ولا يميت ، يقوى ولا يضعف ، يسجل ولا يضع - وإلى من يعيشون مع

نريد ثورة على المستهينين بالواجب والمسئوليات والمناصب أولئك الذين كفلت لهم الدولة كل شيء وضنوا عليها بكل شيء ، قلدهم بعض شأنها فاستغلوا السلطة والثقة واستجابوا إلى وسوسة الإهمال ونزغات الاستهتار فقصوا أيامهم يتشاءمون وراء مكاتبهم أو يشتغلون بما ليس من عملهم والجمهور الغاضب على الأبواب يحرقه الغيظ ويستبد به الألم .

وكأنى هؤلاء يفرضون على الدولة أجساماً بلا أرواح وهياكل بغير قلوب إن هؤلاء المستهترين بالمسئوليات (سرطان) في جسم المجتمع إذا امتد به الزمن دون أن يستأصل عاق الجيل الصاعد عن السمو إلى آماله التي يتطلع إليها .

نريد ثورة على المختلسين الذين تفتنوا في سلب أموال الدولة ، إن الدولة في حاجة إلى نفوس طاهرة تنطلق في الوزارات والمدارس لنحاسب وتحقق حتى ترد إلى خزائنها ما سلب منها وتصون لأبواب النفقات ما أعد لها وتمنع العبث بأموال النشاط وتراقب تزوير (الفواتير) .

نريد ثورة على اللصوصية السافرة والمستترة وكم بين الأغنياء من لص يسلب حقوق الدولة ويوارى عنها الكثير من أملاكه ويحتال للفرار من حساب الضرائب التي تجنيها الدولة

حتى تؤمنوا لهذه الأمة حياتها وإنكم وأنتم
صناع أمجادها جديرون بإرساء قواعد المنهج
على أصول ثابتة محكمة ولن يكون ذلك إلا
إذا قضيتكم على أسباب التفكك والاسترخاء
والانحلال .

أيها الثوار . . . هبوا لهذه الأمراض
وغيرها بعض جهودكم ولحمت من وقتكم
ولفئات من رعايتكم فالمجتمع الذى تتقاذفه
تيارات الانحلال يمد يده المرتعش، إليكم وهو
مؤمن بأنكم منتشلوه لأنكم صانعو حياته
وباعثو آماله .

وإن هذا المجتمع لا يصلح إلا بما صلح به
أوله : خلق طاهر وضمير حى وإيمان بالواجب
وعمل خالص وتفاعل مع الانطلاقات الصادقة
لتحرير المجتمع وقضاء على الانحلال والمنحلين
أيها الثوار :

إن الانحلال أخطر ما يهدد كيان الأمم
فأعلنوها ثورة عارمة عليه يبارك الله لكم فى
جهادكم وينصركم وما للنصر إلا من عند الله
العزیز الحكيم .

محمد محمد خليفه

المدرس فى معهد القاهرة للأزهر

الأحلام والاستهتار والتحلل من كل مقومات
الأمم الحية داخل إذ هتنا يجب أن يلتفت
القادة ليقذفوا بهم بعيداً عن طريق انطلاقتها .
ويجب أن تنطلق الثورة المدمرة إلى الماديين
من تجار (الأفلام) المريضة التى تبجنح إلى
الرقص أو إلى ما يشير الغرائز الجنسية من
مواقف وأغان على حين خلوهذه (الأفلام)
من علاج مرض اجتماعى بل إنها كثيراً
ما تبثت الأمراض الخلقية النفسية فى المجتمع
وما أحوج هذا المجتمع إلى قصص تعالج
أمراضه وتتناول مشاكله فى حذق وعرض
يعين على استئصال هذه الأدواء ، وقد تفيد
القصة والتشيل أكثر مما يفيد الوعظ إذا
آمن الممثل برسائله فى المجتمع . أما مرض
التخدرات والاتجار بها فقد أهدم المسئولون
بخطره ووضعو العقوبات الصارمة كلون
من العلاج ولكن المستهينين بالمجتمع ما زالت
نفوسهم العابثة تمضى بهم فى العبث ومن ثم
لم يجد المسئولون بدا من أن يأخذوهم بالحزم
ليقتضوا على خطرهم .

أيها الثوار . الذين حاربوا الفساد السياسى ،
إن الفساد الاجتماعى الذى تعصف بهذا المجتمع
عواصفه أحوج ما يكون إلى جهودكم وثورتكم

إبليس الأول أو إبليس آدم للأستاذ عباس طه

أصل اللفظ واشتقاقه - خلق إبليس - حقيقة الجن - إبليس
قبل المعصية - إبليس وآدم - إنظاره - موته ووقته

١ - أصل اللفظ واشتقاقه :

قال الزجاج : هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ووزنه فعليل .

قال البستاني في دائرة المعارف : وهذا هو الصواب فإنه معرب (ذيافوليس) باليونانية وهو علم جنس للشيطان ، ومعناه فيها بالحصر موقع الخلاف وبالتعميم نحام أو مشتك كاذب . وقال صاحب تاج العروس بعد قول القاموس : أو هو أعجمي ولذا قيل إنه لا يصح أن يشتق إبليس وإن وافق معنى أبلس لفظاً ومعنى وقد تبع المصنف الجوهري في اشتقاقه فغلطوه فلينبه لذلك .

وقال أبو عبيدة وغيره : إنه عربي مشتق من الإبلأس وهو الإبعاد من الخير أو اليأس من رحمة الله . يقال أبلس من رحمة الله أى يئس وندم وفي التنزيل العزيز (يومئذ يبلس المجرمون) وإبليس مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أى أويس ومنع من الصرف حينئذ لكونه لا نظير له في الأسماء أو لأنه

شبيه بالأسماء الالجمية لكونه لم يسم به أحد من العرب فصار خاصاً بمن أطلقه الله تعالى عليه وكأنه دخيل في لسانهم . وقيل لاسمه بالعبرانية عزازيل ، وبالعربية الحارث ، أما كنيته فأبو مرة .

٢ - هل إبليس :

توقف معرفة خلق إبليس على معرفة النوع الذى هو منه وذلك أنهم اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن ؟ فذهب جماعة إلى أنه من الملائكة مستدلين بجملة أدلة :

الاول : ظاهر الاستثناء في قوله تعالى : « فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر » .

والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة .

الثاني : أنه لو لم يكن من الملائكة لما كان قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » متناولاً له ولو لم يكن متناولاً له لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء

ولا من الجن بل هو خلق نعمة وأنه مخلوق من النار .

٣ - حقيقة الجن :

الجن نوع من الخلق سما بذلك لاختفائهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس ، فلا يرون ، قال الراغب : أصل الجن (بفتح الجيم) ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه لجنه : ستره) إلى أن يقول والجن بكسر الجيم يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا تدخل الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن . وقيل : بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة : ١ - أخيار وهم الملائكة . ٢ - أشرار وهم الشياطين . ٣ - أوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن ، ٤ .

وقد أخبرنا القرآن الكريم وجاء في السنة الصحيحة أنهم عالم قائم بذاته وأنهم قبائل وطوائف وأن منهم البار والفاجر وأنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون .

قال تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، وقال : حكاية عنهم » وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، .

واستكبارا ومعصية ولما استحق الذم والعقاب وحيث حصلت هذه الأمور وعلينا أن ذلك الخطاب يتناول ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائكة .

وذهب جماعة آخرون إلى أنه من الجن مستدلين أيضا بعدة أمور منها :

الأول قوله تعالى في سورة الكهف « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » ،

الثاني : « إبليس له ذرية لقوله تعالى في صفته « أفتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ، وهذا صريح في إثبات الذرية له وأن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والانثى والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم) أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فاذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانفتت الذرية .

الثالث : أن الملائكة معصومون وإبليس لم يكن كذلك لأنه قد استكبر والملائكة لا يستكبرون .

الرابع : أن إبليس مخلوق من النار والملائكة ليسوا كذلك - وشأن الأدلة على هذا في بيان حقيقة الجن ، وقيل : إنه لا من الملائكة

الهامة في ترجمة إبليس دون أن يتحدث عنها بكثير أو قليل فانه ان أهمل وصف بالتقصير وان تحدث بالمؤيد نص دني أو يعضده مصدر تاريخي وثيق وصف بالقصور واذا فليذكرنا حضرات المطلعين ان نحن أوردنا شيئاً في هذا الموضوع بما رواه شيوخ العلم وأئمة المؤلفين ونسبوه إلى أجلاء من الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم كابن عباس وغيره ونحن لا نورده هنا على أنه أخبار مسلمة وروايات مقطوع بها بل لنبين أن هذا هو كل ما ذكروه والعهدة عليهم فيه قالوا كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وما بينهما وكان خازن الجنة مع اجتهاده في العبادة وكثرة عله فأعجب بنفسه ورأى أن له بذلك الفضل فاستكبر ، وقيل : إن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً بعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقاتلهم وشردهم إلى الجزائر فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد . وقيل : كان قاضياً بين الجن فلم يزل يقضى بينهم بالحق حتى سمي حكماً فغضبهم وتكبر وألقى بينهم العداوة والبغضاء فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله عليهم نارا فأحرقهم فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء فأقام

وقد رويت أحاديث كثيرة في هذا المعنى فروى أنهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته ثم اجتمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً وكل روثة علف لدوابكم . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بهما وقال إنها زاد لإخوانكم الجن ، أما ما خلقتوا منه فقد ذكره القرآن الكريم في قوله : « خلق الإنسان من صلصال كالعخار وخلق الجن من نار » وفي قوله : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم » وذكره الحديث في رواية مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

٤ - إبليس قبل المعصية :

ليس هناك خبر تطمئن إليه النفس وتقوم به الحجة على تعيين الحالة التفصيلية التي كان عليها إبليس قبل معصية ربه بأبائه السجود لآدم وليس من اليسير على الباحث الحريص على استكمال نواحي بحثه أن يهمل مثل هذه الناحية

لأفعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ، أما الحكمة في إنظاره ذلك الزمن الطويل ما هو عليه من الإفساد فند بينه العلماء قال ابن كثير في البداية والنهاية . إن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى : وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فـ شك وربك على كل شيء حفيظ .

٧ — موته ووقته : ذكر أصحاب الأخبار كيفية موت إبليس ، فنقل الألوسي في تفسيره عن كتاب البحور الزاهرة للسفاريني خبرا مرفوعا إلى ابن مسعود رضى الله عنه أن إبليس يموت بقتل العذابة له عند خروجها ، ولكن الألوسي شك في نسبة هذا القول إلى ابن مسعود ، وإذا فالمسألة موكلة إلى علم الله تعالى .

وأما وقت موته فقد حكى فيه الرازي قولين : الأول . أنه تعالى أنظره إلى النفخة الأولى لأنه تعالى قال إنك من المنظرين إلى الوقت المعلوم والمراد منه اليوم الذى يموت فيه الأحياء . كلهم والثانى أنه تعالى لم يوفت له أجلا بل قال (إنك من المنظرين) وقوله في الآية الأخرى إلى يوم الوقت المعلوم المراد منه الوقت المعلوم فى علم الله تعالى وقال بعضهم غير ذلك . والله أعلم ؟

عند الملائكة يعبد الله مجتهدا فى العبادة فلم يزل كذلك حتى خلق الله آدم فكان من أمر إبليس ومعصية ربه ما كان ، وقيل غير ذلك .

٥ - إبليس وآدم :

يؤخذ من الآيات القرآنية التى وردت فى خلق آدم عليه السلام أن الله تعالى اختصه بمزايا أهمها :

١ — تعليمه الاسماء كلها .
٢ — أمره الملائكة بالسجود له . ولقد كان هذا الاختصاص سببا فى حسد إبليس لآدم وقد حمله هذا الحسد على الاستكبار والعناد مبررا ذلك بأنه أفضل من آدم فعاقبه الله على ذلك بالطرد من الجنة وبإنداره بأهـ من أهل النار . ويحكى لنا القرآن الكريم ذلك فى نظم رائع وأسلوب معجز قال الله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

٦ — إنظاره : أراد إبليس أن يجد له فسحة فى الأغواء وأن يكون له من طول الحياة ما يرغى له العنان فى الجرى وراء الافساد الذى جـبـل عليه فسأل ربه عز وجل أن ينظره إلى يوم الدين لإشباع نهمته من هذه الناحية . قال تعالى حكاية عنه : « قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فيما أغويتنى

الإسلام والمسيحون في أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

التبادل الثقافي بين أمريكا والعالم الإسلامي :
لقد أدى نظام تبادل الأساتذة والباحثين، الذي استحدثته الولايات المتحدة والذي عرف أخيراً بنظام القو لبرايت ، إلى تحقيق التبادل الثقافي بين أمريكا وبين كثير من دول العالم . وكان من بين هؤلاء الأساتذة الذين وفدوا إلى أمريكا أو الذين أوفدتهم أمريكا إلى خارج بلادها كثيرون ممن وفدوا من بلاد العالم الإسلامي أو أوفدوا إليه . وبما لا شك فيه أن هذا النظام قد أدى إلى الكثير من الفوائد لسكلا الفريقين .

ونود أن نذكر في هذا العدد أن الباكستان تقوم الآن بهذا العمل على أوسع نطاق ممكن سواء عن طريق الأفراد أو الجمعيات أو الحكومة ذاتها .

ولقد التقيت في أمريكا ببعثتين من هذه البعثات : الأولى في واشنطن وكانت تتكون من أربعة أشخاص قاموا بها بدافع شخصي وبصفة غير رسمية وقد أسهموا فيما بينهم بتحمل نفقات الرحلة وزاروا مختلف الجامعات

وبما تجدر الإشارة إليه أن رئيس لجنة تبادل الأساتذة بالحكومة الأمريكية ألقي محاضرة قيمة عن نتائج وأهمية التبادل الثقافي بين أمريكا ودول العالم الإسلامي ولقد ورد في تلك المحاضرة كثير من الحقائق الشائقة والآثار الطيبة التي تركها الأساتذة الزائرون من دول العالم الإسلامي في نفوس أساتذة الجامعات الأمريكية .

ولقد يكون من الحسير أن تقوم البلاد

والاستماع إليهم وتأكيده المودة بينه وبينها . وقد يكون من الخير أن تحضر الدول الإسلامية الأخرى حذو الباكستان في القيام بهذا الدور الجديد في العمل على تشجيع التبادل الثقافي بين الشعوب الإسلامية والشعب الأمريكي ، ونأمل في المستقبل القريب أن تولى الدول الإسلامية هذا الأمر عنايتها بإرسال الوفود إلى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية فإن كل ولاية من ولايات أمريكا لا تقل في عدد سكانها ، ومساحة أراضيها عن بعض دول العالم الإسلامي إن لم تزد عليها في عدد السكان والمساحة .

ويذهب الآن إلى الشرق الأوسط والأدنى عدد كبير من الأساتذة الأمريكيين ومن الباحثين والطلبة وكلهم موضع رعاية الدول التي يفدون إليها ويلقون فيها ما عرف عن الشرق من كرم الضيافة ، وتعتبر هذه الأمور من العوامل الفعالة التي تؤكد إيجاد جو من التفاهم الصحيح والتعاون الفعال بين الإسلام والمسيحية .

وقد درج بعض كبار أعضاء الجاليات الإسلامية في أمريكا على إرسال أبنائهم للدراسة بعض الوقت في بعض الدول العربية حتى يمكنهم أن يحافظوا على لغة أجدادهم والتحدث بها بطلاقة ، وهذه بلاشك روابط قوية تربط بين الوطن الجديد لهؤلاء المهاجرين

الإسلامية في أمريكا وتنافسوا في خدمتهم وتقديم المعونة الأدبية لهم .

ولقد التقيت بالبعثة الثانية من مشاهير الباكستان في نيويورك ، وكان قوامها تسعة من كبار رجال الباكستان بينهم محام كبير ومهندس ممتاز وموظف كبير بمصلحة السلك الحديدية وأستاذان من كبار أساتذة جامعاتها ، وقد وفدوا جميعاً إلى تلك البلاد الأمريكية لقضاء ستة أشهر بها بعد أن قبلت الهيئات الحكومية والأهلية التي يعملون بها منحهم هذه الإجازة بمرتب ليتسنى لهم زيارة مسلي أمريكا بالنيابة عن مسلي باكستان .

ولقد قامت هذه البعثة الأخيرة بإلقاء عدد كبير من المحاضرات في شتى الجمعيات الإسلامية وعقدت كثيراً من الندوات لتفقيه المسلمين في أمر دينهم كما وجهت الدعوة إلى بعض المسلمين الأمريكيين للسفر إلى باكستان عند انتهاء زيارتهم لأمريكا ليقوموا بدورهم بزيارة إخوانهم في العالم الإسلامي وأن ينزلوا عليهم ضيوفاً كراماً .

وتلقى مثل هذه البعثات عادة كل ترحيب من المسؤولين الأمريكيين ، كما أن الشعب الأمريكي بما طبع عليه من حب الحرية الرأي وما يتصف به من سعة الأفق ودماثة الخلق يرحب كل الترحيب بمثل هذه البعثات ويقبل بقلوب متفتحة على التعرف إلى أعضائها

عن الإسلام ويتبادلون المعلومات الصحيحة مع زملائهم من الطلبة الأمريكيين كل من معتقدات دينه وتعاليمه ، فهم من هذه الناحية يقومون بواجبهم على خير وجه وعلى أوسع نطاق ممكن إذ أنهم موزعون في معظم الجامعات والكتليات الأمريكية المختلفة التي تزيد على الآلاف والمنشرة في جميع الولايات الأمريكية. ومن الأمور الجديرة بالذكر أن الأساتذة الزائرين من مختلف دول العالم الإسلامي الذين يدعون للتدريس في مختلف الجامعات الأمريكية يقع عليهم عبء كبير في هذا الشأن ، فهم بحكم وظائفهم ومراكزهم الأدبية في تمكينهم من لغة البلاد وصلتهم القوية بزملائهم من الأساتذة والطلبة أقدر الناس بلا مرأى على تأكيد المودة وحسن التفاهم بين العالم الإسلامي وبين أمريكا وإيقاف الرأي العام الأمريكي على حقيقة الإسلام ومبادئه .

وهنا أود أن أيجل التسامح الديني الكبير الذي يلقاه المرء في مختلف أنحاء أمريكا ، فالشعب الأمريكي يستمع إلى كل ذي رأى وعلى أتم استعداد لقبول كل رأى يؤيده العقل والمنطق ، ولقد كانت لنا مع الكثيرين منهم مواقف كثيرة إن دلت على شيء فإنما تدل دلالة واضحة على الديمقراطية الصحيحة ، (البقية على صفحة ١١٤٦)

وبين وطنهم الأصلي الذي هاجر منه آباؤهم وتؤكد حسن التفاهم بين البلدين .
ومما هو جدير بالذكر أنه قد تم الاتفاق بيني وبين بعض المشرفين على الجامعة الإسلامية في شيكاغو على أن يسافر بعض الطلبة والطالبات إلى مصر للتعلم في جامعة القاهرة وإتمام دراساتهم فيها ، ونأمل أن تيسر وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة هذه المهمة خصوصا أن هؤلاء الطلبة لن يكلفوها شيئا إذ أن ذويهم سوف يتكفلون بدفع كل نفقات سفرهم وإقامتهم ، ونأمل أن تعفيهم جامعة القاهرة من دفع المصروفات الجامعية .

ومن البوادر الطيبة التي تؤيد هذا التعاون الثقافي وتدعمه ما نراه اليوم من اتجاه كثير من دول العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة إلى دهوة بعض المبرزين من قادة الجاليات الإسلامية في أمريكا إلى زيارتها ، ففي استضافة مثل هؤلاء تجنيد لمعلوماتهم وتأكيد لروح المودة بين العالم الإسلامي وبين أمريكا .

ويقوم طلبة البعثات من أبناء الدول الإسلامية في أمريكا بنشاط ثقافي ملحوظ وهم يزيدون على بضعة آلاف ، ويبلغ عدد أعضاء البعثات من العالم العربي فقط ما يزيد على أربعة آلاف طالب ، وهم جميعا يقومون في أوقات فراغهم بعقد الندوات والمحاضرات

ديمقراطية (رعاوية) في شمال الصومال

للأستاذ عباس محمود العقاد

ولا ننس أن البحث عن (أحوال الإسلام) يتقدم البحوث في كل كتابة عن القارة الإفريقية وعن الأقاليم التي يسكنها المسلمون أو يجاورونها بين أرجاء القارة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وقد تعد الكتابة عن هذه الأقاليم التي يسمونها (قرن إفريقيا) كتابة خاصة بالإسلام والمسلمين ، سواء اتصلت ببحوثها بالآقطار الأثيوبية أو بالجنوب الذي يسكنه أناس على دين الفطرة وتخلله الدعوة الإسلامية أو دعوة المبشرين من حين إلى حين .

والمؤلف لا يخفى إعجابه بغيرة أبناء الصومال على العقيدة الإسلامية ، ويقول في مقدمة كتابه (إن الغريب عن الديار لا يسمع أن يتجنب الشعور بإخلاصهم الصادق لعقيدتهم الدينية وامتزاج الفخر بالإسلام عندهم والفخر بالانتساب إلى السلالة الوطنية . ولا يجهل الصوماليون أنهم شعب من شعوب كثيرة تدين بهذا الدين ، ولكنهم يتخذون من حماسهم له أداة لإبراز ما هم مطبوعون عليه من الشعور العميق بكرامة الأنساب . ويقول الرحالة إن المسلم الصومالي ينتهي

هذا الكتاب واحد من مئات الكتب التي تصدر اليوم تباعا عن القارة الإفريقية باللغات الأوروبية . وقد بدأ التأليف في هذا الموضوع بالإجمال عن القارة في عمومها تاريخا واقتصادا وسياسة وأخلاقا وعادات أو عبادات في المجلد الواحد والمجلدين ، ثم تشعبت البحوث واتسع نطاق العناية بها بين قراء الغرب حتى بلغ بها التخصص والتحديد أن يصدر المجلد الضخم عن شعائر القبيلة الواحدة في القطر الواحد ، مع التزام الشعائر الدينية الاجتماعية دون غيرها من شؤون تلك القبيلة فيما يتصل بالجغرافية أو السياسة أو العلاقات التجارية والاقتصادية ، وصدرت عن الصومال وحدها - في شمالها دون سائر جهاتها - مؤلفات عدة يستغرق بعضها مئات الصفحات ، ومنها هذا الكتاب في (دراسة الأحوال الرعائية والسياسية بين أبناء الشمال ، وقد فرغ لتأليفه (أ . م . لويس) بعد أن قضى عشرين شهراً في الرحلة بين أقاليم القبائل التي خصها بالكتابة في هذا المجلد ، واطلع قبل الرحلة وبعدها على مراجع شتى من رحلات السياح والجغرافيين والمستطعمين .

على أيدي الرؤساء والسلطين ويتولى الإشراف على تنفيذها وكلاؤهم وأعوانهم الاجتماعيون... إلا أن يصل الأمر إلى التحكيم على وجه من وجوه الخلاف المتفق عليها فلا يرى الجميع بدا من قبول الاحتكام إلى أئمة الدين .

ويحترم الصوماليون ذكرى الآباء والأجداد ، و يقيمون الأضرحة والمزارات لكل جد عظيم من جدد القبيلة المذكورين ، ويتفق في هذه الحالة أن يكون مزار الجد للعظيم كزار الولي الديني في القداسة والتوقير وإقامة الموالد إلى جواره مع التصديق بالذبايح والقرايين في كل موسم مشهود ، يحضره أبناء ذلك الجسد كما يحضره غيرهم من المقيمين إلى جوار المزار . ولعل هذا الاشتراك بين شعائر القداسة وشعائر الولاء قائم على اشتهار أولئك الأجداد بفتح البلاد للدعوة الإسلامية واستحقاقهم للذكرى بفضل الغيرة على الدين والقدرة على تمكين السلطان السيامي لعشيرة من العشائر الوطنية أو عشائر المهاجرين الأولين .

ويدل اسم الكتاب (ديمقراطية رعاوية) A Pastoral Democracy على الغرض الأول من تأليفه ، فهو وصف للنظام الديمقراطي الفطري في بلاد القبائل الراعية ، أو قبائل الرعاة التي تحسب فيها الثروة بعدد

- عادة - إلى إحدى الطرق الصوفية ويرعى فيها النظام الدقيق الذي يمتاز به الصوماليون في اجتماعاتهم العامة ، سواء منها اجتماعات القبيلة لتدبير المصالح المشتركة أو اجتماع أبناء للطريق لإقامة الشعائر والعبادات . ولكن الصومالي قد يجمع بين طريقتين في وقت واحد ويؤدى شعائره في كلتا الطريقتين ، لأنهما تتفقان في اتباع السنة وقضاء الفرائض المرعية في أحكام القرآن ، وقد يقع الخلاف بين الطريقتين إذا اشتبك أسبابه بأسباب الخلاف على مسائل المجتمع أو مسائل القبيلة (الرعاوية) ولكنه خلاف قليل الحوادث إذا قيس بالخلاف على المذاهب في غير هذه الديار . .

ومما يحد من أضرار هذا الخلاف أن مشايخ الطرق مسؤولون في العرف العام عن التوفيق بين الخصوم والإصلاح بين القبائل وولاية الأمور فيها أو في البلاد الحضرية التي انفصلت بعض الانفصال عن تقاليد الريف والبادية ، وليس لأحد من وجوه القوم مكانة تعلو مكانة رجل الدين بين قبائل الصوماليين ، ولكن العرف الصومالي يدين بتقسيم (السلطات) بين مكانة الشيخ ومكانة رئيس العشيرة أو سلطان الإمارة ، فإذا استجاب المتخاصمون إلى وساطة الإمام الديني فالمهود التي تبرم بينهم إنما يتم لإبرامها

والانتقال من حوزة إلى حوزة كلها وجبت الرحلة من حمى إلى حمى آخر ، تبعاً لأحوال الخصب والجذب أو أحوال الرى والجفاف . وما يجعل للملكية في هذه الحالة حكماً خاصاً لا تنهض المرأة بأعبائه أن تدبير الغارة موكول إلى نظام صارم لا يعنى منه أحد من القادرين على حمل السلاح ، فإذا وجب القتال وتخلف عنه أحد من شبان القبيلة فهو عرضة لاستباحة ملكه من الأنعام والماشية ، وإذا اجترأ جماعة من القبيلة على شن الغارة على قبيلة أخرى بغير إذن الزعيم حق له أن يعاقبهم ويحرمهم غنيمتهم ، إلا إذا تقدموا بأنفسهم مختارين لقسمه الغنيمة بينهم وبين إخوانهم الذين خالفوهم ولم يشتركوا في اغتنامها ، فقد يشفع لهم ذلك في رفع العقاب وتخفيف التعويض المفروض .

وقد تحول الصوماليون من سكان بقاع الشمال من نظام المراعى إلى نظام الأرض الزراعية ، فكان لذلك أثره في تعديل أطوار المعيشة وأحكام الديمقراطية الرعوية . ولكنه تعديل ظاهر لم يتعمق إلى أصول العادات والأخلاق .

ويستطرد المؤلف في حديثه عن العرف الاجتماعى إلى الحديث عن الشعور للصومالى ووظيفة للشاعر الاجتماعية بين البادية والحاضرة ، فإذا هي صورة أخرى من صور

ما تملكه من الأنعام والماشية وقطعان الحيوان على الإجمال . وقد يصف المؤلف مجالس الحكم والمشاورة في هذه القبائل كما يصف علاقات الحكم بالمحكومين وعلاقات القبائل المتعددة بعضها ببعض في السلم والحرب وأيام الرخاء وأيام الجذب والشدّة ، فيخلص من مشاهداته الكثيرة إلى الإيمان بصدق العنوان (الديمقراطية) حين يطلق على سياسة القبائل وآدابها الاجتماعية ، وإن تكن (ديمقراطية) فطرية تدّين بالعرف المأثور ، قبل أن تدّين بالنص المكتوب .

ويقول المؤلف إن مصالح القبيلة (الرعاوية) لها اعتبارها الأول عند تطبيق الأحكام والحقوق وبخاصة في مسائل الدية والثأر ومسائل التوريث والتملك ، ويحرص أبناء الصومال على تطبيق أحكام الميراث كما شرعها الإسلام ، فتعطى المرأة حقرقها على حسب هذه الأحكام ، ولكنها لا تتولى رعاية الإبل ولا حيازة الأرض المخصصة للرعى والسقاية ، وقد تملك الماشية وتملك الدار والمسكن من مخلفات الآباء والأزواج ، ولكنها — هى باختيارها — لا تطالب بولاية أمر الإبل والمراعى والسقايات ، وأعلمها تؤثر ذلك لأن الملكية هنا تستتبع الحماية بالسلاح والاستعداد لدفع الغارة وصدد العدوان

بالملا المجنون ، وما كان به من جنون إلا أن يكون الجنون عندهم فرط الغيرة على الصلاح وفرط الغضب من دسائس التبشير والاستعمار.

وأهم ما في الكتاب من وجهة النظر إلى الحياة العصرية تحقيق المؤلف عن الأحزاب السياسية وأسباب التقارب أو التباعد بين أعضائها ، وخلاصته أن العصبية القبلية هي الصلة الكبرى التي تربط بين الهيئات السياسية في الشمال ، وأن العوامل المحلية ونفوذ الشخصيات ، التي تهيمن عليها تحمل محل هذه الصلة في الأقاليم (غير الراعية) وأن المذاهب الأوروبية التي نجحت في اجتذاب بعض الصوماليين إليها إنما نجحت لتوكيدها شريعة المساواة بين الأجناس البشرية أو لتوكيدها مبادئ الديمقراطية بين الحكومات ورعاياها ، ولا يخفى أثر الإسلام في كل عامل من هذه العوامل بين المسلمين وغير المسلمين .

عباس محمود العقاد

الحياة العربية في عصورها الأولى . لأن الشاعر يثير النخوة للقتال ويستفز الغضب للأخذ بالتأر ورد العدوان بالعدوان ، وقد يلجأ إليه أحيانا في تهدئة الثوائر الجامحة وتزيين الصلح والمصالحة كلما جنح الحكام ورؤساء الدين إلى علاج المشكلة بالتوفيق والترضية ، ولا يندر في أغراض الشعر عند الصاماليين نظم القصائد حمدا للأولياء وترتيلا لآفايد الدعاء والثناء على عباد الله الصالحين ومن أمتع فصول الكتاب تلك الصفحات التي يروى فيها المؤلف طرفا من سير الشيوخ والنسك الذين قادوا الثورة على الحكم الأجنبي كما قادوا الثورة على فساد الأخلاق ومساويء التفرنج بين أناس من الصوماليين بعد احتكاكهم بالجماليات الأوروبية ، فإن أحاديث المؤلف عن أولئك الشيوخ والنسك تصحح التاريخ المفترى عليهم وتدفع شبهة الهوس التي علق بها من روايات الصحفيين عنهم ، وأولهم (الملا محمد عبد الحسن) الذي لقبوه

الكتاب

١ - قصة الإيمان :

ندیم الجسر مفتی طرابلس :

قد يتوهم القارىء أن هذا الكتاب الضخم :
« قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن »
هو من تأليف الأستاذ الجليل الشيخ نديم
الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشالى ، ولكن
الحقيقة أن الشيخ المفتي كان دوره القيام بالطبع
والنشر والإهداء إلى كبار الكتاب والجامعات
العربية والإسلامية .

إن لهذا الكتاب قصة من حق القارىء
علينا أن نسوقها إليه في إيجاز كما رواها
الشيخ المفتي مقدم الكتاب تحت عنوان :
كيف ألقى إلى هذا الكتاب .

لقد زار الشيخ المفتي (طينال) مسقط
رأسه في لبنان ، وبينما كان في مسجدها إذ فوجئ
بشيخ مهيب الطلعة هو : (حيران بن الأضعف
البنجاني) من أصل مصرى ، ومقيم بقصرية
(خرنك) القريبة من سمرقند بالهند ، وقصد
من زيارة (طينال) اللقاء مع والد المفتي
حيث أوصاه شيخه بهذا اللقاء ، أما شيخه
فهو (الشيخ أبو النور الموزون) من علماء

سمرقند ، وكان قد تلقى العلم والفلسفة على
والد المفتي ، وهذا الكتاب هو مجموعة
الدروس الفلسفية التي تلقاها الشيخ حيران
على للشيخ الموزون حين استبد به الشك وترك
جامعة بيشاور حين لم يجد من يروى غلته في
البحث عن الحقيقة .

وهذا الكتاب الذى يقع فى أكثر
من أربعائة وخمسين صفحة من القطع الكبير
جاء فى شبه قصة روائية ، ولذا سهل استيعابه ،
ورغم أنه دراسات فلسفية على مستوى أعلى
وأرفع ، تنتصر للتوفيق بين العلم والإيمان
أو بين الفلسفة والدين ، والقصة يرويها الشيخ
حيران على لسان الشيخ الموزون .

يتحدث الشيخ الموزون عن الباحثين عن الله
من فلاسفة اليونان الأقدمين : طاليس -
انكسيمنس - انكسيمندر - فيثاغورس -
بارمنيدس - هرقليط - ديموقريطس ...)
ومن جاء بعدهم كسقراط وتليذد إفلاطون ،
وأرسطو تليذد إفلاطون . وهؤلاء جميعا
بحشوا عن الله ، وإن اختلفت أساليبهم ،
وأصاب السقم بعضا من آرائهم .

(الرسالة الحميدة) والآخر (تهافت الفلاسفة).
وتحت عنوان (كلمات ربى) يستعرض
الشيخ الموزون مع تلميذه الشيخ حيران آيات
من القرآن كلها تنطق بالبراهين الدالة على الله
ويتناولان معا هذه الآيات على ضوء ما كشفه
العلم من أسرار الوجود والخلق ، ويخرجان
من هذه الدراسة بأن القرآن استوهم جميع
الحجج العقلية البالغة ، والبراهين الساطعة
الدافعة ، التي قضى العلماء والفلاسفة أعمارهم
حتى توصلوا إليها وتلاقوا عليها بهدى القرآن
أو بهدى الله الذى أنار عقولهم .

والعجيب أن الشيخ الموزون يدافع
بحماسة عن (المعري) ويرى أنه كان محبا
للحكمة ، وقد شك فى كل شيء إلا فى وجود الله
وهو القائل :

بوحداية العالم دنا

فدعنى أقطع الأيام وحدى

الواقع الذى لا خيال فيه أن مثل هذا
الكتاب يجب أن يحتل مكانا لا نفقا به فى
المكتبة الإسلامية ، وهو بحق - كما يقول
الشيخ المفتى - يهدى الحيارى من الشباب المسلم
المتشكك ، الذى تقف به الفلسفة المادية
على عتبة الإلحاد نحو الإيمان بوجود الله ،
من طريق الفلسفة التى هو مولع بها ، ومن
طريق العلم الذى هو مؤمن به ، ومن طريق
القرآن الذى هو معرض عنه ، لى يعلم أن

وتحت عنوان : (نور على نور) يتحدث
الشيخ عن فلاسفة المسلمين (الرازي - الفارابي -
ابن سينا) ومن جاء بعدهم (ابن خلدون ،
ابن طفيل - الغزالي - ابن رشد) وهؤلاء
من أعظم المؤمنين بالله ومن أصدقهم برهانا
على وجود الله ، وقد جمعوا إلى إيمان الوحي
الصادق إيمان العقل السليم .

ويرى الشيخ الموزون أن هناك تلاقيا
للعباقرة على الحق بين أكثر الفلاسفة المسلمين
وفلاسفة الغرب : (باكون ، ديكارت ،
باسكال ، لوك ، كانت ، برجسون) أما
(دارون) صاحب نظرية النشوء والارتقاء
فيرى الشيخ أنه ليس بفيلسوف بل هو
عالم طبيعى كبير دفع مذهب التحول دفعة
جريئة إلى الأمام عندما نشر فى عام (١٨٥٩)
كتابه : (أصل الأنواع) فأصبح صاحب
مذهب خاص فى التحول والنشوء ، أما
الفيلسوف الذى اتخذ مذهب التحول والنشوء
والارتقاء أساسا لوضع فلسفة شاملة فهو
(هربرت سبنسر) صاحب مذهب التطور .

ويربط الشيخ بين الشيخ الجسر والد المفتى
وبين الإمام الغزالي فى أن كلاهما كان عالما متكلمًا
واسع الاطلاع على حقائق العلوم الكونية
عظيم التبحر فى الفلسفة الميتافيزيقية ، وكان
غرضهما معا إثبات وجود الله ، كما أن كلاهما
وضع كتابا فى الرد على الفلسفة ، فللأول

وهي تحاول (أن تستحدث قيا جديدة للأدب العربي ، لكي تستمد لأدبنا مفهوما نابعا من أصوله النقية ، وقيا حرة لا ينكرها أدب العربية في جوهره الصافي وذوقه الأصيل) .
ومهما أضيف إلى القديم من خلط فله أصلاته .

والدكتورة بنت الشاطيء في الفصل الثاني تدافع عن قضية الإسلام والشعر بحجرات ، فهي تدفع عن الإسلام أن يكون معاديا للشعر ، أو عاملا على إضعافه ، واستعرضت الأحاديث النبوية التي نالت من قيمة الشعر وناقشتها ، وقدمت نماذج حية من مواقف الرسول تجاه الشعر وتقديره له ، ورضائه عنه كواحد من مقومات تعبئة الأمة الإسلامية في نضالها ضد أعدائها .

وترى الكاتبة أن آية الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاؤون ...) فهمت على غير وجهها الصحيح ، ولم يخطر ببال النقاد أن يلفتوا إلى موقف الرسول من الشعراء ليدفعوا بها قولة من قالوا بعباد الإسلام للشعراء ، ثم إن آية الشعراء لا يجوز منها أن تؤخذ مستقلة عن آيات أخرى تنفي في مجموعها الشاعرية عن محمد (...) .

إن حجج الدكتورة من القوة بحيث لا تحتاج إلى ربط بين آية الشعراء والآيات الأخرى التي تنفي الشاعرية عن محمد مع عدم وجود هذه الرابطة ، فأية الشعراء تهاجم نوما

دين الحق لا يتعارض ولا يتناقض أبد مع العقل السليم والعلم الصحيح .

٢ - قيم جديدة لمؤدب العربي : للدكتورة بنت الشاطيء

هذا الكتاب الجديد للدكتورة بنت الشاطيء الذي نشرته دار المعرفة بالقاهرة جاء في أربعة فصول : تناولت في الفصل الأول (أدبنا والحياة في العصر الجاهلي ، وقديمنا الأصيل ، وشاعر القبيلة ، والشعراء الصعاليك ، وشعراء البلاط) ، وفي الفصل الثاني (أدبنا والحياة في ظل الإسلام ، الإسلام والشعر ، الخضرة) ، وفي الثالث (أدبنا والحياة في ظل الحكم الفردي الوراثي) وفي الرابع والآخر (أدبنا والحياة ، من دمشق إلى بغداد ، في معترك المذاهب وخضم الأحداث ، مجرى التيار) .

هذه دراسات واعية ناضجة ، ترى فيها الكاتبة أو تريدها : محاولة متواضعة لتحرير الدرس الأدبي من بعض قيم خاطئة ومقاييس منحرفة احتكمت فيه زمانا وسيطرت ، ولا تزال تسيطر على فهمنا لتراثنا الأدبي) .

إن الأدبية المعسكرة لا ترى في تحرير أدبنا العربي ، التخفيف من قدسية أدبنا العربي القديم ، والعمل على أن نكون لنا شخصية مستقلة تأخذ من ثمار القديم ما طاب وحسب

المبادئ التي استوعبتها الأناجيل الأربعة للمسيح عليه السلام ، وهي المبادئ الإنسانية التي قدمها المسيح إلى عالم مزدهم بالريضة ، منعس إلى آذانه في المسادية المتحجرة :

(مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. بل بكل كلمة من الله) ، (إنى أريد راحة لا ذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو أبرارا .. بل خطاة إلى التوبة) ، (من لا يحب لم يعرف الله ، لأن الله محبة) .

الحق أن الأستاذ فتحى هودنا أن يكون دارسا واعيا ناضج الفكر ، يعتمد على المقارنة بين الفكر الإسلامى وغيره ، إلا أننا نختلف معه فى قضية أنارها إثارة حارة دون أن يعطيها حقها من الدراسة والبحث ، كما أنه أراد عدم القورط فى بعض القضايا العقيدية الأخرى التي نقف نحن والمسيحية إزاءها على طرفي نقيض ، كالصلب والوهية المسيح أو بنونه لله ، أو جمعه للأفانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) .

أما القضية التي أعنيها نهى قضية رفع المسيح حيا ومجيئه آخر الزمان هاديا البشرية إلى الله :

وقد اعتمد المؤلف أحاديث أوردها ابن كثير فى تفسيره واعتبرها متواترة ، ونحن نرى أنه لا حديث متواتر فى هذه المسألة العقيدية التي لا بد لها من خبر قطعى الدلالة والورود

من الشعراء لا يتقيدون بمبادئ ومثل ، دون أن تهاجم ذاتية الشعر كقيمة أدبية ، هلباً بأن لبعض المفسرين - ومنهم ابن كثير - رأيا فى المقصود بالشعراء وهم الكفار ، ويعتمد على آراء على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم .

إن القيم الجديدة للأدب العربى وضحت خلال هذه الدراسات القيمة ، وكنا نود أن تلخصها الدكتور فى مقدمتها أو فى خاتمة هذه البحوث ليسهل على القارىء استيعابها ، وإرساء قواعدها وأصولها فى ذهنه .

٣ - مع المسيح فى أناميد الأربعة : الأستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للمؤلف نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، والأستاذ فتحى من كتاب مجلة الأزهر وليس غريبا على قرائها .

فى مقدمة الكتاب جال بنا المؤلف جولة مركزة فى إطار التاريخ ، عرض علينا البيئة التي استغلت رسالة المسيح ، بيئة اشتوك فى تحديد مفاهيمها وأوضاعها الرومان الحكماء ، وطوائف اليهود التي سيطرت سيطرة تامة على الفكر اليهودى كالصدوقيين والفريسيين والسامرية .

ويستعرض الكاتب فى فصول واسعة أبرز

للخير والشر، وإصلاحها أساس مهم في تكوين الفرد والمجتمع والدولة .

ولقنور يعنى به المؤلف (الإسلام) وفى مبادئه ومثله وقيمه الروحية ما يصلح لهداية البشرية قاطبة ، حتى تسلك الطريق السوى وتصل إلى شاطئ النجاة .

وكل ما نأخذه على المؤلف أنه قد استعمل الأسلوب الخطائى المتميز بالحماسة والغيرة ، على المفاهيم التى تعارض المفاهيم الإسلامية ، وكنا نود أن يستبدل المناقشة الهادئة المتميزة بالمنطق والحجة فى هجومه على بعض هذه المفاهيم ، مع أنه كان يملك بعض هذه الحجج حتى فى هجومه نفسه .

وإذا علينا أن الكاتب قدم لنا باكورة إنتاجه، كان لكتابته تقديرنا حيث إن مستقبل المؤلف يبشر بالخير .

٥ — الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية :

للأستاذ أحمد عز الدين عبد الله المؤلف مدرس الآداب بكلية الشريعة بالأزهر ، وسبق أن قدم للكتبة الإسلامية أبحاثاً عن سيرة الرسول صلوات الله عليه .

وهذا الكتاب الذى نشرته الدار للقومية للنشر بالقاهرة ، أراده المؤلف أن يكون دراسة للفلسفة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية من ناحية القومية العربية والمجتمع العربى ونظام الحكم .

كما ذكر الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت فى كتابه الفتاوى ، ورأى ذلك قبله الإمامان محمد عبده والمراغى ، وأمامنا آية قرآنية ناطقة : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ..) ومع هذا - فالكتاب دراسة لها قيمتها ، والمؤلف بذل مجهوداً ضخماً ، ووهب لهذه الدراسة قسطاً وافراً من التقدير ..

٤ — النور أولى :

للأستاذ زين العابدين لوكبى

المؤلف أديب سودانى تضمن كتابه فصولاً أربعة :

العالم فى الميزان ، استعرض هذا العالم المضطرب الذى تسيطر عليه الأهواء والشهوات ، وينحدر من أسفل إلى أسفل ، وليس بين أرجائه مكان للبسادی والمثل العليا .

مرحلة لابد منها ، عرض المؤلف فيه لبناء الفرد باعتباره لبنة فى بناء المجتمع ، ولبناء المجتمع باعتباره أساساً فى بناء الأمة ، ثم لبناء الأمة باعتبارها دعامة من دعائم العالم الكبير ، وحاول المؤلف فى هذا الباب أن يسترد الفرد للإسلام ، باعتباره مرجعاً مهماً لقيادة البشرية إلى مجال الخير والحق والعدل .

ثم الإناء ينضح بما فيه ، وقد خص المؤلف بهذا الباب ، النفس البشرية باعتبارها مصدراً

في ظل السيطرة الامبريالية معناه العبودية ، وأن تحقيق هذه السيادة يتطلب تأكيد سيادة الشعب ، تحرير الحكم من سيطرة رأس المال ، تحقيق الحرية والأخاء والمساواة .

ويتحدث المؤلف عن فلسفة الاتحاد القومى وأنه خير صورة لتطبيق الاشتراكية تطبيقا ديمقراطية تعاونيا . وعن دورنا القيادى الأفريقى ، وعن فلسفة الحياض الإيجابية والتعايش السلى ...

المؤلف ناقش كثيرا من قضايا القومية العربية ودورها الإيجابية في إيجاد كيان مستقل للعرب .

محمد عبد الله السواد

والكتاب فصول سبعة تناول فيها : المفهوم الثورى للقومية العربية ، اقتصاديات العرب ، جناية الاستغلال ، تحرير العرب ، بناء مجتمع تسوده العدالة ، الفلسفية الخلقية ، الفلسفة السياسية . يرى المؤلف أن القومية روابط مادية ومعنوية ، زمانية ومكانية ، وإذا لم تبلور هذه الروابط في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية ، كانت القومية في دور التكوين لا تزال تمر بأزمة البحث عن نظام كامل تبرز وتتجسده . وفي الفلسفة السياسية يتحدث المؤلف عن تحقيق السيادة التامة للدولة وأن الاستقلال

(بقية المنشور على صفحة ١١٣٦)

وهنا بالذات تأتى المهمة الأولى للأساتذة الزائرين من العالم الإسلامى وتعريف الأمريكيين حقيقة التعاليم الإسلامية وثقافة الإسلام ، فالثقافة الإسلامية هى منبع الثقافة الأول فى جميع دول العالم الإسلامى مهما تباعدت أطرافه .

وفى اعتقادنا أنه كلما فهم كل فريق معتقدات الآخر على الوجه الصحيح كلما زاد التفاهم بين الناس وازدادت بينهم أواصر المودة وقويت الرابطة بيننا جميعا كموطنين فى هذا العالم وتوطدت تبعاً لذلك أركان السلام فيه .

المركنور محمود الشواربى

الأستاذ بجامعة القاهرة

وعلى أن حرية القول وحرية الرأى مكفولتان للجميع تماما .

وأود أن أذكر أن مشروع التبادل الثقافى بين أمريكا ومختلف دول العالم لم يكن فى الواقع منصرفا بالسكلية إلى الوجهة العلمية والفنية البحتة إذ أن أمريكا تسكاه تفوق معظم دول العالم فى هذه الميادين العلمية والفنية جميعا . وإنما الباعث الأول على معظم ذلك المشروع الإنسانى الكبير هو فى الواقع إتاحة الفرصة بوقوف كل فريق من الأساتذة الزائرين على حقيقة نظم الحياة فى كل بلد ووقوف كل منهم على ثقافة الآخر وإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الجميع يبنى على تفهم كل منهم لأهداف الآخر فى الحياة .

بريد المجلة

ويح هؤلاء ويح ما يقولون .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل ولدت القومية إلا في مصر ؟ إن كان هؤلاء يقصدون بالقومية قومية الذين هملوا للوحدة ثم عادوا فهملوا التزق الوحدة ، فليست مصر كذلك ولا هي هنالك .

مصر لا تعرف القومية ؟ وهل ولدت القومية إلا في مصر ؟ إنني لن أستشهد بالتاريخ لأبرهن على أن مصر كانت دائما وأبدا في خدمة العرب والإسلام ، ولو شئت لأوردت أمثلة عديدة على مواقف المصريين الخالدة في تاريخهم العربي القديم الزاهر ، ولكن ليس في نيتي التحدث عن التاريخ في هذه الكلمة القصيرة ، ولكنني سأحدث عن مصر في هذا العصر ، مصر التي خدمت العرب ، وأخلصت لهم كأحسن ما يكون الإخلاص ، وكانت لأخوانها الدول العربية أستاذة ومرشدة في كل مد لهم من الخطوب .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل عرفنا القومية إلا من مصر ، ومن صحف مصر ، ومن أبرزها وأحسنها وأعظمها شأنًا مجلة الرسالة ، تلك المدرسة الساعية التي وضعت جميع طاقاتها الجبارة في خدمة العرب والإسلام .

عروبة مصر :

حين قام بعض الماجورين في إذاعة دمشق بالحديث المسف عن قومية مصر العربية ، انبرت الصحف الكثيرة في مختلف البلاد العربية ترد ذلك البطلان الصارخ ، وتشيد بجهود مصر في دنيا العروبة والإسلام ، والطريف الحميد أنها جميعها قد ذكرت الدور الهام الذي قامت به مجلة الرسالة في تثبيت الوحدة العربية ، وإرساء دعائمها على أسس مكيئة من اللغة والدم والدين ، ونذكر هنا بعض ما ذكره السكاتب الكويتي الأستاذ فاضل خلف بجريدة الرأي العام الكويتية ؛ في ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٨١ هـ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦١ م كنموذج لما قيل ، قال الأستاذ من حديث طويل :

« لن أنطرق إلى الحديث عن الانقلاب الذي حدث في سوريا لأن ذلك ليس مكانه هنا ، ولأن الحديث عنه قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولكنني سأتكلم عن ناحية حساسة في هذا الموضوع ، فقد استمعت بكل أسمى وأسف إلى من يقول في إحدى الإذاعات إن المصريين لم يعرفوا القومية العربية في تاريخهم الطويل .

والطبيعية والسفينة والمسرح والفلسفة وعلم النفس والفنون الجميلة والترجمة .

لقد أخذنا نحن شباب هذا الجيل ما أخذناه من ثقافة على أيدي عرب مصر وكذلك أخذنا آباؤنا من قبلنا الثقافة والمعرفة من الصحف المصرية وعلى أيدي أدباء مصر البارزين . لقد ظلت مجلة الرسالة مدى عشرين سنة وهي تخدم العالم العربي من جبل عرفات إلى بحر الظلمات وتخدم المسكر العربي وتخدم اللغة العربية ويتأق من كل هذا القوميّة العربية ، الصحيحة التي يدعى أناس أن مصر لم تعرفها في تاريخها الطويل .

لقد كان لي شرف الشناء على مصر وإطراء محامدها في كثير من كتاباتي ومنها هذه الفقرة التي كتبناها منذ عشر سنوات تقريبا في مجلة البعث ، ثم أثبتنا في كتابي « الأدب والحياة » .

« مصر العظيمة التي أضحت كعبة طلاب العلم والأدب مصر الخالدة التي يأنس الأديب في جنباتها ويأمن من غلواء الزمن . مصر التي فهمت معنى الثقافة فأخذت تنشر درها ولآلتها في أرجاء البلاد العربية ، وما تلك الدراري واللالء إلا كتب أبنائها البهرة التي أنارت السبل أمام الشباب فأضاءت لهم ما حولهم فمشوا بثبات وإقدام . الخ ص ٩٨ . فسلام على مصر في عروبتها وإسلامها .

لقد أخذنا — إذن — القومية العربية على جهابذة الأدب في مصر كأحمد حسن الزيات وعبد الوهاب عزام وزكي مبارك ومصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد وطه حسين ومحمود محمد شاكر وسيد قطب وعبد المنعم خلاف ومحمد عبد الغني حسن ومحمود حسن اسماعيل وتوفيق الحكيم ومحمد مندور ومحمود غنيم ونصري أبو السعود ومحمود الخفيف ومحمد سعيد الريان ومحمد أحمد الغمراوي وإبراهيم عبد القادر المازني وأحمد أمين وعلى محمود طه المهندس ومحمد فريد وجدي ومحمود تيمور وغيرهم وغيرهم من الذين اتخذوا صفحات الرسالة ميادنا فسيح الجنبات لخدمة العرب وتاريخهم وتراثهم الخالد . لقد ظل هؤلاء الأساندة يؤلفون الأوتار الخالدة في قيثاره الأدب العربي المعاصر حقبة من الدهر ، وما زال أكثرهم بواصل الجهاد في إعلاء روح القومية العربية بما لا يستطيعه الآخرون في أصقاع أخرى من العالم العربي .

لأنني هنا أتكلم عن المصريين العاملين الخالصين الذين خدموا العرب عن طريق الأدب ولغيري — إن شاء — أن يتكلم عن الأسماء المصرية اللامعة التي خدمت العرب عن طريق السياسة والاقتصاد والقانون والتاريخ والجغرافيا والعلوم الرياضية

وأودعته معتقل صارفند قبيل عام ١٩٣٦ ثم نفي بعد الإفراج عنه إلى القاهرة حيث عاد عام ١٩٤٠ إلى فلسطين ليؤلى جهاده ، ولم يعد من فلسطين إلا عام ١٩٤٩ بعد أن وقعت الكارثة .

وخلال المعركة كان لمساهمته دورها في القضاء على مستعمرة كفار عصيون في الخليل وهي من أقوى المستعمرات اليهودية في فلسطين ، كما كان لمساهمته أيضا دورها في الدفاع عن القدس قبيل دخول الجيوش العربية ، وفي منطقة الخليل أمد الجيش المصرى وقتئذ بالمؤن والسلاح . وكان السيد عبد المحسن أبو النور وزير الإصلاح الزراعى اليوم هو حاكم مدينة الخليل العسكرى .

ومن مواقفه المشهورة خلال المعركة ، أن الفقيده قاوم دخول جيش الأردن إلى منطقة الخليل ، إلى درجة أنه كسر بيديه سارية العلم الأردنى ، ولم تستطع مساومة مدير المخابرات الأردنية أن تحول عقيدته ، ولا أن تجعله يسير فى الركب .

هذه مجرد خطرات سريعة هن مسلم مجاهد ، أفنى شبابه وثروته الطائلة ، ولحق بربه وقلبه معاق بقضية وطنه ، والوطن جزء لا يتجزأ من الإيمان .

أما ما حدث ليلة المآثم فهو يصلح لأن يضاف إلى عجب الدنيا . .

وسلام على مصر فى علومها وآدابها ومعارفها .

وسلام على مصر فى أزهرها ودار علومها وجامعاتها ومتاحفها .

وسلام على مصر يوم خدمت الفكر العربى وتبنت القومية العربية .

وسلام على مصر يوم استهدفت لغزو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى معركة بورسعيد الخالدة .

وسلام على مصر يوم وافقت على الوحدة . وسلام على مصر فى محتها الجديدة .

هذا هو صوت محايده ، يتكلم عن الحق الصارخ ، فى أليت قوئى هناك يعلون من نكون !!

محمد رجب البيومى

قله ذوى . . فى مأثم مجاهد :

منذ أيام قصدت أن أؤدى واجب العزاء فى فقيد من مجاهدى فلسطين هو المرحوم الشيخ أحمد بيومى التيمى عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين .

هذا المجاهد من القلائل الذين يعملون فى صمت دون الإعلان عن أنفسهم . كنت ألتقى به كثيرا - وهو لاجئ سياسى بالقاهرة - فأرفق بأن قضية فلسطين تحت كل إحساساته ومشاعره ، وتمتزع ببضات قلبه .

اعتقلته حكومة الانتداب البريطانى

و يلبق بهيبة ووقار المناسبة ، بل كان حشوا وخلطاً ، في الألفاظ والمعاني على السواء ، وعلى كل فقد استطاع أن ينتقم من الناس في وعظه . . . وهان عليه كل شيء ، فلم يكن واعظاً رسمياً يقدر للامور قدرها .

بقي شيء يجب أن نقوله :

إن كثيراً من معاني القرآن توضع في غير موضعها ، فهذا الواعظ المحترف كان يلوح بقوله تعالى : « وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ... » ، مع أن معظم المفسرين يكادون يجمعون على أن المقصود بفرض الاستماع والإنصات هو الصلاة ، وابن مسعود كان يقرأ والرسول يقول له « أحسنت » كما جاء في حديث مسلم ، وهذا مجاهد يقول : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وقد روى عبيد بن عمير وعطاء بن رباح يتحدثان والقاضي يقص ، فقليل لهما : ألا تستمعان إلى الذكر ، فقالا : إنما ذلك في الصلاة ثم تلياً قوله تعالى : « وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . .

ونحن نرجو أن يستمع المستمع بقلب خاشع وأذن صاغية ، حتى يمكنه أن يتدبر آيات الله ، ولكننا لا نرجو أن يشير استحيان المستمعين لكتاب الله خلال المواقف في أدب ووقار ، لا نرجو أن يشير هذا أحداً بشهر عصاه لينتد بالمستمعين ويحدث من الشغب والصخب ، ما ليس

كان ضمن الوافدين إلى السراشق لنأدية واجب العزاء في المجاهد الفقيد ، المقرئ المشهور الشيخ محمد صديق المنشاوي ، وكان من الطبعي أن يدعى ليتلو جانباً من القرآن ، ولم يكده يبدأ التلاوة حتى أهل على السراشق شيخ يتعالى في عبادته ، ويهتز رأسه داخل عمامته التي لم يفته أن يرخي ذوائبها ، ويتبختر بعصاه في مشيته وكأنه ظن أنها عصا موسى ، ولم يتجه إلى أقرب المقاعد الشاغرة ليجلس - كما هو المفروض - وإنما اتجه إلى الشيخ صديق المنشاوي ليقول له بصوت جهوري وفي أنفة وكبرياء : « أوجز . . فأنا أريد أن أعظ ، ولم نملك نحن إلا أن نفتح أفواهنا لتلجمننا الدهشة ، وإن كان الشيخ المنشاوي قد واصل تلاوته وكأن لم يسمع شيئاً ، وتجلى الله عليه فهزت تلاوته قلوبنا .

وعز على الشيخ أن لا يستجيب المقرئ ، فكان ينهز فرصة استحسان المجلس لتلاوته خلال المواقف القرآنية بأصوات تتفق مع هيبة المناسبة ، فيتصايح ملوحاً بلحيته وعصاه معاً ، مهدداً ومتودداً ، ومنهدداً بهذا المملك ، ومحدثاً شغباً وصخباً . .

وحين تخلى الشيخ المنشاوي عن كرسيه هقب انتهاء القراء ، قفز الشيخ على الكرسي ، وظل يعظ حتى مل الناس .

ولم يكن الوعظ بالطبع مما يناسب المقام .

ثم استطرد الأستاذ في مناقشة الحديث السالف : روايته ، ومتنا .

ثم ينتهي فضيلته عند رأيه بعدم التسمية في القراءة : إذ يقول مثل ما بدأ فبعد كل هذا القليل والقال ، والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلاً لأن يزداد به على نص قرآني . . وبالتالي لا يصلح لنسخ المتواتر إلخ ، . والذي أقوله راجياً أن يصادف قبولاً : هو — أولاً —

إننا في غير حاجة إلى مناقشة الحديث إيجاباً ، ولا سلباً ، ولا سنداً ، ولا متناً . فإن التسمية في أول القراءة ثابتة بالقرآن نفسه بل في أول آية نزلت منه : اقرأ باسم ربك الذي خلق .

فهذا أمر تكليفي بالتسمية عند القراءة ، وهو تشريع جرى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه — طبعاً — فإذا جاء حديث بعد ذلك في هذا الصدد فهو غير بعيد عن مدلول الآية ، ومهما يكن فيه من توهين فهو معقول للمعنى ، والتسليم به غير افتيات على الآية إطلاقاً .

وذكر البسملة في أوائل السور بالمصحف أمر توقيفي ، يؤذن ، بل يقتضي التأس ، وهذا هو المأثور سلفاً وخلفاً عن علماء المسلمين . وثبوت التسمية بالآية : اقرأ باسم ربك ، ليس رأينا من جديد ، بل هو ما قال به أئمة في التفسير كالقرطبي ، والأوسى وسواهما .

بحاجة إليه ، مجلس يجب أن ترفرف عليه هيبة المناسبة . محمد عبد الله السمان

البسملة: فسي فراءه القرآنة :

قرأنا في مجلة الأزهر — عدد شعبان — بحثاً علمياً لفضيلة الشيخ محمد محمد الشرقاوى الأستاذ بمعهد الإسكندرية حول التسمية لقارى القرآن .

وهو بحث لا بأس به ، إذ فيه عناية أشكر لفضيلته .

غير أنني رأيتني بحاجة إلى التفاهم مع الأستاذ فيما تعرض له من إنكار التسمية عند القراءة إذ قرر — أولاً — ، أن المطلوب في بداية التلاوة لون واحد هو الاستعاذة فقط ، . . . واستند في ذلك إلى أمور .

منها — أن الله تعالى أمر بالاستعاذة وحدها في قوله سبحانه : فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، .

ومنها — أن زيادة البسملة بعد الاستعاذة تعتبر زيادة على النص ، والزيادة نسخ ، والنسخ ، لا يكون إلا بنص متواتر أو مشهور وهذه قاعدة مذهبية لا إجماعية .

ومنها — أن جمهور القائلين بالتسمية ليس لهم دليل سوى حديث غير متواتر ، ولا مشهور ، حتى يمكن النسخ به لنص الاستعاذة : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أقطع ، .

النفوس الطيبة والعقول الرشيدة إلى تحقيقها ولقد غمرت القلوب بموجات وموجات من السرور حينما زفت هذه البشارة على صفحات جريدة الجمهورية وإني أشعر بأن الدنيا كلها تبارك هذا القرار وتهنئ الجامعة بهذا الخير العظيم .

فالدين في ماضيه وحاضره وسيظل كما أرادته الله الأمل الحقيقي لبناء الأمة القوية السليمة من الأمراض الاجتماعية وغيرها وهو الدعامه الثابتة المتينة التي تهزأ بالاعاصير والعواصف الهوجاء. وتسخر من معاول الأعداء وترد كيدهم في نحورهم وتبقى عالية لانها مؤسسة على أقوى المبادئ وأسمائها .

والجامعة بشبابها الغض النضر وأسائذتها السكرام البررة منبع للعلم ولكن العلم كالماء يتدفق وينساب رقراقا يهب الحياة للانسانية ولا بد من حاجة المياه الصافية وأمواجها المتلاطمة لرقابة واعية تتمثل في إحكام الجداول وتنظيم السدود وحفظ المياه النافعة حتى تعود عليها بأزكى الثمرات وأطيب النتائج وإذا لم تكن الرقابة سارت المياه في غير سبيلها فتفرق العالم وتهدم البناء وتقتل النبات وتقتلع جذوره .

كذلك العلم نفع وأى نفع إذا حصن بالحصن القوي الدين حبل الله المتين كان طريقا للفلاح والفلاح وإلا كان شرامستطيرا .

وثانيا بما أقوله — إن الاستعاذة شرعت بعد مشروعية التسمية — بداهة . فتكون التسمية والاستعاذة مشروعتين بنص القرآن، والعمل بالآيتين يتحقق بالاستعاذة ثم بالتسمية ، ويكون عملا بكل دليل في موضعه دون تعارض ولا نحوه .

وخلاصة ما أقوله واضحا : أن التشريع للقرآن يرضى بالاستعاذة والتسمية باسم الله، هل نحو ما تحقق بالبسملة التي صارت آية من الكتاب وفاتحة للقراءة وما بعد ذلك من تعدد وجهات النظر بين الأنظار لا ينسبنا أن سياق القرآن فوق كل اعتبار .

وهل ذلك البيان الاجمالى يكون التقليد المعمول به في مصر أوفى بمقصود الشارع وبمدلول الآيات .

وعسى أن يكون في هذا كفاية والله يوفق الجميع .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

(المجلة)

جاءنا بحث في هذا الموضوع من الأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم ، وسنشره في العدد القادم .

تقرير الدين مادة أساسية في الجامعة :

قرار كريم صدر من نفس كريمة صافية ذلك القرار الذي أصدره السيد الوزير حسين الشافعي بتقرير الدين مادة أساسية في الجامعات المصرية وإنها لفكرة حميدة طالما نافقت

وفي ميدان الجهاد والكفاح قوة للجهادين
وفي مكتب المحامى وقاعة القاضى نور لهما
ونصير للحقيقة . فما أحوج الدنيا كلها إلى
ثمرات الدين الطيبة وظلاله الوارفة وما أحوج
الجامعات إلى ينابيع الدين الصافية وما أجملها
من فكرة رشيدة ونهضة فائقة ، فسر أيها
الوزير فى قرارك والله معك وكفى بالله ولياً
وكفى بالله نصيراً . الحسينى هاشم

مجلس البحوث الطبية والصحية بأندونيسيا ،

ألف هذا المجلس عام ١٩٥٤ ، وهو يضم
عددًا كبيراً من العلماء والأطباء ، وكان
الغرض من إنشائه إجراء بحوث علمية فى كل
المسائل الطبية من حيث علاقتها بأحكام
الشريعة الإسلامية ثم إصدار فتاوى بشأنها
ليجرى العمل على مقتضاها فى جميع المصالح
للصحية والطبية بكافة أنحاء أندونيسيا ، وقد
زود هذا المجلس بمكتبة ضخمة تحوى أكثر
من ٦٥٠٠ كتاب فى مختلف العلوم الإسلامية
من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأصول ،
وفى مختلف العلوم الطبية والصحية وما إليها
بما يساعد المجلس على أداء مهمته والنهوض
بالغرض الذى أنشئ له ، وقد تفضل الأستاذ
الأكبر فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت
فأهدى المجلس عند زيارته لأندونيسيا هدية
قيمة تلقاها المجلس بالشكر .

والعلم إن لم تكتشفه شمائل
تصلوه كان نهاية الإخفاق
الدين يدعو للعلم بملكوته السموات
والأرض ونسخير قوى الكون التى خلقها
الله نعماً للإنسان وتفضيلاً وتكريماً ولكنه
يشترط أن يكون ذلك لسعادة الإنسانية
ورفاهيتها ولو كانت الأسلحة العلمية
النووية والذرية تحت لواء الدين لأمن
العالم فزع الحروب الباردة وغير الباردة ،
وسعد بالاستقرار والطمأنينة وأسباب
السلام غير مشوب بأكدار .

والدين يملأ نفسك طمأنينة وثقة وهو
دواء من العقد والانحرافات والقلق النفسى
وحيرة المصير كفاه هادياً أنه ينظم علاقتك
بالحاق فتشعر بالاستقرار وبالعالم فتسعد بالحبة
وتبادل المنافع الصادقة بينك وبين المجتمع .
وعندما تتفتح زهرات الدين المشرقة فى
الجامعات وتنفتح للطلاب عرفها الربانى سيرون
المعاني الحية السهلة التى كانت تحير الأفهام .
عندئذ تملأ الصدور طمأنينة وثقة فلا
تضعف ولا تفتر بمبادئ مزيفة من الشرق
أو الغرب لا مركسية ولا سترية لاشيوعية
ولا وجودية وسنلس أن الدين بنصومه
القرآنية ، وأضوائه العليا ومبادئه القويمة ،
أذاب كل هذه الأفكار الخبيثة وعمر القلوب
بالحقائق الثابتة .

إن الدين فى عيادة الطبيب أمن للرضى .

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

ألا لا يجلهن أحدٌ علينا

فنجعل فوق جهل الجاهلينا

فترى من هذا كله أن كلمة الجاهلية تدل على الخفة والآنفة والحمية والمفاخرة ، وهى أمور أوضح ما تكون فى حياة العرب قبل الإسلام فسمى العصر الجاهلية ؛ ويقابل هذه المعاني هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب وهى كلها نزعة سلام فعنى الآية كما فى الطبرى : د أن عباد الله هم الذين يمشون على الأرض بالحلم ، لا يجهلون على من جهل عليهم .

ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر قريب من هذا ، وهو استعمال أسلم المشتق من السلام بمعنى الخضوع والانقياد ، لما كان الخضوع ادعى إلى السلام ، وفى هذا المعنى جاءت الآية : د وأنذروا إلى ربكم وأسلبوا له ، د فقل أسلبت وجهى لله ، د وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا على المؤمنين والكافرين جميعا لأنهم خاضعون لله ، ومنقادون إليه بحكم خلقهم ، رضوا أو كرهوا ، تسرى عليهم قوانين العالم ؛ ولا يستطيعون الخروج عليها د وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً

لفظ الأسلم ومعناه ..

إذا تتبعنا مادة د س ل م ، ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنى السلام المسالمة ، وضد المسالمة الحرب والخصام ، جاء فى القرآن : د وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ولعل هذه الآية هى المفتاح الذى فصل به إلى معرفة السبب فى تسميته العهد الذى قبل محمد صلى الله عليه وسلم جاهلية ، وعهده إسلاماً ، والجاهلية ليست من الجهل الذى هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذى هو السفه والغضب والأنفة ، جاء فى حديث الإفك د ولكن اجتنبته الحمية ، أى حملته الأنفة والغضب على الجهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لآبى ذر — وقد عير رجلاً بأمه — : د إنك امرؤ فيك جاهلية ، أى فيك روح الجاهلية ؛ وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجمله الشيء أى استخفه ، ومنه قوله :

وقاك الهوى واستجملتك المنازل

وفى معلقة ابن ككثوم :

دينا ، ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

فهذا الإسلام عماده الخضوع لله والافتقار له ولعل هذا الاسم أنسب اسم للرد على العقليّة الجاهلية عقليّة الأنفة والحمية .

من كتاب بحر الإسلام للأستاذ

، أحمد أمين ،

تعليل :

لاحظت أن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية كاملة وهي « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » ، وليس فيها بتمامها ما يشعر من قريب أو بعيد بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين كما قال رحمه الله وغفر له ، وإنما يفهم منها أن التمرد على دين الله نشاز في النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن ما له إليه ولأن الله قادر عليه ، إن يشأ يذهب أذهبه ، وأن يشأ يعذبه عذبه ، وأن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه يوم يرجع إليه بعد الموت « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » .

ولو ذكر رحمه الله ما سبق هذه الآية ولحقها ما اتجه هذا الاتجاه .

وليقرأ القراء السياق والحقاق .

وكرها وإليه يرجعون ، فكل من في السموات والأرض مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لأمر الله ، مطيع لما وضع في العالم من قوانين . ثم قصرت في الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعاً ، فكأنما المسلم هو الذي رضى بإطاعة الله ، فاجتمعت له الطاعة الطبيعية والطاعة بالإرادة ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وبهذا المعنى تطلق كلمة « المسلم » على كل من خضع لله وأطاع أى نبي من الأنبياء ، فأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد مسلمون . قالت يا أيها الملائكة إني ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تصلوا على وأنوني مسلمين ، ، « ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يابني إن الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، وفي سورة يوسف : « توفي مسلماً وألحقني بالصالحين » ، « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون » . ثم خصصت في الاستعمال بالدين الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم علىكم فعمى ورضيت لكم الإسلام »

رشيقا توافر فيه أسباب النعيم والرفاهية
لآلاف الملايين ، من الكائنات المختلفة
المتنوعة ، منها ما يزحف ، ومنها ما يطير ،
ومنها ما يمشى على رجلين أو أربع أرجل ...
وكان هؤلاء جميعا خلقين أن يصيبوا في
هذا الكوكب العظيم حياة هائلة ناعمة لو أنهم
جنحوا إلى شرعة الانصاف ، واصطنعوا
الحب والمودة في مختلف شئونهم وعلاقاتهم
ولكنهم أبو ألا أن يملئوه ظلما وبغيا
وعدوانا ، فأشاعوا فيه الشقاء والعذاب
ويوشك أن يشيع فيه الخراب والدمار .

ومن سخرية الزمن أن يكون مصدر هذه
الويلات ذلك الكائن الذي يمشى على رجلين
وقد كرمه الله ووهب له نعمة العقل والتفكير
والقدرة على الابتكار والاختراع ، فإذا هو
يسخر هذه القوى لارتكاب الشرور
والآثام ، وابتكار الوسائل الجهنمية التي
تمكّنه من إزهاق أرواح الآلاف المؤلفة
من بني جنسه في لحظات معدودات ، ومن
أعجب العجب أن تزداد هذه القدرة الهائلة
على القتل وسفك الدماء وعلى التخريب
والتدمير بازدياد ما يسمى العلم والمعرفة ،
وبالتقدم فيما يسمى الحضارة والمدنية ،
فخروب المتوحشين ، لا تخلو من خفة الظل ،
وقتلهم يصحبه شيء كثير من الطبل والزمر
والموسيقى والفنون الجميلة ، وضحاياها يعدون

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما
كنتم تعملون الكتاب وبما كنتم تدرسون
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا
أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ، وإذا
أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم
على ذالكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا
وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله
أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها
وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا
وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى
والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم
ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين . »

وبلاحظ كذلك أن إطلاق اسم الإسلام
لم يكن الرد على العقلية الجاهلية في العرب
وحسب كما ذهب إليه المؤلف وإنما كان ولا
يزال الرد على كل جاهلية من أي لون وجنس .

الكوكب المعذب :

وهب الله سبحانه وتعالى كوكبا جميلا

فقد ورد في كتب الأدب أن الحجاج كان في طريقه إلى الحج فزل عند ماء . ودعا بغداد . ثم قال لحاجبه انظر من يتغدى معي ، ونظر الحجاج فإذا أهرابي نائم بين شملتين من شعر فضر به برجله وقال له أنت الأمير ، فلما أتى دار بينه وبين الحجاج هذا الحوار :

الحجاج : اغسل يديك وتغدى معي .

الإعرابي : دعاني من هو خير منك .

الحجاج : في دهشة ، من الذي دهاك ؟..

الأعرابي : دعاني الله للصوم فصمت . .

الحجاج : في هذا اليوم الحار ؟..

الأعرابي : نعم : صمت ليوم أحر منه .

الحجاج : فأفطر اليوم ؛ ونصوم غدا .

الأعرابي : هل ضمنت لي الحياة إلى غد ؟..

الحجاج : ليس ذلك إلى .

الأعرابي : وكيف تسألني عاجلا بأجل

لا تقدر عليه . . ؟

الحجاج : إنه طعام طيب .

الأعرابي : إنك لم تطيبه ولا الخبز . .

ولكن طيبته العافية .

فهل يصنع الصوم بنفوسنا ما صنع بنفس

هذا الأعرابي ، حتى وقف وهو الفقير الذي

لا يملك غير شملتين من شعر يفتش إحداهما

ويتغذى بالآخرى يصول الحجاج بهذا الحجاج

المفهم ، ولا يرى فيه وهو الجبار الطاغية

إلا مخلوقا هزिला لا يضمن له البقاء إلى غد .

بالعشرات أو المئات ، أما الأمم ، المتمدينة ، فإن محبي السلم في العالم يرتعدون فرقا بما تعدده وما تهيئه لحرب ثالثة ، ولما يحل بالعالم من النكبات لو اشتعلت تلك الحرب .

ومع ذلك فإن محبي السلم لا يرون في العالم كله مشكلة جدية يتطلب حلها الاحتكام إلى القوة ، ويؤكدون أن الدول الكبيرة لو أنفقت من الجهد والمال في سبيل السلم عشر معشار ما تنفقه في سبيل الاستعداد للحرب لأمكنها أن تنشر بين الشعوب روح المحبة والوثام بدل العداوة والخصام .

الدكتور محمد هوض محمد

من : المجلة ، العدد الخامس

تفسير ذلك :

ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل الله الأمر جميعا . أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ، .

قرآن كريم

عظيمة صا :

لم أجد فيما قرأت حديثاً لصائم أروع ولا أمتع ولا أقوى من هذا الحديث .

يكتب به ، وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين
في كتبهم ، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ
معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل . . ؟ ثم
كيف يصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله ،
مع أن الله يقول : « حتى يسمع كلام الله »
إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله .

والحق أنه ليس لجبريل في هذا القرآن
سوى حكايته للرسول وإيحائه إليه ، وليس
لرسول صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن
سوى وعيه وحفظه ، ثم حكايته وتبليغه ،
ثم بيانه وتفسيره ، ثم تطبيقه وتنفيذه ،
نقرأ في القرآن نفسه أنه ليس من إنشاء
جبريل ولا محمد نحو : « وإنك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم » ونحو : « وإذا لم تأتهم
بآية قالوا لولا اجتنبتها قل إنما أتبع ما يوحى
إلى من ربي » ونحو : « وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا لئت
بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن
أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى
إلي إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم
عظيم » ونحو : « ولو تقول علينا بعض
الآقاويل لأخذنا منه باليمين » ثم لقطعنا منه
الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين .
من كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن

لفضيلة الشيخ المرحوم

د محمد عبد العظيم الزرقاني ،

وهل نجد من كلام الفلاسفة والعلماء
ما نجد في هذا الحديث التفسير من ذلك
الأعرابي الفقير . . ؟
من جريدة الأخبار (ع . ف)

مهر المغفرة

(التوبة . والإيمان . والعمل الصالح .
والإعتقاد) .

« وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى »

الله غفار ولـ كن بعد تلك الأربعة
فن استظل بغيرها ظلت خطيئته معه
من كتاب مع الدين للأستاذ (محمد السيد شحانه)
شاعر البراري

عيب الجلال . .

عيب الجلال بلاء بعد جدته
يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلوا
من الرسالة (أحمد الزين)

إسفاف

وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل
كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بمعاني
القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب ،
وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله
كان يوحى إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل
أثيم ، مصادم لصريح الكتاب والسنة
والإجماع ، ولا يساوى قيمة المسداد الذي

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

٢ — كتاب في الفقه الإسلامي ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثاني من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجي الأزهر .
ويمنح مؤلف الكتاب للفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٣٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

ولذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة منها جائزة تشجيعية قدرها ٧٥ جنيهاً عن كل جزء .

مواصفات كتب الفقه :

يشترط في كل كتاب من كتب الفقه المتقدمة للمسابقة ما يأتي :

(أ) من ناحية الأداء :

أن يكون أسلوب الكتاب سهلاً ،
وتعبيره مألوفاً ، وبعبارة ما أمكن عن
الاصطلاحات الفقهية والأحكام الافتراضية ،
وملائماً لفهم الطلاب ومستوى إدراكهم .

(ب) من ناحية التقسيم :

وتكون موضوعاته متتابعة ، متميزاً

مسابقة تأليف كتب للمعاهد الأزهرية

تعلن الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية عن حاجتها إلى مؤلفات مبتكرة في الموضوعات الآتية وتدعو المدرسين في المعاهد الأزهرية وغيرهم من أهل الكفاية إلى مسابقة عامة للتأليف في هذه الموضوعات .

وسيمنح المتسابقون الفائزة كتبهم بالمراتب الأولى الجوائز المالية الميمنة بعد ، وهذه هي المؤلفات المطلوبة ، والجوائز المقرر منحها لكل منها .

أولاً : في الفقه :

١ — كتاب في الفقه الإسلامي ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

ولذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيهاً عن كل جزء .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيهاً عن كل جزء .

مواصفات كتب القواعد :

ويشترط في كل كتاب من كتب القواعد المتقدمة للسابقة ما يأتي : -

(١) أن يكون ملحوظاً فيه التدريب والناحية التطبيقية مع البعد عن الخلافات النحوية والنزام أخف الأوجه وأكثرها استمالة من الأحكام الجوازية .

(ب) أن يعمل على تزويد التلميذ بقدر كاف من الكلمات الكثيرة الاستعمال ، المعينة على الانطلاق في التعبير الصحيح والضائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات الشرط الكثيرة الاستعمال وأدوات الاستفهام .

(ج) أن يعنى من الناحية التطبيقية بالتوليد اللغوي كتمهيد لدروس الاشتقاق في المستقبل والتفنيه كلها سمحت الفرصة إلى مدى التقارب بين معاني الكلمات المتقاربة حروفاً لتدريب التلاميذ على محاولة الفهم الذاتي لمعاني بعض ما يمرض لهم من الكلمات بقيامها إلى كلمات مألوقة المعنى لهم .

بعضها عن بعض ، ملتزماً ما أمكن تفسيرات كتب الفقه .

(ج) من ناحية الموضوع :
أن يكون مضمون الكتاب غير منسوب إلى مذهب ، ولا متعارض مع المذاهب الأربعة ولا متعرض للفروع الخلافية بين هذه المذاهب .

ثانياً : في قواعد اللغة العربية :

١ - كتاب لقواعد اللغة العربية ذو أجزاء أربعة يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجي للأزهر .
ويمنح مؤلف الكتاب الفائزة بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ١٥٠ جنيهاً عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٣٥ جنيهاً عن كل جزء .

٢ - كتاب لقواعد اللغة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثاني من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائزة بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيهاً عن كل جزء من الجزئين .

ثالثا : في القراءة :

١ - كتاب للقراءة العربية ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجي للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظهر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيه عن كل جزء .

٢ - كتاب للقراءة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثاني من الصفوف الثانوية للمعهد النموذجي بالأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظهر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيه عن كل جزء .

مواصفات كتب القراءة :

يشترط في كل كتاب من كتب القراءة المتقدمة للسابقة ما يأتي :
(١) من ناحية الأداء :

١ - أن تكون لغته صحيحة وأسلوبه ملائما وجملة غير طويلة وألفاظه مألوفة وتعبيراته خالية من التعقيد .

٢ - وأن يكون مزوداً بالصور التوضيحية اللازمة (ويمكن الاستغناء عن الصور ببيان مواضعها ووصفها) .

(ب) من ناحية الموضوع :

١ - أن يكون الكتاب منهجياً تتساوى موضوعاته على تتابع مخطط - مع استقلال كل موضوع في ذاته لتحقيق غاية من غايات المعرفة بلا حشو ولا فضول .

٢ - أن يكون مشتملاً على شعر وقصص وأمثال على أسلوب للقصة ، وحوادث مما يجري في البيئة ، ومشاهدات ومعارف عامة ، وتوجيهات سلوكية وقومية .

٣ - أن تخدم موضوعاته - ما أمكن - المناهج المقررة لمواد الدراسة المختلفة في كل صف أو تخدم لها بأسلوب ملائم وخاصة في المواد النظرية كالناريخ والجغرافيا وبعض الفروع العملية وبعض صور السلوك الإسلامي ، بحيث يمكن الاستغناء بما تتضمنه بعض فصول الكتاب من فنون المعرفة

٥ — الإدارة العامة للبعاهد الأزهرية
حق طبع الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى
للاستغناء به في الأغراض التعليمية ما شاءت
من الطباعات ، ويعتبر ما حصل عليه المؤلف
أو المؤلفون من جائزة مقابلا لحق التأليف
مع السماح للمؤلف بأن يطبع منه لحسابه
ما شاء من طباعات خاصة .

عميد كلية الشريعة بجامعة كابول

في ضيافة شيخ الأزهر :

قدم القاهرة مولانا عبد الحق خان
عميد كلية الشريعة في جامعة كابول بأفغانستان
في ضيافة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وأضفى الضيف الكريم سبعة أيام في القاهرة
درس خلالها النظم الحديثة في الأزهر ، وزار
المعالم الإسلامية والأثرية .

وقد أهدى فضيلة شيخ الأزهر للضيف الكريم
نسخة من المصحف الكريم ، ومجموعة من
المؤلفات الإسلامية لفصيلته وقال : « هذا هو
أساس العهد بيننا وبينكم ، ونأمل أن يتسع
نطاق التعاون بين الأزهر وأفغانستان
في سبيل نشر الفكرة الإسلامية ، وتقوية
صفوف المسلمين . »

عن إعادة تدريس موضوعها تحت عنوان
مادة أخرى .

تفسيرات هامة

١ — تقدم الأجزاء الأولى من الكتب
المطلوبة للمسابقة إلى الإدارة العامة للبعاهد
الأزهرية من ثلاث نسخ في موعد أقصاه
يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٦٢ .

٢ — تألف لجان الفحص للكتب
المتقدمة للمسابقة من أعضاء متخصصين
في موضوعات المسابقة وأحكامهم نهائية
بالنسبة للمتسابقين .

٣ — تعلن نتائج الفحص قبل أول يولية
سنة ١٩٦٢ وتصرف الجوائز لمستحقها فور
اعتماد الميزانية .

٤ — من حق لجنة الفحص أن ترشح
للمرتبة الأولى بعض الكتب المتقدمة للمسابقة
مع التوصية بإدخال تعديلات عليها يتحقق
بها الغرض ، ولها إذا اقتضى الأمر أن توصي
بإشتراك اثنين أو أكثر من المتسابقين
في إجراء التعديلات المقترحة على بعض
المؤلفات المتقدمة منهما للمسابقة ، وفي هذه
الحالة توزع الجائزة المقررة كاملة على الشركاء
المذكورين بعد إجراء التعديلات المقترحة .

If it be true that Al-Azhar is open to women, please post immediately all information. Are there any scholarships available? Being the child of a relatively poor man I have to enquire.

My qualifications are I am told only for entering an ordinary University I have done tow European languages, History, Geography, Science, (Biology, Poysiology, Hygiene, and Physics) up to university level. There is the Urdu and the African language and a bit Phrsian, Arabic as I mentioned previously.

May Allah make Al-Azhar the centre of religious knowledge not only for men but women too; and may He bless the people who thought of taking such a wise step.

Do send all informtion soonest possible as at the moment I am at no proper institution, merely doing Arabic privately with the intention of proceeding to the Oriental College of London which is offering a scholarship to six students.

Yours in Islam
(Miss Z. Adam.)

THE VICE — CHANCELLOR
AL - AZHAR
Egypt. U.A.R.

6 / 3 N Samanabad,
Lahore. W. Pakistan.
23rd Dec., 1961.

Als — Salamo alaik.

Dear Sir.

This morning a local paper had an article declaring the admittance of girls to the above institution. If this be true then surely Allah has answered the call of a weeping heart.

On completing my education up to University level I was forced to leave home in search of islamic knowledge as the women in my country; South Africa, were terribly ignorant of the simple facts of Islam; men were no better off either. Islam was and is still spreading at a terrific rate but there was not a single female capable to quench the thirst of religious knowledge of thousands of my fellow sisters. I wrote and enquired from various institutions in the world whether there was a Darul-Uloom for girls to which I could go and study Islam before helping my numerous sisters who due to lack of clear and simple explanation of Islam were trying to become Muslems in name only.

As long as our women remain

ignorant of the practicability of Islam in their daily lives so long will the universal progress of Islam be retarded as the future generation will loose correct contact with their religion. Is it not the mothers who play the greatest part in the up bringing of children ?.

The one institution which answered my call was here in Pakistan. On my arrival I found out that it was of very poor standard since then for the last six months, I have been knocked from pillar to post begging the Alims of India to teach me at least the Quran and Hadis, but all have turned a deaf ear, for they are not willing to teach female.

I am ready to devote my entire life for the upliftment of Islam but first give me the chance to arm my self. Give me a chance to know the words of God and His Prophet. My knowledge of arabic is poor but I am willing to go to any extent in learning it for my aim is to understand the Quran which is written in this noble tongue.

into its true followers. The early Muslims, by their sacrifice, built up an immense fund of vitality for our Faith and that is why it is still sustaining us inspite of some of us having fallen prey to the influences of such philosophies of life as look upon this earth as all.

We have developed a nation that it is almost sacrilegious to impose any hardship on the body. But we forget that some hardship is necessary in the body's own interest in addition to the interest of the soul.

Is it really very difficult to abstain from food of all kinds and other indulgence for the hours of the day for one out of twelve months of the year? Given the determination to endure a highly beneficial hardship, it is not difficult at all. Rather, it gives the mind a satisfaction and a thrill of pleasure that is experienced in overcoming any obstacle. Supposing it is not pleasant and without difficulty for all, should they, who find it not pleasant and not easy, yield to this modest difficulty.

We have been eating in the daytime for eleven months of the year, Should we grudge abstaining from eating in the day thim for one month only. Were we to eat without ever abstaining from eating throughout our lives, could that prolong

our lives or make us any the happier. Nobody, I think, will claim such a result. Then, why not get some real benefit spiritually and physically and physically by this not too difficult exercise of Fasting.

Far a normal person to suppose that he is not equal to the task of fasting, is to destract from his own abilities, which is not a promising outlook on life. Fasting is therefore as such a necessity today as it was when it was first introduced and will continue so, as long as man is what he is.

These are the results which can and shold be achieved by the Muslims after undergoing the Fast of Ramadan. And when the Muslim succeed in achieving these results he has every cause to celebrate, for success is always worthy of celebration. The day of Id—ul—Fitr should mark for every Muslim the day of the completion of the success of his experiment—the day when he can say to himself that he has mastered his pains and held the reigns of its impulses; the day when his faith in Allah and himself has been reaffirmed, and he has scored victory against doubt and suspicion; and the day when his willpower and organised effort has controlled his desires and feelings.

value, besides its value as the means of providing rest to the stomach, is well known.

This is not all that is involved in the experience of Fasting. There is an educational and training aspect which makes its imprint on the mind without being detected by the person undergoing the Fast.

The person who as a result of the Fast changes his eating habits, invariably indulges, during the time of the Fast in silence, in deep thinking and contemplation. During these contemplative moods, it is more than probable that the person who fasts would think about the unfortunate members of the human race who, because of hunger, sickness or persecution, are forced to experience suffering and unhappiness of a similar to what he has vehemently undertaken.

The man who fasts would thus find something in common between him, while in that state, and his unfortunate fellow human beings and it is unlikely, that he would not then feel sympathy with those unfortunate members of humanity in His conscience and new frame of mind. And this, in fact, is what the Muslim should celebrate on "Id-ul-Fitr" - his joy at having rejuvenated and purified his soul and clothed it with a new outlook in life in general, and the joy of his having awakened his conscience so that it becomes aware of what is around it. Upon the completion the opportunity of leading a

life towards the attainment of his spiritual goal.

Is Fasting unnecessary in the present day world, as some amongst us seem to suppose? This question is indicative of the notion - a wrong notion indeed - that the Shariat stands in need of amendment today.

To think that the Shariat should be adopted to a particular way of life preferred and chosen by some is to bring it into line with what our physical propensities have made of us. Instead of lifting ourselves up from the low spheres where man lives only to eat, to the high plane pointed to by the Shariat - where man eats only to live, and in due course, to pass into a state in which he is not required to eat for the purpose of living.

Our concern should be not to remain what we are, but to be what we ought to be. Our love of the body appears to have gained undue intensity. It was not so with the past generation of Muslims. History abounds in accounts of Muslims subjecting the body to extremes of hardship in striving to establish the supremacy of the soul over the body. It is because they believed in the life of the soul immensely more than the life of the body, that, they as a race could prevail over all others in the world.

The vitality of Islam lies in the spirit of self-sacrifice that it infuses

in him. What supports him then in his work and determination, is largely his spirit. In a moment of irresistible hunger, what stands between a lonely fasting Muslim in his house and the food lying near him is his determination not to yield to hunger a determination born of regard for the Commands of Allah and the desire to be firmer in determination. Such determination, such refusal to yield to hunger and other physical propensities and such regard for the Commandments of Allah are qualities of the Soul of spirit.

Fasting should therefore be considered as an institution for the moral and spiritual upliftment of man so as to bring him closer to Allah. When a Muslim undergoes the Ramadan Fast, he is in the process of controlling hunger and thirst and he is accustomed to the hardships of life and cultivates to his advantage and benefit the habit of self-restraint which is of paramount importance towards the attainment of his spiritual ideals and goal. Abstinence from food alone is not the purpose of the Ramadan Fast, but it is only a preliminary step to abstinence from all evil, be they thoughts or deeds. It is very pertinent to observe that the Holy Prophet is reported to have said in this connection "there are many who fast but can derive no benefit from it . . . for such people who lie and

bear false witness, Allah has no need for their observance of the Fast". In Islam, Fasting is not considered as a method of appeasing divine wrath or seeking divine compassion, but connotes an entirely different purpose based upon lofty spiritual ideals towards the attainment of spiritual perfection.

Thus every Muslim obtains strength from the conditions created by the spiritual exercise of fasting. And if developed studiously, the spirit can so strengthen the man that he does not become affected by the demands of his physical nature and he emerges than his physical propensities. It is all a matter of practice with attention and care.

Fasting is meant to establish the superiority of man's spiritual being over his physical. If man recognized that his spirit which is immortal and which is endowed with potentialities for growth and development, should have ascendancy over his mortal body and bodily propensities, he will find fasting the means to establish the desired ascendancy of the spirit.

Like Prayer, Fasting has many benefits concomitant with its main benefit to the soul. These are the obvious benefits to man's health and his relation with fellow Muslims. The benefits to health needs no elaboration; that Fasting has a therapeutic

THE FAST OF RAMADAN

By

A. M. M. SALMAN

The Fast of Ramadan and the celebration of the Feast of "Id-ul-Fitr" occupies a prominent place in the heart of every Muslim throughout the whole universe. Id-ul-Fitr denotes to every Muslim a day of rejoicing and thanksgiving upon a successful completion of the Ramadan Fast which is considered one of the five pillars of the Islamic Faith.

It is therefore necessary and appropriate to ascertain the meaning and significance of the Fast of Ramadan as well as the meaning and significance of Id-ul-Fitr. The Ramadan Fast is a personal experience of self control and self purification which every Muslim undergoes every year during the month of Ramadan.

The Holy Quran which was revealed during the month of Ramadan, to serve as a guidance to mankind, — and hence the special sanctity attached to this month, refers to Fasting as follows:—

"O, Ye believers. Fasting is prescribed to you, as it was prescribed to those before you, that ye may learn self restraint".

Prophet Muhammed, (May the peace and blessings of Allah be upon

Him) systematized the institution of Fasting by prescribing its time in the year, its duration, the conditions necessary for its effectiveness etc. and enforced it with the utmost strictness. That is why fasting is very largely a universal practice among the Muslims.

What is the purpose of fasting ? Fasting makes the Muslim accustom himself to self control in hunger which is one of the most difficult physical conditions for man to withstand, Since man is mainly a spiritual being, it is necessary for him to create conditions in which his spirit can thrive unhampered by his physical propensities.

The food of spirit lies in meditation about Allah and in concentration on Allah's Commandments to Man. When the stomach is full, all the physical faculties of man find strength to get the better of his struggling spiritual faculty. But when the belly is empty the physical faculties fail to put up any strong fight against the spirit. But when he resists them with the will to continue till sunset these lie dormant

feels that the fast is harmful for him, should break his fast and fast the same number of days at another time.

The third section relates to the old men and those who are like him whose life will be harmed by fasting and the causes of their ailments are impossible to be removed away due to senility and the one who suffers from a long continued disease. To this class of people, Islam permits them not to fast at all, and in return imposes on them an obligation to feed a lesspoor man every day. The

Qur'an stats " For those who can do it (with hardship), is a ransom, the feeding of one that is indigent." (S. The Cow, V. 184.)

In addition to the above mentioned, divers and miners who work all the year are exempt since fast causes them hardships, they need not fast, but it is incumbent on such persons to feed a poor man as a ransom for every day of the month of Ramadan. Thus in view of the aforesaid, we come to the conclusion that Islam is the religion of simplicity and forgiveness.

among yourselves; but He turned to you and forgave you; so now associate with them and seek what God hath ordained for you, and eat and drink untill the white thread of dawn appear to you; distinct from its black thread; then complete your fast till the night appears." (S. The Cow, V. 187.)

This is a mode of a adjustment which Islam introduced as a facility in the religion which God wills it to his bondmen, as for instance the Qur'an states "For God is to all people most surely full of kindness most merciful."

The Facility of Islamic Fast ;

According to the facility which God ordained to his bondmen, Islam imposed fast on all Muslims in an easy way, as for example the Qur'an states "He had chosen you and has imposed no difficulties on you in religion." (S. The pilgrimage, v. 78.) "God intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties." (S. The cow, V. 185.)

"What can God gain by your punishment, if you are grateful and you believe?" (S. The Women, V. 147.)

Hence, Islam categorised Muslims into their sections in the obser-

vance of the fast: The first one relates to those who are healthy and living in their homes and who are able to fast the month of Ramadan without any difficulty. They should fast the whole month. And one who breaks his fast without a reasonable cause, his deed will be against the teachings of Islam, and he will be the meritorious of God's anger and all Muslim people. It was the duty of the governor to punish him, so that he may serve as an example to the others who try to follow his footsteps concerning this. But if the one who broke his fast willed to return back to the straight path, he should declare his repentance and fast the same number of days plus sixty days more as an expiation.

The second section consists of those who are ill or on a journey. In fact, Islam allows them to break fast on condition that they should fast the same number of days at another time. In this respect the glorious Qur'an says "If any one is ill or on a journey; the prescribed period (should be made up) by days later." (S. The Cow, V. 185.)

Because fasting mostly causes the ill man and the travelling one harm or inconvenience, Islam allowed them to break fast. Hence, one who

not only to Muslims but to all mankind also. The Qur'an says " Ramadan is the (month) in which sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). [S. The cow, V. 185].

In fact, Muslims spend the month of Ramadan fasting, worshipping, gathering together and listening to the speakers who remind them with the good, urge them to do it, invite to all that is good, enjoin what is right, forbid what is wrong and join together in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy. Verily, it is the duty of every Muslim to say " welcome you O glorious Month and may it give you pleasure O fasting believers ".

Verily, fast is not a modern concept, but it is rather an ancient one. It was an important pillar of every religion, for example : The Bibles of the christians praise the fast and state that jesus the christ and his apostles had performed this kind of devotion. The Testament "Taurah" of the jews also considers fast one of the obligations imposed on the jews and state that Moses " peace be on him " had fasted for fourty days. Moreover, the idolators themselves are aware of the Fast. The history of the ancient egyptians tells

us that they had fasted, the romans and the greeks quoted the fast from the egyptians and performed it. Nowadays, the Indian idolators are performing Fast. It is probable that fast is an instinctive matter which the living beings perform during a period of their life time. For example, we notice that the camels sometimes fast. Hence, we come to the conclusion that fast is an ancient worship which was well known by all. In this connection, the glorious Qur'an says " O ye who believe ! Fasting is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that you may (learn) seff—restraint " [S. The cow, V. 183].

Fast in Islam, is to cease eating, drinking and sexual contact from Dawn till sunset. It was the habit of the people to eat, drink and indulge in sexual behaviour with women from sunset till the time of sleep and cease after that time. But it was the will of God to forgive them and to guide them to an easy religion, so He revealed the Qur'an distinguishing right from wrong, depicting for them how to fast, He says :

"Permitted to you, on the night of the fast, is the approach to your wives. They are your garments. God knoweth what ye used to do secretly

done by their faithful predecessors, and consequently, they would restore their past glory, and their reception of Ramadan will be a reception for dignity and honour and a joy for the glory and greatness. In this respect the holy Qur'an says: "Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long ages passed over them and their hearts grew hard? For many among them are rebellious transgressors. Know ye (all) that God giveth life to the earth after its death! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom." (S. The Iron, Vs. 16 — 17.)

"O ye who believe! shall I lead you to a bargain that will save you from a grievous penalty? That ye believe in God and His prophet, and that ye strive (your utmost) in the cause of God with your property and your persons: That will be best for you, if you but knew! He will forgive you your sins, and admit you to gardens beneath which rivers flow, and to beautiful Mansions in gardens of eternity: That is indeed the supreme achievement. And another (favour will He bestow), which

ye do love, — help from God and a speedy victory. So give the glad tidings to the believers. O ye who believe, be ye helpers of God: As said Jesus the son of Mary to the disciple "who will be my helpers to (the work of) God?" said the disciples "We are God's helpers!" Then a portion of the children of Isreal believed and a portion disbelieved: But we gave power to those who believed against their enemies, and they became the ones that prevailed." (S. The battle Array, Vs. 10 — 14.)

Fast in Islam:

This is the month of Ramadan which unites Muslims all over the world, irrespective of their languages and colours. It unites their feelings, pleasure, night, day, time of eating, drinking and also makes them equal to each other: There is no distinction between the governor and the governed, man and the woman or between the rich man and the poor one. It is a great pleasure to see Muslims expressing their congratulations — with the coming of the blessed month — to each other with faithful hearts, good souls, smiling and laughing faces. As a matter of fact, the month of Ramadan reminds Muslims "The feast of the Qur'an" which had been granted by God,

from wrong and cleared the word "Right" whether in divinity, message, Resurrection or in the relationship which joins the man to his brother during his life time. The Qur'an says: "Ramadan is the month in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong)" [S. The Cow, V. 185.]

On the other hand the month of Ramadan inspires and reminds Muslims that their victory against the enemies of Islam was not dependent upon the numerical strength of the fighters, the wealth or the power of their weapons, but it is dependent on their faith, piety and patience. It reminds them the battle of Badr which took place in the month of Ramadan, and which was the first battle in Islam. The Qur'an states the great victory of the Muslim fighters in the verse "God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force: Then fear God; thus may ye show your gratitude." [S. The family of Imran, v. 123.]

It is therefore quite clear that the month of Ramadan inspired Muslims of the great events of the past, while God supported his bondmen and restored them back to their homeland out of which they were driven for no reason except that they

said "Allah is our God". This event is the one of the great victory of Muslims against their enemies and which caused the sacred Mosque to be purified of the idols and that led the Islamic area to be extended and the word of God to occupy the highest position and the super rank, the Qur'an says "Verily, we have granted thee a manifest victory. That God may forgive thee thy faults of the past and those to follow; fulfil His favour to thee; and guide thee on the strait way; and that God may help thee with powerful help." (S. The Victory, vs. 1-2-3.)

The duty of Muslims towards Ramadan :

This is Ramadan and that is its inspiration. It is the duty of the Muslim people to receive it with open hearts and to block the way of the satanic influence by means of it. This satanic influence which separated Muslims from each other, corrupted their characters, stole them of their good personality and emptied their souls of the Zeal. Hence, Muslims became a mixture of personalities which had no nationality or religion. They constituted a personality which was not eastern; western, Islamic christian or Jewish.

Verily, it is the duty of Muslims to remember the inspiration of Ramadan and to carry out what was

the materialistic life and lead a calm and spiritual one. He should forget the pains and the troubles of the world and live the life of happiness and bliss where there is no pain or misery. This life means to begin the day Fasting and saying "In thy name I am fasting" and to break his fast at the end of the day saying "In thy name I am breaking my fast" and to spend the night in prayer praising his God, prostrating to Him, asking Him for forgiveness and reciting the holy Qur'an till the break of dawn.

In following this way of life, the believer's heart will be attached to his creator, he will maintain this attachment to be connected to God continuously and this will lead him to live all his life in piety, to perform his duties towards his God and to give the bondman his rights and to treat people kindly. This in essence is the inspiration of Ramadan.

The month of the heavenly revolution:

Not only is Ramadan the month of spiritual inspiration because of fasting, but it is also the month of the heavenly revelation against evil and the falsehood. Indeed, falsehood led the human being to deny the existence of his creator, to worship idols, the sun and the moon. Moreover, he asked the deaf stones to

forgive him, to support him and to provide him with bounty. Falsehood took the mercy out of the human being's heart, filled it with tyranny and cruelty. So, he killed his sons, committed adultery and crimes, stole the properties, humiliated the weak people and harnessed the poor for his own benefits.

God disliked the falsehood, and it was His will to save humanity from its bad condition. Hence, He revealed the guidance to His prophet Mohamad "peace may be upon him" through the month of Ramadan to lead mankind to the straight path and to take them out of the darkness of ignorance and enmity, to the light of knowledge and brotherhood. The first chapter of the Qur'an reads "Proclaim! (or read) in the name of thy God and cherisher, who created. Created man out of a (mere) clot of congealed blood: Proclaim! and thy God is most Bountiful, He who taught (the use of) the pen, Taught man that which he knew not." [S. The clot of congealed blood, vs. 1- 5.]

In fact, the glorious Qur'an was revealed to guide people to that which is most right and to give the glad tidings to the believers who perform deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward. Verily, the Qur'an distinguished right

and this is the Fast which Muslims are enjoined to perform during the month of Ramadan, to express their praises and appreciation to Almighty God. In this respect, Holy Qur'an says "Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). So every one of you who is present (at his home) during that month, should spend it in fasting, but if any one is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. God intends every facility for you, He does not want to put you into difficulties. (He wants you) to complete the prescribed period, and to glorify Him in that He has guided; and perchance ye shall be grateful." (S. The Cow, V. 185).

This is the Holy Book of Islam, which guides you to the best and leads you to the right way, and this is your Month, which reminds you with God's gift to fear your Creator and to be patient people, The Qur'an says "And hold fast, all together, by the Rope which God (stretches out for you), and be not divided among yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, you became brethren; and you were on the brink of the Pit of Fire, and

He saved you from it. Thus doth God make His Signs clear to you: That ye may be guided." [S. The family of Imran, V. 103.]

The popular inspiration of Ramadan :

In reality, Ramadan is nothing but a name of the lunar month between the month of Shaaban and the month of Shawal. As a matter of fact, this month is one of special inspiration and influence on Muslim people. Consequently, their hearts, through this inspiration are filled with belief and guidance.

The influence and inspiration of the Ramadan month is not limited to the elders, but it has also its effect on the children. At the commencement of this month, you could see the children, especially at night, gathering themselves together, playing, singing, carrying their candles and lanterns, going through lanes and streets to express their glad tidings and good feelings and joy towards the advent of the blessed month of Ramadan.

Surely, the word "Ramadan" inspires those who understand this month, its events and characteristics; to prepare themselves to a divine journey for the whole month. This journey simply denotes that the bliver should avoid the enjoyments of

"Say : Behold all that is in the heavens and on earth" "On the earth are signs for those of assured Faith, as also in your own selves : Will ye not then see" [S. the winds that scatter, vs. 20-21].

In fact, it is the book which removes the distinctions between man and his brother in humanity. It states that all human beings are the sons of a single male and a single female and that God made nations and tribes of them to know each other, not to despise each other; and that, verily the most honoured of them before God, is the most pious who does good for the sake of goodness itself.

It is the book which guides all people to the straight path; to follow it during their life time. In this respect, the Qur'an says "For He commands them what is just and forbids, them what is evil, he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure); he releases them from their heavy burdens and from yokes that are upon them." [S. The Heights V. 157.]

"Verily, this is my way, leading straight : Follow it : Follow not other paths : They will scatter you about from His (great) path" [S. The cattle, V. 153.]

It is the duty of every one to declare his full respect to this Book, to carry out its instructions and to celebrate the occasion on which God granted this divine Book to humanity.

Legality of Fast during the month of Ramadan :

It is the habit of the people to celebrate the days which bear their good memories. This is because God has selected the month of Ramadan to be the time during which Repentance is acceptable, He greeted it and obliged every Muslim to fast during this period. Moreover, He considered it one of the pillars of the religion "Islam" and also a part of the Islamic personality.

As a matter of fact, the fast of Ramadan according to the glorious Qur'an aims at — the up bringing of the mind and soul. It unifies the Muslim's leisure hours or work and his hours of feast (eating and drinking). It fills their hearts with the love of God, urges their tongues to repeat God's praise, inculcates the quality of patience in their hearts and guides them to love each other. Surely God wills the human being to possess a good conduct and great manner.

It was in the month of Ramadan that the glorious Qur'an, a gift, which God granted to his bondmen

"Glory to (God) who did take His servant for a Journey by night from the sacred Mosque to the farthest Mosque, whose precincts we did bless" (S. The children of Israel, V. 1.)

With regard to times, God chose some days and nights to be feasts and occasions for His mercy and blessing. In this respect the glorious Qur'an says: "By the breake of day. By the nights twice five". "And the morning prayer and reading. For the prayer and reading in the morning carry their testimony" "The night of Power is better than a thousand months" "By the Book that makes things clear; we sent it down during a blessed night: For we (ever) wish to warn (against evil)".

Hence, it was the will of God to choose the month of Ramadan from amongst the other lunar months to be the best time for seeking His blessings and forgiveness. It is also the only month which God mentioned through the verses of the glorious Qur'an and also granted His bondmen during it the best one of His blessings, namely His Book, that no falsehood can approach it from before or behind it. It was sent down by one full of wisdom, worthy of all praise. The most important one of the instructions of the holy Book

of Islam, is that it transformed or moulded humanity which existed through the long ages of complete darkness and idolatry and directed the light of Islam which is the religion of Monotheism. Henceforth, they prostrated only to one God as the creator of this universe. The Qur'an says: "O people of the Book! come to common terms as between us and you: That we worship none but God, that we associate no partners with Him; that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God." (S. the family of Imran, V. 64.)

The instructions of the Qur'an :

Verily, the glorious Qur'an is the book which guides one to the right path, leads him to happiness, shows him how to utilize the bounties of God that are harnessed to him; orders him to search the greatness of God through earth and heavens; to feel the dignity and the honour that Almighty God granted to the human beings. The Qur'an states "Do they see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing to an end? In what Message after this will they then believe?" [S. The Heights, V. 185.]

THE MONTH OF RAMADAN IN QUR'AN

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

It is a verse from the glorious Qur'an that attracted my attention — I contemplated its meaning and then I found out its explanation very obvious throughout the universe. This verse is "Thy God does create and choose as He pleases". Indeed I found the explanation of this verse very evident in some persons, in some places and also in some times.

Since the time of Adam, God created countless people and chose for the guidance and the leadership of man some amongst them according to His will. He chose the erudite, the philosophers, the leaders, the reformers, prophets and messengers. In this connection the holy Qur'an says "God did choose Adam and Noah, the family of Abraham and the family of Imran above all people". (S. the family of Imran, V, 33).

"God knoweth best where (and how) to carry out His mission". (S. The cattle, V. 124).

"God said: "O Moses! I have chosen thee above (other) men, by the mission I (have given thee) and

the words I (have spoken to thee)". (S. The Heights, V. 144).

"It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth: He hath raised you in ranks, some above others". (S, The cattle, V. 165).

Also God chose some place to be descents of the revelation and others to be allotted to places of worships. He inspired some people to adopt these places as places of residence. In this respect, the glorious Qur'an say: "The first House (of worship) appointed for men was that at Bakka: Full of blessing and of guidance for all kinds of beings. In it are signs manifest; (for example. The station of Abraham; who ever enters it attains security" (S. The family of Imran, V. 96-97).

But when he came to the fire, a voice was heard: "O Moses! Verily I am thy God: Therefore (in my presence) put off thy shoes: Thou art in the sacred vally Tuwa. I have chosen thee: Listen, then to the inspiration (sent to thee)." (S. Taha, Vs. 11 — 12 — 13.)

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المعاون
إدارة اجتماع الأزهر
بالمقاهرة
ت ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بذل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدارس والطلبة تخفيضاً

بصدور من شجيرة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء العاشر - شوال سنة ١٣٨١ هـ - مارس ١٩٦٢ م - المجلد الثالث والثلاثون

١٢
٢٤٤٤٦
دوريات



المكتبة العامة للأزهر

العيد في الدين وفي اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

بماضى الأمة كل القطع قد يعوق الدعوة في سبيلها إلى أسماع المدعويين وضائهم ، وقد يكون النفور من الدعوة في هذه الحالة كالنفور من العدو المقتحم الذي لا يقبل منه كلام ولو كان من غيره مظنة للقبول والترحيب ، وليس من اللازم في محاربة الضلالة الدينية أن نحارب ملكة العقيدة في النفس الإنسانية ، فإن ملكة العقيدة في لبابها هي مناط الخير من ضمير الإنسان ، ويكفي عند محاربة الأديان الضلالة أن نحتفظ بملكة العقيدة لكي يسهل بعد ذلك تحويلها

الأعياد من المراسم المرعية في جميع الأديان الكبرى . لأن الاشتراك في الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعاً هو بعض المعالم العامة التي لا غنى عنها في كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها . وفي الأديان للكتابية كلها أعياد مقررة تجب على الجماعة رعايتها ، يلاحظ في الكثير منها أنها قديمة متوارثة من زمن بعيد سابق لعهد الدعوة إلى تلك الأديان ، وقد يرجع ذلك إلى سبب يتعلق بسياسة الدعوة كما يرجع إلى حكمة العقيدة في صميمها . فإن قطع الصلة

الشمس في الشتاء وموعد انتقالها في الربيع ، وقد كان آباء الكنيسة الأولون يقيمون الاحتفال بالعيدين في هذين الموعدين ليصرفوا جمهرة الناس عن تقاليد عبادة الشمس إلى تقاليد العبادة المسيحية .

إلا أن التوقيت بالأشهر القمرية في حساب العيدين الإسلاميين قد كان له أثره في تنزيه هذين العيدين عن كل صلة بالعقائد الجاهلية التي سبقت دعوة الإسلام ، فلا ارتباط لهما اليوم بمواقيت عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب ، وليس لهما قوام من الذكريات المادية أو المعاني المنفعية ، فقد يعود الصيام في أشهر الصيف كما يعود في أشهر الشتاء ، وقد يجب الحج مع أوان المرعى والسقاية كما يجب مع كل أوان ، وهو عدل في توزيع أيام الفرائض يناسب العدل في تكاليف الدين وأعباء الواجبات ، ويناسب العدل في أحوال الأمم التي تؤدي تلك الفرائض وتنهض بتلك الأعباء ، ومنها أمم الرعاة والزراعة وأمم التجارة والصناعة ، وأمم تقيم في كل مناخ وكل إقليم .

ومن ثم خلاص العيد الإسلامى لمعناه من الإيمان المحض بعبادة التنزيه والتوحيد .

وفي سياق هذه المقالات التي تتابع فيها النظر في مرايا اللغة العربية يتفق لنا أن نذكر مزية هذه اللغة في كلفة العيد بلفظها ومعناها ، فإن

من المعتقدات السيئة إلى المعتقدات الحسنة ، فذلك أقرب إلى الهداية من استئصال ملكة الاعتقاد بجذورها ، وامتلاء النفس بنزعة الكفر الذي يعرض عن كل إيمان ويسخر من كل دين .

وقد أبقى الإسلام على بعض شعائر الحج في الجاهلية وأصلحها بالانتقال بها من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وكانت دعوة النبي عليه السلام إلى حج البيت وهو في قبضة المشركين يصدون عنه قصاده المسادين حجة للإسلام على الشرك ، وإحباطا لسياسة المأل من كفار قريش ، وهم يحاولون أن يعزلوا الدعوة الإسلامية عن أمتها بام الحفاظ على كرامة الآباء .

ومن تاريخ الأعياد في اليهودية والمسيحية يظهر لنا على التحقيق أنها منقولة عن مراسمها الأولى من عهد عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب قبل دعوة موسى وعيسى عليهما السلام .

فالأعياد اليهودية كلها لا تزال على صبغتها الأولى من مراسم الاحتفال بمواقيت الزرع والحصاد ، وهى بأسمائها في العهد القديم تشير إلى موعد الحصاد ، وموعد الجمع ، وقرابين البواكير من الثرات والأنعام .

والعيذان المسيحيان يوافقان موعد انتقال

بوصفه ، وتصاح المادة الواحدة أساسا لأسرة كاملة من المعاني المتفرعة عنها .

وكلمة العيد مصدر من مصادر كثيرة يدل على صفة العودة أو على هيئتها ، ومن فعل (عاد) تؤخذ العودة للمرة من العود وتؤخذ العادة للفعل أو الخلق الذي يسكن الرجوع إليه ، ويؤخذ المعاد لكان البعث أو زمانه ، وتؤخذ العيادة للزيادة المتكررة ، وتؤخذ العائدة لما يعود على الإنسان من نتائج عمله على معنى قريب من معنى التبعة أو الجزاء ، وتستعار العوائد لما يعطى أو يؤخذ مع التكرار والتوقيت ، لأن الإعطاء والأخذ معنى واحد من جانبين ، فما يأخذه هذا هو عطاء من ذلك . ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية أو يسرى منها إلى معاني تناسبها وقد تخالفها في بعض عوارضها .

وهنا مجال واسع لمعاني الإعادة والاستعادة والتعويد والتعديد ، ومجال واسع للتفرقة بين المعيد والمستعيد وبين العود والمعاودة ، والمعاد والمستعاد ، ولا لبس في موضع لفظ من هذه الألفاظ لأن وزنه دليل على موضعه من التعبير .

والاشتقاق موجود في لغات كثيرة ، وهو بعض الخواص الملازمة للغات السامية ، ولكنه لا يوجد بهذا التوسع على هذه القواعد المفصلة ، كما يوجد في اللغة العربية .

تسمية العيد بهذا الاسم تدل عليه بأخص معانيه وهي الإعادة والتعديد ، وليس لهذه الخاصة مدلول مفيد في أسماء العيد بأكثر اللغات .

فبعض أسمائه باللغات الأوروبية تدل على معنى الولية ووفرة الطعام .

وبعض أسمائه تدل على اليوم الديني أو يوم البطالة ، وليست هذه من خواص العيد التي ينفرد بها بين سائر الأيام .

وبعض أسمائه الحديثة تقابل كلمة السنوية ، أو المثوية ، وتصديق على احتفال بعينه يجوز أن يكون يوما واحدا لا يعاد إليه ، ويجوز أن يكون من غير الأعياد لأنه من ذكرى الكوارث أو ذكرى الحداد .

أما كلمة العيد بصيغتها هذه في اللغة العربية فهي أدل من تلك الأسماء جميعا على خاصته ومعناه .

* * *

ويعود هذا الاستعداد لتخصيص الألفاظ بمعانيها إلى سعة الاشتقاق في اللغة العربية على قواعده التي تؤدي كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فإن الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فيأتى الاسم معبرا عن واقع فعله وعن المقصود

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للذرة أو للهيئة أو للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة الملازمة ، والصفة المرتبطة بالحدث والزمان .

فالمتكلم المعبر هنا هو صاحب الشأن في تصريف المشتقات على حسب أغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على السنة المتكلمين بها إلى خلق القواعد التي يتبعها تكوين المفردات ، قبل أن تعرض لهم الحاجة إلى استخدام جميع تلك المفردات أو لإنشاء الكلمات المترجلة مع كل مشاهدة تأتي للمتكلم بشيء جديد يحتاج إلى لفظ جديد .

وقدم القواعد على هذه الوتيرة من أول القرائن على قدم اللغة وقدم الزمن الذي ارتسمت فيه عنه أهلها قوانين التعبير .

وبهذا القدم تنفرد اللغة العربية بين أخواتها من أسرة اللغات السامية ، ولكنها تنعزل تمام الانعزال عن أسرة اللغات الحامية التي يخلط بعض المستشرقين بينها وبين العربية في أصولها ، فإنهم — لتجردهم من الذوق الأصيل في بواعث التعبير باللغة العربية — يحسبون أن التشابه في بعض الضمائر أو بعض الأعداد أو بعض التصاريح التي تشبه

وكل ما يوجد في سائر اللغات السامية من قواعد الاشتقاق قائما يوجد بالمقدار الذي يدل على أنها — كلها — فروع من أسرة لغوية واحدة ، وأن كل فرع من هذه الفروع يخالف في أساس تركيبه للغات النحت التي يطلقون عليها في الغرب اسم اللغات (الغروية) لأن تنويع معاني المادة فيها يقوم على لصق المقطع بالمقطع وضم العلامات والحروف لنقل الكلمة من صيغة الفعل أو الاسم إلى صيغ النعوت والظروف ودرجات العمل أو الإفادة .

ولكننا إذا قارنا في خاصة الاشتقاق نفسها بين العربية وأخواتها في الأسرة اللغوية كادت أن تنفرد باشتقاق مقصور عليها ، لا يضارعه اشتقاق العبرية أو السريانية أو السكدانية أو الحبشية في السعة ولا في تقسيم القاعدة ولا في تحكيم المتكلم في التعبير عن أغراضه على حسب كل حتمال معقول .

فالاشتقاق العربي يعطى المتكلم من الأوزان بمقدار ما يحتاج إليه من المعاني المحتملة على جميع الوجوه ، والمتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة وإليست الكلمة هي العبارة المفروضة عليه لأنها وضعت من أصلها ارتجالا أو محاكاة لصوت أو تلفيقا للأجزاء من مختلف المواد .

انقساماً يعزل الأسماء عن الأفعال ويعزل هذه وتلك عن الحروف .

ولا قرابة بين لغات تقوم على هذه الأسس المتفرقة ، وبين لغة تنقسم فيها حروف الجر وحدها انقساماً يخصص كلا منها بموضعه ومعناه وعلاقته بالأسماء والأفعال ، ولا حاجة بعد الالتفات إلى هذا الفارق في حروف الجر إلى بيان الفوارق الواضحة بين الحاميات والآريات معا وبين اللغة التي اتسعت فيها قواعد الاشتقاق المفصل ذلك الانساع واشتملت مادة الفعل الواحد منها على أسرة كاملة من درجات المعنى ومقاصد التعبير .

عباس محمود العقاد

الاشتقاق برهان كاف على وحدة الأصول ، ولو جاز الأخذ بأمثال هذه المشابهات لما انفصلت عائلة لغوية عن سائر العائلات اللغوية التي تتباعد غاية البعد في تقسيم الأصول والفروع ، فإن الشبه بين بعض الخصائص الطورانية والملاوية وبين خصائص اللغة العربية أكبر من كل شبه بين الساميات والحاميات .

والمعلوم أن فروع الساميات تتألف من الأصوات المقطعية القصيرة وتكتسب اختلاف المعنى باستعارة صوت إلى جانب صوت ، ولا تنقسم فيها أجزاء الكلام

عن السرى السقطي ، أنه اشترى لوزا بستين دينارا ، وكتب في دوزناجه ثلاثة دنانير برجه . وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار . فصار اللوز بتسعين ، فأناه الدلال وطلب اللوز فقال خذه ، قال بكم ، فقال بثلاثة وستين . فقال الدلال ، فقد صار اللوز بتسعين ! فقال السرى ، قد عقدت عقدا لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ، فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما ، لست أخذ منك إلا بتسعين . قال فلا الدلال اشترى منه . ولا السرى باعه فهذا فرض الاحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال .

موقف الإسلام من المستغلين

للامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

هالة المجتمع قبل الإسلام :

يكون للقادر أو الغنى من ميزة إلا أنه ذو عافية أو مال ، ولا ذنب للعاجز أو الفقير سوى أن ظروف حياته لم تهيه له الصحة الكاملة أو موارد الغنى الكافية ، وسبل الكسب الطيب .

في هذا الجو المظلم كان جشع الأغنياء والفادرين يتفتق كل يوم عن حيلة يمتصون بها أموال الفقراء ويمتصرون دماء الضعفاء حتى لم يبق للطبقات العاجزة والمحرومة إلا أن تستسلم للأمر الجارى أو تنثور عليه ، وأنى لها بالثورة وقد قلم الاستغلال أظمارها وسلب منها جميع إمكانياتها .

(أ) فالمقرض ، في معاملته المقرض كان لا يكتفى باستيفاء الأصل ، إذا اضطّر المقرض إلى تأجيل السداد عن مواعده ، بل كان يضيف إليه زيادة في مقابل التأخير ، وتتضاعف هذه الزيادة كلما تكرر عجز المدين عن السداد في الموعد المحدد .

(ب) ورب العمل ، كان يبخس العمال أجورهم ، فضلا عن يسخرهم في عمله ، من العبيد والأرقاء ، الذين كان يضمن عليهم حتى بضروريات الحياة الإنسانية ، ليظلوا مستخرين لأمره ونهيه .

نظم الإسلام التكافل الاجتماعى بين أفراد الأمة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناوّلها بما يرسى قواعدها ويقرر أصولها وفروعها . وإكالا للصورة التى رسمها الإسلام للمجتمع الفاضل المتكامل يجب أن نبين كيف واجه الإسلام عيبا من عيوب المجتمع التى جاء والناس عليه ، ولا يمكن مع وجوده فى أمة أن يتأتى لمجتمعها تحقيق التكافل بين أفرادها ، وذلك هو الاستغلال حاجة المحتاج .

وحى نذكر أثر الإسلام فى تخليص المجتمع من هذا العيب الخطير على بناء الجماعات وتشكيل الأمم ، أقدم استعراضا عن حالة المجتمع قبل الإسلام ثم أنلوه ببيان موقف الإسلام من علاج هذا العيب وكيف تغلب عليه بفضل العتيدة الرشيدة والإيمان العميق اللذين تمتع بهما المسلمون الأولون .

فقد جاء الإسلام وقلوب الناس فارغة من معانى الرحمة والتعاون . لا يحمل قادرهم كسلهم ولا يساعد موسرهم معسرهم ، بل يأكل قوتهم ضعيفهم ، ويستغل غنيهم فقيرهم ، دون أن

وما أروع التعبير في الآية بقول الله تعالى :
 « أن رآه استغنى ، تعليلاً للطفين : ذلك أن
 الغنى أمر نفسي ، يختلف من إنسان إلى آخر
 ومن بيئة إلى أخرى ، ومن زمان أو مكان ،
 عنه في غيرهما . كما أن الإنسان قد يكون
 بالنسبة لغيره غنياً ، لكنه لا يرى نفسه قد
 أغنى بعد ، فيظل له ملوكة الهادىء المسالم ،
 حتى إذا ما وصل إلى درجة رأى نفسه فيها
 أنه قد اغتنى ، فإن أعراض الشراسة
 والاستعلاء تأخذ سبيلها إلى تصرفاته ، ومن
 ثم يسير حينئذ نحو الطغيان .

ومن هنا ربط القرآن الكريم طغيان
 الإنسان ، بمجرد ظنه وتقديره أنه استغنى ،
 باعتبار ذلك هو القدر المشترك للصادق في كل
 تلك الحالات .

وليس في أقوال البشر شيء من الشمول في
 وصف الآثار السيئة على النفس البشرية ،
 حين تمتحن بوفرة المال ، كهذا الذى هو
 منه القرآن .

ثالثاً : استغلال حاجة المحرومين ، وهم
 سواد الناس ، وامتصاص جهود الكادحين ،
 وهم جبهة الأمة ، مما ترتب عليه ضعف
 الجماهير الذين هم قاعدة التنظيم الاجتماعى ،
 ومن ثم أدب البناء الاقتصادى ، لضعف
 الطاقة التى هى أغلبية المشتردين والمستهلكين
 والعاملين في مجالات الإنتاج والذائدين عن
 الحياض والساهرين على أمن الدولة .

(ج) والمحتكر ، كان يتحكم في الأقوات
 والأرزاق ، يحبسها عن الأسواق حتى يشتد
 الطلب عليها ، بعد قلة المعروض منها ، ومن
 ثم يتسنى له أن يبتز ما شاء من أموال الناس
 بالباطل ، استغلالاً لحاجتهم مع قلة حيلتهم .
 وهكذا من مصور الجشع الذى يرمى إلى
 جمع الأموال من دماء المحتاجين والضعفاء
 وتسكديسها .

وبذلك نشأت الرأسمالية الطاغية ، التى
 مزقت الصلات الإنسانية شرمزق وجعلت
 أفراد المجتمع أشبه بحيوان للغاب ، الغنى
 يطمع ، فيفترس الفقير ، والقوى يتجبر ،
 فيسخر الضعيف . والمقيم والضعيف يعتمدان
 فينصران الدوائر بالغانى والقوى ويفترسان
 الفرصة للانقضاض عليهما .

وكان من آثار ذلك أن شاعت في مجتمع
 ما قبل الإسلام السوءات الآتية :

أولاً : اعتصار المقيم لحساب الغنى ، مما
 زاد الفقة فقراً وراكم على أموال الغنى
 أوزاراً فوق أوزاره .

ثانياً : طغيان الغنى وزيادة قوته ، حتى
 كان من الفرد الواحد أو من الجماعة
 الرأسمالية دولة أو دويلات تناهض سلطان
 ولى الأمر وتهدد الأمن والاستقرار ، بما
 تملكه من مال فائض تسخره في الطغيان ،
 وصدق الله العظيم إذ يقول : « كلا إن الإنسان
 ليطغى ، أن رآه استغنى ، .

كيف واجه الإسلام هامة المحتاج :

جاء الإسلام والناس على هذا الوضع السيء فأفرغ جهده في القضاء على منابع الشر وأخذ بمبادئه الحكيمة يزيل الحواجز التي قطعت ما بين الناس من صلات التراحم والتعاون والبر والإحسان ، وأخذ يبنى المجتمع بناءً واحداً متماسكاً اللبنة متمصاً الوحدات .

وقد واجه الإسلام علاج هذا الوضع السيء من ناحيتين :

أولاً : من الناحية الإيجابية :

(أ) وضع تشريع التكافل الاجتماعي التي سبق أن بينا كيف حتم الإسلام ضرورة الأخذ بها والعمل في نطاقها .

(ب) طالب كل فرد من أفراد المجتمع بالعمل على تحصيل رزقه الذي يكفي حاجته ، ويوفر له حياة نفسية كريمة هادئة .

(ج) أشعر الأغنياء الذين آتاهم الله من ماله أن هذا المال ، وإن كان معقوداً في ملكيته بأسمائهم ، إلا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين إخوانهم الفقراء الذين يكونون المجتمع معهم ، وراحته من راحتهم ، واضطرابه من اضطرابهم ، كما هو مشترك بينهم وبين المصالح العامة التي تحتاج إليها الجماعة ، في راحتها واستقلالها وإدارة شئونها والدفاع عن حرمانها وكيانها .

(د) ونتيجة لهذا كله بهم بمد يد المعونة .

ولا شك أن إرهابهم بهذا الاستغلال الجشع هو لإخلال بثبات القاعدة الشعبية التي يجب أن تتلقى العون لا أن تستثمر وتستغل .

رابعاً : تزعزع العقيدة ، فالغنى كان يطغيه سلطان المال وكثيراً ما نجح في فرض مشيئته على العامة بالاسترهاب أو شراء الذمم ، وبتكرار فرض مشيئته نسي أنه بشر نافته زائل ، وحاكي قارون في غروره عندما قال : « إنما أوتيته على علم عندي ، لما آتاه الله من الكنوز ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » .

والفقر يطول انتظاره وصبره ، مع تزايد البلوى عليه ، كان يئن ، فيما يئنه وبين نفسه المسكومة ، حتى ليقسم أن عدل الله !

خامساً : فساد المجتمع ، لسيطرة الروح المادية المفسدة ، فالغنى كان يغري بفيض ماله المزاييد ، والفقير كان يضطرت تحت وطأ الحاجة للتفریط ، فهانت الأعراض وانحللت الأسر .

سادساً : شيوع الخوف في جميع الطبقات ، فالضعيف المحروم كان غير آمن على رزقه حيث لم تكن المعاملة بين الناس قائمة على الفضل والعفو والصدقة . . والقوى الغنى الغاصب كان يعيش في خوف على ماله الذي يجمعه بالاستغلال غير المشروع .

سابعاً - استتبات الجريمة بتخلق أسبابها ، فالمحروم حاق ، والمبطون بامش حتى لا تدور عليه الدوائر .

صورة الجشع والقسوة والآنانية الممقوتة ،
كي يمعن للناظرون في الآثار الطيبة لصورة
التراحم والتعاطف والتعاون ، وفي الآثار
السيئة. لصورة الجشع والقسوة والآنانية ،
فيكون لهم - من هذا الوضع - ما يردم عن
احترام صورة الجشع والقسوة والآنانية
إلى احترام صورة التراحم والتعاطف والتعاون.
وبذلك تتحقق لإنسانيتهم الفاضلة ، ويسيرون
في الحياة بخطوات متزنة في البناء والتشييد ،
فتقسموهم الحياة التي ينعمون بها .

ومن هنا لا تكاد تجد ، في القرآن الكريم
آية من آيات الإعلاء من شأن البذل والمعونة
والتراحم ، إلا وبجانبها آية من آيات التحذير
عن الشح والجشع والآنانية ، وأن شئنا
فأقرأ من سورة البقرة المدينة قول الله تعالى
« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل
حبة أنتبت سبع سنابل في كل سنبلة مأه حبة
والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها
أذى والله غني حليم ، يا أيها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق
ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر
فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل
فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا

١ - إلى الفقراء والمساكين وأرباب
الحاجات ؛ إما بالبذل أو بتهيئة العمل .
٢ - وإلى أولياء الأمور ؛ بما يمكنهم
من إقامة المصالح العامة التي تحقق خير الجماعة .
(هـ) قرر أن تجرى المعاملات بين الناس
على أساس واحد ينظمها جميعا - مهما
اختلفت صورها - وهو الانسياب إلى الخير ،
الذي تشيع في جوانبه الرحمة ، ويحقق التعاون ؛
بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والمجتمع ،
وبين الفرد والدولة ، بحيث يكون جوهر
المعاملات هو إعطاء كل ذي حق حقه ،
ورحمة الضعيف ، واقتضاء حق المجتمع
من المقدر .

ثانيا : من الناحية السلبية :

حرم الربا والرشوة والشح والبخل ،
ونهى عن الإسراف والترف والتبذير ،
وحذر من الضن بحق الفقير والمساكين .

صورته متقابله :

ولإظهار التفاوت بين هاتين الناحيتين ،
الإيجابية والسلبية ، اللتين واجههما الإسلام
استغلال حاجة المجتمع - قابل القرآن الكريم
في كثير من آياته بينهما ، ووضع أمام
الابصار صورة مضيئة هي صورة التراحم
والتعاطف والتعاون المطلوبة وجعل شعارها
البذل والإنفاق .

وفي الجهة المقابلة وضع صورة مظلمة هي

والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وثبتنا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأنت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير . وهكذا تتوالى الآيات على هذا النسق إلى قوله تعالى بعد ذلك في نفس السورة : « يحق الله الربا ، ويربي الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم ، وأقرأ من سورة آل عمران المدنية أيضا : « يأياها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وانتموا الله لعلكم تفلحون ، وانقوا النار التي أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحون » .

ثم اقرأ في مقابلة ذلك قوله بعد ذلك مباشرة : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

وأقرأ كذلك من سورة الروم المسكية :

« فأت ذا القرنى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون . وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله . وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ، ... اقرأ هذا كله بعين البصيرة ، وتدبره بروح الإيمان الصادق ، لتعرف الهدف الذي لأجله حرم القرآن الربا ، وأكل

أموال الناس بالباطل ، وسد أبوابه وأحكم سدها على أهله وأتباعه ، وشهر بآكليه أشنع تشهير ، حين قال فيهم : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، . ثم دعاهم إلى تركه ، وحذرهم من التماذى فيه بقوله : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، . ثم توعدهم من لا يستجيبيون إلى دعائه أشد الوعيد فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فآذونا بحرب من الله ورسوله ، . ثم نظم تصفية الأوضاع الربوية القائمة بقوله : « وإن تبتم فلكم رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، .

نموذج سمح كريم :

وفي هذه الآية نموذج سمح كريم لما يجب أن يكون عليه سلوك الدائن مع المدين بالنسبة لاقتضاء دينه منه ، قدمه الله بقوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، .

فإنه وصينا بإمهال المدين المعسر حتى يصيب يسرا يمكنه من سداد دينه . لسكنا إذا تأملنا قوله تعالى : « وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، . فإننا نجد نموذجا إنسانيا

بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الدولة - امتلا القرآن الكريم ، في مكيته ومدنيه ، آيات الحث على الإنفاق في سبيل الله ، وقضاء الحاجات التي تطرأ على الأفراد فتوهن من قوتهم ، وتضعف من روحهم ، وتجعل الفلق يسيطر عليهم في الحياة ، حين يرون لإخوانهم الأغنياء يتمتعون بالأموال في سعة واقتدار ، مما يضاعف همهم . وقد يفتح لهم أبوابا من الشر والفتنة يعكرون بها على الجماعة صفو حياتها ، ويزلزلون عليها عناصر الأمن والاعتماد .

وعلى هذا الوضع الذي سقنا طرفا منه ، سار الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي الفاضل ، حتى تتفاعل وحدانه بإحساس واحد واتجاه واحد فيكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحى والسهر ، وكاليدن تغسل إحداها الأخرى .

ولا شك أن رأس المال إذا استخدم مراعى فيه تلك العلاقات الإنسانية التي شرعها الإسلام للتعاون بين الناس فإنه لا يصبح ذا قوة أو سيطرة على المجتمع ، ولا يصبح صاحب المال ذا استغلال أو إقطاع فيه ومن ثم يكون أفراد كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وليس غير هذا المجتمع يريد الله .

محمود سنوت

فوق ما يخطر على البال من معاني الترابط بين الناس ، في سبيل إصلاح الجماعة ، يقدمه الإسلام ، ويغرى به ، ويقم عليه الدليل .. قاله تعالى ، بهذه الآية ، يريد أن يقول : إن الدائن حين يعلم من أمر مدينه عسرا وعجزا ، فإن الإمهال وحده لا يسمو بتصرف الدائن إلى ما يوصى به الرحمن من صور المعاملات الخيرة بين الناس . وإنما يحسن الدائن صنعا إذا هو ترك الدين وتصدق به على المدين .

ثم ينبه إلى أن هذا خير للمجتمع ... ذلك أن المجتمع الذى يتراحم فيه الناس حتى تصل المعاملات بينهم إلى هذا المستوى الإنساني النبيل ، لا يبقى فيه حاقد أو ناقم يفكر في انقلاب أو انتقاض .

أفرأيت إلى مجتمع هذا شأنه ، هل تتخلف فيه الجماهير عن نصره القوى ونجدته إن حلت به كارثة ، أو نزلت به نازلة ، كأن تحترق له دار أو تغرق له زراعة ، كما يحدث في الريف كثيرا ، حيث لا تتوافر أجهزة الإطعام ، ولا وسائل مقاومة السيول ؟

هدف الإسلام من بناء مجتمع :

إنساني فاضل :

على هذه الأسس والمبادئ التي تقتضها الأخوة والراحم والتعاون والاشتراك في الإحساس وتبادل الشعور بين الأفراد ،

التجديد في الدعوة الإسلامية

يَبْدَأُ مِنَ الْمَفَاهِيمِ

لِلأستاذ الدكتور محمد البهي

- ١ -

يرتفع إليه الأفراد إذا ما انخفض سلوكهم عنه وابتعد توجههم عن محيطه ، والذي يجب أن يظلوا فيه إذا ما وصلوا إليه .

ولكن لاحظ بعدئذ أن هذه المعاني والمدلولات ابتدأت تفارق وضعها الأول شيئاً فشيئاً ، وأخذت تبعاً لذلك تصور نظرة أخرى في الحياة كما تحدد منهجاً في السلوك مختلفاً عن ذلك المنهج الذي كانت تدعو إليه يوم أن كانت عند وضعها الأول وفي تحديدها على عهد الرسالة وما بعدها إلى أن طرأ عليها هذا التغيير والتبديل .

وربما كان ابتعادها عن وضعها الأول قد تأثر بهدف آخر يختلف عن هدف الرسالة التي جاءت متضمنة إياها ومحددة لها للتطبيق العملي في الحياة . وبعبارة أخرى ربما كان النخيل عن الهدف الحقيقي للرسالة وهو الارتفاع إلى مستوى الإنسانية لذات الإنسانية والاحتفاظ بهذا المستوى عند الوصول إليه ، هو السبب في تحويل تلك المعاني والمدلولات وتغييرها عن وضعها الأول الذي كان لها .

جاءت رسالة الإسلام وهي تحمل معاني ومدلولات تحدد نظرة الإنسان إلى الحياة ، كما تحدد سلوكه فيها ، إن في صلته بخالقه وإن في أسرته وإن في صلاته بغيره في المجتمع : وكانت هذه المعاني والمدلولات كذلك مصدر الدفع في الحياة ، ومصدر الحركة فيها . وقد تمثلها الإنسان المسلم في نفسه وقت الرسالة وما بعد الرسالة بقليل ، بعد أن وعها في وضوح ، وقبل أن يطرأ عليها أى أثر من آثار الانحراف في فهمها وتحديدها .

وعندما اتخذت هذه المعاني والمدلولات في وضوحها وفي حسن وعيها قاعدة للسلوك ولتحديد النظرة في الحياة — كان الأفراد المسلمون أفراداً أقوياء في بنائهم وفي سلامة توجههم وفي دفعهم للحياة ، وكان المجتمع الإسلامى تبعاً لذلك مجتمعاً قوياً متماسكاً متآزراً ، وكانت أهدافه في الحياة هي تلك الأهداف التي توحى بها تلك المعاني والمدلولات في وضوح وعيها وضبطها ، ولا تخرج هذه الأهداف عن كونها تحديداً لإطار المستوى الإنساني الذي يجب أن

هى التى يسميها الاخلاقيون : « فضائل » ، يجب على الانسان أن يتدرب عليها حتى تصير من عادته ، وتكون له بذلك طبيعة ثانية . ويمكن أن يقال أيضا إن تكوينها عند الانسان هى صورة التهذيب التى يجب أن يكون عليها الانسان المذهب ، وصورة الخلق الكريم الذى يجب أن يتخلق به الانسان صاحب الخلق ، وصورة التربية التى يجب أن يكون عليها الانسان الذى قد تعدته التربية ليصبح ذا تكوين إنسانى .

١ - الاختصار :

فاذا جاءت الرسالة الإسلامية بالإحسان وبالخلق عليه حتى يكون الإنسان ذا إحسان فال مقصود منه هو كل ما يكسب الانسان حسنا أو كل ما يؤدى بالانسان إلى أن يكون ذا إنسانية فالإنسانية فى حقيقة أمرها هى حسن فى كل جانب من جوانبها ، وصاحبها محسن وما يصدر عنها إحسان . والآيات الكريمة التى جاءت فى هذا المعنى تدلنا على ذلك دلالة واضحة . يقول القرآن الكريم فى سورة الكهف : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا » ، فالاحسان الذى نتحدث عنه هذه الآية وتعد بأن الله لا يضيع أجره هو ذلك الذى يتمثل فى صدر الآية من الإيمان والعمل الصالح . ولا شك أن

والكى لا نبقى طويلا فى الجو النظرى البحت لتوضيح هذه المعانى والمدلولات وتغيرها عن وضعها الاول يجب أن نشير إلى بعض منها كما يجب أن نذكر التغير الذى طرأ عليها تبعا لتغير الهدف والغاية فى الحياة . ويستحسن أن نصل إلى ذلك عن طريق توضيح الصلة بين هدف الرسالة الإسلامية عندما نزلت وحيا وقرأنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المعانى والمدلولات التى تضمنتها هذه الرسالة فى ذلك الوقت ، كى يمكن أن نسير فى يسر إلى الارتباط الذى أشرنا إليه وهو : أن تغيير الهدف ترتب عليه بالتالى تغيير الوضع الاول للمعانى والمدلولات . فالرسالة الإسلامية - كما ذكرنا مجملًا - تخطط فى حقيقة أمرها المستوى الإنسانى الرفيع الذى يجب أن يصل إليه الفرد الذى يؤمن بالإسلام ، ثم بعد ذلك يجب عليه أن يحتفظ به طول حياته ما دام مؤمنا بالاسلام بقيمه . ويكون هذا التخطيط معانى ومدلولات هى فى ذاتها وصايا فى صورة مؤكدة يترجمها الانسان المسلم إلى فعل أو إلى ترك . وما يجب أن يفعله هو بعينه ما يجب أن يترك ضده . وعلى ذلك فالمتروكات والنواهى هى اضداد للأوامر التى يجب أن تؤدى بالمعمل أو القول .

وفى اختصار : هذه المعانى والمدلولات

في الفعل والقول إلا ما يعبر عنها . كما تشير إلى ذلك الآيات الكريمة في قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد والعبد والأثني بالأثني ، فمن عفى له من أخيه شيء فانباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان . وفي قوله . « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . » . وقوله : « فامسك بمعروف وتسيرج بإحسان . » . وقوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » وقوله : « وقرلوا للناس حسنا . » . وقوله : « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، » وقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن . »

فهذه الآيات تناولت الجوانب المختلفة للصورة الإنسانية الكريمة ، وهي تلك الصورة التي تجعل صاحبها محسناً ، وتجعل ما يصدر عنه إحساناً من فعل وتصرف ، أو قول وحديث ، أو دعوة ومجاورة .

والآيات الأخرى التي يطلب فيها القرآن الكريم من الإنسان أن يكون محسناً تعطى فقط ما مدلول الإحسان من وضع أرادته الإسلام إرادة أولية ، وهو ذلك الوضع الإنساني الرفيع ، فإذا قال : « وأحسنوا » إن الله يحب المحسنين ، وقال أيضاً « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً » - لم يزد عن طلب أن يكون ذا إنسانية في معاملته وسلوكه ، وإذا

الايحسان صورة رفيعة للبشرية ، وأن العمل الصالح أيضاً - وهو ذلك العمل الذي يترتب عليه آثاره في تهذيب النفس وفي قوة ربطها بالآخرين - صورة رفيعة للبشرية ولا يصل إلى هذه الصورة إلا ذلك الانسان الذي قد سعى ليكون إنساناً ويصل إلى مستوى الإنسانية . ويعتمد بذلك عن أن يخط إلى ما دونه . وتحمل في هذا السعى دفع الأنانية وإبعاد مؤثرات الهوى والشهوة ومؤثرات الاغراء الداخلية والخارجية على السواء التي من شأنها أن تحول بينه وبين أن يكون كائناتنا ذا مستوى بشري رفيع .

ويوضح هذا المعنى قول الله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض . » فما أحسن به الله إلى الانسان هو أولاً خلقه الذي تحدث عنه في آية أخرى في قوله جل شأنه : « وصوركم فأحسن صوركم ، ثم ثانياً هدايته التي تسكتل بالإيمان بالله وعبادته على نحو ما يحكم الحديث الشريف عند ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه ، محيياً على سؤال من سأل عن الاحسان . »

فالاحسان في أول مدلول له وأول معنى جاءت به الرسالة الإسلامية هو الصورة الإنسانية الفاضلة المهيبة التي لا يصدر عنها

الإسلامي إلى هذا الهدف المادي وحده إلا عند ما ضعف وبعدت الشقة في حياته بين إدراك القيم الإنسانية على حقيقتها والتعبئة عن طريق الإيمان للوصول إلى تحقيقها .

والإحسان في تحوله من معنى المستوى الإنساني الرفيع إلى تحصيل ما يساعد على المعيشة المادية يصور تطور المجتمع الإسلامي نفسه من المجتمع المثالي صاحب القوة في الإيمان وصاحب القوة في التماسك وفي التعاون والزيابط ، وصاحب الدفعة القوية في تحقيق الأهداف والمثل إلى مجتمع آخر يبتعد كثيراً عنه سواء في صلات أفراد بعضهم ببعض ، أو في تحديد أهدافه أو في تحديد وسيلة تحقيق هذه الأهداف في الحياة . وإذا كان تحول المجتمع قد أوحى بتغيير المعنى والمدلول للإحسان ، فمن جهة ثانية هذا التغيير في المعنى والمدلول - كما ذكرنا - تعبير عن تحول المجتمع نفسه . وتاريخ المسلمين تبعاً لذلك يصور نوعين من المجتمعات البشرية . أحدهما ينشد السمو والرفعة والتفاني في سبيلهما ، والآخر ينشد الكفاف وينشد البقاء للمحافظة على الذوات من أن يصيبها الفناء . يسبب الفقر أو الجوع والإحسان في تطوره من مدلول إلى مدلول يشير لهذا التحول من مجتمع إلى مجتمع .

قال أيضاً : « ومن يسل وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وقال : « أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . إذا قال ذلك فإنه ينبغي لحسب ، ذلك الخاق وهو التقوى والصبر والجهاد في سبيل المثل العليا والقيم الإنسانية ، هو خاق الإنسان الذي وصل إلى المستوى الرفيع في الإنسانية ويحدده معنى الإحسان .

وهكذا في كل ما ذكره القرآن الكريم خاصة بالحسن ، وما اشتق منه من إحسان ومحسنين لم يرد به أكثر مما ذكرنا ، وهو ذلك المستوى البشري الممهد الذي يترتب عليه استقرار النفس وقوة الصلة بين الإنسان والإنسان .

فإذا مال الإحسان بعد ذلك إلى معنى آخر هو البذل المادي ، وإلى ما يقربه من معنى الصدقة - فذلك الميل جاء نتيجة لتحول المجتمع وتحول أهدافه من السعي في سبيل المثل والقيم الإنسانية والحرص على الوصول إلى المستوى الإنساني ، ثم البقاء فيه إلى التركيز على لقمة العيش وإلى قصر السعي على تحصيله وحده ، وبمعنى آخر جاء نتيجة لتحويل الهدف من أن يكون هدفاً مثالياً رقيقاً إلى هدف مادي آخر ، ولم يتحول المجتمع

٢ - الصبر :

وكذلك لو انتقلنا إلى مفهوم الصبر نجد أنه في ذاته كان له مدلول عند قيام المجتمع الإسلامي الأول ، ثم لما تحول هذا المجتمع إلى مجتمع آخر أخذ الصبر مدلولاً ومعنى آخر متلائماً مع الوضع الطارئ لهذا المجتمع الآخر . فالصبر في أول الرسالة الإسلامية كان الصورة العملية للإيمان القوى . على معنى أن قوة الإيمان كانت تتشبهت بالإنسان بحيث لا يفارقه ولا تفارقه ، وبالتالي يتحمل في سبيل الإيمان كل أذى مادي ونفسي . لأنه طالما كان تعبيراً عملياً عن قوة الإيمان فلا سبيل إلى الجزع والهلوع ولا سبيل إلى النكوص . وعندما يقول الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام في سورة الأحقاف : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، - يريد جل شأنه أن يوصي رسوله بالاحتمال في سبيل الإيمان وفي سبيل الدعوة إليه . ولم يكن هذا الاحتمال بسبب فقر اليد أو بسبب أزمة نفسية تعود إلى خيبة الأمل في تحقيق رغبة شخصية مادية . وإنما كان أولاً وأخيراً احتمالاً نفسياً في سبيل الدعوة وفي مواجهة العقبات التي يقيمها خصومها ، كي يكون هذا الاحتمال أخيراً فئطرة توصل إلى الهدف وهو نجاح الدعوة ، أو بعبارة أخرى ترجمة

الإيمان بها إلى نتائج عملية في إقامة المجتمع الجديد الذي أرادته الرسالة السماوية .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في سورة آل عمران : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . فهذه الآية الثانية تشير إشارة لا ليس فيها إلى أن الصبر في وضعه الأول ومدلوله الأول كان الاحتمال في سبيل الإيمان وفي سبيل الدعوة إلى رسالة الله احتمالاً نفسياً قبل أن يكون احتمالاً مادياً وعلى وجه الخصوص احتمالاً بسبب فقر اليد والجوع . وهكذا لو مررنا على الآيات القرآنية التي ذكرت في الصبر نجد المدلول الذي أشرنا إليه والذي جعلناه مدلولاً أولياً لمفهوم الصبر هو ذلك المدلول الذي تقصده الآيات القرآنية الأخرى فإذا قال الله سبحانه : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » . وقال : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » . وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » . وقال : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ، إذا قال القرآن كل هذا وغير هذا في طلب الصبر والتخلق به فإنه لا يقصد سوى الاحتمال النفسي في سبيل الإيمان وفي سبيل القيم والمثل العليا (البقية على صفحة ١٢٧٥)

الله أعلم حيث يجعل رسالته

للأستاذ محمد محمد المدني

صلى الله عليه وسلم - كان يسبح في ظلمات بعضها فوق بعض ، ولم يكن العرب بمنأى عن هذه الظلمات ، إذ كانوا مجتمعاً طبقياً كغيرهم . وكان فيهم كثير من العادات المردولة ، والتقاليد الجاهلية ، ولكنهم مع ذلك كانوا أولى فطر صافية ، وأولى ذكاء خارق . كما كانوا على الرغم من نظامهم الطبقي مجتمعاً مترامحاً تسوده أخلاق النجدة ، والمروءة ، والجود ، ولهم في ذلك قصص وأخبار وأشعار حتى ليعجب الإنسان كيف كانوا مع هذه الأخلاق يقدسون الطبقية ، ويؤمنون بالعصبيات القبلية .

فهذا التواضع الذي يصوره قول الشاعر :
وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً
وما شيمة لي غيرها أشبه العبد
يدل على حرافة في الكرم والجود والإيثار ونسيان النفس .

وهذا الشاعر الذي يقول :

على مكثريهم رزق من يعترهم
وعند المقلين الساحة للبذل
يصف قوماً متعاونين متكافلين كأجل ما يتصور التعاون والتكافل ، أما ذلك الشاعر الذي يقول :

١ - اختار الله تعالى أمة العرب من بين سائر الأمم لتلقى آخر رسالة سماوية إلى أهل الأرض بعد أن استحصفت الإنسانية وبلغت مرحلة الرشد العقل التي تجعلها صالحة لتلقى الرسالة الخاتمة ، واستمهاد حكم الله تعالى منها في كل ما يتصل بالحياة إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وإذا تأملنا قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وجدنا هذه الآية الكريمة تشير إلى هذا الاختيار ، فإن كلمة « حيث » صالحة لأن يفهم منها الزمان والمكان والشخص والأمة : فالله تعالى اختار لرسالته تلك الأمة من بين سائر الأمم ، واختار من بين هذه الأمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، واختار شبه الجزيرة العربية بيئة مكانية لهذه الرسالة ، واختار الزمان المعين الذي يوافق أوائل القرن السابع الميلادي زماناً لها .

والذي يهمنا الآن هو أن نعرض على وجه من الإجمال ، السر الذي جعل أمة العرب هي أجدر الأمم بتلقى هذه الرسالة واحتمال أمانة تبليغها إلى العالم .

والواقع أن العالم كله - قبيل بعثة النبي

وعادات جامعية - كانت أقرب الأمم إلى تقبل الطابع الإسلامي ، وكان هذا هو السر في اختيارها لحل أمانة هذه الدعوة الإلهية الخاتمة . والقرآن الكريم يقول : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، وعلينا أن نتأمل قوله عز شأنه : أخرجت ، فإن الإخراج يتضمن اختيار من يصلحون ، وتهديبهم وتربيتهم ، وإمدادهم بما يعينهم على أداء ما يعهد به إليهم ، وعلينا أيضا أن نتأمل قوله تعالى : للناس ، فهو يشير إلى أن هذه الأمة قد أريد بإخراجها أن تكون مثالا للناس ، ومصدر قيادة وتوجيه ، وإنما كانت كذلك لما ذكرناه من مؤهلات اختيارها ، وأساليب إخراجها ، وعناصر خيريتها المشار إليها بقوله تعالى : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وذلك رمز استقامتها ، ومبدأ عظمتها ، وتؤمنون بالله ، وهو مبدأ الشعور بالكرامة والعزة . وبهذا يتبين أن الإسلام اختار لدعوته أمة صالحة بالفطرة ، وأنه أخرج هذه الأمة أي طبعها بطابعه ، وهذبها وأصلحها بما غرسه فيها من المبادئ والعقائد التي تجعل منها أمة قيادة ودعوة إلى الله .

* * *

٢ - جاء الإسلام فأخرج أمة العرب

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا فإنه يصف النجدة والمروءة بصورة شبيهة بقول أحدهم نثرا : كان إذا غضب هب لنجده أو لغضبه أربعون لا يسألونه لماذا غضب ! وتلك قوة في التجاوب ليس بعدها قوة . وهناك ذلك الشاعر الذي يمثل لونا من الحمية الخالصة من التلSKU ومن إلقاء المسؤولية على الآخرين ، إذ يقول : إني لمن معشر أفنى أوائلهم قبل السكاة : ألا أين المحامونا لو كان في الألف منا واحد فدعوا : من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا هذه الصفات ونحوها هي التي جعلت من المعدن العربي معدنا قابلا للنهيق والتشكيل في صور كريمة ، وقبلنا نجد أمة من الأمم لها هذا النوع من التجاوب مع الفطرة الإنسانية التي هي في الوقع تعاون وتكافل وشعور بأخوة الجنس ، واشتراكية الحياة ، وليس معنى هذا أن الأمم الأخرى لا تمتاز بصفات طيبة ، ومعادن كريمة ، فما قصدت إلى هذا ، وليس هو مما يقصد ، ولكني أريد أن أقول إن الصفات التي امتاز بها العرب - ولكل أمة صفات امتازوا بها - كانت صفات ملائمة لما جاء به الإسلام إلى حد بعيد ، وإن هذه الأمة - مع ما كان يشوبها من وثنية وطبقية

للناس كما بينا ، أى طبعها بطابعه ، فها هي ملاح هذا الطابع الإسلامى ؟

إن هذه الملاح تنضح من المبادئ الآتية :

المبدأ الأول : لاوثنية ، بل وحدانية ، وهذا المبدأ هو أعظم مبدأ أعاد للإنسان كرامته الآدمية ، وكرامته العقلية .

فأما كرامته الآدمية ، فلأنه لم يكن من اللاتق به - وهو الذ ، اختاره الله للخلافة فى هذه الأرض - أن يأتى لشيء فيها من حجر أو شجر أو حيوان ، أو يأتى لشيء مما سخره الله له من الكواكب فيعبده ويخضع له مع أنه هو سيد الكون الذى خلقت كل هذه الأشياء له ، وسخر لمصلحه .

فالإسلام قضى على الوثنية القضاء الأخير بعد أن حاربتها جميع الرسالات السابقة حروبا كثيرة دون أن تقضى عليها لما كانت عليه العقول من جمود وجمالة ، ولأن الرسالات السابقة لم يكن لها عموم الرسالة الإسلامية ، وإنما كانت محلية فى حدود محصورة زمانا ومكانا .

وأما أن هذا المبدأ قد أعاد للإنسان كرامته العقلية ، فلأنه أظهره على عقيدة « التوحيد » وأيدها أمامه ولم يكن مما يشرف العقل البشرى أن يعلم أن الخالق هو الله ومع ذلك يشرك به ما سواه ، وقد كان العرب يدركون وحدانية الربوبية ، أى أن الله هو الرب الخالق الرازق الختم المحيى المميت المتصرف

فى الكون دون شريك : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، ولكنهم كانوا مع إيمانهم بهذه الحقيقة يعملون مع الله آلهة أخرى يعبدونها ويقرّبون لها القرابين ، وكان ذلك شأن الأمم الأخرى أيضا ، فاتخذ الإسلام من وحدة الربوبية دليلا على وحدة الألوهية ، وكان منطقته فى ذلك منطقا عقليا ، إذ كان يصف لهم خلق الله وتصريفه وآثار رحمته ونعمته ثم يقول لهم « ذلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق شيء فاعبدوه » .

المبدأ الثانى : لاطبعية ، ولا عصبية . فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى .

والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، رابطة الإيمان بينهم مقدمة على رابطة النسب ، والمذافقون بعضهم من بعض ، لأنهم لا يؤمنون بروابط فلا يقال فيهم بعضهم أولياء بعض كما يقال فى شأن المؤمنين ، لأن المذافق ليس له شيء يؤمن به ويدافع عنه ، وإنما هو يبحث عن مصلحته الخاصة يدور معها حيث دارت ، أما المؤمن فله ما يحبه ويؤمن به ويدافع عنه ويوالى ويعادى فى سبيله .

المبدأ الثالث : التوحيد والمساواة يسيران فى الإسلام جنبا إلى جنب ، ويخدم كل منهما الآخر .

بيان ذلك :

المبدأ الرابع : القسط هو مظهر الإيمان
بالربوبية والمساواة جميعاً ، وإقامته ضرورة
من ضرورات هذا الإيمان .
« يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله » .

« يأياها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط » .

وقد توافقت الآيات في أنها تطلبان
من المؤمنين أن يكونوا « قوامين بالقسط »
أو « قوامين لله » ، أى أن يكون للعدل
والتوازن هو غايتهم ليرضوا الله .

ولكن اختلاف التعبير في الآيتين يوحي
بأن «القوامية بالقسط» هى عين «القوامية لله»
وبأن «الشهادة لله» هى عين «الشهادة بالقسط»
ولا شك أن هذا تنويه عظيم بشأن القسط
والشهادة لله ، وبما بين الإيمان بالإله ، وبين
المساواة التي مظهرها الأول هو العدل ، من
ارتباط واتساق .

وكما نوه القرآن الكريم بالقسط ، نوه به
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل قوله
« إن المقسطين عند الله على منابر من نور .

الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا » .

وقوله « أهل الجنة ثلاثة . ذو سلطان
مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب

لكل ذي قربى ومسلم ، وهفيف ضعيف
ذو هيال » .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

« أن الله تعالى يجمع بينهما حين يقول :
« يأياها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من
نفس واحدة ، فقوله « اتقوا ربكم » إشارة
إلى مبدأ التوحيد ، وقوله « الذى خلقكم من
نفس واحدة » إشارة إلى مبدأ المساواة .

« وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجمع بينهما أيضاً حيث يقول : « أيها الناس
إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد » ، فهما
قضيتان متآخيتان .

« والتوحيد يخدم المساواة ، لأن من
يعتقد أن لا إله إلا الله ، يعلم أنه هو وجميع
الناس مربوبون له ، متساوون أمام هذه
الربوبية ، فليس لأحد حق في أن يخضع له
الآخرون ، لأن الجميع عباد الله .

« والمساواة تخدم التوحيد ، لأن من
يشعر بالمساواة بينه وبين جميع الناس ، يعلم
أنهم جميعاً محتاجون كما هو محتاج ، إلى هذه
الرحمة الإلهية التى يحسون كل حين آثارها ،

ويعلم أن هذا الاستواء بين البشر في الاحتياج
والفقر دليل على أن هناك إلهاً فوق مستواهم
وأنه واحد لا شريك له بما خلق ، وإلا
لكان الشريك مثله ومساوياه ، بل مناوئاه :

« إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم

على بعض » .

فِخَائِيَةُ الْقُرْآنِ

من شئون المجتمع :

هدى القرآن في الأمانات والأموال والأولاد

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

(١) يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .
(ب) واعلموا أنما أموالكم ، وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم .

المؤمنين نحو أمور ثلاثة : من أهم قواعد النظام في حياة المجتمع .

الأول - الأمانات ، وما تقتضيه من صيانة .
والثاني والثالث : الأموال ، والأولاد ، واعتبارهما في دنيانا نعمة ، أو فتنة مضلة .
وقد سبق في سورة النساء أن أمر الله تعالى بتأدية الأمانات إلى أهلها تأكيداً لما في سورة البقرة من قبل .

١ - والجانب الأول من موضوعنا الآن - نهى الله عن الخيانة لله ، وللرسول ، والأمانات بيننا .

فاذا وعينا تكليف الله لنا بتأدية الأمانة ، ثم وعينا نهيه عن الخيانة : وجدنا أنفسنا

(١) بعد أن تكونت بجانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فئة من المسلمين تدين بالعقيدة الحقّة ، وتجاهد في سبيلها صار القرآن يخاطبهم كثيرًا بيا أيها الذين آمنوا ، وإنما خصهم بهذه النداءات لأنهم تخلصوا من الكفريات ، وتهيأوا للعناية بقربيبتهم ، وتطهيرهم من دنس الجاهلية ، فكافوا أهلاً لتلك العناية ، ولتنشئة مجتمع طيب منهم ، هريق في دعاتمه ومشيخاته ، وملاحه .

حتى كان من تلك العناية أن يتكرر نداؤهم بوصفهم هذا : الإيمان - في آيات متعاقبة ، أو متقاربة ، كما نرى في سياق آياتنا هذه من سورة الأنفال بالنسبة لما قبلها وما بعدها ، وفي مقامنا هذا يعتمد القرآن إلى توجيه

لانتقاصه أمانة الله ، وخدشه إياها من أحد الجانبين — فعل المنهى عنه .

وخيانة الرسول بالإعراض عن دعوته ، وإهمال سنته فيما بين من أحكام القرآن وآدابه ... وقصارى الحديث في هذا أن خيانة الرسول في جملتها وتفصيلها هي خيانة لله ، فإن الرسالة النبوية أمانة الله التي حملها إلينا محمد رسوله ، فكانت طاعة الرسول أو مخالفته هي في موضوعها طاعة لله أو مخالفة له .

ومن أجل هذا كان الاقتران بينهما في أسلوب القرآن : « ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله والرسول - ومن يعص الله ورسوله ... » .

والقرآن يتعرض لهذا في كثير من آياته المفصلة ثم يتعرض له إجمالاً في مثل قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وما دامت الأمانة في جانب الله ورسوله واحدة ، والخيانة كذلك واحدة : لوحدة الموضوع فيهما فاللتصّل من الحفاظ عليها يعتبر نقصاً في الدين . وهنا يتضح قول النبي صلى الله عليه وسلم - لا إيمان لمن لا أمانة له - وهل يكون مؤمناً في اعتبار العقل فضلاً عن الشرع من يخون الإيمان فيما يقتضيه ؟ وإن ذلك الحديث ليتسع لأنواع الأمانات ، وفيها الأمانات بيننا .

أمام وجهة من السكال ينشدنا الدين فيمن يريدون الخير لأنفسهم .

وخيانة الله تكون بالتخلف عن مطاوعة دينه فيما أمر ، أو فيما نهى .

وسواء أكان ذلك بالتخلف في عبادة ، أو معاملة أو في نشاط فردى أو جماعى في تحصيل الأرزاق ، وإنجاز الأعمال في مواقيتها ، وعلى وجه الإتقان كما أحب الله من عبده إذا عمل عملاً ما .

فهذه جوانب النشاط في حياة سليمة من الآفات ، والمرء فيها بحاجة إلى الاهتداء بتشريع الله حتى يكون متجاوباً في مسلكه مع دين الله ، وتكون معيشتة لونا صادقا تتمثل فيه بوضوح مظهرية الدين الذى يعيش في ظلاله .

والانحراف عن هذا المسلك القيم المستطاع يعتبر خيانة لله فيما عهد به إلى المؤمنين فضلاً عن كونه انحرافاً لا يكفل نجاحاً مطرداً ، وإن صادف نجاحاً مؤقتاً .

فإن سنة الله في تدبير مملكه ، والتي قامت عليها فطرة الحياة تأبى أن يكون للباطل دوام .

٢ - وحينما نقرر أن الأمانة بمجموع الامتثالين فعلاً ونهياً لا يكون أحد الجانبين كافياً في تحقّق الأمانة أو انحصاف الإنسان بالأمين .

فربما كان المصلّى مرايياً ، وربما كان المزكى ظالماً ، وربما كان المجاهد مختلساً ، وفاعل هذا لا يسمى أميناً ، ولكنه خائن ،

وليس من قبيل الأمانة المرعية في نظر الإسلام مجالس السوء ، ومؤمرات الأشرار وأحاديث المجنون ، وما لا يتفق مع توجيهات الدين إلى الخير .

فإنكار ذلك كله ، والكشف عنه لمقاومته ودفع أضراره قبل حصوله حق على المسلم . وهو ما يشهد له قول الرسول - صلى الله عليه وسلم : « المجالس بالأمانة : إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق ، فهذه أسرار لأحرمة لها ، ويجب أن تعلن لمقاومتها ، وكف أصحابها ، وسلامة الناس من آثارها . كما يشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » .

يريد النبي صلى الله عليه وسلم مقاومة المنكر بكل وسيلة ممكنة .

هذا بحمل القول عن الأمانات في تشريع الله .
(ب) والجانب الثاني من موضوعنا : جانب الأموال والأولاد : إذ في الكلام ضمنية قوية ، أفصح عنها الآية الثانية : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ،

١ - فلا شك أن المال والولد نعمة محبة إلى النفس تستبد بفرحة الإنسان ، وتتحكم في توجيهه يمينا ، وشمالا .

ونحن نعلم ما بين الناس من عهود وانفاقات وودائع وأسرار ، واشتراك في أعمال ، وأموال . ونحو هذا يطول تفصيله كعلاقات الحاكم بالمحكوم ، والقاضي بالمتحاكين ، والشاهد بالمشهود الخ ...

وكل هذه أمانات تقتضى صيانتها من العبث بها ، أو الخروج فيها عما فرض لها من محافظة عليها . . وفي المساس بها خطر على مصلحة الفرد أو المجموع .

فن وراء الخيانة فيها زعزعة الثقة بين الناس ، وتعويق عن النجاح في أمور تحتاج إلى السرية كما يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في قوله - « واسدقوا على قضاء حوائجكم بالكتمان -

وعندما نفطن إلى الخيانة وأثرها في الإضرار بالحياة العامة ندرك حكمة الله في تحريم الخيانة على أى وجه من الوجوه ، ومهما تكن في شيء ضئيل - فمظم النار من مستصغر الشرر .

وعما يزيد مآثمها أن يرتكبها الناس عالمين بكرهية الله لها ، وبأسباب الحظر فيها . . وهذا هو قول الله : « لا تخونوا الله ، والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » . أى تعلمون شأن الأمانات ورعايتها ، وأضرار الخيانة ، وبشاعتها ، وكراهية الله لمخالفة حكمه ، فإن ارتكاب المحظور على علم يزيد في جرم صاحبه وعقابه .

والقرآن يشيد بهما كثيرا . . وهو يتجاوب في هذا مع فطرة الإنسان في إعزاز المال والولد . . المال والبنون زينة الحياة الدنيا . . وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا . . يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا .

٣ — ولعل حديثنا هذا - عن الأموال والأولاد - يقرب إلى الأذهان ما أريده : من أن تعرض القرآن لها بعد التكليف برعاية الأمانات ، وعدم الخيانة فيها كيما كان نوعها - يعتبر من جديد إشادة بهما ، كما يعتبر تنصيحا على الحيلة فيهما ، والتحذير من المنة بهما حين وجودهما ، أو الاسراف في الجزع لأجلهما حين الحرمان منهما .

فالفرح المفرط ، والامتنان والتعسر كلاهما فتنة موبقة ، وتصرف محذور ومحظور . وفي الناس والحمد لله عقلاء يدركون أن الأموال والبنين ودعة الله لدى خلقه ، فهو يودعهما ، أو يودع أحدهما عند من يشاء ، ويستردهما ممن يشاء .

وفي ترديد هذا يقول الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوما أن ترد الودائع

٤ — ومن هذا ندرك في سهولة أن التوجيه إلى الأمانة ، وعدم الفتنة بالأموال والأولاد متعلق بالمحظوظ فيهما . . كما هو متعلق بالمحروم .

فذلك يغتبط ، ويشكر ، ويكون بماله وأولاده خيرا لنفسه ، ولوطنه ، ودينه ، فلا تكاثر ، ولا صلف ، ولا تجبر ولا إفساد . والمحروم يرضى ويصبر ، فلا جزع ، ولا

٢ — ثم مع هذا يحذرنا القرآن من تلك النعمة في قوله هذا واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم . . فهما نعمة ، وزينة ، وهما فتنة وبلاء . . هما نعمة يغتبط لها الإنسان ، ويرضى بها ، وهما غرور ، وخيلاء ، ومدعاة البطر والتجبر .

وقديما كان المال والأولاد مغان للناس ، يتغنون بذكرهما في مجال التفاخر . ويتكاثرون بهما حين التطاول على الغير ، والمباهاة بالثراء والعصبيات : دألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، ولأنهما نعمة ، وفتنة : نبه القرآن كثيرا على حسن التصرف فيهما ، وأنها اختبار يتضح به شأن الإنسان فيهما كأمانة عنده : أيرعاهما حق رعايتها أم يسىء فيكون اختباره بهما وبالاً عليه . أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . . وكان الكافرون يظنون أن الله يعطيهم الخصوصيات فيهم .

وكذلك شأن الكثيرين فيمن سلب ، ومن خلف . . وكما حاققت المهالك بأهم كانت أشد من سواها قوة ، وأكثر أمورا ،

بما لديه . وبإلغ في تدليل نفسه وأولاده ، ولا يتردد أن يختلس ، أو يغتصب ، أو يرتشى ، ليشبع نهمه ، ويرضى شهوات البنين ، ولا تزجره الأزمات ، ولا يقف في سبيله المعجز المادى إذا فرغت يده عما تملك ، فلديه وسائله الشيطانية الكثيرة .

ومن شأن هذا الإتلاف أن يجر إلى الضرر بالكثيرين ممن يتعرضون له في مجتمعه ، فضلا عن كونه أنبت أولاده في مباءة فساد ، وسلطهم بتربيته الضارة على الأمن العام وحقوق الغير ، فالمبالغة على أى وجه من وجوهها في حب المال ، أو الأولاد على حساب المال مفسدة ، ومخلة بالتوازن ، وعبت بالأمانة في المال والولد ، وضررها كالوباء المتفشى بين القوم .

والله تعالى يلزمنا بالأمانة كفرض ديني : لا لمجرد التعبد بها ، فليست عملا نخلصه ، ونجهد أنفسنا به قربة إلى الله ١١ . بل يلزمنا بها كبدا خلقنا نعتصم به ، ونتحمل بالتزامه في حقوق الله ، وحقوق الناس .

وما دامت نوازع الشر دائما مشبوبة ، ووقائع الخيانات متلاحقة ، ومتنوعة فكأن الناس على جماعتهم الأولى ، وكأن الآيات في الأمانات واجتناب الخيانات تنزيل جديد ، والله الحفيظ .

عبد المطلب السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

حفيظة على الناس ، ولا يأس ولا زهادة في الاجتهاد ، ولا كراهية للحياة .

وحينذاك يكون اختبار الفريقين بالعطاء في جانب ، والحرمان في جانب : اختبارا موقفا حيث لم يكن من المخطوظ إلا حسن تقدير وشكر ، ولم يكن من المحروم غير تسليم وصبر ، وقد وعد الله الفريقين وعدا حسنا في نهاية الآية بقوله : . . وأن الله عنده أجر عظيم .

هـ - هذا - وقد لا تجد المال والولد في اعتبار الناس سواء ، بل يراحم أحدهما الآخر . . فهذا لإنسان يكدح في الكسب ، ويضنى نفسه وأولاده في تحصيل المال من طرق المشروعة أو غير المشروعة ، ثم يضن به على نفسه وأهله ، ويكذبه عن بعض وجوه الخير : حبا ذاتيا للمال ، وتفانيا في تكديسه وحراسته ، وكأن المال خلق غاية لا وسيلة ، وهذا الضنين يجنى بشعه على ذويه ، وعلى الوطن جنابة مزدوجة ، فالحرمان مبعث الفساد في الأولاد ، وحبس للمال عن إطلاقه في مجال الاستثمار وتعميم النفع . . . الذي جمع مالا وهدده ، يحسب أن ماله أخذه . - وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما ، .

ومثل هذا مثل السارق من الوطن : يأخذ ويخفي ، ويمد يده للسلب ، ولا يمد يدها للمطاء ، فهو عدو لمجتمعه .

وذاك إنسان آخر يبسط يده في الإنفاق

دراسة عن علمي مبارك : علم الدين : الشيخ والكتاب للأستاذ محمود الشرفاوى

- ١ -

أسلوب الكتاب ومستوى الكتابة في ذلك العصر ، نستطيع أن نقول إنه كان ، في كتابه هذا ، سابقا لعصره . يتميز عن معاصريه من الكتابات ويفوقهم إلى حد كبير .

وهو في سياق هذه المسامرات التي أجراها عن سيرة علم الدين أو في سياق الأحاديث التي يحدثنا بها على لسانه ، يستشهد بشيء من القرآن الكريم والحديث . ويذكر شيئا غير قليل من الشعر ، وشيئا آخر من الأمثال والحكم والنوادر المأثورة والقصص التهذيبي أيضا .

ونستطيع أن نقول إن علم الدين ، هو أول كتاب ألفه كاتب على هذا النحو القصصى في الأدب العربي الحديث . فقد سبق ظهوره ظهور حديث عيسى بن هشام ، الذي ألفه محمد المويلى ، بعشرات السنين . كما سبق ليالى سطوح ، الذي ألفه بعد ذلك حافظ إبراهيم . وقد سلك في تأليفه مسلكا باعد ينفه وبين الملل والسامة . فنحن نقرأ علم الدين في أجزاء أربعة كبار . فنجد شيئا مشوقا يثير في نفس القارئ الرغبة في أن يقرأ ويستمرسل

علم الدين : اسم كتاب ألفه على مبارك ، وأجرى حديثه على لسان متحدث سماه بالإسم نفسه : الشيخ علم الدين ، وهو ليس كتاب أدب ولا تاريخ ولا علم ولا سياحة ولا لغة ولا قصص . وإنما هو كتاب جمع هذا كله وزاد عليه . جملة على مبارك في مائة وخمسة وعشرين فصلا ، سمي كل فصل منها مسامرة . فجاء في أربعة أجزاء كبار . والمسامرات أحاديث أجراها بين جماعة من الأصدقاء ، هم شيخ أزهري وابنه ، وسائح إنجليزي محب للغة العرب عالم بها . وآخرون عرفهم هؤلاء في رحلتهم التي رحل فيها الشيخ وولده إلى أوروبا في صحبة صديقه الإنجليزي وعلى نفقته ، وبأجر منه .

أما أسلوبه فسهل يسير صحيح العبارة . لا يلتزم السجع وإن كان ينجح إليه إذا جاء طبيعيا غير مقفل ولا متصنع . أسلوب يرضى عنه القارئ المعاصر الذي اعتاد أن يقرأ للسهل المبسّر المفيد من الكلام . ويرضى عنه الذي يريد أن يتذوق شيئا من السجع والمحسنات ، من غير سرف فيها . وإذا راعينا

من العراز الاول . مشغولا ومشغوقا بالعلم والتعلم والتعليم . فهذا الإنجليزى فى القطار بين القاهرة والإسكندرية مع رفيقه الشيخ لا ينى يعلمه ويتعلم منه . يتحدثان فى البخار والسرعة والمقاييس واللغة وما يتعلق بالسير والمسير وملابساتها . فإذا نزلا فتدقا فى الإسكندرية تحدثا عن الفنادق والنظافة والسياحة ومعرفة البلاد والناس ، والخلطة بين بعضهم وبعض . فإذا نزلا المدينة تحدثا عن البريد وفوائده ، وكيف يحمل رسائل الناس بعضهم إلى بعض ، وما يفيد ذلك فى التجارة والمعرفة والصلات ، فإذا سارت بهم السفينة تحدثا عن البحر ، وكيف عرف الناس ركوبه أول الأمر ، وعن السفن وكيف بدأت أخشابا ساذجة غشيمة منحوتة ، حتى صارت كأنها مدن هائلة تسير بالبخار ، ويتحكم الربان فى مسيرها أكثر مما يتحكم الفارس فى فرسه الملقم . وكيف عرف الناس فى البحار وجهتهم أول الأمر برصد النجوم والشمس والكواكب حتى عرفوا البوصلة ، كما عرفوا قياس السرعة التى تسير بها السفينة . ويتحدثان فى هذا الأثر البعيد الذى أحدثته فى حياة الناس هذه السفن وإقدام الناس على ركوبها وتسخيرها لحملهم وحمل بضائعهم . كما يتحدثان فى هذا العالم الواسع الذى تضطرب به أهواق هذه البحار والمحيطات ،

ويعمن . حتى النصائح والعظات يسوقها مساقاً رفيقا رفيقا لا يبدو فيها متعالم ولا ناصحا أو زاجرا . وجعل الحديث أو المسامرات ، كما سماها ، بين أكثر من واحد .

وهو لم يسلك هذا المسلك فى تأليفه اعتباطا ومصادفة . بل سلكه عن إدراك وتميز . وذكر فى مقدمته أنه اختار هذا المسلك لأنه رأى د النفوس كثيرا ما تميل إلى السير والقصص وملح الكلام ، بخلاف الفنون البحتة ، والعلوم المحضة .

ليس كتاب د علم الدين ، رحلة ولا قصة ولا حوارا يتضمن كثيرا من مبادئ العلوم والفوائد وطرائف المعرفة . بل هو كل ذلك جميعا . ويتضمن فوق ذلك شيئا من طريف القصص . كقصة يعقوب مع أخته التى ترهبت وماتت فى الدير . فهى قصة شيقة حقا . قصها يعقوب على أصدقائه الشيخ وابنه وللصائح الإنجليزى عندما تعرف إليهم وصادقهم . وكقصة هذا القاتل الكسيح الذى فصل قصته فى المسامرة الخامسة بعد المائة . ومنها نعرف أن على مبارك يجعل المجتمع مسئولا عن جريمة المحرم . إذا لم يهي له أسباب العيش ، وكانت قوانينه فى مصلحة أهل السيادة . وقد أبرز رأيه هذا لإبراز قويا فى قصة طريفة شيقة مؤثرة . ويبدو على مبارك فى كتابه هذا معلما

الفهم وأصوله :

والكتاب من الناحية القصصية أو الفنية لا يلتزم قواعد الفن وأصوله . فهو يجعل زوجا جاملة فقيرة من أهل القرن التاسع عشر في القاهرة هي تقيّة تتعلم على يد زوجها حتى تجادله في أمور دقيقة من شؤون الفكر والفلسفة ، كعقيدة الجبر ، وما يعرفه الأصوليون وأهل الكلام بالصلاح والأصلح ؛ والعرض والجوهر كما تجادله في القضاء والقدر ، وفي ذلك المعنى الذى تحدث عنه الشاعر في شعره : —

كم عالم عالم أعيت مذاهبه

وجاهل جاهل نلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأفهام حائرة

وصير العالم التحرير زنديقا

وهو ينطق هذه الزوج بكثير من الشعر والحكم كما أنطقها بكثير من دقائق العلم .

ونجد في موضع آخر أنه أطلق الشيخ بما يستبعد جداً أن يعرفه ، من حديث اللغة المصرية القديمة والأعياد المسيحية .

وكان على مبارك لا يرسم قصة يلتزم فيها حدود الإمكان والبيئة والطبيعة وحدود الواقع ، أو الخيال الذى يلتزم لإمكان الوقوع ، بل يود ويتمنى . ويغرب به الخيال إغراباً بعيداً ، فكأنه حين أطلق هذه الزوج الجمالة

وما أودع الله فيها من عوالم وأحيا وأسرار . وكما يتحدث الشيخ علم الدين إلى -صديقه الإنجليزي حديث العلم والمعرفة . يتعرف ابنه الشيخ أيضاً إلى إنجليزي آخر بحار على الباخرة فيتحدثان حديث العلم والتاريخ والثقافة . ويضمن الإبن هذه الأحاديث رسائل يبعث بها إلى أمه في القاهرة .

وفي مقدمة علم الدين يبدو على مبارك ، منذ اللحظة الأولى متدينا مؤمنا . وهو في الوقت نفسه عالم يفسر ظواهر الطبيعة تفسيراً هلياً ثم يخلص من هذا المزج بين العاطفة الدينية والإدراك العلمى ، إلى إحساس صوفى لإنسانى شامل (١) ، ثم ينعطف من هذا الإحساس الصوفى الإنسانى إلى إحساس وطنى قوى . وهو بعد إبراز هذه العاطفة ، وتوكيد هذا الإحساس ، ينتقل به من التعميم إلى التخصيص فيحدد طريق النفع الذى يجب على صاحب العاطفة الوطنية أن يخدم به وطنه ، يحدد هذا الطريق بأنه إشاعة العلم والمعرفة .

ونجد أعلى مبارك ذوقاً ولماًحياً في اختيار الأسماء . وهو ذوق يثى بهذه العاطفة الدينية أيضاً . فاسم صاحب الرحلة « علم الدين » . والزوج التى اختارها له اسماً « تقيّة » ، وولده منها لاسمه « برهان الدين » .

من الثقافة قد لا يعرفها الآن كثير من الرجال المثقفين في عصرنا الحاضر . فكيف بامرأة قاهرة ريفية من القرن التاسع عشر ، يتحدثها عن علم الأجناس ، وأصول البشر ، وإلى أى جنس ينتسب الأوروبيون والعرب والتتار والأمريكيون ، ويحدثها عن نشأة الأديان وافتراق المسيحية إلى مذاهبها من الكاثوليكية

واللutherية والبروتستانتية وما بينها من اختلاف ، وعن افتراق المذاهب الإسلامية إلى أشعرية ومعتزلة وخوارج وجبرية وشيعية ونجارية ومشبهة ، إلى آخر هذه المذاهب وما بينها من فروق ، ويذكر لها أسماء وأصل بن عطاء ، ومحمد بن الحسن النجار ، وغيلان الدمشقي ويونس الأسوارى ، ومعبد الجهنى ، إلى غير هذه الأسماء التى لا يعرفها إلا الراسخون فى علم الكلام والمذاهب والفرق ، كما يذكر الشيخ فى رسائله إلى زوجه كثيراً من الإحصاءات الدقيقة التى لا يعنى بها إلا خاصة الباحثين والعلماء .

ويحدثها كذلك فى أنواع الحكومات : الجمهورية ، والملكية ، المطلقة منها والمقيدة . وعن نظام الشورى ، والجيوش ، والحصون ، إلى غير ذلك من الأحاديث .

ومع هذه الإحاطة والدقة والحرص على الاستيعاب نجد عندنا تصل السفينة بالشيخ وولده وصديقه الانجليزى إلى الساحل

بهذا الحديث ، وأجرى فى فهمها وعلى لسانها هذا الحوار ، كان يتمنى أن يجد المرأة المصرية وقد بلغت هذا المبلغ من الإدراك والمعرفة ، أو يجدها وقد نالت هذه الحرية مع زوجها فى الحديث والمحاورة والمجادلة ، أو نالت عنده هذه الكرامة التى تجعله يستمع إليها متحدثاً ومجادلة .

وكذلك شأنه مع الشيخ فيما أنطق به من حديث الأعياد المسيحية واللغة المصرية القديمة .

وتبدو ظاهرتان فى بعض هذه المحاورات بين الزوجين ، : تقية وعلم الدين ، أولاهما أن تقية تكثر من الكلام على قدر ما يكتر هو من الإصغاء . ولئن كانت هذه الظاهرة أمراً حقاً بالنسبة لطبيعة المرأة وواقع أمرها . فإن الظاهرة الثانية ليست كذلك . وهى أن الحديث الذى يجريه على لسانها أقوى حجة ، وأقوم منطقاً ، وألسن بياناً من ذلك الذى يجريه على لسان أستاذها وزوجها علم الدين ... !

ومما يمكن أن يؤخذ أيضاً على كتاب «علم الدين» ، من الناحية القصصية أو الفنية ، أنه لم يراع واقع الأمر ولا احتمال إمكانه فى هذه الرسائل الطويلة التى كان يرسلها برهان الدين لأمه فى القاهرة . فعلى مبارك يجعل برهان الدين يحدث أمه الريفية القاهرية فى أمور

لا تعطر بالاصندل والمسك والعنبر ، وإذا لبست لا تلبس المعصفر والمزعفر ، وإذا نهضت لا تقعد لها ولا تثقل عليها الروادف والآعجاز . بل ذلك كله من صفة المرأة الشرقية القديمة وخصائصها كما نعلم .

على أننا نجد هذه نفس يصف هذه الفتاة نفسها بعد قليل من الصفحات ، بأنها هيفاء . وهذا الشعر الذى وصفها به منذ قليل ، والذى يقول إنها لا تكاد تستطيع أن تنهض لكثقل أروافها ، إنما يصدق على المرأة الآليات (١) ، لا على المرأة الهيفاء .

وقد نجد هذه الظاهرة فى غير هذا الموضع ، مما اقتبس فيه على مبارك شيئاً من الشعر العربى القديم .

ومن الناحية اللغوية قد نجد بعض أخطاء بينة الخطأ فيما يكتب (٢) ومع سلامة أسلوبه وصحته وانطلاقه . لم يخل من أخطاء بعضها واضح من الصعب أن يصدق الإنسان أن يجهل على مبارك وجه العوالب فيها . وقد يكون خطأها من مصحح الكتاب . فهو لم يخل من خطأ فى التصحيح والترقيم والفهارس . ونجد شيئاً من ذلك فى الخطط أيضاً (٣) .

الأوربى ، يقول لئنهما كما يتحاوران فإذا بضجة وفى صدر السفينة ، تبين أنها إشارة للوصول إلى الميناء ، ولكنه لم يبين لنا أى ميناء هى من بين هذه الموانئ المتعددة التى يمكن أن يصل إليها الراحل من مصر إلى أوربا . . . ثم نعرف بعد صفحات طوال أنهم نزلوا ميناء مرسيليا .

ومن هذه المآخذ أيضاً حديثه عن تلك الفتاة الفرنسية التى جعل الشيخ الشاب برهان الدين يجلس إلى جوارها على مائدة الطعام ، فهو يصفها بقله بما نعرف من أوصاف الفتاة الأوربية ، من الرقة واللفظ والتعذيب والاناقة والجمال والانطلاق الذى يجعلها تشارك الرجال فى الحديث وتبدى إعجابها بالشيخ الشاب وفتوته ومظهره ولباسه الشرقى ، وهو فى حديثه هذا صادق فى وصف المرأة الأوربية ، كما نعرفها وكما شهدنا .

ولكنه عندما يستشهد على فنة هذه الفتاة وجمالها يذكر هذين البيتين من الشعر العربى القديم :

وتميس بين مزَعَفَرٍ ومَعَصْفَرٍ

ومعنبرٍ ومعسكٍ ومصندلٍ

هيفاء إن قال الشباب لها انهضى

قالت روادفها : أفعدى ، وتمهل

وهو فى هذين البيتين قد أبعد البعد كله عن وصف المرأة الأوربية ، فهو إذا تعطرت

(١) الثقيلة الآلية . الكبيرة العجيزة .

(٢) انظر ص ٦٢٤-٦٢٥ جزء ٢ من الكتاب .

(٣) انظر مثلاً ص ١٣ ج ٣ من المخطوط .

يذكر ذلك عند حديثه عن « المقس » (١) ثم يذكره مرة أخرى عند حديثه عن « جامع المقس » (٢) . بل نجد الجمل في الحديثين ، تعاد كما هي ، بحروفها وألفاظها .

ويذكر على مبارك في « علم الدين » ، ألوانا عجيبية من « المهرقة » ، يذكر أن اللغة السريانية كانت لغة آدم . وأن الطوفان وقع قبل ظهور المسيح بثلاثة آلاف وثمانمائة واثنين وأربعين سنة . بل يعرف ويحدد موعد هبوط آدم من الجنة ، فيقول إنه كان قبل الطوفان بألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة . ويذكر أن الهرم الأكبر بنى بعد الطوفان بألف وثمانمائة وخمسين سنة . ويحدد جلوس الملك منبس على عرش مصر بأنه كان بعد موت نوح بخمسة سنين . إلى آخر هذا الكلام العجيب الذي نقله عن السكتب القديمة وغيرها .

ونجد في المقال القادم ، عند حديثنا عن التعريف بعلم الدين ، شيئاً من حديث آخر عن التزامه أصول الفن وقواعد الصدق فيه . (البقية في العدد القادم)

محمود الشرفاوى

وما يلاحظ على « علم الدين » ، أن على مبارك جعل الشيخ وأصحابه يزورون الحدائق العامة في باريس . ويبدون إعجابهم وسرورهم بحديقة الكسمبورج كما يزورون « البورصة » . ويتعرفون طرق التعامل فيها . ولكنهم لم يزوروا دار السكتب الأهلية في باريس . وقد تعلم على مبارك في فرنسا . وأجاد اللغة الفرنسية . ولكنه يجعل صديق الشيخ لإنجليزياً . وكذلك صديق ولده بهاء الدين . وجعل الشيخين يتعلمان اللغة الإنجليزية ويتحدثان بها دون الفرنسية . ولا نستطيع أن نقول إن ذلك كان سببه الاحتلال الإنجليزي لمصر . فقد ألف على مبارك كتابه هذا قبل هذا الاحتلال . وطبع في السنة التي دخل فيها الإنجليز مصر .

والذي نعتقد سبباً هو إعجاب على مبارك بالامة الإنجليزية وثقافتها وحضارتها . وهو إعجاب نجد له ذكراً ودلائل في غير موضع من كتابنا هذا . وسبب آخر هو ما نعرف من اهتمام الإنجليز بالشرق وتقديمهم في علوم الاستشراق .

ونجد في « علم الدين » ، شيئاً من التكرار . فهو ، مثلاً ، يتحدث عن المكان الذي قسمت فيه الغنائم عند دخول العرب القاهرة .

(١) ص ١٠٥ ج ٣

(٢) ص ٦١ ج ٤

من معانى القرآن

و أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ،

معنى حسبتم ظننتم
والعبث - هو اللهو واللعب
والعرش هو السرير ويكنى به عن الملك
(بضم الميم)

لم نخلق للعبث

ومعنى الآية - والله أعلم - هل غفلتم عن الحكمة في خلقكم فظننتم أن ذلك كان لعبا أو أنكم وجدتم في هذه الحياة لنلهو أو تلعبوا وأنكم لا ترجعون إلينا بعد الموت لتحاسبنكم على أموالكم فم أنفقتموها ، وعلى قواكم فم استخدمتموها ، وعلى كل ما قدمتم من خير وشر .

و تعالى الله عن أن يلهو ويلعب بخلقكم وسبحانه أن يتصف بهذا النقص المعيب وتعالى الله عن أن تكون الحكمة في خلقكم هي أن تلهو وتلعبوا في هذه الحياة ، فإن ذلك غرض تافه حقير ، إذا لاق بكم في تقديركم فإنه لا يليق به سبحانه ، إنما خلقكم لعبادته بالنظر في ملكوته واكتشاف أسرارده في خلقه ، والعمل الجاد المشغور في عمارة

الأرض ، والقيام بما فرضه عليكم من واجبات نحو الله ونحو أنفسكم ونحو إخوانكم في الدين والإنسانية .

وتعالى الله عن أن يدع الظالم يذهب سالما غانما بما اغتصب واكتسب من حقوق الناس أو يدع المظلوم يذهب محروما مهموما بما وقع عليه من ظلم أو إثم ، إن عدل الله يأبى ذلك ، وسيرجع الناس إليه ليحاسبهم على ما قدموا ، فيكافئ المحسن ويعاقب المسيء .

ويتصف المظلوم من الظالم .
وليس له من معقب على حكمه ، فإنه الملك وما سواه مملوك ، الحق الثابت الدائم ، وما عداه حائل زائل ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا شريك فيه في الملك ، فإنه وحده رب العرش الكريم .

والعرش يكنى به عن الملك والسيطان ، أو هو من أمور الغيب التي لا تقع عليها الحواس ولا تخضع للملاحظة والتجربة ، إنما تؤمن بها لأن الله ذكرها ، ونضع أمام أعيننا قوله سبحانه و ليس كمثل شيء ، لتزهد عن أن يكون حجما أو جسما أو جرمما أو محدودا بمكان أو زمان ، سبحانه ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

عبد الرحيم فوره

في أصول الفقه :

وحدة الحق وتعددده

في المسائل الفقهية الاجتهادية

للأستاذ محمد سعاد جلال

مفردات :

١ - نؤثر أن نقدم لهذا البحث بشرح مستقل لبعض الكلمات الى يكثر دورانها في عرض مسائله مثل الحق والحكم الشرعي ، والدليل ، واليقين ، والظن ، وخطاب الشارع ، فإن اختصاص هذه الجملة من الكلمات المتكررة . بشرح منفرد بين يدي هذا الموضوع يعين إن شاء الله على تمييز أجزائه وتذليل صعوباته وتحصيل الغرض من فهمه

الفصل :

٢ - بالرجوع إلى مصادر اللغة الموثوق بها (١) - نجد أن معنى كلمة « حق » ، الشيء الثابت أو الموجود الثابت ، وفعله حق الشيء إذا ثبت بحق من باب « قتل وضرب » ، حقاً إذا ثبت ، ووجب .

ولما نقل هذا اللفظ إلى استعمالات أهل الصناعات من المفسرين والفقهاء والمتكلمين

(١) اللسان ، القاموس ، المختار ، المصباح ، الأساس ، تعريفات الجرجاني . كليات أبي البقاء ،

جروا في استعماله على عاداتهم في تشكيله بما يوافق غرضهم ، ويخدم صناعتهم .

قال الفخر الرازي : الحق : الثابت الذي لا يسوغ أنكاره . يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب ، « وحقت كلمة ربك » ، وثوب محقق أي محكم النسيج (١) ولم يجاوز الرازي هنا أوضاع اللغوين ، لكن إطلاقه لفظ ، التحقيق على أحكام النسيج في قولهم « ثوب محقق » فيه نظر فإن الاستشهاد في هذه المواضع التي تفسر فيها مفردات اللغة إنما يكون ببيان معانيها الحقيقية ، لا المجازية ، وقد نص صاحب الأساس على أن هذا الاستعمال « ثوب محقق » من قبيل المجاز . فهل نقول إنه مجاز اندرس الالتفات إليه فصار حقيقة على مثل ما قالوا في بعض تحليل وجود المشترك في اللغة أو يكون المراد من ذكر هذا المقال مجرد الإيضاح لمعنى الثبوت والوجوب المدلول عليهما بلفظ الحق ، كل من الغرضين جائز . لكن الشيخ أبا السعود صاحب التفسير

(ب) وذكر الراغب . أن الحق اسم يقع على أربعة معان ، أحدها أنه يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا سمي الله بالحق ، قال تعالى : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » ، وثانيها أنه يقال للشيء الموجود بحسب ما تقتضيه الحكمة . وثالثها أنه يقال في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه الشيء . في نفسه ، كقولنا اعتقاد المسلم في البعث والثواب والعقاب حق .

ورابعها . أنه يقال للفعل والقول ، يحسب ما يجب وبقدر ما يجب ، وفي الوقت الذي يجب ، وذلك كقول لقائل فعلك حق وقولك حق . قال تعالى « كذلك حققت كلمة ربك » . لكنه قد انفرد عن جمهرة (١) اللغويين الذين استقر أن هذا اللفظ في معاجهم بإثبات معنى آخر ، هو المطابقة ، قال « أصل الحق المطابقة والموافقة كطابقة رجل الدار في حقه لدررانه على استقامة » .

فهذا المعنى الجديد الذي يعبر عنه بأنه « أصل الحق » هو ما لم يجده في مصادر اللغة الكبيرة المشهورة كاللسان والاساس وغيرهما مما يشبه حد الاستقصاء ، مما يجعلنا نستبعد أن يكون المعنى الذي ذكره هو المعنى المباشر للكلمة ، أو المعنى المطابق إن شئت ولو كان

لم يمنع بمطلق الثبوت في تفسير لفظ الحق . كما فعل اللغويون وكما فعل الفخر الرازي ، وإن كان وضع الأصل بكلمة « لا يسوغ إنكاره » فقال - أمي الشيخ أبو السعود - الحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لاحالة بحيث لا سبيل للعقل إلى إنكاره لا الثابت مطلقا فههنا قد زاد أبو السعود قيدا ، أو تفسيراً - لا يوجد عند أهل اللغة ، وقال الجرجاني : في تعريفاته « الحق في اللغة الثابت الذي لا يسوغ إنكاره » وفي اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع ، يطلق على الأقوال والعقائد ، والأديان والمذاهب ، باعتبار اشتغالها على ذلك .

وأما للصدق . فقد شاع استعماله في الأقوال خاصة ويقابله الكذب ، وقد يفرق بينهما - أي بين الحق والصدق - بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع ، وفي للصدق من جانب الحكم ، فعنى صدق الحكم مطابقتها للواقع ، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه .

كما قال آخر (١) . الحق مطابقة الواقع للاعتقاد ، والصدق مطابقة الاعتقاد للواقع وعبارات للقوم تدور كلها في هذا المقام على هذا المعنى .

(١) اللسان ، والمصباح .

(١) البرجندى في شرح مختصر الوفاة .

الواحد أوسع نطاقاً من أن تضبطها هذه الوجوه الأربعة . ولا يجوز إبطال وجهه زائد على الأربعة تشتتاً له بعض المعاني المحتملة ، وربما كان في موضعه أكثر صواباً وأصح في مذاقات اللغة .

(١) البقيع والظن :

إذا أذنت النفس للتصديق بقضية من القضايا وسكنت إليها . فلها مع هذا للتصديق ثلاثة أحوال .

الحال الأول : أن تستيقظ لتصديق بهذه القضية وتقطع به ثم تعود فتقطع ثانية بأن قطعها الأول بتلك القضية ، كان قطعاً صحيحاً ، لم يدخله غلط ، ولا سهو ولا نيليس ، وتبلغ في ذلك اليقين مبلغاً لا يقبل التشكيك أصلاً بحيث لو ادعى نبي من الأنبياء نقيض ما آمنت به هذه النفس واستيقنته ، وأظهر على صدق دعواه معجزة معانية ، لامتنت أن ترجح عن تصديقها ، بل شككت في معجزة هذا النبي ، بدل أن تشك في يقينها فعدتها شعوذة أو سحراً ، فذلك هو اليقين .

ولو خطر لهذه النفس ، وهي بإزاء المعجزة التي يظهرها من يدعي إثبات نقيض اعتقادها أن الله ربما يكون قد أطلع هذا النبي على سر

هذا المعنى المباشر أو المطابق للكلمة لم يفت جملة كتب اللغة التي اطلعنا عليها أن تثبت .

٣ — هذه الأقسام الأربعة المذكورة لأن كان قد ذكرها الراغب على جهة الحصر فعمل غير صحيح ، لأنه لم يذكر من بينها أشهر المعاني ، للحق ، وهو الموجود الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، سواء جمل اسماً من أسماء الله أم لم ينظر إليه كذلك وهو ما اشتهر ذكره عند المفسرين .

وإن كنا نرجح أنه ذكر الوجوه الأربعة المذكورة يريد بها الحصر لأنه أشار في مقدمة كتابه ، بما يفيد ظاهره أنه يستوفي معاني مفردات القرآن ، ولأن الاكتفاء بذكر عدد من الأقسام في مقام البيان يفيد الحصر . وبقى أن نسأل لماذا لم يرجع على ذكر المعنى المشهور مع أنه من المستحيل أن يكون قد جهله (١) .

صحيح أنه يمكن تفسير جميع كلمات الحق الواردة في القرآن وهي قريب من تسعين ومتى كلمة على أساس النظر لهذه الوجوه الأربعة .

لكن المعاني المحتملة الواقعة تحت اللفظ

(١) كان هذا الرجل باطنياً متفلسفاً على طريقة الحكماء فهل من المحتمل وجود صلة بين التعالم الباطنية والإعراض عن تسمية الله بالموجود الثابت الخ .

وفي كل الأحوال ، ويمتنع أن يخطر ببالها هذا الاحتمال .

والظن ما تسكن النفس لتصديقه على احتمال حصول نقيضه ، سواء شعرت بذلك أم كانت مستعدة للشعور به ، أما تصديق النفس بما اعتقدت تصديقا جازما لا تتأري فيه ولا تشعر معه بالنقيض أصلا ، إلا إذا حلت عقدتها أسباب التشكيك القوية ، فأورثها ذلك توقفا وتأملا ، وهي الحال الثانية التي أسلفنا ذكرها . فلم يستطع الغزالي - الذي تنقل عنه هذه الفكرة - كلها - أن يعتد بها يقينا ، وإن سماها اعتقادا جزما ، يتول الغزالي بالنص في تصوير التفرقة بين المرتبة الأولى والمرتبة الثانية في درجات التصديق - وهي كلة يجب الوقوف عندها طويلا ، وكافة الخلق إلا أحاد المحققين يسمون الحالة الثانية يقينا ولا يميزون بين الحالة الثانية والأولى ، والحق أن اليقين هو الأول والثاني مظنة الغلط ،

محمد سعاد جمل

للإسلام بقية

به انكشف له نقيض اعتقادها ، لو خطر لها مثل هذا الخطر في مثل هذا الموقف لم يكن الذي اعتقد يقينا ، ومثال ذلك التصديق بأن الشيء لا يكون قديما حادثا ولا موجودا معدوما ولا ساكنا متحركا في آن واحد ، وما كان أمرا من جنس هذا القبيل الذي لا يعقل أن يقبل التشكيك أبدا ولا يحتمل النقيض أصلا .

الحالة الثانية : أن تستيقن النفس بقضية من القضايا وتجزم بها وتستعصى على قبول التشكيك فيها في أول الأمر ، ولكنها إذا هوجمت بالتشكيك في اعتقادها بأسباب قوية ، استرخى مقادها وتوقفت تتأمل وتنظر ، لم يعتبر مثل هذا التصديق يقينا في الواقع وإذا كان الذي سكنت إليه النفس من المعتقد يسمى اعتقادا جازما ومنه اعتقاد كثير من أهل المذاهب في مذاهبهم الموروثة .

الحالة الثالثة : أن يكون للنفس سكون إلى الشيء والتصديق به - وهي تشعر بنقيضه أولا تشعر لكنها إذا شعرت بنقيضه ، لم ينفر طبعها عن قبوله فهذا - ما يسمى «ظنا» .

إذن : فاليقين ما تجزم به للنفس ، ولا تقبل التشكيك باحتمال نقيضه أصلا ودائما ،

خطأ في فهم التعبئة الروحية

للأستاذ محمد رجب البيومي

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك
من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك »
(قرآن كريم)

وإنسانيتها ، فأصبحت هدايا توزع على موائد
الصلح لتسام ما اعتادته من الذل والاستنزاف ،
في دنيا أهدرت بها الكرامة البشرية ، وتحكم
فيها الهوى الطامع بجبروته المبيد .

تنظر إلى الحضارتين ، شرقية وغربية ،
فتجد الحضارة الإسلامية قد أسعدت الأرض
لأنها استندت إلى دين عادل ، يجعل الناس
سواسية كأسنان المشط ، ويهدى الفوز
الغالب للذين لا يريدون علواً في الأرض
ولا فساداً في خير أمة أخرجت للناس ؛
ثم تلتفت يسرة ، لتجد حضارة أوروبا في حاجة
إلى قيم روحية تقدر مكارم الأخلاق ،
وتصون كرامة الإنسان أن تنحدر بها الأطماع
إلى مستوى الوحوش الضارية في الغابات ،
وقد ندد عقلاء المفكرين في الغرب بهذه
المدنية المادية التي تسود أوروبا اليوم ،
ورأوا بها من المييزات الجائحة ، هو لا أكثر
من هول الصواريخ والدبابات والطائرات ،
إذ تحللت من أكثر قيود الضمير الأدنى ،
وفسحت للغرائز الهابطة مجالاً شائناً تنحط به

تنظر إلى الحضارة الإسلامية في عصورها
السالفة ، فتجدها أنقذت الأرواح من مهاوى
الذلة ، وجعلت الفتوحات الحربية سبيلاً
إلى نشر المبادئ الإسلامية ، وإعلاء القيم
الإنسانية ، حتى سادت الناس في مختلف
الأصقاع المفتوحة روح من الكرامة المنصفة ،
والمساواة الزكية ، وعرف الأعجمي أنه نظير
للعربي يتمتع بحقوقه وينال مثل نصيبه ،
بل يفضل إن برز عليه بتقوى الله ، واستقامة
القصدي ، ثم تنظر إلى حضارة أوروبا في القرن
العشرين ، فتجد ذاتاً تطلق إلى فرائسها
الطاوية في الأمم المغلوبة لتنقض عليها تمزيقاً
بالأنياب وولوغاً في الدماء ، ثم تتعارض
الأطماع ، وتتنازع الأهواء تسكالياً
على الفريسة الجريحة ، فتسود الحرب
بين الأقوياء ، ليصطلي بنارها الذئب والحمل
والمذنب والبريء ، وتنكشف المعركة عن
غالب يستشري شره ، فيجمع قواه لينقض
من جديد على فرائس ضعيفة ، غلبت على
أمرها ، وعاث الاستعمار برجولتها وثروتها

طريقا غير طريقها الصحيح ، إذ لا يرجع بها إلى مبادئ الإسلام ، للقوية ، من حرص على الحياة الجادة ، وطلب للعمل المثمر ، واعتصام بالخلق الديني في خوض غمار الحياة معاملة وتعلما واختراعا واكتشافا واستثمارا بل يرجع بها إلى التصوف وحده ثم يفيض في شرح أمور التصوف من مقامات وأحوال وزهد وفقر وتوكل ، ويرى ذلك كله سبيل للتعبئة الروحية في العصر الحديث .

وأما قبل كل شيء — لا أنكر نزاهة التصوف الجاد ، ولا أحارب التأليف في ميزانه وأحواله ، والكشف عن روحانيته واستشفافه ولا أمتنع التعريف برجاله وأبطاله ففي المتصوفين السابقين قم عالية ثابرت وناضلت حتى فتحت آفاقا من المثالية يستشرق لها المؤمن بروحه ، ويتطلع إليها ببصيرته ويلتمس في الحديث عنها سألما من ضيق وإمتاع من مشقة ، ولكني أعارض وأمتنع وأنكر أن تكون التعبئة الروحية في القرن العشرين مستوحاة من سلوك هؤلاء الزاهدين لأن التصوف — كما رسمه المؤلف في كتابه — رحلة انسحابية يترك فيها الصوفي أمور دنياه وهموم معاشه ليستشرق إلى المقامات والأحوال والفناء ١١ وديننا الإسلامى دين العمل والقوة والحياة ، وسبيل ذلك أن نخوض تيار الوجود فنتمتع بما أحل الله من الطيبات ، ونقود الإنسانية إلى مرادها

المتع المسفة ، وتفكك به الأواصر المشتجرة ، فإذا الانحلال النفسى ينخرق الكيان الناهض ، ويوشك أن يمد به إلى القاع السحيق ، وإذا كانت الحضارة المادية قد أخذت هلينا السبيل في بلاد الإسلام ، فلن نعصم منها بغير تعبئة روحية إسلامية تعيد مجد العصور السالفة . وتقف سياجا حائلا دون البلاء الوافد ، والشر الهاجم ، ١٢ ذلك ما أجمع عليه الرأى في كل مكان ، فليس بيننا — والحمد لله — من يشك لحظة من جدوى التعبئة الروحية . بل تضافرت الجهود على الإشادة بها تأليفا وخطابة ومحاضرة وإذاعة ، حتى أصبحت من المسلمات البديهية في عهد الثورة والتحرير ، وصرت اليوم في غنى عن الإشادة بأثرها الموجه ، وضرورتها الملزمة ، ولكنى الآن بضدد معارضة من يفهمونها على غير وجهها الصحيح ، لأن العلاج الخطي " أشد خطرا على الجسم المريض من قسوة الدواء نفسه ، فإذا اتفقنا جميعا على ضرورة التعبئة الروحية فلا بد أن نتفق على طريقها الصحيح ، فلا نزل قدم بعد ثبوتها .

لقد أصدرت سلسلة " اقرأ ، في شهر ديسمبر سنة ١٩٦١ كتابا تحت عنوان " التعبئة الروحية في بناء المجتمع ، بقلم الأستاذ الدكتور حسن الأشموني ، فسارعت إلى قراءته في شوق وحمدة للدكتور الكريم حسن النية ، ولفظة المقصد ، وحسبه ذلك شرفا ، ولكنى وجدته يرسم للتعبئة الروحية

وإيضاحه ١١ وإذا قال ذلك فماذا يكون رد الجمهور المعبأ عليه ؟ قد يُوجّه مثل هذا الكلام إلى فنان شاعر يستلهم أشواقه ونوازهه في ساعات الصفاء ؛ أما أن يكون أساساً لتبعة المجتمع الإسلامي فن الذي يقول ؟ ومن الذي يسمع ؟

ويقول المؤلف الفاضل - ص ٢٢ -
« وليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع في عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة عداوة واحتقار ، فهذه كلها راسب ليس لها أساس من الدين الذي يدعو الناس إلى أخذ نصيبهم من الدنيا والسعى في منافعها ، وهذا قول صادق نباركه ، وندعو إلى المزيد منه ، ولو أن المؤلف قد اعتقده اعتقاداً جازماً ما جعل التبعة الروحية تدور على التصوف الانسحابي ؛ لأنه في كتابه هذا قد جعل السكبان الصوفي ينهض على أمور ثلاثة هي الفقر والزهد والتوكل ، وأفاض لإضافة واقية في خصائص كل أمر من هذه الثلاثة ، وكأنه أوجب على نفسه أن يحسنها إلى الناس بما مهد من مقدمات سرد من حكايات فالصوفيون عنده - أولاً - سعداء بفقرهم يجدون فيه مظهرأ من مظاهر قربهم إلى الله - ص ٣٩ - فقد سئل شقيق البلخي : بأي شيء يعرف الفقير أنه أصاب من الله تعالى حظ الفقر ؟ فقال بأن يخشى الغنى ويغتم الفقر !! وسئل أيضاً : بأي شيء يعرف العبد أنه

الطاعة ، فنعد لأعدائنا ما نستطيع من القوة ونعلى صروح العلم والخلق والضمير على هدى بصير من كتاب الله ، وذلك - أو بعضه فقط - ما يتعذر على الصوفي أن يقوم به في سبحاته الثابتة واعتزاله البعيد .

والن أشق على الدكتور الفاضل في سبيل إقناعه ، إذ أنني سأستعرض في إيجاز سريع من أقواله وحدها ، ما يتعارض ويناقض ، ولعله في نشوة هيامه الصوفي لم يلق بالال هذا للتعارض الصارخ ، فترك السطر من قوله يرد على السطر السابق أو اللاحق .

يقول الدكتور الأشموني - ص ١٤ -
« والتجربة الصوفية تجربة شخصية لا تخضع لأي نوع من القياس والبرهان ولا سبيل إلى وصفها ، فإن الحروف والألفاظ تعجز عن التعبير عنها ، وإبغائها حقها من البيان ، وأنا أقول في سهولة يسيرة : إن التجربة الشخصية التي لا تخضع لنوع ما من القياس والبرهان ، والتي لا سبيل إلى وصفها هذه التجربة لا تصلح أساساً للتبعة الروحية ، إذ أننا لو سلمنا فرضاً بصلاحياتها للمجتمع ، لا يمكن أن نجذب إليها الناس ، إذ كيف ندعوهم إلى شيء غامض لا تقدر على وصفه ، وهب أن المدرس أو الواعظ أو الكاتب قد اقتنع بضرورتها وأراد أن يطبع الناس بطابعها ، فإذا يقول لهم ١٩ ، أيقول : إنني أدعوكم إلى شيء بعيد خفي لا أقدر على وصفه

على وجهه اللغوى ، فإذا به ينقله إلى معنى التواكل بما ساعد من أمثلة ، فأصبحنا منه على خطر حقيق ، وإليك بعض ما قال .

(١) سئل أبو عبد الله الجلاء - ص ٤٦ -

ما تقول فى الرجل يدخل البادية من غير زاد فقال . هذا من فعل رجال الله عز وجل ، فإن اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق ، فعاد السائل يقول . فإن مات ؟ فأجابه . الدية على القاتل ، والقاتل هنا من ؟ هو الله عز وجل .

(ب) - سقط درويش فى نهر دجلة ، فصاح به رجل على الشاطئ . رآه لا يعرف السباحة . أتريد أن أدعوك من يخرجك إلى الشاطئ . فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل ، أتريد أن تغرق ؟ فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل فماذا تفعل إذن ؟ فقال الدرويش . يفعل الله ما يشاء فما شأنى بإرادتى .

وإنى لأنساءل بعد ذلك إذا كان الفقر والزهد والتواكل طريق التصوف كما رسمه المؤلف ، فلماذا ذكر قوله السابق - ص ٢٢ - : ليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبض فى عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة احتقار ، والصوفيون باعترافه قد عاشوا فى العزلة ، ونظروا إلى الدنيا نظرة احتقار حين أقاموا صلاح أمورهم فيها على الفقر والزهد والتواكل ، فإما أن تكون الحياة الروحية التى تقوم عليها التعبئة الصحيحة غير حياة المتصوفين ، وهذا

اختار الفقر على الغنى ؟ فقال : يخاف أن يكون غنيا ، فيحفظ الفقر بالخوف كما كان من قبل يخشى أن يكون فقيراً فيحفظ الغنى بالفقر .

واللطيف أن الدكتور مع أفقه الواسع لا يزال يعتقد أن فقر الصوفى يدعو إلى تكبره على الناس فى القرن العشرين ، كما كان الحال فى العصور الأولى ، كأن أبناء هذا الجيل ينظرون إلى الانساحيين الفقراء نظرة رفيعة تجعل هؤلاء يشمخون ، ويتكبرون ، وإذا وقع بعض ذلك فى عصور باهرة حين كان لبس المرقعات نفرا أى نفرا ، أفيمكن أن يكون الفقر فى عصرنا هذا مدعاة الزهو بدنيا تتحفز إلى المجد ، وتنطلق إلى أبعد غايات الازدهار !

والصوفيون - ثانيا - سعداء عند الدكتور بزهدهم ، وليس معنى الزهد لديهم اجتناب ما حرم الله فقط ، ص ٤٢ ، فهذا ليس من الزهد فى شيء ! بل هو أول واجبات العبد ، أما الزهد الذى يعنيه الكاتب فهو ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا حراما كان أو حلالا ، فقد قال أبو سعيد الأعرابى . اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك ، واشتغالك بهوم الدنيا يقطعك عن أمور الآخرة !

والصوفيون - ثالثا - سعداء بتوكلهم عند المؤلف ، وكنت أظن التوكل مفهوما لديه

فأعلن أن المؤلف - كما يظهر - أراد شيئاً ، ثم ساقه اطلاعه العاجل إلى أشياء ظنها مما أراد ، فأوقعته في هذا الحرج الشاق ، فقد فقد قال في - ص ١٥ - مانصه ، ونحن لانجانب الصدق إذا قلنا إن التصوف يستطيع أن يكون قوة دفع تخدم جميع أهداف المجتمع حتى المادية منها ، فليس من شك في أن بناء المجتمع بناء قويا متيناً عزيز الجانب يرجع إلى مدى ما يكون لأفراده من صفاء النفوس ومثانة الخلق ، واستعداد للتضحية وإنكار الذات ، وهي كلها صفات يتصف بها الصوفية ويأخذون أنفسهم بها ، ويروضون مرديهم عليها ، وهكذا تستطيع الحياة الروحية أن تسلك طريقها إلى المشاركة في مطالب الحياة اليومية ، فتؤدي إلى تدعيم أركان المجتمع ، وتحقيق خيره ، بدل أن تكون دافعا إلى العزلة والعزوف عن الدنيا .

فهذا الكلام في غاية النفاسة والسداد ، لو أتبع ذلك بصفحات تصور صفاء النفس ومثانة الخلق والاستعداد للتضحية وإنكار الذات ، لتكون تطبيقاً واقعياً على ما يريده من غزو الفضائل الروحية للنفوس ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بل تكلم عن التصوف الاعتزالي وأقام دعائمه على الفقر والزهد والتواكل ، وشفع ذلك بعبارات التسايب والتجنيذ ، فكان كلامه السابق خطبة عرش ملكية

ما نعتقه جازمين ، وإما أن يكون التصوف أساس هذه الحياة ، وقد كشف الدكتور عن علاماته الثلاث . وهو بها لا يخرج عن العزلة والاحتقار ، أفلا يلبس القاريء تضاربا صريحا بين القاعدة والمثال ، وتناقضا صارخا بين السطور والصفحات !!

وكأن بالدكتور الأشموني ، وقد أحس ذلك في أعماقه ، ولكن هيامه بالتصوف الانسجاني جعله يتغافل كثيراً عن إيضاح مشاعره الدينية ، إذ أن بعض العبارات قد فُتت منه في سرعة عاجلة ، لتثبت شعوره الأصيل ، فهو يقول مثلاً - ص ٢٢ - ، وقد يرى القاريء في هذه الصورة - صورة التصوف - نوعاً من التطرف ، الذي يبدد في الانقطاع التام والقعود ، ولكنه يجد نفسه في النهاية وقد خرج بمزيد من معاني الحق والخير والجمال ، وشحنة هائلة من المثل والمبادئ ، التي اختص بها الصوفيون أنفسهم على توالي العصور ، والكانب الذي يحكم على التصوف بالتطرف حين يدعو إلى الانقطاع والقعود - وهما ما هما - ثم يفيض بعد ذلك في مزيا الزهد والفقر والتواكل لا ينسجم مع نفسه تمام الانسجام ، وأخشى أن أقول : إنه لم يتبين عاطفته الصريحة إزاء هذا الموضوع الدقيق .

وسأحاول جهدي أن أنصف الدكتور ، لأرفع هذا الخصام الموهوم بين الناقده والمنقود

بناء وخلق في المجتمع ، كان الصوفيون ينظرون إلى ذلك على أنه منهج خاص بهم يكفل لهم الوصول إلى غايتهم ، لا أسلوب للسلوك يجب فرضه على سواهم من الناس ، .. فالصوفية إذن لم يقصدوا أن يكونوا حملة لواء دعوة عامة ، .

وانما أن نقول بعد ذلك متعجبين : إذا كان الصوفيون ينظرون إلى طريقتهم ونزعاتهم في التهذيب الروحي على أنها منهج خاص بهم ، وأسلوب للسلوك لا يجب فرضه على سواهم ، فلماذا يجعل الدكتور من منهجهم ذلك طريقا للتعبد الروحية ، أليكون معهم ملكيا أكثر من الملك نفسه ؟ ثم ألا يكون لنا بعض العذر حين نقول إن فكرة الكتاب مرفوضة من أساسها لشيء واحد غير ما قدمناه وهو أن أصحاب الفكرة أنفسهم يعترفون ببعدها عن نطاق المجتمع ، ويؤمنون بأن منهجها لا يسير مع المنهج السوي المألوف ، وإذا تحمل المؤلف بأننا نستطيع أن نأخذ من صفاتهم بعض المحامد في للتعبد الروحية ، ثم نأخذ الصفات الأخرى من تعاليم الإسلام الاجتماعية ، فإننا نقول له : ما هذا العنت الشاق ؟ لماذا لا نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله مباشرة ؟ دون نظر إلى شيء خاص كالنصوف يعترف أصحابه أنفسهم بأنه بعيد كل البعد عن منهج الحياة ، ١

في المقدمة لاتجد التنفيذ في الأبواب والفصول فأصبح حينئذ غير ذي موضوع ١ .

ولو كان الدكتور جعل عنوان كتابه « نظرة في التصوف » ما كتبت حرفا واحدا في معارضته ، ولكنه صمم على أن يكون « التعبد الروحية في بناء المجتمع » ثم جعلها تركز على التصوف ، وهنا المشكلة ، وقد تعرض في باب التصوف والمجتمع - ص ٨٦ إلى مآزق ضيق لم يستطع الخلاص منه ولو راجع فكره في ثقة وإيمان ما سمح لقلبه بتسطير العنوان كما جاء ، ففي هذا الفصل ذكر في صراحة أن أهم ما يؤخذ على الصوفية « أنهم لم يشجعوا العمل والسعي من أجل الرزق ، وأمعنوا في التوكل غاية الإمعان ، وحرموا على أنفسهم الزواج على أساس أنه من العوائق التي تشغلهم عن الماضي في طريقتهم الروحية ، فالتصوف ينطوي على نظرة عداوة للعالم وإعراض عنها ، وقمع لشهوات البدن وأهواء الحس من أجل تنمية الروح » ثم قال في تقرير ذلك ؛ ما نصه : - ص ٩٠ - ونحن إذا حاولنا أن نقيم الصوفية من خلال هذه النظرة ، وجدنا أنه من الإنصاف أن نبدأ أولا ببيان أمرين نعتقد أنهما على جانب كبير من الأهمية ، وأول هذين الأمرين أن الصوفيين أنفسهم كانوا ينظرون إلى طريقتهم في التهذيب الروحي وإلى نزعاتهم التي تختلف أحيانا مع الطبيعة البشرية ونحول بينهم وبين أن يكونوا عوامل

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

أصول الإثبات والتعاقد في الشريعة الإسلامية

للمفتي محمد محيي الدين المصيري

ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ، سورة البقرة الآية (٢٨٢) .

فإننا إذا تعمنا فيما اشتملت عليه هذه الآية من مبادئ قانونية في الإثبات والتعاقد نجد أنها دستور للعاملات بين الأفراد وسنوضح فيما يلي أهم هذه المبادئ ، التشريعية والنظريات الفقهية .

صبراً على إثبات بالكتابة :

فرضت الشريعة الإسلامية الكتابة وسيلة لإثبات الدين المؤجل مهما كانت قيمته ، وذلك قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وقوله جل شأنه : ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ويدخل تحت لفظ الدين ، كما نعرف ، كل التزام أيا كان نوعه فيدخل تحت لفظ الدين الرهن والقرض والبيع بشئ مؤجل والتعهد بعمل وغير ذلك من أنواع الالتزامات .

وظاهر من هذا النص أنه نص عام ومرن إلى آخر حدود المرونة والبساطة ، وأنه يصلح للتطبيق في كل حين وهذا أحد مميزات الشريعة التي هيأتها لتكون غير قابلة للتعديل والتبديل .

الشريعة الإسلامية تسير كل تطور سليم صحيح ، وقد سبقت شرائع الأمم الأوروبية . ولم تقلد أو تتغير بل تغيرت تلك القوانين والتشريعات على مر الأيام ، هذه الشريعة الغراء أنت بأحكام هامة في الإثبات والتعاقد وردت جميعها في القرآن الكريم في آية الدين وهي قول الله تعالى جل شأنه : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب أن يكتب كما عليه الله فليكتب ، وليلل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل أحدهما فتذكر أحدهما الأخرى ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ،

سياسية واجتماعية وقانونية ، وهذه النظرية التي نزل بها القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام في القرن السابع الميلادي هي من أحدث النظريات في القوانين الوضعية وفي المذاهب الاجتماعية الحديثة ، فالدول قد بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تفرض على شعوبها أن يتعلموا تعليماً إجبارياً رجالاً ونساءً ، وهذا الذي تفرضه الدول على الشعوب إنما هو تطبيق للنظرية الإسلامية في ناحيتها السياسية والاجتماعية . وقد بدأت الدول تأخذ بالناحية القانونية للنظرية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حين اشترط القانون الفرنسي الذي أخذت عنه القوانين الأوروبية أن يكون الدين مكتوباً إذا زاد عن مقدار معين ، ولكن شراح القانون رأوا أن نظرية الإثبات بالكتابة تكون أكمل وأكثر توفيقاً لو اشترطت الكتابة في الصغير والكبير على السواء ، وظلوا ينادون برأيهم هذا حتى حققته أخيراً بعض دول أوروبا ، ولا يزال الشراح في الدول الأخرى ينادون به ويأملون تحقيقه .

ويتضح مما سبق أن أحدث نظريات الإثبات في عصرنا الحاضر هي نفس نظرية الشريعة الإسلامية أخذت بها بعض القوانين الوضعية ولا يزال للشراح في بعض الدول يطالبون دولهم أن تأخذ بها .

ولنرجع بعيداً إلى اليوم الذي نزل فيه هذا النص على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنجد أن العرب كانوا أميين يعيشون في أعماق البادية ، وفي خشونة من العيش ، وأن المعاملات تقل بينهم بحيث أنهم في غنى عن تشريع خاص ينظم شئونهم ، ولكن هذا السمو الذي امتازت به شريعتنا الغراء عن كافة الشرائع الأخرى بإتيانها هذا النص وتنظيمها شئون المعاملات بين الأفراد إنما أنت به شريعة كاملة دائمة تصلح للتطبيق على كافة الشعوب والأمم وجميع العصور والأزمنة . فالشريعة الإسلامية هنا تميزت على القانون إذ أن القانون يأتي على قدر حاجة للناس له ، بينما هي في هذا المقام لم تأت لتتفق مع أمية العرب وجهلهم وإنما جاءت شريعة كاملة صالحة للتطبيق في كل حين كما أن هذا النص شرع لحكمة سامية ، فالشريعة الإسلامية - شريعة الأمم الناهضة الربانية - فرضت الكتابة بين الأميين لتحملهم على أن يتعلموا فتتسع مداركهم وتنقف عقولهم ، ويحسنوا فهم هذه الحياة الدنيا فيصبحوا وقد تعلموا أهلاً لمنافسة الأمم الأخرى وللتفوق والسيطرة عليها وخلافة الله في الأرض ، وهذه أغراض اجتماعية وسياسية ، أما الغرض القانوني فهو حفظ الحقوق وإقامة الشهادات والابتعاد عن الربب والشكوك .

فالشريعة حين أوجبت الكتابة في الصغير والكبير جاءت بناظرية عظيمة ذات وجوه

مبدأ إثبات الدين التجارى :

اشتطت الشريعة كما بينا آنفا الكتابة لإثبات الدين سواء كان الدين صغيرا أو كبيرا ، ولكنها استثنت من هذا المبدأ العام حالة الضرورة ، وذلك قوله تعالى « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فإلهان مقبوضه ، فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته » ، كما استثنت الشريعة أيضا من مبدأ الإثبات بالكتابة الدين التجارى فأباحث إثباته بغير الكتابة وذلك فى قوله تعالى جلت قدرته « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها » ، والحكمة من هذا الاستثناء أن الصفقات التجارية تتطلب السرعة ولا تحتمل الانتظار ، ولأن المعاملات التجارية أكثر عددا وتنوعا ، فاشتراط الكتابة فيها يؤدى إلى الحرج وقد يضيع فرصة الكسب على المشتري أو يعرض البائع للخسارة ، ومن أجل هذا لم تقيد الشريعة المرة المتطورة الكاملة المعاملات التجارية بما قيدت به المعاملات المدنية من اشتراط الكتابة .

ويتضح من هذا النص المتقدم مرونته وعموميته إلى آخر الحدود بحيث لا يحتاج إلى التعديل أو التبديل ، وليس أدل على ذلك من صلاحيته لوقتنا الحاضر مع أنه نزل منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ومن يعرف شيئا عن تاريخ العرب وحالهم وقت نزول هذا النص يعلم تمام العلم أن النص لم ينزل مجازاة لحال الجماعة أو تمشيا مع ما وصلت إليه ، وإنما كان نزول النص ضرورة لتكامل الشريعة الدائمة المتطورة ولرفع مستوى الجماعة ، وتوجيهها الوجهة الصالحة . وليس أدل على سمو الشريعة وكالها من من أن نظريتها فى إثبات الدين التجارى هى نفس النظرية السائدة اليوم فى القوانين الوضعية الحديثة وأنها تعتبر أحدث ما وصل إليه القانون الوضعى فى عصرنا الحاضر .

مبدأ البينة على المدعى :

من المبادئ المقررة فى الفقه الإسلامى أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن البينة على المدعى » . رواه البخارى ومسلم . وللبهق بإسناد صحيح : « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » .

ويقول الأستاذان بيدان وپرو : جزء تاسع فقرة ١١٥٩ ص ٢٣١ هامش رقم ١ فى القانون المدنى الفرنسى : (إن القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى ليست ، كما قد يتوهم ، من القواعد التى كانت مقررة فى كل العصور . فهى لم تظهر فى القانون الرومانى إلا منذ

نظم القضاء تنظيما خاصا ، وإلا بعد أن برز المبدأ الذي يقضى بحماية الأوضاع الظاهرة . ولعل ذلك يكشف عما للفقهاء الإسلاميين من فضل التقدم ، فقد قرر هذه القاعدة منذ البداية ، في عصر لم تكن فيه معروفة في أوروبا ، وقد أخذت سائر القوانين الحديثة بهذا المبدأ ، فالمدعى هو الذي يحمل في الأصل عبء الإثبات ، سواء كان دائنا يدعى ثبوت الدائنية أو مدينا يدعى التخلّص من الدائنية . كما تقول المادة ٣٨٩ مدني مصرى .

نظريته من الملتزم في أمراء العقر :

جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ عام أوجبه في كتابة العقود هو أن يملئ العقد الشخصى الذى عليه الحق ، أو بمعنى آخر أضعف الطرفين ، والمقصود من هذا المبدأ العام هو حماية الضعيف من القوى ، فكثير ما يستغل القوى مركزه فيشترط على الضعيف شروطا قاسية ، فإن كان دائنا مثلا قسا على المدين ، وإن كان صاحب عمل سلب العامل كل حق واحتفظ لنفسه بكل حق ولا يستطيع المدين أو العامل أن يشترطا لنفسهما أو يحتفظا بحقوقهما لضعفهما ؛ فجاءت الشريعة وجعلت لملاء العقد للطرف الضعيف ، لتحفظ به حقوقه . ولتحميه من التورط ، ولتكون شروط العقد معلومة له حق العلم وليقدر ما التزم به حق قدره .

أخذ البريطور Prétur يحمى مجرد الحياة فيحمى الوضع الظاهر ، وعندئذ ألقى عبء الإثبات على من يدعى خلاف الظاهر ، أما في القانون الفرنسى القديم ، فقد كانت العادات القديمة تجعل عبء الإثبات على المدعى عليه لا على المدعى ، وإن كان ذلك يبدو غريبا ، وهذا بسبب الصبغة الجنائية للدعوى في القديم مما نزل بوضع المدعى عليه دون وضع المدعى بل إن هناك من الوثائق التى ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى ، ما يثبت أن دعوى الاستحقاق التى يكلف فيها المدعى بإثبات ملكيته لم تكن ترفع ، وفقا لهذه العادات القديمة ، إلا ضد الحائز بسوء نية أو الحائز ضد القانون ، مما يحمل على الظن بأن الحائز هو الذى كان عليه أن يثبت أن حيازته مشروعة . ولم تظهر القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى فى القانون الفرنسى القديم إلا تدريجا فى العصور الوسطى ، تحت أثر إحياء القانون الرومانى ، وبفضل القانون الكنسى بوجه خاص (انظر فى ذلك رسالة ثفينيه Thévenet فى نظرية عبء الإثبات ، ليون سنة ١٩٢١ ص ١١ وما بعدها) . وينتهى الاستاذان بيدان وپرو إلى القول بأن من الخطأ حسابان القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى من القواعد التى تملأ البدهة وتقضى بها طبيعة الأشياء ، فإن الواقع من الأمر أن هذه القاعدة لم تظهر إلا بعد أن

من المشكلة نواحى هامة كأجر العامل وساعات العمل ومدة الإجازات وغيرها فيحاول العمال من ناحيتهم حلها بتأليف النقابات والاتحادات ، ويرى العمال أن حل مشاكلهم لن يتأتى إلا إذا كان لهم حق إملاء شروط عقد العمل ويظاھروهم على ذلك بعض المفكرين والكتّاب ، فهذا الحق الذى يطالب به العمال فى كل أنحاء العالم والذى حققه القانون الوضعى بعضه ولم يحقق بعضه الآخر والذى يأمل العمال أن يتحقق كله إن قريبا أو بعيداً ، هذا الحق قرره الشريعة الإسلامية كاملاً للضعفاء على الأقوياء وللمتزمين على الملتزم لهم ، وجاء به القرآن الكريم فى آية الدين « وليلل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يعمل هو فليملل وليه بالعدل » .

وظاهر أن صيغة النص بلغت من العموم والمرونة كل مبلغ وهذا هو الذى جعل الشريعة تمتاز بأنها لا تقبل التغيير والتبديل .

وجود هذا النص فى الشريعة دليل قاطع على سموها وكمالها ورفيها وعدالتها ، فقد جاءت به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً بينما القوانين الوضعية لم تصل إلى تقرير مثله حتى الآن مع ما يدعى لها من الرقى والسمو .

ولنا أن نقول إن الشريعة الإسلامية

وهذه الحالة التى عالجتها الشريعة من يوم نزولها هى من أهم المشاكل القانونية فى عصرنا الحاضر ، وقد برزت فى أوروبا فى القرن الماضى على أثر نمو النهضة الصناعية وتعدد الشركات وكثرة العمال وأرباب الأعمال ، وكان أظهر صور المشكلة أن يستغل رب العمل حاجة العامل إلى العمل أو حاجة الجمهور إلى منتجاته ، فيفرض على العامل أو على المستهلك شروطاً قاسية ، يتقبلها العامل أو المستهلك وهو صاغر ، إذ يقدم عقد العمل أو عقد الاستهلاك مكتوباً مطبوعاً فيوقعه تحت تأثير حاجته للعمل أو حاجته للسلعة ، بينما العقد يعطى لصاحب العمل كل الحقوق ويرتب على العامل أو المستهلك كل تبعات ذلك العقد الذى نسميه اليوم فى اصطلاحنا القانونى عقد الإذعان .

وقد حاولت القوانين الوضعية أن تحل هذا المشكل ، فاستطاعت أن تحل بين المنتج والمستهلك بفرض شروط تحمى المستهلك من المنتج ، وتعيين سعر للسلعة ، ولصونها لم تستطع أن تحل إلا بعض نواحى المشكلة بين أصحاب العمل والعمال ؛ مثل إصابات العمال والتعويضات التى يتسحقها العامل إذا أصيب أو طرد من عمله ، لأن التدخل بين صاحب العمل والعمال فى كل شروط العمل مما يضر بسير العمل والإنتاج ، وبقيت

الشريعة في تحريم شهادات الزور ، أو كتمان الشهادة ، ولكنها لم تصل بعد إلى تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة ، ولا شك في أن الشريعة تفهّم على القوانين الوضعية من هذه الوجهة . فإن المصلحة العامة تقضى بالتعاون على حفظ الحقوق ، وبتسهيل المعاملات بين الناس ، والامتناع عن تحمل الشهادة يؤدي إلى تضييع الحقوق ، ويؤدي إلى تعقيد المعاملات وبطئها ، وهناك عقود لا بد فيها من حضور الشهود كعقد الزواج ، فإذا كان الامتناع عن تحمل الشهادات مباحا تعطلت هذه العقود .

هذه أربعة مبادئ ونظريات جاءت بها آية واحدة من القرآن الكريم وهي آية الدين . أخذت القوانين الحديثة باثنين منها وبدأت تأخذ بالثالثة ولم تأخذ بعد بالرابعة . وليست هذه النظريات الأربع كل أحكام آية الدين وإنما هي بعض أحكامها ، فالآية تشترط أن يكون الكاتب محايدا عدلا عالما بأحكام الشريعة فيما يكتبه ، وتوجب عليه أن لا يمتنع عن الكتابة وتشترط أن يشهد على سند الدين رجلان أو رجل وامرأتان وتوجب عدم الإضرار بالكاتب أو الشاهد ، وهذه كلها مبادئ عامة لا نستطيع أن نستعرضها بالتفصيل لأن مجاله الكتب .

محمد محي الدين المصري

ماهى إلا شريعة عالمية إنسانية قد قررت بهذا المبدأ وغيره مبادئ العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعى فى أسى صوره .

نظريّة تحريم الامتناع عن تحمل الشهادات

حرمت الشريعة على الإنسان أن يدعى للشهادة فيمتنع عنها أو أن يشهد واقعة فيكتمها أو يذكرها على غير حقيقتها ، وقد نص على الحالة الأولى في آية الدين في قوله تعالى جل شأنه « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » والمقصود إباءهم حينما يدعون ليشهدوا انصرفا ما أو واقعة معينة ، فالنص جاء خاصا بتحمل الشهادة وليس خاصا بأدائها . أما الخاتمان الثانية والثالثة فقد نص عليهما في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » سورة النساء الآية ١٣٥ ، وهذه الآية للكريمة خاصة بالحالة الثالثة ، أما الحالة الثانية فقد قال الله تعالى في محكم كتابه في سورة البقرة « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » . الآية ٢٨٣ .

والنصان الأخيران خاصان بتحريم شهادة الزور ، وبتحريم كتمان الشهادة أو الامتناع عنها . والقوانين الوضعية اليوم تأخذ بنظريّة

مَحْثُ مُقَارِنٍ فِي الْمَنَازَعَاتِ الدَّوْلِيَّةِ

لِلأَسَازِ مُحَمَّدٍ وَفَاوِي عَسَر

الدول والمنظمات الدولية والإقليمية ، وهي قواعد تتجدد وتتطور حسب الاحتياجات البشرية ، وهذه العلاقات ترسم ما يجب على الدول اتباعه إزاء غيرها في السلم وفي الحرب على السواء .

وقد تناولت المعاهدات بعض القواعد التي تحكم العلاقات التي تربط بين الدول الواقعة عليها . ولم يكن يحمى هذه المعاهدات إلا ضمير الشعوب وكثيرا ما كان هذا الضمير يغفو أمام الأنانية وإيثار المصالح الخاصة .

ثم هناك المنظمات الإقليمية بكجامعة الدول العربية التي تضم هذه الدول باعتبارها مجموعة من الدول ذات المصالح والأهداف المشتركة والتي تتركز في منطقة واحدة من العالم . ولم تصل هذه المنظمة إلى الحد الذي يجعل قراراتها واجبة التنفيذ ويحمل الدولة التي تخرج عن التزاماتها تبعات قانونية ، رغم كل الجهود التي تبذلها الشعوب العربية وذووا الشجاعة من قادتها للنهوض بها إلى المسكنة التي تجعل منها أداة لها فاعليتها في إقرار السلم العالمي . وإنه وإن كانت آراء أعضائها في

د. يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

فالعائلة الدولية - وهي مكونة من جماعات هي الدول - نشأت بينها علاقات مختلفة نتيجة حتمية لوجودها جنبا إلى جنب وعدم إمكان الوحدة منها أن تستغنى عن الأخرى ، وفي نواحي الحياة المادية والمعنوية تظهر حاجة كل دولة منها إلى الدول الأخرى . ومن ثم لا يمكن الدولة أن تعيش أو تنمو وهي بمنزل عن مجموعة العائلة الدولية .

وقد كانت العلاقات الدولية في أول الأمر قليلة نادرة الحصول قاصرة على الدول المتجاورة ، وذلك لبطيء المواصلات وعدم توفر الثقة بين الدول ، فلما زادت سرعة المواصلات نشطت التجارة الدولية وتعددت حالات الاتصال بين الدول ، وأحكمت الروابط بينها الاكتشافات العلمية والأعمال الفنية والأدبية وتعدد المصالح والمشارب . إزاء ذلك لم يكن من الممكن أن تبقى هذه العلاقات الدولية المتعددة فوضى بلا قواعد تحكمها ، ومن ثم نشأت قواعد القانون

زمان ولكل مكان الذى لم يترك شاردة ولا واردة إلا عالجهما وجعل لها قواعدها وآدابها بما يكفل سعادة البشرية ، ويحفظ للإنسانية عظمتها ، ويقضى على ما يعترضها من أسباب النزاع والضعف .

هذا الدين لم ينكر وجود دول متعددة المصالح متنافرة المشارب ، ولكنه أمر بأن يقوم بينها السلام ونقوى بينها الصلات الودية . وفى القرآن الكريم دعوة صريحة إلى قيام وحدة أمم إسلامية لإصلاح حالها ، ونزع الاحقاد من قلوبها ، وعقد الصلات الودية والروابط الدينية وكف يد الظلم والعدوان بالقوة والسلطان . فقد قال تعالى فى سورة الحجرات : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما - فإن بغت إحداهما على الأخرى فماتتا فماتت الأولى التى تبغى حتى توفى إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واثقوا الله لعلكم ترحمون » .

وكان نزول هاتين الآيتين عند ما اقتتل طائفتان من الأوس والخزرج بالجرير والنعال عقب نزاع ، فكره الله منهم ذلك وأنزل هاتين الآيتين .

وقد كان بين الأوس والخزرج نزاع دموى طويل قبل إسلامهما - وتمسك النبي صلى الله عليه وسلم من إحلال الوئام والمودة بينهما

المحيط الدولى تعتبر آراء فردية فإنها فى أغلب الأحوال متناسقة مع بعضها .

وهناك أيضا المنظمة الدولية - وهى الأمم المتحدة وفروعها - وميثاقها الذى ترتبط به الآن مائة دولة من دول العالم يجعل لها حق التدخل لفض المنازعات الدولية بقرارات لها قوة إلزامية ، وحق إعلان الحرب ، وتوجيه الجيش الدولى لضمان احترام قراراتها ولرد العدوان ودفع الاعتداء - وقد أشار إلى ذلك نص المادة ١٠٤ من ميثاقها : (تتمتع الأمم المتحدة فى أرض كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التى يتطلبها قيامها بأعباء وظائفها وتحقيق مقاصدها) وحتى تتمكن الأمم المتحدة من إيجاد الجيش الدولى الدائم ، فإن قراراتها لا تكون لها قوة القس والإلزام إلا بمساندة الضمير العالمى .

هذا هو أقصى ما وصل إليه العالم الحديث فى قوانينه الوضعية - هذا العالم الذى أتى بالمعجزات فى كل علم وفن - عجز أن يهيئ لنفسه أسباب الاطمئنان ، والعيش الهادىء الكريم ، والسمو بالعلاقات الدولية فوق مستوى النزوات والمصالح الفردية .

هذا هو أقصى ما وصل إليه القانون الوضعى فى العلاقات الدولية . أما دستورنا السارى فكان له معها شأن آخر يتفق مع مبادئ الإسلام القويمة - هذا الدين الصالح لكل

المزايا قد سعد بها المسلمون الأولون ورفعتهم إلى مراتب الحضارة السامية وأنزلتهم معاقل المنعة فسادوا العالم ورفعوا لواء العرفان ونشروا نور القرآن في كل مكان .

وقد حجب الله التأخى بين المسلمين وأمرهم بحسن التعارف والتنافس لما فيه خيرهم - كما في قوله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كلكم لآدم - وآدم من تراب . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

فالاصل واحد وإن تفرقت الشعوب والقبائل والطوائف - صلاتها يجب أن تقوم على التأخى والتعاون وحسن الجوار .

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : إذ التقى المسلمان بسيفيهما فالتقائل والمقتول في النار .

وحكمة الإسلام في ذلك عظيمة - فالمسلمون أمامهم تبعات كبيرة ومسئوليات جسام في سبيل إعلاء شأنهم وتبوء المركز الكبير الذي أراده الله لهم دكتهم خير أمة أخرجت للناس ، . يجب ألا يشغلهم عن ذلك شاغل من خصومة أو منازعات شخصية - ومن واجبههم التنافس في السير قدما في ركب الحياة بما يحفظ لهم دينهم ودنياهم ويعلى كلمتهم بين الطوائف الأخرى التي تتربص بهم الدوائر وتسعى لإذلالهم وإضعافهم وإحلال التفرقة بينهم محل

إلى أن ثار هذا النزاع الذي أنزل الله فيه الآيتين نصحا لها ودستورا إسلاميا يجب على المسلمين اتباعه والأخذ بمبادئه - فقد افترض الله وقوع مثل هذه المنازعات بين طوائف المؤمنين ودولهم وشيعتهم إلى الحد الذي يشير الحرب بينهم ، وأبان لهم ما يجب حمله ، وما يجب على باقي المسلمين القيام به . فأمر بالتدخل بين المتخاصمين بالصلح - فإن ركبت إحدى هذه الطوائف رأسها وأصرت على البغى والمعدوان ، ولم يجد معها نصح أو إرشاد فقد أرجب الله قتالها حتى تصحو من غفوتها وتعود إلى ما أمر الله به وتنتهى عما نهى عنه ، حتى إذا توقف النزاع أمر سبحانه وتعالى بالصلح والتوفيق بين المتنازعين - واشترط أن يقوم هذا الصلح على العدل وإظهار الحق وإنصافه حيث أن الله يحب المقسطين ، ثم ذكرهم بأن المؤمنين أخوة لا يجوز لهم أن يتطاحنوا ويقتتلوا بل هو تراحم وحسن جوار ومناقسة في الخير . وقد جاءت هاتان الآيتان بمبادئ هامة في العلاقات الدولية وفي أسس التحكيم والتدخل في المنازعات الدولية - ووضعت لها آدابا لم تصل إليها القوانين الوضعية حتى الآن . وكل مزية من هذه المزايا عنصر من عناصر السعادة الحقة ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة - وهذه

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن الدين الإسلامي كان سمعاً مع الطوائف غير المسلمة التي تعيش في أرض الإسلام حيث آمنهم على أموالهم ومعايهم وخلي بينهم وبين شعائرهم الدينية . كما أن المسلمين كانوا كراماً مع جيرانهم من الدول الأخرى إن هي جنحت للسلم . ومن أمثلة ذلك أنه لما ترك ملك الروم الحرب وكاتب عمر بن الخطاب وتقرّب إليه أجاب طلبه وحقق رغبته وسير إليه البريد بما يريد ، وتمادت زوجته أم كلثوم بنت علي وملك الروم - كما أنه عندما تضرع ملك الباب (ثغر عظيم على بحر الخزر) إلى عمر ابن الخطاب تنازل له عن الجزية لقاء مساعدته على حرب المشركين .

وأخيراً فإن السلف الصالح من فقهاء المسلمين قد شرعوا - على ضوء المبادئ الإسلامية - أدق القواعد في القانون الدولي والعلاقات الدولية - منها كتاب السير الكبير للإمام محمد بن حسن الشيباني ، وهو أحد علماء الحنفية في عصر هارون الرشيد ؛ الذي تكلم في أحد أجزاء كتابه عن الأمور التي تحصل في دار الحرب ولا تحصل في دار الإسلام ، وعن الأمان وعقد الذمة وعقد الصلح وما ينبغى في ذلك كله .

الطيب

محمد فاوي عسر

إدارة أسلحة وإمدادات الشرطة بالقلمة

التعارف والتآخي . ومن فضل الإسلام على المسلمين أنه آخى بينهم وجمع كلمتهم - في أحد المواسم ، جاء مكة نفر من الخزر حيث قابلهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، ودعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا : إنما قد تركنا قومنا وليس قوم بينهم من العداوة والشرك ما بينهم ، فغسى أن يجمعهم الله بك . فستقدم عليهم . فندعوه إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك .

فلما عادوا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ودعوه للإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله .

كما أنه عليه السلام لما هاجر إلى المدينة آخى بين المهاجرين وبين الأنصار من أهل المدينة - فقال : تآخوا في الله أخوين أخوين - ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي .

وجعل صلوات الله وسلامه عليه التآخي ينبغ عن القلب - تحسه كل جوارح النفس ومنه قوله : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . وقوله : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً .

سُلْطَانُ الضَّمِيرِ

لِلأَسْتَاذِ سَعْدِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْجِزَاوِيِّ

إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً .

وفي التشريعات الإسلامية فسرت السنة المطهرة مايجب على الأفراد من طاعة أولى الأمر ، وحددت هذه الطاعة فيما يعود على الفرد والأمة بالخير والمنفعة ، وإن كان في ذلك مشقة على النفوس ، على شريطة ألا تكون في هذه الطاعة معصية تغضب الخالق ، أو تهدم ركناً من أركان التشريع السماوي . وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على الأمر المؤمن فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، ومثل : « السمع والطاعة على الأمر المؤمن في المنشط والمكروه ما لم يؤمر بمعصية ... ، ومثل : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وإن كانت تشريعات سوق الأفراد إلى القتال حفظاً لكيان الوطن ، أو دفاعاً عن العقيدة . فيها مشقة على بعض الأنفس ، فإن طاعة هذه القوانين واجبة لما فيها من قيام بعمل يحفظ كيان الأمة التي ينتمى إليها الفرد .

يخضع الإنسان فيما يصدر عنه من تصرفات إلى سلطانين :

أحدهما : سلطان « القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة » .

والآخر : هو « سلطان الضمير » .

وسنكتفي هنا بإشارات عابرة عن سلطان القوانين ، لأن تفصيل ذلك مجال بحوث المختصين بالدراسات القانونية :

إن القوانين في مجموعها تختلف باختلاف الأزمان والبيئات ، ومصادرها الأساسية إما وحى من الله يبلغه الرسل الكرام إلى أممهم ، وإما أوامر رؤساء الدول . وطاعة هذه القوانين واجبة بأمر من الله تعالى على كل فرد من أفراد الأمة أو المجموعة الذين تصدر من أجلهم . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » .

غير أن الآية عادت لحددت - ضمناً للعدالة في تشريعات أولى الأمر - أن تكون هذه التشريعات مستمدة من روح التشريعات السماوية ، غير بعيدة عن خطوطها الأساسية : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول

ولكننا نسأل أنفسنا :

هل من الممكن أن يكون هذا السلطان المستمد من القوانين واللوائح والقوانين المختلفة ، على ما في مخالفته من عقوبات تتفاوت من وقف التنفيذ ، إلى الإعدام ؟ هل من الممكن أن يكون هذا السلطان ، وحده كفيلا بأن يلزم كل امرئ حده ، ويكف عن العدوان على الغير ؟؟

هل في سلطان للقوانين ما يبعث الرهبة دائما في أعماق النفس لتكف عن ارتكاب الجرائم ؟

إن الواقع الملبوس يقول : لا !!
استمع إلى الإمام محمد عبده يقول : ليست القوانين التي تفرض العقوبات على الجرائم ، وتقدير المغارم على المخالفات ، هي التي تربي الأمم وتصلح من شئونها ، فإن القوانين لم توضع في جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والستقطات .

ثم يقول : « وأما القوانين العامة المصلحة فهي نوااميس التربية المالية في كل أمة » . ثم استمع إلى طه الهاشمي في إحدى محاضراته بجامعة آل البيت بالعراق رداً على « سبنسر » فيما ذهب إليه من أن المجتمعات يمكن أن تأسس بقواعد تستمد من الوجدان ، ومن مشاهدة سنن الطبيعة ، ومن سلطة المجتمع دون حاجة إلى وازع من دين :

كذلك التشريعات التي تحدد من عبث العابثين بمصالح الأمة ، وتضرب على أيدي الذين يتآمرون في الخفاء للوصول إلى أغراض ذاتية سواء أكان ذلك بالتجسس ، أو ببعث القوانين التي ليست فيها معصية للخالق ، أو بإشاعة الفتن بين أبناء الأمة ... إن مثل هذه التشريعات من حق الحاكم ، وطاعتها واجبة .

ومن حق ولي الأمر أن يتخذ من التشريعات ما يشيع العدالة بين الرعية ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويرفع المستوى العام للأمة ، ويدفعها إلى التقدم والنهوض ، وإن اقتضى ذلك استخدام الفأئض المسكدة من الأموال دون نفع ، للانتفاع به في مجالات أخرى تبعث النشاط والتقدم ... ومثل هذه التشريعات مما يجب الرضا به ، وإن بدت شاقة على النفوس الشحيحة .

ولولى الأمر - ما دام يصدر في أعماله عن إخلاص ، وحفاظة على روح التشريع الساوي وبعد عن الهوى - أن يفرض من العقوبات ما يكفل له تنفيذ إصلاحاته مهما بدا فيها من قسوة على المعوقين . قال تعالى : « إنما جزاؤا الذين يهاجرون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن ينتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض » .

حكمة عادله : تراقب أدق مراقبة ، وتحاسب أسر حساب ، ثم تحكم أعدل حكم ، وتنفذ دون تدخل شرطة أو ذهاب إلى محاكم أضين تنفيذ .

ذلك السلطان هو سلطان النفس اللوامة ، الواردة في قوله تعالى : لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ، ، ولا شك أن في القسم بالنفس اللوامة إلى جانب القسم بيوم القيامة إشارة إلى ما في ذلك اليوم من حساب وجزاء تستعد لها النفس اللوامة . ذلك السلطان يستمد قوته من محاسبة المرء نفسه ، ومن الشعور بأن هناك رقابة دقيقة عليه تسجل ما خفي من أعماله وما أعلن ...

ذلك السلطان تتلاشى أمام قوته جميع رغبات المرء في غير ما هو حلال مباح ، ويجعل الإنسان يسير في أقوم سبيل ، فإن أخطأ لا يحاول الهرب من مسئولية خطئه ويتقبل كل عقاب جزاء لما اجتراح من السيئات ، وإنما الذي يؤرقه ، ويحزنه ، إنما هو شعوره الناشئ من اجترائه على ذلك الرقيب الذي لا يستطيع الاستخفاء منه ، ولا الإفلات من دقة تسجيله .

ذلك السلطان هو الذي عبر عنه الإمام الغزالي بالمراقبة والمحاسبة . وأفاض في بيان درجات هذه المراقبة وحساب النفس . حتى عرف أرباب البصائر أن الله تعالى لم

قال الهاشمي : : إن المجتمع لا يعاقب كل من يتسكب شرائعه ويشذ عن قوانينه ، فكم من جنائية تجترح ، وكم من مال ينهب ويغصب وكم من لثم يقترف ، والفاعلون يسرحون ويمرحون بين سمع الشرطة وبصر الحكام ، وكم من مجرم أفلت من يد العقاب بفصاحة المدرء ولع النضار .

وكيفما كان ذلك ، السلطان ، المستمد من القوانين فإنه ضرورة لا بد منها ، وقد لازم المجتمع الإنساني من يوم أن بدأ الإنسان يندمج في محيط مجتمعات متدرجا من سلطة رب الأسرة إلى كبير العائلة ، ثم إلى رئيس القبيلة ... ثم إلى الملوك والرؤساء ، وقد ورد في ذلك : : يزع الله بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن ، .

ولعل الذي جعل بعض الناس لا يبالون بسلطان القوانين مهما قست هو أن عقوبة المخالفين قاصرة على أمور مادية ، وقليلة ما يلجأ المحقق أو القاضي إلى تذكير المنهم بأن هناك عقوبات أخرى سينالها حتما إن هو أفلت من الحكم عليه لسبب أو لآخر .

من أجل كل ذلك عني الإسلام عناية كبرى بتوجيه النظر إلى السلطان ، الآخر ، السلطان الذي لا يستمد قوته من القوانين والقوائح والتشريعات بل يستمد تلك القوة من أعماق النفس ، ويخلق في شخصية الإنسان

شعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة في صحارى إفريقيا وجزائر المحيط وفلاسفة اليونان في الماضي ، وفلاسفة الإفرنج الآن ، وقد عرف في الغريقين عند قدماء الأمم كالمصريين والسكندانيين والهنود كما هو معروف في هذا العصر . ومثل هذا الاتفاق من الشرقى والغربى . والشمالى والجنوبى ، في جميع الأزمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تعليم ، لا يعقل إلا أنه فطرى في البشر .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم عن منطقة هذه الحاسة الفطرية بالتدين : « حينما كنت وكيلًا للنائب العام ، كنت أرى عجبًا في قاعات المحاكم وقاعات التحقيق ، وكنت أفكر كثيرًا في أمر ذلك الشرير الذى طالعت صحيفة حياته ، فإذا آثام ، ودماء تسيل منها ، ومع ذلك يقف أمامى متطلعًا إلى السماء ويأبى أن يقسم بالمصحف كذبا .

هذا الآدمى قد انطلقت غرائزه الدنيا ، لا يقوم لها شئ . ولكن بقيت رغم هذا في نفسه منطقة عذراء لم يتطرق إليها فساد : هى منطقة العقيدة . أهاك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟ » .

تأمل كيف أبى هذا الشرير أن يحلف كذبا بالمصحف ١١ . لأنه يرى أن هذه جريمة تفوق كل ما ارتكب من جرائم قد تؤدى به إلى

بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون في الحساب ، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة . ذلك السلطان هو ما يعبر عنه اليوم في مجتمعاتنا بالضمير .

ولهؤلاء النفس مذاهب وتفسيرات في منشأ هذا الضمير ، وتكوينه ، ومقدرته على أن يسيطر على ذات الإنسان وغرائزه ويقوده إلى أقوم سبيل ، وغاية ما وصلوا إليه في تقريب مدلوله أنه الجانب السامى من النفس الإنسانية أو ما يعبرون عنه بالذات العليا أو النفس العليا التى تراقب الإنسان في تصرفاته .

ومهما قيل من آراء ونظريات في تكوين هذا الضمير ، فإن العامل الأول في نشأته هو عنصر الدين المتأصل في الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها ، ذلك العنصر الذى يظل كامنا فى حنايا النفس الإنسانية مهما امتزج بها من ضروب الشرور وصنوف الآثام وعصف الغرائز السفلى .

استمع إلى السيد جمال الدين فى حديث له عن فطرية الدين : « إن الشعور بوجود إله متصرف فى الأكران تصرفا غيبيا فوق تصرف المخلوقات بما يكون من إفضاء الأسباب إلى المسببات ، قد عرف فى جميع البشر ، من أدنى القبائل الهمجية إلى أرقى

جبل المشنقة ، ولكنه يأتى أن يفلت من الإعدام بمخالفة عقيدته ١١ .

إن سلطان الضمير قد تغلب واستخف بكل عقوبة . وربما لو بحثت حالة مثل هذا المجرم من الوجهة النفسية والاجتماعية لا تضح أنه مظلوم وإن تلوث يده بالدماء ١١ .

وإذا نحن أمعنا النظر في مهمة الرسل الكرام نجد فيها تذكير الناس بأصل الفطرة التي فطروا عليها بعد أن يكون قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى يستيقظ وازع الدين الفطرى ، وينمو الشعور بالمراقبة والمحاسبة ، ويقوى سلطان الضمير .

ومن واجبتنا اليوم أن نعرف كيف عنى الإسلام بتنمية سلطان الضمير ، ثم ما كان لهذا السلطان من الآثار في تكوين شخصية المسلم ، عسى أن ننتفع بما في ذلك من تذكرة . لقد كان من أبرز الأهداف الأساسية التي عنيت بها رسالة الإسلام إدخال شخصية المرء في تقويم أعماله ، وتحميله مسئولية شخصية هن كل ما يصدر منه من أعمال اختيارية ، وخلق إحساس عميق في نفسه بأن كل صغيرة وكبيرة مسجلة عليه تسجيلًا دقيقًا لا يستطيع الإفلات منه ، وأنه سيجازى على كل ما اقترف جزاء عادلا .

وأهم ما سلكته الدعوة الإسلامية في تكوين هذه الشخصية طريقتان :

أولها : آيات القرآن الكريم العديدة التي تدور حول تحميل المرء تبعه أعماله الاختيارية وإشعاره بأن الرقابة عليه شديدة . . مثل قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ، و « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حسب الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ... » و « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : يا ويلتنا ، مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً . » و « كل نفس بما كسبت رهينة إلخ » .

وثانيها : قضاء الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحابه ، وتوجيهاته السديدة نحو إيقاظ الشعور بالمسئولية . ومن ذلك مثلاً أنه حين اختصم إليه رجلان في ملكية عقار ، وليس لأحدهما بينة ظاهرة ، لم يسلك السبيل المألوف في مثل هذه الخصومة من التدقيق في طلب بينة أو توجيه اليمين للنكر مثلاً ، بل عمد إلى الذات الإنسانية العليا ، إلى الضمير فقال : ... لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له . فن قضيت له

لجنة أبدأ ، أو نار أبدأ . والله ما بعد الموت من مستعقب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة والنار ، إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة . ما ذا كانت نتيجة هذه التربية الإسلامية لشخصية المسلم ؟

لقد ظهرت آثار تلك التربية سريعاً ، ولعل أروع مثل نسوقه في ذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا الواردة بسورة التوبة ، إذ تبين موقف هؤلاء الصحابة الكرام حينما أحسوا بخطيئهم ؟ وتقاعدهم عن الغزو مع الرسول الكريم بأعذار واهية قبلها منهم الرسول ثقة منه بهم ... ما ذا كان منهم عند ما رجعوا إلى أنفسهم وحاسبوها وأيقنوا أنهم كانوا مخطئين ... إنهم ربطوا أنفسهم في أعمدة المسجد وكاد الشعور بالندم يقتلهم ، وأصبجوا في تلك الفترة شبيه معزولين عن أهليهم وصحبهم كأهم غير جديرين بالاندماج في مجتمع يتسم بالصدق والصراحة ، وقد قاسوا من الآلام النفسية خلال خمسين يوماً ما قاسوا ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، ، وضائق عليهم أنفسهم ، ، وأيقنوا أن لا مهرب من الله إلا إليه .

ولقاء هذا الصدق في محاسبة النفس ، والاعتراف بالخطأ ... أكرمهم ربهم فتاب عليهم .

دكتور

سعد الدين محمد الجبزاوي

بشيء من غير حقه فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها إن شاء أو يتركها .

هنا تلاشت الرغبة في ملكية العقار عند كلا الرجلين ، وتنازل كل منهما لصاحبه حتى لا يقع في شبهة من ظلم لنفسه إذا هو أصر وقضى له . ثم كان من حكمة الرسول أن أمرهما بأن يستهما فاستراحت أنفسهما ، وارتضيا هذا الحكم .

وكذلك كان موقفه من رجل جاء بأموال الصدقات التي كلف بجمعها ومعه أشياء لنفسه وقال : هذا مالكم ، وهذا أهدي إلى .

غضب الرسول الكريم عند ما علم بذلك ، وجمع أصحابه وخطبهم خطبة كبيرة بين فيها أن مثل هذا الإهداء لم يكن لولا جاء الوظيفة ، ومعنى ذلك أن هذه الهدايا تعتبر رشوة مقنعة . ثم أخذ يصور لهم يوم القيامة وما فيه من أهوال كأنه يراها ، وكان كل مرثى يمر أمامه حاملاً في عنقه كتلاً من نار جهنم ...

وبما يلفت النظر أن الخطبة الأولى التي وجهها النبي عليه الصلاة والسلام إلى قومه عند ما صعد على الصفا في أول يوم أعلن فيه الدعوة إلى الإسلام قد تضمنت الأساس الأول في تحديد المسؤولية الشخصية إذ جاء فيها : « والله لتوتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . والله إنها

صفحات من العروة الوثقى

للدكتور جمال الدين الرمادى

وجعلت ساعة الخلاص من الاحتلال ساعة الفرح عند المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، إذ أن مصر مناط أمل المسلمين ومعقد رجائهم و د إن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما . إن مصر تعتبر عندهم من الأراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الإسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين . فإذا كان هذا الباب أمينا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع ، وإلا اضطربت أفكارهم ، وكانوا فى ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الإسلامية ، إن الخطر الذى ألم بمصر نفرت له أحشاء المسلمين وشكلت به قلوبهم ولن تزال الأمة تستغزهم ما دام الجرح نفارا ... ،

أما عن منهج الجريدة الذى اتخذته لنفسها فهو أنها ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت

العروة الوثقى اسم لجريدة صدرت فى باريس عام ١٨٨٤ وأنشأها فيلسوف الإسلام ، وحكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ، ويهدف فيها إلى الوحدة الدينية وجمع شتات المسلمين فى عروة وثيقة لا انقسام لها . وكان يدير سياستها الأفغانى نفسه ، أما محررها الأول فكان الشيخ محمد عبده ، ويبدو من افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الدينى فيها يغلب كل اتجاه آخر ، فإن روابط المسلمين المليئة أقوى من روابط الجنس واللغة . وما دام القرآن يتلى بينهم وفى آياته ما لا يذهب على أفهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم .

كما كانت هذه الجريدة تهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم الباطلة التى يوجهها إليهم من لائحة له بحالهم ، ولا وقوف على حقائق أمورهم ، وإبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى المدنية ما داموا على أحوالهم التى كان عليها آباؤهم الأولون .

ودافعت العروة الوثقى عن القضية المصرية دفاعا مجيدا ، وربطت هذا الدفاع بالدين

وقد أحس الإنجليز بخطورها قبل صدورها ،
فهاجت الصحافة الانجليزية بمجرد أن نعى إليها
خبر اصدارها ، والى ذلك تشير الجريدة
في العدد الخامس فتقول : « عزمنا على إنشاء
جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محررى الجرائد
الفرنساوية فكتبوا عنها قبل صدورها غير
مبينين لمشرىها ، ولا كاشفين عن حقيقة سيرها ،
فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانجليزية
المهمة أخذتهم الحدة ، وأنذروا حكومتهم
بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الانجليز
ونفوذها فى البلاد الشرقية ، وألحوا عليها
أن تعدكل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول
فى البلاد الهندية ، والبلاد المصرية ، بل
تطرقوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية
بالحجر عليها . »

وتمكنت السلطات البريطانية ، من منع
الجريدة من دخول الهند ومصر ، بيد أن صوت
الحرية لا يخفت أو يذهب أدراج الرياح ،
فقد استطاع بعض المصريين الحصول على
أعداد من هذه المجلة ، وسرعان ما وضع
أثرها فى نفوسهم ، فزادتهم حماسة واشتعالا
فى تحرير وطنهم من المستعمر الغاصب .

وعند ما تمكن عملاء الاستعمار من مصادرة
العروة الوثقى فى مصر زاد أسلوبها حدة تجاه
أذناب الإنجليز وتمنت أن يكون بين المصريين
من يستطيع - ولو بأعنف الوسائل - إبطال

وتراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات
العمومية بين الأمم وتمكين الالفة فى أفرادها ،
وتأييد المنافع المشتركة بينها ، والسياسات
القويمة التى لا تميل إلى الحيف والإجحاف
بمقوق الشرقيين .

وكانت الجريدة ترسل أعدادها إلى من
تعرف أسمائهم بدون مقابل حتى يتداولها
الأمير والحقير ، والغنى والفقير ، وقد
ختمت الجريدة دعوتها إلى القراء بهذه العبارة :
« ومن لم يصل إلينا اسمه فما عليه إلا أن يكتب
إلى إدارة الجريدة بالإسم المعروف به ومحل
إقامته ، هلى النهج الذى يريده ، والله الموفق ،
وهذا يدل دلاله واضحة على ان منشئها
ومحررها لم يكونا بضنان بمال أو جهد فى سبيل
نشر الدعوة الإسلامية ، والمنسادة بالفضيلة
وتحرير الأوطان الإسلامية من ربة الاستعمار
ونير الاستعباد ، وحوزة الاستغلال ، ولم
يكونا هادفين إلى مال أو ثراء ، إنما كانا
يلتمسان نشر الدعوة الإسلامية ، وبث
النخوة الوطنية بمختلف الوسائل وشق
القدرائع مهما كلفها ذلك من نصب ، وكد
وكفاح . »

وقد رحبت البلاد الإسلامية ترحيبا عظيما
بصدور هذه الجريدة وظل أهلها يتسابقون
إلى الحصول على عدد من أعدادها ، حتى
إذا ما ظفروا به تناقلته الأيدى فى شغف

والجريدة بتخصيصها للمسلمين بالذكر أحيانا ومدافعتها عن حقوقهم تبعد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم ، ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركونهم في المنافع من أجيال طويلة ، فليس هذا من شأن الجريدة ولا تميل إليه ولا يديحه الإسلام ولست الغرض ، تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم والإفساد في بلادهم ، وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الاجنيون وأذلوا أهلها أجمعين ، واستأثروا بجميع خيراتها .

وفي مقالة نارية مضت جريدة العروة الوثقى توضح واجب المسلمين في التآلف والتآزر ، والتماهف والتكافل - وجعلت عنوان المقالة الآية الكريمة ود اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فقالت إن للمسلمين شدة في دينهم ، وقوة في إيمانهم ، وثباتاً على يقينهم بيهادون بها من عداهم من الملل ، وإن من عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض ، وبما رسخ في نفوسهم أن في الإيمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ، ومن حرم الإيمان فقد حرم السعادات ، ويشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء .

هذه الصفة ونقض هذه البيعة ، وتقصص صفة القروض التي كان يتفاوض فيها نوبار .

وقد وضحت الجريدة سماحة الإسلام وسماحة خلق المسلمين إذ لم يسلك المسلمون في وقت ما مسلك الإلزام بدينهم ، والإجبار على قبوله ، مع شدة بأسهم في بدايات دولهم وتغلغلهم في الأقطار ، واندفاع همهم للبسطة في الملك والسلطة . إنما كانت لهم دعوة يبلغونها ، فإن قبلت فيها ، وإلا استبدلوا بها رسم مالى يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الإسلامى هذا على خلاف منتصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الأولى فإنهم ما كانوا يطأون أرضاً إلا أزموا أهلها بخلق أديانهم والدخول في دين أولئك المتسطين وهو الدين المسيحى كما فعلوا في مصر وسوريا ، بل في البلاد الإفريقية نفسها .

وقد مضت العروة الوثقى توضح وجهة نظر المستعمر في إلغاء الفكرة الدينية لبث الفرقة بين المسلمين . وتأكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين هى الرابطة الدينية ، ولأوائك الافرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم ، فتوجهت عنايتهم إلى بث هذه الأفكار السافطة بين أرباب الديانة الإسلامية ، وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة ، وفصم حبالها لينة ضوا بذلك بناء الملة الإسلامية ويمزقونها شيعا وأحزابا .

بتحرير أفغانستان من نير الإنجليز كما مضت
تطالب بتحرير مصر من جنود الاحتلال
البريطانيين وتخليص مراكش من الجنود
الفرنسيين .

وفي ١٥ مايو عام ١٨٨٤ زادت حمية
الجريدة في الدفاع عن المصريين فنشرت
في افتتاحيتها مقالا مستفيضا جاء فيه : هذه
جريدة قامت بالدفاع عن المصريين ، والاستعجاء
لهم ، ولها سعى بل كل السعى لحية آمال
أعدائهم ، ولا ترى من مشربها مدح زيد
ولا القدح في عمرو فإن المقصد أعلى وأرفع
من هذا ، وإنما عملها سكب مياه النصيح على
لطب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين جميعا
على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم
الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ،
ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضواري
التي فغرت أفواها لالتهامهم .

وفي مقالة : « وأطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » مضت
تعدد مجد المسلمين في العصور الخوالي فقالت :
أظلت ولاية الإسلام ما بين نقطة الغرب
الاقصى إلى تونسكا على حدود الصين في عرض
ما بين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب
تحت خط الاستواء . أقطارا متصلة وديارا

متجاورة يسكنها المسلمون ، وكان لهم فيها

وانطلقت تمهد دستور الوحدة بين المسلمين
فقالت : « المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها
الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة
على ما يدخل في ولايتهم من البلدان ، وكلهم
مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم
ولا بين المتحدثين في الجنس ولا المختلفين فيه ،
وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم
قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم
الآثام ، ومن فروضهم في سبيل الحماية ،
وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح
وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ،
ولا يساح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال
من الأحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم
من دون غيرهم ، وبالغت الشريعة في طلب
السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز
المسلم عن التخلص من سلطة غيره لوجبت
الهجرة من دار حربه ، وهذه قواعد مثبتة
في الشريعة الإسلامية يعرفها أهل الحق ولا
تعرفها تأويلات أهل الأهواء ، وأعوان
الشهوات في كل زمان ، والمسلمون يحس
كل واحد منهم بما تف يهتف من بين جنبيه
يذكره بما طالبه به الشريعة وما يفرض عليه
الإيمان وهو هاتف الحق الذي بقي له
من إلهامات دينه . »

وعلى هذا النحو مضت الجريدة تطالب

قلوبهم الناشزة عن إحساس بما يطرء على الأمة من الأخطار .

والمس لكل واحد منهم أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله في قوله : إنما المؤمنون إخوة ، فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب ،

هذه صفحات مطوية من العروة الوثقى وهي صفحات لا تزال مشرقة متألفة رغم تطاول السنين ، وتقادم العهد ، وقد صدر فيها ثمانية عشر عددا بلغ فيها الشيخ محمد عبده الذروة في روعة الأسلوب ، ودسامة المادة ، والحرص على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، وتخليص الوطن العزيز من براثن المقتصب الأثيم ، وقد توقفت الجريدة في ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠١ هـ الموافق ٢٦ أكتوبر عام ١٨٨٤ ففقدت الصحافة نجما زاهرا زاهيا في سماءها ، ومشعلا متألقا هاديا في فضاءها يهدي المسلمين إلى حقائق دينهم ، ودقائق شريعتهم الغراء ، وإلى حب أوطانهم وفدائهم بالمهج والأرواح .

دكتور

جمال الدين الرمادي

السلطان الذي لا يغالب ، وأخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام وأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلا ، ما كان يهزم لهم جيش ولا ينكس لهم علم ولا يرد قول على قائلهم .

ثم مضت الجريدة تقول ، والمسلمون اليوم يملأون تلك الأقطار التي ورثوها عن آبائهم وعدديهم لا ينقص عن مائتي مليون وأفرادهم في كل قطر بما أثمرت قلوبهم من عقائد دينهم أشجع وأسرع إقداما على الموت ممن يحاورهم ، وهم بذلك أشد الناس ازدراء بالحياة ، وأقلهم مبالاة بزخرفها الباطل .

غير أن الجريدة أرجعت وقوف المسلمين في سيرهم بل تأخيرهم عن غيرهم إلى عدم الترابط ، فأخذت بمالكهم تنقذ أطرافها وتمزق حواشيها مع أن دينهم يرسم عليهم أن لا يدينوا السلطة من يخالفهم ويعمل على الاستئثار بالحكم عليهم وأن المسلمين لا يحتاجون في صيانة حقوقهم إلا إلى تنبيه أفكارهم لمعرفة ما به يكون الدفاع ، واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه ، وارتباط

الفنون الشعبىة فى العصور الاسلامىة

للأستاذ عبد المجىد وفى

الحضارات المتعاقبة هو أثر العقيدة فى حياة الشعب وتعبيره الفنى ، فالفن مرآة تبين مدى انطباع الشعب بالحضارات وانعكاسها على أعماله .

* * *

والناظر إلى آثار المصريين القدماء ، يرى الفن باقيا خالداً خلود المواد التى شيدت منها هذه الآثار ، ولكن فنى رسمى ، فن يعبر عن رأى الحاكم لا رأى الشعب ، ويمثل سيطرة الهيئة الحاكمة على الاتجاهات الفنية ، والى تجعل الفنان يسجل ما يخلد تاريخ الملك وفتوحاته ، والعقيدة التى يوجهها الكهنة من وراء العرش .

وليس ذلك القبول من باب الطعن على الفنون المصرية القديمة ، بقدر ما هو لإقرار بما نقله التاريخ ، لأن روعة الفن المصرى القديم ، ليست مجال البحث ، ولا محور جدال ، فقد سلمت بعظمها الأجيال المتعاقبة ولكن جهد الفنان مهضوم فى ثنايا المدرسة أو الأسلوب الغالب على فن الدولة ، إلا من نادر وجدت فى حفريات بعض المراكز التى اشتهرت بالانتاج الفنى ومراهم الفنانين ،

فى تاريخ مصر حضارات متعددة ، تركت أثرها واضحا فى حياة الشعب المصرى ، وعاداته وفنونه ، وإن اختلف ذلك الأثر باختلاف الظروف التى لا بست كلا من هذه الحضارات .

فالحضارة الفرعونىة عمرت قرونا طويلة بقيام دولتها ، واستمرت باستمرارها ، وتأثرت بضعف الدولة وقوتها ، فازدهرت بازدهار العصر ، وانحطت بانحطاطه ، حتى إذا انتهى عهد الفراعين ، خلفهم البطالمة متمسحين فى التاريخ الفرعونى وثقافته وفنونه إلى أن أطبق الفتح الرومانى على هذه البقايا ولم يؤثر العصر الرومانى على هذا البلد ، بقدر ما أثرت العقيدة المسيحية التى صاحبت ذلك العصر فى حياة الشعب وفنونه .

ودخل المسلمون مصر فاتحين ، على أنقاض الحكم الرومانى ، ولم يمض طويل زمان حتى كان أثر المسلمين واضحا فى حياة الشعب وعاداته ، التى أخذت تتطور وتتغير مع العقيدة الجديدة .

* * *

والذى يهمنا أن ننظر إليه خلال هذه

ولما دخل الإسلام مصر في أعقاب الحكم الروماني لم يحاول أن يفرضه فنًا ولا رأيًا، وإنما ترك كل ما وجدته على ما هو عليه، احترامًا لعقيدة الذميين وعاداتهم النابعة من تلك العقيدة .

ولم تمر فترة طويلة حتى انتشر الإسلام بين الشعب ، وأصبح العقيدة السائدة بين أغلبيته ، ومع هذا الانتشار أخذ الأثر العقيدى يظهر في حياة العامة وعاداتهم ، ويطغى على كل أثر آخر ، وأوضح ما ظهر هذا الأثر في الفنون .

وان أبحث في مصادر إلهام الفنى ولا فى طرزه فى هذه الفترة ، ولا فى اقتباسات الفن الإسلامى من الفنون المعاصرة يومئذ ، ثم استوائه واستقلاله .

ولكن الذى أريد أن أوضحه هو أن اتجاه الفن نزل إلى مستوى العامة ، وطرق مجالات كثيرة غير المجال الدينى ، تداخلت مع كل مطالب الحياة ، وتغلغل إلى أعماق حياة الشعب .

وقد حفظت المناحف الكثير من أمثلة هذا التغلغل ، فى كل ضرب من ضروب المتعة أو الحاجة الضرورية من رسوم الخلفاء والحكام وزينة القصور والدور والمساجد إلى حاجات المرأة فى البيت وأدوانها .

حيث عثر على قطع من الفخار عليها خطوط حرة عن الأثر المدرسى ، ولم تحمل ما ينسبها إلى صاحبها من سمات أو علامات .

ولم تترك هذه الأعمال الفردية أثرها فى الانجاء الفنى ، بل إن الأعمال التى اتسمت بطابع الحاكم والدولة والأعمال الفردية التى أشرت إليها ، لم تترك أثرًا فى المجال الشعبى ، أو كانت من التفاهة بحيث لم يتمكن التاريخ أن يحفظ لنا ما يدل على أن عامة الشعب قد انطبعوا بها وظهرت فى ثمايا حياتهم فنونا شعبية ، عليها أثر انفعال الشعب ، واختصاصه نفسه بلون من ألوانها

بينما يظهر الفرق واضحا ، حينما ننقل إلى الآثار الباقية من عصر المسيحية ، فإن عامة الناس قد تأثروا بالعقيدة فى هذه المرحلة ، حتى لم يقتصر الانفعال الفنى بالعقيدة على طبقة الحاكم ومن حوله ، بل تخطى الطبقة الراقية إلى عامة الشعب الذى أخذ يختص نفسه بالآيقونات ، وصور العذراء والعائلة المقدسة والقديسين ، بل لقد وجدت صورة العذراء والسيد المسيح على درجات متفاوتة من الإتيقان والضعف ، وتغير الملامح ، باختلاف اليد التى رسمت والبيئة التى عاشت فيها هذه الأعمال الفنية .

ويلاحظ أيضا أن أثر العقيدة المسيحية فى الفن الشعبى المصرى لم يتعد المجال الدينى ومطالبه

ونفس الفنان هو الذى اتجه بفنه - عندما دعت الحاجة - إلى تسجيل الأفراح وحفلات العروس على جدران بيت العروس بأسلوبه الخالى من احترام الأبعاد وتحقيق المستويات والاعماق .

وهو الذى سجل مغامرات الزناتى ، وأبى زيد الهلالي ، ومعارك عنزة ، ولم ينس الإمام علياً وسيفه ذا الفقار ، وعزبة ويونس ، وأساطير الشعب التى احتفظ بها الأدب الشعبى عصرة حية على مر العصور ، وقام الفنان الشعبى بواجبه فى تقريب صورتها إلى خيال الشعب .

* * *

لم يخرج الفن الفرعنى إلى عرض الشارع ، بل ظل فى المعبد ، ولكن خرج الفن فى العصور الإسلامية المختلفة ، ولم ينتقل الفن من الخير الدينى وانفعالات المؤمنين بالعقيدة المسيحية فى تلك الفترة من تاريخ الحضارة المصرية .

والفن فى ظل العصور الإسلامية - على الرغم من الفسكرة الشائعة عن تحريم الإسلام لأنواع معينة من الفنون - قد خرج إلى مستوى العامة وانبثق فى زوايا كثيرة من جوانب الحياة .

وإن كانت بيوت القادة والحكام فى تلك للعصور قد حفلت بالكثير من الجهد الفنى (البقية على صفحة ١٢٤١)

وهذا بالطبع متوقع كأثر من آثار عقيدة انطبعت بها الحياة والبيئة .

ولكن الذى أحب أن ألفت إليه النظر هو انفعال العامة بذلك بدرجة جعلت أثره يظهر فى المواسم والأعياد العامة والخاصة ، فلقد ظهر بين أفراد الشعب ، وفى مختلف الحرف فنانون استغلوا المناسبات الدينية إلى جانب المناسبات العامة فى هذا الإنتاج .

فالفنان الشعبى فى مصر قد احتفل منذ ثمانية قرون بالمولد النبوى ، وصنع فى تلك المناسبة للصورة الفنية الساذجة ، ورغم طول القرون فقد بقيت بصورتها إلى العصر الحاضر محتفظة بطابعها ، ولم تتأثر بالحضارة المعاصرة فى أصلها وطابعها المميز ، وإن تأثرت بالنوع .

فالعروس من الحلوى والحصان والمنبر والمسجد ، ما تزال كما كانت ، وإن جسد عليها المدفع والجندى والطائرة مع الاحتفاظ بالخصائص الفنية .

والفنان الشعبى قد سجل عودة الحجاج على واجهات المنازل ، وبالعالم فى تصويره لمشاق الرحلة على الجمال وفى الفوافل ، واستمر يسجل هذه الصورة حتى جاء عصر البواخر والقطار والطائرة ، فرسم ذلك كله بنفس الساذجة ، ولم ينس أن يضع الجمل إلى جوارها كرمز لأصل الرحلة .

عَادَ الشَّعْرُ فِي الْعَالَمِ كَمَا بَدَأَ

بقلم : أحمد حسن الزيات

الشاعر ينشد قصيدته قائما بين يدي الخليفة أو الأمير ، فإذا لم يكن حسن الإنشاد اقتفى غلاما رخم الصوت ليقوم عنه به . وقد قالوا إن الرشيد كان يطرب للإنشاد أكثر مما كان يطرب للغناء .

ونشأة الشعر في المعبد وصلته بالغناء يتفق فيهما كل شعر في كل أمة ، ولا يزال الأوروبيون يقولون كما كان يقول الإغريق والرومان والعرب ، أنشد الشاعر شعره أو غنّاه ، ولا يقولون ألقاه أو أداه .

ثم انتقل الشعر مرة أخرى من القصر إلى المدينة ، وخرج الشاعر من دنياه إلى دنيا الناس ؛ وكانت الآلهة قد صنعت الخوارق ، والأبطال قد أتوا بالمعجزات ، فنسجت حولهم الأساطير ، واستفاضت عنهم الأحاديث ، وتناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل ، لجاء الشعراء فنظموا هذه الوقائع ملاحم وأنشدوها الشعب ليدكروه بأجناد قومه ويشفقوه بسير أبطاله . وهذا هو الشعر القصصي ، ومنه في تاريخ الأدب العالمي : الإلياذة لليونان ، والإنياد للرومان ، وماها باراته للهند ، والشاهنامة للفرس ، وسيرة بني هلال للعرب ،

بدأ الشعر غنائيا في كل أمة تهيأت له بحكم الفطرة وفعل الإقليم . والمراد بالشعر الغنائي ما يقوله الشاعر تعبيرا عن خواج نفسه ، وتصويرا لمشارك حسه ، وتسجيلا لحواطر ذهنه ، كالغزل والمسح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والعتاب والشكوى مما لا يخرج عن شخص الشاعر ولا يدخل في شأن غيره . أما نسبته إلى الغناء فلا أنه كان في الدهر الأول ينشد على القيثارة في المعابد تسبيحا للآلهة وتأثيرا في النفاس ، وكان الكهان وهم الشعراء الأولون يتخيرون لأناشيدهم اللفظ المصون العذب ، والأسلوب الجميل الفخم ، ليكون الكلام الذي يرفع إلى السماء أسمى وأجل من الكلام الذي يقال للأرض .

فلما انتقل الشعراء من المعابد إلى القصور ، ومن مدح الآلهة إلى مدح الملوك ، احتفظوا للشعر بلغته الخاصة وعبارته المختارة وإنشاده الموقّح ، فظلوا ينشدونه في المحافل والجامع بلحون تختلف باختلاف البحور وتفاوتت بتفاوت الحناجر ، وقد سموا الأعشى صناجة العرب لحلاوة صوته وحسن إنشاده . واستمر ذلك دأبهم بعمد الجاهلية فكان

الطبيعية إلا عند الإغريق لأسباب فطرية وإقليمية ، أما عند الرومان ومن خلفهم من الأمم اللاتينية فلم تتم للشعر هذه الأطوار إلا بتقليد الإغريق والأخذ عنهم .

أما الشعر القصصى وهو يقوم على الاعاجيب والأكاذيب والخوارق فقد كان له بلاغه في العقول ومساغه في الأذواق حين كان الناس لا يزالون يعيشون للحرب والحب ، ويفتنون بالبطولة والقوة ، ويصدقون بالهواتف والرؤى ، ويؤمنون بالسكينة والسحر ، ويعتقدون في الأبطال والملوك . فلما قوى العقل واستبصر الفكر وكشف العلم للإنسان الحديث خبايا السكون وأسرار الطبيعة ، فلم تعد التهاويل تروعه ، ولا الأباطيل تخدعه ، ميج ذوقه هذا الضرب من الشعر واكتفى منه بالمأثور عن الأقدمين يقرأه على اعتباره صورا لعصور تقضت ومشاعر لأمم خلت ، وأصبح من العسير على الشاعر القصصى أن يوفق بين المألوفة المبنية على الخوارق والوهم ، وعقلية العصر القائمة على الوقائع والعلم .

وأما الشعر التمثيلي ، وهو شعر الأناقة والترف ، فقد كان له في أوربا نفاق وإشراق أيام كان المسرح للخواص ، لا يشهده إلا الملوك والنبلاء والقادة . وهؤلاء قد فرض عليهم نظام الفروسية في تلك العصور أن

والمهارة الإلهية للطلليان ، والفردوس المفقود للانجليز ، وهزباد للفرنسيين .

ثم انتقل الشعر مرة أخيرة من الخيال إلى الواقع ، ومن الكلام إلى الحركة ، ومن المدينة إلى المسرح ، وكان الفكر الإنساني قد نضج ، والأثر الفلسفي قد شاع ، والنظام الاجتماعي قد تمعد . فاتخذ الشعراء ، القصص الشعري وسيلة الإصلاح بتمثيل أبطال القصة على المسرح وجعلهم يقولون بألسنتهم ويعملون بأيديهم ما رواه القصص عنهم ، ابتغاء تقوية النفوس المريضة بالعواطف النبيلة والمثل العليا كما في المسأسة ، أو تقويم المعوج من الأخلاق والعادات باتخاذ أهلها مضحكة للناس كما في الملهاة ، وهذا هو الشعر التمثيلي .

فأنت ترى ان الشعر قد تطور في تاريخ الإنسان أطوارا ثلاثة يتطورها كل شاعر في ذاته وكل شعب في مجموعته : وهى الغناء المهدد في الطفولة ، والقصص الخاسى في الشبيبة ، والتمثيل الفلسفي في السكولة . ففي الأول يتغنى الشاعر بما يلم به ويتخيله ، وفي الثاني بقص ما يسمعه أو يعمل ، وفي الثالث يصور ما يلحظه ويتمثله . ومنبع الأغاني الوهم والخيال ، ومنبع الحماسة العظيمة والجلال ، ومنبع التمثيل الحقيقة والواقع . ومظاهرها في عمر الخليفة هي التوراه والإلياذة وشكسبير ، ولم يمر الشعر بهذه الأطوار الثلاثة مدفوعا بقوة السليقة جاريا على سنة

أباطة شعب أسخيلوس وسوفوكليس ، ولا جمهور راسين وشكسبير ، وإنما وجدت جمهوراً خاصته للواقعية وعامته للامية ، فلم يفهم مرأى البيان في الفصحى ، ولم يدرك أسرار الجمال في الشعر ، نفرج من مشاهدتها غائب الرأى والوعى لا يدرى هل وجه اليقين أى شىء رأى ولا أى كلام سمع !

لأن لم يبق في العالم من تراث أبولون ، إلا الشعر الغنائى ، وهو فيض الوجدان ، وعبير الروح ، وأحلام النفس ، وأنغام القلب ، وحدهاء البشرية المرفه في طريق الحياة الوعر ، صفا من شوائب البهيمية في العصور الطاغية كالمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الشاذ ، ثم خلاص للناملات والوجدانيات والوطنيات والأغاني والأناشيد ، وهى علة وجوده وسردوامة . وهذا النوع من الشعر هو كما قلت أصل الانواع الأخرى ، لجذوره ضاربة في أعماق الأزل ، وفروعه بمتدة في آفاق الأبد . فهو باق أبداً لأن البواعث التى تستدعيه لا تنقضى ، وهو جديد أبداً لأن العواطف التى تغذيه لا تتقادم .

سبقى ما دام للشاعر قلب ووجدان ، وسينشد ما دام للبغى صوت وألحان ، وسيسمع ما دام في الإنسان نزوع إلى مثل وطموح إلى أمل !

أحمد حسن الزيات

ججمعوا بين أدب السيف وأدب اللسان ، فكأوا يتفاهكون في الحديث ويتفاخرون بالادب ويتنافسون في الشعر ، وأصبح ذلك بدع العصر وهوايته . وفي القرن السابع عشر اشتد التشدد بالفصاحة حتى أصاب جماعة من النساء سخر موليير من حذلقتهن في ملهاتين من حلاهيته وهما (النساء العالمات) والمتفاحات . واستمر لإشراق الشعر المسرحى ونفاقه

حتى أقبل القرن العشرون وكانت الديمقراطية قد غلبت على المسرح ، والواقعية قد هيمنت على الأدب ، وكان المسرحيون قد فطنوا أخيراً إلى أن شرط الإمكانية في الشعر المسرحى مفقود ، وأن الناس الذين يمثلونهم أو يمثلون لهم لم يكونوا في الواقع يتحاورون بالشعر ولا يتجادلون بالمجاز ، وأنهم يكلفون أوساط المثقفين أو أنصافهم شطاطا بتببع السياق القصصى بين أوزان الشعر وقوافيه ، وفي غموض لغة الشاعر وتراكيبه ، فاقصدوا في تغليب أدب الخاصة على أدب العامة ، وقصدوا إلى تقريب لغة المسرح من لغة الحياة ، فانكفأ الشعر التمثيلى عن المسارح وانزوى في المتحف الأدبى بجانب الشعر القصصى ينظر من يخرج به إلى الأدب لا إلى المسرح ، وينشره للقراءة لا للتمثيل .

ولقد جاء دور الأدب العربى في الشعر المسرحى بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه ، فلم تجد مسرحيات شوقي ولا روايات

مفردات قرآنية : مادة الأمن في القرآن للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

وقد وردت كلمة « الأمانة » في آية كريمة فشغلت المفسرين أكثر من مثلاً في آيات أخرى ، وهذه الآية هي قول الله تعالى في سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان لأنه كان ظلوماً جهولاً » .

تعددت الأقوال في بيان المراد من « الأمانة » هنا فقال الراغب الأصفهاني : « قيل هي كلمة التوحيد ، وقيل العدالة ، وقيل حروف النهج ، وقيل العقل ، وهو صحيح ، فإن العقل هو الذي لحصوله تتحصل معرفة التوحيد ، وتجري العدالة ، وتعلم حروف النهج ، بل لحصوله تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه ، وفعل ما في طوقهم من الجليل فعله ، وبه فضل (الإنسان) على كثير من خلقه » (١) .

فالراغب بعد أن يورد أقوالاً في معنى الأمانة ، يختار معنى العقل ، ويحاول أن يرجع إليه بقية المعاني ببيان كونها داخلة فيه أو راجعة إليه .

جاءت مادة « الأمن » في القرآن الكريم مرات كثيرة ، ونستعمل أحياناً بمعنى الأمن الذي هو ضد الخوف ، وأحياناً تأتي من المادة مشتقات تدل على الأمانة ، وأحياناً تأتي منها مشتقات تدل على الإيمان ، وقد تحدثنا عن « الأمن » من قبل ، ونواصل الحديث عن الأمانة والإيمان .

وردت لفظة الأمانة في طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته ، وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وقوله : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ، وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

والأمانة - كما تقول المعجمات - ضد الخيانة ، والخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه ، (١) . ورجل أئمنه - بضم ففتح - أى الذى يأمنه كل أحد في كل شيء (٢) .

(١) كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ص ٣٦٥ .

(٢) القاموس المحيط ، ج ٤ ص ٩٩٧٨ .

(١) مفردات القرآن للراغب ، ص ٣٤ .

المفروضة ، فإنه ينتقل بعد ذلك إلى ذكر ما يؤيد صاحب اللسان ، فيقول : « أو النية التي يعتقدونها فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر ، لأن الله تعالى ائتمنه عليها ، ولم يظهرها لأحد من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة » (١) .

وقد نستطيع أن نلاحظ الارتباط بين معنى « الأمن » ومعنى « الأمانة » ، لأن الأمانة توجد أمنا عند صاحبها ، لأنه يستقر بأمانته ومطابقة باطنه لظاهره ، وموافقة اعتقاده لعمله وقوله ، فلا يكون منافقا قلما مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فيتحقق له الأمن والاطمئنان ، ويزول عنه الخوف الناشئ من القلق والنفاق والتلون ؛ وكذلك يأمن الناس الذي تحلى بالأمانة وحفظ الأمانات ، لأن الأمانة صفة تظهر آثارها في حفظ الأمانات ، وهي الأشياء التي يؤتمن عليها : مادية كانت أو معنوية ؛ (٢) وفي الحديث : « لا إيمان لمن لا أمانة له » .

وقد روى - كما في اللسان - عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالوا : الأمانة ما هنا الفرائض التي افترضها الله على عباده ، وقال ابن عمر : عرضت على آدم للطاعة والمعصية ، وعُرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية . ثم جاء في اللسان : « والذي عندي فيه أن الأمانة ما هنا النية التي يعتقدونها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر ، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ، ولم يظهر عليها أحدا من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة ، ومن أضمر التكذيب وهو مصدق باللسان في الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها ، وكل من خان فيما يؤتمن عليه فهو حامل ، والإنسان في قوله : (وحملها الإنسان) هو الكافر الشاك الذي لا يصدق ، وهو الظلوم الجهول ، يدلك على ذلك قوله : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما) » (٣) .

وكان المراد هنا أن يجعل الأمانة هي مطابقة الاعتقاد الداخلي للعمل الظاهري والنطق اللساني ، وكأنه يجعل الأمانة ضدًا للنفاق ، وإذا كان الفيروز آبادي يذكر في القاموس أن المراد بالأمانة في الآية « الفرائض

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ طبعة بيروت .

(١) الفاروس ، ج ٤ ص ١٩٧ .
(٢) من أنواع الأمانة أمانة المجالس ، ففي الحديث « المجالس بالأمانة » وهذا نذب إلى ترك إعادة ما يجري في المجلس من قول أو فعل ، فكأن هذا أمانة عند من سمعه أو رآه . انظر النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٥ واللسان ، ج ١٣ ص ٢٢ . طبعة بيروت .

في قوله تعالى « واستمعينوا بالصبر والصلاة » قال : غشى على عبد الرحمن بن عوف غشية ظنوا أن نفسه خرجت فيها ، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة ، فلما أفانق قال : أغشى على ؟ قالوا : نعم ، قال : صدقتم ، إنه أتانى ملكان في غشيتي ، فقالا . انطلق نحاكك إلى العزيز الأمين . فانطلقا في فلقيهما ملك آخر ، فقال : وأين تريدان به ؟ قال : نحاكم إلى العزيز الأمين . قال : فأرجعاه ، فإن هذا ممن كتب الله لهم السعادة ، وهم في بطون أمهاتهم ، وسيمتحن الله به نبيه ما شاء الله . فعاشر شهراً ثم مات ! (١) .

ويكون معنى الأمين هنا هو القوى ، إذ من معاني الأمين في كتب اللغة القوى (٢) ، وقد يقوى هذا ورود كلمة « الأمين » مع كلمة « العزيز » في القصة السابقة .

ومن أصل مادة « الأمن » جاءت كلمة « الإيمان » التي وردت في آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » وقوله : « وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً » وقوله :

ومن مادة « الأمانة » جاءت كلمة « الأمين » في طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « وأبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين » وقوله : « إن خير من استأجرت القوى الأمين » وقوله : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وقوله أكثر من مرة في سورة الشعراء : « إني لكم رسول أمين » .

والأمين هنا الذي لا يخون ولا يخدع ، ومعنى : « وأنا لكم ناصح أمين » : أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة ، فما حق أن تهتموني ، أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه ، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (٣) .

وقد وصف جبريل بوصف الأمين ، يقول القرآن : « نزل به الروح الأمين » ويقول : « مطاع ثم أمين » وجبريل هو أمين الله على وحيه ، وسفيره إلى أنبيائه ورسله . وقد وصف مكان المتقين بالأمين في قوله : « إن المتقين في مقام أمين ، أي أمنوا فيه من السوء والتعب والالام ، كما وصفت مكة بالبلد الأمين في قوله : « وهذا البلد الأمين » أي الآمن .

وقد يجوز وصف الله سبحانه بوصف « الأمين » : روى الأزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة

(١) - إبان الرب ج ١٣ ص ٢٧ .

(٢) - انظر مثلاً القاموس ج ٤ ص ١٩٧ .

(٣) - الكشف للزخشري ، ج ٢ ص ٦٩ .

ويقول الطبرسي عن الإيمان ^(١) : « أما في الشريعة فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وأنبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار » .

ويعبر ابن قتيبة عن إيمان العبد بالله بأنه تصديقه قولاً وعملاً وعقداً ، فالعبد مؤمن ، أى مصدق ، والله سبحانه وتعالى مؤمن ، أى مصدق ما وعده ، أى محققه ، أو هو قابل لإيمانه ^(٢) .

وقد ذكر بعض الأئمة أن الإيمان أنواع فمن الإيمان تصديق باللسان دون القلب ، كإيمان المنافقين ، يقول الله تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، أى آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم » ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب ، ومن الإيمان تصديق باللسان والقلب ، يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب .

ومن الإيمان تصديق ببعض وتكذيب ببعض ، قال الله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، يعنى مشركى العرب ، لأن سألهم من خلقهم قالوا : الله ، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء ، وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل والكتب ويكفرون ببعض

« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » ، وقوله « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » ، وورد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، عشرات المرات في القرآن المجيد » . الخ .

وفي المقاموس أن الإيمان هو الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة ^(٣) : « وحدد الزجاج الإيمان بقوله : الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتقاده وتصديقه بالقلب فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شك ، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب » ^(٤) .

وقال الأزهري : اتفق العلماء على أن الإيمان هو التصديق ، قال تعالى « وما أنت بمؤمن لنا ، أى ما أنت بمصدق لنا ، وتقول العرب : (ما أمنت أن أجد صحابة) أى ما وثقت ، فالإيمان هو الثقة والتصديق ، وقال الله تعالى : « الذين آمنوا بآياتنا ، أى صدقوا بها ووثقوا فيها » ^(٥) . ومن الواضح أن التصديق اطمئنان واستقرار ، وأن الثقة اطمئنان واستقرار ، فارتباط الإيمان بالأمن واضح ظاهر .

(١) المرجع السابق .

(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٣ .

(٣) تفسير الطبرسي ، ج ١ ص ٣٧ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) تفسير غريب القرآن ، ص ١٠ .

التي ائتمنه الله عليها ، وهو منافق ، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب ، فإنه لا يخلو من وجهين : أحدهما أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم ، أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقال له ، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق ، وترك قبول الصواب ، أعاذنا الله من هذه الصفة وجعلنا من علم فاستعمل ما علم ، جهل فتعلم من علم ، وسلبنا من آفات أهل الزيغ والبذع ، بمنه وكرمه ، (١) .

وقد تحدث العلماء كثيراً عن شمول الإيمان للعمل ، وقال الطبرسي : قد روى الخاص والعام عن علي بن موسى الرضى عليه السلام أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، وقد روى ذلك على لفظ آخر عنه أيضا : الإيمان قول مقول وعمل معمول ، وعرفان بالعقول ، واتباع للرسول (٢) ١ :

وفي أسماء الله تعالى « المؤمن » كما جاء في القرآن وهو الذي يصدق عباده وعده ، فهو من الإيمان بمعنى التصديق ، أو هو الذي يؤمنهم في القيامة من عذابه ، فيكون من الأمان والأمن (٣) . وقال بعض أهل العلم : إن

قال الله تعالى : « فلم يك ينفعهم لإيمانهم لما رأوا بأسنا » ، يعنى لإيمانهم ببعض الرسل والكتب ، إذ لم يؤمنوا بهم كلهم (١) .

والإيمان استعمالات يشير إليها الراغب ، فيستعمل تارة إسما للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوة محمد وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان للنفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء ، تحقيق بالقلب وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، ويقال لكل من الاعتقاد ، والقول الصدق والعمل الصالح إيمان ، ويزداد اهتمامنا هنا بقول الراغب في حديثه عن الإيمان : « إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه من (٢) » لأن هذا يؤكد ارتباط معنى الإيمان بمعنى الأمان . كما أن الإيمان يرتبط بالأمانة ، لأن الأمل في الإيمان كما يقول ابن منظور في اللسان — الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة ، وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد الأمانة

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٣ .

(٢) تفسير الطبرسي ، ج ١ ص ٣٨ .

(٣) النهاية لابن الأثير ، ١ ص ٤٣ .

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٧ .

(٢) مفردات القرآن ص ٣٥ .

الآلاف والميم والنون ، وهذه هي الأمن ضد الخوف ، والأمانة ضد الخيانة ، والإيمان ضد التكذيب .

أما بعد فقد قال ابن عباس : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى « آمين » فقال افعل (١) ، وهذا كما يقول ابن فارس : يعود إلى معنى مادة « أمن » ، الثاني وهو التصديق ، لأنه متى استجاب الله للدعاء وحققه فقد صدقه فهناك تصديق للدعاء بالتحقيق له من الله سبحانه ، ولذلك قال الترمذى : إن معنى آمين : لا تخيب رجاءنا ، وقال جعفر الصادق في تأويل آمين : قاصدين نحوك ، وأنت أكرم من أن تخيب قاصدا : وقال أبو إسحاق : معناها : اللهم استجب ! .

ونعود فنردد بالدعاء قائلين : اللهم لا تخيب رجاءنا ، اللهم آمين ! .

أصحح الشرح

(١) تهذيب الاسماء للنوى ، ج ١ ص ١٢ .
ونحن نتعرض لكلمة (آمين) لأنها في الظاهر من مادة « الأمن » .

المؤمن في صفات الله تعالى هو أن يصدق ما وعده عبده من الثواب ، وقال آخرون : هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم (٢) وقال ابن قتيبة فيما يتعلق بوصف العبد بصفة المؤمن : « وقد يكون المؤمن من الأمان ، أى لا يأمن إلا من آمنه الله (٣) » ، فالعبد يصدق ربه فيأمن بتصديقه ، والله يصبر ربه عبده في هذا الإيمان فيؤمن عليه بالأمان :

وقد يراد المؤمن للشخص الأمين الذى يأمنه الناس ، ففي الحديث عن ابن عمر قال : أتى رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من المهاجر ؟ . فقال النبي من هجر السيئات . قال : فمن المؤمن ؟ قال : من اتعنه الناس على أموالهم وأنفسهم . قال : فمن المسلم ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قال فمن المجاهد ؟ قال : من جاهد نفسه (٤) .

ومن هذه التصوص والشواهد المتواكبة المتعاقبة نشهد ترابط الفروع الثلاثة لمادة

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ١٠ .

(٣) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ .

بمناسبة العيد :

مباهج الحياة .. في نظر الإسلام

للأستاذ فتحي عثمان

- يردف الإسلام صيام رمضان - عيد الدستور
في الإسلام - بعيد الفطر ...
- ويردف الإسلام أيام الحج في ذى الحجة
- عيد الوحدة في الإسلام - بعيد النحر ...
- وينظر الإسلام إلى هذا وذاك على أنه عيد .
عيد فيه معنى الهبة والفرحة ، واللعب
واللهو البرى ... وإشارة النص إلى أن هذين
العيدين بديلان أفضل وأخير ليومين كان
العرب « يلعبون ، فيهما في الجاهلية ... إشارة
النص إلى هذا لا تخلو من دلالة معبرة ١١
- وهكذا تتعاقب شعائر الصيام والحج
والتبطل ، مع شعائر الفرح والمرح ...
- إن الحياة في الإسلام سوية مستقيمة ... ليس
فيها نسلك الأعاجم ، وعبوس المتزمتين ،
وإضناء الجسد بدعوى ترقية الروح ...
- الحياة في الإسلام متكاملة ...
- ترضى الجسد والروح ، وتستوعب الجدة
واللهو ، وتستكمل الحاجات والأشواق ،
وتستجيب لضغط الضرورة ودواعي الزينة
والجمال والكمال ١
- ***
- في القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :
« والخيل والبغال والحمير ، لتركبوها ... »
وزينة ، ١١
- وفي القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :
« يا بني آدم ... خذوا زينتكُمْ ، هند كل
مسجد ، ١١
- وفي القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :
« قل من حرم زينته الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق ، ١١
- وفي القرآن الكريم ، نقرأ أن نبيا صالحا
من أنبياء الله رضى أن يرسل ابنه الحبيب
- الذى هو بدوره نبي كريم - ليلهو ويلعب :
« أرسله معنا غدا ... يرتع ويلعب ... »
وإناله لحافظون ، ١١
- فالإسلام لا يصادر مباهج الحياة ، ولا يحرم
طيبات ما أحل الله ...
- والإسلام لا يعرف التقوى المرهقة القاسية :
لأنه يفرض الوضوء طهارة وفضافة ...
- ثم يردف الحكم بالحكمة ... ما يريد الله
ليجمل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ،
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون .

ولو أن امرأ اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله تعالى ويتخذها هزوا — فهذا هو الذي ذمّ الله تعالى ، وما ذمّ قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليلتهى به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ...

فمن نوى باستماع الغناء عوناً على معصية الله تعالى فهو فاسق ، وكذلك كل شيء غير الفناء ! ! ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ... كخروج الإنسان إلى مشيائه متنزهاً ، وقعوده على باب داره متفرجاً ، وصباغة ثوبه لا زوردياً أو أخضر أو غير ذلك ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله ... ، ! ! .

وروى في حياة رسول الله ... أتقى الخلق لله وأعبدهم له ، هذه الروائع : في الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عائشة قال : دخل على رسول الله في يوم عيد ، وعندى جارتان تغنيان بغناء بعث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه . فدخل أبو بكر فاتهرنى وقال لى : أمر مار الشيطان عند رسول الله ؟ فأقبل عليه رسول الله فقال دعمما ... وعلق ابن حزم على هذا الحديث : فصح أن الغناء

ويفرض الصلاة ... ثم يردف الشعيرة ببيان الغاية : وأقم الصلاة ... إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .

ويفرض الصيام ... ثم يقرر أن الأصل هو التيسير ... يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتذكروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون .

وأحكام الإسلام ... تختار صاحب الصوت الجميل ، للأذان ، وتفضل الأحسن وجهاً ، على غيره ممن تتوافر فيهم شروط الإمامة في الصلاة ! !

* * *

تحدث الإمام الجليل ابن حزم عن سماع الألبان والغناء ، فكان له رأي الجليل المشهور ، وقد قرر أن : بيع المزامير والعيدان ، والمعازف والطناير - حلال كله ، ومن كسر شيئاً ضمنه ... ، ! !

وهو يناقش مدلول اللهو الذى ذمّه القرآن ، ويقرر أن اللهو في الأصل مباح ، فيقول في معرض مناقشة الآية القرآنية السكرية : ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين .

د ... هذه صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف ، إذ اتخذ سبيل الله تعالى هزوا ،

كما أن الصوم فريضة بأمر الله ، وكما أن الجدة في مواضعه مطلوب بشرع الله .

والصيام يوم العيد حرام ...
واستثارة الأحزان يوم العيد حرام ...
إن الله يُعبد بإشاعة الفرح والسرور ، كما يُعبد بالجد في معالي الأمور .

ولكن المسلمين غفلوا عن هذه الصورة البهيجة في دينهم ، ففتمت حياتهم ، وغدا الناس يرون أنفسهم بين أمرين : حياة كالحقة ثقيلة باسم الدين ، أو حياة منطلقة معربة تنحل من كل القيم .

ولو أنصف دعاة الدين في عرض دينهم ..
لعرضوه متكاملاً ، وأبرزوا وفاقه مع الفطرة والحياة ...

إن عبد الرحمن السكاكبي يبرز آفة للتمزق والتشدد ويحذر منها في كتابه « أم القرى » :
« ... وهكذا بالتأدي عظم التشديد في الدين ، حتى صار إصراراً وأغلالاً ... فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف ، فوضع عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكليف ...
« يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » - فإذا كان الشارع يأمرنا بالترام ما وضع لنا من الحدود ، فما معنى نظرنا الفضيلة في الزيد ؟ .

أيها المؤمنون :

مباح مطلق لا كراهية فيه ، وأن من أنكره فقد أخطأ بلا شك ، !!

وهو يروى أيضاً من طريق مسلم عن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة ، قالت : جاء حبش بزفنون (أى رقصون) في يوم عيد في المسجد ، فدعاني النبي حتى وضعت رأسي على منكبيه ، فجلست أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرفت عن النظر !!
ودلالة هذه النصوص واضحة ...

والذي يعنيننا من رأى ابن حزم بصفة خاصة في هذا المقام ، نظرته إلى اللهو ، وتصنيفه لأنواعه وحكم هذه الأنواع ما بين الحل والحرمة .. فأيا كان رأيه في السماع ، فإن في تفرقه بين اللهو المباح والمحرم ، وتقريره الأصل في الإباحة ، انتصاراً للفطرة ، وإبرازاً لروعة أحكام الإسلام ، ودلالة على حسن الفقه في دين الله !

وتأتي الأعياد في الإسلام ... تقريراً وتوكيداً لبهجة الحياة ! فيها يأخذ المسلمون زينتهم ... ويعلنون بهجتهم . وفيها يتجمعون ... ويتزاورون . وفيها يفرحون ... ويمرحون !! .

وهذه البهجة في العيد مقدسة بأمر الله .

إن كتابكم قد لفت أنظاركم إلى الكون
وروائية ...
وقد زكى فيكم إحساس الشعور بالجمال
وبدائعه ...
وقد فتح أعينكم على نعم الله عليكم فى
أنفسكم وفى دنياكم ...
فاعبدوا الله بالإفادة من نعمه ، والمتعة
بطيبانه ، والبهجة بالحياة السوية والفرطة

المستقيمة وأعلنوا الفرح المقدس بالعيد ،
كما أعلنتم « الصبر ، المقدس بالصيام » .
« فأقم وجهك للدين حنيفا ... » .
فطرة الله التى فطر الناس عليها ...
لا تبدل لخلق الله ...
ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ،
فنفخى عثماني

بقية المنشور على صفحة ١٢٢٨

الرفيع فى صورة زخارف أو كتابات أو أنواع
من الخزف المسطح على الجدران ، أو الآنية
بين خزف ونحاس أو أقمشة وبجاجة .
فقد وجد الفن بحاله بين العامة وفى بيوتهم
على صور وهيات مختلفة ، ولم تقتصر هلى
مناسبة دينية ، أو مناسبة عامة أو خاصة .
ولم يتخرج الفنان الشعبى أن يحسرك
صوره ونماذجه ورسومه ، ويحررها من
القيود التى أملاها الاتجاه المدرسى لفن الدولة
- فى الفن الفرعونى - أو قيود الوقار الدينى -
فى الصور المسيحية - كما امتاز عمله بتنوع
الموضوع وتعدد الاتجاه .
وهذا نرى أن الفن الشعبى لا يكاد يظهر
فى العصر الفرعونى ، ويظهر محدوداً بالحيز
الدينى فى العصر المسيحى ، وانطلق غير
مقيد واضحا متعدد الاتجاهات فى ظل الحضارة
الإسلامية .
عبدالمجيد وائى
المدرس بمعهد القاهرة

ابتداء القراءة بالبسملة في غير أوائل السور

للأستاذ الحسيني عبد المجيد دهاشم

الشیطان الرجیم ، فهذا فی معرض البیان لأسلوب البداءة حین القراءة یعنی الحصر فی الاستعاذة والافتصار علیها دون التسمیة إذ من المقرر فی علم الأصول ، أن الافتصاد فی مقام البیان یفید الحصر ، فزیادة التسمیة زیادة علی نص قرآنی والزیادة علی النص القرآنی نسخ والنسخ لا یجوز إلا بمتواتر أو مشهور ولولا هذا النص لکان رأی القائلین بالتسمیة سائغا .

وأقول إن من القواعد المقررة فی علم الأصول ، الدلیل إذا طرق إلیه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وقد قال بعض العلماء ، إن منطوق الآیة من غیر تأویل یقتضی القول بالاستعاذة بعده القراءة ، وهذا طبعا یمخرج المقام عن أنه مقام ابتداء للقراءة ومهما قیل فی هذا الرأی فهو احتمال یتمشی مع النظم القرآنی والمعنی فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشیطان الرجیم بعد قراءة حتی لا یوسوس لك الشیطان بعدم الفائدة من قراءتك .

وعلی رأی أكثر العلماء من أن المقام هو الابتداء أى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ الخ : فهذا یتحتم علینا أن نبحت الفرق

دعانی إلی السکتابة فی هذا الموضوع ما نشر علی صفحات مجلة الأزهر الغرام فی العدد الماضی تحت عنوان « قراءة القرآن من أواسط سورہ ، وهو بحث قرآنی یدور حول ریاض القرآن الکریم فعلینا أن نتحرى فیہ الدقة الفائقة والاستقصاء التام والدراسة الواعیة وأن نتناول الموضوع الهیئ من جمیع أقطاره حتی یدو علی مرآة البحث مقنعا كاملا واضح المعالم خاصة إذا ترتب علی نتیجة البحث حکم عملی یم المسلمین فی أنحاء العالم كله .

ذكر الكاتب أدلة المثبتین للتسمیة قبل تلاوة القرآن فی غیر أوائل السور وخرج الحدیث الداعی للتسمیة « كل أمر ذی بال لا یبدأ فیہ ببسم الله الرحمن الرحیم فهو أقطع ، و بین درجة الإسناد فیہ وأنه لم یصل إلی درجة التواتر والشهرة .

ثم فکّر هلام اعتمد الصومالیون فی طریقتهم من الاستعاذة ثم القراءة مباشرة من غیر التسمیة بخلاف المصریین فاعتدی إلی الدلیل القاطع الذی سماء نصا فی الدلالة علی عدم التسمیة فی غیر أوائل السور .

، فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من

القاسم رحمه الله يقول إن الاستعاذة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم ^(١) » . وإذا كانت الاستعاذة خصوصية في ابتداء التلاوة للأمريها في الآية كما جعل التكبير خصوصية في افتتاح الصلاة فما المانع أيضا أن تجعل البسملة خصوصية في كل افتتاح للتلاوة قياسا على أوائل السور المجمع على كتابتها في أوائلها وقراءتها فيها تيمنا وبركة واتباعا وقسا .

وإذا كانت البسملة مطلوبة في أول الأفعال بالنص القرآني كالنحر وركوب البحر فقد قال تعالى في النحر فكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وفسر اسم الله ببسم الله الرحمن الرحيم ، أليس من حقنا أن نفسر اقرأ باسم ربك : اقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم . ونستأنس بما لهذه الآية من منزلة ومكانة عن البدء بها في أول كل سورة عدا براءة لأنها متممة لسورة الانفال أو لأنها سورة السيف .

واستحضر معي قصة سفينة نوح وهي تحمل المعمرين إلى الدنيا أنه أمر جليل ، لذا ذكرت التسمية « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ، فإذا طلبت في بدء الأفعال فقراءة القرآن من أى نقطة أولى وأجل ، وهذا يوافق معنى الحديث : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع .

(١) أنظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٣٩ وسنن أبي داود ج ١ ص ٧٧ .

بين الاستعاذة والتسمية فمن المعلوم أن الاستعاذة بالاتفاق ليست بقرآن أما بسم الله الرحمن الرحيم فالاجماع على أنها آية من سورة النمل وهي آية من كل سورة عند ابن المبارك وهي في الفاتحة آية عند الشافعي ، وفي أحد قوايه أنها آية من كل سورة وأما مالك فقال ليست بآية لا في الفاتحة ولا في غيرها — وما دام الاجماع منعقدأ على أنها آية من سورة النمل بالاتفاق فهي على أى حال آية قرآنية في أوائل السور وفي غيرها ، وإنما الخلاف ينصب على أنها هل تعد ضمن آيات كل سورة أو هي آية واحدة في القرآن توجت بهار . وس السور فلا تعد إلا ضمن آيات النمل — بعد كل ذلك نقول : وإذا ثبت أنها آية قرآنية فلا يقال لم اقتصر النص القرآني في الآية على الاستعاذة ولم تذكر التسمية لأن معنى الآية فإذا قرأت القرآن الصادق بالتسمية وبما يماثلها من آيات قرآنية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وأظن بعد ذلك أننا لسنا أمام نص قرآني قاطع بعدم التسمية وأنتا معافون من النتائج المترتبة على معارضة النص وبناء على ذلك من الممكن أن تكون أدلة المثبتين سائغة .

وإذا كانت الحكمة الداعية للاستعاذة قطع وسواس الشيطان والهواجس النفسية التي تتراحم على رأس الغاريء لمباب التلاوة فلتكن هي الحكمة في القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، ولعل اتحاد الحكمة هو ما جعل ابن

الرجيم عند قراءة القرآن الذي هو أحسن الأعمال وأزكاهما . وبناء على ذلك نقول : إذا ثبتت التسمية في بدء الأعمال كما تقدم ، فإن أذكر الأعمال البدء في التلاوة سواء من أوائل السور أو من غير أوائلها مما جعلته بدءاً لقراءتك ما دامت القراءة من غير أوائل السور جائزة ومن أحسن الأعمال .

وبعد فما أوردنا نستطيع أن نقول : حتى لو أسقطنا من حسابنا الاستدلال بالأحاديث الداعية للتسمية وقول الكثير من العلماء والقراء .

إن البسملة في غير أوائل السور ليست معارضة لنص قرآني ، وإن البسملة بعد الاستعاذة في غير أوائل السور أشبه ما يكون بالحق وأقرب إلى الصواب لليمن والبركة ، والقياس على ما علمنا من الأعمال والقياس على أوائل السور .

وعلى القراء أن يصدقوا بها وهم مطمئنون فهي آية أمام الآيات لها ميزتها الخاصة مما جعلها تتكرر في بدء كل سورة ، ولا لوم إذاً على من لم ينكرها من العلماء الأزهريين طوال هذه السنين ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الحسيني هبة الفخيم هاشم

المدرس بمعهد الرقازيق

وإذا استعرضنا المناسبة التي ذكرت فيها بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل نجد ملكه سبأ تحكي لأشراف قومها مضمون كتاب سيدنا سليمان ، وقد بدىء بالتسمية « قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم ، مكرم مختوم ، ولم تذكر صورة الكتاب ، وإنما افترضت على ما فيه الفائدة ، لشدة معرفتها وبلاغتها » إنه من سليمان ، المرسل سليمان « وإنه ، أي مضمونه الآتي « بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعملوا على » وأتوفى مسلين ، حكاية الله لنا أن سليمان ابتدأ كتابه الملك بسم الله وذكر الله لنا ذلك في وسط السورة وبين ثنايا الآيات ، أليس في ذلك ما يطمئنا حينما نقرأها في ابتداء الآيات ويجعلنا نحمل بها جيد كل ابتداء للتلاوة .

وانظر معي إلى مناسبة آية الاستعاذة مما قبلها من آيات : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياً طيباً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، نجد أن حكمة التفریع على ما قبلها كما ذكرت التفاسير أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب الاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على وساوس الشيطان ، والمعنى إذا علمت مما تقدم أن أعظم الجزاء لمحاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان

أصالة الفقه الإسلامي

للأستاذ علي العماد

ولم يكن عندما وضع في القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة البيان العربي إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه ، فالبيان العربي في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولاً ، وبالبيان اليوناني أخيراً ، وإذا لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان .

هكذا يقول شيخ المستغربين ، فهو لم يكتف بتأثر البلاغة العربية في طور من أطوارها بالبيان اليوناني ، بل جعلها وثيقة الصلة بهذا البيان في جميع أطوارها ، فليس من علماء العرب أحد تكلم في البيان منذ بدأ العرب يتكلمون إلا وهو دارس للفلسفة اليونانية ، هكذا ... والشيخ عبد القاهر لم يكن له أي فضل إلا أنه بذل جهداً صادقاً في شرح أرسطو ، فأسرار البلاغة قبس من فلسفة أرسطو ، ودلائل الإعجاز لا يسع من بقرؤه إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو . وماذا بقي بعد ذلك لإمام البلاغيين ؟ بقي له التوفيق الذي يدعو إلى الإعجاب في محاولته هذه .

كتب أحد العلماء بحثاً في صحيفة يومية جاء فيه فقرة عن الفقه الإسلامي يقول فيها : « وهناك طريق آخر تربت منه هذه الفتوى التقليدية - يريد الحكم بقتل المرتد عن الإسلام - وأهني به طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التي تأثر بها المسلمون وفقهائهم في العصر العباسي ، وقد كانت هذه التقاليد ، وما زالت تقضى بقتل المسيحي إذا هو غيّر دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم منز) ص ٥٦ من كتابه الجليل (الحضارة الإسلامية) . وهذه شذوثة نعرفها من أخزم ؛ فالمستشرقون يحاولون جاهدين أن يسلبوا أسلافنا كل فضيلة ، وأن يشككوا في تراثنا كله ، والمستغربون وأشباههم من أبناء أمتنا يريدون أن يشبهوا أن لم يكونوا مثلهم ، وعند هؤلاء هؤلاء أن العرب أضيّق أفقا ، وأضعف عقولا من أن يدونوا علما ، أو يقدروا قواعد ، ولو كان لهذا العلم أصوله النازلة من السماء .

فالبلاغة من أرسطو ، وشيخ البلاغيين عبد القاهر قد أنفق جهداً صادقاً خصباً في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول ،

ويدينون بمعتقداتنا ، ويعيشون على أرضنا .

(كولد زهير) قال إن الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني ، فيجب المصير إلى قوله . لأنه العلامة الأوحى الذى تفضلت به الحياة على الناس ، ولا يمكن أن يرد قوله ، أو تحوم الشبهة حول صحة تفكيره ، وقوة منطقته ، أما الباحثون من المسلمين ، قدامى ومحدثين فلا ثقة بما يقولون .

لقد أثرت هذه المسألة قبل ذلك فى أوقات متباعدة ، وقد نوقشت وتبين فيها وجه الحق لمن يريد الحق ، ولكن لا بد من جديد ، والجديد عندنا إن وجدنا من يريد أن يقتنع . أول ما ينبغى أن يعرفه المفتونون بالغرب ، عن قصد أو عن غير قصد أن المستشرقين - مهما نذرعوا ، وأنظأهروا بحج البحث العلى - هم أعداء ألداء للإسلام ، وللثقافة الإسلامية (ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامى وتشويه لمبادئ الإسلام ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك فى هذا الجانب ، والتفاوت - إن وجد بينهم - إنما هو فى الدرجة فقط ؛

والنحو العربى كذلك ليس من وضع سيدنا على بن أبى طالب ولا أبى الأسود الدؤلى لأنهما فيما أعرف لم يدرسا النحو السريانى ، وهذا النحو هو أساس النحو العربى ، لأن تقسيم الكلمة فى النحويين واحد ، والسريان - طبعا - سابقون ، فمنهم أخذ العرب نحوهم ... ولا شك !

وقد كنا نعتز بجهود فقهاءنا . وأماهم ، وتحريمهم ، ونقول إنهم - على الأقل - وحدهم من بين علماء العربية الذين اعتمدوا على دراساتهم العربية المحضة . وعلى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وعمل أصحابه ، ولكن بعض علمائنا يذهبنا ، ونحن غافلون ، نقلا - طبعا - عن أحد المستشرقين ، أو عن جماعة منهم ، إلى أن هؤلاء الفقهاء تأثروا بالفقه الرومانى ، وبتقاليد الدولة البيزنطية ، بل تسربت لآلهم بعض الأحكام ، وهم لا يشعرون ، وما داموا كذلك فلا ثقة بما يقولون ، ويجب أن نطرح آراءهم حين نبحث عن الحقيقة ، (والإسلام الأصيل الحقيقى السمع براء كل البراءة من قتل المرتد مسلما كان أو غير مسلم . فلنترك الناس أحرارا فى آرائهم ومعتقداتهم) - كما يقول هذا الكاتب - وفقهاء المسلمين جميعا راغمونا ! هذا هو المنطق الذى يكتب به قوم من أبناء جلدتنا ، يتسمون " بأسمائنا ،

جريئة لا يقول بها إلا من يجهل التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا؛ فالذى يعرف تاريخ الصحابة ، ويدرس سلوك الأئمة وأخلاقهم يوقن أن هؤلاء لا يمكن أن يعتمدوا أحكاما بعيدة عن الإسلام ، ويدخلوها فى الفقه على أنها من الشريعة ، والذى لا سبيل إلى الشك فيه أنهم كانوا يتفقون عند النصوص ، فإذا لم يكن نص اجتهدوا ، واستندوا إلى الأصول العامة فى الدين .

والدارس للفقه ولتاريخ التشريع يعلم أنه بعد عصر الصحابة نشأت مدرستان نما الفقه وترعرع فى ظلالهما ، مدرسة المدينة . وعمادها الفقهاء السبعة المشهورون ، وإمامهم سعيد ابن المسيب ، ومدرسة الكوفة وإمامها إبراهيم النخعى الذى ظهرت صورته واضحة فى أبى حنيفة .

أما المدرسة الأولى فقد أسست الفقه الإسلامى ، وكانت تستمد فقهها من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان مذهبهم اتباع السنة ، ومذهب الصحابة ، وقد بعدت هذه المدرسة عن أى مؤثر خارجى لأنها قامت فى مدينة الرسول ، وكان هؤلاء إذا لم يجدوا نصا فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه لجأوا إلى القواعد العامة للدين من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار ، وقوله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه (١) .

وجولد زهير - بالذات - معروف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، وهو من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» ودورها فى تشويه الإسلام معروف لكل من طالعها . وأخطر من المستشرقين - فى نظرى -

أولئك المستغربون ، الذين يروجون آراءهم بل ويدافعون عنها ، ويعطيلون فى امتداحها .

وهل يمكن أن نجد رجلا يحترم دينه وعقله ، وقد قرأ شيئا عن مصادر التشريع الإسلامى ، وعرف أن القرآن والحديث هما المصدران الوحيدان لهذه الشريعة ، هل يمكن أن يقول هذا الرجل إن الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، وعلماؤنا الاتقياء الورعون الذين كان بعضهم يتورع أن يفسر كتاب الله برأيه ، وصحابه الرسول الأجلاء الذين أخذنا عنهم كثيرا من تفسيرات شريعتنا ، وكل أولئك كانوا شديدى الخوف أن يقولوا على الله ما لم ينزل به وحى ، أو يتحدث به الرسول الكريم .

إن دعوى أن مسألة من المسائل تسربت إليهم من النقايد المسيحية البيزنطية دعوى

[١] من محاضرة عنوانها (البشرون والمستشرقون) ص ١٥ للدكتور محمد البهى .

بمذهبه ، هذا الامام كان من رجال الحديث الذين يكرهون القياس ، على أن مذهبه قد اضمحل وذهب ، وذهب معه كل أمل في البحث عن أثر الحقوق الرومانية فيه إن صح أن لها فيه تأثيراً^(١) .

وإذا كان لابد لنا من الاستعانة بما كتبه العلماء الذين درسوا الفقه الروماني بجانب دراستهم للفقه الإسلامى ، فإننا نثبت هنا كتيبتين لعالمين كبيرين . قال معروف الدواليبى : « إننا إذا نظرنا إلى هذه الدقائق التاريخية وجدنا عندئذ دعوى المستشرقين عبارة عن فرضية مجردة من كل دليل ، ومتنافية مع الوقائع التاريخية ، وهذا ما يجردها بعد اليوم من كل قيمة ، ولم يجد للفقه الإسلامى فى سورية موطناً ملائماً للتوسع والرقى ، والاقتراس من الحقوق الرومانية ، يقول ذلك لأن سورية - كما يرى - « لم يكن لها أى تأثير فى تطور الحقوق الإسلامية ، ولم يعرف عنها أنه نشأ فيها مذهب من مذاهب الفقهاء الأحرار ، لأن سورية فى عهد نشأة الحقوق الإسلامية كانت تحت سيطرة مذهب المحدثين المنزدين للفقه الإسلامى على ما هو عليه فى الحجاز ، وكما جاءت به نصوص

وأما مدرسة الكوفة ، فمع أنها شهرت بمدرسة الرأى كانت تأتم فى عملها بجماعة من الصحابة أشهرهم ابن مسعود ، وقد أدرك إمامها وهو النخعي جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدرى والسيدة عائشة - رضى الله عنها - وكانت هذه المدرسة كذلك إذا لم تجد نصاً لجأت إلى الرأى ، ولكنها عانيت بالتعليل ، على أنه إذا ثبت عندها النص لم يتركوا العمل به ولو خالف الأصول العامة ، وأبو حنيفة الأستاذ الثانى فى هذه المدرسة كان من العلم والفقه والورع على ما كان ، وقد شهد له الإمام الشافعى شهادة جليلة ، حيث قال : « من أراد أن يفتن فى المعازى فهو عيال على محمد بن اسحق ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة » . وكان أبو حنيفة يأخذ بمنهج الأحاد إذا لم يخالف السنة المشهورة ولم يسبق طعن أحد من السلف فيه ، ولم يخالف العمل المتوارث بين الصحابة والتابعين .

فى هذه الفترة تحددت كل أصول التشريع ، وكان عمل الفقهاء فيما بعد التفريع والتعليل ، فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء الإسلاميين أخذوا فقههم من أى فقه آخر .

على أن الأوزاعى الذى يعملونه مظهرًا لتأثر الفقه الإسلامى بالفقه الروماني ، لأنه عاش فى الشام ، وكان أهل الشام يعملون

[١] الحقوق الرومانية وتاريخها ص ٣٠ لمعرف والداليبى .

الكتاب والسنة (١) ، هذا والكاتب سورى فقول فى هذه المسألة فصل .

وقال العالم الجليل الذى أطال للنظر والدرس فى الفقه الاسلامى ، وكان حجة فى القوانين الغربية المرحوم الأستاذ عبد الرزاق السنهورى . « لن يكون هنأ فى هذا البحث إخفاء ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصنعة والأسلوب والتصوير ، بل هل النقيض من ذلك سنعمى بإبراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الاسلامى بطابعه الخاص ، ولن نحاول أن نصطنع التقرىب ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة ، فإن الفقه الاسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ، ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغته ، وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه ،

ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقرىب الفقه الاسلامى من الفقه الغربى ، ولا يعنينا أن يكون الفقه الاسلامى قريبا من الفقه الغربى فإن هذا لا يكسب الفقه الاسلامى قوة ، بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع ، وهو جانب للفقه الاسلامى منه حظ عظيم (٢) . »

أعتقد أنه بعد هذا نستطيع أن نؤكد أن الفقه الاسلامى فقه أصيل ، وأن علماءه أدوا الأمانة العلمية على أتم وجوها ، ولم يكونوا من البلاء والغفلة بحيث يتسرب إلى فقههم حكم ليس له مستند من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس ، وأن الذين يرددون هذه الأباطيل إنما يخدمون المبشرين والمستعمرين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ؟

على العمارة

[١] الحقوق الرومانية من صفحات ٥٠، ٤٥، ٥٢

[٢] مصادر الحق فى الفقه الإسلامى ص ٢، ٣

التدين ضرورة لحياة الأمم والأفراد

للأستاذ محمود النواوي

وإحسانه أن أرسل الرسل معلمين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وكان من لطفه وإحسانه أن أرسل إليهم الرسل بما يلزم معرفته والإيمان به من علوم السموات والأرض منظمين الحياة للناس في أسرهم وفي مجتمعاتهم وفي علاقاتهم كل أمة مع غيرها من الأمم حتى يعيشوا إخوانا متحابين ، ودلوهم على طقوس من العبادة تربطهم بخالقهم حتى تعز نفوسهم ولا تنكس رؤوسهم لغير خالقهم ، يعبدونه لا يشركون به شيئا . ثم كانت هذه الطقوس هي التي تهذب نفوسهم حتى تحسن علاقات بعضهم ببعض . وحتى لا يتحاسدوا ولا يتباغضوا ويكونوا إخوانا متعاونين وإخوة متسامين . وقد أرادت أن تلزم الناس ذلك . فجعلت لكل إنسان جزاء على ما يعمل : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، حتى يحاسب كل إنسان نفسه قبل أن يحاسب ، وحتى يخاف ربه ويشفق من ذنبه فلا يفعل إلا خيرا . فإن نسي أمر ربه وانحرف عن سبيل طاعته وأساء يوما إلى نفسه أو إلى أخيه ، فإن أمره

إن التدين ضرورة لاغنى عنها للبشر وأن التمسك بشعائر الدين مهما يكن ألزم لصاحبه من التحلل والإباحية مهما تكن ، وهو معنى سليم صادق فإن التحلل من الأديان والإباحية الفاشلة مهما حاول دعائها أن يدافعوا عن وصماتها . إن هو إلا تنازل عن معنى الإنسانية التي كرم بها الله الإنسان وميز من الحيوان فكلفه ووجهه ، وجملة خليفة ، وسخر له السكائنات من حيوان ونبات وجماد .

فالإنسان مهما تسكن درجته لا يكون إنسانا إلا بعقل ودين . أما العقل فإنه يتصرف به وينظم به شئون خلافته . والأديان لطف من خالق الإنسان تحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وتخرج الناس من مضايق المشكلات ومواج الشبهات وذلك أن العقلاء يختلفون في وجهات النظر ، وتقتصر أفكارهم أحيانا حتى يتنافضوا إن العقل مهما تكامل فهو متفاوت النظر قصير الإدراك في جانب علم الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، قال الله سبحانه : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، فكان من لطفه

أما إذا كانت المدنية هي الميوعة والخنوثة والعري وقضاء حق الشهوات الحيوانية في صور بهيمية فإن الدين لا يرضى ذلك لأنه يعلم ما فيه من وخيم العواقب وما يدعو إليه من العدوان والتنافس وما يوقع فيه من الأناية التي هي معول التعاون ومصدر الشقاق . فأنتهوني إذن ما عيب الأديان وهي مصدر القوة وأساس التحرر وما عيبها وهي التي نأخذ صاحبها بالخير وتجعل منه ملاكاً كريماً لا يرجو إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه تجعل منه إنساناً مناسباً يرجى خيره ويؤمن شره . لأن له ضميراً حياً يحمله على الخير ويحول بينه وبين الشر .

إن الإيمان بالله قادر عليهم صانع حكيم بما دلت عليه الفطرة وهدى إليه العقل فقالت به العامة والدهماء بمقتضى فطرهم وسذاجتهم كما قال به الحكماء والفلاسفة على مقتضى أدلتهم ومقدماتهم واستدل الأعرابي بالسماء وكواكبها والأرض ومساكنها على اللطيف الخبير . كما استدل بالبعرة على البعير وبالخطوة على المسير وكما استدل الحكماء على وجود الله بترجيح الوجود على العدم وكل ترجيح لا بدله من مرجح .

ولكن أبى ذلك : من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا

في يسر بلا عنت وإن ربه رحيم به . لا يوصد دونه باب الإصلاح والاستصلاح فليعد إلى ربه وليستغفر من ذنبه والله غفور رحيم . فمن أبى إلا أن يكون شريراً مفسداً ومعانداً مؤذياً ، فقد جعل له عقوبات في الدنيا تزجره حتى لا يعود وتزجر غيره حتى يصد نفسه عن الشر . كل هذا ليسود الوثام والحب . ولا ينبغي بعض الناس على بعض وتحقق الخلافة المنشودة .

هذا هو الخلاف بين رجال الدين والمتسبين إليه وبين غيرهم من دعاة الإلحاد والزندقة الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن التدين بشبهة أنه يخالف المدينة : ولقد علوا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما اشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . تالله لقد علوا لو كانوا يعلمون أن التدين لا ينافي المدنية الحقة ، فإن المدنية الحقة تقوم على نظام وتآلف ووطنية وصدق ووفاء وأمانة وقوة ودفاع وحرية ونظافة وعمل ونشاط ومعاملة دقيقة رقيقة وعدل وإحسان وكل هذه هي ما يدعو إليه التدين . بل يدور في محوره . فكل طمع في حق للناس وكل أثره وأناية وكل معاملة غير مرضية ليست تمت إلى التدين في شيء . وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله في كلمة واحدة (قل آمنتم بالله ثم استقم) .

هؤلاء يسيثون إلى أهمهم وشعوبهم بمقدار ما تحسن الأديان إلى الناس والمساكين يتجاهلون ما يسيثون ويدعون أنهم يحسنون فهم كما وصفهم الله سبحانه إذ يقول : قل هل ننبئكم بالآخرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . الآية .

ليس مذهب الوجودية الذى دعا به سارتر فى فرنسا فقامت حوله ضجة عالمية بين معزى له ومنكر عليه هو نسيج وحده ولا أول شىء من نوعه .

ولنما هو تمثيل للتحلل الذى ظهر فى فرنسا منذ عهد بعيد . فأضعف شوكتها وقل عزيمتها وأخرها عن مستوى الأمم . وهو تجديد لعهد التحرر الذى مر بفرنسا قبل عهد نابليون ، على أنه تجديد فكل نعمة فاشلة يقوم بها بعض ذوى البطالة من عباد الآهواء والشهوات . يريدون أن يزعموا أنها مذهب وفلسفة . وليس الهدم مذهباً ولا فلسفة وإنما هو هدم لبناء الأمم وتقويض للشعوب .

وإن شئت فقل فقارن بين المسلمين فى ماضيهم وقد اتخذوا الدين إماماً وقدوة بينهم فى حاضرهم وقد عرفوا الله وأغرقوا فى نسيان القرآن وإهماله وحسبك . أو قارن

تذكرون ، وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون . .

هؤلاء قوم لا تخلو الدنيا منهم يثبتون فى مختلف العصور نبأنا شيطاناً ليروا شهواتهم وينالوا أقصى متعهم ولذاتهم وقد نظمت الديانة ذلك كله نظاماً دقيقاً أميناً ولكن إسم التدين قد يزعج كثيراً من النفوس الفارغة والأفراد الفاشلة . والتدين خير لهم لو كانوا يعلمون .

هؤلاء قوم تسللوا من جماعة الإنسانية ليكونوا فى حظيرة الحيوانية وصاروا يدهون الناس بالمغريات ويزينون لهم الشهوات ولم يكونوا شجعاناً فى دعوتهم ، ولكنهم نافقوا وصاروا كالأشاة العائرة بين الغنمين فانطبق عليهم بالدقة قول الله سبحانه فى كتابه الذى وصف به ضعفاء اليهود يوم جبهتهم دعوة الحق ، ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، إلى قوله سبحانه : فى طغيانهم يعمهون . .

المجد ما هو إلا مجموعة من الفضائل تتمثل فى رباطة النفس على العدل والإحسان والعفة والزمالة والصدق والشجاعة والكرامة والأمانة والوفاء . وما إلى ذلك من المكارم والدين وحده هو الذى يكفل لمن يتمسك أن يأخذ من هذه الصفات السكرية فى أسرع وقت وأقرب زمن بأوفى نصيب .

وهي أمة عظيمة ذات مجد شاخ فهدموا أركانها ثم مدوا أيديهم إلى الهند فطارلوها ثم ظهر فيهم أبيقور المشهور بمذهبه الإباص التحللى ظهر هو واتباعه متسمين بسيا الحكاء ينكرون الألوهية ويقولون ما بال الإنسان معجبا بنفسه .

يزعم أنه أشرف المخلوقات ويدعى أن له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية بعد هذه الحياة ، ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ، ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفا لنظام الطبيعة مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوان بمزية ، بل هو أدنى منها جميعها ، وما زال أبيقور واتباعه بهذه المملكة حتى استعبدوها للشهوات فوقعت أسرى في أيدي الرومانيين وخاضعة لحكمهم وكبوا في قيود العبودية حتى استردوا بعض أخلاقهم فعاد إليهم بعض مجدهم .

والأمة الفارسية . كانت أمة تمجد التقاليد وترعى اليهود وتعز بالصدق والأمانة لأن التقاليد الدينية كانت أساس حياتهم والمسيطرة على مجتمعاتهم فكانوا يؤثرون الصدق إلى درجة أن الواحد منهم لا يستدين مهما بلغت به الحاجة خوفا من الكذب والمطل وخلف الوعد فارتقوا في الأسباب وبلغوا في عزة الملك مبلغا عظيما . قال المؤرخ الفرنسي لو نورمان إن مملكة فارس على

بين رجل متدين يخشى الله ويحسن إلى الناس فيعرف ما له وما عليه لا يؤذى ولا يبغى ولا يحسد ولا يحقد ويلجأ إلى الله في كل أمره ويرضى بقضائه وقدره .

ماذا يكون إنتاجه في الحياة وكيف تكون علاقته بالناس وقررة عينه بالعيش إذا كان مؤمنا حقا ، وآخر شهوانى طماع لا يعرف إلا الأثرة والأنانية والبغي والتخبط كيف تكون مشاكله في الحياة ، وقنوطه من رحمة الله ، وشقائه بعبثه وتعاسته في قومه ، وغير قومه .

ولقد وصف السيد جمال الدين الأفغانى أولئك الماديين وصفا طويلا في كتابة الرد على الدهريين فكان مما وصفهم به أنهم كثيراً ما ظهرُوا في الأمم منذ القدم يتسمون بسيما رفع الظلم ويدعون تطهير الأذهان من الخرافات وتنوير العقول بمحقائق المعلومات وتارة يتمثلون في صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء ، وأنهم في كل صورهم صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصنع متفاهم لبنية جيلهم ، وأطال الشيخ في وصف أُم خضعت للذل وضربت للضم بعد العزة التي كانوا ينالونها بقوة المقاومة والاعتزاز بالعقيدة والتمسك بالتقاليد الرفيعة ، وذكر منهم شعب الكرنك وهم اليونان الذين كانوا من أشرف الأمم وأعرقها فثبتوا أحقابا في مقاومة الفرس

من فوضى وبغى وعدوان وضعف وخور واضطراب إجتماعى وسياسى مع انحرافهم وتحللهم وأن الشريعة الإسلامية جاءتهم فمكنت من نفوسهم الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة حتى صارت خير أمة أخرجت للناس وحتى أدخلوا فى دينهم مائة مليون فى قرن واحد من أُمم مختلفة . فلما كان القرن الرابع ظهر الطبيعيون بمصر تحت اسم الباطنية . وذهبوا مذاهب التدليس فى نشر آرائهم ومذاهبهم وأدخلوا من طريق التصوف المدخول . أن الأعمال الظاهرية مفروضة على المحجوبين . وأما الواصل فليس صلاة ولا صوم ولا حج ولا غيرها . وكذلك الحدود والعقوبات وهم يفسرون القرآن على أن له باطنا هو مراد الله سبحانه . ومنهم طائفة الإسماعيلية المارقة من هذا الدين وهى تنسب إليه زوراً وبهتاناً . فهم ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة ويعبدون زعيمهم ويحرمون الحلال ويحللون الحرام وقد ظهر بعضهم بآرائهم الإلحادية إذ وقف على منبر المسلمين فى قلعة خراسان فقال : إذا قامت القيامة حطت التكليف عن الأعتاق ورفعت الأحكام الشرعية جميعها والقيامة عبارة عن قيام القسام بالحق وأنا القائم بالحق . فليعمل عامل ما أراد بعد اليوم فلا حرج . وقد كان هؤلاء من أكبر

هدد داريا الأكبر كانت إحدى وعشرين لمبالاة واحدة منها تحتوى مصر والقلم ، وبلوجستان والسند حتى ظهر فيهم مزرك الطبيعي الذي ينكر الإله والرسل على عهد قباز وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبدأ تعليمه بأن جميع الحدود والآداب التي وضعت بين الناس جور وأن الطبيعة جعلت حق المأكل والمشرب والمباضعة مشاعا بين جميع الناس . فإذا يحمل الإنسان على حرمان نفسه أو حرمان غيره من مشاركته ولماذا لا تكون أم الرجل وبذنه وأخته كزوجة ولماذا يتركن لغيره يتمتع بهن دونه وأي خطر حق يستند إليه من يدعى ملكية خاصة في مال ينصرف فيه دون سواه .

وزاعت هذه الخرافات بين الفارسيين فتهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ونسفت فى الهواء ، وبددت فى الأجواء على أن أنو شروان قتل مزرك وجماعة من أتباعه ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة فى سهولة ويسر فضعفت شولة هذه الأمة ، حتى إذا ما هاجمهم العرب لم تكن إلا جولة واحدة حتى هزمهم مع أن الروم ثبتوا للعرب أزمانا طويلة .

وإنك لتعرف تاريخك الإسلامى العربى . وما كان العرب فيه قبل لإلتزام الدين الحق

المعنى كان انحطاط المسلمين إلى عهد قريب ، وبعد فما هذه النعرات القائمة ، وما هذه الظلمات القائمة كأنكم لا تعلمون . . ذلك التحلل الذى تنحدرون اليه هو أيسر وسيلة يسلك بها العدو إليكم ليترككم فى الذل ولينال منكم كل غرض بعد أن يملأ نفوسكم بالمرض . لقد علم أعداؤكم من دراهات الدول والجمامعات أضعاف أضعاف ما تلوت عليكم من أن نجاح الأمم فى التمسك بدينها ، وأن إعراضها عن التدين أهدى سبيل إلى إضعاف شوكتها وتيسير مهمة أعدائها .

ولهذا قال كرومر سابقا ما دام هذا القرآن بين ظهرائى المصريين فلا سبيل لنا عليهم ، لأنه رآه يعلم القوة ويدعو إلى العزة ويأمر بمكارم الأخلاق ويربى النفوس على المجد ، فإذا كان وجود القرآن أخافه وأرهبه لأنه سبيل المجد عند الانقياد لحكمه والعمل بما فى تضاعيفه . فكيف إذا علمتم بما فيه واهتديتم بهديه ، فأنى تؤفكون وإلى أين تذهبون ؟؟

محمود النواوى

العوامل فى ضعف النخوة الإسلامية والتسكين للأعداء فاختلّفوا وسادهم القوم الظالمون وضربوا ما أمكن تخريبه من بلادهم وهم عاجزون عن الدفاع لتفرق قلوبهم وكذلك قال منهم المغول والتتر كل مثال . وأهدروا دماء الملايين منهم . وقد كان القليل منهم يهزم الجيوش الجرداء باجماع كلمتهم وكونهم كالبنيان المرصوص لا يعرفون إلا الطاعة والانضمام إلى صفوف الجماعة .

على أننا قد بدأنا بحمد الله نستعيد مجد الإسلام والعروبة بفضل الثورة التى قامت على الأثرة والأناية والطمع القاتل وجاءت بتمجيد الخلق الفاضل الكريم ، وحددت الحدود لكل من تحدّثه نفسه بالخيانة أو الغدر أو تلين قناته للبطامع ، ولا غرو فإنك كلما تدبعت الأمم واحدة واحدة وجدت أن النصر والشوكة والعزة والبركة يقترن بالتدين الذى هو خلق متين وسلك قويم . والدين كما قلت : خير محقق لهذا المعنى ولا سيما دين الإسلام الذى يأمر كما شهد له عدوه بمكارم الأخلاق والذى هو المعاملة الكريمة ، ولهذا

انمّاط من الأدب العربي الرّبيع

للأستاذ عباس طه

وجه الدهور، ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النفساني سلطان الذكر، ولما كان للناس مفرج إلى موضع استندكار ولو لم يتم ذلك لحرمتنا أكثر النفع.

ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمها ودونت من أنواع سيرها لما شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نسكن ندركه إلا بهم.

ولو لا جيعاد الكتب لما تهركت هم العلماء لطلب العلم ونزعت إلى حب الكتب وخرجت من حال الجهل، ولدخل عليهم من الضرر وسوء الحال شيء كثير.

عن محمد بن الجهم يقول إذا غشيتي النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فأجد اهتزازي للفوائد الأريحية التي تعتريني من سرور الاستنباه وعن الثبيني أشد إيقاظاً من نهيق الخير فإني إذا استحسننت كتاباً واستجديته ورجوت فائدته لم استبدل عليه عوضاً ولم أبغ به بدلاً فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استفادته وانقطاع المادة من قبله

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير. ثم أن العرب شاركت العجم في البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار. فلما من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب، وقصر مارد وقصر شعوب والأبلى الفرد، وغير ذلك من البنيان: وتصنيف الكتب أكثر حفظاً للمآثر على مر الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى وسومه والكتاب باق يقع من قرن إلى قرن ومن أمة إلى أمة، فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير: وكانت العجم تجعل الكتابة في الصخور نقشا في الحجارة وخلقا في البنيان، كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركة المشعر وعلى الأبلى الفرد وعلى باب الرها يعمدون إلى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط في أبعاد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مرهه، ولا ينسى على

وقال ابن راحة كان عبد الله بن عبد العزيز
ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس
الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان في يده
كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر
أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا
أسلم من الوحدة .
وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له
دفترًا وكتب معه : هديتي هذه أعزك الله
تذكروا على الإنفاق وتربو على السكر لا نفسدها
العواري ولا تخلقها كثرة التقلب وهي أنس
في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا
والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة
مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق .
وقال بعض الحكماء : الكتب بسانين
العلماء وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة .
وقال آخر : ذهبت المسكارم إلا من الكتب .
وقال الجاحظ : د وأنا أقول : الكتاب نعم
المنخر والعمدة والجلس ، ونعم المنزهة
ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة
الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين
والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل .
والكتاب وعاء مليء علمًا وظرف حثي ظرفًا
وإن شئت كان أعني من باقل وإن شئت كان
أبلغ من سحبان وائل وإن شئت سرك
نودره وشينك مواظه باله من ناسك فانك
وناطق أخرس .

ومن لك بطبيب أعراقي وروى هندی
وقارس يوناني ونديم مولد ونجيب تمتع
ومن لك بشي . يجمع الأول والآخر والناقص
والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع
والث والسمين والشكل وخلافه والجنس
وضده . وبعد فما رأيت بستانًا يحمل في
ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى
ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام
إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن
من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر
وأحفظ للوديعه من أرباب الوديعه ولا أعلم
جاراً آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً
أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر
كفاية وحناية ولا أقل إملالا ولا إبراراً
ولا أبعد من مرء ولا أترك لشغب
ولا أزهدي في جدال ولا أكف عن قتال
من كتاب ، ولا أعم بياناً ولا أحسن مواساة
ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً
ولا أطيب ثمراً ولا أقرب تناولاً ولا أسرع
إدراكاً ولا أوجده في كل إبتان من كتاب ،
ولا أعلم إنتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده
ورخص ثمنه وإمكان وجوده .
يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة
وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأزمان
اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القويمة
والتجارب الحكيمة .

ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهاتهم
الذمومة لكان في ذلك السلامة والعظة
وإحراز الأصل مع استفادة الفرع ، ولو لم
يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سخط الحديث
واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه .
لقد كان له بذلك على صاحبه أسبغ النعم
وأعظم المنة ، وجملة الكتاب وإن كثرت ورقه
فليس مما يمل لأنه وإن كان كتابا واحداً
فإنه كثير في خطابه والعلم بالشيعة والأحكام
والمعرفة بالسياسة والتدبير ، وقال مصعب
ابن الزبير : إن الناس يتحدثون بأحسن
ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ،
ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت
الآداب فغذه من أفواه الرجال فإنك لا ترى
ولا تسمع إلا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً .

وقال لقمان لابنه : يا بني نافس في طلب
العلم فإنه ميراث غير مملوك ، وقرين غير
مغلوب ، ونفيس حظ من الناس مطلوب .
وقال الزهري : الآداب ذكر لا يحبه إلا
الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم .
وقال : إذا سمعت أدبا فاكتبه ولو في حائط .
وقال منصور بن المهدى البأمون : أيحسن
بنا طلب للعلم والآداب ؟ قال : والله لأن
أموت طالبا للآداب خير لي من أن أعيش
قائما بالجهل قال : فإلى متى يحسن ذلك قال :
ما حسنت الحياة بك . عباس ط

ومن لك بزاز إن شئت كانت زيارته
غبا ووروده نهلا وإن شئت لزمك لزوم
ظلك وكان منك كبعضك ، والكتاب هو
الجلس الذي لا يطريك والصديق الذي
يوافيك والرفيق الذي لا يملك والمستمع
الذي لا يستزيرك والجار الذي لا يستبطنك
والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك
بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك
بالنفاق ، والكتاب هو الذي إذا نظرت
فيه أطال إمتاعك وشحذ طبعك وبسط
لسانك وجوهر بيانك ونغم ألفاظك وعمر
صدرك ومنحك تعظيم العام وصداقة الملوك ،
يطيعك بالليل طاعته بالهار وفي السفر طاعته
في الحضر ، وهو المعلم إن افتقرت إليه لم يحقرك
وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة
وإن عزات لم يدع طاعتك وإن هبت ريح
أعدائك لم تغلب عليك .

وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم
وأصحاب الكسفيات ساعات ليلهم نظر
في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجرية
وحقل ومروءة صون عرض وإصلاح
دين وتشمير مال ، وابتداء لإنعام ،
ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك
إلا متعته لك من الجلوس على بابك والنظر
إلى المسار بك ، مع ما في ذلك من التعرض
للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملازمة
صغار الناس ومن حضور ألقاظهم الساقطة

مَائِقَاتُ الْعَزْلِ سِلَاحُهُ

الدِّينَ وَالسِّيَاسَةَ فِي بَاكِسْتَانِ

لِلْأَسَازِ عِبَاسِ مُحَمَّدٍ الْعَقَادِ

قد تم في بلاد ولا تم في بلاد أخرى
توافرت لها معالم الدولة المستقلة ، كالبلاد
السويسرية التي ينتمى سكانها إلى أمم الجرمان
والإيطاليين والفرنسيين ويتكلمون اللغات
الثلاث ، ويدعون بمذاهب مختلفة من المسيحية .
هل هي وحدة المصلحة المشتركة ؟ نعم أيضا

ولكن البلاد قد تتولاها حكومة واحدة
وهي في قطر من أقطارها زراعية وفي
القطر الآخر صناعية وفيها بينهما أو في
جوارهما تجارية تتعارض مصالحها المتفرقة
في هذه المرافق ثم تجمعها فوق ذلك مصلحة
أعم منها وأدعى إلى الوفاق والاتحاد ،
كالولايات المتحدة وبعض الجمهوريات
الأمريكية أو الأوربية .

هل هي الوحدة الجغرافية أو الوحدة
التاريخية ؟ نعم أيضا ولكن مع الاستثناء
الواضح في كثير من الحالات ، فإن
« باكستان » تنقسم إلى قسمين بينهما مئات

كانت تصفية الاستعمار شغلانا جديداً
للباحثين في علم السياسة أو علم الدولة
والحكومة ، وهو العلم الذي يبحث في
تكوين الدول وفي العناصر الاجتماعية التي
تهيئ مجتمعاً من المجتمعات لإقامة الدولة أو
الحكومة المستقلة فيه .

وقد زال الاستعمار عن بلاد كثيرة كان
بعضها خليطاً من الشعوب والأجناس والعقائد
واللغات والمصالح الاقتصادية والمواقع
الجغرافية ، بغير رابطة تجمعها إلى وحدة
مشتركة غير سيطرة الدولة المستعمرة عليها
جميعاً بسلطان القوة والسطوة ، فلما ارتفعت
عنها هذه السيطرة تفرقت فاشتغلت كل منها
بسبب من أسباب الاستقلال ، وتجدد البحث
العلمي في عناصر الوحدة التي تصلح لقيام
الدولة المستقرة في وطن من الأوطان .

هل هي وحدة الجنس والعنصر ؟ نعم .
قد تكون هذه الوحدة قوام الدولة ولكنها

عندهم ، وهم مستميتون عليه ، وأهل الدولة التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل

ولكن الباحثين العصريين الذين يذكرون كلام ابن خلدون ولا يهتمون في هذا الصدد يستشهدون به ثم يعرضون عنه لأنه لم يعمل على « تطوير » هذه الفكرة وإدماجها في أبواب التقسيم العلية ، وهكذا صنع الأستاذ ليونارد بايندر : Binder صاحب الكتاب الذي نراجع في هذا المقال واسمه : « الدين والشئون السياسية في باكستان » .

Religion and politics in Pakistan
إن الأستاذ (بايندر) مؤلف الكتاب عضو في قسم الدراسات السياسية المتخصصة لمسائل الشرق الأوسط والشرق الأدنى . وله مباحث يجريها في البلاد المصرية من قبل معهد روكفلر ، ويظهر من تعليقاته على آراء المختلفين من أصحاب البرامج السياسية والدينية في الأمم الإسلامية أنه يجتهد في الحيدة بينها غاية اجتهاده ، فلا يتورط في العصبية على النحو الذي ينساق إليه خدام التبشير والاستعمار يرجع المؤلف إلى موقف المسلمين في الهند من الدولة البريطانية ومن الحضارة الغربية على التعميم ، فيلاحظ الحقيقة التاريخية المفق عليها ، وهي يقظة المسلمين للدفاع عن كياناتهم على أثر الاحتكاك بالسياسة البريطانية

الأميال ، والجزر البريطانية وحدة جغرافية متقاربة ولكنها أشتات من المواضع والتواريخ والسلالات البشرية .
هل هي وحدة الدين ؟

لقد سئل هذا السؤال وهم علماء السياسة بالإجابة عليه بالنفي وكادوا ينسبون مطالبة المسلمين من أهل الهند بالاستقلال إلى شذوذ (الرجعية الإسلامية) لولا أن حركة الاستقلال في الهند كانت مقرونة بظهور اسم إسرائيل في معترك السياسة الدولية ، فتعذر على العلماء (المنصفين) أن يتهموا إسرائيل بالرجعية الدينية كما شاءوا أن يتهموا بها طلاب الاستقلال من أبناء باكستان ، وتعذر عليهم من الجهة الأخرى أن يفرقوا بين الوجدتين في المصطلحات العلية ، فسمحوا بالعامل الديني مع العوامل الأخرى التي تهيم بالبلاد لوحدة الدولة أو وحدة الحكومة

ولقد كان مؤسس العلم السياسي ابن خلدون يفتن لهذه العوامل ولا ينسى منها عامل الدين في مقدمته الوافية حيث يقول عند الكلام على قوة الدين وقوة العصبية : « إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها ... وإن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو

أو تمييز بين المراجع إلا أن يقضى به الاجتهاد في التوفيق بين السنة المخسرة والضرورة العصرية ، فوجب على أصحاب هذه الدعوة - إذن - أن ينبذوا التقليد ويعتمدوا على الاجتهاد في اتباع السنة التي يهديهم إليها التفكير المستقل والنظر في مطالب الزمن ودواعي المصلحة الحاضرة ، وكادت هذه الدعوة المستقلة أن تقارب بين الفريقين المتعارضين ، وهما فريق التعليم الحديث وفريق الإحياء على سنة السلف مع الاجتهاد في الاختيار والاستقلال بالتفكير ، لأن هذا الاستقلال خليف أن يعصم الحركة من وجود التقليد الأعمى وكرهه التجديد إصراراً على القديم بغير تبديل .

ولما ووجهت الباكستان بالمشكلة الاقتصادية كان فريق من دعاة الإصلاح ينجح إلى نظام سماه بالديمقراطية الإسلامية وترجمه المؤلف إلى الانجليزية بكلمة الديمقراطية الالهية Theo - democracy .

وكان فريق آخر ، وعلى رأسه لياقت على خان ، يدعو إلى الاشتراكية الإسلامية ويقول في تصريحاته السياسية إنه لا يعرف (إزما) يدين به غير الإزم الذي يلحق بالاشتراكية الإسلام ، ويعنى بالازم هذه الحروف الأجنبية (Zom) التي تلحق بأسماء المذاهب عند الغربيين ، فلا مذهب له في

ومظاهر الحضارة الحديثة التي كان لها جانبها من الأثر الحسن والأثر السيئ في التعليم والعادات الاجتماعية .

فاجتمعت كلمة الدعاة المسلمين على وجوب التبديل والإصلاح ، واختلفوا في المنهج على حسب اختلافهم في تحليل أسباب الضعف التي أصابت للعالم الإسلامي بأسره ، ومنه المسلمون الهنديون .

فالذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن العلوم الحديثة طلبوا الإصلاح من طريق العمل الحديث على بجارة الأوربيين في حضارتهم وضاعفوا السعى إلى هذه الغاية بعد شعورهم بغلبة مواطنيهم عليهم ، لأنهم أقبلوا على التعليم الأوربي فكثرت منهم المرشون لوظائف الدولة والأعمال العامة .

والذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن آداب دينهم وابتعادهم عن منهج السلف في أخلاقهم ومسالكهم طلبوا الإصلاح من طريق حركة (الإحياء) وهي حركة التجديد الإسلامي بالعودة إلى سنن المسلمين الأولين ، وقصروا جهودهم في إحياء الماضي على تجديد تاريخ السلف الإسلامي دون السلف القريب الذي ارتبط بتاريخ دول المغول .

وقد عصم هذه الحركة أن تكون وجمعة إلى وراء أن طلاب الأحياء إنما طلبوا الرجوع إلى الأصول الأولى بغير استثناء

وعقب المؤلف قائلا : إن ما سماه لياقت خان اشتراكية إسلامية لا يعدو أن يكون مزيجاً من نظام رأس المال ثم الضمان الاجتماعي ثم (الله) ... وإن هذه الفكرة الغامضة قد استندت إلى ركن يؤيدها من (ضرورة الرأسمالية الحكومية) وهي ضرورة محسوسة حيث تتأخر الصناعة في البلاد كما هي الحال في باكستان ، ولم يغفل الداعون إلى الإصلاح الاجتماعي على هذه القواعد عما يستتبعه من الإجراءات الإدارية ، عند التطبيق ، ولسكنهم نظروا إليها نظرهم إلى صعوبة تعالج في الطريق ولا تستدعي تقرير مبدأ سابق كفرض الادخار الجبري أو الاستيلاء أو إلغاء المصارف وما إليها .

وأشار المؤلف في ختام الكتاب إلى طائفة من فقراء الطبقة الوسطى بين أبناء الباكستان تميل إلى إقامة دوطنية باكستانية، منعزلة عن الصبغة الدينية ، وهو اتجاه لا يستطيع الحكم على نتائجه منذ الآن ، ويتوقف التطور الديمقراطي في البلاد ، آخر الأمر ، على تقدم الإصلاح الاقتصادي وانتشار التعليم معا على خطوة واحدة ، وبذلك يصبح النظام الإسلامي بذاته مصدرا مستقلا في عوالمه السياسية .

السياسة ولا في الاجتماع غير مذهب الاشتراكية على حسب عقائد الإسلام ، وفسر كلة الدولة الإسلامية بقوله إنها (هي الدولة التي سلمت من المنازعات الداخلية حيث يجزى كل إنسان بعمله ولا يشمل بقاء الطفيليين ، وإن الواجب الأول على الحكومة الإسلامية أن تبطل كل ضرب من ضروب الاستغلال والتسخير) .

قال المؤلف : ولكن دعوة لياقت خان كانت تبدو أحيانا كأنها دعوة إلى شيء يخالف الفهم المعتاد للاشتراكية كما يخالف الفهم المعتاد للإسلام ، وخلاصة هذا المذهب أنه يسعى إلى توفير القوت والسكساء ، والمأوى والعلاج والتعليم لعامة الفقراء ، ومن الصعب في رأى المؤلف أن نذكر نظاما من النظم الاقتصادية لا يزعم أن هذا المسعى غرض مباشر أو غير مباشر من أغراضه المقصودة .

ويمضى المؤلف فيقول إن السند الإسلامي للنظام الاشتراكي يقوم على فريضة الزكاة ، وواجب الصدقات وأحكام الموارث وتحرير الربا وحماية الملكية ، واعتبار الدولة مسئولة عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها ، ومن ذلك في صدر الإسلام فريضة الأرزاق التي كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين .

مُحَمَّدٌ فِي الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

لَمْ تَقَمَّ الْقِيَامَةُ

لِلْأَسَازِ عَلَى الْجَنَدِ

كذب المنجم ، ليته صدقا
وعدا الظلام على عوالمنا
وانشقت الغبراء وانفلقت
وتناثرت في الجو أنجمها
وهوى من الأوج الرفيع إلى
وانحلت الأفلاك ، وانكدرت
فترى بها العذراء ، قد غرقت
و القوس ، لا يابى لها وتر
و الحوت ، قد نزعت زعانفه
و أبو السبول ، على جراته
و النسر ، خاتته قوادمه
و الشعريان ، تعانقا فزعا
وعرا الثريا ، ماله انتفضت
و بنات نعش ، خلفه مقل
وصدعن جيبا ناصعا بهجا
وتلظت النيران حاطمة

وأباد رب الخلق ما خلقا
فأعاد ضوء نهارها غمقا
من فوقها خضراؤنا فلما
بددا ، وطارت شمسها شققا
أقصى الحضيض البدر فاحترقا
منها المجرة تغمر الأفقا
في نهرها ، و الشور ، قد نفقا (١)
فيها ، ولا الجبار ، منتظفا (٢)
عنه ، وطاح د الجدى ، مخنقا
خارت قواه ، وطرفه برقا (٣)
فانحط من عليائه صمعا (٤)
و الفرقدان ، تفرقا فرقا (٥)
ذعرا ، فألقت عقدها النسقا
عبرى يقرح دمعها الحدقا
واطمن خدا ناعما عبقا
من أنكر الأديان ، أو فسقا

(١) العذراء : برج السنبلة .

(٢) الجبار : الجوزاء تعرف بمنظفها .

(٣) أبو السبول : برج الأسد .

(٤) النسران : مجمان لآمان ، والمراد هنا : النسر الطائر لا الواقع .

(٥) الشعريان : الشعرى اليمانية والشعرى الشامية .

وأوى إلى الفردوس من سلكوا
عجبي لمن طاشت حلومهم
أن قيل : قد حانت قيامتكم
أو كنتم لا تؤمنون بها
أشفقتم من سوء صنعكم
أهل التي منها على ثقة
هل هذه الدنيا تعلقها
أصبي بنى حواء زخرفها
نزعوا إلى الطين الذى جبلوا
ما إن ترى فردين بينهم
وسهوا عن الأخرى كأهم
وعلى الخنى والرجس قد عكفوا
والمال قد جعلوه دينهم
فى جمعه وأدوا ضماؤهم
وتداولوه بينهم نهبا
والزرع حازوه بلا خجل
والضرع ، لالحما به تركوا
ماكان أحرهم وقد نعموا
أترهم بزمانهم وثقوا
ماحرصنا أنا نعيش على
أقسمت ما نفسى بهائمة
ووددت لو بدنى يطلقها
سواسها متنافرون بها

وضح الهدى لنعيمها طرقا
وتباعدت أجفانهم أرقا
ونذيركم بالحين قد طرقا (١)
لجريتكم فى غيكم عنقا (٢)
والسوء يكسب أهله الشفقا
لكنكم لستم بأهل تقي
إلا فنى من ربه أبقا
فتحلقوا من حولها حلقا
منه ، فما بسقوا ولا بسقا
صدقا الهوى ، وهلى الهدى اتفقا
لم يبصروا ميتا بها لحقا
ما وقرؤا ديناً ولا خلقا
كل له قد بات معتنقا
حتى أباحوا السحت والسرقا
لاعين أبقوه ولا ورقا
من سقاء الدمع والعرقا
كلا ، ولا لبنا به غمدقا
باللحم أن يدعوا لنا المرقا
يا ويح من بزمانه وثقا
أرض يمانى أهلها الرهقا
فيها ، ولا قلبى بها علقا
ويبيت منها الروح منعتقا (٣)
متبطنون البغض والحنقا

(١) الحين : الهلاك

(٢) العنى : ضرب من السير السريع .

(٣) يبغيض للشاعر فى هذه الآيات فى دنيا الشر لا الخير .

في كل قطر منهم فن
وملاحم هوجاء ساعة
لم يكفهم أن بات كوكبهم
حتى سما صعداً - بلا رهب -
واخشينا مما يلم بنا
وتطارت ذراتهم ومضت
وأحاط بالأحياء مارجها
وبل السكواكب من مناسهم
يبعون أن تسمى لهم وطننا
ويلقنوا فيها رعيهم
ويلوثوا قوما بها طهروا
قسماً بها لو أنها لكم
وتبدلت من حسننها بكم
ومشيت فيها أباطرة
ونرى بها دبا ، يخاصمه

تركت به سكانه حرقا
نذرو الجسوم ، وتسفح الملقا (١)
متوجسا من د ذرهم ، قلعا
شيطانهم للسمع مسترقا
يوماً إذا صاروخهم مرقا
قدا تمزق أرضنا مرقا
عرما يدك الهلك والحرقا
ما أقبح الأخلاق والخلقا
كي ينشروا التوبه والملقا
حكم الهوى واللؤم والنزقا
وبسودوا أفقا لها يققا
دانت لأطفائهم بها الفلقا
قبجا ، وعاد جديدها خلقا
وتخذتم أبناءها سُوقا
د أسد ، وكل نابه زرقا (٢)

مهلا فإن العلم غركم
لا تأمنوا عثراته بكم
صان الإله سماه ورعى

فركبتم في ظله الحقا
كم صاعد درج العلا زلقا
ملكوته من شركم ووقى

على الجندي

عميد دار العلوم سابقا

(١) الملق : الدم .

(٢) إشارة إلى للمسكرين المتخاصمين .

يَا شَبَابَ الْفَصْحَى

لِلأَسَازِ اِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدَنجَا

حضر إلى المدرسة التي أعمل فيها وفد من طلبة الأزهر للتدرب على التدريس وبعد انقضاءهم من هذه المهمة أقاموا - مشكورين - حفل تكريم لهيئة التدريس بالمدرسة . وفي هذا الحفل ألقى هذه القصيدة تحية للأزهر المجيد ولأبنائه الناهضين .

يَا شَبَابَ الْفَصْحَى ، بكم تفخر الفصحى — حى ، وتعز أمة الإسلام
قد نماك للجد أزهرا السا مى ، فرمت فى المجد أسى مرام
مهنة الأنبياء ، وهى جهاد لا يبالى بالنتضحيات الجسام
أهلها الماجدون أصل الحضارا ت ، بَنَوْهَا بِمَرْهَفِ الْأَقْلَامِ
قل لمن رام شأومهم ، أو تجنى منكراً حظهم من الإعظام
إن خير البناء فى ساحة المجد — بناء النفوس والأفهام

* * *

قد نعمنا بكم زمانا قصيرا كان أشهى من أعذب الأحلام
وسعدنا بالعلم يُبَاقى وُيُسْتَنْبَط فى دقة وفى إحكام
ورأينا الأخلاق كالزهر ، كالعطر — كنور الصباح ، كالأنسام
وسمعنا شمرا كشدو القمارى — صفاء ، ورقة الأنعام
مرّ فى مسمى كما مرت البش — رى على قلب عاشق مستهام
وسمعنا نثرا رشفناه خيرا رب شر منه رحيق المدام
زعموها بنت العناقيد جم — لا وهى - لو يعلمون - بنت السلام

* * *

قد أردتم تكريمنا ، ولأنتم أهل هذا التكريم والإكرام
غاية الفضل أن يكون لك الفضل ، وتلقى بالمدح فضل الأنام
رب شمس تقول ما أروع النور ، ومنها سحر السنا البسام !
وربيع يقول ما أجمل الزهر ، ولولاه مات في الآكام !

* * *

يا شباب الفصحى غدا نتلاقى في مجال رحب المدى مترام
فاجعلوا الدين في الحياة رفيقا بل إماما ... أنعم به من إمام
واجعلوه وسيلة حياة تملأ الكون بالهدى والسلام
واجعلوا عليكم منار اهتداء لعقول تقيه بين الظلام
وخذوا منطق القوى سلاحا يحفظ الحق من دعاوى اللثام
تعست أمة تحاول بالضعف بلوغ المني ، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف وكلام القوى حد الحسام

* * *

نضر الله عيشكم ورعاكم وحماكم من سطوة الأيام
ابراهيم محمد نبوا

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما
الذي يبدأ بالسلام .

حديث متفق عليه

الكتب

١ - التفسير والمفسرون :

للأستاذ محمد حسين الذهبي .

نشرت دار الكتب الحديثة بعابدين هذا الكتاب الضخم في ثلاثة أجزاء تقع في أكثر من ألف صفحة من القطع الكبير .

والمؤلف عالم فاضل وأستاذ بكلية الشريعة وكان رئيساً سابقاً لقسم الشريعة بكلية الحقوق العراقية ، والكتاب بحث قيم نال به المؤلف شهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث عام ١٩٤٦ .

تناول في الجزء الأول المرحلة الأولى للتفسير ، وهي التي كانت في عهد الرسول ، وقد برز في هذه المرحلة ابن عباس وابن مسعود ، وعلي وأبي بن كعب ، كما تناول المرحلة الثانية للتفسير ، وهي عصر التابعين ، وقد برز فيها من رجال التفسير : ابن جبير ومجاهد وعكرمة وطاوس وعطاء في مكة ، وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم في المدينة ، وعلقمة ومسروق والشعبي والبصري وقتادة في العراق ، أما الباب الثالث فقد تناول فيه المؤلف المرحلة

الثالثة للتفسير ويعني بها عصر التدوين ، حيث دون تفاسير الطبري والسمرقندي والثعلبي والبقاعي وابن كثير والثعالبي والسيوطي ، وجميعها من التفسير المأثور ، كما دون من التفسير بالرأى : الرازي والبيضاوي والنسفي والخازن وأبو حيان والنيسابوري والجلالين والحطيب وأبو السعود والألوسي ، ومن تفاسير المعتزلة ظهر تفسير القاضي عبد الجبار والشريف المرتضى والزنجشري .

والجزء الثاني تناول المؤلف موقف الشيعة من التفسير ، وكيف تأثر الإمامية الإثنى عشرية بأراء المعتزلة وأثر ذلك في تفسيرهم ، كما تأثروا بمذاهبهم الفقهية والأصولية في تفاسيرهم ، وأهمها مرآة الأنوار للكاظمي ، وتفسير الحسن العسكري ، وجمع البيان للطبري ، والصافي للكاظمي ، وبيان السعادة للخراساني ، وكذلك تناول المؤلف موقف الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) ، والبابية والبهائية ، ثم الزيدية ، والخواارج وفرقهم ، وكيف كان سلطان مذهبهم يغلب عليهم في فهم نصوص القرآن .

الآخر ، ويستوفى بمناقشة رسالته هذه في التفسير ، ولو كملحق لها ، إذا كان قصده الاحتفاظ بما كتبه للغاية التي نشدها .
إن كتاب (التفسير والمفسرون) خلا من عرض آراء كتاب الغرب الذين تصدوا في آثارهم للتفسير ومناقشتها ، ولا نكران بعد ذلك في أن الكتاب مرجع في موضوعه ، له تقديره ومكانته في المكتبة الإسلامية .

٢ - مناهج تجميع تجميعه :

للأستاذ أمين الخولي .

هذا الكتاب الجديد الذي نشرته دار المعرفة بالقاهرة الأستاذ أمين الخولي ، هو مناهج تجميع في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، وهذه المناهج التجديدية قدمها المؤلف في دراسات على مستوى رفيع من التعمق وسعة الأفق وسلامة الحكم في القضايا التي أثارها .

في الباب الأول عرض النحو : كواحد من مقومات حياتنا يجب أن يتطور مع تطور الحياة نفسها ، وأن يخضع لما يبس الاجتهاد إذا أريد له الخلود .

وفي الباب الثاني عرض البلاغة وأثر الفلسفة فيها وصلتها بعلم النفس ، ومكانة مصر في تاريخها ، ثم صورة عامة عنها .

وفي الجزء الثالث والآخر عرض المؤلف للتفسير الصوفي لكتاب الله : النظرى منه والإشارى ، كما عرض لمذهب ابن عربى في التفسير ، ومذاهب الفلاسفة وفي مقدمتهم الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا . كما عرض أيضا للتفسير الفقهمى والتفسير العلمى ، وختم الجزء بفصل مسهب عن ألوان التفسير في عصرنا الحاضر ، وعن مذهب الأستاذ الإمام محمد عبده ، وتليذه المراغى في طريقتيهما لتناول القرآن بالتفسير .

إن المؤلف عرض قصة التفسير عرضا قويا أميناً ، وكانت عنايته بالأمانة في العرض أكثر من عنايته بالتحقيق في مئات المسائل التي كان يجب الدقة في تحقيقها ، والمؤلف يحاول جامعاً الدفاع عن روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ويربط بينهما وبين أمثال عبد الله بن سلام وهو صحابي مخلص الإيمان في عهد الرسول ، كما أن المؤلف - وقد بذل في بحثه جهداً مشكوراً - لم يعط ماعرضه من نماذج للتفسير حقه من التحليل ولا سيما في توضيح مناهجها .

هذا البحث وقف به المؤلف عند عام ١٩٤٦ حيث تقدم به لنيل شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وقد استحدث بعض التفاسير في الهند ومصر والشام ، وكنا نود أن يناقش هذا البعض الذي ظهر في أكثر من ربع القرن

أمثال عطية بن سعد والسدى والكلبي ، ومقاتل ، وابن جريج ، هؤلاء لم يبلغوا مرتبة الثقة الكاملة فيما رويوا عن ابن عباس الذي نسب إليه تفسير ضخم ، ولم يثبت عنه في التفسير إلا شبيه بمائة حديث كما يروى ذلك عن الشافعي .

ثم هذه الأحاديث النبوية المكسدة في كتب التفسير المروى - فاشتملت - كما يقول ابن خلدون في مقدمته : على الغث والسمين والمقبول والمردود ، وتسامل المفسرون في ملكتهم بمنقولات عن عامة أهل التوراة ، هذه الأحاديث وغيرها من الإسرائيليات المدونة في كتب التفسير ، يستعدي عليها أستاذنا أشياخ الأزهر لنقدوها على هدى قواعد القوم في نقد الرواية متنا وسندا .

٣ - الجانب العاطفي من الإسلام :

للأستاذ محمد الغزالي

هذا كتاب جديد للشيخ الغزالي ، جديد في موضوعه ، بالنسبة لسابق مؤلفاته الإسلامية العديدة التي أصبح لها رواجها وتقديرها في البلاد الإسلامية ، لما عرف في كتابات الشيخ الغزالي من الجرأة والغيرة معا ، والإحساس بالأم الإسلامية وشعوبه وقضاياها . للكتاب يقع في أكثر من ثلثمائة صفحة ، تنازل فيه المؤلف جزءا من ثقافتنا الإسلامية

وفي الباب الثالث عرض التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، كواحد من العلوم الشرعية شغل - ولا يزال - يشغل الفكر الإسلامي ، حيث ارتبط ارتباطا وثيقا بكتاب الله .

وفي الباب الرابع والآخر عرض أستاذنا للأدب ، فتحدث عن علم النفس الأدبي ، وعن منهج تفكير الجاحظ : النقل والنظري والعلي .

والكتاب مجموعة من الدراسات التي بعضها في محاضرات ، وكتب البعض الآخر في أبحاث هادفة . وهذه تلك قصد منها شيئا واحدا ، هو التجديد الدائم في قيمنا الفكرية ، والعلمية ، والأدبية ، إذ لا خلود لهذه القيم مع الجمود والتقليد وتمييب التهجم على قدسية ما خلفه الأرائل لنا من تراث فكري ، ومن النواميس الاجتماعية - كما يقول أستاذنا - أن تعد الفكرة حينما ما ، كافرة تحرم ، ثم تصبح عقيدة تعتنق ، وقد جرى هذا أمامنا في حياة الفقه الإسلامي حديثا .

ويهمنا في هذا الكتاب حين نقدمه الدراسة الخاصة بالتفسير وموضوع التفسير يمس جانباً مهماً من تفكيرنا الإسلامي ، فنحن ما زلنا نقدر تفسير القرآن ولا سيما المنقول منها ، دون محاولة لتحديثها ، على رغم أن من اشتهر بالتفسير من التابعين

نحو الورع ، والعفة والقناعة ، والشكر ،
والخوف ، والرجاء ، والتوكل حتى تصل
في النهاية إلى الحب .

الشيخ الغزالي في كتابه هذا ترك المعاني
تنساب بين السطور دون تحديد معالمها ،
وعلى الأخص في الباب الثاني دعائم السكال
النفسي ، ولم يفعل ما فعله في البابين الأول
والثالث ، ومع أن الدراسة التي قدمها امتزجت
بالتابع النفسي إلا أن استيعاب شيء
من الأفكار الغربية للمقارنة أو الاستشهاد
بما يؤيد الفكر الإسلامي كان موجزا للغاية ،
ونحن حين نقدم دراساتنا الإسلامية إلى القراء
يجب أن نعمل حساب القارئ المزود بالثقافة
الغربية .

والكتاب أيضا ناضج التفكير من حيث
الجانب الإسلامي وهو هدف الكتاب ،
والموضوعات التي أثارها موضوعات حية
تتصل بقيمتنا النفسية والأخلاقية ، هذه القيم
التي فرطنا في جانبها فأصبحنا - نحن المسلمين -
في حال لانحسار عليها .

٤ - فهم كتابه الحيرة السعوية :

للأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود
ذهني :

نشرت دار الثقافة العربية بعابدين هذه

لم يلق من الدراسة الحسيفة ما لقيته بعض
شعب الإيمان الأخرى كفقهاء العبادات وفقه
المعاملات ، وسائر الأحكام التي نظمت
العلاقات بين أفراد الأسرة وأركان المجتمع .

في الباب الأول : (الإسلام والإيمان
والإحسان) أشار المؤلف إلى أنها كلمات
ثلاث لا تعدو أن تكون عناوين شتى لحقيقة
واحدة . هي الدين ، والدين هو الإسلام
إن نظرنا إلى السلوك الظاهر والعمل البين ،
وهو الإيمان إن نظرنا إلى اليقين الباطن
والعقيدة الدافعة ، وهو الإحسان إن نظرنا
إلى كمال الأداء والوفاء على الغاية عند اقتران
الإيمان الواضح بالعمل الصالح .

وفي الباب الثاني : (دعائم السكال النفسي)
يتحدث المؤلف عن نسبنا السامى ، ويشير
إلى أن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظيمته
ترجع إلى نسبة السامى الروحي ، لا إلى نسبة
الأرضى المادى ، ويتحدث عن الإلهاد كمثل
للخيانة العظمى ، وعن جهاد النفس وتجارب
المربين وقدرة الله سبحانه .

وفي الباب الثالث والأخير يمرض الشيخ
الغزالي شارات الطريق إلى السكال ، وليس
لطريق السكال نهاية يقف لديها المسلم ، فهو
ما بقي حيا مكلف بالأمر والنهي ، مطالب
بالنظر في نفسه . وأول مراحل الطريق
إلى السكال التوبة ، ثم تتدرج هذه المراحل

ووضعه الاجتماعى وموقفه من الحياة ، ثم يتناول هذا الباب الأول دراسة تطبيقية تحتمه علينا عنايتنا بترائنا الأدبى ، وبما يعيب دراسائنا فى الأدب الشعبى أنها تقوم على نصوص ليست تحت أيدى الدارسين ، ومع أن النصوص موجودة فى واقع الأمر إلا أنها غير موجودة فى تصور الدارسين ، وهم قد اتخذوا فيها أحكاما جانباها التروى .

وفى الباب الثانى : يعرض الكتاب المقدمة الحجازية ، فالسيرة الحجازية تنفرد بفصل طويل يضم تمهيدا روائيا للقصة وهو تمهيد له أصالته وأهميته بما يحمل من سمات هرفت عن الرواية العربية .

وفى الباب الثالث : يعرض الكتاب فى أسلوب تحليلى شخصية عنزة بن شداد . ومرحلة الفروسية التى عاش فيها وكانت ملهما دسما المؤلف ، ثم المرحلة الأسطورية وقد لعب فيها خيال المؤلف دوراً مهما .

وفى للباب الرابع تتحدث دراسة الكتاب عن جهد المؤلف فى قصة عنزة ، فترى أن المؤلف فرد واحد عاش فى عصر واحد ، أو مجموعة من الكتاب معاصرين وبجتمعين فيما يشبه اللجنة لتقديم هذا الجهد الفنى ، أما أهداف مؤلف السيرة الشعبية فهى أهداف سياسية أو أهداف اجتماعية ، ومشكلة اللون تلعب دورها فى السيرة الشعبية وقد

الدراسات الواعية الناصجة بلغت صفحاته أكثر من ثلثائة صفحة ، ومنهج هذه الدراسة يتجه إلى تصحيح وهم خاطئ يزعم أن هناك فى إنتاج أدبائنا الكبار ، وأسلافهم من أصحاب التراث الأدبى عازلا بين الفن والحياة بينما أدبنا العربى — منذ أن كان — انعكاس طبيعى لمجريات الحياة فى المجتمع الإسلامى بوجه عام ، والمجتمع العربى بوجه خاص . وما دام الأدب الشعبى فى حقيقة قد عبر عن الشعب العربى كله بمكوناته المختلفة وعناصره الجنسية المتعددة ، والثقافات التى صبت فيه قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فالواجب أن نوجه اهتمامنا إلى الأدب الشعبى العربى الذى يتمثل فى السيرة الشعبية التى لا زالت تحتل جزءا مهما من كياننا الأدبى ، دون أن تمحص التحصيل الذى تستحقه .

يبدأ الكتاب بدراسة عن ملاح بطـل السيرة الشعبية ، الذى يعكس فى الأعمال الأدبية حقيقة العلاقات التى تربط أفراد الجماعة فى المجتمع الذى أنشئ فيه العمل الأدبى ، وبدراسة أيضا عن مكان السيرة الشعبية ، والتعريف العلمى بالماصر يحدد مكانها بين التاريخ والأدب ، فهى تاريخ من حيث تناولها حياة فرد له أهميته كموجه للأحداث فى عصره ... وهى أدب من حيث كونها تحمل انطباعات مؤلفها ، وتتلون بثقافته

التي تتعلق به ، ثم أجاب عنها ، وفي الفصل الثاني : (بالحكمة والموعظة الحسنة) عرض الأستاذ خالد منهج القرآن في أسلوبه التي يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذي وضع أسس مبادئ العلاقات الإنسانية في البأساء والضراء . وفي الفصل الثالث : (وما يدريك لعله يزكي) يستعرض قصة ابن أم مكتوم في سورة « عبس » وتولى ، وكيف رفع القرآن بها من قدر المواطن العادي ، وأنشأ له عالمه الكبير وأعد له التسليم الراية . وفي الفصل الرابع : (والله يسمع تحاوركما) يستعرض المؤلف قصة المجادلة بين رسول الله وخولة بنت حكيم ، ويجعل منها نموذجا حيا للحرية الفكرية ، وفي الفصل الخامس : (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) يعرض الأستاذ خالد قضية الدين كوحدة واحدة هدفها : الخير للبشرية جمعاء ، هكذا أراد الله ، وأراد البعوض أداة منابذة وخلاف .

أما الفصل السادس والآخر : (ذلكم الله ربكم) ففيه يتحدث القرآن عن وحدانية الله ، وهو في أروع حالات توقده ، وتألقه ، وتحفزه ، وسنائه ، والقرآن حين يتحدث عن الله ، فإنما يتحدث عن الله الأحد ، فليس الله عنده إلا واحدا أحدا .

هذه لقطات سريعة الأستاذ خالد التقطها من كتاب الله عز وجل ، وكل لفظة منها

وضع هذا في قصة سيف بن ذي يزن ، وهناك بعد ذلك الأهداف الثقافية والدينية التي كانت مترجمة باتجاه السيرة الشعبية .

وبعد فما لا ريب فيه أن المؤلفين الأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهني قد قدما عملا فنيا ، كانت المكتبة الأدبية في حاجة ماسة إليه ، وإن كانا لا يزالان يريان جهودهما في حاجة إلى متابعة واستكمال وأنه ليس إلا بداية الطريق .

٥ — كما تحمست القرآني :

للأستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد الذي نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، كتاب خفيف اللؤلؤ ، حاول فيه المؤلف أن يجلس بنا حول مائدة القرآن نتناول منها ما لذ وطاب من المعاني الحية الرحيمة ، التي كانت المعجزات العظمى التي حققها بما شاد من عالم ، وبما رفع من قيم ، وبما أضاف إلى الحضارة الإنسانية من أرصدة لا تغنى عن طريق الدنيا المسلمة التي أيقظها .

في للفصل الأول نحت عنوان : (تلك آيات الكتاب) ، عرض المؤلف القرآن كما تحدث عن نفسه في أكثر من مائتين وثلاثين آية ، تحدث فيها عن نفسه وطرح خلالها كل الأسئلة

وهكذا يقدم الأستاذ قطب نماذج من أحاديث الرسول ، في صور من القضايا الكبرى التي تلمس في واقع حياتنا ، وهو حين يقدمها فإنما يقدمها في دراسة تحليلية منطقية ، ويجعل منها مسائل يعنى بها المسلم العادى ، والمتقف الخاص الدارس للفكر الإسلامى ، ولم ينه من تقديمه هذه النماذج الحية من توجيهات الرسول ، حتى كانت هذه الأحاديث الجامعة متفقة الهدف في إيجاد المسلم القويم الدين الناضج الفكر معا .

* * *

٧ - ديوانه شاعر آل البيت :

الأستاذ محمود جبر

الأستاذ محمود جبر منذ ربع قرن وهو شاعر خفيف الظل في شعره ، وقد حدد شعره طريقه حين التزم مدح آل البيت حتى انفرد اليوم بلقب (شاعر آل البيت) وليس هناك أدنى شك في إخلاص إحساساته نحو آل البيت ، ومن بين ثنائيا شعره الباطح من السكرة مكانا ملحوظا يبدو صدق إحساساته الشاعرية نحو آل البيت رضى الله عنهم .

وديوانه هذا يبدأ بقصائد يناجى فيها ربه تحت عنوان : (رشفات من خمر التوحيد) وتحت عنوان . « نبويات » يناجى الرسول في قصائد عديدة ألقى بعضها بالروضة الشريفة ،

تحمل من المعانى الحية ، والقيم الإنسانية ، والمبادئ الأخلاقية ما شاء لها أن تحمل .

* * *

٦ - قيمات من الرسول :

للأستاذ محمد قطب

المؤلف من الكتاب القلائل الذين يعنون بالدراسات الإسلامية ، التي تنسم بالدقة والعمق معا ، وكتابه هذا صورة تطبيقية لمنهج في الكتابة ، وهو لقطات أيضا التقطها من حول مائدة الرسول صلوات الله عليه ، ليقدمها نماذج حياة من سيرة الرسول ومنهجه في تربية النفس والعقل والمجتمع .

في سبيل ارتباط الانسان بالحياة وتصحيح خطأ الزاهدين فيها يعرض المؤلف حديث الرسول : إن قامت الساعة ويبد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر .

وفي سبيل ربط الإنسان المسلم بالعلم كوسيلة لفهضة أمته يسوق المؤلف مع التحليل حديث الرسول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . الحديث الثالث : إن الله يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم . يعرض المؤلف فيه أخطر القضايا التي يؤسس عليها كيان الجماعة ، ألا وهى قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأحداث الإسلامية والأحداث السياسية
في بلاد المسلمين ، وفي دنيا الوفاء للإخوان
والمجاهدين ورجال البر .

سجل الشاهر قصائد تتم من خلق رفيع
فيه ، لأنه لم يتجاهل أخا استحق الوفاء لصدق
أخوته ، ولا مجاهداً استحق الوفاء لصدق
جهاده
محمد عبد الله السمان

وأبرز هذه القصائد النبوية قصيدته التي عارض
فيها نهج البردة تناول في بعض أبياتها المعاني
والأحداث الجديدة في العالم :

وقد عقد المزارف فصلا مسهباً للإمام الحسين
تحت عنوان « الحسينيات » ، وسجل قصائد للسيدة
زينب بطلة كربلاء ، وكل آل البيت ،
وتحت عنوان : « متفرقات » ، سجل في
ديوانه قصائد عن القرآن والإسلام وبعض

(بقية المنشور على صفحة ١١٧٨)

الذي يجعل الناس على السعي للحصول على سد
حاجات الإنسان المادية ، بعد أن ضعفت
الروابط بين الأفراد ، وخف تعاون بعضها
مع بعض ، وبعد انصراف أفراد المجتمع
نفسه عن النظر إلى المثل والقيم العليا
والانصراف بالنظر إلى السعي إلى الإنسان
في سبيل تحقيقها أو صيانتها .

وهنا أيضاً يمكن أن يكون مفهوم الصبر
معبراً عن نوعين من أنواع المجتمع الإسلامي ،
كما يكون تحول المجتمع الإسلامي نفسه صاحب
الأثر الأول في نقل مفهوم الصبر من مدلوله
الأول إلى معناه الثاني . وهنا كذلك يمكن
أن نقول إن المجتمع القوي يضيء على المفهوم
قوة مدلوله وهدفه ، كما أن المجتمع الضعيف
نفسه يستطيع أن يذهب القوة ويستبدلها
بضعف لنفس المفهوم الواحد .
البقية في العدد القادم

دكتور محمد البرهي
مدير جامعة الأزهر

لأن أهم ما يعني به الإنسان في حياته إن كان
ذا خلق إنساني وذا سمو في الإنسانية هو
الهدف الرفيع في الحياة ، ولا يكون الهدف
في الحياة هدفاً إنسانياً رفيعاً إلا إذا كان من
أجل الإيمان بنظام معين في الحياة ومن أجل
العمل على تحقيق هذا النظام وتطبيقه .

أما احتمال العاجز عن الكسب سبيل
الحصول على لقمة العيش ، واحتمال الضعيف
بسبب المرض في سبيل أهل الشفاء ، واحتمال
الجائع في سبيل انتظار ما يدفع به جوعه —
فإن ذلك لون آخر ومدلول آخر للصبر ،
ولكنه ليس ذلك الصبر الذي جملة الحديث
الشريف نصف الإيمان في قول الرسول صلى
الله عليه وسلم : (الصبر نصف الإيمان) .
فإذا مال مفهوم الصبر بعد ذلك إلى هذا
المدلول الأخير ، فإنه يكون قد مال إليه تحت
تأثير الطابع الجديد للمجتمع الذي تحول إليه
مجتمع المسلمين في أول أمره . ولا يكون هذا
الطابع للمجتمع الجديد إلا الطابع المادي

أَرَاءُ وَأَحَادِيثُ

العيد ولمن يَكُونُ

للإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت

١ - هكمة الأعياد عند الناس :

الأعياد سنة فطرية ، جبل الناس عليها ، وعرفوها منذ القدم ... منذ عرفوا الاجتماع والتقاليد والذكريات ... فكان لكل أمة أيام معلومة ، تظهر فيها زينتها وتعلن سرورها ، وتسرى عن نفسها ما يصيبها من رفق الحياة وعنتها .

وعلى هذه السنة وجد النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار في المدينة ، بعد هجرته إليها . يلعبون في يومين ، ورثوا اتخاذهما عيداً هن الجاهلية ، فلم ينكر أصل الفكرة ، فأباح اتخاذ العيد ، تحصيلاً لمزاياه القومية والاجتماعية والدينية ، ولكنه استبدل بيومي الجاهلية يومين آخرين . ارتبط بهما ، في تاريخ الإسلام بل في تاريخ البشرية عامة ، ما جعلهما غرة في جبين الدهر كله ، وهما يوم الفطر والأضحى .

٢ - نعمتنا الفسراع وإكمال الدين :

فيوم الفطر يذكّرنا بالنعمة العظمى ، نعمة إنزال القرآن في رمضان ، تلك النعمة التي كانت أساس التشريع لبناء دولة الإنسانية الموحدة ، دولة الهدى والرشاد ، دولة الصفاء الروحي والاستقامة العظيمة والتحاكم إلى الرحم ، دولة الحق والعدل والفضل ، دولة العلم والحكمة والتعمير والبناء ، وفي كلمة دولة العزة في الدنيا والسعادة في الآخرة .

أما يوم الأضحى فإنه يذكّرنا بنعمة الإكمال والإتمام لهذا البناء ، كما قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

٣ - غير الإسلام :

وإذا كانت الأمم الناهضة لا تعرف في تاريخها أعز ولا أعظم من يومها الأول الذي وضع فيه أساس بنائها ، ويومها الثاني

٥ - مظاهر الفرح بالعيد :

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيداً للمسلمين فيه يتبادلون التهاني والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتراحمون ، وفيه يتجمعون ويتزينون ، وفيه يتمتعون بطيبات مازق الله ، وفيه يؤثرون بينهم هري المحبة والإخاء . وحتى يتم كل هذا باسم الله وفي ظل رحمته ، جعل افتتاح هذا اليوم السعيد ، اجتماعاً عاماً للمسلمين ، يؤدون فيه جميعاً ، على اختلاف طبقاتهم ، وفي صعيد واحد ، صلاة العيد ... يكبرون فيها ويهللون ويشكرون الله على ما هداهم إلى العطف على إخوانهم الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات فأغنهم عن السؤال في هذا اليوم ، ووفرا عليهم هم للعيش ، فشاركهم في الصلاة وبادلوهم التحية والمحبة والمهنية والمودة ، ومن ثم يجمع المسلم في يومه هذا بين اتصاله بربه عن طريق العبادة وبين الاتصال بالناس عن طريق التعاون والترحام والإخاء .

٦ - لفتة إلى رمضان :

وإذا كنا بالأمس القريب قد استقبلنا شهر الصيام ، ونلونا قول الله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » كما خطبنا الخطباء على المنابر ، وحدثنا العلماء والكتاب في الصحف والإذاعة شهراً كاملاً عن مكانة

الذي تم فيه صرح هذا البناء ، فما أجدر اليومين بأن يكونا عيدين ، تنقش فيهما ذكرياتهما ، وآثارهما ، وإيحائهما ، على صفحات القلوب ، وأن يظهر ذلك كله على ملامح الوجوه ، وعذبات الألسنة ، وحركات الجوارح .

٤ - إجماعات يوم الفطر :

وليوم الفطر إجماعات بنعم أخرى ، فوق ما ذكرنا ، تلازمه ، في كل عام ، باعتبار وضعه الزمني .

(١) نعمة الحرية : فهو أول يوم ، بعد رمضان ، تعود فيه إلى المؤمن حريته الشخصية في مأكله ومشربه ، بعد أن سلها إلى مولاه خلال رمضان طائعاً مختاراً ... إيذاناً بأنه لا يضحي بها إلا في سبيل ما هو أعز منها وهو رضوان الله ومغفرته ، أما فيما عدا ذلك ، فدون سلها خرط القتاد .

(ب) فرحتان : وهو كذلك أول يوم بعد رمضان يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمتين لما أكبر الأثر في حياته وقوتها ، فرحة القيام بالواجب ، واجب الطاعة والامثال لأمر الله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء من الله ، وهو ما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

أولئك الذين عبثوا بالشخصية الإسلامية في ركن من أركان الدين ، وشعيرة من شعائره المقدسة ، وأطاعوا أنفسهم ، خلال شهر المراقبة ، على عاداتها ... تدبر المسكائد وتنفض سموم الفتن ، وتذبح الأراجيف ، فيفرون قلوبا متحدة ، وصفوفا متراسة ، ويزعزون إيماننا قويا نقييا ، ويشوهون جمالا وجمالا ، ثم يضعون الأشواك والعقبات أمام المجاهدين الصادقين ، والعاملين المخلصين ، فليس العيد لهم أبدا في شيء من معانيه ، فالعيد إنما يكون لمن صام رمضان وأدرك أنه بصومه قد أدى شكر الله على نعمته العظمى ، التي أنعم بها على عباده في مثل هذا الشهر ، وهي نعمة إنزال القرآن ... ثم جرد نفسه لإحقاق الحق وإقامة العدل ، وتوثيق عرى الإخاء . ثم كان بعد ذلك القدوة الحسنة والمثل الحي في الدعوة بالعمل إلى العمل ، وبالإخلاص إلى الإخلاص ، وبالاتظام إلى النظام ، وبالجهد إلى الجهاد ، وبالبذل إلى البذل ... وهكذا يدعو فيعمل ، ويقول فيفعل ، هذا فقط هو الذي ينبغي أن يتجه إليه بحديث العيد ، وهو وحده الذي يكون له العيد .

الصوم في الإسلام ، وعن أسراره وحكمته ، وعن مشوبة الله للصائمين ، وعماي ينبغي أن يكون عليه الصائم حتى يفوز برضاء الله ومثوبته وعن ثورة السماء على الباطل التي نزل بها للقرآن ، فوزلت عروش الفساد واهتزت صروح البغي والطغيان ... وهكذا خلقت لنا تلك الخطب والأحاديث جوا روحيا كان من حقه أن يدفع بالمسلمين جميعا ، في ليالهم ونهارهم وفي سرهم وعلاينهم ، إلى الصفاء والإخلاص وتطهير القلوب وصدق المراقبة وقوة العزيمة .

ولكن الواقع الذي نراه بأعيننا ، ونأسف له أشد الأسف ، ونحزن منه أشد الحزن ، أن هذا الجو الرباني المليء بذكر الله ، وبتلاوة كلام الله ، وبالإشارة إلى أحكام الله ، لم يتأثر به المسلمون كما يجب أن يكون ... فقليل من المسلمين هم الذين أجابوا الدعوة وامثلوا الأمر ، فصاموا ، وقاموا ، وراقبوا الله في صومهم ، واثقوه في قيامهم ، فعصموا أنفسهم من الشهوات ، وسموا بأرواحهم عن المدنسات ، وطهروا قلوبهم من الآفات ، وحفظوا جوارحهم من المعاصي والمخالفات .

٧ - لمن يكونه العبد :

٨ - رباء :

والذي لأرجو الله أن يهب لكل من أخلصوا في صيامهم ، وصدقوا في قيامهم وتوجهوا

فهمؤلاء النفر ، وحدهم ، هم الجديرون أن يكون لهم العيد وأن تتجه إليهم أحاديث العيد وأن يقصدوا بالتهاني في أيام العيد ... أما

وقال الأستاذ الأكبر : « إن الأزهر ليس بزيارة العلماء ، لأنه يرى أن العلم أساس الحياة . فقد خلق الله الإنسان بداعيتين : داعية العلم وداعية عبادة الله وحده ، فيسر له سبل العلم وخلق له السمع والبصر والفؤاد وكل الحواس ليصل بها إلى العلم . والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، لعلكم تشكرون . »

ونوه بفضل العلم في أول كلمة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق ... »

فعلم الإنسان في أرضه طبقات الأرض ، وعلمه في سمائه طبقات السماء ليستخرج منها كل ما يحقق السعادة للبشر ، والخير للإنسانية ، ولهذا يدعونا ديننا إلى تكريم العلماء والأدباء لأنهم دعاة الخير . والمبشرون بالسلام ، ولو فهم الناس كلمات الله في السلام والأمان لما خرج سيف من جرابه ، ولما لجرت قنبلة إبادة الإحياء .

وإن الأزهر ، وهو الحريص على دين الله ومبادئ الإسلام ، ليعمل ما وسعه العمل على نشر روح المحبة والسلام في جميع أنحاء العالم .

ومن أجل هذا نحنيك ، ونرحب بك باعتبارك عالما ، وداعيا إلى الخير .

إلى الله بقلوبهم - قوة إيمانية يكافحون بها الإلحاد ، ويحطمون رأس الفساد ، بعد أن يحفظوا أنفسهم وإخوانهم من النزق والطش والذل والعبودية لغير الله ، فيسكونون بذلك مثلاً حية ، وقوى مخلصه ، تقوّم من شأن الآخرين ، وتسدد خطاهم ، وتأخذ بيدهم إلى الصراط المستقيم... وبذلك تتراس الصفوف وتتناقى القلوب ، ويتوحد الاتجاه ، وتحقق الأهداف ... حينئذ يصدق معنى العيد ، فتم التهنئة ، ويشمل الرضى والغفران .

٩ - دعاء :

كما أسأل الله بقلب يذوب من جلاله ، ثم يعود فيتماسك من جماله ، أن يجعل هذا العيد فاتحة عهد جديد ، يعود فيه إلى الإسلام بحبه ، وإلى المسلمين النصر والتمكين .

١٠ - السلام والعلم والمسلم :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بمكتبته الأديب اليوغسلافي مستر اندروفيتش الحائز على جائزة نوبل في الأدب وبرفقته الدكتور عبد المحسن الحنشاب ومستر بويتش الملحق الثقافي بسفارة يوغسلافيا في القاهرة وقد تناول الحديث في هذه الزيارة كثيرا من الجوانب الإسلامية في تقدير العلم والعلماء ، ودعوة الإسلام إلى الحرية والسلام .

١١ - ومرة العقيدة :

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه وقد جماعة الدعوة والتبليغ الباكستاني ، ويضم عدداً من أسانذة مدرسة كاشغر للعلوم ، وكلية التليفونات والحربية .

وقد تحدث إليهم فضيلة الإمام الأكبر عن أثر الزاور في تقوية الروابط بين المسلمين وتعاونهم في سبيل الحق والخير ، وأثر علماء المسلمين الباكستانيين والهندود في خدمة الإسلام والدعوة إليه والنسك بحبل الله .

ثم قال : « إن من أعز أمانى أن التقي بإخوانى المسلمين فى شتى أقطار الأرض وبخاصة إخوانى الباكستانيين الذين أرجو أن يشد الله بهم أزر المسلمين . وإن أعظم شئ يقوى الرابطة بين المسلمين هو أن يتزاوروا ، ولقد كنتم أصحاب الفضل لاذ بدأتم بالزيارة .

ثم قال فضيلته : « إن النداءات التى خاطب بها القرآن المؤمنين تلتقى كلها حول وحدة العقيدة .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة »
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »

فالإسلام وحدة تجمع ولا تفرق ، وتقوى

ولا تضعف وهذه رسالتى ووصيتى إلى إخوانى الباكستانيين أحلكن أمانة تبليغها .

وإن أخوة الإسلام التى تجمع بيننا جميعا دون أن يفرق بينهم اختلاف اللون أو الجنس أو اللغة لهى الأساس الذى يقوم عليه ديننا ، وعلى هذا الأساس يجب أن تكون جهود المسلمين ... ومنذ نشأة باكستان ونحن نؤمن بأنها ستكون سنداً قوياً للنهضة الإسلامية وأنها ستعمل إلى جانب مصر لتقوية الدين من البدع والخرافات وإظهاره فى جوهره الثملى الأصلى .

وفى ختام المقابلة أهدى الوفد إلى فضيلة الإمام الأكبر الجزء الأول من كتاب (حياة الصحابة) للشيخ أحمد يوسف العالم الإسلامى الهندى .

تعاطى الترميز والفنوع والمضعة مفطر :

أرسل السيد الأستاذ محمد نجومه - نظارة معارف سها فزان ، ليديا - خطابا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر هذا نصه :

بعد التحية ، فقد سعدنا بالاستماع إلى حديثكم القيم المذاع بالراديو مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ الموافق ١٣ / ٢ / ١٩٦٢ م والذى أفدتم به أن كل شئ لا يدخل المعدة من المدخل الطبيعى للطعام والشراب وهو الفم - أفدتم أن كل

هذا لا يمد مفطراً ، وبما أن بلية التبغ المنتشرة في البلاد تكاد تكون شبيهة بما ذكرتم ، أحببت أن أنشر بسؤال فضيلتكم عن حكم استعمال أنواع التبغ وهي عندنا بليديا على ثلاثة :

١ - التدخين : وهذا بطبيعة الحال طريقه القصبة الهوائية فالرئتان .

٢ - النشوق : وهو مسحوق التبغ ينشق به من الأنف فلا يتعداه .

٣ - المضغ : وهي قطعة من ورق التبغ تلاك في الفم ثم يطرح الريق إلى الخارج ، وأظن أن هذه الطرق في الاستعمال لا تدخل المعدة .

فالرجاء من فضيلتكم إفادتنا من حيث أفادكم الله وهو ولي المحسنين .

وقد أجاب فضيلته على السيد محمد نجمية بخطاب هذا نصه :

« إجابة على استيضاحكم عن أثر التدخين ومضغه وتعالج النشوق على الصوم ، أفيدكم أنه بالرجوع إلى الأطباء والإخصائيين تبين أن هذه الأشياء الثلاثة تصل إلى المعدة عن طريق اللعاب ، فالدخان حين تدخينه أو مضغه يثير اللعاب ، ومن ثم يذوب فيه بعض أجزاء النيكوتين ، وهو المادة الفعالة في الدخان ، ثم يحملها هذا اللعاب كما يحمل ما يتسرب إليه من أجزاء النشوق إلى المعدة عن طريق المريء ، وإذا كان الأمر كذلك كان استعمال أية من هذه الأشياء الثلاثة خلال نهار رمضان مفطراً .

وفقنا الله وإياكم إلى الفقه بأحكام الدين وتحري الصحيح منها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود شلتوت

بريد المجلة

ماذا صنع بنا الاستعمار ؟ :

في العدد الأخير من مجلة (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الأوقاف المغربية بالرباط للعناية بالشئون الإسلامية والعربية ، قرأنا هذا الخبر .

« أصبح الزعيم الجزائري أحمد بن بيلا يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة ، بعد ما كان يجملها تماما عندما اعتقله الفرنسيون وقد استغل مدة إقامته في السجن فتعلمها . . . »

وفي مؤتمر كتاب أفريقيا وآسيا الذي انعقد من ١٢ - ١٦ من شهر فبراير الماضي بالقاهرة ، جاء دور رئيس وفد الجزائر في تولى رئاسة المؤتمر ، ولم تمض إلا دقائق حتى أعلن تنحيه عن كرسى الرئاسة لأنه لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع متابعة المناقشات التي تدور بها في جلسات المؤتمر . . . ! هكذا اعتذر السيد / مصطفى الأشرف رئيس وفد الجزائر . وأشهر شعراء الجزائر محمد ريبيع ، وأشهر كتابها محمد ديب ما زالت قصائدهما وقصصهما تطبع باللغة الفرنسية ثم تترجم إلى العربية !

هذه أخبار قد يقرأها العربي المسلم فيتملكه العجب ، إذ كيف يناضل زعيم عربي مسلم

كأبن بيلا طغيان الاستعمار ، وهو أعزل من سلاح اللغة ، لغة وطنه التي أعلن الثورة على فرنسا من أجله ، وكيف كان يتسنى للزعيم أن تتجاوب روحه مع روح الشعب الجزائري المناضل الذي دفع به إلى مقعد الزعامة ، وهو يفقد الوسيلة الكبرى للتفاهم مع الجماهير . . ؟

ولكنه الاستعمار الفرنسي الغاشم . . الاستعمار الصليبي الذي تسلل من قلب أوربا ليشار لهزائم الجيوش الصليبية فوق أرض عربية هي قطعة من الوطن الاسلامي . . الجزائر . وليس له هدف إلا أن يأتي على أعظم مقومات شعب مسلم من دين ولغة وأدب .

استطاع أن يتعقب اللغة العربية ويطاردها حتى حصرها في عدد ضئيل من السكتاتيب ، وبقضائه على لغة القرآن أصاب الاسلام في الصميم . هذا الاستعمار لم يدع وسيلة لمحاربة اللغة العربية إلا توسل بها ، ومن المهازيل المضحكة أنه في شمال أفريقيا ، بينما يطارد اللغة العربية كان يعمل على إحياء لغة البربر هناك ، مع أنها لغة غير مكتوبة ، وليست قائمة على قواعد وأصول ، وهو

إن بعضا من أدباء الجزائر هاجروا من فرنسا أو الجزائر وهو لا يعرف عن اللغة العربية شيئا ، ولكن هذا البعض لم يدع فرصة دون أن يتلقى دروسا في اللغة العربية حتى أتقنها ، وأصبح اليوم يجيدها قراءة وكتابة لأنه كان على يقين من أن اللغة الوطنية من أقوى مقومات الوطن ؟

محمد عبد الله السمان

مفرد شمائل :

اختلفنا في مفرد شمائل فمن قائل إنه شميلة ومن قائل إنه شمالة فارجو أن تعينوا المفرد الصواب منهما ولكم الشكر .

محمدرهوف

طالب بكلية آداب القاهرة

المجلة :

... مفرد الشمائل شمال بالكسر لا شميلة ولا شمالة : قال عبد بغوث :

ألم تعلم أن الملامة نفعها

قليل وما لوى أخى من شماليا
وقال لبيد وقد جمع المفرد والجمع في شطر واحد .

وهم قومي وقد أنكرت منهم

شمائل بدلوها عن شمال

استيفاس من القرآن :

اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمّنوا

الذي وضع لها قواعد وأصولا من نسج خياله ليستعين بها على نحو اللغة العربية . وعلى تمزيق أوصال الشعب العربي الواحد .
إننا نبعد كثيراً عن الحقيقة حين نتوهم أن هدف الاستعمار الغربي الصليبي في بلاد المسلمين يقف عند حده السيطرة السياسية ، وابتزاز خيرات البلاد ، ونخضع أنفسنا ونتجاهل أن هدفه الأساسي القضاء على الإسلام نفسه ، وعلى اللغة العربية لغة القرآن .

في حرب إيطاليا ضد ليبيا كان من نشيد جنود إيطاليا :

يا أماء .. أنمي صلاتك ولا تبكي .. بل اضحكي وتأملی ...

ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً ...

لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة . ١

لأحارب الإسلام الذي يجب تعدد البنات الأبنكار للسلطان .. ١

سأحارب بكل قوتي لأخو القرآن .. ١

إن الألمان الذين وقعوا في الأسر في مصر

خلال الحرب العالمية الثانية جاهدوا في سبيل

تعليم اللغة الألمانية للبصريين المعتقلين معهم ،

على أن يعلمهم المصريون اللغة العربية .

وقد ضربوا عصفورين بحجر : وفوا

لوطنهم واعتزوا بلغتهم ، وأضافوا إليها لغة

العربية التي قد يحتاجون إليها جديدة وهي اللغة في المستقبل .

أرجع إليهم فلما نينهم بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجهم منها أذلة وهم ساغرون —
وأوحش من ذلك وأعظم منه قول الشاعر :
يستوجب العفو الفقى إذا اعترف

بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله : قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه
من الفصاحة والبلاغة وهو مما يلغى أن
تعاف النفوس مساعه وهو مندرج في التحريم
لما فيه من عدم الاجلال لكلام الله عز وجل
والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين المحدث
والقديم ؟

محمود صبرى زقزوق

تعليق على تعليق

قال المرحوم الأستاذ أحمد أمين إن الإسلام
يطلق على الاتقياء القهرى ، وعلى الانقياد
الاختيارى ، فالأول يشمل كل من خضع
وانقاد بحكم خلقته ، أى فهو مقهور تسرى
عليه قوانين العالم ، ولا يستطيع الخروج
عليها ، وفى هذا قال سبحانه : وله أسلم من
فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه
يرجعون . فكل من فى السموات والأرض

مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من
القرآن الكريم وربما لم تكن هناك أدنى صلة
بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية
فيه . لذلك عد العلماء هذا النوع من
الاقتباس من النوع المحرم الذى لا تسيقه
الأذواق المؤمنة ... وفى ذلك يقول الإمام
الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم
الجوزية فى كتابه «كنوز العرفان فى أسرار
وبلاغة القرآن» . يقول فى مبحث الاقتباس
ما يأتى : — ... وقد أودعت جماعة من
للشعراء ورجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم
ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة
ورسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموا ذلك
اقتباساً من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه
جملة العلماء وأفاضل الفقهاء الاتقياء وكرهوا
أن يضمن كلام الله تعالى شيئاً من ذلك
أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم
لمن جاء وقت حاجتهم إليه — ثم جئت على
قدر يا موسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله
صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن
المعنى الذى أريد به ... فمن التضمين المنهى
عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين
ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه —
لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً — بل
أتم هديتكم تفرحون — وقال لرسوله —

سابق الآية ولاحقها بخالفان ما يقول .
وقد قرأت سابقها ولاحقها فلم أجد ما يخالف
كلام المرحوم أحمد أمين .

ولوصح كلام الأستاذ فوده من أن الإسلام
في آية د وله أسلم من السموات والأرض
طوعاً وكرها الخ . . معناه الخضوع للشرائع
طوعاً فقط لترتب على ذلك محظوران :

أولاً : أن يكون جميع من في السموات
والأرض مسلمين بالمعنى الذي ذكره هو .
وطبعاً لا يكون في الأرض كافر قط . وهذا
خلاف الواقع .

ثانياً : أنه يلزم أن يكون الملائكة مكلفين
بالشرائع ، والمعلوم أن الملائكة مجبولون
على الطاعة ، ولا قدرة لهم على المعصية .

ومعنى الآية على الوجه الذي قدره المرحوم
أحمد أمين هو تسفـيـهـه وأى المشركين في
اتخاذ آلهة غير الله يتقربون إليها ، وليس
في الوجود من خضع له كل شيء غيره
تعالى ، ولا يستحق أن يكون إلهاً إلا من
كان كذلك .

هذا ما بدا لي في هذا المقام ، وفوق كل
ذى علم عليم ؟

محمد فخر الدين
آداب عين شمس

مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لله ، مطيع
لما وضع في العالم من قوانين .

ثم جاء في الإسلام بمعنى الانقياد الاختياري
قوله تعالى د فقل أسلمت وجهي لله ، وهذا
يفيد أن المسلم هو الذي رضى بطاعة الله فيما
كلفه من شرع ، وبهذا المعنى تطلق كلمة المسلم
على كل من خضع لله طوعاً ، وأطاع أى نبي
من الأنبياء ، فأتباع الأنبياء كلهم مسلمون
بهذا المعنى ، وفي هذا قال يعقوب د يا بني
إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
إلا وأتم مسلمون . .

ثم خصصت كلمة الإسلام أخيراً في الدين
الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم .

وكلام المرحوم الأستاذ أحمد أمين في هذا
واضح ، لا غبار عليه ، لأن الإسلام الذي
معناه الانقياد لما يريد الله كرها المبر عنه
في موضع آخر بالسجود يعم كل المخلوقات .
قال سبحانه : د ألم تر أن الله يسجد له من
في السموات ومن في الأرض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ،
ولا شك أن هذا المعنى الذي يشمل حتى
الجمادات لا بد أن يشمل الكافر قطعاً .

وقد علق الأستاذ عبد الرحيم فوده على هذا
القول فأنكر أن يكون معنى الآية يفيد أن
الكافر يقال له مسلم بالمعنى العام ، وقال إن

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فودة

والمرمال عليهم درجة :

لا قدرهم عليها . وأصلحهم لها ، وتفرض أمانة الإسلام ذلك وتوجهه . وفيه يقول الرسول : « من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يحد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله . »

ولن تكون المرأة موضع الرئاسة مالم يكن ذلك فقصا في الرئيس الطبيعي ، لأنها بضعفها الجسدي . وملسكتها . وغرائزها . ووظيفتها في البيت تكلف ما ليس في وسعها أن تحسن القيام به إذا أسند إليها تلك الرئاسة . ثم هذا الرجل . مالك البيت . وللقائم بنفقته ورعايته وحمايته . كيف لا يكون صاحب الكلمة العليا فيه ؟

فدرجة الرجال في الإسلام هي درجة الواقع المحسوس من عالم الأحياء ، وهي درجة تضاعف الواجبات وتزيد في الأعباء ، وهي درجة تقفهم موقف المسؤولين عن أنفسهم وعن حولهم ، وهي درجة تصلح بها الحياة ويستقيم عليها الأمر .

إن خضوع المرأة لشریکها الرجل أمر طبيعي لا غبار عليه ، إذ لابد للأسرة وهي المجتمع الصغير من رئيس مسئول يكون

ترى هل غبن الإسلام المرأة إذ جعل للرجل عليها درجة كان له بها رئاسة الحياة الزوجية . . ؟ ألم يكن الأقرب إلى طبيعة الإسلام دين المساواة أن يسوى بين الشريكين فيجعلهما في منزلة سواء . . ؟ فيرضى بذلك الغربيين والمتغربين في هذا القرن العشرين - ولكن . هل المساواة المطلقة من صالح الطرفين . ؟ وهل الطبيعة ساوت بينهما في القوى والملكات ، وفي الأعباء والواجبات حتى نطالب الإسلام برعاية هذه المساواة . ؟ أو أن الضرورة فاضية بوجود الرئاسة في المنزل كضرورة الرئاسة في كل أمر ذي بال فللقرية رئيس ، وللمدينة رئيس ، ولكل مصلحة من المصالح رئيس ، وللوزارة رئيس وللدولة رئيس ، والإسلام دائما يطلب هذه الرئاسة ويحرص عليها لتحديد المسؤولية ، ولو في الأمور المعارضة ، فإذا حضر اثنان أو أكثر لفريضة الصلاة أمهم واحد منهم ، وإذا خرج ثلاثة في سفر أمروا أحدهم .

ويقضى العقل والحكمة أن تكون الرئاسة

الاعضاء وتتوافق في خدمة الجسم البشري ، .
فهذا الخضوع إذا كان ضرورياً كما رأيت
فهو في الإسلام خضوع الرأى والمشورة
والسمع والطاعة ، لاخضوع الذل والعبودية
أو العنف والاستبداد ، فالإسلام يوجب
على الرجل الرفق والسياسة والعطف وينهاه
أن يستبد أو يجور ، بل لقد طالبه أن يحتمل
من المرأة أخطاءها ، وأن يغفر لها هفواتها
وأن يحسن إليها ، لافتاً نظره إلى طبيعة المرأة
وما جبلت عليه حتى لا يلح في حسابها طمعاً
في إقامتها ، استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن
خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع
أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته
لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً ، وفي
رواية : « المرأة كالضلع . إن أقمتها كسرتها ،
وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ،
رواهما البخاري ومسلم .

فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من
طبيعة المرأة عذراً لها في الصفح عن هفواتها
والتجاوز عن أخطائها ، وليت شعري هل
يكون الخير للمرأة والرجل إلا بهذا العوج ،
وهل يستقيم الحال بعقل مثل عقل الرجل ،
وعاطفة كعاطفة الرجل ، وجسم
كجسم الرجل .

من كتاب المرأة في الإسلام
للأستاذ د كال أحمد عون ،

الفصل فيما يعرض من مشاكل وأزمات .
وإن هذه المسألة من الأصالة والوضوح بحيث
نرى المرأة السوية لا تسرها هذه الرياسة إن
سلبت إليها ، ولا يرضيها من الرجل أن تكون
مالمكة أمره والمهيمنة عليه ، ولدينا الأمثلة
من الحياة كما عند الكثيرين ولا ريب ،
وهذه كاتبة إنجليزية تقول : « لا تتعلق
المرأة بالرجل الذي تديره كيف تشاء . وما
ذلك إلا لأن المرأة تعلم أنه لا يمكن الاستناد
إلا إلى ما كان صلباً متيناً ، فلا غرابة إذا
احتقرت من كان ألعوبة في يديها :

ويقول الأستاذ هنري ماريون في مثل هذا
المعنى : فقد تبين لنا الآن لماذا خضعت
المرأة للرجل ، وأيضاً لماذا يتحتم عليها ذلك
الخضوع إلى حد ، وإلا انقلب النظام البشري
وأسا على عقب . بل لو أراد البشر خلاف
ذلك لكان لهم في طبيعة المرأة : في تركيبها
وخلقها ومزاجها . ما يحول دون تنفيذ
مرادهم : ثم يقول : إن خضوع المرأة أمر
مكروه متى رافقته خشونة الرجل وقضاظته
ولكنه طبيعي متى عدله تقسيم العمل .
ولطفته روح العدل والإنصاف ، بل ليس
ذلك الخضوع إهانة ومذلة ، إذا نشأ عن
تفاوت ضروري للتآلف والتوافق ، وكان
أساس الوحدة العاملة وهي الجرثومة البدائية
في تكوين الجمعية البشرية ، كما تتآلف

زينة للرغبة

قال بعض القدامى :

إن المليحة من تزين حليها

لا من غدت بحليها تزين

وقال غيره :

منعمة لم تلبس الوشى زينة

ولكن أحب أن تزان الملابس

وقال بعض المحدثين :

إن المليحة من كانت محاسنها

من صنعة الله لا من صنعة (البُدْر)

من مقال للأستاذ د. علي الجندى ،

في مجلة صحيفة دار العلوم

المجهر بالجمال

والمجدد عند الغايات رغبة

يبغى كما يبغى الجمال ويعشق

«شوقى»

دور الأدب في المجتمع الاشتراكى :

أصبح طبيعياً أن يكون للأدب دور في بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد . بل أصبحت هذه وظيفته ، وإذا كان في أدبنا العربى قديماً وحديثاً أصوات متباعدة تنادى بالعدالة الاجتماعية والتعاطف الاجتماعى من مثل قول الشاعر القديم .

فلا هطلت على ولا بأرضى

سحاب ليس تنتظم البسلا

إلى الروائع المعروفة في أدبنا الحديث ، إذا كان ذلك فإننا الآن إذا حركة اشتراكية جذرية تنظيمية شاملة ، من ألزم الأشياء أن يعبر عنها الأدب ، ويترجم حقائقها وقيمتها إلى صور جمالية تحرك النفوس وتطور الأفكار .

وحركة الأدب الاشتراكى التى تبدأ الآن بطريقة جذرية شاملة مع الحركة الاشتراكية نفسها ستأخذ طريقها بحدة صاعدة غير ملففة إلى الواقعيين ينظرون متساولين : ما هو الأدب الاشتراكى ؟ وما علاقة الأدب بالاشتراكية ؟ وهل هناك أدب اشتراكى وأدب غير اشتراكى ؟ إلى آخر هذه الأسئلة المستنكرة التى عهدناها فى مناسبات سابقة من أنصار الفن للفن متذرعين بالحرية والجمال والصدق الفنى .

وكلمات الحرية والجمال والصدق لو تعمقنا معانيها لوجدناها فى صالح الأدب الهادف إلى بناء المجتمع وتقدم الحياة ، فالأديب مواطن كأى مواطن صالح يعمل فى خدمة المجتمع ، ويدخل الأغراض الجماعية فى وجدانه ومشاعره فيعبر عنها من داخل نفسه وبدافع حرية ، فكيف ننكر على الأديب حرية فى تعبيره المتجه نحو أهداف المجتمع ، ونشيد بالحرية التى يستعملها الأديب فى الانزال والبعث عن أغراض الجماعة . . ؟ أليس هذا الأديب مثل الجندى الذى يستعمل حرية

مشاعره حب العمل وأحب الآلة في المصنع
أو النباتات في الأرض الطيبة . أو الحبيبة
التي يحبها كإنسانة تشاركه الكفاح
والهناة . . ؟

أيهما أجدر بالتقدير والاحترام . .
الصدق الفردى المستغرق في العزلة واللذات
الشخصية . أم الصدق الجماعى الذى يستهدف
الخير العميم . . ؟

من جريدة الأهرام
د الأستاذ عباس خضر ،
عبد الرحيم فوده

ربيعك فى نفسك

كنت كلما أقبل أبريل بالربيع تائهته وفى
نفسى بهجة الطل ، وفى عيني وضاءة الجنة ،
وفى قلبى صبوة العاشق ، وفى حسى نشوة
الشاعر ، وعلى لسانى أغرودة البلبل ،
ثم أجدنى بعد همود الشتاء وعبوسه قد
تجاوزت مع الطبيعة ، فأنضج مع النخس ،
وأفنتح مع الزهر ، وأنطق مع النسيم ،
وأمرح مع الطير ، وأزدان مع الروض ،
وأقضى أواخر النهار على ضفاف النيل ،
وأوائل الليل فى ملاهى القاهرة ، فأجد
لكل شيء جمالا ، وفى كل عمل لذة ، وعلى
كل منظر فتنة !

فى التخلف عن الدفاع . والجاهل الذى يستعمل
حرية فى الامتناع عن التعلم . . ؟ ثم أليس
الأديب الفردى مستعبدا لقوى الفردية
فى نفسه . . ؟ ولماذا لا يكافح هذه القوى
ويتحرر منها إن كان حقا يطلب الحرية . . ؟
ولماذا لا يتأمل فى نفسه ويخلصها من استعباد
القوى الرجعية الكامنة فيها .

وكذلك الجمال . . فمن قال إن استهداف
الأدب أو اشتراكه معناها إهمال جمال الفن
 وإهدار متعته . . ؟ ولست أدري لماذا يكون
التعبير عن الوجدان الفردى جميلا وفنا أصيلا
ولا يكون التعبير عن الوجدان الاجتماعى مثله
على الأقل فى الجمال وأصاله للفن . . أما الصدق . .
فنحن لا نريد من أحد أن يزور مشاعره ،
إنما نريد من الأديب أن يشكل نفسه بحيث
يتشرب المثل والقيم الاشتراكية ، بحيث يكون
إنسانا ، فلست أرى فرقا بين الاشتراكية
والإنسانية ، بمعنى أن كلا منهما يهدف
إلى العدل والتعاطف بين الناس ، ثم يعبر
بصدق عن أهداف الاشتراكية النابعة من نفسه
المتزجة بوجدانه .

وهل يعد الشاعر الذى يعبر عن آلام البعاد
وتباريح الهوى . وما يصيب فؤاده من سهام
النظرات ، هل يعد هذا الشاعر صادقا فى تعبيره
ولا يعد كذلك من تشربت نفسه حب المواطنين
وسعى لخيرهم والتعاطف معهم ، أو من خالط

لقد خبت وقدة القلب وعادت جمرته
رماداً ١ .

أذلك لتقدم السن ، أم ذلك لتأخر الصحة ؟
لا يا صديقي ! لا تقدم السن يؤخر الربيع ،
ولا تأخر الصحة يقدم الخريف . ما دامت
فيك حياة ففيك شعور ، والشعور إن يبلى
يدرك الحس في جمال الطبيعة ؛ وإن يرهف
يدرك الروح في حس الجمال ، إنما هي الحياة
العفنة التي نحياها اليوم في مصر (١) ! مستنقع
من الماء الآسن ، تنعقد عليه أبخرة خانقة ،
وتسطع منه روائح خبيثة ، وتطن فوقه
حشرات سامة . فإذا لم يؤثك الله المشاعر
السحرية التي تجعل الظلام نوراً ، والبخار
بخوراً ، وللطنين شدواً ، والسكر صفواً ،
عناك أن تجد اللذة ، وأعياك أن تسميخ
المشي .

لقد كنا من قبل نبصر الحياة بالقلب
والقلب فتان ، ونحن الآن نبصرها بالعقل
والعقل عالم !

(من كتاب وحى الرسالة للزيات)

أما اليوم فإنه يقبل به على فلا ألناه ،
وإذا لقيته لا أراه ! ذلك لأن ستاراً من
ظلام النفس يفصل بين عيني ونوره ، وحجاباً
من كثرة العيش يحول بين قلبي وسروره !
فأنا أمشي في شارع ٢٦ يوليو - إن مشيت -
فأرى حياة الربيع من حولي تندفق باللهو ،
وتتألق بالجمال ، وتتألق بالزينة ، وأنا محمول
على عباها المضطرب ذاهل الوعي بارد الحس
خامد الحركة ، كأنني جثة قتيل على سطح
نهر ، تمر الأمواه تحتها بالحياة ، وتزدهي
الشطآن حولها بالنضارة ، وهي تجري إلى
مصيرها المجهول لا تتصل بالسكون ولا تشعر
بالوجود !

وأنا أغشى مسرح اللهو - إن غشيت -
فأرى الوجوه تهش ، والشعور تبسم ، والعيون
تقول ، والقلوب تصفي ، وأنا جالس إلى
المنضدة الرخامية لا أجد بيني وبينها فرقاً
في الجمود والبرود ! فتلى كمثل الأصم الأصمخ
في المرقص الصاحب : يرى أفواها تنفخ
في مزامير ، وعصيا تضرب على طبول ،
وأجساداً تلتصق بأجساد ، وشفاها تنفج
عن ثغور ، ثم لا يسمع أنفاس العازفين
فيطرب ، ولا يدري كلام الراقصين فينتعش !

(١) نشرت هذه الكلمة في ٩ أبريل سنة ١٩٥١

"Ye shall certainly be tried and tested in your possessions and in your personal selves; and ye shall certainly hear much that will grieve you; from those who received the Book before you, and from those who worship many gods. But if you persevere patiently, and guard against evil, — then that will be a determining factor in all affairs" (S. The Family of Imr'an, V. 186.) "And we shall try you until we test those among you who strive their utmost and persevere in patience: And we shall try your reported (mettle)." (S. Mohamad, V. 31.); It intended to mobilize the spiritual powers of the believers to pass any distress or difficulty and to face it boldly.

Islam, in fact, did not intend to frighten the people when it assured that they will suffer, not only in their wealth or plenty; but also in themselves. The truthful expression and its actual existence was of a great term in their steady faith and their final success, which they scored because of patience, endurance and piety which is to follow God's instruction. The Holy Qur'an says: "It is not righteousness that you turn your faces towards East or west; but it is righteousness, to believe in God and the Last Day, and the Angels, and the Book, and the messengers; to spend of your substance, out of love for him, for your kin, for orphans, for

the needy, for the wayfarer, for those who ask and the ransom of slaves; to be steadfast in prayer; and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain (or suffering) and adversity, and throughout all periods of panic. Such are the people of truth, the God fearing". (S. The cow, V. 177).

Mobilization of the national power:

The final question which comes up now is: How to mobilize the national power towards the socialism? And how to organize that mobilization? Is it better to form leading units in the different sectors of the society which will completely represent all the specific power, to turn the meaning of socialism into a belief? or to let the individuals to elect their representatives who take care of their affairs?

The President Gamal Abd El-Nasser's call to Revolution: who chose and guided it? — Surely, it is a natural process found its way through a belief, then became an effective belief, and then turned to a motion. These three steps are inseparable, they also follow each other. President Gamal Abd El-Nasser and his companions were effected by the

(Continued . . .)

the individuals as they divided education into a religious and a civil one. They also formed the parties which opposed each other, instead of to strive towards the realization of one aim which is the reviving of the Heydays of the islamic society that embraced the human socialism.

C : In thought :

By thought, we mean here the way of thinking and its course. For the thought to be a directive source in mobilizing the orientation of the numerical national power and in turning the meaning of socialism into a belief; it should confirm the islamic and the historical values and not to destroy or doubt people in them.

Undoubtedly, the thinkers have the right to read the weastern and the eastern writings, but they should modify themselves with the specific national powers. This is because the repetition of some directions here and some there through our new revolutionary society; will surely disturb and cause troubles and disunity among the individuals, as it will create a feelings of suspicion towards the sincerity of the Revolution to its history and to the social values which the society is doing its utmost to defend them.

D : In expression :

By expression, I mean the declaration of one's idea — whether by saying or practical conducting through life — . And as the way of thinking should go with the main social values which represent some of the specifid national powers; the expression of one's ideas — whether by saying or conducting — should be modified with these values. Also, the means of information, such as the newspapers, broadcasting and television, and the means of Art, such as theatres and cinemas, and the means of publishing books and the means of preaching such as mosques; should not oppose each other or differ in their objectives. For perhaps a news or a report in a daily newspaper or in a weekly magazine causes doubt in the people's hearts — because it does not go with the main values of the society — especially those who have no knowledge but what related to the religion and aimed to God's favour. And also the methods of the expression should go with the steps of the society in its new era. So, it should not be exaggerated or abased whether in distress or abundance. When the holy Qur'an said : " Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the ftuits (of your toil)." (S. The cow, verse, 155)

Al-Azhar by the revolutionary government to enable them to earn their living on one hand, and to understand Islam and to perform faithfully the islamic message on the other. Hence, there will be no distinction between one and another in the society. No man will be called a religious or a secular one, but all people will have equal opportunities.

As a matter of fact, the islamic society during its heydays did not know a religious man and a secular one, but it knew only Muslim individuals. It did not know the religious man who use his message as a mean to gain his living, but it knew the professional man who was a jurist or a guide to the people. The history tells us some examples: such as Abu Bakr who was a merchant till he was selected ruler of the muslim society, then the great friends of the Prophet "peace may be upon him" asked him to devote himself for the muslim affairs. Another example was Othman son of Affan who was also a merchant. But both of the two - Abu Bakr and Othman - were jurists. The history tells us also about: Abi Hanifa Annoman who was selling silk at the markets, in spite of his knowledge and fame as a jurist, and about Abou Al-Hassan Ahmad El-Kadouri who was a maker of pots although he was one of the greatest jurists. It tells us also about

Ahmad Ben Omer Al-Khas-af who wrote the book of "Al-Kharag" and many other great books in jurisprudence, although he was earning his living from repairing shoes.

By this new system, the revolution removed the distinctions and realized equal opportunities for all the individuals of the nation. It also restored the strong picture of the learned muslims of the past, to the learned men of our present time. Hence, our revolution has the right to declare its pride - because of what it realized for Islam and the arabic nation - to the other arabic societies which embraced a certain islamic creed, and their rulers defended it one generation after the other. This certain creed was of Ibn Taymia which aimed at restoring Muslims to their glorious past and putting them face to face with the Qur'an, in order to have a clear understanding for the message of Islam and to have the powerful unity of thought and orientation. Consequently, the hateful sectarianism will be abolished, and the separation which causes weakness and interruption in the islamic society will be removed. But inspite of the existence of these principles, the forgone societies conducted against them. This was because their purpose was only to separate the unity of the people, to weaken them and to create differences among

If any observer looks into the islamic message, studies its principles and objectives in such way, and uses it to attract the people's attention, undoubtedly, he will have a deeper influence in the field of producing more understanding towards the relation between the arabic socialism and the islamic one. This understanding will be changed into a faith and utilization in the daily life of the individuals of the society and this faith by turn, will be the protector of the new position of the arabic society. Also, there will be no need for the legislative law which is guarded and carried out by the executive authority. Hence, the national power which is represented by the individuals will have the task of protecting the new equilibrium and duration of the new arabic society to be of productive socialism.

But the message of Islam can not be understood or has its effect in reviving and turning the meaning of the socialism into a belief, except after giving guidance and orientation to those who are known as the bearers of the islamic message — The Azharites whether they are students or professors — . And on the contrary, if they have not the right understanding and the ability to rouse the general attention for turning the meaning of the socialism into belief; surely their danger will

be nearer to that of those who badly use their authority. This is because, as the obscurants invest the people's wealth and capabilities in their material production; the bearers of the islamic message who have no correct understanding affects the people's hearts and souls and leads them astray.

Our prospect now is depending upon the university of Al-Azhar in its new organization which can be considered one of the greatest revolutionary works and which will have a great influence on our society, and the other islamic and arabic societies. Also, we hope that the revolutionists will make their utmost to turn that organization into an actual existence, in order to perform its message as a growing university — though it is the oldest — especially in guiding the arabic and the islamic nations.

Verily, the reorganization of Al-Azhar University will prevent the islamic guidance to be a kind of professions. It will create new kinds of knowledge which enables one to work and earns his living, instead of to use the islamic guidance as a mean of gaining money. The new faculties which are added to the old ones — The theoretical faculties of arabic and Islamic studies — are a golden opportunity given to the students of

Therefore, the islamic society is not only the one in which justice and equilibrium are realized, but it is also the society which completely respects humanity and gives it more than it takes, and hence, the islamic society will be the one which fulfills equilibrium and kindness at the same time.

The islamic call did not strive for, correcting the social condition in the human society or for exhorting people to follow the human innate qualities only, but it also called for keeping that, as the saying of the Almighty God "God commands justice and doing of good" [S. The Bees, V. 90]. While the islamic call called people to do good, it called them to enjoin what is right and forbids what is wrong, especially when the society has an obliquity or remissness in carrying out the islamic teachings which consider only the human qualities, not wealth, not pride of honour nor dignity. glorious Qur'an says: "Ye are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in God". [S. The family of Imran, V. 110].

As a matter of fact, the message of Islam is not only embodied the principles which call for the social equilibrium and its protection, and which call people to faith in God, but it embodied also the principles which call people to make

their utmost for the benefit of their society. Moreover, it combined — beside that — the main principles which prevent corruption from being spread among the individuals of the society on the hands of the alien people. They also prohibit the individuals of the islamic society to be loyal to any one who does not share with Muslims their faith and national aims, and also prevent them to be loyal to any one except the natural ruler who guides and leads it to realize its objectives and its basic principles. The Qur'an says: "The believers, men and women, are protectors, one of another: They enjoin what is just, and forbid what is evil". [S. The Repentance, V. 71] "O ye who believe! take not my enemies and yours as friends (or protectors)". [S. The women to be examined, V. 1]. "Thou wilt not find any people who believe in God and the last Day, loving those who resist God and His prophet, even though they were their fathers or their sons, or their brothers, or their kindred". [S. The woman who pleads. V. 22,].

From these verses, we come to the conclusion that people are forbidden to be loyal to the non — Muslims and not to get outer orders or guidance from a stranger or any ruler other than that leader who shares with them their aims and guides the society to realize its objectives.

In Islam, the honour or the personal pride never adds to a person more virtues to distinguish him from any other one, but both of the two (the honour and the pride) are an external factor gives no more consideration or value. It does not give any one more advancement (in the life welfare) than the other, nor it grants him more social qualities in the society in which he lives. When Islam averts the pride of honour or greatness of the ancestors to be a kind of preference or valuation, it makes the way wider for the whole people and cleans it from the obstacles and hindrances which were founded by those who are people of honour in order to prevent others from occupying the good position which they deserve because of their personal efficiency, as it realizes what so called in Sociology "The equality of opportunities".

Indeed, equality of opportunities is not more than a prevention of non-personal factors such as pride of honour, dignity or fortune—to be means of distinction for some and backwardness for the others. Hence, when Islam returns the mutual position of the wealth back again, and prevents people to use money for monopoly, bad investment or raising the honour and dignity; it surely spreads tranquility and comfort among people. So, every one will feel

a safe future and will be directed to the true aim and objective of life, which is undoubtedly not the fortune nor the pride of honour nor greatness of the ancestors; but it is indeed the production of the human beings in its different shapes; it is the mental production and the physical one together.

Moreover, Muslim — from the islamic point of view — is not one who has fortune, pride of honour or dignity; but he is who works and produces by all his human powers and activities. Also, human society is the one of production and work which are the reciprocal aspect in the islamic society. Indeed, the human production is nothing but human services which benefit all the individuals of mankind, whether they took part in its performance or not. Because every one of the islamic society is a human producer, it is naturally that the work of every individual serves the benefits of common, and also the work of common serves the benefits of the individual. And this leads us to conclude that the islamic society is a socialist one. This is because the main principle of socialism is "one is for whole, and all are for one". The islamic socialism is a human one since it depends only upon the human production, not on wealth nor any other adventitious qualities which have no effect in the human valuation.

Those who unjustly eat up the property of orphans, eat up a fire into their own bodies: They will soon be enduring a blazing fire!’ (S. The women, V. 10.)

The word “orphans” in this verse does not combine those who are under age only, but it contains also the feeble people who have no ability to resist the utilization or to restore their rights which were usurped by the aggressors.

Perhaps the main function of the fortune — in view of Islam — is to liberate humanity, — individuals and communities — to liberate them from the material captivity and from the slavery of a man to his brother. As a matter of fact, enslavement can be represented by many ways such as hunger, ignorance, illness and fear. Also, the main function of fortune — In Islam — may be to enable the individuals of the society to enjoy their rights equally. The most important one of these rights is freedom and also honour. The glorious Qur’an says: “Verily, we have created man into toil and struggle. Thinketh he, that none hath power over him? He may say (boastfully) wealth have I squandered in abundance! Thinketh he that none beholdeth him? Have we not made for him a pair of eyes? And a tongue, and a pair of lips? And

shown to him the two highways? But he hath made no haste on the path that is steep. And what evil explain to thee the path that is steep? — (it is) freeing the bondman; or the giving of food in a day of privation. To the orphan with claims of relationship, or to the indigent (down) in the dust. Then will he be of those who believe, and enjoin patience, (constancy, and self-restraint), and enjoin deeds of kindness and compassion. Such are the companions of the Right hand.” (S. The city, Vs. 4 — 18.)

As a result of what we mentioned, — the main function of the fortune is to liberate the humanity from all the different ways of slavery — Islam aims at giving the man a complete mastery over money due to his characteristics, freedom and his honour. That is because the subjection of man to the fortune is against the law of God who created him to be the master of all the other creatures, such as the wealth which lays in the bottom of the earth and the money which is its price. So, when the holy Qur’an says “And He has subjected to you, as from Him, all that is in the heavens and on earth” [S. Bowing the Knee. 13.] It intends to clear that man himself is a master and that all the other creatures are harnessed to him.

standard, Islam calls people to maintain and protect it against any unexpected relapse. But if the society is compelled and forced — by a bad authority, utilization, monopoly or the different trials — to come back to its former state, Islam ordains people to call again for the correction of the society, then to guard and protect it. Undoubtedly, Islam always tries to correct the bad condition of the society, and to narrow the distinction among the people in order to enjoy themselves during their lifetime.

We previously mentioned that the message of the prophet Mohamad "peace may be upon him" had come to purify the social condition and to obliterate the investment, whether it is performed by those who are the descendants of the great ancestors, or by those who are wealthy. This seems very obvious in the islamic attitude towards fortune, pride of honour and greatness of the ancestors. For example: Islam does not consider fortune as a private property enjoyed by those who possess it, while needy people have no share in it, but on the contrary it considers money a loan given to them and they temporarily possess it, also Islam considers those people as guardians who should carry out their guardianship completely and

wisely. Moreover, fortune in the islamic point of view belongs to God, as it is a common right for all people. This is because God's provision is to be shared by all His creatures. This islamic point of view concerning fortune is cleared in the different verses of the holy Qur'an which read "Believe in God and His prophet, and spend (in charity) out of the (substance) where of He has made you Heirs". [S. The Iron, V. 7].

"Ye, give them something yourselves out of the means which God has given to you" [S. The Light, V. 33].

"And those in whose wealth is a recognised right. For the (needy) who asks and him who is prevented (for some reason from asking)". [S. The ways of Ascent, V. 24-25].

Because wealth basically belongs to God, one who possesses it has no right to withhold it from others, or to badly use it, such as to enslave their souls or to tie their future to his order by means of it. In this respect the holy Qur'an says "And do not eat up your property among yourselves for vanities, nor use it as bait for the judges with intent that ye may eat up wrongfully and knowingly a little of (other) people's property". [S. The Cow, V. 188].

meet hindrances and obstacles, such as hunger, fear and lack of properties. In this respect the holy Qur'an says "Be sure we shall test you with something of fear and hunger some loss in goods or lives or the fruits (of your toil), but give glad tidings to those who patiently persevere," [S. The cow, V. 155].

These hindrances sometimes be represented by the conspiracies or the plots which are prepared by those who have no belief [in the new system and principles. These plots and conspiracies sometimes cause harm to the reformers. In this connection the glorious Qur'an says "Ye shall certainly be tried and tested in your possessions and in your personal selves; and ye shall certainly hear much that will grieve you, from those who worship many gods. But if you persevere patiently, and guard against evil, - then that will be a determining factor in all affairs." [S. the family of Imran, V. 186.]

Though these difficulties may hinder the call's way, the last consequence will be the victory and the stability for the callers and the society which they are struggling to realize. The Qur'an says "This day have I perfected your religion for you, completed my favour upon you and have

chosen for you Islam as your religion." [S. The Table, V. 4.]

Reviewing the history as a directive source for the struggle of our nation which aimed at realizing the methodical examples and stability of the balance among all members of the human society, it is undoubtedly possible to mobilize the national numerical power towards the belief in Arab socialism. This mobilization will be realized, if we understand the happenings of the history, which happened as a result of calling to these ideologies, the hindrances which met the callers and the success which they scored at last as a result of their struggling.

B. in Religion :

As a matter of fact, Islam - by its message and through it - aims only at restoring the human and the good position to mankind. This because the human society had lost its position pride and honour and also the differences and distinctions among its individuals were very obvious, not only in the poverty and richness nor in ignorance or learning, but also in the human qualities which are differently granted to the human beings.

After turning the situation of the society to its correct human

From this Qur'anic verse, we come to the conclusion that Islam ordains Muslims - when their society comes down to a level lower than the required one - to form a group from amongst themselves to bear the responsibility of reformation of the society. But without having a complete authority over the society, it is impossible to restore the society back to its glorious past. This is because the authority is the only mean which enables one to enjoin what is right and forbids what is wrong.

However, the holy Qur'an - in this verse or in any other verse did not point to the way of forming such group which will bear the responsibility to restore the society back to its right position. No doubt that the Qur'an never aims at forming such a group by means of election - when the society comes down to a level lower than the level of the islamic values - because people, as a whole, in such case will have no ability to be higher than the happenings, to see the outlines of the reformation of the society, or those who gather these lines into their minds, have a complete belief in them and make their utmost to carry them out.

As a matter of fact, God chose

this group of people, His selection does not mean that He sent down to them a new revelation to convey it to the people as the prophets; but it surely means that God granted them pure natures and faithful hearts by which they can be higher than the happenings and which enable them to call People to do good, enjoin what is right and forbids what is wrong, as the Qur'an states in the previous verse. Verily; with their faithful hearts and pure natures; they will realize their aim and reach their goal which is the improvement of their society and conducting according to the islamic values. This is the statement of the Qur'an at the end of the above mentioned verse which reads "They are the ones to attain felicity", the task of this group does not differ from that of the prophets and messengers, whether towards the call itself or its stages or the circumstances of the struggle : Its failure and success. No doubt that the good result — in spite of these circumstances — will be at last for those who are pious, and also they will be the winners in spite of the long time and the hindrances that they will meet.

Hence, we do not expect to find a paved way to pass over or a bright light to lighten the way in front of us, but we mostly expect to

through its history — is the Islamic call, its beginning and its extension all over the world. However, the arab history before the Islamic Call, was only the history of the arab tribes, history of war and competition for the sake of the mastery over the arab peninsula. But after Islam, the arab history is the history of the Islamic values and ideologies, history of Arab struggle to plant these values in their life and all mankind as well.

If we have a true desire to restore our nation's glory to our new society which is the socialist one, we shall firstly centralize our desire on these values which are the arabic and the Islamic message, and also on the difficult and long periods of struggle to make a room for these values in the human beings life.

The Qur'an — it self — not only illustrates the values of the Islamic message, but it depicts the struggle for its sake also. The examples of the struggle in the holy Qur'an are not for the struggle which began and then ended, but for the sake of the struggle which will be repeated through the human generation. This is because the values of the Islamic message are requested to be followed by all people and they also asked to perform them during their life, or [at least to be

nearer to them. Sometimes, humanity may come to the standard of the realization of these values, and sometimes it comes down and in this case, all the human society will be responsible to fight in the cause of the realization of these values again to inculcate them in the human being hearts.

As a matter of fact, these values are steady ones and the human beings are responsible to raise themselves to its level, so it is only the society attitude — towards these values — which changes nearer to or away from them. The Qur'an says "Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right and forbidding what is wrong: They are the ones to attain felicity". (S. The family of Imran, V. 104).

This verse denotes to the duties of humanity, when the society becomes away from the Islamic values, or when disruption and corruption are existed. According to this verse, it is the duty of the society to have a group of people who have a complete conviction in these islamic values to restore—by enjoining what is right and forbidding what is wrong the glorious past of the Muslim society.

The specific national power :

As a result of the above mentioned, all the individuals of the nation — except those who badly took the proceeds and the sources of the nation's wealth, who directed its political and intellectual affairs and who weakened the nation and helped the foreign mastery against the national struggle, indeed those are the people who took more than they gave or took but did not give — except those, the rest of people are qualified to be Arab socialists. But the question which we should face now is: How the individuals of the nation become Arab socialists — while they are forming the numerical power — in the actuality and manner? How does the understanding of Arab socialism can be changed to a complete belief in it? And how this belief can be utilized in the practical life to protect the nation in case of aggression or conspiracy against it?

Having the suitability for acceptance of Arab Socialism is not quite enough for the individuals of the nation, as well as it is not sufficient for them to have a numerical power, but there should be — besides that — a complete conviction which urges one to do good during his life, to carry out the principles of Arab Socialism and to fight against those who are trying to aggress on it.

Consequently, there should be another power which is unseen and immaterial one, beside the numerical power. This power is the one which drives, or rather, should drive the Socialism, as an understanding, to be a complete conviction, then to a behaviour according to that conviction.

Hence, we may call this power, the specific national power. This is to face the numerical national one. And if we examined these specific national power which turn the understanding of Socialism to a complete belief in it, we shall find out that they are represented in following of the sources of powers :

- A. The history.
- B. The religion.
- C. The thought.
- D. The expression.

Undoubtedly, these means and sources of power can be a perfect guide, if they are well understood and practised. The practical role of the leaders of Arab Socialism, is to declare the values of these sources of power and to materialize it in our new society.

A. In the history :

We mean here by history, the history of our arabic nation which —

The teacher will also be an arabic socialist, if he gives more favour in addition to his work. This favour can be represented by giving help to the students who need such help, performing his duties thoroughly, or by sharing the task of giving free education to the people in a public schools. Not only the teacher, but also the teachers syndicate will be an arabic socialist, if it gets out of the circle of serving only its members in return for their subscriptions and strives to serve all people. It can, for example, build schools and produce free scholarships for the intelligent students or to spread knowledge and culture to enlighten people and obliterate illiteracy.

The agricultural engineer can be also an arabic socialist, if he freely shares by his expertness in some technical fields for the benefit of the people, such as to show farmers how to cultivate lands, to visit their farms and houses periodically, and to give them more advices to indicate his active readiness for help and his human noble feelings towards them.

Also, the agricultural syndicate can be an arabic socialist, if it widens its services to benefit, not its members only, but all people also. For example: To establish methodical houses for farmers in different villages, to improve animal production

and its exhibitions, or [to] offer any other help to denote that it does not confine its services to its members, but it does its utmost for the benefits of all.

The Governmental employer can be an arabic socialist, if he gives more favour or human services beside what he is compelled to do according to his job. For example: To accomplish the needs of the people as soon as he can, to save their time and to offer them other services which are not due to his official work, but for only humanity and kindness.

Therefore, Arab Socialism combines two aspects:

- * Justice and balance between taking and giving with regard to the individual relation.

- * An exceeding favour beside that justice which reflects its influence upon the society.

Hence, the fact that the individual is working for the benefit of all will be realized. This is because his services are not equal to his wage, but they are more than it. And also that all are working for the benefit of the individual. This is because they make their utmost to happy him irrespective of the value of their wages, and this of course is the essence of Arab Socialism.

passes his examination successfully in return for his parents, teachers and professors care? Is the wife an arabic socialist when she takes care of her family's affairs and carries out her duty as a mother in return for her husband carefulness? Is the husband an arabic socialist when he accomplish his duty towards the family in return for the services which family offers to him?

Surely, if the Arab Socialism is mere giving in return for taking, or a service apt to a recompense, every one will be, therefore, an arabic socialist. In my openion, Arab socialism is not only an act of moving inside the sytle of giving and taking or, in other words, that work should be equal to its recompense. But Arab socialism is that "One for all and all for one". And here questions will rise: How one be for all? How all be for one?

It is impossible for one to work for all, or all to work for the benefit of one as long as the work is only in the circle of giving and taking or at least the work is equal to the wage. Therefore, every one should offer an additional work beside the equality of taking to the giving or rights to the duties. This additional work is a human service that can be explained as a manly effort whether it is a material or immaterial one. For instance the worker will be an arabic socialist if he —

beside his daily work — offers an additional service, as to do his work thoroughly, to help the weak workers, to guide and advise those who have no experience . . . etc.

The medical man will be an arabic socialist, if he gives an exceeding favour beside the medical care for which he takes the fees. This exceeding favour can be represented by giving free medical advice to the patient who has no ability to pay fees. The medical man can also represent his exceeding favour by giving a precise description or an exact advice and also never to produce it, unless he studies the patient condition thoroughly. Consequently, the patient will not be exposed to any harm or pain. This favour also can be materialized in the fields of offering guidance to those who badly need it and in many other fields.

Undoubtedly, the Doctors Syndicate can be an arab socialist, if it gives an exceeding favour beside, the services which it offers to its members in return for what they pay. For instance: It can help in establishing new free hospitals for the needy people, in giving free medical advices and also in teaching people, especially the uneducated and the peassant classes how to protect themselves against diseases and in any other free human and medical services.

that the working class — the factory workers in particular — is the only class which should have complete authority over society, and this of course will be the last ring of the historical events chain.

The system of the society — in the communism point of view — had changed to its contrary in the past, and now it differs from what was in the past, and it will be also changed to its contrary in the future till the society becomes a worker one. For instance, the royal society — in which the different kinds of properties belonged to the king himself and the people were similar to slaves — was changed from the royal system to feudal one in which the rulers — who were appointed by the king's will — owned the fields and rented them to the cultivators. Again that society was changed from the feudal system to the capitalistic one in which money was entirely invested in the factories as the feudalists prefer factories on land cultivation to get more interest. This capitalistic society was also changed to a worker one after long conflicts between the capitalists and the workers of the factories. Hence, communism considers that the workers of the factories are only the communists and the socialists.

But is the Arab Socialism, the same communist one? No,.. It is

not, because Arab socialism protects the individual properties, which are forbidden in the worker or the communist society. The personal properties are existed and will remain because they form the private section, beside the public one in which some lands, factories and stores are belonging to State.

Again, we will come back to ask about the meaning of the Arab Socialism and the fields in which it can be materialized. Is it a kind of exchange or substitution? Is it the performance of person's duties in return for having fully his rights? Are the farmer in return for having fully his rights? Are the farmer in the farm and the worker in the factory, arabic socialists when they perform certain works and take their wages? Is the employer in his office an arabic socialist because he performs the duty of his employment and in return for, he charges his salary? Is the medical man - when he discribes medicine for the ill and takes fees for his work - an arabic socialist?

Are the teacher of the school and the professor of the university arabic socialists when they carry out their duties and get their salaries? Is the student of the school or university an arabic socialist when he carefully attends his lessons and

THE NATIONAL POWER

HOW TO BE MOBILIZED TOWARDS
THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

This is a valuable philosophical research, in which the writer has demonstrated the national power and how they are to be mobilized towards realizing Arab Socialism. He also analyses its different specific fundamentals, especially from the aspect of history, religion, thought and expressions. The task of Al-Azhar in its new era is to inculcate the new revolutionary thought and understanding in the people's minds.

To define suitably, the national power, it would be better before discussing the meaning of Arab socialism, to explain or declare what the National power is? Is it a certain number of individuals of different classes? or is it a discriminative power conferred on certain individuals who can possess it, while the rest of them have the ability to bear it and to carry out its principles.

The Arab Socialism :

In this respect I wish to ask

the question "Is the one who works in a factory socialist, only because he is a worker?" If so, the Socialism will be an inseparable quality for the worker, wheresoever he will be. Or, does socialism bear another meaning and essential quality which stands for that worker or any other individual, if such meaning or quality is planted in him?

Indeed, Communism looks at the worker as a Communist and a socialist because he is a worker. This is because it rests upon certain intellectual fundamentals which mean

best nation of mankind. So, it is our duty - in that condition - to carry out the instructions of the holy Qur'an which was revealed to be as a constitution and system of life. Hence, the enmity among Muslims should be removed and replaced with love and peace. And consequently, our nation will restore its glory and honour, as well as it will had the ability to perform its duty towards the message of Islam till the tumult and oppression be removed and justice and faith in God be prevailed.

In the occasion of the coming of the month of Ramadan, I gladly direct these words to all Muslims everywhere as I like to put in their consideration — as a conclusion — the saying of God (exalted be He) “O ye who believe! give your response to God and His prophet, when He calleth you to that which will give you life, and know that God cometh in between a man and his heart, and that it is He to whom ye shall (all) be gathered. And fear

tumult or oppression, which affecteth not in particular (only) those of you who do wrong and know that God is strict in punishment.” (S. The spoils of war, Vs. 24 — 25.) “O ye who believe! Persevere in patience and constancy: vie in such perseverance, strengthen each other; and fear God; that ye may prosper.” (S. The Family of Imran, V. 200.)

In the end, I prey God to guide all of us to the straight path and to do good for the benefit of our nation and our religion. Also, I hope them to receive Ramadan of the next year with faithful and united hearts. And now, let us hear and read the following verses of the Almighty God (exalted be He) “In the name of God, most gracious; most merciful. By (the taken of) time (through the ages). Verily, man is in loss, except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy.” (S. Time through ages.)

be like those who say, "we hear" but listen not." (S. The spoils of war, Vs, 20 — 21.) "And hold fast all together by the Rope which God (stretches out for you) and be not divided among yourselves." "Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputations after receiving clear signs: For them is a dreadful penalty, — On the Day when some faces will be (lit up with) white, and some faces will be black." (S, the family of Imran, Vs. 103 — 105 — 106.)

"Let not the believers take for friends or helpers unbelievers rather than believers: If any do that, in nothing will there be help from God" (S. The family of Imran, V. 28.)

"Your (real) friends are (no less than) God, His prophet and the (fellowship of) believers, — those who establish regular prayers and regular charity, and they bow down humbly (in worship). As to those who turn (for friendship) to God, His Prophet and the fellowship of believers, — It is the fellowship of God that must certainly triumph." (S. The table, Vs. 58 — 59.)

Verily, if they completely understood the meaning of these verses, they would know what they order them to do, they would come to the conclusion that they are the followers

of the religion which enjoins love and co-operation and forbids hostility and conflicts. The religion which always calls for unity and brotherhood. Undoubtedly, people who are like that, should stick themselves to the unity and not to cut the links of fraternity which join them to each other, as they prevent insult and hatred, because these are against the requested character of the believers whom God says about them "The believers, man and women, are protectors, one of another; they enjoin what is just, and forbid what is evil" (S. The Repentance, V. 71.)

This means that unity in loyalty and devotion, should lead Muslims to be united, to support and help each other in the righteous deeds and piety.

Now, we are passing through the time in which Muslims are separated and in which the factors of corruption are spreading among the individuals of the Muslim society. And as a result of that, imperialists occupied their lands and usurped their properties, and Muslim also failed to reach the goal which God had chosen for them. This goal is to lead mankind to the straight path. For this reason, God revealed to them his guidance and religion, as He supplied them the means of being good conductors in order to be the

full well all that ye conceal and all that ye reveal. And any of you that does this has strayed from the straight path. IF they work to get the better of you, they would behave to you as enemies, and stretch forth their hands and their tongues against you for evil; and they desire that ye should reject the truth." [The woman to be examined Vs. 1 — 2] .

"O ye who believe! Take not into your intimacy those out side your ranks : They will not fail to corrupt you. They only desire your ruin : Rank hatred has already appeared from their mouths : What their hearts conceal is far worse, we have made plain to you the signs, if you have wisdom. Ah! you are those who love them, but they love you not." (S. The family of Imran, V. 118.)

Surely, Muslims forgot all these meanings. It bloods the faithful hearts to observe the hostility and separation widely spread among the individuals and the governments of the Muslim nations, to notice that the Islamic society had divided into many sections and to see Muslim countries had been subjected to the imperialists who usurped their wealth and induced one to fight against his brother. Here we should repeat the following verse, "Has not the time arrived for the believers that their

hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long age, passed over them and their hearts grew hard ? " (S. The Iron, V. 16.)

Has not the time arrived for the muslim people to liberate themselves from the deception of the imperialists and their supporters who strive hard to create hostility among one and his brother, to extend the period of their occupation in the Muslim's land ? Has not the time arrived for them to be guided by the tenets of the month of Ramadan which is the month of devotion and Qur'an, and to take it a point for revolution against the imperialists and the dishonest citizens who put the obstacles and the hindrances in the way of their unity, dignity and honour ? Has not the time arrived for them to repeat attentively reading of the following verses : " And obey God and his Prophet; and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart; and be patient and persevering : For God is with those who patiently persevere. " (S. The spoils of war, V. 46) "O ye who believe! obey God and His Prophet and turn not away from him when you hear (him speak). Nor

may notice from all its principles and regulation : We can observe that in the fasting as we above mentioned, in the prayer which is a repeated devotion. For instance : All Muslims direct their faces towards one direction (one keblah), they perform their prayer behind one leader (Imam), their movements are the same, they read one Qur'an and they repeat the same praises through their bowing (Sobhana Rabbia Al-Azeem) "praise be to great God", and through their prostration (Sobhana Rabbia Al-Aala) "glory be to God the Almighty".

Unity is the aim of Islam in Zakat also. Zakat is the tie which links all the individuals of the society to each other, spread among them, love, faithfulness and cooperation. Surely, alms giving removes the distinctions among the classes and replaces them with love and brotherhood. Hence, the rich man feels the pains of the poor one, and he may make his utmost to please him, and the poor man offers his assistance to the rich one when he afflicted by a calamity.

In pilgrimage, unity is very obvious, especially at the time of "Ihram" when all pilgrims put off their ordinary clothes and put on clothes of a similar kind, material, parts, colour and the same making.

At that time, one can not distinguish rich man from the poor one. This of course teaches Muslims the meanings of unity, instill in their hearts fraternity, tidiness, love and co-operation. Hence, Muslims become one group against their enemies.

But unfortunately, it is very painful for the faithful hearts to know that Muslims - during a period of the islamic history - forgot the facts of their religion. They were involved in the material fascinations of the world and forgot the constitution and the guidance of God, some of them become affectionate with God's enemies and their detractors, as they accepted them as their supporters other than God. The holy Qur'an says "And incline not to those who do wrong, or the fire will seize you; and ye have no protectors other than God, nor shall ye be helped." [S. Houd, V. 113.] "O ye who believe ! Take not my enemies and yours as friends (or protectors) offering them (your) love, even though they have rejected the truth that has come to you, and have (on the contrary) driven out the prophet and yourselves (from your homes), (Simply) because ye believe in God your Lord ! If you have come out to strive in my way, and to seek my good pleasure. (Take them not as friends), holding secret converse of love (and friendship) with them : For I Know

RAMADAN IS ONE OF TENETS OF THE ISLAMIC UNITY

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar

Dear Muslim brothers and sons all over the world : Assalamu Alikum wa - Rahmatu Allah wa - Barakatoh (peace from God be upon you). Now, the month of Ramadan has come " Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). " (S. The cow, verse 185.)

It is the great month which God imposed upon every Muslim to fast it, to be as an Islamic tenent declares the unity of Muslims everywhere. An Islamic unity with infinite time, place, geographic borders, — natural or political — race, colour or language. In this respect the holy Qur'an says " O mankind ! we created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily, the most honoured of you in the sight of God

is (he who is) the most righteous of you. " (S. The Rooms, V. 13.)

The Prophet Mohamad " peace may be upon him " said : There is no preference between the Arab and the non-Arab or the white and the black except by piety. This is because all of you are the sons of Adam, and Adam was created of dust. "

Surely, it is the unity which basically stands on the faith of Islam which followed and embraced by those who Fasting Ramadan is imposed upon them. The unity of Muslims plainly becomes evident during the month of Ramadan, especially in the times of eating and drinking which are from sunset till the dawn time. It seems also in prayer, fasting, alms giving, praising God, rehearsing Qur'an and also in awakening and sleeping.

Verily, the month of Ramadan and of unity has come. And Islam aims at the Muslim's unity as we

their eyes from looking to the prohibitions, their tongues from saying bad words, the ears from hearing the hateful speaking and prevent their hands from causing harm to the others. They also do good and follow the traditional instructions of Ramadan: The drunkard lets his wine, the gambler lets his gambling the wrongdoer lets evil and the criminal forgets his crime, then the fasters will invite the poor people to eat with them and to give them a share in their money and possessions. Hence, all Muslims will feel that their hearts are in one place inspite of the long distance which separates one from the other. This is because they have the same feelings and the same spirit.

This divine spirit takes its place inside the hearts of the fasting people as a faith and a heritage. If one believes in patriotism as he believes in his faith, and find a reformation in the example as the same in the traditional love of reformation, therefore Muslims will be socialist citizens. Every one will make his utmost for the benefits of the common as if they were his own benefits, as he

will prepare a better life for his citizens as he likes it for himself. He also will be faithful to his country as the same of the english to his empire.

At that time, the egyptian will be similar to the english who can live in a long distance away from his homeland in order to serve his nation. While he is working for his own benefit, he always puts his republic in front of his sight: Represents it at the best of his ability, offers it his best service and gains people's respect for it because of his good deeds, his faithful heart and his good conduct. Hence, you will not hear that the arabic or the egyptian man is living in the foreign contry in a complete loneliness, but in a permanent contact with his homeland and its people. He will not be a bad propagandist for his nation, as he will not speak badly about his brothers. This is because the socialist spirit receives its light from the spirit of God, and this leads man to change his individuality into a nationality, his selfishness into a philanthropic liking.

beings — which is the best kind of the living creatures — is making his utmost, firstly, to benefit himself, then to please his wife and sons. On the other hand, we find that the relation between man and the others looks like the relation between the hunter and his prey or the murder and his victim. This means that man strives hard to interest himself and his family, whether it is a legal action or a prohibited one. He wants his body to be healthy and his house to be full of nice properties, but he will be careless about any loss or destruction which may happen to the other people.

Surely, God does not grant man this kind of the materialistic socialism, but He makes it a part of His constitution and a section of the book which He revealed. So, one who tries to reform the corruption of the society, should spread these spiritual aspects everywhere to lighten the way in front of the people, otherwise his reformation will be useless.

According to the nature and the message of the Islamic religion, God promulgated it a socialist one. Indeed, God had revealed it due to his knowing and Destiny to guide people to the straight Path during

their lifetime in the world. God is the owner of all money and properties, people are His bondmen and they will return back to Him after death. Because of the spiritual contact between creator and His creatures, the great Islamic family should be together in a unit. In this unit, people are equal, and the appointment of their government should be according to their will, the brotherhood is their faith and the money and properties are belonging to all of them.

If you think over the pillars of Islam and the regulations of its constitution, you will find out that socialism which unifies the hearts of the people, imposes on the rich man to help the poor one, as it makes all the Muslim society as one body which feels pain because of the diseased part. Here, I shall mention one example from one thousand, and it will be about the Fast of Ramadan. Is not the month of Ramadan which represents the spiritual unity among all Muslims everywhere? Surely, it is. Muslims perform fasting during one time, break their fast at another one and perhaps they eat one food. They do not repose their tangible delights or desires, because they devoted themselves for the worship of God. Hence, they prevent themselves from doing ill deeds, prevent

FASTING RAMADAN IS A SPIRITUAL SOCIALISM

By

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is quite impossible for the materialistic Socialism — which we call people to carry it out — to lead its way, without a strong foundation which is the spiritual Socialism. This is because the spirit is God's secret which he created inside the heart of every human being, every system and every society. This secret is near to bring to life the dead as it unifies those who are separated from each other. As a matter of fact, we call this secret "love, attraction or unity". It urges people to worship one God, to like their country, to respect one motto and to obey one leader. But if this secret left the hearts and went out of minds, there would be no brotherhood or help between one and the other, and no cooperation among the individuals of the society. Hence, the socialist laws and the co-operative systems would be in vain.

Verily, without the divine spirit, the human society will become looks like the animal one. For instance : one who takes care of his son is urged

by his instinct which obliges him to keep his kind. But when this son comes to the age of youth, he will become as an enemy for his father, many conflicts and fights will happen between the two and the emotion of motherhood or fatherhood will become a tyrannical individuality.

In fact, the instinct of keeping the race is sometimes promoted among the animals such as the Bees and the ants till it becomes an ideal socialism which the human society makes its utmost to carry it out. This ideal socialism among the individuals of these two kinds of animals, means that "The whole are for one and the one is for all". Hence, we find that the bee or the ant is working for the benefit of its society as a whole.

As it is also impossible to find this kind of sacrificing and co-operation among the individuals of another society like flies, monkeys or people. But every one of the human



يَشْتَرِك فِي الصَّيْرِ
عَبَّاسٌ مَجْمُوعٌ لِقَعْدَارٍ
بَدَلُ الْإِسْتِزَاكِ
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية العربية المتحدة
والمستشرقين والطلاب في مختلف عمار

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٤١٤

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الحادي عشر - ذو القعدة سنة ١٣٨١ هـ - أبريل ١٩٦٢ م - المجلد الثالث والثلاثون

١٤
٢٤٤٤٦
دورية



المكتبة العامة

الشخصية الدينية لجماعة المسلمين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

فضلا من ربهم ورضوانا ، وإذا حللتم
فاصطادوا ، ولا يجر منكم شئان قوم أن
صدؤكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد
العقاب .

إننا ونحن الآن في أشهر الحج المبارك ،
نقدم للأمة الإسلامية ، وللإنسانية جمعاء
- مستمعين بالله سبحانه - بعض ما جاء به
القرآن فيما يتصل بهذا الموضوع من حيث
الطريق ، والإقامة ، وما يتصل بذلك ، ولذا
فإننا سنعني بالكلام في هذا الموضوع ،
ببيان عن :

وكما تضمن النداء الأول تشريعا كلياً يركو
مسئولية الانزام التعاقدى ، وتشريعا جزئيا
ينص على ما أحله الله للإنسان وما حرم عليه
من الحيوان ، يتضمن هذا النداء الثانى
تشريعا كلياً يقرر المحافظة على الشخصية الدينية
لجماعة المسلمين وتشريعا جزئيا ينص على

النداء الثانى فى سورة المائدة :

وقد جاء فيه : يا أيها الذين آمنوا لا تهلوا
شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى
ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون

العبيدين في كل عام وأداء الحج في العمر ،
وزكاة المال والزروع في أوقاتها ، كل ذلك
ونحوه من العناصر الإيجابية للشخصية
الإسلامية . والابتعاد عن شرب الخمر وأكل
الخنزير والاتجار بها وغلق أبواب اللهو
والفسوق وبيوت الدعارة والقمار ومنع
خروج المرأة متزينة متعطرة عارية كاسية
من العناصر السلبية للشخصية الدينية ووجودها
هدم لهذه الشخصية .

تفديس ما قدسه الله :

وبعد أن ركز هذا النداء في نفوس
المؤمنين وجوب المحافظة على شخصيتهم التي بها
يعرفون وعن غيرهم يتميزون ، ويتضح للناس
مسلكهم وصراطهم الذي يسلكون ، عني
النداء بالنص على أشياء خاصة كانت موضع
انتهاك القوم لها وقت التنزيل ، وربما كان
لإحلالها في نفوس البعض ما يبرره ، فحذر
بوجه خاص من إحلالها .

الشهر الحرام :

ومن ذلك : الشهر الحرام ، والمراد به
الجنس ، فيشمل الأشهر الأربعة المذكورة
في قوله تعالى من سورة التوبة : « إِنَّ عِدَّةَ
الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ
يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ
حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِمْ »
أنفسكم ، وقوله : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ »

وجوب الاحتفاظ بأشياء معينة تتصل بما
قدس الله من المكان والزمان .

المحافظة على الشخصية الدينية للمسلمين

بإيجاب التمسك بالشعائر

وفي السكلي يقول : « لا تحلوا شعائر الله ،
شعائر الله : هي ما نصبه الله هنونا على هديه
وهي عند التحقيق ترجع إلى مظاهر ما فرض
الله من فرائض وحد من حدود ، وشرع
من تشريع وهو بعمومه يشمل في جانب
الفعل : الفرض والمسنون والمندوب ،
وفي جانب الترك : المحرم والمكروه وما لا ينبغي
وإحلالها وانتهاكها وتركها وإهمالها فيما
طلب فعله وفعلها وإظهارها وإشاعتها بين
الناس فيما طلب تركه ، ومن هنا يتبين أن
الشخصية الدينية تتكون من عنصرين : فعل
مطلوب ، وترك منهى عنه ، فإذا اجتمعنا
كلمت الشخصية الدينية وإذا عدما أو عدم
أحدهما عدمت الشخصية الدينية للجماعة
وحرمت مكانة السمو التي تحظى بها ذات
الشخصية الكاملة وأفتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل
ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم
القيامة يردون إلى أشد العذاب ؛ وما الله
بغافل عما يعملون .

فالآذان ، وصلاة الجماعة في الأوقات
الجنس ، وصلاة الجمعة في كل أسبوع ، وصلاة

أو يبيع أو شراء . وقد عرض القرآن الكريم للبيت الحرام وبين قدسيته القديمة ومناسك الحج وشعائره في سورة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، وسورة الحج ، وبين في كل ذلك أنه شأن ديني قديم نزلت به شريعة السماء ، ودانت به الأمم من عهد إبراهيم وإسماعيل إلى عهد نحمد خاتم الأنبياء إلى يوم الدين .

ومما جاء بشأنه وشأن احترامه وتقديسه ما يتصل به أو يدخل فيه حتى الصيد والأنعام قوله تعالى في سورتنا هذه : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرّم ومن قتله منكم متعمداً جزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليدّوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً ، واتقوا الله الذي تحشرون . جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، وأن الله بكل شيء عليم . »

تفريسي بعض الأمم الكي واطورمانه

يتبع الناس نوعاً من الهرم والتخصي

ومبدأ احترام بعض الأماكن وبعض

يُضَلُّ به الذين كفروا يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين .

الهرم :

ومن ذلك « الهدى » وهو ما يهتدى إلى بيت الله من الأنعام للتوسعة على عباد الله العاكفين فيه والبادين .

القلائد :

ومنه « القلائد » وهي ما يوضع على الهدى إشعاراً بأنه هدى إلى الله وقربان .

قاصدوا البيت الحرام :

ومنه ما أشار إليه بقوله : « ولا آمين البيت الحرام ، وهم الذين يقصدون البيت يتبعون فضلاً من ربهم ورضواناً ... » وإحلال الأشهر الحرم ، يكون باستباحة الدماء والقتال وارتكاب المظالم فيها . وإحلال الهدى حبسه عن أن يبلغ محله ، وهو بيت الله الحرام ، أو ذبحه . قهرأ عن أصحابه . وإحلال القلائد يكون بانزعاجها من الهدى فيجهل الناس أنه هدى ، ويتعرضون له بالغصب أو النهب ، وإحلال قاصدي البيت التعرض لهم بسوء ، وهم لا يريدون السوء بأحد ، وإنما يريدون فضل الله ورضوانه ، فهم إذن ضيوف الله وفي جواره فلا يقاتلون ولا يساءون ، ولا يعنف عليهم في معاملة

ووازع محمد معه المال ، ومن هنا جعل الخليفة والإمام لتجرى على رأيه الأمور ويكف الله به عادية الأمور ، وعظم في قلوبهم البيت الحرام وأوقع في نفوسهم هيئته ، وعظم حرمة فكان من لجأ إليه معصوما به ، وكان من اضطمه تحميا بالكون فيه ، أو لم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف للناس من حولهم ، ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ، ولا ينال حظه من الأمن فيه كل خائف ولا يمكن أن يجتمع سكان المعمورة فيه جعل الله الأشهر الحرم ملجأ آخر ، تنشر على الناس وهم في أقاليمهم وأقطارهم ألوية الأمن والاطمئنان ويدخلون بها في هدنة الرحيم المنان ، فقرروا في القلوب حرمتها : لا يروع فيها سرب ، ولا يطلب فيها دم ، ولا يتوقع فيها نار وفيها تسكن السيوف في أغمارها وتلج القلوب إلى ربها فيفيض عليهم من رحمته ما يطهرها من النوازع المادية التي تدفع الإنسان لأن يهلك الحرث والنسل ويعرض السكون للخراب والدمار .

ولا ريب أن الإنسان إذا استمر في هذه الهدنة وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثني عشر شهرا ، تلك الحياة كان (في فسحة وراحة ومجال للسياحة والانصال

الشهور مبدأ سام ، شرعه الله في القديم وأقره في الإسلام ، كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام ، هو بمثابة هدنة الهيبة يغرس الاعتراف بها في قلوب الناس جميعا ويمحونها حقها من الكف عن المظالم والعدوان ، فتشعر ببلدة الأمن والطمانينة ، وتسعى في إزالة أسباب التدابر والتقايل والخصام بوازع ديني تمتلئ به القلوب وتخشى في مخالفتها سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقدرته وجبروته على القوى المتجبر ، وبرحمته وعطفه على الضعيف المستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن في هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة والحيوان الأعجم الذي يغشاها ويتنقل في أرجائها ويطيروا أجوائها وحرم عليكم صيد البر ما دتم حرما .

كروم القرطبي في هذا :

قال القرطبي في تفسيره : والحكمة من جعل الله تعالى هذه الأشياء قواما للناس وسبيلا لأنهم أن الله تعالى خلق الخلق على سليقة التجاسد والتقاطع والتدابير والسلب والغارة والقتل والثأر ، فلم يكن بد في الحكمة الإلهية من كاف يدوم معه الحال

بأصول الأحكام التي قررها كتاب الله الخالد وجعل منها معتصما للجميع ، إذ يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ، إلا أن هذه الخلافات قد صرفتنا عن النافع

للعمل ، واستغرقت جهودنا الفكرية في مختلف الأزمان والأوطان ، ولو أن المسلمين كانوا قد تخففوا منها ، أو هونوا شأنها فلم يضخموه ولم يحرصوا على تلقينه لأجيالهم جيلا بعد جيل لوجدت العقول بجالا غير مجالها فأثمرت ثمرات طيبات مباركات ، ولوطدت أواصر المحبة والتعاون بين أهل الدين الواحد والأصول الأساسية المتفق عليها ، ولما وجد أعداؤنا منفذا إلينا لا في أفكارنا وعقولنا ولا في أوطاننا وأعمالنا .

لأنه لو حسبت الأوقات التي ضاعت وتضيع في الخلافات النظرية ، والجهود التي بذلت وتبذل في كل شعب قديما وحديثا لدراسة موقف كل طائفة من الأخرى فيما تقول به من كذا ، أو فيما تنكره من كذا ، لهالتنا كثرتها ، ولعز علينا أنها ذهبت هباء لم نغده منها الأمة شيئا إلا بقاء العدوات والأضغان بل تثبيتها وتنميتها .

قالهم هي لنا من أمرنا رشدا ، وألف بين قلوبنا . . .

وتسوية الحال) مما يجعله في حصن ووقاية من الرجوع إلى طرق باب الشرور والتنازع والخصام وبذلك يصير مع إخوته بني الإنسان إخوانا متعاونين على البر والتقوى بعيدين عن الإثم والعدوان .

خاتمة النزاع الثاني وما يرمى به

صمه المعاني العامة :

هذا تشریح الله لعباده المؤمنين وقد ذيله بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » . لياخذ بهم إلى السمو عن مواطن الأهواء والنزغات ، والترفع عن معاني الآثرة والأنانية ، وسبل الشر والفساد ويجعل منهم قوة موجهة إلى الخير ، متعاونة على البر .

فتم يخضع المسلمون لتعاليم ربهم وإرشاده وهو يأمرهم أن يكونوا جميعا أمة واحدة لا تعرف النزاع ولا الشقاق ولا التناذر ولا التقاطع ، ولا العصبية الجنسية ، ولا العصبية المذهبية ؟ .

وفيم هذه الخلافات المستحكمة التي افترسها عن قصدهم ولوتهم عن سبيلهم وفرقت كلمتهم وجهلتهم شيعة وأحزابا ؟ وفيم هذه للتفرقة وهم على كلمة سواء في توحيد الله والإيمان بوحيه ورسله ، والإيمان بيوم البعث والجزاء ، والإيمان

أسلوب الدرعيات

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه الدراسات بحث الأديب السوداني النابغ الدكتور عبد الله الطيب، عن درعياته التي ألحقها بديوانه سقط الزند وهي إحدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة شعرية كلها في وصف الدرع وما يصح أن ينسب إلى الدرعيات، نظرها الأستاذ الطيب من جانب التاريخ واللغة وأسلوب النظم فاستقصى وجهات النظر في هذه الجوانب، وانتهى من المقابلة والموازنة بين أشعار المعري إلى تقرير هذه الحقيقة عن أسلوبه في هذا الباب من أبواب النظم، فقال: إنه يخالف لأسلوبه في سقط الزند مخالفته لأسلوبه في اللزوميات، ولكنه يميل تارة إلى نهج الشعر العاطفي في قصائد الوصف والغزل ويميل تارة أخرى إلى نهج الشعر الفلسفي، أو الحكيم، في اللزوميات... وعلى ذلك بما يفهم منه أن هذا الاختلاف راجع إلى نظم الدرعيات في وقت وسط بين الوقت الذي نظم فيه شعر صباه والوقت الذي استقر فيه على العزلة وعكف فيه على نظم اللزوميات.

وفي التعليق على بحث الدكتور الطيب يقول العالم اللبناني الدكتور عمر فروخ:

يضمن القارئ المعنى بأبي للعلاء المعري أنه ينتهي من كل قراءة له، أو عنه، إلى بحث من بحثين كلاهما أصيل في تحصيل الثقافة الرفيعة: وهما البحث في حقائق النفس الإنسانية أو البحث في حقائق اللغة.

فإن هذا الأديب الكبير، كان على فرط اشتغاله بالتحقيق عن حقائق الفكر والعقيدة يفرط مثل هذا الإفراط في استطلاع أسرار اللغة وتقليب وجوه الألفاظ ومعانيها والمعارضة بين أقوال البلغاء فيها، ويصحب ذلك بامتحان قدرته على الإتيان بمثل ما أتى به الأوائل، من بلاغتها الممتعة ومن مواطن الإعجاز فيها، على حد قوله:

وإني وإن كنت الأخير زمانه

لآت بما لم تستطه الأوائل

وكل ذلك ظاهر في شعره ونثره وفيما التزم به بعض قيود اللفظ أو اطلق فيه من قيوده ليخلفها ببعض الشرائط التي تستعصى على غيره ممن يقتنعون بالقليل الشائع في باب الثقافة اللغوية.

وقد عرض الباحثون في مؤتمر اللغة العربية لدراسة المعري من غير جانب واحد، وكأن آخر

د إنه من قراءة الدرعيات بإمعان نظر يتبين أن المعري أراد أن يلتزم فيها حرفي روى ولكن ذلك لم يأت له على الوجه الأكمل ... وتتفق الدرعيات مع اللزوميات من حيث الغرض في أن الزهد بارز فيها وأن ذم الدنيا فيها كثير .

وفيما نرى أن هذا الاختلاف يفسره لنا اختلاف الموضوع ولا يفسره لنا كل التفسير على الأقل مسألة اختلاف الوقت أو مسألة المحاولة الناقصة ، لأننا نرجع إلى الحالة النفسية التي هي العامل المهم في تكوين بواعث المشاعر فنرى أنها تشترك في قصائد من الدرعيات وقصائد من اللزوميات كما لاحظ الدكتور عمر فروخ ، ولكننا نستبعد أن يكون المعري قد خطر له يوما أن يعالج التزام ما لا يلزم في القافية فعجز عنه وتركه ليعود إلى محاولته بعد ذلك عند نظم اللزوميات ، لأن حظه من المعرفة اللغوية في نحو الأربعين من عصره لا يقصر به عن إتمام قصيدة واحدة على نهج اللزوميات إذا خطر له خاطر الالتزام عند نظمها ، وما كان ليرضى لنفسه مظنة الإقرار بالعجز عن نظم قصيدة إلى نهايتها على هذا النهج فيترك الالتزام في هذه القصيدة ثم يتركه في غيرها إلى أن يحاوله بعد حين فيستقيم له في قصائد اللزوميات .

د أما اختلاف الموضوع فهو كاف لتفسير الاختلاف بين أسلوب الدرعيات وأسلوب سقط الزند واللزوميات ، وهو الذي يفسر لنا اختلاف نظم الشعراء الآخرين في قصائدهم الغزلية أو الوصفية ونظمهم في قصائدهم الطردية ، حين ينظمون في أغراض الطرديات ... لأن الطرديات والدرعيات كلاهما موضوع واحد يتردد فيه الكلام على مقاصد متشابهة : وهي أوصاف السلاح وعدة الصيد وللفرس وطراد الوحش والحيوان ؟ .

ومن خصائص أبي العلاء د النفسية ، أن نبحث عن اختياره د الدرعيات ، موضوعا بدلا من هذا الموضوع الذي عرف عنه غيره باسم الطرديات ، وظهر فيه اختلاف الأسلوب عند الشعراء الآخرين حين يطرّدون وحين يصفون أو يتغزلون .

فأبو العلاء كان يعارض البلغاء ويحب أن يأتي بما لم تأت به الأوائل كما قال ، ولا يستهويه باب من أبواب المعارضة كما يستهويه ذلك الباب الذي اختاره الشعراء لإظهار علمهم بغريب اللغة ودرايتهم بالحياة الأعرابية ، أو حياة الفروسية البدوية وهو باب د الطرديات ، .

فهل كان من المعقول — وهو على غرامه بمعجزات اللغة — أن يقرأ للشعراء الأوّلين

وفيما نرى أن هذا الاختلاف يفسره لنا اختلاف الموضوع ولا يفسره لنا كل التفسير على الأقل مسألة اختلاف الوقت أو مسألة المحاولة الناقصة ، لأننا نرجع إلى الحالة النفسية التي هي العامل المهم في تكوين بواعث المشاعر فنرى أنها تشترك في قصائد من الدرعيات وقصائد من اللزوميات كما لاحظ الدكتور عمر فروخ ، ولكننا نستبعد أن يكون المعري قد خطر له يوما أن يعالج التزام ما لا يلزم في القافية فعجز عنه وتركه ليعود إلى محاولته بعد ذلك عند نظم اللزوميات ، لأن حظه من المعرفة اللغوية في نحو الأربعين من عصره لا يقصر به عن إتمام قصيدة واحدة على نهج اللزوميات إذا خطر له خاطر الالتزام عند نظمها ، وما كان ليرضى لنفسه مظنة الإقرار بالعجز عن نظم قصيدة إلى نهايتها على هذا النهج فيترك الالتزام في هذه القصيدة ثم يتركه في غيرها إلى أن يحاوله بعد حين فيستقيم له في قصائد اللزوميات .

منظوماتهم الطردية ولا يخطر له أن يعارضهم فيها ؟ .

ولكن هل كان من المعقول - مع هذا - أن ينظم في الطرديات كما نظموا وأن يقصد القصيد ليقول لنا إنه ركب الفرس وسعد السهم وعدا خلف الطريدة وأصاب وأدى وعاد بقنائص الطير ومصائد الوحش وصرائع الحيوان ، ليدخل بها على حليلة تنتظره في الحباء كما ينتظر فرسان الهيجاء ؟ .

وهل يأذن للمعري وقاره المطبوع ، الموروث ، أن يتقبل للسخرية التي تخامر نفوس قرائه وهم يتخيّلونه على حاله ويتخيّلونه على دهواه ؟ .

إن الفرع من هذه السخرية في ذهن المعري تمثله لنا ملحّة عابرة نقرأ حاله في رسالة الغفران وهو يتخيل ابن القارح على ظهر فرس من أفراس الجنة بعد أن عرض عليه أن نركب فرسين من خيل الجنة فنبعثهما على صيدانهما وخيطان نعامها وأسراب ظبائها وعانات حمرها ؟ .

فيقول الشيخ كما ألقى المعري على لسانه :
 « إنما أنا صاحب قلم وسلم ولم أكن صاحب خيل ؛ ولا بمن يسحب طويل الذيل ، ... وما يؤمنني إذا ركبت طرفا ... رتع في رياض الجنة ... وأنا كما قال القائل ...

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا
 فهم يقال على أكتافها عنف
 أن يلحقني ما لحق ... صاحب المتجردة
 لما حمل اليحموم ... وكذلك ولدك حلقة
 حلت في العاجلة به النعمة لما ركب الصيد
 فأصبح كجده زيد ... » .

فالمعري يتخيل الوهم الذي يوقع صاحبه ابن القارح في سخرية أهون من سخرية الناس برهين المحبين وهم يتمثلونه راكبا للطراد ، فيستكثر هذه الصورة الهازلة عليه ... فهل يسلم مقاده للساخرين بيديه لينظم لهم في الطراد ويتبذل للماجنين عجزه وسكونه وهو الذي كان يستر طعامه عن الناظرين إليه مخافة أن يبصروه على غير ما يرضاه ...

إذن لا سبيل إلى النظم في أغراض الطراد ولا سبيل كذلك إلى اجتناب هذا الباب الوحيد الذي أولع به أناس من الشعراء أقل منه علما بغريب اللغة وأخبار الفروسية البدوية ، فليكن له - إذن - باب غير باب الطراد ولكنه شبيه به في أغراضه وفي اتساعه لغرائب اللغة وأحاديث الفروسية البدوية ! وهو باب الدرعيات .

فالدرعيات هي « طرديات ، أبي العلاء ، وعدوله عن « الطرديات ، إلى الدرعيات إنما كان على سنته في كل معارضته للأقدمين :

مهرولا في موقف الحشر كما يهول المبعوثون
حول الخوض :

ويا ليت شعري هل يخف وقاره
إذا صار أحد في القيامة كالمهن
وهل يرد الخوض الروى مزاحما
مع الناس ، أم يأبى الزحام فيستأني
فلا جرم يختار لطردياته مجالا غير مجال
للطراد والسباق ، وغير المجال الذي يقحمه
على الفروسية إقحام المدعى لأمير يركبه مركب
السخرية والمجون .

ودراسة الأبواب الشعرية هي في جميع
الشعراء دراسة لغوية نفسية ، ولكن المعري
- خاصة - بين هؤلاء الشعراء أجدرهم أن
يعطينا من تفسيرات علم النفس أضعاف
ما يعطينا من تفسيرات علوم اللغة كافة ،
هلى وفرة غريبة في هذه التفسيرات .

هياس محمود العقاد

وهي سنة الإتيان بما لم يأت به أولئك
الإفدمون الأولون .

إن الطرديات كانت تنظم في بحر الرجز
فلينظمها هو في سائر البحور وليملأها من
غرائب الأخبار بما لم يعلمه قبله أحد من
السابقين إلى هذا الباب ، لأن أبا العلاء قد
كان يستخف بالرجز ويحسبه طبقة من طبقات
النظم دون طبقة القصيد في سائر أوزان
العروض ، ومن هنا جعل للرجز جنة خاصة
في رسالة الغفران ، دون جنة الشعراء .

ولم يكن وقار أبي العلاء الذي أخافه من
تجزية الركوب للصيد خلقتا طارئا عليه من
أخلاق الحرم بعد الشباب ، أو أخلاق الحلم
بعد الجهل ، أو أخلاق القناعة بعد الأشر
والطامح ... بل هو خلقه الذي لازمه في عهد
سقط الزند كما لازمه في عهد اللزوميات ،
وبهذا الوقار رثى أباه ، فاستعظم أن يتوهمه

قال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها :

أرى خلل الرمال وميض جمر
فيوشك أن يكون له ضرام
فإن الناس بالعودين تذكى
وإن الحرب أو لها الكلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري
أليقظ أمية أم نيام

التجديد في الدعوة الإسلامية يَبْتَدِئُ مِنَ الْمَفَاهِيمِ لِلأستاذ الدكتور محمد البهي

- ٢ -

٣ - التوكل :

الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا ، - إذا قرأنا مثل هذه الآيات نجد القرآن الكريم ربط في معنى التوكل بين حقيقتين ، بين المجهود البشري وطلب العون الإلهي ، ففي الآية الأولى ربط بين المجهود البشري في الصبر على الإيذاء وطلب المعونة من الله في الاستمرار حتى

وعلى نحو ما وجدنا في مفهوم الإحسان ومفهوم الصبر نجد أيضًا في مفاهيم أخرى كانت لها مدلولات محددة في أول أمرها ثم تغيرت هذه المدلولات تبعًا لعوامل التغير التي غيرت المجتمع وغيرت هدفه وطابعه .

تتحقق النتيجة المرجوة لنصر المثل والقيم التي تخطط سبيل الله في الحياة . وفي الآية الثانية ربط بين المجهود البشري في عدم الإذعان للكافرين والمنافقين وفي تحمل أذاهم والانصراف عن الاهتمام به بطلب العون الإلهي حتى يتحقق أيضًا نصر المؤمنين . وهكذا لو انتقلنا إلى آية ثالثة في قوله تعالى في سورة النحل : « الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » . أو في قوله : « فإذا هزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » نجد ذلك الازدواج الذي لا يكون التوكل فضيلة

والتوكل من النماذج الواضحة لهذا القانون . فإذا استعرضنا آيات القرآن التي تطلب من الإنسان أن يتوكل على الله نجدها لا تحيد إطلاقًا عن ذلك المعنى : وهو اقتران السعي البشري واستخدام الإمكانيات التي يملكها الإنسان بطلب المعونة من الله جل شأنه . وليس هناك في القرآن معنى للتوكل فصل فيه بين السعي البشري وبين طلب العون الإلهي ، فإذا قرأنا مثلاً قول الله تعالى : « وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتهمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » وقوله تعالى لرسوله الكريم : « ولا تطع

ومطلوباً في نظر الإسلام إلا إذا تحقق واقرن أحد طرفيه بالآخر .

الازمات عليه وبعد فقد انهم الثقة في أنفسهم وفي علاقات بعضهم مع بعض .

فإذا انفصل هذا الاقران في وقت آخر بعد ذلك وأصبح التوكل عبارة عن انتظار عون الله دون تقديم مجهود بشري ودون استخدام الطاقات التي يملكها الإنسان - فإنه هذا المعنى يكون طارئاً على مفهوم التوكل في بدء أمره ويكون تخصيصاً له لعامل أو لعوامل طرأت على المجتمع الإسلامي فغيرته وتغير تبعاً لذلك هذا المفهوم .

والمجتمع الإسلامي - كأي مجتمع إنساني - مرت به أزمت كثيرة وفقد أفراد الثقة بأنفسهم وأصبحوا ينظر بعضهم إلى بعض نظرة ريبة وشك ، وبالتالي ركزوا سعيهم في الحياة على الاستقرار الذاتي أو بعبارة أخرى على المحافظة على البقاء الفردي والشخصي .

ومفهوم التوكل هذا في تطوره وفي تحوله ينفي بدوره عن تحول المجتمع نفسه من قوة إلى ضعف ، كما كان تحوله هو ذاته نتيجة لتحول المجتمع .

٤ - التواضع :

ولا يشذ مفهوم التواضع عن تلك المفاهيم السابقة في تحول مدلولها وفي تأثر هذا التحول بطابع المجتمع نفسه . فقد كان مدلوله الأول - ولذا كان فضيلة - حمل النفس على عدم الغرور بأسباب القوة وبمصدر العزة الذي يتوفر للإنسان في وقت من الأوقات . ولم يكن يتصل بهذا المدلول من قريب أو بعيد معنى الذلة أو معنى القبول للهانة في أي صورة من صورها . والقرآن الكريم في

وإذا فتشنا عن ذلك العامل أو تلك العوامل التي طرأت على المجتمع الإسلامي فغيرته وغيرت معه مفهوم التوكل بحيث أصبح موازياً لمعنى التواكل - وجدنا نفس الشيء الذي وجدناه سابقاً ، وهو ما صار إليه المجتمع الإسلامي من ضعف وتفكك في الروابط وانصراف عن المثل والسعى إليها إلى الارتباط بتحصيل المطالب اليومية التي من شأنها أن تعين الإنسان على البقاء المادي ككائن تدفعه غريزة حب البقاء إلى الحرص عليه . ولو استرسلنا في تحليل العناصر الخاصة لظواهر الضعف والتفكك والانصراف عن المثل العليا ربما وجدنا هذه العناصر في شيوع الفردية والانانية ، التي تسيطر على أفراد المجتمع بعد توالي

عن نطاق الذل — فان ذلك معنى طارىء على المدلول الأول ، حمل عليه وضع المجتمع الإسلامى نفسه الذى صار إليه . وهو وضع الضعيف أو المستضعف ، أو وضع الذليل أو المستذل ، لأسباب لا تتصل بالإسلام وإنما تتصل بالمسلمين أنفسهم فى علاقات بعضهم ببعض أو فى صلات أمتهم بالأمم الأخرى .

٥ - العفو :

وعلى هذا النحو « العفو » فى مدلوله وفى تطوره هذا المدلول من معنى كان له أولاً إلى معنى آخر لحقه ثانياً . فإذا قرأنا مثلاً قول الله تعالى فى وصف المؤمنين « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » يتأكد لدينا أن مدلول العفو الذى اعتبر فضيلة من الفضائل التى يجب أن يتصف بها المؤمنون : هو ترك توقيع الجزاء مع القدرة على مباشرته والصفح عن الأخذ بالمثل مع الاستطاعة عليه وتأکید ذلك يوضحه التمتعيب فى هذه الآية فى قوله : « والله يحب المحسنين » فليس الإحسان هنا إلا الصورة المثل من صور الإنسانية الكريمة ، وهى التى تمثلت فى ضبط النفس والعفو عند المقدرة .

آياته يوضح هذا المدلول على نحو جلى لا لبس فيه ، فيقول فى سورة المائدة : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أحرزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » . ويقول فى سورة الإسراء : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . ويقول فى سورة الحجر مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم : « واخفض جناحك للمؤمنين » . ويقول كذلك فى سورة الشعراء : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » . وفى سورة آل عمران « ولو كنست فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

كل هذه الآيات تطلب فى واقع الأمر ألا يدفع الإنسان المؤمن — بسبب ماله من تفوق أى تفوق — إلى أن يكون سلوكه بالنسبة لقرنائه أو بالنسبة لمن لهم فضل عليه كالأباء والأمهات سلوك المترفع المتكبر . وإنما يجب أن يكون مهذباً فى تصرفه معهم . وهذا التهذيب هو ما يشير إليه التعبير بقوله : « أذلة » وبقوله : « واخفض جناحك » . وبقوله أيضاً : « واخفض لهما جناح الذل » .

فإذا مال التواضع إلى معنى آخر وهو — مثلاً — الرضا بالمهانة ، أو البقاء فى الذل ، مع العجز عن دفع أسباب المهانة أو الخروج

تفكك الروابط بين الأفراد ونزول الهدف من الاحتفاظ بالمثل العليا أو السعى نحو تحقيقها إلى الحرص على الحياة الفردية والبعد عن الأزمات أو عن مجال الكفاح في الحياة .

* * *

وهكذا لو تتبعنا المفاهيم التي تمثل الفضائل الإسلامية والتي يقوم عليها المنهج المستقيم للسلوك العمل للإنسان المؤمن ، لوجدناها تغيرت وآلت تقريبا إلى أضداد مدلولاتها الأولى ، ووجدنا كذلك أن السبب في تغييرها هو المجتمع نفسه ، ثم لو قفنا في طابع المجتمع الذي أوحى بهذا التغيير في المفاهيم من مدلولاتها الأولى إلى أضدادها لوجدنا أن الفرد في المجتمع الإسلامي قد تغير عما كان عليه أول أمر هذا المجتمع ، ولا يخرج هذا التغير عن كون أن الإيمان الذي كان لل مسلم الأول في نوصه وفي امتلاء القلب به خف وزنه أو تحول أمره من المقدسات والمثل العليا إلى مطالب دنيوية أو أهداف قريبة في الحياة الإنسانية .

ولذلك لا يمكن أن ترد هذه المفاهيم إلى مدلولاتها الأولى إلا إذا ربي الفرد المسلم تربية إسلامية ، ونشئ على الإحساس بالقيم

ويزيد في هذا المعنى وضوحا قول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى في سورة الشورى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، فهذه الآية ربطت الأمر بمثله في الجزاء وأباح القصاص بما لا يجاوز المثل ولكن طلبه من المؤمن أن يكون ذا مستوى إنسانى أرفع فيترك جزاء السيئة بمثلها لأنه أليق بالإنسان المحسن المذهب . وإذا ذكرت هذه الآية في عقبها قوله تعالى : « فأجره على الله ، كجزاء للشرط في قوله « ومن عفا وأصلح ، — فإن ذلك فقط لدفع المؤمن دفعا نفسيا على أن يتخلق بخلق العفو وهو الصورة الإنسانية الكريمة التي شرحناها ، حتى يصير للعفو بعد ذلك خلقا له يصدر عنه دون أن ينظر أجرا من الله عليه .

هذا العفو إذا صار إلى معنى التسامح عند العجز عن رد المثل وعدم القدرة على جزاء السيئة بمثلها فإنه يكون معنى آخر طارئا على فضيلة العفو التي جعلها الإسلام من فضائل التهذيب والسلوك الإنسانى الكريم ، ويكون السبب الذي دعا إلى طرو هذا المعنى هو ذلك السبب الذي يتصل بالطابع العام الذي صار إليه المجتمع الإسلامى وهو طابع الضعف والاستكانة ، وطابع العجز الذي أوصل إليه

وهذا كله يدعو من جديد إلى إعادة النظر في الكتب والرسائل التي تعرض الإسلام وتقدم للسليين في مدارسهم ومعاهدهم أو في حياتهم العامة ، كما يدعو إلى إعادة النظر في ثقافة المساجد التي تقدم للتردين عليها ، بحيث تكون هذه الثقافة تعبيراً عن الأصالة في رسالة الإسلام كنظام صالح للحياة الإنسانية الكريمة . ومن عناصر الحياة الإنسانية الكريمة أن يكون الإنسان قويا في كل ما يتصل بالجوانب الإنسانية ، ولكنه في الوقت نفسه مهذب في كل ما يتصل بالسلوك والمعاملة مع غيره .

ونقطة البداية إذاً هي رد المفاهيم الإسلامية إلى مدلولاتها الأولى ، واستشارة القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح في تحديد هذه المدلولات دون غيرهما بما نسب للسليين وتأثر بالآوضاع الإنسانية المختلفة التي تبعد كثيراً أو قليلاً عن أهداف الرسالة الإسلامية .

الدكتور محمد البهي
مدير جامعة الأزهر

التي جاءت بها الرسالة الإسلامية ، ثم تمثلت في نفسه في إيمانه وفي سلوكه معا ، ثم من جهة أخرى لا يمكن أن يربى الفرد المسلم هذه التربية الإسلامية وينشأ على عشق القيم العليا وتمثلها في إيمانه وفي سلوكه إلا إذا حملت هذه المفاهيم من جديد مدلولاتها الأولى ، ووضعت أمامه في الحياة الإسلامية كي يعيها ويتدبرها ثم يؤمن بها ويتصرف على غرارها .

وهنا طريق الإصلاح طريق مزدوج ، ولكنه طريق يمكن أن يبدأ فيه في وقت واحد ، في الوقت الذي تعاد المدلولات الأولى للمفاهيم الإسلامية وتقدم للأفراد في المجتمع وهي حاملة لهذه المدلولات ، والسبيل إلى ذلك هو العودة إلى القرآن والتزام مدلولات آياته دون أن يحكم في تفسيره قاموس تكون بعد نزوله وحددت مصطلحاته تحت تأثير عصبية مذهبية أو طائفية ، ودون أن يحكم فيه لون معين من التفسير خضع لعوامل الضعف أو توجيه الذين حاولوا أن يستذلوا الأمة الإسلامية في مقوماتها وفي قيمها التي تميزت بها كرامة لها تاريخ ولها رسالة وفرض عليها كفاح من أجل هذه الرسالة .

ابراهيم مصطفى

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

بقلم: أحمد حسن الزيات

في رماله ! ونحن الشيوخ نرى بأعيننا السكيلة
صخور الشاطئ ورمال القفر على مدى قريب ،
فنجد في أنفسنا الرضا بحلول أصدق المواهب
لأنه العاقبة التي لا مفر منها والغاية التي لا معنى
عنها . وسنة الله في خلقه أن يشيخ الشاب ويهيج
الزرع ويحیی الآجل ، ويموت الحى ولكن
الإيمان ييقين الموت والاطمئنان إلى نهاية الحياة
لم يستطيعا أن يجبسا في العين دمة الحزن .
ولا أن يخففا عن القلب لوعة الفراق .

والحزن على نوابغ الشيوخ هادى
ولكنه عميق ، لأن مبعثه فكرة ، والفكرة
ولود . أما الحزن على نواضر الشباب فهو
ثائر ولكن ضحل ، لأن مبعثه عاطفة
والعاطفة عقيم .

الحزن على فقد الشباب الجميل حزن على
زهر ذوى وزر آف وأمل غاب وسند
تحطم ؛ ولكن الحزن على الشيخ العظيم حزن
على ثروة ضخمة من العلم والخلق والمواهب
والتجارب والمراة ، عمل في تكوينها مع

لم يكند الخالدون القانون يكسفكفون دموعهم
على فقد زميلين عزيزين هما المؤرخ شفيق
غريال ، والعالم إسماعيل مظهر ، حتى عادت
فتناطرت على فقد زميل عزيز ثالث هو الأديب
إبراهيم مصطفى . والأسرة الجمعية يحزنها
أمن الحزن أن ترى المنايا السود يتخطفن
أبناءها واحدا بعد واحد في أزمان متقاربة
وهى لا تملك لهم إلا عبرات تجف على حر
الأسى ، وذكريات تمحى على كر السنين .

نعم إن الجمعيين كالأنواء في السماء كلها
سقط نجم منها في المغرب طلع بجباله نجم
آخر في المشرق ، فلا يزال العالم الأدبى منهم
في ضوء مستمر وغيث متصل ، ولكن
غروب الغارب ينسئ شروق الشارق ويسلم
النفس إلى ليل من الحزن طويل موحش .
والناس أمواج في خضم الحياة ، تتولد من
بعيد ، ثم تتعاقب وتتدافع . فترتفع وتنخفض ،
وتضطرب وتضطرب ، وترغى وتزبد ، حتى
تبلغ الساحل فتسكس على صخوره أو تغيب

مقرئاً لآياه، فأخذته منذ الحداثة بحفظه وتجويد لفظه وقراءته على الأحرف السبعة التي أنزل عليها . ثم غرس في ذهنه البكر أصول العلوم . حفظه الألفية في النحو والتلخيص في البلاغة والكسز في الفقه والشاطبية في القراءات .

عرف ذلك منه لدته في العمر ورفيقه في الدرس المرحوم أحمد أمين حين تلاقيا أول مرة بأحد المساجد الكبرى في السنة الأولى من هذا القرن ، وكانا مجاورين بالأزهر ، أحمد في سن الخامسة عشرة ، وإبراهيم يصغره بسنة . فعمج كل منهما عود صاحبه بسؤاله عما يحفظ وعما يعلم . فلما وقف أحمد أمين على مقدار تحصيله قال : « فأكبرته واستصغرت نفسي . ومن ذلك الحين تصادقنا ، وكان موطن الصداقة أول الأمر هذا المسجد لسمعته وهدوئه . وكنا نجتمع لمذاكرة الأدب نحفظ من مقامات بديع الزمان وما نختار من وسائله ، ونستظهر ما نختار من أمالي القالي ، ونقرأ في بلوغ الأرب من أحوال العرب للألوسي ، وأمثال الميداني ، وما إلى ذلك من غير معلم يعلمنا ، ولا مرشد يرشدنا إلى ما نقرأ وما لا نقرأ . ثم تفرقت بنا للسبيل وإن لم تتفرق صداقتنا . فاتجه إلى مدرسة اللغة والأدب والصرف والنحو وهي مدرسة دار العلوم . واتجهت إلى مدرسة الفقه والقانون وهي مدرسة القضاء الشرعي ،

الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة وأحوال مختلفة حتى أصبحت قوة في طاقة الإنسانية وقطعة من ثروة العالم ، يحدث فقدها في سير الحياة من الخلل ما يحدثه فقد الضرر الصغير في الدولاب الكبير .

وإذا قال أبو تمام :

إن الفجيرة في الرياض نواضرا

لأشد منها في الرياض ذوابلا
فقد صور الحزن العاطفي على جميل فقد ، ولم يصور الحزن العقلي على نافع ذهب . إن في كل ساعة من ساعات الليل والنهار ألوفاً من الأنفس تبتلعها القبور فلا يعقب فقدم فراغا ولا دهشة ، ولكن فقد عظيم واحد في العلم أو الأدب أو الفن أو السياسة أو الإصلاح يحدث في العالم من الخسران ما عبر عنه عبدة بن الطبيب بقوله في قيس ابن عاصم :
نما كان قيس ملكك هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

لم يكن لإبراهيم مصطفى علما على شخص وإنما كان علما على ثروة . كان ثروة ضخمة من علوم القرآن وفنون اللسان تجمعت بالحفظ والدرس والتحصيل والتحريض والدأب والصبر والإيمان في خمس وسبعين سنة من يوم مولده إلى يوم وفاته .

نشأ لفه في بيت من بيوت القرآن ، فقد كان أبوه رحمه الله قارئاً لكتاب الله

وما زلت أذكر نقاشا حادا جرى بينه وبين
أستاذ الأدب المرحوم الشيخ علام سلامه حين
قرر أن أمدح بيت قاله العرب قول جرير :
ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح
فقد فقد هذا الرأى المأثور وأخذ يدلل
على خطئه بأبيات من شعر حسان وغيره .
وكذلك كان أمره مع سائر الأساتذة
في قضايا النحو والصرف ولعل صوت
الطالب إبراهيم مصطفى كان أول صوت
ارتفع في دار العلوم بالدعوة إلى تحقيق
المأثور عن القدامى من هذه التعليقات
الفسادة والأقوال الخاطئة . وكان من أعز
أمانيه وهو في دار العلوم أن يكون يوما
مدرسا بها . وكانت الخطوة الأولى في سبيل
هذه الغاية أن تبعثه الدار إلى إنجلترا ليستفيد
ويستزيد . وقد رشحته فعلا للبعثة ، ولكن
فشله في الفحص الطبي حال بينه وبين ما تمنى .
لم يرض لنفسه أن يكون هذا التخلف القهري
عن الدراسة في الخارج سبيلا إلى تخلفه عن
أنداده المبعوثين في العلم والمساكنة .

ولإنما رضى لها أن يكون حافزا ألهم
طموحه إلى التفوق وأرهم عزمه على التكل
فأنف أن يسلك سبيل المتخرج العادى البادى
فلم يعمل في المدارس الأميرية وإنما عمل في
مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ليكون
الآفئ من أمامه أرحب ، والأرض من تحته

ولسكننا كنا نجتمع في الأجازات الصيفية
فتتعم ما بدأناه من دراسة الأدب ، .
من هذا الجذر الغليظ العميق من فنون
العلم تفرعت في ذهن إبراهيم شجرة المعرفة ؛
وبهذه الحصلة الأولية القوية من مختلف
المحفوظ دخل إبراهيم دار العلوم ، فلم يكس
يظهر للمساكنة الموهوبة بالمعلم الصالح والجو
الملائم والمنهج المؤدى حتى نمت في ذهنه تلك
البذور ، وانشعبت من أصلها هذه الفروع ،
وأصبح إبراهيم بين أقرانه ورفاقه الغصن
الذى يطول والزهرة التى تعد .

قال زميله وزميلنا الأستاذ زكى المهندس
- مد الله في عمره - . كان من حظى أن أزامن
الفقيه في الدراسة خمس سنوات كوامل ،
يضمنا فصل واحد ، وتجمعنا آمال مشتركة .
وأشهد أنه كان أجودنا حفظا لمتون اللغة
وفن التجويد وعلم القراءات ، وأشدنا شغفا
بالبحث في كتب النحو والصرف ، وأكثرنا
إلماما بنصوصها وشواهدا وشروحا
وحواشيا . فما من مسألة لغوية حويصة
عرض لها الأساتذة إلا كان له فيها جولة
تم عن اطلاع واسع وذكاء ملحوظ حتى
دعاه أستاذنا المرحوم سلطان محمد بسيبويه
الصغير . ولقد ظهرت في الفقيه بواكير
الحرية في التفكير والنزعة إلى التجديد في هذه
الفتره من حياته ، فلم يكن كغيره من الطلاب
يسلم بما يقوله الأساتذة من غير نقاش ولا بحث ،

هدم الفقيه هذه القاعدة وأنكر أن يكون الرفع والنصب والجسر أثر العامل ، وقرر أن العربي حين يرفع الاسم يلحظ فيه أنه مسند إليه أو مخبر عنه وأنه أساس الجملة . فإذا جره ، لحظ فيه الإضافة إما بأداة أو بغير أداة ، أما إذا نصبه فلأن الفتحة هي الحركة المستحبة عند العرب يستخفونها إذا لم يدعهم داع إلى الرفع والجسر .

وعلى هذا الأساس بنى نظريته في إعراب الاسم ، وعلى هذه النظرية وضع كتابه (إحياء النحو) .

لم يجد هذا الرأي مساهة في عقول النحاة المصريين فردوه وفندوه ، ولكنه كان صحيحة فيهم لإصلاح هذا النحو وتيسيره لا يزال رجوعها يدور في دار العلوم والأزهر والمجمع حتى اليوم .

مضى إبراهيم في جهاده اللغوي المرهق المشمر ، يحاضر الطلاب ويوجه المعلمين ويعاون في وضع الكتب ، ويشارك في رسم المناهج ، حتى تولى العادة في دار العلوم فأعطاه أكثر مما أخذ منها . وأبلغها فوق ما بلغ بها . وفي سنة ١٩٤٩ انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية ليجلس على كرسي المرحوم علي الجارم فاستوى عليه استواء الند الكريم والخلف الصالح ، واضطلع بأعبائه في لجنة الأصول وفي لجنة المعجم الوسيط وفي لجنة تيسير الإملاء وفي لجنة معجم ألفاظ

أقدامه أثبت ، والحرية في تطبيق أحكامه أطلق ، والمكافأة على جهوده أجزل ، فكان معلماً فذاً فمفتشاً ، حتى إذا عاد أقرانه من انجلترا وجدوه في المنصب المرموق بالمرتب المضاعف ، ثم سميت به كفايته إلى كرسي الأستاذية بكلية الآداب من جامعة القاهرة ، فسطع فيها نجمه . وتجلى بها نبوغه . تخصص في تدريس النحو فاستقصى أطرافه واستجلى غوامضه ، وأولع بقراءة كتاب الحجة لأبي علي الفارسي في القراءات يستوعبه ويستوحيه ويجد فيه جلاء لما تحتاج في صدره منذ صغره من اختلاف القراءات وتعدد اللمجات وتنوع العلل . جره ذلك إلى للنظر في فلسفة النحو وإصلاح ما أفسده النحاة المناطقة منه فبدأ بالعمل . والعامل كما تعلمون هو المحرك لسكون الكلمات ولا يحرك غيره . فالاسم مثلاً يرفع لعامل وينصب لعامل ويخفض لعامل ويجزم لعامل . فإذا لم يكن العامل ظاهراً قدره ، وإذا لم يكن موجوداً أولوه . ولما سئلوا عن العامل في رفع المبتدأ قالوا إنه الابتداء ، وعن العامل في رفع المضارع قالوا إنه التجرد من الناصب والجازم . فقبل لهم إن في جعل الابتداء عاملاً في رفع المبتدأ تمكف لا يسيغه ذوق ولا يسوغه منطق ، وإن تجرد المضارع من الناصب والجازم عدم والعدم لا يعمل فردوا على ذلك بكلام لا غناء فيه ولا طائل من وراءه .

هو الإصلاح والتجديد ، كان يباليخ في حذف
المهجور من الالفاظ والتراكيب ، ويغير
من بعض المأثور من الأمثلة والتعاريف ،
ويرافا نقف في إثبات الجديد من الالفاظ
عند قرارات المجمع وإجماع الناس وضرورة
الحاجة ، فيثبت هو إذا ما انفرد بالعمل في
بعض الحرف ، بعض الكلمات الخالصة
في العجمة : كالبكس والتيازرو والتايرير ،
وكان الكتاب قد ارتضوا من قبل ذلك الملاكمة
والمرح والآلة السكانية ، ولكنها النزعة
الطاعية الى استبدت بالفقيد في مجال التقريب
بين الفصحى والعامية ، وفي لجنة معجم الالفاظ
القرآن كان قطبا من أقطابها الذين يدور عليهم
البحث ويرجع إليهم الحكم ، وبحسبكم دليلا
هلى مكانته منها وحسن بلائه فيها أن الشيخين
الاكبرين إبراهيم حمروش ، ومحمود شلتوت
وهما ما هما بين أعضاء هذه اللجنة . جاء بهما
وهو جالس معى في قاعة المجلس يعتبان عليه
أن ينقطع عن العمل معهم في المعجم لخلاف
في رأى لا يصعب الاتفاق فيه ، ويرجوان
منه في إلحاح أن يصل ما انقطع من مشاركته ،
وكان إبراهيم يلقى المعاذير ويظهر التأنى ،
فقال لى الشيخ شلتوت عافاه الله : ما الحكم
فيمن يهجر مجلس القرآن ويصر على الهجر ؟
فقلت له مازحا : يدخل في منطوق حكم الله
الذى قضاه بقوله : « ومن أعرض عن ذكرى
فإن له معيشة ضنكا » ، فأخذ الشيخان يدفعا

القرآن فنهض بها نهوض الكفى الضليع
لا يتحفف منها لأنها رسالة حياته ، ولا يتبرم
بها لأنها حاجة نفسه ولقد قال في خطبة استقبله
بالمجمع : « لقد أمضيت سنوات في مسألة
من النحو قيل لى رأيت فيها رأيا واتخذت
في دربها نهجا . والآن أستبشر أنى في ظل
المجمع أستطيع أن أخطو خطوة ثانية ،
وأن أجد ما أحتاج من التديد والإرشاد
والعون . » وكانت هذه الخطوة الثانية أن
تبنى في المجمع المشروع الذى وضع قواعده
في لجنة تيسير النحو بوزارة المعارف وكانت
مؤلفة منه ومن زملائه طه حسين وأحمد أمين
وعلى الجارم لجادل عنه بالحجة ، ودعا لى
بالحكمة ، حتى أقره المجمع ومؤتمره .

وكان لهذا التيسير أثره في تعديل المنهج
وتأليف الكتاب وتوجيه المعلم ، فأخذته
صيحة من النقد العاصف فى القاهرة وفى
دمشق ، وكان وليه ونصيره يومئذ يقامى
دورا من أدوار عتسه المزمنة ، فلم يستطع
رد الكيد عنه ولا صد الهجوم عليه ، فقتل
فى القاعة التى ولد فيها من قاعات دار العلوم .
ثم وجه همه الى تيسير الكتابة العربية ،
وهى المشكلة الثانية من مشكلات اللغة بعد
النحو ، فكان له رأى فى رسم الهزمة واقتراح
فى كتابة الالف اللينة واشترك فى اختصار
حروف الطباعة ، أما فى لجنة المعجم الوسيط
فقد عمل فيها على هدى ما تأصل فى نفسه من

كان في لجنة وضع المناهج للدارس الابتدائية والثانوية يصبر على حذف بعض الأبواب والأعضاء يخالفونه في هذا الحذف .

وكان في لجنة المعجم الوسيط يسرف في إغفال بعض المواد والأعضاء يراجعونه في هذا الإغفال ، وكان في لجنة معجم ألفاظ القرآن يجتهد في فهم معنى اللفظ والأعضاء يعارضونه في هذا الاجتهاد . وكان غالباً ما يسفر الجدل بين التقيد والانطلاق عن رأى سليم يقف من المسألة عند حد الوسط .

على أن اعتداده برأيه كان يحمله أحياناً على أن يصطنع لهجة الأستاذية في خطاب بعض زملائه فيسكدر ذلك من صفو المودة بينهم وبينه .

وكان من أثر اعتزازه بنفسه أن اعتراه ما يشبه الحساسية المرضية لكل ما يجافي شعوره ، أو ينافي كرامته . توثقت عرى المودة بينه وبين سرى من أعيان السراة كان ولياً على شئون الجمعية الخيرية الإسلامية حين كان هو موظفاً بها ، فأظله السرى بعطفه ، ورعاه ، بجاهه وأزال السكفة بينه وبينه .

فما هو إلا أن بدرت من الرئيس المسلط كبة تتم عن سراوته أو رياسته حتى ملكته سورة العزة فانصرف عن مجلسه وصعد عن لقائه ، وكانت الخطوة لدى هذا الرئيس مطمح كل نفس ومطمع كل واصل . ولا أزال أذكر تلك القصة الرمزية التي شيع بها هذه

بيدهما في صدره ويقرآن بقية الآية الكريمة ويرددانها وهو يستغيت بي ويقول : أفئتيهما بقتلي وتضحك ؟ .

وحرص الفقهاء الكبارين على بقاءه معهم في لجنة المعجم القرآني شاهد على طول باعه في تفسير الكتاب وانفساح ذرعه في فقه مراميه ، ولها تين الفضيلتين من فضائله اختاره الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عضواً في مجمع البحوث الإسلامية .

أما اختلافه معهم في النظر إلى حد الاعتزال فدليل على استقلاله في الرأي ، واجتهاده في الفهم ، والاستقلال والاجتهاد كانا من أخص صفات الفقيه ، فقد كان له في كل مسألة رأى ، وعلى كل رأى اعتراض ، ومن هنا كانت حيانه العامة كلها حياة تجديد ومعارضة .

سيداتي سادتي : كان إبراهيم مصطفى رجلاً ظاهر الرجولية بارز الشخصية في كل رأى رآه وفي كل عمل تولاّه ، وكان مظهر رجوليته ومبرز شخصيته في اعتداده برأيه ، واعتزازه بنفسه ، وامتيازه في علوه .

كان من أثر اعتداده برأيه انعقاده من عبودية النص وانطلاقه من إسهار التقليد ، فهو في الدين مجتهد ، وفي اللغة متطور ، وفي النحو متحرر .

كان على تبحره في النحو وتخصسه فيه وتعمشه عليه لا يتعصب له ولا يترتب فيه ،

على أنه غاية لا وسيلة ونظر لا تطبيق ، جعلوا النحو للنحو كما جعل قوم الفن للفن ، وعالجوه معالجة المنطقي الفيلسوف لا معالجة اللغوي الأديب ، فوسعوا أبوابه وعددوا مذاهبه وشرحوا غوامضه ومحسوا حقائقه وفلسفوا علله ، وبحثوا في كل شيء إلا في الموضوع الذي دار عليه والغرض الذي وضع من أجله . لم ينظروا فيه نظر الناقه المصلح الذي يرى المبهم فيوضحه والمعوج فيقيمه والمشوش فيرتبه ، وإنما اتخذوا منه رياضة ذهنية وممتعة جدلية تتسابق فيها الأفهام بالتقديرات الغريبة والتعليقات الباطلة ، إبراهيم وحده هو أول من تمرد على هذا النهج القديم وحاول أن يجعل من النحو وسيلة مباشرة لإحسان الكلام والكتابة بأيسر جهد وفي أقصر وقت . فقصى أكثر عمره يخطط هذا النحو على النحو الذي يريد ، وإلى الوجه الذي يقصد . فإذا أعجبه الموت عن تنفيذ ما خطط وتحقيق ما آمل فإن الفكرة الطيبة كالبنرة الطيبة تعيدها الطبيعة بالغذاء والرى حتى تخرج بإذن ربها نامية باقية .

كان رحمه الله عمليا يضع أمام عينيه الهدف الذي يعينه ثم يرميه من أقرب الجهات وأقصد السبل . ففكر مرة أن يلغى النحو والصرف من مناهج التعليم الابتدائي والثانوي اكتفاء بتنشئة التسلاميذ على النطق الفصيح

الصداقة ونشرها في مجلة السفور بعنوان (وفاء كلب) .

كذلك تأكدت بينه وبين الأستاذ أحمد أمين عقدة الحب فتساهما الإخاء منذ الصباه وتقاسما الوفاء أكثر العمر ، وخلط نفسه بنفسه حتى بلغ من حبه إياه أن سمي أحد ولديه باسميهما معا ليتحدا في اللسان لفظا كما اتحدا في القلب معنى : سماه أحمد أمين إبراهيم مصطفى . ولكن هذه الخالصة الشديدة لم تستطع أن تقاوم عزة نفسه حين حك في صدره شيء من تعالى صديقه عليه ، ولعل ذلك كان توها منه ولدته الحماسية من اختلاف المنصب وذويع الشهرة ، ففتر الحب المضطرم ، وفرغ للقلب المشغول ، وجرى الأمر بين الرجلين بجرى الزمالة المسالوفة والصداقة العادية .

ثم كان من أثر امتيازاه في علمه أنه وصل ما انقطع من زعامة المصريين للنحو بعد ابن هشام . وكانت هذه الزعامة قد انعقدت لمصر في القرنين السابع والثامن من الهجرة بمن نبغ فيها من أخلاف سيويه كطاهر بن بابشاد وابن برى وابن الحاسب وابن منظور وابن هشام والدمايني والأشعوني والصبان . ولكننا إذا استثنينا من هؤلاء جمال الدين ابن هشام الذي قال فيه ابن خلدون : إنه أنحى من سيويه لانجده في الباقي من نظر في النحو فظرة إبراهيم مصطفى . نظر القدماي في النحو

انصرافك إلى جوار ربك يغالبون الجزع عليك
ويراودون العزاء عنك، ولكن كرسيك الذي
لن يشغل في الجمع، ومكانك الذي لن يحتل
في المجتمع، وجهادك الذي لن يعوض في
الآداب، يجعل الصبر على مصابك أمراً لا يدرك
إلا بالزمن الطويل.

أخى إبراهيم :

دخلنا الجمع معاً في يوم واحد وخرجت
منه قبلي، والباب الذي خرجت منه
مفتوح أبداً، لا يضيق ولا ينغلق. إنه
الباب الوحيد الذي فتحه الله على حدود الدنيا
ليجتازه كل حي إلى حيه، بفنى كالهم، أو إلى
حيث يبقى كالملك ! وأنت يا إبراهيم في
الحياتين خالد : خالد في دنيا الناس بالذكر
الحسن، وخالد في جنة الله بالعمل الصالح.

إن من بكاك فسوف يُبكي، وإن من رثاك
فعما قريب يرثي :

لا يلبس القرناء أن يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار
فأذهب كما ذهب غواصي مزنة
أثني عليها السهل والأوعار
وسلام الله عليك يوم فقدناك،
وسلام الله عليك يوم نلقاك.

أحمد محمد الزيات

والكتابة الصحيحة بالسليقة والمحاكاة كما كان
يصنع العرب الأولون، فطلب من وزارة
التربية والتعليم أن تخصص لهذه التجربة فصلاً
من فصول المدرسة النموذجية وكانت تسمى
يومئذ الفصول التجريبية، وظل يمارس
هذه التجربة عاماً بطوله، ولا أدري ماذا
كانت النتيجة.

كان إبراهيم إذن من نخبة الطبع لا من نخبة
الصنعة، وكان عليه بالآداب وأساليبه لا يقل عن
عليه بالنحو ومذاهبه. كان من النخبة الأدباء.
كالمبرد والزمخشري وابن جني، يكتب فيجيد،
وينقد فيصيب، ويحاضر فيمتع، ولكنه أوتي
اللسان الذلق والبديهة الحاضرة والقرينة الطيبة
فطفت فيه ملكة الخطابة على ملكة الكتابة.

ذلك أيها السادة بعض الكلام في جانب
من جوانب الرجل الذي فقدناه، وإن
جوانبه الأخرى لأرحب وأخصب، وإذا
جل الخطب بفقده اليوم فإنه سيكون غداً
بافتقاده أجل، لأن الغنى عن مثله عسير،
والعوض عن كفايته أعسر، واللغة العربية
في محتها الحاضرة يوهى من دفاعها ومنعتها
أن تصاب في أبنائها الأحرار الأبرار الذين
وقفوا جهودهم عليها، واستنزفوا أعمارهم
فيها وكانوا لها وزراً في الشدائد وجنة.

أخانا إبراهيم :

إن إخوانك لا يزالون بعد أربعين يوماً من

الحقوق الطبيعية للمواطنين كما قررها الإسلام

للاستاذ محمد محمد المدني

المنافع الإيجابية المعبر عنها بالأعمال الصالحة ،
وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله
أتقاكم ، . » ويقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن
أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،
أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي ،
ولا لعجمي على عربي فضل إلا بالتقوى) .
وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر
الغفاري يقول لعبد زنجي أغضبه : « يا بن
السوداء . » فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقال : « طاف للصاع ! طاف للصاع ! - أي
تجاوز الأمر حده - ليس لابن البيضاء على
ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل
صالح . » فوضع أبو ذر خده على الأرض ،
وقال للأسود : قم فطأ خدي !

وكذلك قرر الإسلام حق المواطن في
الحرية ، وهذه كلمة عمر المشهورة : « متى
استعبدتم للناس وقد ولدتم أمهاتهم
أحرارا ، . »

الحقوق الطبيعية للمواطن كثيرة ، ويمكن
إرجاعها إلى أصول ذات فروع ، وهذه
الأصول هي :

- ١ - حق المواطن في المساواة .
 - ٢ - حق المواطن في الحرية .
 - ٣ - حق المواطن في اعتبار كرامته
الإنسانية .
 - ٤ - حق المواطن في أن يأمن على حياته .
 - ٥ - حق المواطن في أن يعيش عيشة كريمة .
- وقد كفل الإسلام هذه الحقوق الطبيعية
للمواطنين ولم يكنف بتقريرها نظرياً ، ولكنه
شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها
عملياً ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .
ولايكم البيان :

إن الإسلام قد كفل المساواة بين الناس ،
واعتبرهم جميعاً سواسية كأسنان المشط ،
لا فرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون
ولون ، ولا يمتاز الغني في نظره عن الفقير ،
ولا الحاكم عن المحكوم ، وليس هناك ما يفاضلون
به إلا السلوك القويم المعبر عنه بالتقوى ،
وما يقدمه كل منهم لنفسه وأهله ومجتمعه من

وبمناسبة هذه الآية الكريمة أحب أن
أستطرد ببيان مبدأ هام من مبادئ التسامح
والعدل في الإسلام :

فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ التسامح مع
مخالفيه ، ولا يرضى بأن تقوم بين الناس
عداوة لمجرد اختلافهم في الدين ، بل يصرح
- كما رأينا في هذه الآية - بأنه يجب البر
والقسط عامة .

والقاعدة التي يرشد إليها القرآن الكريم
في ذلك ، يمكن أن نعبّر عنها في هذه العبارة :
« لا موالاة للأعداء ، ولكن بروقسط
وإن سلف منهم الإيذاء » .

وينبغي أن نعلم أن هناك فرقا بين «الولاية»
التي هي النصرة والمعاونة على تحقيق غرض
مشترك ، بحيث يؤمن كل من «الولين» أن
لصاحبه عليه حقا ، هو مطالب بأدائه عن
باعث قلبي ، وبين البر والقسط اللذين يجب
أن يسودا المجتمع الإنساني ، وتقوم عليهما
العلاقة بين أفراد وشعوبه ، وإن لم تجمعهما
فسكرة ، أو تواخ بينهما عقيدة ، وهذا هو
ما يمبر عنه في مجتمعنا الراهن بمبدأ «التعايش
السلي» ، فالقرآن الكريم يقف من كل واحدة
من هاتين العلاقتين موقفا يناسبها ، فهو ينهى
المؤمنين أشد النهي عن اتخاذ المخالفين لهم من
أهل الكتاب والمشركين أولياء ، يرتبطون
بهم ارتباط المتناصرين بعضهم ببعض ،

والله سبحانه وتعالى يقول : « وما بكم من
نعمة فمن الله » ، والإيمان بذلك يجعل الإنسان
سيد نفسه ، لا يقر بالعبودية إلا لربه الذي
أنعم عليه .

وحرية المواطن في اختيار العمل الذي يعمله
مكفولة بمثل قوله تعالى : « قل كل يعمل
على شاكلته » ، « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن
أساء فعليها » ، ولا ينبغي أن يفهم أن العمل في
مثل هذه الآيات مراد به أعمال العبادة والتقرب
إلى الله فقط ، وإنما هو أوسع من ذلك ، بل
إن الأعمال الإيجابية الدنيوية ، والأعمال
التي يقصد بتركها معنى إصلاحى ، كلهم من قبيل
ما ينظر الله إليه وما يثيب به وما يحاسبه
لصاحبه ، ويمنحه ثمراته في العاجل والآجل .
والحرية الدينية مكفولة بمثل قوله تعالى :
« لا إكراه في الدين » ، قد تبين الرشد من
الغى » ، « إنما أنت مذكر ، لست عليهم
بمسيطر » ، « أفأنت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين » .

والذميون - وهم أهل الأديان الأخرى
الذين هم في ذمة المسلمين وعهدهم - لهم أيضا
حريتهم الدينية ، ولهم في الحقوق ما لنا ،
وعليهم من الواجبات المدنية ما علينا ،
ولا مانع من برهم والقسط إليهم : « لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله
يحب المقسطين » .

يتخذ البر والقسط أساسا للتعامل بينه وبين مخالفه الذي آذاه ، بشرط ألا يصل الأمر بينهما إلى حد «الولاية» ، والنصرة ، وذلك قوله تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . » ، فقد صرحت هذه الآية بأن المنهى عنه — في شأن هؤلاء — إنما هو اتخاذهم أولياء ، لا مجرد البر بهم ، والقسط إليهم .

وقبل هاتين الآيتين يقول جل شأنه : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم ، وفي هذا إحياء بأن العداوات ليست دائمة ، وأن القلوب تتغير وتتحول ، وأن الرفق والإحسان قد يكونان سبيلا إلى إصلاح النفوس ، وتقريب القلوب ، وقد حدث فعلا في تاريخ المسلمين أن كثيرا ممن كانوا أعداء لهم ، وحربا عليهم ؛ أسلبوا وحسن إسلامهم ، وأبكلوا في الدقاق عن الدين بلاء حسنا .

والخلاصة : أن الله تعالى لا يرضى أن يتخذ المؤمن مخالفه في الدين وليا ومناصرا ، ولكنه مع ذلك يعطى هذا المخالف حقه في علاقات المعاشرة والمصاحبة والإنسانية عامة ، على أساس من البر

وذلك بأن يستعينوا بهم على المؤمنين ، ويعينوهم عليهم ، بينما يبيح للؤمنين أن يعاملوا مخالفهم في الدين معاملة أسامها البر والرحمة والقسط وتبادل المصالح المادية من تجارية وغيرها ، مادام لم يصدر منهم إيذاء لهم ، ولا تحريض عليهم ولا محاولة لفتنهم عن دينهم .

اقرأ في النهي عن اتخاذهم أولياء مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منكم لا يهدى القوم الظالمين ، » ، « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . » لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير .

واقرا في إباحة البر بهم والقسط في معاملتهم قوله تعالى — وقد ذكرناه من قبل — : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . »

ثم اقرأ الآية التي بعدها تجمعا تذهب إلى أبعد من هذا في التسامح ، فتبيح للبسلم أن

للأمة ، وهذا أبو بكر رضى الله عنه يقول
فى أول خطبة له بعد الخلافة : « إن رأيتهم على
حق فأعينونى ، وإن رأيتهم على باطل
فسدوهم » .

والإسلام يعرف للواطن حقه فى اعتبار
كرامته ، وهذا الحق مكفول بمثل قوله تعالى
« ولقد كرمنا بنى آدم » ، فقد اختار الله لهذه
النعمة التى هى التكريم التعبير بأعم وصف
جاسع للناس ، وهو كونهم بنى آدم ، فلا
يصح أن تضيق هذه الكرامة لآى فرد ،
ولذلك حرم الله التناز بالالقب ، لأنه إهانة
لكرامة الإنسان فى وجهه ، وحرمة الغيبة
لأنها خدش لكرامة الإنسان من وراء ظهره ،
وحرمة قذف الأعراض لأنه انتهاك للحرمت
وجمل للبيوت حصانة ، فلا يدخلها أحد
دون استئذان أصحابها ، وحرمة التطلع
والتجسس وما إليهما ، لما فى ذلك من
الاقترام على الناس حيث يكونون آمنين
مطمئنين .

والإسلام يكفل حق المواطن فى الأمن
على حياته ، فقد نبه إلى أهمية حياة الإنسان
فى مثل قوله تعالى : « أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا »
فأحييناه ، « هو أنشأكم من الأرض » ،
« وهو الذى جعلكم خلافت الأرض » ،
وهذا كله يلفت إلى أنه تعالى هو واهب
الحياة ، فليس لأحد أن ينزعها إلا بالحق .

والرحمة والقسط ، وكلا الأمرين هو غاية
الحكمة ، والدستور الطيبى للإنسانية فى
كامل وعيها ، وكال رقيها وسورها .
ونعود إلى بيان الحقوق الطبيعية التى
كفلمها الإسلام للمواطنين ، فنقول :

والحرية العلمية مكفولة بمثل قوله تعالى
« الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ،
« أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو
الالباب » . وهى تقرر أن العقلاء هم وحدهم
الذين يعطون المتكلم حق الاستماع إلى كلامه ،
ويعطون أنفسهم حق التخير مما يسمعون ،
وذلك هو الأسلوب العلمى الصحيح .

والحرية السياسية مكفولة ، فلكل
إنسان أن ينكر المنكر الذى هو الشر
والفساد ، ويأمر بالمعروف الذى هو الخير
والصلاح .

وليس ذلك موجه إلى العامة فقط أو الرعية
بعضها وبعض فقط ، وإنما هو حق لكل
فرد يتوجه به إلى الحاكم كما يتوجه به إلى
المحكومين ، ويتوجه به إلى الخاصة كما يتوجه
به إلى العامة ، وله شروط وآداب مبينة
فى مواضعها لو اختلفت ، أولم تراع ، عاد
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضد
المقصود منه ، وربما كان وبالا على صاحبه
أو على المجتمع .

والحاكم فى الإسلام هو الراعى الشفيق

وأباح التمتع بالزينة والعاليات من الرزق
 • قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده
 والطيبات من الرزق .

هذه هي أسس الحقوق الطبيعية التي قررها
 الإسلام للمواطنين ، وكل الحقوق متفرعة
 عنها ، راجعة إلى واحد أو أكثر منها .

وفي المقال التالي ، نبين إن شاء الله تعالى
 كيف أن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه
 الحقوق تقريراً نظرياً ، وإنما وضع لها من
 النظم والقوانين ما يضمنها ويكفل تنفيذها
 على أحسن وجه .

والله المستعان ؟

محمد محمد المديني

عميد كلية الشريعة

وكذلك حق المواطن في أن يعيش عيشة
 كريمة قائمة على ما يكسب من رزق حلال في
 أعمال نافعة :

حث على العمل بمثل قوله صلى الله عليه وسلم
 لأن يحتطب أحدكم : (خير له من أن يسأل الناس
 أعطوه أو منعوه) . (وما أكل أحد طعاما
 خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وقد كان
 نبي الله داود يأكل من عمل يده) .

وإنما نص على داود بالذات ، لأنه كان
 ملكاً وخليفة في الأرض ، فكان مستغنياً
 بملكه وخلافته عن أن يعمل ليكسب ويعيش
 ولكنه مع ذلك كان يعمل ويأكل من
 عمل يده .

وحرم الإسلام التسخير وإرهاق العامل ،
 وأكل أجر الأجير ، بل مجرد تأخير عنه وقته .

من رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فأنهم إذا أدلى إليك ، لا ينفع تسكّم بحق لا نفاذه .
 آس في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس
 ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصالح جائز بين المسلمين
 إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيت يوم فرأجت فيه عقلك ،
 وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماهي
 في الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجأ في صدرك عما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأشباه
 والأمثال . فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق .

نفحات القرآن

المكابرة في الحق بلاء والتماذى في الباطل شقاء للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا !! لو نشاء

ألقنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين !!

(ب) وإذا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من

عندك فامطر علينا حجارة من السماء ، أو اثنتنا
بعذاب ألیم .

وكانه - ثانيا - أساطير موضوعة ،
ومعمودة عن الأسلاف ، يتندرون بها في
مجالسهم ، ويتسلون بها مع أهلهم ،
وندمائهم .

فإن يكن جدلهم صوابا عندهم ، ولم يكن
محدد صادقا فيما جاءهم به ، وليس القرآن معجبا
لهم . فأين الحق الذي جاءوا به ، أو أين بعضه
كما يشهد لهم ؟؟ .

قالت قریش هذا ، وما هو أشنع من هذا
في جدلهم للقرآن ، وتحديهم للرسول .

وكانهم فطنوا إلى تحايل المكابرة ،
وتساقط الأراجيف ، وازدياد القرآن
وضوحا في حقيقته ، وتمسكنا في قلوب

١ - كانوا عرباً فصحاء ، وخطباء بلغاء ،
وأعرف من سواهم بنسق الكتاب وتوجيهاته
وأدرك لمفاهيمه ، وإرشاداته .

ولكن خذلهم عقولهم . وسيطرت عليهم
ضلالهم ، فلم يكفهم التنكير للقرآن ،
ولا أخجلهم العجز عن مضاهاته بشيء مثله .
بل تطاولوا : فزعموا أنهم لو شاءوا
لقالوا مثله .

ثم تطاولوا فزولوا به عن قدره - وهم
يعلمون أنه قرآن سماوى - فقالوا إنه لا
يزيد عن كونه أساطير السابقين .

فكان الأمر في أوله أمر مشيئتهم :
فيأتون بمثله ، أو لا يأتون .

وأن الهلاك حصل صدقة ، أو لسبب آخر ، فإن حماقتهم وحماقة أمثالهم لا تقف عند حد في المحاولات .

٣ - وكان امتناع العذاب في حكمة الله ، لأسباب أخرى ، غير تصديقهم في إنكارهم أحدها - ما نطقت به الآية - أن الرسول يعيش فيهم ، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، فقد جرت سنة الله حين إهلاك قوم يكذبون رسولهم ، أن يأمر رسوله فيخرج بالمومنين معه قبل حصول الهلاك لغيرهم نجاة ، كما خرج نوح ومن آمن معه .

وكما خرج هود ، وصالح ، وموسى ، عليهم السلام - قبل أن يحقق للعذاب بمكذبهم . ولم يؤمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يبرح قومه الآن ، لأنه سبحانه يستبقه فيهم ثابتاً على دعوته ، صابراً على جهاده ، متحملاً لأذاهم ، حتى يمكن الله لدينه ، ويركز دعوته رغم ما في سبيلها من صعاب .

وما دام محمد في القوم لحكمة الله فلن يأخذهم ربهم بعذاب الاستئصال ، مع أن عدم إهلاكهم أمارة على تكريم محمد ، ولكن القوم لا يفقهون .

وقد كنت فيهم رجل أسرف معهم ، ولما توفي النبي أسلم ، وأخلص في عبادته ، فقال له بعض المؤمنين : لو فعلت هذا والنبي صلى الله عليه وسلم لفرح بك كثيراً .

الكثيرين سوام ... فسلوكوا سبيلاً بمنة في الضلال ، وعريقة في التضليل .

٢ - وصاروا يجهرون في القوم بطلب السوء والدمار ، ينزل عليهم من السماء إن كان القرآن حقاً كما يقول محمد !! يريدون من ذلك إعلان تأكدهم أن القرآن غير حق ، وإيهام الناس بدرايتهم وخبرتهم بهذا ، وإلما طلبوا لأنفسهم الهلاك . ذلك إسرافهم :

وربما كان الإسراف في العناد ، والتنادي في تجاهل الحق شهادة واقعية في تزكية القرآن وإن لم تكن شهادة مقصودة ، ولا عن نية محدودة .

وكثيراً ما تكون الخصومة مؤيدة لعدوها الذي تريد أن تغلبه .

قالوا : إن كان هذا القرآن حقاً كما يدعي محمد فأمطر علينا حجاره من السماء ، أي : كما نزلت على أصحاب القليل ، أو اثنتا بعذاب الاستئصال على أي لون آخر ، كما عرفوا عن عاد ، وثمود ، وبحورهم ، ثم لم ينزل عذاب الاستئصال ، فهل يكون ذلك تأييداً لهم ؟ وهل كانوا يطمعون في استجابة الله لدعائهم ويتصدون للعذاب حقاً ؟ ؟

هو إيهام كما قلنا ، ولو استجاب الله دعاءهم وأنزل بهم ما طلبوا لزعم زاعم مبطل أنهم مقربون إلى الله ، وأن دعاءهم مقبول ،

وكما ينسب أحيانا عمل الكل إلى البعض باعتبارهم جماعة واحدة على أنه لا مانع أن يراعى استغفار هؤلاء ، وهؤلاء : مؤمنهم وكافرهم .

السبب الثالث : لم يستجب الله دعوتهم بالهلاك ، ولم يأخذهم به كما جرت سنته في أمم سابقة لأن الله - تعالى - أباد تلك الشعوب ليخلى الأرض منهم ، ويشغلها بآخرين بعدهم ، حتى يصل الأمر إلى مستقره في تقدير الله وتنظيمه للسكون .

ولم يفعل ذلك بأمة محمد ، لأنها الخاتم ، ولأن دعوته عامة ودائمة ، وسوف لا يخلفه نبي غيره بدعوة جديدة ، ولا نأتى أمة غير أمته لتستقبل دعوته هذه ...

فعدم إهلاك قريش يعتبر مسaire لحكمة الله في إستقامة أمة هذه الدعوة العامة .

ولقد ظهرت حكمة الله هذه في دعوة النبي لأمته كما ورد في حديثه ما معناه .

« دعوت ربى في ثلاث : ألا تجتمع أمتى على ضلالة - ألا يأخذها بالعذاب - ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا ، فاستجاب الله في اثنين ولم يجبني إلى الثالثة . »

فصدّق هذا الحديث أن الله حفظ أمة محمد من الإجماع على منكر كما كانت أمم سابقة - بل إذا وجد منكر ، وجد بيننا من يحاربه ، ولا يرضى به ، فلسنا مثلاً كبنى إسرائيل .

فقال الرجل : كان لى أمانان من عذاب الله : مضى واحد ، وبقي الآخر : يريد أن الرسول كان أمانا حين وجوده ، فلما توفى لم يبق إلا الإسلام لمن يسلم .

السبب الثانى - لعدم الإهلاك - وقد نطقت به الآية كذلك .

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، فاستغفار المستغفرين وقاية من الشر كما تبشر الآية - وهل كان في قريش مستغفرون . »

قال العلماء : كان فيهم أفراد يستغفرون أحيانا من بعض ذنوبهم ، والله لا يخل على الداعى ، وإن كان كافرا . . لا لأن الداعى كريم مستجاب عند ربه ، ولكن : إظهارا لكرم الله ، وسعة فضله ، وأنه لا يضيق في تفضله حتى على من لا يستحقونه ، كما أنه يرزقهم ، ويعافهم من أمراض ، وينصرهم في حروب ، ويتيح لهم من نعم الدنيا ما يثير الإعجب ، فأنه يستجيب دعوة المستغفرين منهم ويرحم بها الآخرين معهم .

ولعل في هذه الاستجابة تنبيها للكافرين من غفلتهم ، وتوجيها إلى ربهم ، فيسكون هذا لونا من ألوان رحمته بالناس في هديهم . أو يكون الاستغفار حاصلا من المؤمنين ، وهم بعض من قريش فأكرم الله الجميع بسبب ما حصل من بعضهم ، ونسب الاستغفار إلى الجميع كما ينسب كثير أعمال البعض إلى الكل ،

وانحياز بعض ملوك المسلمين إلى أعداء المسلمين : كل هذا عذاب يصيب الله به المسلمين ، كما يصيب غيرهم ، وبهذا البلاء الشديد تكون السنة (جارية فيهم حقاً) ولو على وجه من وجوهها ، إلى أن يحين وعد الله باليوم الآخر .

٥ - والقرآن نفسه يؤيدنا في هذا التوجيه ، فآله تعالى يقول : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » ، « ولو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً » ، إلخ . وبهذا نزول الشبهة المفروضة ، ويستقر الأمر على أن سنة الله لا تبدل .

ثم نعود إلى الحديث عن قریش :

٦ - قاله - سبحانه - يعيب عليهم استعجال العذاب ، ويسجل شؤمهم على أنفسهم فيقول في آية ثالثة : « وما لهم ألا يعلمهم الله ، ، يعني وماذا يفيسدهم أن يرجى الله هلاكهم في حين أنهم يمعنون في مساواة الدعوة ، ويستحقون أكثر مما يستحقه ، يتخلف عن الإجابة ، - .

(١) يصدون عن المسجد الحرام وينفرون الناس من اللياذ به ، والتقريب بزيارته ؛ وربما كانت الزيارة عادة تهديهم إلى الإيمان ، ولكن قریشا تخاف من تحقق هذا ، فتبعد للناس عنه .

وثانياً : أن الله لم يعاجل أمة محمد بالهلاك المستأصل بل أبقاها لما ذكرنا من حكمة ، وأما الثالثة - فحكمة الله منعت الإجابة فيها . لما يعلمه بين المسلمين من تصدعات لأسباب ترجع إلى دنياهم ، ومطامعهم فيها ، لا إلى دينهم الحق ، ولا من طريقته في شيء .

٤ - ويمكنك أن تثير شبهة في هذا : فإن الله - سبحانه - يحدثننا في كتابه وهى لسان رسوله أنه أمك أماً بذنوبها ، وأن هذه سنته في خلقه ، وأن سنته لا تبدل فيها فكيف تخلفت سنته فلم يهلك الكافرين بمحمد وهم أمم تملأ الأرض طولا وعرضا ؟؟ وكيف لم يهلك الكثير من أمم الإسلام ، وهم على غير استقامة ؟؟

والجواب الذى أفهمه - كما سلف - أن سنة الله قامت على إهلاك من ملك ، وعلى إبقاء أمة الدعوة المحمدية إلى الوقت الموعود فبقاؤها تنفيذ لسنته فيها ، ولم تبدل السنة في ذلك .

وليس هذا محاباة لأمة على أمة ، وإنما هى حكمة ، لبقاء الدنيا إلى مواعدها ولو كفروا .

وذلك لا يمنع من نزول بلاء كربه بين المسلمين بسبب تقاعدهم كثيراً عن حق الدين عليهم ؛ فالأمراض ، والقحط وهزيمة الحروب ، والانقسام والفرق بينهم ،

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ،
يسمعون هذا ، ويسمعون آيات أخرى
فى معابهم ، ثم لم يزدادوا إلا غلوا ،
وشططا ، حتى لينفقون أموالهم فى ترويج
الباطيل ويضاعفون الجهد فى مجافاة الحق ،
والتشاغل عن الهداية ، حتى ولو هددهم
القرآن ، وقرع أسماعهم بقوله : « إن الذين
كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل
الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ،
ثم يُغلبون - بضم الياء - وهذا عذابهم
فى دنياهم - والذين كفروا إلى جهنم يحشرون .
وقصارى الحديث فى مقامنا هذا أن
المكابرة فى الحق شؤم ، أو هى الشؤم كله ،
وأن الاستغفار وقاية من الممالك ، وطهرة
من الذنوب ، ومعونة على إصلاح الأنفس .
وأن أخلاقنا - وفى المجتمع الإسلامى
خاصة - على غير مارسم لنا ديننا ، وفى بعد
بعيد عما يقصه الكتاب العزيز للعبارة ،
والإفادة ، وأن السبيل ميسرة لمن أراد
سلوكها فى غير تردد ، ولا مشقة ، وأن
دعوة الله جهيرة ومفهومة ، وأن الحياة غير
خالدة ، ولا مأمونة فى انطوائها أى ساعة !!
فهل لنا أن نستجيب ؟؟ اللهم وفق ؟ .

عبد الحفيظ السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

(٢) وفى حين أنهم أولياء البيت ، يقومون
بخدمته ، ورعايته ، وسقاية الحجيج
وإطعامهم ؟؟ .
فكيف يتوارثون هذا المجد فى تعظيم
البيت الحرام ، ثم يذودون الناس عنه ؟؟
لم يكونوا حينئذ أهلا لولاية البيت حقا ،
ولنما يستحق ولايته المتقون لرهبهم ، دون
هؤلاء المناقضين ، ولكنه الجهل المطبق ،
والكفر الطامس .

(٣) وفى حين أن مظاهر احترامهم لبيت
الله كانت ضروبا من السخرية ، والمخازى ،
وسوء الخفلة عن حسن التفكير .

فقد كانوا يعبدون الأصنام فيه ، ويجعلونه
مبادة للشرك .

وكانوا بطوفون به عراة الأجسام كما تختلط
البهائم ، والوحوش .

وكانت صلاتهم عند البيت حركات هستيرية
فى صفيح ، وتصفيق ، وليس فيها أدنى ظاهرة
من خشوع ، ولا ضراعة ، ولا ذكر صحيح
لله رب البيت .

٧ - والقرآن يواجههم بهذا كله ،
ويسمعونه فى قوله تعالى : « وهم يصدون
عن المسجد الحرام ، وما كانوا أولياءه ،
إن أولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم
لا يعلمون . وما كان صلاتهم عند البيت
إلا مكاء وتصديدة - صفيرا وتصفيقا -

من معاني القرآن

من السيارات والقطارات والطائرات وما إليها
وسخى لهم البحر يركبونه ويصنعون السفن
والبواخر التي تحملهم عليه ، ورزقهم بما
تطيب به نفوسهم من الثمرات وشق ألوان
الطعام والشراب وما إليهما من بحملات الحياة .
وقد فضلهم الله على من سواهم من سائر
مخلوقاته حتى الملائكة كما فهم أهل السنة .
فإنهم يفسرون الكثير من قوله تعالى
« وفصلناهم على كثير من خلقنا » بأنه ما عدا
الإنسان من المخلوقات وهم كثير .

ومن ثم نرى في القرآن الوثيقة الأولى
لحقوق الإنسان ، وأولها الكرامة فلا يحق
لإنسان أن يمتن آخر أو يستذله أو يستعبده
وقد يصر الله للناس جميعا أسباب الخير في
البر والبحر . ووفر لهم الرزق الطيب الحلال
بما يخرجهم لهم من الأرض وينزله عليهم
من السماء فينبغي أن يقابلوا فضله بما ينبغي
من الشكر ، وألا يكون منهم للشح المتبع
والهوى المطاع ، والاستئثار بالخير دون
الغير فإن ذلك لا يستقيم مع ما يجب لله
ولإخوانهم في الإنسانية وللجتميع الذي
يعيشون فيه .

عبد الرحيم فوده

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفصلناهم على
كثير من خلقنا تفضيلا » .

الشيء الكريم هو النفيس العزيز ، وكرامته
الأموال نفائسها وخيارها وهي لهذا موضع
التقدير والحرص من الإنسان ، وتقول
كرمت فلانا وأكرمته بمعنى عظمته
واحترمته .

والطيبات ما تطيب به النفس وتجد فيه
ارتياحا وانسراحا ولذة .

الكرامة : الوثيقة الأولى

من هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن
الكرامة الآدمية حق لكل إنسان ، وأنها
من الله لا من أحد سواه وإن الناس جميعا
يستوون في هذا الحق ، فقد كرمهم الله
وجعلهم بالنسبة إلى غيرهم من خلقه شيئا
نفيسا هزينا ، منحهم العقل والنطق وخلقهم
في أحسن تقويم وزودهم بكثير من المواهب
والقوى ، واستخلفهم في الأرض يعمرونها
ويستثمرونها ويحرقهم كل ما حولهم في الأرض
التي تقلهم والسماء التي تظلمهم ، خلق لهم في البر
دواب تحملهم ووفقههم إلى اختراع غيرها

كيف تحج أيها المسلم ؟

للأستاذ محمد محمد أبوشهبه

صلى الله عليه وسلم قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، وقال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . والحج المبرور هو الذي لم يقارف فيه الحاج إثماً ولم يرتكب معصية سواء أكانت مما يتعلق بمحظورات الإحرام أم لا ، وأمارته الاستقامة والصلاح ، وأن يكون حال مؤديه بعد الحج خيراً من حاله قبله .

وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع : أما الكتاب فقوله تعالى : « وقم على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، (١) . أما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج » ، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي . وقد أجمع المسلمون قاطبة على فرضيته ، ولم يخالف في ذلك أحد .

تقدمة : سيكون مسلكي في هذا البحث الاعتماد على ما صح في السنة ولا سيما حديث جابر الطويل الذي حكى فيه حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه . وسأتوخى القصد في ذكر الخلافات والاستدلال ما استطعت حتى لا يشكل الأمر على جمهرة المسلمين ، فإنهم في حاجة ماسة إلى معرفة المناسك وشعائر الحج بطريقة سهلة ميسرة لا غموض فيها ولا تعقيد ومن الله أستمع العون والتوفيق .

فريضة الحج :

الحج في الشرع قصد البيت الحرام لأداء الفسك والمشاعر في أشهر معلومة وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وقيل ذو الحجة كله ، والحج ركن من أركان الإسلام ، وفريضة محكمة من فرائضه باقية إلى يوم القيامة وهو من أعظم القربات ، والوسائل لغفران الذنوب ، والفوز بالنعيم المقيم .

روى الشيخان في صحيحهما أن رسول الله

من حين ذهابه إلى إيباه فقد صار الحج لازماً في حقه .

ويدخل في حد الاستطاعة ، أمن الطريق ، بحيث يغلب على ظنه السلامة على نفسه وماله . ثم إن من كان قادراً على الحج بنفسه فلا يجوز أن يستنيب في حجة الفرض لإجماعاً قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن من عليه حجة الإسلام وهو قادر على أن يحج لا يجزى عنه أن يحج غيره عنه .

وأما المريض الذي يرجى برؤه وشفاؤه والسجين فليهما الانتظار حتى يبرأ المريض ويخرج السجين . وأما المريض مرضاً مزمناً والمقعد والشيخ الفاني الذي لا يقدر على مشاق السفر فعليهما الإنبابة ما داموا مستطيعين ، ففي الصحيحين عن ابن عباس : أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الرحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم ، وذلك في حجة الوداع .

حج المرأة : ويشترط في وجوب الحج على المرأة هذا الشروط الماضية أن يكون معها زوج أو ذو رحم محرم بنسب أو سبب (رضاع) كأبيها وأبناها وأخوها وذلك عند الإمامين أبي حنيفة وأحمد ^(١) في الحديث

[١] شرط أبو حنيفة ذلك في سفر ثلاثة أيام فما فوق ، وأطلق أحمد ذلك في أي سفر قليلاً كان أم كثيراً .

وهو فرض في العمر مرة ، وما زاد فهو تطوع ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، فزروني ما تركتم ، فإنما هلك من كان قبلكم ، بكثرة سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، ورواه الإمام أحمد والنسائي بزيادة الحج مرة فما زاد فهو تطوع ، والأئمة وإن اختلفوا في أنه فرض على الفور أو على التراخي فالأولى والأفضل التعميل به للمستطيع عند عدم الموانع الشرعية ؛ لأن الآجال غير معلومة لنا ، والأيام بالمسلم اغتنام الخير والمسايرة إليه ، فقد يمرض الصحيح ، وتضل الرحلة ، ويقطع الطريق ، وتعرض الحاجة المانعة .

حد الاستطاعة :

وحد الاستطاعة القدرة على الزاد والراحلة فمن كان حراً بالغاً عاقلاً صحيحاً قادراً على الزاد والنفقة وأجرة الذهاب والإياب وكل ما يلزم الحاج من أجور ومكوس ^(١) ، وكان ذلك فاضلاً عن حوائجه الأصلية ، ونفقة من يعول [١] جمع مكس وهو ما يؤخذ من رسوم ونحوها .

يطهر قلبه من العقائد الفاسدة ، والمذاهب الضارة ، ومن الحقد والحسد والبغضاء ، وأن يقصد بحجته وجه الله سبحانه وأداء فريضته لا الرياء والسمعة والجاه والألقاب فإنها مما يحبط الأعمال ويذهب بالشواب ، وأن يحرص ما استطاع على تحقيق الحكم التي أرادها الله من الحج ولا سيما توثيق علاقته بإخوانه المسلمين والتعرف على أحوالهم حتى يشاركونهم في السراء والضراء ، والبذل والعطاء في غير إصراف ولا تقتير .

وأيضاً ينبغي لمن يريد أداء فريضة الحج أن يتخير زمقته من خير ماله وأطيبه ويتجنب الخبيث الحرام ففي الكتاب الكريم : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تميموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ، (١) وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب . يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى

الصحيح عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها محرّم ، ولا تسافر امرأة إلا ومعها محرّم فقام رجل فقال : يا رسول الله إنّي أكتب (١) في غزرة كذا ، وانطلقت امرأتى حاجة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق فاحجج مع امرأتك ، رواه البخاري ومسلم ، وروى الدارقطني بإسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرّم ، وهذا نص صريح .

وقال الأئمة مالك والشافعي والأوزاعي ليس المحرم شرطاً في حجها ويجوز لها الخروج في رفقة النساء المسلمات كما قال مالك والشافعي وفي قول للشافعي الاكتفاء برفقة حرة مسلمة ثقة وقال الأوزاعي : يجوز لها الخروج في الحج مع قوم عدول ثقات مع التحرز عن الاختلاط وهو مذهب فيه يسر لمن ليس معها محرّم وليس برفقتها نساء والشأن في المسلمين العدول الثقات أن يحافظوا على حرمة المسلمة محافظتهم على حرمتهم وأعراضهم .

على الحاج الأعمى وتخبر النفقة :

وعلى من يريد الحج أن يتوب توبة نصوحاً من المآثم ويتحلل من المظالم وحقوق العباد ويعطى كل ذي حق حقه حتى يكون ذلك أدعى إلى قبول حجته وغفران ذنوبه ، وأن [١١] أى كتبت نفسى في أسماء من يخرج في هذه الغزوة .

لأهل هذه البلاد ولن أتى عليها من غيرهم .
 فإذا قاربت الميقات فاخلع ما عليك من
 ثياب ومخيط واغتسل وتعطر بما شئت
 من طيب ثم لبس لإزاراً ورداء (١) جديدين
 أو غسيلين ثم صل ركعتين وهما سنة الإحرام
 ثم قل : « اللهم إني أريد الحج فيسره لي وتقبله
 مني ، ثم ارفع صوتك بالتلبية فأوليا بها الحج
 والتلبية أن تقول : « لبيك اللهم لبيك (٢) ،
 لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة
 لك والملك ، لا شريك لك ، هذا إذا كان حاجاً .
 وإن كان معتمراً قال : « اللهم إني أريد

العمرة فيسرها لي وتقبلها مني ، ثم يلي .
 وإن كان قارناً قال : « اللهم إني أريد الحج
 والعمرة فيسرها لي وتقبلهما مني ، .
 وبالإحرام أصبحت ملزماً أن تكون على
 سمت خاص واتباع هدى خاص ، وحرم
 عليك بعض ما كان حلالاً لك قبل هذا .

ما يحل للمحرم وما لا يحل :

ها أنت قد أحرمت بالحج أيها المسلم فاجعل
 جله همك في التأجبية ، والتكبير والتلهيل سواء
 أكنت في البر أم في البحر أم في الجو ،
 وهليك الإفلال من الكلام إلا فيما ينفع
 وتجنب لغو الحديث ولا يجوز للحرم لبس
 المخيط ولا القميص ولا السراويل ولا العمامة

[١] كبشكيرين أو ملاءتين أو ما شابههما .
 [٢] لبيك يعني نحيبك ياربنا إجابة بعد إجابة
 وليس المراد بالتثنية حقيقة بل المراد : التكثير .

يستجاب له ، رواه مسلم فاحرص أيها المسلم
 الراغب في الحج على هذه الوصايا فإنها مما
 يقربك إلى الله ، ويحل عليك رضوانه ،
 ويجعل حجك مقبولاً مبروراً .

الأحرام منه الميقات :

ها أنت قد عزمت أمرك ، وشددت
 وحلك ، وتوجهت إلى بلد الله الحرام سواء
 أكنت في البر أم في البحر أم في الجو ،
 وشارفت على الميقات .

والميقات هو المكان الذي لا يجوز لك
 تجاوزه إلا وأنت محرم بحج أو بعمرة (١)
 أو بهما معا وهو لأهل المدينة وما جاورها
 ذو الحليفة « تسمى الآن آبار علي ، ولأهل
 الشام ومصر وشمال إفريقيا ومن على شاكلتهم
 المحفة « رابغ الآن ، ولأهل نجد « قرن
 المنازل ، ولأهل اليمن « يلم ، ولأهل العراق
 ومن ساذاهم « ذات عرق ، هذه المواقيت

[١] العمرة لغة : الزيارة وشرعاً : زيارة البيت
 بقصد الطواف حوله والسعي بين الصفا والمروة
 وإذا كان للحج أشهر مخصوصة فالعمرة لا تقيد
 بزمان خاص وهذا من رحمة الله فقد جعل للمسلم
 الذي قد لا يتمكن من حج البيت في أشهره
 الخاصة سعة في الاعتناء متى شاء كي يتمتع بجلال
 البيت ، ويحظى ببركانه ، ويطلق لهيب الشوق ،
 ويروى النفس الظامّة ، ثم إن من أحرّم بالحج
 حسب يسمى حاجاً ، ومن أحرّم بالعمرة يسمى معتمراً ،
 ومن أحرّم بهما معا يسمى قارناً ، ومن أحرّم
 بالعمرة ثم تحلل منها وأحرّم بالحج يسمى متمتاً .

أرى الوجع بلغ بك ما أرى ، أتجد شاة ؟
قلت : لا . قال : فقم ثلاثة أيام أو اطعم ستة
مساكين لكل مسكين نصف صاع . ومن
المحرم على المحرم ، قطع شجر الحرم وعشبهه ،
وصيد طيره أو حيوانه ، أو إهажته ،
والرفث ، والفسوق والجidal ، قال تعالى :
« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج » .

و « الرفث » ، الجماع ودواعيه من لمس
أو قبلة أو نحوهما ، وقيل كل ما يستتبع
ذكره عند النساء وقد أجمع الائمة على أن
المباشرة التامة - ولو بين الزوجين - تفسد
الحج ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على
أن الحج لا يفسد بإتيان شيء في حال الإحرام
إلا الجماع ، أما المباشرة الناقصة كالقبلة
واللوسة ونحوهما فهي لا تفسد الحج ،
ولكنها جنائية يلزم بسببها دم (شاة أو بدنة) ،
والفسوق المعاصي ، وهي وإن كانت حراما
مطلقا ، لكنها في حق الحاج أعظم حرمة
ووزرا ، والجidal المارة مع الإخوان ،
ومع الحالمين ، والأجراء وفي البيع والشراء ،
ورحم الله عبدا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ،
وإذا اكترى ؟ .

« البحث موصول إن شاء الله »

محمد محمد أبو شربة

الاستاذ بكلية أصول الدين

ولا القلنسوة ولا الخفين إلا إذا لم يجد إزارا
فليلبس السروال للضرورة ، وإلا إذا لم يجد
فعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل
الكعبين ، ولا يقتل صيدا ولا يدل عليه
محرم أو حلالا ، ولا يقتل الحوام إلا أن
يجد منها أذى ، ولا يقص أو يقلع أو يذنتف
شيئا من شعره ، ولا يقلظ ظفره ، ولا يغطي
رأسه ووجهه بملاصق لها ، أما إن استظل
بمظلة أو حائط أو شجرة فلا بأس بل هو
مطلوب وقت اشتداد الحر حتى لا يصاب
بأذى . ولا يمس طيبا ، أو يغسل رأسه
وبدنه بما فيه طيب كالصابون المعطر
أو النباتات ذات الرائحة الطيبة كالسدر ،
أما غسل الرأس والجسد بالماء القراح
ولو لغير جنابة فلا شيء فيه فقد ثبت عن
ابن عباس القول بجوازه كما في صحيح مسلم ،
فإن اضطر المحرم إلى حلق شعر رأسه لمرض
أو كثرة قمل يؤذيه ، فله أن يحلق وعليه
الفدية ، وهي ذبيح شاة أو صيام ثلاثة أيام ،
أو إطعام ستة مساكين كل مسكين نصف
صاع وهو بالخيار بين هذه الثلاثة ، لقوله
سبحانه : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى
من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » .

وفي الصحيحين عن كعب بن عجرة قال :
حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقمل يتناثر على وجهي فقال : « ما كنت

مرحبًا بالجزائر...

للأستاذ فتحي عثمان

كما يكون العيد تتويجا لعمل مجيد ، ورمزا
لحياة سعيدة ...

إن الاستفتاء قد مهره دم مليون شهيد ...
وإن فرنسا تعرف هذا وتصريحات ديجول ،
هي تصريحات ، الوداع ، .

ولكنه ، الانسحاب النظيف ، ... كما
يقول العسكريون !! إن بقي للنظافة في سياسة
الاستعمار مجال !!

* * *

كان كفاح الجزائر . د آية ، في الكفاح !

شعب يطبق عليه المستعمر ليستأثر به ...
به هو ، وبالذات ... فيقيم حوله الأسوار
ويحكم رتاجا بعد رتاج !

يحتجز المغرب العربي عن سائر ديار

العروبة ، ثم يستصفي الجزائر دون ديار
المغرب ... ثم يواصل الطرق في هذا الشعب
الأبي ، ليستهلك رواسب ماضيه ، ويسكب
في روحه من روح د فرنسا ، من لسانها
وثقافتها وتقاليدها !!

ويختل التوازن أمام الطرق العنيف بين
لسان ولسان ، وبين ثقافة وثقافة ، ولكن

هيئات أن تهتز شعرة من كيان الجزائر

كذلك يكون يوم إبرام اتفاق الجزائر ...
تتويجا لكفاح ورمزا للكيان .

أما الكفاح نفسه فكم اختفلنا به من قبل
نضالا يتلوه نضال ، وشهداء في إثر شهداء .
نضال لم ينقطع طيلة قرن وثلاث قرن ،
ودارتي معركته الأخيرة سبع سنين دأبا ،
وعليها مزيد نصف عام !!

وشهداء يتواكبون بأرقام مهولة ، مئات
وآلاف وعشرات الآلاف ، يقتلون ويقتلون .
وآخر موكب في حرب السنوات السبع ،
هدته مليون شهيد !! وأما السكبان ...

فقد أعلن عن نفسه هملانا شاحنا في خلال
النضال ، وفي مواكب الشهداء . وكيف
تكون د الأمة ، أمة بجميع مقوماتها ، إذا
لم تكن هي الأمة المتميزة المتحضرة في جبال
أوراس وصحراء الجزائر ، التي تتربص بعدوها
قرنا وثلاث قرن ، وتكيل له الضربات من
الأمم ومن الخلف !!

دعوا فرنسا تحاول أن تحفظ شيئا من ماء

خلال قرن وثلاث كان يرتفع على هامتها فيه علم فرنسا ، وسلاح فرنسا ، ولسان فرنسا ! وجابهت الجزائر كرامة ، أما أكثر عددا ومالا وعتادا ... فرنسا ، وحلفاء فرنسا ، من أمم تجر جر وراءها أساطيل البر والبحر والجو والصواريخ ... وتداعت على الجزائر القوى الباغية ، وبقيت الجزائر ، وعادت القوى الباغية أدراجها بعد قتال ما يزيد عن سبع سنوات !

إن في هذا التكون معايير لقوى مذخورة هائلة ... قوى غير المال والعتاد ، وغير الأعداد التي تلبس الحلل الصفراء ...

قوى في «الإنسان» ... رصدها الانتصار الجليل في معركة «الجزائر» ... لقد جاء انتصار الجزائر ... انتصارا للإنسان !

* * *

كان كفاح الجزائر آية في الكفاح ! كان الشعب كله جيشا ... والشعب كله بطلا والشعب كله يقدم النذوج الفريد في التضحية والفداء !

وكانت القيادة كلها نبلا وكانت كلها وحدة ... وكانت آية في إنكار الذات ! ظنت فرنسا أن الأمر أمر أشخاص أو أفراد فاختطفت أحمد بن بللا ورفاقه في مؤامرة كؤامرات القرصنة . وعاش بن بللا في السجن وبقيت ثورة الجزائر !

الأصيل أمام الدق والطرق العنيف ! ! ويهاجم الجزائريون فرنسا ... يهاجمونها بلغسة فرنسا ، وثقافة فرنسا ، وعلم فرنسا ، «وتكتيك» technique فرنسا ، يهاجمون بهذا كله ، فرنسا ذاتها ... ويخرج المتعلمون الجزائريون من مدارس فرنسا ليهاجموا فرنسا ... ويخرج الموظفون الجزائريون من إدارة فرنسا ليهاجموا فرنسا ... ويخرج الجنود والضباط الجزائريون من جيش فرنسا ليهاجموا فرنسا ...

كل هذا بعد استعمار قرن وثلاث ! ! الله أكبر ... أين تكون الأمة إذن إن لم تسكن في أرض الجزائر ! !

رددوا مع السكائب الجزائري الفيلسوف مالك بن نبي حكمته الرائعة : لا تلعنوا الاستعمار وحده ... هناك مع الاستعمار وقبل الاستعمار حالة «القابلية للاستعمار» اجعلوها لها نصيبا من لعناتكم ! !

* * *

كان كفاح الجزائر ... آية في الكفاح ! كان مدرسة .. ما أجمعها وأروعها مدرسة ! كان مدرسة تعلم العالم أن الأمة «كيان» اجتماعي روحي ، قبل أن تكون «تخطيطا» سياسيا لحدود يثور حول تخطيطها الجدل ، ويحدد مدها وجزرها الزمن والقوة ! ! لقد وجدت الجزائر أمة ، ولم تغب لحظة

فالطريق أمامهم ما زال طويلا ، والامتحان ما زال عسيرا ... و « النبل ، يغري الشيطان بالإصرار على الإغراء والإغواء ... والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

• • •

يقول جوتييه E. F. Gau ter في كتابه « ماضى إفريقيا الشمالية » ، Le Passé de ، L. Afrique du Nord

« لا زالت النتائج التي وصل إليها العرب في الشمال الإفريقي تدهشنا إلى الآن ... لقد عرب المغرب إلى حد كبير ، وتحول إلى الإسلام تحولا تاما عميقا ، وهذه نتيجة تدعو إلى الإعجاب ما في ذلك شك ، ولم توفق إلى مثل هذه النتيجة حركة استعمارية (كذا !) قامت على وجه الأرض . ولنكرر القول إن هذا الفتح أحدث خلال القرن السابع ثورة كبرى . لقد انهار الحاجز المغلق لإغلاقا محكما من كل ناحية - الذي كان يفصل الشرق عن الغرب ! ولو أننا قارنا هذه الفقرة الواسعة نحو المجهول بثوراتنا الفرنسية أو الروسية - لبدت لنا هاتان الأخيرتان صغيرتين جدا ... »

ولقد كان كفاح الجزائر الأخير ، آية مجردة في القرن العشرين ، على أصالة هذا الشعب العريق . . وإيمانه العميق ! ! .

وجاء عباس فرحات رئيسا للوزراء ... واختير كريم بلفاسم نائبا لرئيس الوزراء .. ثم جاء يوسف بن خدة رئيسا للوزراء ... وتفاوض بلفاسم باسم الجزائر .

وكان بن بللا يطالب بتصريحات عن رأيه فيترك الموقف لبن خدة ورفاقه ، ويقول إنه لا يستطيع إعطاء تصريحات لأنه في السجن لا يتابع الأحداث ! !

وما كاد يوقع الاتفاق ، ويعلم عن إطلاق صراح القائد الأسير ، حتى هرع رئيس حكومة الجزائر إليه وهو يقول : « أنا ذاهب للقاء رئيسي بن بللا ، ! !

حيوا بطولة القادة ... بجانب بطولة الجماهير ! ! .

حيوا بطولة القادة ... الذين عاشوا على أعصابهم ، بين « القاهرة » مقر حكومتهم المؤقتة ، و « تونس والمغرب » منطلق جيوشهم الضاربة ، ومقر مهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ! ! .

حيوا بطولة القادة ... الذين أقاموا مركز دعايتهم في « الولايات المتحدة » ، وزارات وفودهم الصين الشيوعية ، وساحت في أرجاء آسيا ، وانصلوا بالشرق والغرب اتصال الشرفاء ، المألقة بحقهم وكفاحهم ونظافة سياهم ! !

حيوا بطولة القادة ... وشدوا على أيديهم

وحملت فرنسا ، كلمات ، مضیئة لاتصل إلى
الاعماق ، تظاهرها ، أفعال ، حقودة سوداء .

وعرفت فرنسا أنها لم تقتل المغرب باقتلاع
راياته وحكامه ، ومحاربة أسانه .

إن أمامها ، كيما ، راسخا ، لا بد من
الضرب في جذوره وأصوله ورواسيه !!

وعرفت أن عليها أن تشهد حربا أخرى ،
غير حرب المدافع والدبابات والطائرات ..

حربا تستهدف ، تدمير ، العقول لإسالة الدماء ،
وكتب لي شاتليه A. Lechatelier :

في كتابه ، الغارة على العالم الإسلامي ، :

La Conquete du Monde Musulmane

« ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق
مبنيا قبل كل شيء ، على قواعد التربية العقلية

ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت
من فائدته ! ومن هنا يتبين لنا أن إرساليات

التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة وتدار
أعمالها بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكثير

في البلاد الإسلامية من حيث أنها تبث الأفكار
الأوربية ... ولا شك في أن إرساليات

التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز
عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس

منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار
التي تتسرب مع اللغات الأوربية ، إذ يحكمك

الإسلام بثقافة أوربا وتمهد السبيل لتقدم
إسلامي مادي ، .

لقد أسلم الجزائريون عن جد ... فوفوا
للإسلام في صدق !!

لم يسلموا رهبة فهم المحاربون الأشاوس .
ولم يسلموا رغبة فهم الأشداء الأصلاء

النبلاء ، ولم يكن للسلبين خزائن ينثرون
دنانيرها لاجتذاب الأقطار والأمصار !!

يقول جوتييه : « إذا دفعنا تطلعا إلى فهم
الأسلوب الذي تمت به هذه الثورة الكبرى

والإحاطة بتفاصيلها ، استبنا أن الفتح العربي
كان طويلا جدا وعنيفا جدا ، إذ قاومتهم

البلاد مقاومة عنيدة ، !!
ولندع جوتييه يقارن على طريقته ومفهومه

بين فتح وفتح :
« كان الفتح الفرنسي للجزائر طويلا مؤلما ،

وكانت قيادته سيئة ، وليس لنا الحق في أن
نفخر به كثيرا ! ولكن لنقارنه بالفتح

للعربي ، ولنفرض أنه بين عامي ١٨٣٠ ،
١٩٠٠ طرد للفرنسيون من البلاد طردا تاما

ثلاث مرات ، وأنهم لم يحتفظوا في أحسن
هذه المرات إلا بالجزائر وضواحيها - إذا

استطعنا تصور ذلك أخذنا فكرة عما حدث
أثناء الفتح العربي ... ، .

ويغفل جوتييه عن الفارق الضخم الكبير .
الفارق بين ، رسالة الإسلام ، التي حملها

العرب ، وبين ما يحمله الفرنسيون ! إن العرب
حملوا معهم نداء الفطرة ، ورسالة الحق ،
فوافقوا بالإسلام طبائع النفوس . ولبوا
احتياجات المجتمعات .

ونفذت فرنسا الخطة ...

ونطق الجزائريون بالفرنسية ...

فلعنوا فرنسا ، وحاربوا فرنسا ...

وانتصرت الجزائر ... وثبت الإسلام .

وكتب مالك بن نبي بالفرنسية في كتابه

L'Afro Asiatisme د ... في الإطار الثقافي

العربي يصبح تعبير (النجاح الصناعي)

مقصوداً به (النجاح) في كل شيء ، وترد

المشكلة الإنسانية إلى (مبادئ ميكانيكية)

تأخذ صفة مقاييس ، والواقع أنه من الصعب

أن نهرب من سيطرة (الوهم الميكانيكي)

في هذا الإطار !! ...

وفضائل الغرب ليست سوى فضائل

داخلية أنانية لا إشعاع لها ...

والعقل الغربي هو نفسه ذاتي. أناني من

الوجهة الأخلاقية ... والغربي لا يحمل

فضائله خارج عالمه هو ، بخارج حدوده

الأوربية لا يكون إنساناً ، بل أوربياً .

وهو حينئذ ذهب ، سواء كان صانعاً أو صحفياً

أو مجرد سائح في بلد متخلف ، يفتش عن

قصد أو غير قصد ، حالة استعمارية

... situation colonial

وإن إخفاق أمريكا في هذه المشكلة ذات

الطابع الإنساني والأخلاقي ، لا يساوي في

دوئه شيئاً سوى نجاحها في المشاكل ذات

الطابع الصناعي !! ...

إن المشكلات الإنسانية لا تظهر في العواصم

الغربية ، لأن ذكاء العقل الفنى يدركها في

ضوء خاص ، يعرّيها عن مظهرها الإنساني ،

ولا ينظر إليها إلا في شكلها الكمي — أعني

من الوجهة الاقتصادية والاستراتيجية ... !!

وحجم الإنسان في نظر الإسلام ينتج

عن (اللانهاية) التي خصه الله بها ؛ عندما

نشهد في حديث القرآن عن الخلق سجود

الكون لآدم ، ثم يطرد الله إبليس لأنه رفض

السجود له ، ونحن ندرك كم يكون هذا

الأساس مهما للتشديد بناء إنسانية عالمية ، مهما

في اللحظة التي لم تعد تستطيع فيها الإنسانية

خلاصاً من مأزقها حيث أقعمتها لإرادة

القوة إلا عن هذا الطريق : طريق الحضارة

الذي يهب للإنسان حرياته وأصاليته وألوان

اختياره جميعاً . ولو أننا أدركنا كم يكون

من المفيد في هذا الطريق أن نأخذ بهذه

المبادئ الإسلامية ، فسرى ضرورة تنشيط

هذه المبادئ بإنشاء ثقافة مناسبة لحال المجتمع

الإسلامي لتطبيقها بمفهومها الاجتماعي ،

وعلاقتها التاريخية الجديدة ... ، ١

والمجال صالح أمام استنابات المجتمع

الإسلامي الجديد ، والفكر الإسلامي الرشيد

والدولة الإسلامية العصرية ... في الأرض

التي أنبتت البطولات ...

ومرحباً بالجزائر ... مرحباً بالإيمان ،

في أصوله وثمراته ...

فنى عثمان

الإمام الغزالي والفلسفة

للاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

وفي المجردات ، في عالم الشهادة وفي عالم الغيب وكانت النتيجة أن أقحموا العقل في عالم ما وراء الطبيعة : فكانت الفلسفة الإلهية للعقلية ، وكان الإخفاق التام للعقل في هذا الميدان . وهذه الفلسفة العقلية . التي تبحث في الغيب ، إنما هي انحراف عن الطريق المستقيم وهذا الانحراف حديث العهد نسبيا ، فهو يبتدئ كما قلنا بالهدم اليوناني ، وأشهر من نولي كبره في ذلك العهد ، إنما هو دأرسطو . وأرسطو هذا الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر عقلية فلسفية ظهرت على وجه التاريخ ، هو أيضا أشهر الذين انهار مذهبهم في عالم ما وراء الطبيعة وكان إخفاق عقله هنا الكبير فيما يختص بمعرفة الغيب من أوضح الأدلة على أن عالم الغيب أسى من أن يتناوله العقل البشري الخطأ ولقد كانت الاعتراضات على مذهبه قوية عامة شاملة حتى إن تلاميذه وهم فلاسفة دب اليأس في نفوسهم من إقامة عالم ما وراء الطبيعة على أساس العقل لم يمكنهم أن يردوا على الاعتراضات ورأوا أنه إذا كان أستاذهم قد أخفق هذا الإخفاق في مذهبه عن عالم الغيب فإنهم سيخفون من باب أولى لو حاولوا إقامة مذهب في الإلهيات جديد يقول : الأستاذ سأتلانا بعد أن ذكر الاعتراضات على مذهب أرسطو :

والفلسفة التي نعلمها ، إنما هي المحاولات المستمرة ، التي بدأت منذ العهد اليوناني القديم ولا تزال - لبناء ما وراء الطبيعة ، على العقل ، إنما هي المحاولات العقلية ، لا خراع ما وراء الطبيعة وابتداعه ، بحيث يأخذ العقل حريته في الإثبات والنفي ، غير متأثر إلا بمقاييسه هو التي يفرضها وإذا كان العقل قد اشتغل بالطبيعة والرياضيات ، وإذا كانت الطبيعيات والرياضيات قد أدخلت في الفلسفة كأجزاء لها . فإن الهدف الأول للإمام الغزالي ، إنما هو جانب ما وراء الطبيعة . وما لا شك فيه ، أن العقل قد أنتج ثمارا يافعة في الطبيعيات والرياضيات : لقد أقام القواعد المحككة ونظم المبادئ المتقنة وانتهى به الأمر إلى أن شيد الطبيعيات والرياضيات على أسس متينة : وكان الأمر كذلك في هذين الميدانين لأن العقل يعمل في دائرة اختصاصه ، ودائرة اختصاصه ، إنما هي الماديات والمحسوسات ، أو ما يتمثل فيهما حينما يوجد خارج الذهن ، كالرياضيات . وغر هذا النجاح قوما ، فاعتقدوا أن استطاعة العقل . أن يحول في كل ميدان : في استطاعته أن يحول في الطبيعة وما في وراء الطبيعة ، في العالم وفي ما وراء العالم ، في المادة

معالجة هذا الموضوع ، لعدم وجود الوحي المصنوع ، الذي يهديهم الطريق ، وينير لهم الجادة . فليس هناك من عذر للمسلمين وبين يديهم رسالة السماء ممثلة في القرآن ، وهو كتاب ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، .

ولا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد تكفل الله بحفظه ، لئلا ننحى الذكر وإنال له لحافظون . ليس للمسلم إذاً - فيما يرى الإمام الغزالي - أن يحاول ابتداع عالم ما وراء الطبيعة ، أو اختراعه عقلياً ، ولكن المسلمين ، أخذوا فيما أخذ فيه اليونان واعتمدوا على العقل وألقوا قيادهم إليه فتفرقوا مذاهب شتى ، وطرائق قديداً ، وأصبح للفلسفة رغم هذا بريق يخطف الأبصار ، ولعمان كالسراب يجذب الكثيرين . لا بد إذاً من التثمير عن ساعد الجد ، وهدم هذا الزيف ، وإبطال هذا السحر حتى يعود الناس إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق . وحمل الإمام الغزالي على الأساس ، الذي تقوم عليه الفلسفة وهو العقل ، حملة عنيفة وهجم عليه هجوماً قوياً ، ولم يفت رقط عن مهاجمته منذ أن ألف كتابه القيم تهافت الفلاسفة ، إلى أن انتهت به الحياة ، ولقد كان كتابه تهافت الفلاسفة ، محاولة موفقة كل التوفيق ، جريئة كل الجرأة ، طريفة كل الطرافة ، وما كان المقصد الأول ، والهدف

إن ذلك وحمل التلامذة بعد موته على الإيأس من الإلهيات والتفرغ إلى علم الطبيعة ، وعلم الأخلاق ، اختصوا بهما في القرن الثالث قبل الميلاد ، حتى لقبوا بالطبيعيين سيماشيعة و ثاوقرسطيس ، و استثنائون ، اللذين خلفا أرسطو في رياسة دار العلم ، التي كانت المشائين بأئمتنا ، اه :

انصرف إذا تلاميذ أرسطو - يائسين - عن عالم ما وراء الطبيعة ، إلى عالم الطبيعة والأخلاق وإذا كان مذهب زعيم العقليين قد اهار ، فمن باب أولى ينهار مذهب غيره ممن هم أقل منه ، ولكن هذا الانهيار المتتابع للمذاهب العقلية في الإلهيات ، لم يصرف الناس عن هذا النمط من المحاولات ، التي مآلها دائماً الإخفاق .

وتتابعت هذه المحاولات في الشرق والغرب إلى عهد الإمام الغزالي .

ورأى الإمام الغزالي ببصيرته النقادة ، وبجدسه الملهم ، أن هذا الطريق ، الذي انحرفت إليه الفلسفة وسارت فيه . إنما هو طريق مسدود ، ولا بد إذاً من محاربة هذا العبث الذي يسمونه الفلسفة العقلية ، لا بد من محاربته لأسباب عدة : فهو إضاعة للوقت ، وهو تشكيك للبشرية ، وزعزعة للإيمان وليس له من نتيجة إلا التفرق والاختلاف ، وتوهين المقدسات . على أنه إذا كان يلتمس لليونان العذر في

يبحث البعوض عن ضوء النهار ، فإذا أبصر شعاعا يشبه نور الحقيقة انخدع به ، فرمى بنفسه عليه وتهاقت فيه ، ولسكنه يخطئ* خذوعا بأقيسة منطقية خاطئة ، فهلك كما يهلك البعوض .

فكأن الغزالي ، يريد أن يقول : وإن الفلاسفة ، خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا أعمال روية فهاقتوا وهلكوا الهلاك الأبدي ، اه وفي كتاب التهاقت هدم الإمام الغزالي عقليا ما بناء الفلاسفة معتمدين على حقوقهم وتهاقت الآراء تحت قلبه ، ومن الحق أن نقول ، إن أدلة الإمام الغزالي فيها من القوة ، ومن الرسوخ بحيث لا تقل ، من وجهة النظر العقلية ، عن أدلة الفلاسفة العقليين .

وما من شك في أن حملة الإمام الغزالي ، إنما كانت موجهة أولا وبالذات إلى العقل والقضية المتنازع عليها هي قضية استطاعة العقل الوصول إلى المعرفة اليقينية في عالم « ما وراء الطبيعة » . الإمام الغزالي ينسكرك ، ويثبت إنكاره بالإخفاق المتتابع للفلاسفة . ويثبته أيضا بهدم العقل لكل ما بناه العقل نفسه في هذا الميدان . والتعارض إذاً بين الإمام الغزالي والفلاسفة إنما هو تعارض كلي : ولذلك فإن المحاولات الكثيرة المتعددة ، لتصحيح آراء الفلاسفة ، أو لتصحيح بعضها ، ونقد الإمام الغزالي في حملته على هذا الرأي أو ذاك ، والانتصار لوجهة النظر الفلسفية في هذه أو تلك إن ذلك كله غير مجد في القضية التي أثارها

الأساسي لمجموعه ، هدم الآراء في نفسها ، فبعضها صحيح ، موافق للدين ، ومع ذلك فقد هدم الإمام الغزالي ، المنهج العقلي ، الذي استندت إليه هذه الآراء ، « نخلود النفس ، مثلا . رأى يقول به الغزالي ، ويقول به الفلاسفة ، ولكن الإمام الغزالي ، حمل معوله على طريقة الفلاسفة في إثبات خلود النفس ، وهدم أدلتهم ، وضرب بمعوله فيها فانهارت وتهاقت ومع ذلك ، فقد كان هو مؤمنا بهذا الخلود ، إنه لم ياتزم في هذا الكتاب (إلا تأكيد مذهبهم ، والتغيير في وجه أدلتهم بما يبين تهاقتهم) .

ومقصوده : تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة ، وظن أن مسالكهم نقيصة عن التناقض ، ببيان وجوه تهاقتهم . ويقول : (أنا لا أدخل في الاعتراض عليهم ، إلا دخول مطالب منكر ، لا دخول مدع ، مثبت ، فأبطل عليهم ما اعتقدوه ، مقطوعا بالزمامات المختلفة : —

فأزهمهم : تارة مذهب المعتزلة .

وأخرى : مذهب الكرامية .

وطورا : مذهب الواقعية .

ولا أتقص ذابا عن مذهب مخصوص .

ويقول الأستاذ « بلاسيوس » بحق : إن الغزالي حينما سمي كتابه (تهاقت الفلاسفة) : كان يريد أن يمثل لنا ، أن العقل الإنساني ، يبحث عن الحقيقة ، ويريد الوصول إليها كما

فكان الطريق الوحيد إذن : أن تمحي العقيدة الدينية من سجل المقدسات .
وقد جاء مع نحو العقيدة مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق . ولذا مكن المذهب العقلي من سيادة الإلحاد .

تلك كانت الحال في ألمانيا ، عندما ظهر « كانت » ، وكشف كتابه : « العقل الخالص » عن قصور العقل الإنساني ، فهدم بذلك ما بناه أصحاب المذهب العقلي من قبل . وصدق عليه القول بأنه كان أجل نعم الله على وطنه .

ولأن التشكك الفلسفي الذي اصطنعه الغزالي على نظيره بعض الشيء قد انتهى إلى النتيجة نفسها في العالم الإسلامي إذ قضى ذلك على المذهب العقلي الذي كان موضع الزهو ، على الرغم من ضلالتة ، وهو المذهب الذي سار في نفس الاتجاه إليه المذهب العقلي في ألمانيا قبل ظهور « كانت » .
غير أن هناك فارقاً هاماً بين « الغزالي » و « كانت » ، فإن « كانت » تمشي مع مبادئه تمشياً لم يستطع أن يثبت أن معرفة الله ممكنة ، أما الغزالي فعندما غاب رجاءه في الفكر التحليلي ، ولى وجهه شطر الرياضة الصوفية ، وألنى فيها مكاناً للدين قائماً بنفسه .

وبهذه الطريقة وفق لأن جعل للدين حق الوجود مستقلاً عن العلم ، وعن الفلسفة الميتافيزيقية ؟

المركنور عبد الحلوم محمود

رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

الإمام الغزالي ، وهي محاولات جهل القائلون بها موضوع النزاع على حقيقته أو تجاهلوه .
ومن هنا كانت محاولة ابن رشد - وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة - تصويب آراء الفلاسفة في كتابه « تهافت التهافت » ، عملاً غير مفيد في حسم النزاع : إذ أن دائرة النزاع الحقيقية إنما هي الأساس الذي بنيت عليه الآراء . وليست الآراء نفسها . والواقع أن فكرة الإمام الغزالي لا تزال الآن تنقسم بسهولة والوضوح والقوة : لقد أخفقت أيها العقليون والدليل على إخفاقكم اختلافكم المستمر ، هذا الاختلاف الذي أصبح وكأنه القاعدة والمبدأ العام .

وإذا أردنا في النهاية تقدير مدى الآثار التي كانت ولا تزال ثمرة لفكرة الإمام الغزالي هذه فإن خير ما نفعل فيما يتعلق بذلك ، وخير ما ننظم به هذه الكلمة هو أن ننقل رأي الدكتور محمد إقبال ، وهو رأي يتسم بالرصافة والعمق : يقول محمد إقبال في كتابه « تجديد التفكير الديني في الإسلام » :

على أنه لا سبيل إلى إنكار أن الدعوة التي نهض لها الغزالي تكاد تكون دعوة للنبشير بمبدأ جديد ، مثلها في ذلك مثل الدعوة التي قام بها « كانت » ، في ألمانيا في القرن الثالث عشر :

ففي ألمانيا ظهر المذهب العقلي لأول عهده حليفاً للدين ، ولكن سرعان ما تبين أن جانب العقيدة من الدين لا يمكن البرهنة عليه حسيًا

دراسة عن علي مبارك

للاستاذ محمود الشرقاوى

تتميز بعلم الدين :

أما صاحب الاسم ، وصاحب الرحلة المتخيلة ، فهو صبي من قرى مصر . كان أبوه رجلاً من فقهاء الريف يؤم الناس في صلاتهم ، ويعلم أطفالهم كتاب الله ، وهو رجل قتي صالح ، رزقه الله ، على الكبر ، ولد أسماه « علم الدين » عسى أن يجعله الله من أعلام العلماء المجتهدين . ثم علمه ورباه في « كتابه » حفظ القرآن وبعض ملخصات العلوم اليسيرة — المتنون — وعلمه مبادئ بعض الفنون أيضاً . فلما ظهرت على علم الدين دلائل النجابة والفهم أرسله أبوه إلى الأزهر حيث العلم والفضائل والبركات : وبعث الشيخ مع فتاه شيئاً من الزاد يسيراً ، ومكتوباً إلى صديق له من التجار يوصيه به ، وقبل أن ينطلق الفق من قريته وصاه أبوه بطاعة شيوخه ، والعكوف على العلم والتحصيل ، واجتناب المناهى وأما كن المسلاهى . وأن يصحب في كل وقته ، أهل الصلاح . ثم أراد الشيخ أن يفصل لفتاه وظائف طالب العلم وما يلزمه من الآداب التى يتوقف عليها كمال

الوصول إلى المطلوب ، والحصول على تمام المرغوب ، فأجل له ذلك فى عشر وصايا ، من المثابرة والصبر وتقويم النفس والتجربة للعلم والتواضع والبعد عن التفاخر والمباهاة ، ونحو ذلك .

فلما أتم وصية ولده ، دعا أمه العجوز العمياء ، وجمع أهله فتحدث لىها ولهم عن عزمه ، ورفعت الأم رأسها إلى السماء تدعو لولدها بالسلاح والسلامة والعودة ، ثم أنزل الفتى إلى سفينة من تلك التى تسير فى النيل إلى القاهرة ، فسارت به على بركة الله . ثم يتنقل بعد ذلك فى فصول ، يسميها المسامرات ، يتنقل مع هذا الفتى الربى حيثما سار ، بصور أحاسيسه وهو على ظهر هذه السفينة الصغيرة القلقة ، أوفى جـ وفها . وحزنه على فراق أهل ، وإشفاقه من هذه السفينة وما سياتى من القاهرة ، وهو لا يعرف عنها ولاهن أهاناً شيئاً ، حتى يتعرف لى رفيق له شيخ يركب معه السفينة ويعرف عن القاهرة وأهلها وعن الأزهر وعلماؤه شيئاً كثيراً يتحدث به لى الفتى ، فيفارقه ما كان يجد من إشفاق وخوف .

هي ، وكان عجيباً ، خيفاً بعض الشيء ، أن يركب هذا المركب من الحديد فيسير به سريعاً حتى يسأله صديقه الانجليزي : ماذا ترى ؟ فيقول الشيخ : أرى أن الأرض تطوى كطي السجل للكتب ، وهذه العربات بما عليها كما قال الله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » . وهذا الدخان قد انتشر في الجو كالسحاب إذا انفطرت ، وتطير الشرر في الهواء كالنجوم إذا انتثرت ، وكثرة الزحام كالحلقات إذا حشرت وقد فذشت أوراق المسافرين - تذاكر السفر - كالصحف إذا نشرت ، فتذكرت بهذه الأحوال أهوال القيامة .

ثم يتطرق الشيخ وصديقه إلى حديث طويل يفصل فيه الانجليزي للشيخ كيف يسير البخار هذا القطار ، وكيف ومتى عرف الناس في أوروبا هذه النظرية واخترعوا هذه السكك الحديدية وما تم منها في بلاد الغرب والشرق وكما حملت من الناس والأنعام والبضائع ، وما أفادت منها البلاد التي أنشأتها ، والشركات التي قامت على إنشائها ، وطال منه هذا الحديث في النظريات العلمية والأرقام ، والشيخ يستزيده ويشاركه في ذلك مشاركة الذي يعرف من ذلك شيئاً غير قليل .

حتى وقف بهم القطار في طنطا فيحدث الشيخ صديقه الانجليزي عن أصل هذه التسمية

ويظل الفتى في الأزهر سنين يبدي في قليل منها كثيراً من التفوق ويحفظ غير قليل من العلم في فنونه المختلفة المتباينة حتى يجيئه نبأ موت أبويه فيعود إلى قريته ثم يرجع إلى الأزهر وقد أحضر معه شقيقات له ثلاث . وباع في قريته ما خلفه أبوه له ولهن ، وكان حمارة واحدة وبعض أعنز وآنية من الفخار وشيئاً يسيراً من الأثاث ، تلقى في ذلك كله ثمناً أوبع جنهات .

ثم تزوج الفتى ، وقد صار شاباً ، تزوج فتاة اسمها « تقيّة » ، وظلت تقيّة هذه ، بعد أن أنجبت له ، تشجعه وتدفعه لأن يقتحم في الحياة الواسعة ويخرج من الحدود للضيقة التي وضع نفسه فيها بالتزامه علوم الأزهر ويجلس علمائه ، ظلت زوجته تقيّة تدفعه وتشجعه حتى ألقت إليه المقادير برجل انجليزي قدم مصر ليدرس فيها علوم اللغة وليطبع فيها كتاباً أعجبه هو لسان العرب ، فيحصل الشيخ حياته بحياة هذا الانجليزي ويلتصق به حتى يسافر معه إلى أوروبا ، وقد صحب معه ابنه برهان الدين .

ومندركب الشيخ وابنه القطار ، لأول مرة ، طفق يسأل صديقه الانجليزي عن كل شيء سأله لماذا يدق الجرس ثلاث مرات قبل أن يبدأ القطار سيره ، وسأله عن المتر والسنتيمتر والكيلوجرام والجرام ، أي شيء

المعرفة باللغة العربية (١) فهو يرينا إياه في حديث القطار هذا عالماً بهذه اللغة علماً واسعاً عميقاً . نراه يتحدث إلى صديقه علم الدين في هذا البيت من الشعر لابن عبيد :

وقدر كرال الصّحّاحان وثيّسة

أنخت لها ، بعد الهدوء ، الأثافيا

ويروى للشيخ من محفوظه هذا الشعر :

وقدر كشل الفيل في القدر ، أشرفت

على منصب كالفيل في دست منصب

ويروى من حفظه :

وقدر جماع كليفاع دميعة

زوازية سوداء غير صلود

ثم يتحدث إلى الشيخ في معاني هذه الزبوزية

أو الزوازية ، ثم في الطنجرة والدمام ،

والبرمة ، والهيطة ، والزازية ، والملكية ،

وغير ذلك . ويتحدث إلى الشيخ أو يستمع

منه وهو يروى هذا الشعر ، لامرئ القيس

يصف به فرسا :

على القصب جياش ، كأن اهتزامه

إذا جاش فيه حميه ، غلى مرجل

وهذا الشعر :

رأيت قدور الصاد حول بيوتنا

قنابل دهما في المحلة صبا

يتحدث الشيخ والانجليزى في هذا ومثله

في اللغة المصرية القديمة ، وأنها كانت «طنطا»
أو «طندتا» ، ثم حشرت إلى طنطا ، بل
نجد عند ذلك ، الشيخ يحدث صديقه عن كل
شئ ، ويكاد يعرف كل شئ ، فهو يحدثه
بعد ذلك عن السيد البدوى ومنشئه وحياته
وموته ومولده ، كما يحدثه عن أعياد مصر
المسيحية قبل الإسلام وبعده .

ولو أن الشيخ تحدث هذا الحديث بعد
عودته من أوروبا ، وبعد أن تعلم من رحلته فيها
شيئا كثيراً ، لكان حديثه عندئذ يمكننا
أو معقولاً ولكن على مبارك ، على ما أعتقد ،
وضع على لسان الشيخ هذا الحديث ليكمل
الحوار مشاركته بينه وبين صديقه الانجليزى ،
فيخرج بذلك من الإملال ، ويجدد نشاط
القارئ قبل أن يبلغ به الفتور .

وفي هذا الحديث الذى جرى بين علم الدين
وصديقه الانجليزى وهما فى طريقهما بين
القاهرة والإسكندرية ، نجد فوائد لغوية
كثيرة . كالبحث فى كلمة « واور » وهما
يتحدثان عن سكة الحديد ، وكلمة دست
ومعانيها الخمسة عشر ، وكلمة « قدر » وأيهما
عربى وأيهما فارسى . وإلى هذه الفوائد
بحوث أخرى فى اللغة ، ونوادير من الشعر
والأثر والأمثال . ومع أنه يجعل هذا
الانجليزى يصف نفسه بأنه قليل الحفظ من

أعماق البحار وتياراتها الحارة والباردة ، وعن المد والجزر ، وأثر القمر والكواكب فيها وعن الأمواج وارتفاعها وطرقها وسرعتها . وما في قاع البحار من الغابات الواسعة الوديان المظمتة والجبال الشاهقة والبراري الهائلة والصخور والمغارات والأعشاب ، والحيوان والمعدن وما إلى ذلك من شيء كثير عجيب . فإذا ركبنا البحر وبانت لعيونهما أضواء بركان إتنا في جزيرة صقلية أو سيلسيا ، كما يسميها ، تحدنا عن البراكين وآثارها ، وتكوينها وميقاتها وبرودتها . وأسبابها ، وعددها ، وأما كن وجودها على سطح الأرض كلها ، ما طفي منها وما يزال ملتبها .

الشرق ومضارة الغرب :

ومن الأمور التي يبدو أن علي مبارك قصد إليها من هذا الكتاب ، تعريف الحضارة الغربية إلى أهل الشرق . فنحن نراه في هذا الكتاب يبسط شيئاً كثيراً من تاريخ الحضارة ومقوماتها ويتحدث بشيء كثير من الإفاضة عن هذه الأسباب التي رفعت حياة الغربيين ودفعتهم دفعاً إلى هذه الرفعة والعزة والمنزلة التي بلغوها دون الشرقيين ، وجعلت لهم على هذه الأرض وعلى أهلها السيادة ، يتحدث عن علوم الغرب وعن حرص أهله على المعرفة

عما نجد عند ابن سيدة وسيبويه وابن دريد وابن جني وغيرهم من أصحاب كتب اللغة وأصولها وأمها التي لا يفهمها أولاً يقتحمها إلا الراسخون في علم هذه اللغة .

وفي هذا الحديث يسمى علي مبارك « رأس الرجاء الصالح » باسم آخر هو « رأس العمم » . ويعرف الشيخ صديقه الانجليزي ، عنه الحديث عن رياح البحر ، أن الرياح لها في اللغة العربية كثير من الأسماء ، تختلف باختلاف أحوالها ومظاهرها وآثارها . فهي العواصف ، والقوقع ، والحواسك (١) والبوراح ، والبشرات ، التي تبشر بالمطر ، والمعصرات ، أي التي تهجم مع المطر ، والأعاصير ، والسوافي ، ومنها كذلك الريد والريانة ، أي اللينة ، والرخاء ، والحنون ، التي لها صوت كحنين الإبل ، والناخفة والسبج والصهوج ، وكلها تعني تلك الرياح التي تبدأ شديدة ، والزفرات التي لها صوت شديد . والحاصب التي تحمل الحصباء ، أي الحصى . والهبة ، والهوجاء ، والصرصر ، والحرور ، والسعوم . إلى آخر هذه الأسماء التي نجدتها في فقه اللغة وأشباهاه .

يتحدث الشيخ إلى صديقه الانجليزي هذا الحديث ، ويحدثه صديقه الانجليزي عن

[١] الريح المختلفة الشديدة .

وبذلهم وكفاحهم ليعرفوا ويتعلموا ويسبحوا
في كل ركن من أركان هذه الأرض .

وهو إلى تعريفه حضارة الغرب إلى أهل
الشرق ، وما يبدو واضحاً جلياً من تحريضهم
على أن ينجحوا هذا النهج ويسلكوا هذا
السبيل ، ليصلوا إلى ما وصل إليه الغربيون ،
هو إلى ذلك يعرف أهل الشرق بثقافة الغرب
وقنونه . فهو يجعل السائح الإنجليزي يتحدث
عن « النياتر » الأوربي . ويجعل الشيخ يسأله
ويصغى إلى حديثه ذلك عن المسرح وتاريخه
ونظمه ومكانته في الحياة الأوربية وغاية
الغربيين منه وإفادتهم من عبره ودروسه
وحرصهم عليه وبذلهم في سبيله المال الكثير
وتعلقهم به وحرصهم على شهوده . وهو في
ذلك أيضاً يحرض أهل الشرق على اقتباس هذه
الثقافة ودراسة فنونها والتأثر بها واتخاذها
سبيلاً إلى التقدم والمعرفة وتهذيب الآذواق ،
كما يفعل الأوروبيون . وهو يؤمن بأن ما كان
يعرفه المصريون أو الشرقيون من أنواع
التمثيل ، مثل « خيال الظل » وما يشبهه ، هو
سخف لا ذوق فيه ولا معرفة ولا تهذيب .
ويؤمن بأن المسرح الأوربي كله فن وذوق
ومعرفة وتهذيب . ولا يرى بأساً من أن
يصور هذا المسرح « طوفان نوح » و « يوم
القيامة » ولا يرى الشيخ بأساً في ذلك أيضاً
ولا يرى أى بأس ، من الناحية الدينية ،

في أن يشهد للناس التمثيل . بل يراه خادماً
للشريعة « التي تأمر بالمعروف وتنهى عن الشر » .

علوم ومعارف سنّي :

يسير على مبارك في كتابه هذا « علم الدين »
على نهج المعلم ، فهو إذا انتهى من حديثه
ذاك عن المسرح الأوربي ، أخذ يتحدث عن
البلاد التي ينزلها مع صديقه الشيخ وابنه ،
هذه مرسيليا ، فهو يذكر تاريخها القديم وما
مر بها من الأحداث والتطورات حتى انتهى
بها الأمر إلى ما هي عليه عند ما نزلوا بها ،
فإذا انتهى من حديث مرسيليا انتقل إلى
المدينة التي تقابلها على البحر الأبيض المتوسط ،
مدينة الإسكندرية ، فذكر تاريخها أيضاً
وشيثاً من تاريخ مصر القديمة ، ودخولها
تحت حكم الفرس واليونان ، بفتح الإسكندر
لها ، واستطرد إلى ما بعث به الإسكندر
من رسائل إلى أستاذه أرسطاطاليس ، وما
كان من الحرب بين الإسكندر ودارا . وهو
في حديثه عن تاريخ هذه البلاد يذكر مصرام
ابن بيسر بن حام بن نوح ، وإخوته فارق ،
وماج ، وياج ، ونحو هذه الأسماء ، كأنها
حقيقة من حقائق التاريخ . ويروي بعد
ذلك قصة الزبكاء وما فعله جديمة بأبيها
وملكه . وما أثارت به هي لأبيها ومملكه
من جديمة ، وما تحيّل به عليها قصير الذي

في ذلك عن ابن الرقعة، والسروجي والسيوطي والمقريزي وعبد القادر الصوفي، ويستطرد إلى ذكر الحبة والخردلة واللقيراط، وعسلة الرومان والفرس التي كان يتعامل بها المسلمون في الصدر الأول حتى ضرب عيسد الملك بن مروان أول درهم إسلامي.

وهكذا نجد علي مبارك في كتابه علم الدين ينتقل من علم إلى علم ومن فن إلى غيره، ومن خبر إلى ما يتصل به أو يلاسه أو يحمره إليه السياق والحديث والمناسبة، وهذا المثل عن الدرهم والمثقال واللؤلؤ والمرجان، نستطيع أن نطبقه على جميع ما يتحدث به الشيخ علم الدين وأصدقائه، وفي جميع ما يتناوله هذا الكتاب، ولكنه يجمع إلى العلم القديم، من اللغة والفقه والتاريخ، شيئاً كثيراً من العلم الحديث، وما كشفه العلم الغربي من حقائق شتى ومن نظريات وآراء. كما نجد له أحاديث شتى، فيها من الإفادة والتشويق شيء كثير، عن طبائع الحيوان والحشرات، وحياتها وما أودعها الله من حكم وأمرار، ومنها حديث طويل شيق عن طبائع النمل وفصائله وأنواعه ونظم حياته ومعيشته.

وليس كتاب علم الدين كتاب سياحة وتاريخ وعلم مدني فقط. بل فيه شيء غير قليل من العلوم الدينية أو الشرعية أيضاً. فهو يتحدث

جده أنفه ليأخذ منها ثار مولاه جديمة، إلى آخر هذا الحديث الذي نعرفه من التاريخ العربي القديم.

لا نستطيع، كما ذكرنا، أن نقول إن «علم الدين» كتاب في الأدب أو في التاريخ أو في علوم اللغة أو الشريعة. ولكنه كتاب جمع بين طرف من هذه الأشياء جميعاً، وضم إليها أطرافاً أخرى كثيرة في شتى المعارف والعلوم، ومن مختلف الثقافات والأزمنة وعن جميع الأمم. هو «كشكول» ينتقل فيه الحديث بين السائح الإنجليزي وصديقه الشيخ وابنه الشيخ الصغير، ورفيقهما يعقوب، ينتقل الحديث بينهم جميعاً أو بين بعضهم وبعض في فنون شتى، ويجمع طرائف هذه. فبينما نجد يتحدث عن اللؤلؤ والمرجان والأسماك وأشياء ذلك مما يعيش أو يوجد في الماء، إذا به ينتقل إلى مسامرة أخرى يتحدث فيها عن كلبة «الدينار»، من أين جاءت في اللغة العربية، وقيمة هذه العملة النقدية عند العرب. ثم ينتقل من ذلك إلى النصاب الشرعي في الزكاة، ثم إلى «المثقال» وقيمته وما صنع به عمر، وهو في هذا وذاك ينقل عن صاحب القاموس إذا تحدث في اللغة، وعن الطحطاوي في شرحه على حاشية الدرر، والذهبي الشافعي المصري إذا تحدث في الفقه، ثم يعود بحديث الدرهم إلى عهد اليونان فينقل

إمتاعا ولا إفادة عن أحاديثه تلك . فهو بذلك ، في قصة يعقوب أيضا ، يعود إلى حديث العلم والأحياء .

ومن أجل وأجود ما كتب على مبارك في «علم الدين» حديثه عن الرق في إفريقيا^(١) وعن تجارة الأوربيين في الرقيق ، فهو في هذا الحديث لإنسان متحضر مرهف الحس .

يسخط أشد السخط على هذه التجارة التعسة المذلة ، وهو إلى هذه العاطفة الكريمة يورد بعض الإحصاءات الهامة ، فهو يقول: إن ما نقل من العبيد لبيع في أوروبا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وإن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقي واحد هو ساحل الذهب . وفي سنة واحدة ، هي سنة ١٨٢٢ وإن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفا . ويقول إن عدد العبيد في إفريقيا يبلغ ضعف عدد الأحرار فيها . وإن كنت أعنته أنه من العسير أن يحدد الإنسان أرقاما دقيقة يثق بصديقها وصحتها عن هذه القارة ، وفي القرن التاسع عشر بخاصة . وكذلك من أجل الأحاديث وأجودها حديثه عن عادات الإفريقيين السود .

آداب الحياة الأوروبية :

وليس ذلك كله هو ما نجده في «علم الدين» فقط من ألوان الثقافة والمعرفة المختلفة

عن الخروحة تحريمها في الإسلام ، وما نزل فيها من الآيات ، وعن الميسر والأنصاب والأزلام . وعن أحكام الفقهاء في لعب الشطرنج والفرد ، وأشباه ذلك من حديث الدين . إلى جانب أحاديثه العلمية عن النمل والسماك والمحار والدودع واللؤلؤ والأحياء المائية الكثيرة المختلفة .

فإذا أراد أن ينقل الحديث من التاريخ والأحياء والعلوم والشريعة . أطلق «يعقوب» ، صديق الشيخ ورفيقه ، بقصة شيقة رحل فيها للتجارة مرة بعد مرة ، حتى غرقت به السفينة هو ورفقاؤه في رحلة من هذه الرحلات . ونجا وحده ليجه نفسه في أرض لا يعرفها ولا يعرف أهلها ولا لغتهم . وهي قصة تذكرنا برحلات روبنسن كروزو وجلفر . وكان القوم الذين أقام بينهم يعقوب قوم سود يصرف منهم يعقوب صيد الفيلة ويتحدث عن حياتها وطبائعها حديثا مفيدا شيقا . كما يتحدث عن الذهب وموطنه في هذه البلاد واشتغال الناس فيها بجمعه واستخلاصه من الرمال والماء ومبادلته بالملح والخرز والسلع الفاخرة التي هي عندهم أغلى وأحلى من الذهب . ويتحدث عن الأسود والنمر وابن آوى وغير ذلك من حيوانات إفريقيا . ثم يتحدث عن طبائع هؤلاء القوم وعاداتهم ودياناتهم أيضاً حديثا لا يقل

يعيشون فيها ويلتزمون بها إزاء الغرب — وهو اتجاه كان واضحاً قوياً منذ سيطر محمد علي على مقادير مصر — وفي « علم الدين » فهم جيد مستنير للإسلام والقرآن . ومعرفة وافية بعلوم الدين والتفسير .

وهكذا ينتقل على مبارك بالشيخ علم الدين وابنه وصديقهما الانجليزي ورفقتهم ، من حديث إلى حديث . حتى ينتهي بهم إلى المسامرة الخامسة والعشرين بعد المائة . فنجد أنفسنا قد انتهينا من قراءة مجلدات أربعة ضخام . جمعت كثيراً جداً من ألوان المعرفة . وأنواعاً مختلفة كثيرة جداً من العلم القديم والجديد . ومن التاريخ والقصص واللغة والشريعة والشعر والحياة والطبيعة . وهذه المجلدات الأربعة السكبار ، مع هذا كله ، لا تملأنا ، ولا تزهدنا في القراءة والمتابعة . بل نجد فيها . تشويقاً كثيراً ويسراً ولذة وترغيباً في أن نستمع إلى حديث هؤلاء الجماعة المؤلفة من الأصدقاء .

محمود الشرفاوى

المنووعة الشيعة . فقد أورد فيه علي مبارك ، على لسان السائح الانجليزي ، أو يعقوب ، كثيراً من آداب الحياة الاجتماعية ، كما يلتزمها الأوروبيون . وساق ذلك مساقاً لطيفاً لبقاً في أحاديث هذين للصديقين مع الشيخ وابنه . ولكن القارى يدرك أنه لم يقصد فقط إلى ذكر هذه العادات والآداب التي يحرص الأوروبيون على التزامها حرصاً شديداً . بل قصد أيضاً إلى أن يحثي بهم الشيخان الشريكان في ذلك . وهي عادات وآداب يلتزمها الأوروبيون في حركتهم وحياتهم ونظافتهم وملبسهم وخطاب بعضهم لبعض . نعرفها نحن الآن ونعجب بها ، ولكن كثيرين منا ، مع إعجابهم هذا ، لا يلتزمون بها . بل نستطيع أن نقول ، إن على مبارك يدعو الشرقيين في « علم الدين » دعوة واضحة قوية لفهم الحياة الأوروبية والاقتباس منها والاقتداء بالغرب فيها . والاخذ بأسباب الحضارة الغربية ونمط الحياة التي يحياها أهلها . ويدعوهم أيضاً للخروج من العزلة التي

قال الحسن البصري : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإن عرض له القول نظر فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القول أمسك ، ولسان الأحمق وراء قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه أو له .

المعرفة الصوفية عند ابن سينا

للدكتور محمد غلاب

الصوفية الحقيقية هي التي تنهى بصاحبها إلى معرفة الباري جل وعلا معرفة رفيعة لا نظير لها ، ولكنها ليست عقلية عن طريق الأقيسة المنطقية ، بل عن طريق النور الذي ينعكس في مرآة النفس .

بيد أنه لكي يفهم الباحث هذه الفكرة من أفكار ابن سينا ، يجب عليه أن يتتبع - ولو في تبسط واختصار شديدين - كيف يتمثل هذا الفيلسوف عملية إنتاج المعرفة في العقل البشري الدارج . لأننا عن طريق هذه الوسيلة ، سنرى كيف أن المعرفة الصوفية قد صارت عنده بمثابة مرتبة الكمال لتلك المعرفة العقلية وأنها بالتالي لا يمكن انفصالها عن تعاليمه الفلسفية التي تعتبر المعرفة الصوفية تاجاً متمماً لكمالها .

يرى ابن سينا أن العقل البشري هو قوة قابلة منفعلة تتلقى العون على المعرفة من سواها ، وأنها وحدها غير قادرة على تحصيل المعرفة المجردة ، وأنها تتلقى هذا العون الضروري من لدن العقل المضىء أو الملهم أو الفعال أو المفارق الذي هو واحد بالقياس إلى جميع

مس ابن سينا التصوف في بضع رسائل من مؤلفاته مسا يتفاوت خفة وعمقا ، ووضوحا وغموضا بتفاوت الأحوال والظروف التي ألف فيها تلك الرسائل ، فجعل يحدنا عن المعرفة البشرية ، وعن طبيعة النفس وعلاقتها بالمال الأعلى ، ومصيرها في الحياة الآخرة . وهذه الرسائل كلها لا تعالج إلا نتائج المعارف الصوفية والثرات الناجمة عن تلك المعارف التي هي مقصورة على من كشفت عنهم الحجب ، وتمزقت دونهم الأستار ، ولكنها لا تعرض لكيفية الوصول إلى المعرفة ولا المراحل الحصول عليها . يضاف إلى ذلك أن كثيراً من هذه الرسائل قد فقدت . ولهذا سوف لا نقف عندها ، بل سنجتازها إلى كتاب الإشارات الذي بسط فيه هذه المراحل وتلك الدرجات فنقف بك عنده وقفة بسط وتفصيل كافيين لإعطائك فكرة - ولو إجمالية - عن هذا الجانب الهام من إنتاج الشيخ الرئيس .

صدر ابن سينا في مذهبه الصوفي عن مبدأ المعرفة الإلهية : فتمرر بدياً أن الطريقة

هي كل لا يتجزأ ، وهي لهذا لا تنقسم من حيث الجواهر ، وإنما التعدد والانقسام عارضان لها ، ويطلق الشيخ الرئيس على هذه الوحدة العقلية أو على مجموعة العقول التي لم تتعدد إلا عرضاً اسم « العقل العام » .

وعنده أن النفس البشرية — في جميع حالات المعرفة العقلية العادية — لا تكون على اتصال إلا بالعقل الفعال . غير أن هذا الاتصال يظل ناقصاً ، لأن النفس البشرية لا تزال مرتبطة بروابط المادة . مثقلة بغواشي الحس ، وحسبها أن تتخلص من هذا كله ليكون الاتصال كاملاً ، فإذا فعلت تغلغل في العالم العقلي كله ، وكشفت عنها حجبها ، وتمزقت دونها أستارها ، وطلع عليها نهاره ، وحين ذاك تحيا هذه النفس حياة العالم العقلي النقي ، وتتلقى مثله إشعاع النور الذي هو منبع كل نور ، وهو الصادر عن الموجود الأول الذي هو الكامل من كل وجه ، الواحد من كل وجه . والذي عنه انبثق كل ما عداه ، وهو المستغنى عن كل ما عداه .

تلك هي المعرفة العليا أو المعرفة الإلهية أو عرفان الحق عند ابن سينا ، ومنها يتضح اتصاحاً تاماً أنه لا يوجد فرق عند هذا الفيلسوف بين أسس المعرفة الفلسفية والمعرفة الصوفية ، وأن للنفس في الحالتين منفعة

النفوس البشرية ، وهو ما يدعو ابن سينا براهب الصور ، وهو الجوهر العقل النقي ، أو هو العقل المفارق المنبثق عن البارئ . وإذن فمن هذا العقل المفارق ، انبثق عالمنا بما فيه من النفوس والعقول البشرية التي هي مشخصة بواسطة أجسامها ، ولكن هذه النفوس وتلك العقول البشرية تظل غير قابلة للفساد من حيث مبدئها وطبيعتها . وهذا يستلزم أنها — حين تكون مشخصة في الأبدان — يجب أن تتعلم كيف تتخلص من المحسسات الدائرة القابلة للفناء ، لكي تعود إلى طبيعتها الحقيقية أو إلى حياتها الصحيحة التي هي من نوع عقلي محض .

ولا ريب أن كل معرفة عقلية في هذا الصدد تكون وسيلة للوصول إلى تلك الغاية ، لأن المعرفة العقلية هي دائماً نور مسكوب في النفوس الإنسانية بواسطة العقل المفارق المنير أو الملهم . وعن هذا الطريق ذاته تتعلم النفس للتغلغل في منزلة الاتصال بالعقل الفعال ، مختارة في هذا الشأن درجات عدة تتفاوت كمالها ، وفوق ذلك أن العقل الفعال هو من نفس الطبيعة التي منها العقول الأخرى المفارقة ، فإذا كانت النفس البشرية في اتصال تام مع العقل الفعال استطاعت أن تغلغل ، بسبب هذا الاتصال ذاته ، في العالم العقلي كله ، لأن ابن سينا يحددنا أن العقول المفارقة

ولقد أمعن الشيخ الرئيس في احترام توحيد غاية العرفان إلى حد أن أعلن أن من قصد في معرفته لله غاية أخرى — ولو كانت هي المعرفة ذاتها — كان كأنه قد ثنى أو أشرك بالبارى ، وهو في هذا يقول : د من طلب العرفان للعرفان فقد قال بالثاني .

ومهما يكن من الأمر فإن المراحل التي يجب أن تتجاوزها النفس لتتاقى الإشعاع الإلهي تبتدىء عنده كما عند الفارابي : د بمرحلة الإرادة ، إذ أن المرشد يشرح في اتجاهه نحو ربه ، بالإرادة الشخصية التي لا بد من أن تنبع إما من عقيدة دينية صادقة صادرة عن إيمان راسخ ، وإما عن معرفة فلسفية وصلت إلى الحق الأسمى إذ أن العقيدة والمعرفة كلتيهما تدفعان صاحبهما إلى السير في سبيل الكمال والتقدم نحو المثل الأعلى .

وبعد الإرادة يصل المرشد إلى المرحلة الثانية ، أي د مرحلة الرياضة ، ولها ثلاث غايات : أولاها تخليص النفس من علاقتها بكل الدوائر الفانية ، أو نبذ كل ما يشغل عن البارى . وهذا ينال بالزهد ، والغاية الثانية هي تطويع النفس للأمانة بالسوء للنفس المطمئنة ، ، ونتيجة هذا هي العمل على تنمية قواه الداخلية مستعينا في ذلك بأوامر الدين وإقامة شعائره حسب الكتاب والسنة ، وتلك هي مهمة العابد ، ومآله تلك

متلقية أنوار العالم العقلى ، غاية ما هنالك أن التلقى في حالة التصوف أقوى وأكمل منه في حالة التأمل الفلسفى ، وإليك بيان هذا التلقى أو ذلك الاتصال .

مراحل العرفان :

تبع في مسلكه الصوفى إلى المعرفة العليا ، طريقة صعودية ذات مراحل ومنازل تبتدىء ثانیة على أثر انتهاء أولها كأنها حلقات سلسلة رأسية صاعدة في نظام وانسجام . ويمتاز بهض مراتبها على البعض الآخر بمقدار بعدها عن الحسيات وتقدمها في العالم العقلى . ويلاحظ الناظر في المعرفة الصوفية عند ابن سينا أنها منذ المرحلتين الأولى والثانية تبدأ النفس تتقدم نحو المجردات بخطوات واسعة بواسطة تطهر خلقي وعقلى مزدوج . وقبل أن يشرع في صعود سلم هذه المراحل الأولية أخذ يفرق بين الزاهد والعابد والعارف ، فقرر أن الزاهد هو من يتخلى عن لذائذ الحياة الدنيا ، وأن العابد هو من يقوم بطاعة الله وعبادته وتنفيذ تعاليم الكتاب والسنة وأن العارف هو من يتجه نحو البارى قصد عرفانه لذاته خصب . وأولى ميزاته أنه لا يرمى من وراء معرفته إلى أى هدف آخر سوى هذه المعرفة .

المرحلة الثالثة وهي مرحلة الحد ، وفيها تكون النفس قد أعدت تمام الإعداد لتلقى أول الأنوار المعنوية وطلبة الإلهامات العلوية وهي تبدو أول الأمر خلسات كأنها ومضات تعقبها ظلمات ، ثم يعود الومض سيرته ويستأنف الظلام أوبته ، وتظل الحال على هذا المنوال إيابا وذهابا وظهورا وخفوتا متعاقبين دواليك حتى يقبل الأمر ، ويتحول الشأن .

غير أن هذه اللحظات المقدسية ، ونلك الانفجارات الربانية - وإن كانت تبدو حائلة متحولة - لا تذهب عبثا ولا تضع هباء بل إن النفس تستفيد من كل ومضة ، وتسترشد بكل إشعاع ، فيتمكن لديها من الضوء الخالد ما يجعلها قينة بأن تساهم في ذلك النور الإشعاعي وتلك المجردات التي تفيض من الموجود الأول ثم تتدلى في انسجام واتساق حتى تعمّر ذلك السكّان المتواضع المتطلع إلى الفيض الاسمي الذي هو بغيته المرموقة ، وغايته الموموقة .

على أن هذا المتطلع إلى رضوان ربه لا يكون في هذه الحالة ظافرا بالسكنة القلبية ولا فائزا بالسلام النفسي ، وهو لهذا يظل في شوق يعذبه ، وهيام يضنيه حتى يصير أهلا للرحلة الرابعة ، وهي مرحلة السكنة ، التي تنزل على قلبه ، فتحول قلقه هدوءا ،

الغايات : هي نصفية الجانب الباطني من النفس ، أي السر ، وجعله - بوساطة التأمل والطهر والعفاف والميول النقية - جديرا باليقظة الدائمة ، والتنبه الحازم المتن .

ولا ريب أن ابن سينا في هاتين المرحلتين الإعداديتين متأثرا تارة بالمعاني الإسلامية المحضة . وأخرى بمن سبقوه من صوفية المسلمين ، وثالثة بالتأسيات الأفلوطينية ، التي أثرت فيه عن طريق الفارابي من جهة ، وعن طريق كتابي « ربوبية أرسطو » و« التفاحة » اللذين عزيا زيفا إلى غير مؤلفيهما الحقيقيين وهما مفعان بآراء متأخرى الأفلاطونية الحديثة ، واللذين كانا من أهم أسباب الأخطاء للفادحة التي وقع فيها فلاسفة المسلمين ومؤرخو الحركة العقلية العربية .

وعندما تمكن النفس من امتلاك قواها والتغلب على العلائق الحسية على هذا النحو الذي أشرنا إليه ، فإنها تستطيع أن تلقى بذاتها صوب العالم العقلي . ولا جرم أن المراحل الآتية ستصور لنا تلك الترقيات الناشئة عن الإلهامات المتلقاة بعد مرحلتى الإعداد السالفين اللتين يسترتا لها الانفلات من ربكة المادة وقيود الشهوات . وينبغي أن نعلم أن ذلك التصوير هو من وجهة نظر النفس البشرية لا من وجهة نظر العالم الأعلى .

الذى لا بد له فيه من المعرفة ، والذى لا تملك فيه إرادته إلا أن تعرف ولا تستطيع أن تعدل عن أن تعرف ، كما كانت الحالة في المرحلة السابقة ، بل إن تلقى المعرفة في هذه الحالة يصبح هو الحالة الثابتة الدائمة التى لا تتخلف ولا تفتقر عن الصوفى . ومنشأ ذلك أن السر الباطنى للنفس قد صنى وأضنى شديدا بمرآة مصقولة متجه نحو الحق الأول الذى منح كل حق وجوده إذا أمكن أن يتجه نحوه متجه وذلك لا يمكن قطعا إلا تصويرا للعقول ، وترويضاً للنفوس على قبول هذه العبارات وتسهيلاً على الأذهان ، فهمها واستقسانها ، لأن الله ليس فى جهة حتى يتجه إليه .

على أن هذا الحد الثباتى هو ذاته مؤلف من مرتبتين ، فى المرتبة الأولى يكون الصوفى موزعا بين حالتين ، إذ هو ينظر تارة إلى نفسه التى هى المرأة ، وأخرى ينظر إلى انعكاس النور الإلهى الأبر على صفحة هذه المرأة . وفى المرتبة الثانية ينصرف الصوفى عن كل شئ حتى عن نفسه ، بل عن مر نفسه الأعلى ، ولا ينظر إلا إلى انعكاس أنوار الجلال الإلهى ، وفى هذه النظرات الثابتة الدائمة الفانية يتحقق « الوصول » الذى يحقق معه - عن غير قصد ولا إرادة ولا طلب - أسى قم السعادة .

الدكتور محمد غمرب

وتبدل عذابه راحة وسعادة ، ولكن هذه السكينة لا تدموم دواما غير منقطع ، نعم إن لحظات النور فيها أطول مدى وأعق إشعاعا بيد أنه ، كما يغمر المتصوف طولها فى السرور والحبور ، كذلك يغمسه انقطاعها عنه فى الحزن والانقباض حتى تعود ، وبالإجمال : هى لا تزال فى هذه المرحلة سكينة نسبية لأن النفس أثناء هذه المرحلة لا تزال فى حالة سلبية خاضعة لما تنفضل به عليها السماء من تقدم ورضوان ، وإجادة وإحسان وفيض بالعرفان : « رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير » . ولكن الصوفى لا يلبث أن يرقى فى سلسلة السمو حتى يصير جديراً بالانخراط فى سلك المرحلة الخامسة ، وهى « مرحلة الملكة » التى تصل فيها النفس البشرية إلى منزلة الاتصال بالعالم المجرد ، أو بالعقول المفارقة أو بالعقل العام ، وإذ ذاك تأخذ فى الرقى درجة بعد درجة بصورة إيجابية لا سلبية كما كانت المرحلة السالفة ، ومعنى هذا أن ارتقاءها يكون إراديا أى كلما شاءت سميت ، ومتى أرادت ارتقت ، دون مانع ولا عائق ، وذلك لأن الففيض الربانى قد منحها السلطان الذى بفضله تستطيع أن تزيل من أمامها العقبات والذى به تملك أن تلتفت إلى العالم الأهل كلما عن لها ذلك .

وأخيرا يجب أن يجتاز الصوفى بالضرورة مرحلة الملكة ، وأن يصل إلى الحد الثباتى

السَّبْعَةُ الْأَحْرَفُ

التي أنزل عليها القرآن

للأستاذ محمد محمد الشراوى

قريش ، قال ابن حجر : ويمكن الجمع بين الروايات بأن يكون المراد بالأحرف تغير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك في سبع لغات ، وقال ابن عبد البر : أنكر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات . لما تقدم من اختلاف عمر وهشام ولغتهما واحدة . . وقالوا إنما المعنى سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم . .

ولم يعرف على وجه التحديد أية كلمات تلك التي نشب فيها الخلاف بين عمر وهشام وهو من القليل الذي ضل في غياهب التاريخ ، وقد اعترف بذلك ابن عبد البر حين قال : دأبه أعلم بما أنكر عمر على هشام ، وما قرأ به عمر . . فقد يمكن أن يكون هناك حروف أخرى لم تصل إلى ، وليس كل من قرأ بشيء نقل ذلك عنه ، ولكن إن فات من ذلك شيء فهو النذر اليسير . . أما ما كان من نهى عمر لابن مسعود عن القراءة ببلغة هذيل . فذلك حين يتصدى ابن مسعود لتعليم الناس القرآن

أرجح ما تطمئن إليه النفس في استعراضها للأدلة . حين تستغرق في بحث هذا الموضوع أن المراد من الأحرف السبعة هو تأدية المعنى الواحد ، للكلمة الواحدة من كلمات القرآن الكريم بسبعة ألفاظ مترادفة وإن اختلفت أسلوباً من خبر إلى إنشاء ، وذلك في دائرة محدودة من لغات مضر السبع على الراجح ، سواء كان ترادفها في لغة واحدة كما حدث لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضي الله عنهم — وهما من قريش ولغتهما واحدة حيث اختلفا في كلمات من سورة الفرقان . . قرأها هشام — وكان إماماً — بغير قراءة عمر وكان مأموماً له — فنصبر عمر إلى نهاية الصلاة ثم لبب هشاماً ، وقاده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . فلما استمع الرسول إلى قراءتهما صوب كلامهما — أو كان ترادفها ضمن لغات متعددة وذلك كخلاف عمر وابن مسعود حين قرأ الثاني ببلغة هذيل دأبه حين ، دأبه حتى حين ، ببلغة قريش فأنكر عليه الأول ، وأمره أن يقرأ ببلغة

كما في المد والإمالة ، أو يقال : إن أكثر الكلمات لا تثبت فيها هذه الزيادة ، وإن ثبتت في الأقل ، والحكم للغالب .

وهذا الاتجاه يحدد كلمة السبعة بمفهومها العددي الحقيقي ، بلا زيادة ولا نقصان ، وهناك من أئمة القراءة من ذهب به اجتهاده إلى حد القول بأن كلمة سبعة يراد بها الكثرة قال عياض : « إن السبعة هنا لا تفيد التحديد بل منهاها التكثير ، وأن القرآن قرئ بأوجه لا حصر لها ، وهدف الشريعة من هذا التيسير على قارئه ، ومن المؤلفين في اللغة العربية إرادة الكثرة في الأحاد بلفظ سبعة ، والكثرة في العشرات بلفظ سبعين ، والكثرة في المئين بلفظ سبعائة ، ولا يراد العدد المعين ، ونرى أن عياضاً قد خالف الجمهور في هذا لأن أهل الأداء قد اتفقوا على أن الكلمة الواحدة من القرآن لا يمكن أن تؤدي بأكثر من سبعة وجوه مترادفة من اللغات للفصحى وحينئذ يبدو القائل بالتحديد أدنى إلى الصواب ، وأقرب لواقع اللغة .

قال ابن حجر : وحاصل ما قالوه في ذلك : أن معنى إنزال القرآن على سبعة أوجه أى أنزل موسماً على القارئ أن يقرأ على سبعة أوجه ، أى يقرأ بأي حرف أراد على البدل من صاحبه لئلا يشق عليهم لسان واحد ، وما تقدم ذكره أولى بما قيل : إن المراد

بتلك اللغة - لا حين يتلو لنفسه ، ولذا كتب إليه عمر وهو في الأمصار : « أقرئ الناس بلغة قریش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » . وكان عمر في هذا حصيفاً كالمهدي . . إذ أنه أراد جمع الناس على لغة واحدة خشية تصدع الوحدة ، بظهور الفرقة التي ذرقرنها فعلاً زمن عثمان نتيجة تعدد القراءات ، وسمعت الكلمة المششومة : قرأنا خير من قرآنكم ، فلذا سارع عمر إلى الوحدة في معدن التوحيد قال ابن عبد البر : « يحتمل أن يكون عمر قد نهى ابن مسعود بطريق الاختيار . . لأن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز . . لأن محل الترخيص هم العرب الذين يشغل عليهم الانتقال من لغة إلى لغة ، فأما من أراد أن يقرأه من غير العرب فالأفضل أن يقرأه بلسان قریش لأن جميع اللغات بالنسبة إلى لسانه سواء ، فإذا كان لابد من واحدة فلتكن بلغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي لغة قریش » .

وفي رأى ابن حجر العسقلاني : « أن السبعة الأحرف . . هي السبعة الأوجه التي قرئت بها الكلمة الواحدة ، بمعنى أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءة في الكلمة الواحدة هو سبع قراءات ، لا بمعنى أن كل كلمة من كلمات القرآن وكل جملة قرئت على سبعة أوجه وإن كانت هناك كلمات قرئت بأكثر من ذلك فارجع هذا إلى الاختلاف في كيفية الأداء

عبد البر - لأنه من رواية أبي سلية بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، وأبو سلية هذا لم يلق ابن مسعود ، وقد رده كذلك أبو جعفر أحمد بن عمران ، وأطنب الطبري في مقدمة تفسيره في الرد على من قال به ، وحاصل ما قاله : إنه يستحيل أن يجتمع في الحرف الواحد هذه الأوجه السبعة ، وقال فيه البيهقي : وعلى فرض صحة هذا الحديث فمعناه سبعة أوجه من الأنماط المذكورة مثل الوعد والوعيد . . لا أنها الأحرف السبعة المذكورة في أحاديث أخرى . بل إن الأحاديث الأخرى ظاهرة في أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة إلى سبعة تهويماً وتيسيراً ، والشئ الواحد لا يكون حراماً وحلالاً في حالة واحدة ، وقال الماوردي : : هذا خطأ لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل حرف وإبداله بحرف آخر ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام ، . فالذي يراه النظر جديراً بالاعتبار : هو تفسير الأحرف السبعة - كما سبق - بالترادفات السبعة للكلمة الواحدة ومن أمثلة ذلك : قراءة البعض : فاسعوا إلى ذكر الله ، وقراءة البعض الآخر : فامضوا إلى ذكر الله ، والعين المنفوش ، و : الصوف المنفوش ، والهنلى يقول : : حتى حين ، والقرشى : حتى حين ، وهذا يقرأ : : قد أفلح ،

بالأحرف السبعة سبع من اللغات العربية المعاصرة لنزول القرآن وفي ذلك يقول ابن عبد البر : : قول الرسول في بعض الروايات : فاقروا ما تبسر منه ، يقول قول من قال : المراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة ، لأن لغة هشام وعمر بلسان قريش ومع ذلك اختلفت قراءتهما ، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالأحرف السبعة .

وما ذكر أيضا . . أولى مما ذهب إليه البعض من أن السبعة الأحرف هي سبعة أصناف من الكلام مثل : الوعد والوعيد ، والأمر والنهي ونحو ذلك محتجين بما أخرجه أبو عبيد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ، على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، زاجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، وحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وأفعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتهم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنا به كل من عند ربنا .

ويقدح في هذا الرأي . . أن هذا الحديث الذي ارتكز عليه الاستدلال لم يتقبله نقاد الحديث ، واعتبروه غير ثابت - كما قال ابن

الأمر يعبران عن الطورين اللذين مرت لغة القرآن فيهما وإحدى الروايتين : « أن القرآن نزل بلغة قريش ، والثانية : « أنه نزل بلغة مضر ، ولقد حكى ابن عبد البر قبائل مضر السبع فقال : إنها هذيل ، وكنانة ، وقيس وصنبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمه ، وقريش .

وتفسير هذا : أن القرآن نزل أول ما نزل بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، وذلك إبان إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة . ثم أبيع للعرب بأن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، بشرط الاتفاق في المعنى ، وعلى هذا يفهم اختلافهم في القراءة مع تصويب الرسول لسلك منهم ، ويدل على ذلك . . أن ذلك التيسير كان بعد ما كثر دخول العرب في الإسلام فقد ثبت أن هذا التخفيف بدأ بعد الهجرة ويشهد لذلك حديث أبي بن كعب وفيه « أن جبريل عليه السلام لقي الرسول عليه الصلاة والسلام عند أضاة بنى غفار - وهو موضع للنساء بالمدينة - وعله الأحرف السبعة ، فلما تذلت السنة العرب ، وكان توحد لسانهم يسيرا عليهم ، وأوفق لهم أجمعوا على الحرف الذي كان في العرصة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل في السنة التي قبض

بنقل فتح الحمزة إلى الدال وذلك يتلو : « قل أوحي ، بنقل ضم الحمزة إلى اللام ، ومنهم من يقول سمياً علماً بدلاً من عزيزاً حكماً ، ومن يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالإمالة ، وغيره يلطف أى يقرأ بالتعليل وهو التوسط بين الإمالة والفتح ، ومن يقرأ عليهم وفيهم بضم الهاء .

والآخر يقول : عليهم ، ومنهمو ، والتميم يهمز ، والقرشي لا يهمز... وهكذا ولو أراد كل فريق أن يتنحى عن لغته ، وما دوج عليه لسانه طفلاً ، وكهلاً لشق عليه غاية المشقة ... فيسر عليهم يجعله مطواعاً للغاتهم ، متسلسلاً مع ليات ألسنتهم ، على سبعة مترادفات ، وكأنه انتهى إلى سبعة ولم يزد عليها لعله تعالى أنه لا يحتاج لفظه من ألفاظه إلى أكثر من ذلك العدد غالباً على حد تعبير ابن قتيبة — وقد أيداه ابن عبد البر بقوله : وهذا يجمع عليه ... بل هو غير ممكن ... بل لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشيء القليل مثل « عبد الطاغوت ، أرجه ،... هيت ، ، وزاد ابن الأنباري : « ولا نقل لها أف ، جبريل ، وأما ابن قتيبة فقد أنكر هذا وليس بشيء .

والمراد من عمر في هذا المقام روايتان ظاهرهما المتعارض ... بيد أنهما في واقع

على كلا المعنيين المتولين . . فتكون دلالة الخط الواحد كدلالة اللفظ الواحد ، وهذا هو منشأ الخلاف الذى وقع فى بعض المصاحف إذ لو كان أساس كتابة المصحف هو العرصة الأخيرة لحسب - كما نقل عن الكثير - لما وقع الاختلاف بين مصاحف عثمان بزيادة أو نقصان أو غير ذلك ، ولقد قال على كرم الله وجهه حين ولى الخلافة : « لو وليت من أمر المصاحف ما ولى عثمان لفعلت كما فعل » .

قال أبو عبيدة السلمي : القراءة التى عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم ، وفى شرح السنة للبغوى : « أن زيد ابن ثابت شهد العرصة الأخيرة للقرآن التى بين فيها ما نسخ وما لم ينسخ ، واستسكتبه الرسول إياها وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذا اعتمد أبو بكر وعمر جمعه ، وولاه عثمان كتب المصاحف » .

والذى وقر فى أفهام الصحابة الذين طامروا هذا التيسير فى قراءة القرآن - أن ذلك لا يتأتى بالقشهى فى انتقاء المترادفات ، أو الاختيار الشخصى فى تطويع القرآن للغة . . ولو قد كان ذلك لما قال كل من عمر وهشام حين تجادلا فى الموضوع « أقرأنى النبي ، بل المرجع الأول والأخير فى ذلك » (البقية على صفحة ١٣٦٩)

فيها . . وهو الذى كتب به المصحف العثماني الإمام ، ونسخ ما سوى ذلك . .

وبيان هذا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل مرة فى كل عام . إلى أن كان العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم فعرضه مرتين وشهد عبد الله مسعود وزيد بن ثابت العرصة الأخيرة ، وعلمنا ما نسخ فيها ، وما بدل منها ، ولذا سميت قراءة ابن مسعود فى عرف الصحابة « الأخيرة » ، قال ابن عباس سألت زر بن حبیش : أى القراءتين تقرأ ؟ فقال زر : الأخيرة ، وهو يعنى قراءة ابن مسعود .

فالقرآن فى تلك العرصة نسخ منه وغير فيه ، وقد صح النقل فى ذلك عن غير واحد من الصحابة ، رضوان الله عليهم حين دونوا القرآن فى مصحف عثمان اعتمدوا فى هذا التدوين على قاعدتين أساسيتين - على ما قرره العلامة المحقق الحافظ ابن الجزرى - .

أولاهما : ما تحققوا من عدم نسخه فى العرصة الأخيرة على وجه الخصوص .

ثانيتهما : ما تحققوا صحته عن النبي مما لم ينسخ ، ولو لم يكن بتلك العرصة الأخيرة ، وهذا هو السر فى تجريد الخط الذى كتب به للقرآن من النقطة والشكل ، الأمر الذى يجعل هذا الخط مرنا لاحتال هذين الأمرين ، حتى يدل اللفظ الواحد بدون الشكل والنقطة

مول ليلة القدر :

أَوَّلُ أَضْوَاءِ الْفَجْرِ

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي

كلها ، ومن بينها ، الإنسان ذو العقل المفكر والقلب الحساس أي يمكن أن يكون ذلك كله من صنع أصنام لا تشعر ، وأحجار لا تحس ؟ لقد طال بمحمد التفكير وطالت خلواته إلى نفسه ، وطال بعده عن الناس ، منفردا بتأملاته ، بقلب الأمر على وجوهه ، مؤمنا بأن ما فيه قومه خطأ وضلال ، ملتصقا طريق الحق ، وسبيل الهداية ، حتى نزل عليه الوحي في ليلة سماها القرآن : ليلة القدر . يقول له : « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

لقد هداه الله إلى حل المشكلة التي أرقته ، وهي خلق هذا الكون ، فخالفه هو الله ، خالق الإنسان من دم يتجمد .

وكانت أولى آيات القرآن تمجيذا للمعرفة ، ودعوة إلى العلم ، ودعوة إلى العقل ؛ لكي يصل إلى المجهول الذي لم يكن له علم به من قبل ، ودعوة إلى تقييد العلم بالقلم .

كان محمد الأمل بذلك أول داعية لقومه إلى أن يأخذوا بنصيحتهم من العلم ؛ وكان هذا

في ليلة من رمضان ، ومحمد وحده في غار حراء يتأمل هذا الكون البديع ويستغرق في تفكير عميق . الكون من حوله هادئ ساكن ، لا يقطع سكونه في هذا المكان الثاني ضوضاء تشل التفكير ، أو تعوق دون التأمل .

الليل ساج يلف الكون في رداؤه ، وتلعب النجوم في سمائه وتنهض قمم الجبال حول مكة هنا وهناك . بينما ضوء خافت ينبعث من الكعبة ، حيث تجمع القوم حول أصنام دعوها آلهة يعبدونها من دون الله .

محمد يستغرق في تفكيره ، ويسائل نفسه : يمكن أن يكون هذا الكون الكبير الذي يتعاقب عليه الليل والنهار ؛ يمكن أن تكون هذه الأرض المنبسطة أمام العين يمكن أن تكون هذه الجبال الراكضة الشاهقة .

يمكن أن يكون هذا الإنسان الجليل في تكوينه ، يمكن أن تكون الإبل رفيقة الإنسان في الصحراء المتراامية الأطراف ، يمكن أن يكون الشجر المتنوع الألوان والأشكال ، يمكن أن تكون هذه المخلوقات

قم فأندز ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ،
والرجز فاهجر ، ولا تمن تستكثر ، ولربك
قاصبر .

ليس هناك تردد ولا انتظار ، لقد وضحت
المهمة الملقاة على طاق الرسول محمد ، وهي
أنه رسول إلى قومه يحذرهم وينذرهم .

ولإنما كان الإنذار أول مهمة ألقيت عليه
لأنه يراد منه أن يهدم عقيدة بالية ، لينبئ
على أنقاضها عقيدة جديدة صالحة ، فهو
مطالب أولاً بأن يبين لهم ما في عقيدتهم من
زيف ، وما هم فيه من ضلالة ، وأن يوجه
أنظارهم إلى أن هذه الآلهة التي يعبدون من
دون الله ، لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً وهم
يخلقون ؛ ومن أجل هذا كان الإصدار أول
ما يوجه إلى أولئك القوم الذين أرسل إليهم
الرسول الكريم .

وكان أول ما نزل من قواعد هذا الدين
الجديد الدعوة إلى الإيمان بعظمة الله وجلاله
ولذلك قيل له . « وربك فكبر » ، لأن الإيمان
بهذه العظمة ، وذلك الجلال يمهّد لطاعة
أوامره ، والخضوع له ، واجتناب ما ينهى
عنه من ناحية ، ثم استصغار كل شيء في هذا
الوجود إلى جانب عظمة الله ؛ وفي ذلك
ما يملأ القلب عزة وكرامة ، ويرفع الإنسانية
أن نذل لغير الله خالقها .

الدين في أول لحظة من لحظات حياته يعلن أنه
مؤسس على العقل ، ومبني على العلم . ولو لم
تكن هذه الآيات من عند الله ، لستر محمد
الأمي على نفسه ، ولم يفتح عيون الناس لبروه
أمياً لا يعرف كيف يقرأ ، ولا كيف
يكتب .

كان أول ما مجّد القرآن هذا القلم ، الذي
علم الله به الإنسان ما لم يعلم .

وكان القرآن عندما طلب إلى محمد أن يقرأ ،
وهو يعلم أنه أمي لا يكتب ، ولا يقرأ ،
يطلب إليه أن يوجه أمته إلى تعلم القراءة ،
ومسكاة القلم في الثقافة ، وكشف المجهول .
تلك كانت ليلة القدر ؛ وتلك هي الآيات
الأولى التي هبطت فيها على الرسول الكريم ؛
فأخذ محمد يرددها ، وقد ملكته رهبة ملائكة
نفسه من أقطارها ، فضى مسرعا إلى زوجه
خديجة ، يرتعش ويستغض ، طالبا لإيها أن
تجلب له الدفء والهدوء ، بثياب يرتديها
فوق ثوبه . قائلا « ذروني ذروني » ؛ وإذا
بالوحي ينزل عليه ، محددا له المهمة التي :
عدها ، وهي مهمة إنذار قومه ، في لهجة قاطعة ،
وجمل قصيرة مؤثرة تحمل خيوطا من الضياء ،
تبدد غياهب الظلمات المتكاثفة ، وتنذر الناس
بيوم يبعثون فيه بعد الموت ، ويحاسبون على
ما قدمت أيديهم ، من خير وشر ، ولنصغ
إلى تلك الآيات المؤثرة ، وهي : « يا أيها المدثر ،

وإنما كان ذلك أول ما عني القرآن بتغييره من عقيدتهم ؛ إذ كانوا يؤمنون بأن الدهر هو الذي يهلكهم ، ويستكثرون أن يعودوا إلى الحياة بعد أن يصيروا عظاما نخرة ، ويتحولوا إلى تراب — كان ذلك ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الأول الذي تقوم عليه العقيدة الدينية ، وبدون الإيمان بذلك اليوم ، لا يستجيب المرء إلى إيمان ، ولا يلزم نفسه بالخضوع لعقيدة ؛ لأنه يعمل كما يهوى ، آمننا أن يحاسب على ما قدم .

ولسكى ينبه القرآن إلى أهمية هذه الدعوة الجديدة يخالف نسقه الأول في الفاصلة ، إذ تراه يقول : « يا أيها المدثر ، قم فأندز ، ويجرى على هذا الفسق ، حتى إذا جاء إلى ذكر اليوم الآخر قال : « فإذا نقر في الناقور ، متخذنا من هذا التغيير في الفسق وسيلة إلى توجيه النظر إلى أن أمرا جديدا يراد التنبيه إليه ، واسترعاء النظر له .

وقام محمد يريد أن ينهض بالعبء ، ويؤدي الرسالة ؛ فدعا قومه ، وألقى فيهم أول خطبة له حمد فيها الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الرائد ^(١) لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو ، إني لرسول الله إليكم حقاً ، وإلى الناس كافة ، والله لتمؤمنن كائننا مون ، ولتبعن كما تستيقظون

[١] الرائد : الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانا يزلون فيه .

كما عني الدين أول ما عني بأن يكون مظهر المؤمن محبباً فيه ، داعياً إلى أن يؤنس به ويؤلف ؛ فدعاه إلى النظافة ، وطهارة الثوب . وأرشدت الآيات إلى أن هناك أموراً سينهى عنها ، وهي إثم يؤدي إلى العذاب ، وواجب المؤمن أن يحذرهما ، وينصرف عنها ولذلك أمر أن يهجر الرجز ، وهو : العذاب أى أمر بأن يهجر كل إثم يؤدي إلى العذاب . إن إنذار القوم ، ودفعهم إلى الطريق الصحيح عمل جليل ، وأثر محمد ، ولكن للقرآن يبادر ، فيدعو محمداً إلى ألا يستكثر ما سوف يقوم به من خدمات لهذه الأمة ، عندما يدهوها إلى سواء السبيل .

ولم يخف القرآن عن الرسول أن هذه المهمة ثقيلة تتطلب من الرسول جلداً وصبراً ؛ فمن يتقبلها الناس في سر ، ولن يستجيبوا إليها في سهولة ؛ ولذا أمر بالصبر في الدهوة إلى الإيمان بالله ، إذ قال سبحانه : « ولربك قاصبر ، .

وأول ما أراد القرآن أن يغيره من عقائدهم هو عقيدتهم أن الموت هو النهاية التي لا حياة بعدها ، وأن النشور وهم لا يتحقق ، وأن ليس ثمة يوم آخر يرجعون فيه إلى الله ، ويحاسبون على ما قدموا من عمل ؛ فقال : « فإذا نقر في الناقور ، أى فإذا نفخ في الصور ، فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ، .

إلى هذا النقاش يصوره القرآن قائلا :
« إلا أصحاب الدين ، في جنات يتساملون ،
عن المجرمين : ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم
نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ،
وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب
بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين » .

ويسجل القرآن في تلك السورة الكريمة
أن الناس لم يستقبلوا تلك الدعوة الجديدة
بالتدبر في أمرها ، أو الإصغاء إليها ، وإنما
استقبلوها في نفرة وإعراض ، ويصور
القرآن نفورهم في صورة ساخرة ؛ إذ جعلهم
كأنما هم حمر جدت في نفارها ؛ لأن أسدا
يتعقها ، وصور لنفسك هذه الحر النافرة ،
تهرب على غير نظام ، في هيئة تبعث السخرية
والاستهزاء .

ومن أعجب ما سجله القرآن عليهم أنهم
أعلنوا عدم إيمانهم حتى يرد إلى كل واحد
منهم رسالة من السماء ، يؤمر فيها باتباع
الرسول ، يقول سبحانه : « بل يريد كل
امرى منهم أن يؤتى صحفاً منسورة » ؛ وفي
ذلك تصوير لعنتهم في مقابلة هذه الدعوة
الجديدة .

وبعد ، فقد كان أول ما نزل من القرآن
داعياً إلى العلم والمعرفة ، محرّضاً على الأخذ
من الثقافة ، واحترام القلم .
ولم تكن هناك تكاليف أمر الرسول

والقرآن يقابل هذا العناد الذي لا وجه
له من الحق ، ويقابل ذلك الإنكار الذي
لا سند له من العقل بالوعيد والتهديد ، إذ
يقول : « سأصليه سقر »^(١) ، وما أدراك
حاسق ؟ لا تبق ولا تذر ، لواحاً للبشر »^(٢) .

وتمضي الآيات واصفة خزنة جهنم ، وعدد
هؤلاء الخزنة ، مقسمة بالقمر ، وبالليل ،
وبالصبح ، وهي كلها من آثار قدرة الله ،
على أن جهنم إحدى البلايا الكبرى ، وأن
القرآن ينذر بها البشر ، فعلى كل فرد أن يقدم
على الخير إذا شاء ، وأن يتأخر عنه إذا
أراد ؛ لأن كل إنسان رهين بما كسب من
خير أو شر .

ولنصغ إلى القرآن يتحدث عن جهنم ،
فيقول : « كلا والقمر ، والليل إذا أدبر »^(٣) ،
والصبح إذا أسفر »^(٤) ، إنها إحدى الكبرى ،
نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم
أو يتأخر ، كل نفس بما كسبت رهينة .
ويضع القرآن أمام أعينهم منظراً من
مناظر يوم القيامة ؛ فيصور لهم المؤمنين ،
ناعمين في جناتهم ، يسألون المجرمين عن
الأسباب التي ألفت بهم في النار . ولنستمع

[١] سقر جهنم .

[٢] لواحاً للبشر : مسودة للجلود ، ومعرفة لها .

[٣] أدبر : ذهب .

[٤] أسفر : أضاء .

قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر^(١) .
ثم أدبر واستكبر ؛ فقال : إن هذا إلا سحر
يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر .

يصور القرآن ذلك المعارض لطلائع
النور ، رجلا مغيظا محققا ، قد أذهله هذا
القرآن الجديد ، فبدلا من أن ينقاد له ،
ويؤمن به ، مضى يفكر في وسيلة يصرف
الناس بها عنه ، وأخذ يفكر طويلا ،
مقدراً ما سيقابل به كلامه من السامعين ،
محاولاً أن يصل إلى فكرة تقنع الناس
بالانصراف عن القرآن ؛ وهنا يصوره
القرآن مستغرقا في تفكيره ، مغيظا غاية
الغيظ ، مقطب الجبين عابس الوجه ؛ ولم يهده
هذا التفكير العميق إلى الخضوع للحق ؛
فبرغم أن تفكيره قد هداه إلى أن لهذا الكلام
أثراً في النفس يشبه السحر ، وأن ذلك
لا يمكن أن يكون كلام إنسان ، فقد صرف
كلام الناس : من شعر ، وخطب ؛ فلم يجد
هذا القرآن ، شبيهاً بشيء منها . وبرغم
اهتمامه إلى هذه الحقيقة ، أبى أن يذعن لها ،
بل ولى مستكبراً ، ناسباً قوة تأثير القرآن
لأولى سببه الحقيقي ، ولكن إلى أنه سحر
جاء به محمد ، وفاته أن تأكيده لسحر القرآن ،
اعتراف منه بأن للقرآن أثراً في النفس بالغاً
عميقاً غاية العمق .

للبنين ذوى الغنى ، وأن له جاهاً ورياسة ،
ويطمع أن يزداد من ذلك كله ، وهو كافر عنيد
لقد أذهلت الآيات التي نزلت على الرسول
العرب ؛ إذ وجدوا فيها لونا جديداً من
المعاني ، وأسلوباً جديداً من القول ،
وقد أخبر الرسول أنها من عند الله ، ولكن
ذلك المعارض ، ويقول المفسرون : إنه
الوليد بن المغيرة - يفكر في هذه الآيات
الجديدة ، ويطيل التفكير ؛ ثم ينتهى من
ذلك بإعلانه أن تلك الآيات ليست سوى
كلام إنسان ، وأنها لا تصل إلى الله بسبب .

والقرآن يصور ذلك المعارض إذ يقول :
« ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له
مالاً معدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له
تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيده ، ؛ وإنما
جعل بني شهوداً ؛ لأنهم حاضرون في مكة
معهم ، مستغنون عن السفر والضرب في الأرض
سعيًا وراء الرزق .

لقد عدد القرآن النعم التي أسبغها الله
على هذا المعارض ، والتي كان من شأنها
أن يستجيب إلى الدعوة الكريمة التي دعاه
إليها الرسول ، ولكنه بدلا من ذلك وقف
موقف المعاند المعارض ؛ فأوعده الله بأن
سيصيبه بشدائد الأمور ؛ ويعمل القرآن سبب
ذلك الإبعاد بهذا التصوير المؤثر . إذ يقول :

« إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم

[١] عبس : قطب وجهه . وبسر : زاد في التقبض .

والجديد ، وأن طغيان الإنسان عندما رأى نفسه قد استغنى ؛ والقرآن يهدده بأنه سيرجع إلى الله ؛ ليحاسبه على طغيانه . وهنا يتساءل القرآن في رفق . أهذا الناهى على حق . ويأمر بالهدى ؟ أم هو مكذب بالحق معرض عنه ، ويتوعدة بأن الله يراه ؛ ويشدد في إيعاده إذ يقول : « كلا ، أنت لم يفته لنفسعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا ، لا قطع ، واسجد ، واقرب » . لغة فيها تهديد ووعيد ، وفواصلها تختلف عن نهج الفواصل الأخرى ؛ لتبين أن هنا تهديداً آخر غير ما سبقه من تهديد ، وهو تهديد يصور إلى أى مدى سيصيبه العذاب ؛ إذ يسحب بناصيته لأنها ناصيته كاذبة مخطئة ، ولن ينفعه قدومه ومن يلتفتون حوله في ناديه ، لأن الزبانية ، وهم الشرطة ، سيدفعونه دفعا عنيها ؛ لكي يحاسب . وينال ما يستحق ؛ وذلك تصوير لمنتهى ما يصيبه من الإذلال عند ما نتخيله مسحوباً من ناصيته . ولقد دعى الرسول إلى ألا يأبه بنهيه ، وأن يستمر في عبادته يتقرب بها إلى الله . وتأخذ هذه الآية الكريمة نهجاً في الفاصلة منفرداً بها ، يميزها عن باقى الآيات ؛ لأنها أمر الرسول ، بعد أن هدد هذا المعارض . إن سورة « اقرأ » تصور معارضا لمظاهر الدين الجديد ، وكان أهم معارضه هو الصلاة .

ولتحاسبن بما تعملون ، ولتعجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً ، وإلها الجنة أبداً ، أو النار أبداً ، وإنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد .

ويلحظ في هذه الخطبة الأولى للرسول الكريم ، كما لحظنا في الآيات السابقة أن أول مادعى القوم إلى الإيمان به كان الإيمان باليوم الآخر ، يؤكد الرسول بكل وسائل التوكيد التي تملكها اللغة ؛ يؤكد بالقسم ، ويؤكد بالله ، ويؤكد بنون التوكيد ؛ وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر هو الدعامة التي يرتكز عليها الدين كله .

وسجل التاريخ المعارضة التي لقيها الرسول بعد خطبته الأولى فقد أنكر عليه بعض سامعيه أن يدعوهم ليسمعهم مثل ذلك الأمر الذى ينكرون كما سجل القرآن تلك المعارضة ؛ ففي سورة « اقرأ » التي كانت أول ما نزل من القرآن يتحدث عن معارضة الرسول ، وينذر صاحبها إذ يقول : « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ؛ إن إلى ربك الرجعى ؛ أرايت الذى ينهى عبداً إذا صلى ؟ أرايت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ؟ أرايت إن كذب وتولى ؟ ألم يعلم بأن الله يرى ؟ » .

ويذكر المفسرون أن تلك الآيات نزلت في أبى جهل . والآيات تبين هنا سبب المعارضة لهذا

إذا فقد كانت ليلة القدر التي نزل فيها القرآن فاتحة عهد جديد للإنسانية ، فيها بدأ ظهور الإسلام ، وفيها بدأت رسالة محمد ، وفيها وضع الأساس لمجاهدة الشرك والطغيان ، وفيها بدأ نور جديد يحاول أن ينشر السلام في الأرض ، وأن تسود فيها عدالة اجتماعية ، وأن تكون الصلة بين الناس صلة حب وعطف فلا غرو أن عظم القرآن تلك الليلة ، وأن جعلها خيرا من ألف شهر ؛ ولم لا تكون كذلك وقد نزلت فيها ملائكة الله بالقرآن إلى رسوله المختار ، وسوف يكون في القرآن بيان كل أمر من أمور الدين . ولم لا تكون كذلك وهي تحمل إلى العالم دعوة للسلام ، يقول الله سبحانه : « إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر » .

دكتور أصمير أصمير بدوي

وكيل كلية دار العلوم

أما سورة المدثر ، التي أمر الرسول فيها بالإلذار ، كما سبق أن تحدثنا ، فتصور معارضا من نوع آخر ، يشترك مع الأول في بسطة الرزق ، كما يصفه القرآن بأن له عديدا من أن يأخذها المسلمون ، وإنما هي صلاة يتقرب بها المطيع إلى الله ، وربما كانت هذه الصلاة دعاء الله ، واتجاسها إليه ، وتفكيراً في عظمته وقدرته ، وكانت هناك دعوة إلى ترك الآثام بوجه عام .

ولكن الذي عني القرآن بإبرازه في تلك المرحلة هو إبراز اليوم الآخر ، وما فيه من جنة ونار ، وجعل من أسباب دخول النار ترك الصلاة ، وعدم العطف على المسكين . وكان القرآن يبادر ، فيجعل أساس هذا الدين حسن صلة المرء بربه ، ويتمثل ذلك في الصلاة ، وحسن صلة المرء بمجتمعه ، ويكون ذلك بالتعاطف بين أبناء المجتمع ، فيعطف الغني على الفقير .

وأظهر القرآن الرسول قويا بربه ، ينصره ويؤيده ، ويحاسب من يكذب به ، تكذيباً لا يستند إلى حق ، بل يبنى على الطغيان والعناد ، ولذا كثر الزجر بكلا ، في السورتين .

قال أبو الطمجان اللقيني :

إذا مات منهم سيد قام صاحبه
بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
تسير المنايا حيث سارت كتابه

وإني من القوم الذين هم هم
نجوم سماء كلما غار كوكب
وما زال منهم حيث كانوا مسود

مفردات قرآنيّة : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

« والتجارة صناعة التاجر ، وهو الذي يبيع ويشترى للربح ، » (١) .

ونلاحظ - من ناحية الاستعمال اللغوي - أن كلا من كلمة « البيع » ، و « الشراء » ، تطلق بمعنى أختها ، فيقال : اشترى ، والمراد باع ، ويقال : باع ، والمراد اشترى ، ولعل السبب في هذا أن كلا من البائع والمشتري يأخذ شيئاً ويعطى في مقابله شيئاً ، فما أعطاه يكون ثمناً لما أخذه ، وما أخذه يكون أيضاً ثمناً ومقابلاً لما أعطاه ، والثن اسم لما يأخذه البائع في مقابلة المبيع عينا كان أو سلعة ، وكل ما يكون عوضاً عن شيء فهو ثمنه .

لذلك قال ابن الأثير : « البيع بمعنى الشراء تقول : بعث الشيء بمعنى اشتريته » (٢) وقال الراغب الأصفهاني : « الشراء والبيع يتلازمان ، فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثلث »

[١] انظر لمراجعة هذه التعريفات على التوالي : تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٥١ و ١٥٢ . ومفردات القرآن ص ٧٢ . وتفسير الطبرسي ج ١ ص ٥٣ . وتفسير الرازي ج ٢ ص ٣٧٥ و ج ٨ ص ١٤٦ . وتفسير الكشاف ، ج ١ ص ٢٧ و ج ٣ ص ٧٨ . [٢] النهاية لابن الأثير ، ج ١ ص ١٠٥ .

أصبحت النواحي الاقتصادية تشغل بال الناس في الشرق والغرب ، وتستحوذ على أغلب اهتمامهم وعنايتهم ، فلو قلنا إن الصبغة الأساسية للمجتمعات الآن هي الصبغة الاقتصادية لما بعدنا عن تصوير الحقيقة والواقع . والتجارة هي عصب الشئون الاقتصادية وعمادها ، وللتجارة في القرآن حديث يحسن أن نستمع إليه ، نعد أن نعرف معنى التجارة في اللغة والاصطلاح .

يقول القرطبي : إن « التجارة في اللغة عبارة عن المعاوضة » ، ويقول أيضاً : « اعلم أن كل معاوضة تجارة ، على أي وجه كان العوض ، ويقول أيضاً : « التجارة هي البيع والشراء » ، ويقول الراغب الأصفهاني : « التجارة التصرف في رأس المال طلباً للربح » . ويقول الطبرسي : « التجارة التعرض للربح في البيع » . ويقول الرازي : « التجارة عبارة عن التصرف في المال سواء كان حاضراً أو في الذمة ، لطلب الربح » . ويقول أيضاً : « التجارة عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء » . ويقول الزمخشري :

الرئيسية للعمل هي: الزراعة والصناعة والتجارة
وعما نلاحظه أن للتجارة دخلا كبيرا في الزراعة
والصناعة ، بل إن القيام بعمليات الزراعة
والصناعة يستلزم التعرض للتجارة أو
الارتباط بها ، كما أن التجارة هي التي تحقق
الثمرة المرجوة من نتائج الزراعة والصناعة ،
ومن هنا تبدو أهمية التجارة ، ويبدو مدى
تغلغلها في ميادين العمل الأخرى .

ولو رجعنا إلى حديث القرآن الكريم
عن التجارة لوجدناه يعرض علينا ثلاثة أنواع
من التجارة ، منها ما هو حسى ، ومنها ما هو
معنوى ، ومنها ما يلتقى فيه الحس
بالمعنى ، والتجارة الأولى التي يعرضها القرآن
هي تجارة الإنسان مع الإنسان ، والثانية هي
تجارة الإنسان مع الرحمن ، والثالثة هي تجارة
الإنسان مع الشيطان . ونفهم بسرعة في
أول الأمر أن تجارة الإنسان مع الإنسان
مباحة في أصلها ، وتجب على طائفة من الأمة
على سبيل فرض الكفاية ، ولها ثمراتها
وفوائدها ، ونفهم أن تجارة الإنسان مع
الرحمن واجبة لازمة مطلوبة من كل مسلم ،
وثوابها جليل وجزاؤها عظيم ، ونفهم أن
تجارة الإنسان مع الشيطان محرمة بمنوعة
لا يجوز لأى مسلم أن يباشرها أو يقترب
منها ، وهي تؤدي إلى أسوأ النتائج وأوخم
العواقب .

والبائع دافع المئمن وآخذ المئمن (١) . هذا
إذا كانت المبايعة والمشاركة بناض (أى
ما كان عينا وله مادة) وسلعة ، أما إذا بيع
سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما
مشتريا وبائعا ، ومن هذا الوجه صار لفظ
البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما
في موضع الآخر ، وشريت (٢) بمعنى بيعت
أكثر ، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر (٣)

وفي حديث الزبير بن العوام أنه قال لابنه
عليه الله : « والله لا أشترى عملى بشئ ،
وللدنيا أهون على من منحة ساحة (٤) » .
فقوله : لا أشترى ، معناه لا أبيع (٥) .
ومن ذلك قوله الله تبارك وتعالى عن يوسف :
« وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا
فيه من الزاهدين » (٦) .

ومن المقررات المعلومة أن الإسلام دعا
إلى العمل وحث عليه ، وجعله الصبغة الغالبة
على المجتمع الإسلامى الفاضل ، والشعب
[١] وفي معجم مقاييس اللغة لابن زكريا :

« المئمن عوض ما يباع » . ج ١ ص ٣٨٦ .

(٢) يقول ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب
القرآن عن كلمة (اشترى) : وهذا حرف من
الأضداد ، ص ٣١٤ وانظر أيضا الأضداد لابن
الأببارى ص ٥٩ و ٦١ .

(٣) للفردات للراغب ص ، ٣٦١ .

(٤) أى شاة ممتلئة سمتا ، النهاية ج ٢ ص ١٤٩ .

(٥) النهاية ج ٢ ص ٢١٨ .

(٦) سورة يوسف ، آية ٢٠ .

وفي تفسير المنار عن هذه الآية : « والمعنى : لا تقصدوا إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ولكن اقصدا أن تربحوا بالتجارة التي تكون صادرة عن التراضي منكم ، وتخصيها بالذكر دون سائر أسباب الملك لكونها أكثر وقوعا ، وأوفق لذوى المروءات (١) . ولكن التجارة تصبح « فرض كفاية » في الأمة ، لأنها تحتاج إليها ، وتفسد أمور الناس إذا أهملوا التجارة ، فإذا لم يقيم بها بعضهم أثموا جميعا ، وإذا قام بها للبعض سقطت التبعة عن الجميع ، وهذا حجة الإسلام الغزالي يقول : « الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاش وهلك أكثر الخلق ، فانتظام أمر الكل بتعاون الكل ، وتكفل كل فريق بعمل ، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا ، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم : (اختلاف أمتي رحمة) أى اختلاف مهمهم في الصناعات والحرف » (٢) .

وهذا النص له أهمية كبرى في عصرنا الحاضر لأن العصر الحاضر يأخذ بمبدأ « التخطيط » في كثير من الدول ، وأساس التخطيط هو أن تتوزع المهام والطاقات على مختلف الحرف والصناعات ، حتى يتحقق التكامل الاقتصادي

ونعود إلى تجارة الإنسان مع الإنسان فنقرر أن الأصل فيها الإباحة ، بدليل قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا (١) » ، والبيع أحد طرفي التجارة الأساسيين ، وبدليل قوله تعالى أيضا في آية المدائنة : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تباعدتم » (٢) .

ويقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٣) » . ففي هذه الآية ينهى الله تعالى عباده عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل ، أى بأنواع المكاسب التي ليست مشروعة كالربا والقمار وما جرى مجراها من صنوف الخيل ، فيجب عليهم أن يمتنعوا عن اتباع الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال ، ولكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري ، فلا بأس في إتيانها والتدبب بها لتحصيل المكاسب ، ولا تقتلوا أنفسكم أى بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (٤) .

[١] سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

[٢] سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .

[٣] سورة النساء ، آية ٢٩ .

[٤] تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٨٠ .

[١] تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤١ .

[٢] إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٧٦ .

ابن حرب وابن مبارك عن شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله عز وجل : « أففقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : من التجارة .

وقال يحيى : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : « أففقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : من التجارة ، وما أخرجنا لكم من الأرض ، قال النخل (١) .

ونفهم من هذين النصين أن ما يأتي من رزق عن طريق التجارة يكون كسبا طيبا محمودا ، وذلك لأنها تتضمن مجمودا يبذله صاحبها من جهة ، وفيها تيسير للبائس وحاجات الناس من جهة أخرى ، فيكون القيام بها أمرا محمودا ويكون كسبها جميلا .

وإذا انتقلنا إلى روضة السنة النبوية المطهرة وجدنا فيها طائفة من الأحاديث تنوء بشأن التجارة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق) . ولعل الزحشرى قد فسر هذا الحديث حينما قال : « إن أكثر أسباب الرزق متعلق بالتجارة » ، (٢) .

وحتى تستطيع الدولة أن توجد ما تحتاج إليه وأن تقف في وجهه ما لا تحتاج إليه أو ما يضر اقتصادها ومجتمعها ، ولذلك تفسح الدولة المجال أمام صناعات معينة أو حرف بذاتها ، لأنها محتاجة إليها ، وتسد الطريق على صناعات أخرى ، لأنها متوافرة عندها أو هي غير محتاجة إليها . فلو تركت الأمر بدون تخطيط ، لكانت النتيجة أحيانا أن يتكاثر صنف لا نحتاج إليه فيكسد ويبور وتضيع فيه جهود وطاقات ، وأن يقل صنف أو ينعدم مع شدة حاجتنا إليه ، وفي ضوء هذا التفسير العاجل للتخطيط ندرك أهمية الغزالي المتوفى سنة خمس وخمسمائة ، في عبارته السابقة حينما أشار إلى وجوب توزيع الناس وهمهم في المجتمع على الصناعات والحرف المختلفة ، بل ندرك ما في حديث الرسول من رمز بليغ وإشارة دقيقة ، وما في تفسيره السابق من براعة وذكاء ، فلولا اختلاف الناس في مذاهب العمل ومساالك الحياة لتعطلت شئون وفسدت للبعاش وجوه وأسباب .

وللتجارة في الإسلام - مع هذا - فضل ومكانة :

جاء في كتاب « الخراج » ليحيى بن آدم القرشي : أخبرنا إسماعيل قال حدثنا الحسن قال حدثنا يحيى قال حدثنا عبد السلام

[١] كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ١٣٢ وفي رواية أخرى : « من الثمار » بدل النخل ذكر ذلك السيوطي في الدر ، ١٠٤ ص ٣٤١ . والآية في سورة البقرة رقم ٢٦٧ .
[٢] تفسير السكشاف ج ١ ص ٢٦٤ .

التجار يبعثون يوم القيامة نجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق .

يقول ابن الأثير إنه سماهم نجاراً لما في المال من الإيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه أكثرهم ولا يفتنون له (١) .

ويجب أن أمثال هذه الأحاديث النبوية لا يراد منها ذم التجارة من حيث إنها تجارة ، ولا يراد منها تعميم الحكم بالسوء على كل تاجر ، وإنما هي تحذير من الانحراف فيها أو الانحراف بها عن سواء السبيل ، بدليل أن النبي قد قال : « إلا من اتقى الله وبر وصدق » ، وقد سبقت أحاديث في فضل التجارة وحمد التاجر القويم ، فيكون التوفيق بين نصوص المدح ونصوص الذم أن يقال إن التجارة عمل شريف ، وإن التاجر المستقيم رجل محمود مثاب ، ولا يتعرض للعقاب هنا إلا من انحرف أو اعتسف أو أسرف ، فقال بالتجارة إلى مذموم أو حرام .

وقد قالوا إن التجارة المذمومة في نظر الإسلام هي ما استغنى عنها صاحبها ، ومع ذلك أصر على الاشتغال بها - لا لمنفعة من منافع العباد المشروعة أو المطلوبة - بل سعياً

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : (التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء) وفي رواية : (التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة) (١)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري » وقال قتادة : « التجارة رزق من رزق الله ، وحلال من حلال الله ، لمن طلبها بصدقها وبرها ، وقد كُنّا نحدث أن التاجر الأمين للصدوق مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة » (٢) . وقال الحسن البصري : « الأسواق موائد الله تعالى ، فمن أتاها أصاب منها » . والغزالي يروى هذا النص على أنه حديث نبوي (٣) .

وقد يقال إن هناك نصوصاً دينية تطعن للتاجر وتحمل عليه ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبج بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٤) ، وكقوله : « إن

[١] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥٦ .

[٢] تفسير الطبري ، ٥ ص ٣٢ طبعة الحاي .

[٣] إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٥٧ .

[٤] الحديث رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين .

[١] النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٩

فإن كان مع ذلك ظالماً غائناً فهو ظلم وفسق ، وهذا ما أراده سلمان بقوله : لا تمت تاجراً ولا غائناً ، وأراد بالتاجر طالب الزيادة ، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده ، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ، فالتجارة تعففاً عن السؤال أفضل ، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال ، وكان يعطى من غير سؤال ، فالكسب أفضل ، لأنه إنما يعطى لأنه سأل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره ، فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية . وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات (١) أو عالم مشغل بتربية علم الظاهر مما ينفع به الناس في دينهم ، كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمرهم كالسلطان والقاضى والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ؛ ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبيح بحمد ربك وكن من الساجدين ، ولم يوح إليه أن كن من التاجرين ، لأنه كان جامعاً لهذه المعاني إلى زيادات لا يحيط بها الوصف .

للجمع والكنز ، دون صرف في الخيرات والصدقات ، لأنها تكون حينئذ من باب الحرص السكريه على الدنيا ، فإذا دخلها بعد هذا الغش والربا والتطفيف ونحوه كانت سوءاً على سوء ، وبلاء فوق بلاء .

والإمام الغزالي في هذا المجال مقال ضمن حديثه عن التجارة في كتابه « الإحياء » ، يقول : « فإن قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم : (ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبيح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، وقيل لسلمان الفارسي : أوصنا ، فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموت تاجراً ولا غائناً .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال ، فنقول : لسنا نقول : التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء ، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة والزيادة على الكفاية ، فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وإدخاره . لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات ، فهي مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة (١) ،

[١] ينبغي أن يراد من الحب هنا ما كان مشتتاً أو منحرفاً .

[١] قد تتوقف في موافقة الغزالي هنا موافقة مطلقة .

وغيره من الخلفاء والصحابة والأئمة قد تاجروا ، حتى قال الغزالي في مجال حديثه السابق : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ، ويعملون في نجيلهم ، والقدوة بهم » .

فللتجارة في الإسلام إذن شأنها ومكانها ، ولا تعاب إلا إذا خرجت عن سواء السبيل ، وأما إذا استقامت كانت ركنًا من أركان هذا المجتمع المؤمن . « للبحث صلة »

أحمد الشرباصي

ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة ، لما ولي الخلافة ، إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ، ورأى ذلك أولى ، ثم لما توفي أوصى بوجهه إلى بيت المال . ولكنه رآه في الابتداء أولى .

ولو رجعنا إلى تاريخ هذه الأمة المؤمنة لوجدنا أن التجارة كانت عملاً شريفاً يقوم به أئمتها . ويرون فيه خيراً وفضلاً . ورسول الله عليه الصلاة والسلام قد تاجر قبل الرسالة في مل خديجة ، وهذا أبو بكر قد تاجر ،

(بقية المنشور على صفحة ١٣٥٥)

« جردوا المصاحف ، وفي رواية « جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه » ، وعلى هذا فما نسب إلى ابن مسعود من أنه كان يقرأ للذين آمنوا انظرونا أمهلونا آخرونا ، وأنه أقرأ رجلاً يوماً : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، فقال الرجل : طعام الأثيم . فردها عليه فلم يستقم لسانه بها . . . حتى قال له : أنستطيع أن تقول . طعام الفاجر . . . قال نعم ، قال : فافعل ، كل هذا وأمثاله محمول على سنة الترميم لقراءات الرسول ، ولا ينبغي أن يقال غير ذلك بالنسبة إلى الرجل الذي أمر بتزيه القرآن عما ليس منه .

محمد محمد الشرفاوي

هو السماع والتلقي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد غلط بعض الباحثين حين نسب إلى بعض الصحابة ومنهم ابن مسعود قراءة كلمات من القرآن بالتشهي في اختيار المرادف ولو لم يكن مسموعاً له . . وفي هذا يقول ابن الجزري : « وأما من يقول : إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز قراءة القرآن بالمعنى فقد كذب عليه لأنه روى عنه قوله : « نظرت القراءات فوجدتها متقاربة ، فافروا كما علمتم ، نعم . . . لأنهم كانوا يقحمون التفسير في غضون كلمات القرآن لأنهم في ذبائك العصر كانوا في أمن من الالتباس لقرب العهد ، وشدة العناية والضبط . . . لكن ابن مسعود كان من رأيه كراهة هذا الصنيع ، وقال قوله المأثورة :

نَهْجُ الْبُرْدَةِ فِي شِعْرِ الْبَارُودِي

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

وأهداها للخديو عباس بمناسبة حجة في ذلك العام . وما يذكر اشوق بالفضل في هذا المقام أنه لم يشر إلى مدح عباس في هذه القصيدة على طولها إذ بلغها أبيتها تسعين ومائة بيت ، في حين أن الشعراء حينذاك كانوا ينتهزون فرصة المناسبات الدينية المختلفة لينفذوا إلى مدح الولاة والحاكمين ، وشوق نفسه كان معروفا بأنه شاعر القصر وله الكثير في مدح السلاطين وأمرأ البيت الحاكم . ولقد كان لحلول هذه القصيدة من أي مدح إلا للرسول الكريم ، ثم ما تضمنته من دفاع عن الإسلام ، وإبراز لمزاياه . . . أكبر الأثر في ذبوعها وشهرتها ، ولا سيما بعد أن صارت ألحانا ترددها أم كلثوم على موجات الأنهر .

وهناك « ظل البردة » للرحوم محمد عبد المطلب من ثلاثة وعشرين ومائة بيت ، و « بردة محفوظ » للشاعر أحمد محفوظ من مائة بيت وبيت ، و « وقربني » للشاعر محمود جبر شاهر آل البيت من تسعة وخمسين ومائة بيت . . . إلى غير ذلك .

من يوم أن ظهرت قصيدة « البردة » للإمام البوصيري^(١) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قبلة للكثيرين من شعراء العرب إلى يومنا هذا ؛ قد اتخذوا من موضوعها ، وبحرها ، وقافيتها ، نبراسا ينسجون على منواله ، على تفاوت بينهم في استيفاء موضوعات السيرة النبوية ، وعدد الأبيات ، والأسلوب ، وتضمنين المعارف الإسلامية ، والمقدرة على التصوير . وفي شعرنا الحديث ، كثير من القصائد قد نحا الشعراء فيها منحنى البوصيري ، مثل : « نهج البردة » للرحوم أحمد شوقي ، وهي تلك القصيدة الكبرى التي نظمها عام ١٩٠٩ ،

[١] هو الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد البوصيري ، أو الباصيري . توفي عام ٦٩٥ هـ في عصر المماليك . ومن أهم الأسباب التي ضمننت لهذه القصيدة الذبوع والخلود ، هو ما روى عن مناسبة لإنشادها : ذلك أن البوصيري رأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه وقد خلع عليه بردته الشريفة ، فكان ذلك سببا في إبرائه من علة منمنة - ولذلك تسمى قصيدته أيضا : البراءة - فاستيقظ وهو أصغر ما يكون نقسا ، فأنشأ هذه البردة الخالدة .

« حمد الله لذاته آية الإيمان والإخلاص ،
والصلاة والسلام على النبي الأسمى ، وآله ،
بحجة الخلاص . وبعد : فهذه قصيدة ضمنها
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من حين مولده
الكريم . إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه ،
وقد بنيتها على سيرة ابن هشام ، وسميتها :
« كشف الغمة . في مدح سيد الأمة » .
ورغبت إلى الله أن تكون لي ذريعة أمت بها
يوم المعاد وسلبا إلى النجاة من هول المحشر .
اللهم خفف رغبتى إليك ، واكسها بفضلك
رواق القبول آمين » .

ولم أعثر فيما قرأت من مراجع عن
البارودي على إشارة ما تبين تاريخ إنشاء
هذه القصيدة ، وأكثر الذين كتبوا عن
هذا الشاعر العظيم لم يذكروا إليها في قليل
ولا كثير . لذلك عولت على استنباط الفترة
التي أنشئت فيها من نفس أبياتها ، غير أني
لم أصل إلى نتيجة حاسمة في ذلك .

فللبارودي أشعار تمثل أطوار حياته
وقت صباه وشبابه ، قبل أن يدخل معترك
السياسة ، وأشعار تمثل طور كهولته ، حين
انخرط في عداد المحاربين ثم الوزراء ،
وأشعار تمثل طور شيخوخته في منفاه .

وقد ذكر في بعض أبياتها - حين أخذ
يتوسل إلى النبي عليه الصلاة والسلام ما يفيد
أنه أنشأها في أخريات عهد الشباب - :

ولقد سبق البارودي (١) رحمه الله تعالى
سائر شعراء عصرنا الحديث في هذا المضمار ،
إذ أنشأ قصيدة كبرى على نهج بردة
البوصيري ، تكاد تكون ملحمة مستقلة ،
إذ بلغت أبياتها سبعة وأربعين وأربعمائة
بيت ، سماها : « كشف الغمة . في مدح
سيد الأمة » . وهي ليست بالديوان المطبوع ،
لأن جامعها هذا الديوان قد رتبوه أبجديا
بحسب القوافي ، وآخر ما وصل إليه الجزء
الثاني هو حرف « الكاف » (٢) .

تضمنت هذه القصيدة سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم من حين مولده الشريف ، إلى أن
انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وقد توسع
البارودي في كثير مما أجمله البوصيري ،
وأكل بعض الموضوعات التي لم يذكرها
سلفه مثل الهجرة إلى الحبشة ، وبيعة
الأنصار ، والوفود التي تدنقت على المدينة
مسئلة مبايعة بعد فتح مكة .

وقد جعل البارودي لهذه القصيدة مقدمة
قال فيها :

[١] هو محمود سامي بن حسن حسني بك أمير المدفعية
في عهد محمد علي . وجده لآبيه عبد الله بك الجركسي
ولد عام ١٨٣٤ وتوفي عام ١٩٠٤ . والبارودي
نسبه لإيتاي البارود إذ كان أحد أجداده ملتزما بها .
والبارودي صاحب الفضل في بث شعرنا
الحديث ، ومدرسته تعتبر أولى مدارس التجديد .
[٢] مطبوعة مستقلة عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م
بمطبعته الجديدة .

البارودي إذاً أن يقتدى به في التماس شرف
الانتساب؟ قال :

ياسيد الكون : عفواً إن أثمت ، فلي
محبكم صلة تغني عن الرحم
كفى بسلطان لي غفراً إذا انتسبت

نفسي لكم مثله في زمرة الحشم
ونعرض الآن هذه القصيدة القيمة عرضاً
سريعاً :

بدأ القصيدة بمقدمة غزلية من
ثلاثة وعشرين بيتاً ، ومطلعها :

يا رائد البرق : ييم دارة العلم
واحد الغمام إلى حي بذي سلم

وإن مررت على الرواح ، فأمر لها
أخلاف سارية هتانة الديم

ثم يذكر ما كان من كرامات سبقت مولد
النبي في ثلاثة عشر بيتاً ، ينتقل بعدها إلى ذكر
المولد الشريف ثم الرضاع وشق الصدر
والرحلة إلى الشام وزواجه من خديجة في
ستين بيتاً ومنها :

ومذ أقي لوضع ، وهو الرفع منزلة
جات بروح بنور الله مقدم

ضامت به غرة الاثنين ، وابتسمت
عن حسنه في ربيع روضة الحرم

وأرضعته - ولم تياس حليلة - من
قول المراضع : إن البؤس في اليتيم

ثم انتقل إلى بدء الرسالة ونزول الوحي
في اثنين وعشرين بيتاً ومنها :

هذي مناي ، وحسبي أن أفوز بها
بنعمة الله قبل الشيب والمهرم

ولكنه عاد بعد ذلك فقال :

شكوت بئى إلى ربى لينصفنى
من كل باغ عتيد الجور ، أو همك

وكيف أرهب حيفاً وهو متمم
يخافه كل جبار ومتمم

لا غرو إن نلت ما أملت منه فقد
أنزات معظم آمالي بذي كرم

يا مالك الملك : هب لي منك مغفرة
تمحو ذنوبي غداة الخوف والندم

وقد تشير هذه الأبيات إلى أنه قلها
في المنفى . وكيفما كان الأمر فإن القصيدة

في مجموعها توحى إلى أنه أنشأها في مرحلة
متأخرة من حياته إذ أنها تضمنت كثيراً

من الحكم ، والإشارات إلى أحداث الزمن
وشماتة الحساد ، والاستعداد ليوم الرحيل

والحساب ...

ولما كان البارودي من أصل شركسي ،
ولم يمت إلى العروبة بصلة النسب ، فإنه اتخذ

من إيمانه وحبه للرسول الكريم وسيلة
ينتسب بها إليه أسوة بسلطان الفارسي ،

فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال
عن سلمان - وهو فارسي - « سلمان منا أهل

البيت » ، ولم يستأجل سلمان هذا الشرف
إلا لإيمانه ومحبه للرسول الكريم ، فما على

وحين أدرك سن الأربعين وما

من قبله مبلغ للمعلم والحكم
حياء ذو العرش برهانا أراه به

آيات حكمته في عالم الحلم
ونلاحظ في هذه الأبيات تأثر الشاعر
بالسرد التاريخي ، وتفصيل الأحداث بما
يجعل قوة الشعرية تفتقر بعض الشيء .

وبعد أن تحدث عن هجرة الحبشة ، وما كان
من أمر صحيفة قريش في واحد وعشرين بيتاً ،
انتقل إلى الإسراء والمعراج في اثني عشر
بيتاً ومنها :

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى

ليلاً إلى المسجد الأقصى بلا أئمة
ولكن أين هذا من بيت البوصيري :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم

كما سرى البدر في داج من الظلم
وبعد ذلك ينتقل إلى دعوة الأنصار
ويعتصمهم وموقف قريش من ذلك في
أربعة وعشرين بيتاً ، ومن ذلك :

ولم يزل سيد الكونين منتصباً

للدعوة الدين لم يفتر ولم يحجم
يستقبل الناس في بدو وحاضرة

وينشر الدين في سهل وفي علم
حتى استجابت له الأنصار واعتصموا

بجبله عن تراض خير معتصم

فاستكمل بهم الدنيا نضارتها

وأصبح الدين في جمع بهم تتم
ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الهجرة
وأحداثها ، ثم مسجد قباء ، والمؤاخاة بين
المهاجرين والأنصار في اثنين وأربعين بيتاً .
ونقف قليلاً عند أبيات الهجرة لما فيها من
طرافة ودقة في الوصف ونكتفي بذكر
وصف غار ثور إذ استغرق وحده
سنة عشر بيتاً :

وجاءه الإذن إذبانا بهجرته

فيمم الغار بالصدق في القسم
فما استقر به حتى نبوءاه
من الحائم زوج بارع الزنم
بنى به عشه ، واحتله سكنا

يأوى إليه غداة الريح والزهم

إلفان ، ما جمع المقدور بينهما
إلا لأمر بصدر الغار مكتم

كلاهما ديدبان فوق سرابة
يرعى المسالك من بعد ولم ينم

إن حن هذا غراماً أو دعا طرباً

باسم الهديل ، أجابت تلك بالنغم
يخالها من يراها وهي جائمة

في وكرها ، كرة ملساء من آدم
إن رفرفت سكنت ظلاً وإن هبطت

روت غليل الصدى من حائر شم

بالوصف البارودى عن الاهتمام بما فى هذا
المقام من عبرة ، وما كان من موقف أبى بكر
فى اقتداء الرسول بنفسه حين خرجته عليهما
حية فأنكته .

نعم : لقد أحسن البارودى فى هذا التفصيل
وأبرز صورة فنية رائعة للشهد ، غير أنه إن
فاق البوصيرى فى هذا التصوير فإن البوصيرى
قد فاقه فى سمو المعنى عندما تحدث عن هذا
الامر مع أنه لم يزد على أربعة أبيات :
قال البوصيرى :

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من السكفار عنه هم
فالصدق فى الغار والصدق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من آدم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع ، وعن عال من الاطم
وقد حاول الشيخ محمد عبد المطلب أن
يحاكى البيت الاخير من هذه الابيات الأربعة
فلم يدرك . وذلك حينما قال :

من يحمه الله ساوى فى حمايته
فعل الجادات فعل الناس والهم
ثم ينتقل البارودى بعد ذلك إلى ذكر
السرايا والغزوات ، فيذكرها جميعا فى ثلاثة

مرموقة الجيد من مسك وغالية
مخضوبة الساق ، والسكفين بالغم
كأنما شرعت فى قاتى سرب
من أدمعى ، فغدت بحجرة القدم

وسيجف العنكبوت الغار مخفيا
بخيمة حاكها من أبداع الخيم
قد شد أطناها ، فاستحكمت ورست
بالأرض ، لكنهما قامت بلا دعم
كأنها سابرى حاكه لبق
بأرض سابور فى بحبوحة العجم
وارت فم الغار عن عين تلم به
فصار يحكى خفاء وجه ملثم
فياله من ستار دونه قسر
يجلو البصائر من ظلم ومن ظلم
فضل فيه رسول الله معتكفا

كالدرد فى البحر ، أو كالشمس فى القسم
هذا هو تصوير البارودى للغار وتظليل
العنكبوت وتعشيش الحمام ، وكأنى بالبارودى
هنا يصور الاستعدادات العسكرية التى تسبق
المعركة ، فهو يذكر الديدبان يجرس المسالك
من فوق مرتقع ، ثم يتحدث عن الخيمة
تشد أطناها حتى لنبدو كأنها بنيان راسخ
الاسس . كما نراه يصور مافى بيئة الأغنياء
من مظاهر الترف من مسك وخضاب وحرير .
ومجالس طرب . وقد صرفت هذه العناية

فهذه الغزوات الشجرة شاملة
جمع البعوث ، كند لاح في نظم
جمعها راجياً نيل الشفاعة من
خير البرايا ، ومولى العرب والعجم
هو النبي الذي لولاه ما قبلت
رجاء آدم لما زل في القدم
حسبي بطلعته الغرام مفتخرة
لما التقيت به في عالم الحُلُم
* * *

وبعد : فذلك هي إحدى غرر البارودي ،
وهي على أهميتها ما تزال مجهولة من كثير
من أدبائنا ونقادنا المعاصرين على كثرة
ما تناولوا من دراسات في أدب البارودي .
ولنا بعد هذا العرض السريع بعض
الملحوظات :

١ - لم يصرح البارودي بأخذه عن
البوصيري كما فعل شوقي في « نهج البردة »
ولكن مع هذا نجد وحدة الموضوع والبحر
والقافية والاشتراك في روح كثير من الآيات ،
فالْبوصيري يقول في فضل النبي عليه الصلاة
والسلام ورجاء شفاعته :

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي
فضلاً ، وإلا فقل : يا زلة القدم
والبارودي يقول في ذلك :
هو النبي الذي لولاه ما قبلت
رجاء آدم لما زل في القدم

وثلاثين ومائة بيت ، بجملها حيناً ، ومفصلاً
حيناً آخر ، من أول غزوة « وُدَّان » -
أو الأبوأ ، إلى غزوة تبوك آخر غزواته
صلى الله عليه وسلم :
هذا ، وقد فرض الله الجهاد على
رسوله ، ليُثِّثَ الدين في الآم
فكان أول غزو سار فيه إلى
« ودان » ، ثم أتى في غير مصطدم
ثم استمرت سرايا الدين ساجدة

بالخيل جاحجة ، تشتهه باللحم
إلى أن يقول :
وحين أوفى على وادي تبوك سعي
إليه ساكنها طوعاً بلا رَغْم
ثم ينتقل إلى ذكر الوفود التي جاءت إلى
المدينة بعد الفتح ؛ ثم البعوث والرسائل
إلى الملوك :

وأمَّ طيبة مسروراً بعودته
يطوى المنازل بالوئادة الرُّسْم
ثم استهلت وفود الناس قاطبة
إلى حماه ، فلاقته وافر السكرم
فكان عام وفود : كلما انصرفت
عصابة أقبلت أخرى على قدم
وأرسل الرسل تترى للوك بما

فيه بلاغ لأهل الذكر والفهم
إلى أن يختم موضوعات القصيدة بالتوسل
وطلب الشفاعة ، ومن ذلك :

- ويقول البوصيري :
- إن آت ذنبا ، فما عهدى بمنتهى
من النبي ، ولا حبلى بمنصرم
- ويقول البارودي :
- ياسيد الرسل : عفوا إن أئمت فلي
بحبسكم صلة موصولة الرحم
- ٢ - كثيرا ما كان يعتمد البارودي إلى
إرسال الحكمة عقب ذكر الأحداث ، فمثلا
فجده بعد وصف إيذاء قريش للنبي عليه
الصلاة والسلام ، وما كان من كيد
أبي جهل يقول :
- لا يسلم القلب من غل ألم به
ينقى الأديم ، ويبقى موضع الحلم
والحق كالنار ؛ إن أخفيت ظهرته
- منه علام فوق الوجه كالحم
لا يبصر الحق من جهل أحاط به
وكيف يبصر نور الحق وهو عم ؟
- ٣ - كشفت الآيات عن عقيدة سليمة
فيما يتعلق بالحساب والجزاء والخير والشر :
- كل امرئ واجد ما قدمت يده
إذا استوى قائما من هوة الأدم
والخير والشر في الدنيا مكافأة
والنفس مسئولة عن كل مجتزم
- فلا ينم ظالم عما جنت يده
على العباد ، فعين الله لم تغم
٤ - ولما كانت هذه القصيدة تعالج موضوعا
- تاريخيا يقيّد انطلاق الشاعر أحيانا ، كان
لا بد أن نجد من بعض الآيات ما يسكاد
يكون مجرد نظم مثل :
- فبينما هو يرعى البهم طاف به
شخصان من ملكوت الله ذى العظم
- هذا . وقد فرض الله الجهاد على
رسوله ، أيّد الدين في الأمم
- هذا . وقد فرض الله الصلاة على
عباده ، وهدام واضح اللقم
- ٥ - تصور هذه القصيدة مدى سعة اطلاع
البارودي على التاريخ الإسلامي ودراسته
لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومقدرته
الفنية على التصوير وتأثره بحياته العسكرية .
ولقد كانت هذه القصيدة من أوائل
المطولات الإسلامية في شعرنا الحديث ، ولا
غربة في ذلك ، فإن شعر البارودي
بعمامة يعتبر نقطة تحول في الشعر
المصري الحديث .
- ونرجو أن تتاح فرصة أخرى للدوازة بين
هذه القصيدة وقصيدتي شوقي وعبد المطلب
لبيان خصائص كل منهم في هذا المضمار
مع بيان ما بين البارودي وصاحبيه من تغير
الزمن وتطور الأحداث .
- وفقنا الله إلى الصواب ؟
- دكتور سعد الدين الجبوري

دراسات في علم المعنى

«السيمانيك»

للدكتور كمال بشر

علم المعنى في الدراسات اللغوية

- ٣ -

اللغويين في الوقت الحاضر لا يزالون يتبعون
العرف القديم الذي كان يجري على تقسيم علم
اللغة إلى فروع ثلاثة فقط هي :

(١) علم الأصوات التنظيمي phonology^(١)

[١] نلاحظ أن هؤلاء اللغويين قد اقتصروا على
« علم الأصوات التنظيمي ، phonology ، ولم
يذكروا « علم الأصوات العام » phonetics
في هذا التقسيم الذي اختاروه . وهذا المنهج في
الواقع إنما يتمشى مع رأى القائلين بالتفريق
بين ما سموه « اللغة » language وما سموه
« الكلام » speech . وعدم أن اللغة عبارة
عن مجموعة القوانين والنظم اللغوية المخزونة في ذهن
الجماعة التي تملك هذه اللغة . أما الكلام في رأيهم
فهو الأحداث اللغوية الفعلية الصادرة من المتكلم
الفرد وقت الكلام الفعلي نفسه . وعشياً مع مذهبهم
هذا ، رأى هؤلاء القوم ومن سلك مسلكهم أن
« علم الأصوات العام » phonetics إنما يختص
بدراسة أصوات « الكلام » أما « علم الأصوات
التنظيمي » phonology فهو خاص بدراسة
الحقائق والنظم الصوتية للغة . (يتبع)

لم يعد علماء اللغة المعاصرون يشغلون بالهم
بتوجيه أنظار الناس إلى أهمية علم المعنى ،
أو ترويج بضاعته في البيئات اللغوية ، فذلك
أمر قد فرغوا منه منذ أمد بعيد ، وصار
الكلام فيه ضرباً من فضول القول ، ونوعاً
من الإسراف فيه ، أما ما يشغل بالهم اليوم
فيمثل في الإجابة عن السؤالين التاليين :

١ - هل مشكلات المعنى وقضاياها جديرة
أن تفرد لها بحوث خاصة تقوم بدراستها
وتحليلها تحليلاً دقيقاً ، يرقى إلى مستوى
التحليل العلمي ؟

٢ - وإذا كانت هذه المشكلات وتلك
القضايا تستحق هذه البحوث الخاصة ، فما
مكانة هذه البحوث في الدراسات اللغوية
أو ما منزلتها ، بالنسبة للفروع الأخرى في
علم اللغة الحديث ؟ .

أما فيما يتعلق بالسؤال الأول ، فإن بعض

(٢) علم الصرف morphology .

(٣) علم النحى syntax .

ومن الواضح أن هذا الاتجاه قد أهمل مشكلات المعنى اللغوى إهمالا تاما ، وأغلق دونها أبواب الدراسات اللغوية ، أو على الأقل ، يمكن القول بأن هؤلاء العلماء قد قللوا من قيمة هذه المشكلات وهونوا من شأنها ، إذ ضنوا عليها ولم يفردوا لها بحوثا خاصة تقوم على معالجتها . وتتوافر على دراستها دراسة علمية ذات منهج خاص ، وكل ما فوله هؤلاء - أو بعبارة أدق - كل ما فله

وهذا هو سر افتقار هذا الفرع من اللغوين على هذا العلم الأخير ، وإهمالهم العلم الأول في تقسيمهم المذكور؛ إذ هم بصدد ذكر فروع ذلك العلم العا الذى وظيفته البحث فى « اللغة » ، لا « الكلام » . أما التفريق بين علم الأصوات العاء وعلم الأصوات التنظيمى - على حسب ما يفهم من كلامهم - هذا رأى ، وعلى حسب ما يقتضى مع مناهجهم فى الفرق بين اللغة والكلام - فهو أن الأول إنما يدرس الأصوات اللغوية من حيث كونها أحداثا فعلية حقيقية ، معتمدا فى ذلك على الناحيتين المادية والليكنائية للأصوات ، وذلك بطريق وصفها من حيث نطقها ونحارجها وتأثيرها على السمع . أما الثانى - وهو علم الأصوات التنظيمى - فوظيفته تنظيم هذه الأحداث الصوتية وإخصاءها لقوانين عامة ، مراعىا فى ذلك الآثار والصور الذهنية التى تطبعها الأحداث الفعلية للأصوات وتركها فى الذهن .

نفر قليل منهم أنهم قنعوا بالتعرض للمعنى اللغوى ، تعرضا خفيفا فى مناقشات متناثرة هنا وهناك فيما قاموا به من بحوث عامة ، كما حدث فعلا فى ذلك البحث الذى دججه الأستاذ « راييسج » ، خاصا بعلم اللغة اللاتينية ، حيث كان يرجع من آن إلى آخر على مشكلات المعنى فى أثناء دراسته لقواعد هذه اللغة .

على أن افترض أن هؤلاء العلماء قد اكتفوا بما يجسرى فى المعجمات من دراسة معانى مفردات اللغة - هذا الافتراض لا يشفع لهم ولا يعفيهم من النقد . وذلك لسببين اثنين أولهما : أن دراسة « المعنى » بالمفهوم الذى يرتضيه اللغويون المعاصرون دراسة أشمل وأعمق مما تقوم به المعجمات من تفسير عام سطحي لمعانى المفردات والألفاظ . وحقيقة الأمر أن دراسة المعنى على مستوى المعجم إن هى إلا جزء أو جانب واحد فقط من جوانب دراسات المعنى . بل إن بعض الدارسين المحققين - أمثال فيرث وغيره - يذهبون إلى أن بحوث المعنى على مستوى المعجم لها فرع مستقل من فروع علم اللغة : فرع تختلف مبادئ الدراسة وأسس البحث فيه عن مبادئ وأسس ذلك الفرع الذى اختص بدراسة « المعنى » بالمفهوم الجعديد الذى أشاروا إليه بالمصطلح المشهور ، « السيمانتيك » la sémantique .

الاصوات التنظيمي^(١) ، وعلم للصرف .
أما الجانب الثاني — وهو الجانب النفسي
أو غير الميكانيكي — فيقابله النحو وعلم
المعنى ، ثم يضيف جرای إلى هذه الفروع
الاربعة فرعاً خامساً هو « علم تاريخ الكلمات
وأصولها ، etymology » .

السبب الثاني : قد تقبل من هؤلاء القوم
اكتفاءهم بدراسة المعنى في المعجمات وما إليها
ولسكننا مع ذلك نوجه إليهم النقد من جهة
أخرى وهي إهمالهم للمعجمات وصناعتها ؛ فهم
لم يعدوها من فروع علم اللغة . مخالفين بذلك
ما سار عليه أكثر اللغويين في الوقت الحاضر

كل هذه المآخذ وغيرها قد وعتها الأغلبية
الساحقة من علماء اللغة ، وتحاشوا الوقوع
فيها ، ومن ثم استقر الرأي فيما بينهم على
جندارة المعنى ومشكلاته بدراسة مستقلة ،
وأفردوا له منهجاً خاصاً في لدراسات اللغوية ،
ذلك المنهج هو ما اتفقوا على تسميته
« بالسميانتيك » ، أو علم المعنى . غير أن هؤلاء
اللغويين اختلفوا فيما بينهم على درجة الأهمية
التي يستحقها هذا المنهج ، وعلى « منزلته » من
فروع علم اللغة الأخرى وسوف نحاول في
السطور التالية أن نبين أشهر الآراء في هذه
اللقطة الأخيرة واملأنا نخلص من ذلك إلى
الإجابة عن السؤال الثاني المذكور فيما سبق .

يرى الأستاذ « جرای » ، Gray أن
اللغة لها جانبان جانب عضوي أو ميكانيكي
physiological or mechanical ، وجانب
نفسى أو غير ميكانيكي psychological
or non - mechanical . فالجانب الأول
يقابله فرعان من فروع علم اللغة هما : علم

[١] يتضح من هذا التقسيم أن « جرای » قد
اتفق مع أصحاب الرأي السابق في الاختصار على علم
« الاصوات التنظيمي » phonology وإخراج
« علم الاصوات العام » phonetics من فروع
علم اللغة . وفي هذا ما يشير إلى أنه يسلك مسلك
القائمين بالتفريق بين « اللغة » و « الكلام »
ذلك التفريق الذي يستتبع تخصيص أحد علمي
الاصوات باللغة والآخر بالكلام . انظر ص (١٣٧٧)
المحوظة (١) . على أن نظرة جرای إلى جوانب
اللغة توجب عليه أن يركس القضية ، فالمناسب
للجانب الآلى أو الميكانيكى لغة إنما هو علم
الاصوات العام لا علم الاصوات التنظيمي ، إذ
أن الأول هو الذى يدرس الاصوات من الناحية
الآلية والميكانيكية . أما الثانى فيدرس وحداتها
وصورها القمنية . وهذا ما صرح به فعلا كثير
من أتباع مذهب التفريق بين اللغة والكلام ،
وهذا التفريق هو أساس هذه النظرة إلى علمي
الاصوات ومع ذلك ، من الجائز أن يكون جرای
قد استعمل المصطلح phonology (علم
الاصوات التنظيمي) مكان المصطلح phonetics
(علم الاصوات العام) وهذا ما يفعله أحياناً بعض
الدارسين ، وبخاصة أولئك الذين يتبعون المدرسة
الفرنسية التي كثيراً ما تستعمل هذين المصطلحين
كأ لو كان مترادفين .

أن جرى إنما جعل علم المعنى تابعا فقط لعلوم موجودة بالفعل .

أما الاعتراض الذى نعتقد أنه أهم بما أثاره أولمان فى هذا المقام ، والذى نرى أنه أجدر بالتسجيل هنا فهو أن نظرة جرى إلى اللغة نظرة تتضمن فكرة « الثنائية » ، فى الأحداث اللغوية dualism of speech - events .

وهذه الفكرة هى ما تعنيه بعض المدارس اللغوية من أن أحد جانبي اللغة « عضوى أو ميكانيكى » (أو مادى أو جسمانى كما يحلو لبعضهم أن يدعوه) وأن الجانب الآخر « نفسى أو غير ميكانيكى » (أو عقلى على حد تعبير بعض الدارسين) . وفى رأينا أن هذا التقسيم لجوانب اللغة يتضمن أن الأحداث اللغوية مكونة من عنصرين متميزين ، يمكن الفصل بينهما أو عزلها بعضهما عن بعض . والحق أن هذا الاتجاه يفهم صراحة من تقسيم جرى لعلوم اللغة على الوجه السابق . وإلا فإذا يعنى تخصيصه على الأصوات التنظيمى والصرف بالناحية الميكانيكية ، وعلى النحو والمعنى بالناحية النفسية ؟ إن هذا لا يعنى إلا شيئا واحدا ، هو إمكانية الفصل بين العناصر المكونة للأحداث اللغوية ، بل وجوب هذا الفصل .

ونحن لا نذهب هذا المذهب ولا نأخذ به ، إذ أن رأينا فى هذه القضية - بل وفى كل قضايا

ويتضح من هذا التقسيم أن جرى قد قنع بالنص على أهمية علم المعنى فى الدراسات اللغوية ؛ إذ أنه قد خصص له منهاجا قائما بذاته من مناهج هذه الدراسات ، ولكنه لم يشأ أن يصرح بنوع هذه الأهمية أو درجتها . ويبدو من طريقة عرضه لهذه المناهج أنه ينظر إليها جميعا نظرات متساوية ، وأنه لا يفضل بعضها على البعض الآخر ، وإنما يعدها أطرافا متعددة لشيء واحد ذى وظيفة واحدة . هى البحث فى اللغة ، وإن كان ذلك من وجوه مختلفة .

على أن أولمان لا يرى هذا الرأى الذى ذهبنا إليه فى تفسير كلام جرى ، ويعتقد أن هذا الأخير لم يأت بحديد فى منهجه المذكور ؛ إذ أن كل ما قام به هو أنه « ألحق علم المعنى بنظام التقسيم القديم الموجود بالفعل » . كما أنه يوجه اعتراضا آخر ، مضمونه أن الأساس الذى اعتمد عليه جرى فى تقسيمه لفروع علم اللغة لا يستتبع - من الناحية المنطقية - اعتبار « علم تاريخ الكلمات وأصولها ، جانبا من جوانب هذا التقسيم ^(١) . ونحن وإن كنا ندرك قيمة هذا الاعتراض الأخير ، لا نعتقد أن أولمان قد أصاب فى اعتراضه الأول الذى يتضمن

(1) See Ullmann, The Principles of Semantics, p. 24.

في مجالات الحياة الإنسانية على اختلاف ضروبها وأنواعها .

ويرى الأستاذ بلومفيلد Bloomfield رأيا مخالفا لما ذهب إليه جرائ ، ويعتقد أن علم المعنى جدير أن يلقى أهمية بالغة من الدارسين ، وخلق أن يحظى بمنزلة تفوق منزلة غيره من علوم اللغة . ولعل في طريقة تقسيمه لهذه العلوم ما يعبر عن ذلك أوضح تعبير وأصرحه . يذهب هذا الباحث الأمريكى إلى أن « الطريقة المثلى ، تقتضينا أن نقسم علم اللغة إلى فرعين رئيسيين هما :

علم الأصوات phonetics وعلم المعنى . ولم يكتف بلومفيلد بأن جعل علم المعنى وحده يمثل نصف الدراسات اللغوية (بل وأكثر من النصف كما سيتبين فيما بعد) وإنما عده كذلك أساسا لفروع أخرى وأصلا لها . وهذه الفروع الأخرى تتمثل في « علم القواعد ، grammar وفي « المعجم ، lexicon . ولا غرابة في هذا التقسيم الذى ابتكره هذا الباحث ؛ إذ أنه يتمشى مع فهمه لعلم المعنى : ذلك الفهم الذى جعله يتوسع في مدلول هذا العلم وفي دائرة اختصاصه وبحوثه بحيث يصير مساويا أو معادلا « البحوث علم القواعد والمعجم مجتمعة ، . أو بعبارة أخرى ، إن اختصاص علم المعنى عند بلومفيلد ليس هو البحث في المعنى

اللغة ومشكلاتها - يبنى على أساس أن الأحداث اللغوية وحدة متكاملة : وحدة قد تتضمن عناصر ميكانيكية وأخرى نفسية ، ولكنها مرتبطة ببعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، بحيث لا يمكن لجانب منها أن يستقل بذاته أو أن يكون بنفسه وحدة متميزة ، ومن ثم لا يجوز لنا أيضا أن نفرّد فرعاً معيناً من فروع علم اللغة لدراسة جانب معين من هذه العناصر وفرعاً ثانياً لدراسة الجانب الآخر أضف إلى ذلك أن الاعتراف « بثنائية » الأحداث اللغوية فيه اعتراف ضمني « بثنائية » الإنسان الذى تصدر عنه هذه الأحداث dichotomy of man ، أى اعتراف بإمكانية الفصل بين عنصريه : المادى ، والروحى ، أو الجسمى والعقلى . وهذه قضية إن صحت في بعض العلوم - لا تصح في علم اللغة ولا يؤخذ بها في البحوث الخاصة به . والواقع أن رأى السائد الآن بين المحققين من العلماء هو العمل على وضع قواعد العلوم الإنسانية ونظمها على أساس الوفاء بحاجات الإنسان المادية والروحية جميعاً : حاجاته بوصفه إنساناً متكامل العناصر والجوانب ، وهم بذلك يستهدفون سعادته ورفاهيته ، بعد أن أيقنوا أن الاهتمام بأحد الجانبين وإهمال الآخر لا بد أن يقود في النهاية إلى الشقاء وعدم الاستقرار

ووظيفة هذا العلم الأخير - كما حددها بلومفيلد - تنحصر في بيان « أن مجموعة معينة من الأصوات اللغوية قد لقطت في مواقف معينة ذات طابع خاص ، وحملت السامع على أن يقوم بأداء نماذج معينة من السلوك أو أن يستجيب استجابات معينة » (١) .

ثم يذهب بلومفيلد بعد ذلك إلى أبعد من هذا ؛ فيجعل « علم المعنى » شاملا لكل من علم القواعد والمعجم . وذلك لأنه يرى أن بحوث كل من هذين الفرعين « الثانويين » تقوم بدراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور . أما بالنسبة للمعجم فالأمر ظاهر ؛ إذ أنه من المعروف أن وظيفة المعجم البحث في معاني مفردات اللغة ، أو - على حد « فهم بلومفيلد لمعنى » المعنى - وظيفته بيان أن هذه الكلمة أو تلك تناسب هذا الموقف أو ذاك ، وتقتضى السامع أن يقوم بعمل معين أو بآخر . وأما بالنسبة

بقطع النظر عن الصيغ اللغوية ، وإنما وظيفته - عنده - البحث في « الصيغ اللغوية ومعانيها معا » (١) .

وهذا الرأي الذي رآه بلومفيلد فيما يختص بمفهوم علم المعنى يمكن ربطه من جهة أخرى بمذهبه في اللغة نفسها وفي دراساتها بوجه عام . إنه يعتقد أن دراسة اللغة إنما تتم على مستويين رئيسيين فقط . المستوى الأول مستوى صوتي محض ، وفيه يقصر الباحث اهتمامه على الناحية المادية للأصوات ، ولا يعير التفاتا من أى نوع إلى المعنى الذي قد تحملها هذه الأصوات أو ترتبط به . وهذا النوع من البحث يتولاه « علم الأصوات » الذي يكرس جهوده حينئذ في دراسة خصائص الأصوات وميزاتها من الناحية الصوتية الصرفة ، وذلك بطريق النظر في مخارجها وتأثيرها على السمع وفي الموجات الصوتية التي تحدثها في الهواء . أما المستوى الثاني فهو مستوى البحث في المعنى ، وفي هذه الحالة توجه الدراسة إلى البحث في علاقة هذه الأصوات بمعانيها وارتباطها بها . وهذه الدراسة يقوم بها الفرع الرئيسي الثاني من فروع الدراسات اللغوية ، وهو « علم المعنى » .

(١) انظر بلومفيلد المرجع السابق ص ٧٤ . والذي جعل بلومفيلد يفسر وظيفة هذا العلم على هذا النحو هو مذهب « من « المعنى » نفسه . لأنه يفسر المعنى على أساس ميكانيكي - لو كي ؛ إذ يعتقد أن الأحداث اللغوية - كـ : كانت أو عبارة - إنما هي مثيرات تدفع السامع إلى القيام بنوع معين من السلوك أو إلى الإجابة بطريقة معينة أو عبارة أخرى . إن معنى الكلمة ، أو الجملة عنده عبارة عن الأحداث العملية السابقة التالية لهذه الكلمة أو الجملة .

انظر المرجع نفسه ، ٢٧ ، ١٣٩ .

(1) See Bloomfield, Language, PP. 74, 137-138, 513.

والاستجابة المناسبة من السامع ، وهذا يكون قد قام بوظيفته نحو المعنى على الوجه الذى يراه بلو مفيلد .

أما النحو فيبحث في المعنى على مستوى العبارة والجملة . فالنحو حين يختبر صحة نظم الصيغ ، أو عدم صحة ذلك النظم . أى حين يختبر مواقع هذه الصيغ وترتيبها على نسق معين ووضع خاص ، وحين يبحث في العلاقات بينها طبقاً للأنوف والمتعارف عليه في البيئة اللغوية المعنوية — لأنه عند ما يقوم بذلك يكون قد أرشدنا في الحال إلى ما يناسب هذه العبارة أو الجملة من المواقف الكلامية والاستجابات التى قد يستجيبها السامع . ومعنى ذلك أن النحو حينئذ يكون قد بين نوع العلاقة بين العبارة أو الجملة وبين الموقف الذى يمكن أن تنطلق فيه ، والسلوك الذى نتوقع حدوثه من السامع حسب خبرتنا بعبادات ، اللغة القومية . وبهذه الطريقة يتم لنا إدراك معنى ، الجملة أو العبارة ؛ بالمفهوم الذى ذهب إليه بلو مفيلد فى معنى « المعنى »^(١) .

(١) من الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن دراسة المعنى على مستوى النحو — بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور — معروفة لدى العرب منذ زمن بعيد ، ومن هذا القبيل ما خلفه لنا عبد القاهر الجرجاني من آراء تتعلق « بنظم الكلام » . وهذه القضية سوف نتعرض لها فى بحث مقبل ، خصصناه لمعالجة « علم المعنى عند العرب » .

لعلم القواعد ، فالتقصية تحتاج إلى شئ من التوضيح . إن علم القواعد Grammar يتكون عند بلو مفيلد — وعند عدد آخر من العلماء — من علمين اثنين هما :

الصرف Morphology والنحو Syntax
فهذان العلمان يتعاونان فيما بينهما على الوصول إلى قواعد اللغة الصرفية والنحوية ، ووضعها فى مجموعة معينة من النظم العامة التى تميز اللغة المدروسة من غيرها من اللغات . كما أن كلا من هذين العلمين يقوم فى الوقت نفسه بأداء دوره المخصص له فى بيان معنى الأحداث اللغوية التى يتعرض لها بالبحث والدراسة . فالصرف يدرس المعنى على مستوى « الصيغة »^(١) . وبيان ذلك أن هذا العلم إذ ينص على أن هذه الكلمة أو تلك اسم أو فعل أو حرف ، أو أنها مفرد أو مثنى أو جمع إلخ يكون فى الوقت نفسه قد وجه نظرنا إلى أن هذه « الصيغة » إنما تناسب موقفاً معيناً وتقتضى السامع أن يقوم بعمل معين أو بعبارة أخرى ، إن الصرف بعمله هذا يكون قد ربط الأصوات المكونة لهذه الصيغة المعينة بالموقف المناسب

(١) « الصيغة » مصطلح اخترناه فى هذا المقام ليقابل الكلمة الإنجليزية (form) ، ويقصد بها الكلمة بعد أن نتعرف على قيمتها الصرفية ، أى بعد أن نعرف أى اسم أم فعل أم حرف مثلاً .

المعنوية الأخرى التي تستفاد من السياق والمقام أضف إلى ذلك أن السيانتيك يراعى في بحوثه دائماً ظروف الموقف الكلامي وملابساته: تلك الظروف والملابسات التي ربما لا يتسنى للمعجم مراعاتها، بل التي كثيراً ما يهملها ولا يعيرها التفافاً.

على أنه قد يكون من القبول أن يعد المعجم داخلاً في دائرة علم المعنى وتابعاً لمباحثه. على أساس أن كلا منهما يقوم بدراسة المعنى على وجه من الوجوه^(١)، ولكننا لا نقبل مطلقاً تطبيق هذه التبعية، على علم القواعد. فهذا العلم الأخير قد اختص — في الدراسات اللغوية الحديثة — بدراسة المميزات الصرفية والنحوية للغة، معتمداً في ذلك على منهج معين: ذلك المنهج هو المنهج الشكلي. formal approach الذي تيسر خطوات البحث فيه على أساس وصف الخصائص الموجودة بالفعل في الكلمة أو العبارة والجملة، وليس من شأنه يعد ذلك أن تكون

تلك خلاصة القول فيما رآه بلومفيلد بالنسبة إلى مكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية. والواقع أن هذا الرأي الذي رآه بلومفيلد فيما يتعلق بمكانة علم المعنى، وفيما يختص بفروع علم اللغة بوجه عام — يضطرنا إلى مخالفته من عدة وجوه، يمكن تلخيصها في نقطتين رئيسيتين.

أولاهما: أننا لا ننكر على بلومفيلد اهتمامه بعلم المعنى، ولكننا ننكر أن يكون هذا الاهتمام على حساب علوم أخرى لا تقل من علم المعنى نفسه في الأهمية والمزلة، أو أن يكون سبباً في زحزحة هذه العلوم عن بيئاتها الطبيعية، وفي حشر بحوثها ضمن بحوث تختلف عنها في المنهج، ولا تتفق معها في الوظيفة. والرأي عندنا — كما هو رأي الدارسين المحققين — وجوب استقلال كل من علمي القواعد والمعجم، وتحليلهما من تلك التبعية التي فرضها عليهما بلومفيلد، إذ أن الكل منهما وظائفه وميادينه الخاصة به في الدراسات اللغوية.

(١) ذهب إلى هذا الرأي عدد من الفونين الذين يرون أن مباحث المعجم تمثل فرعاً أو جانباً من جوانب علم المعنى أو السيانتيك، بل إن هناك من الفونين من لا يرى التفريق بين مباحث المعجم ومباحث السيانتيك. ونحن لا نرى رأياً هؤلاء أو أولئك، وسوف نعرض في مقال آخر للفرق بين وظيفة المعجم ووظيفة علم المعنى بغير من التفصيل، وكذا الفرق بين المنهج المعجمي والمنهج السيانتيك على الوجه الذي نراه.

فالمعجم يدرس المعنى على مستوى الكلمة المفردة، وقليل ما يعنى بغير المعنى العام لهذه الكلمة، بخلاف علم المعنى — بالمفهوم الدقيق المأخوذ من المصطلح السيانتيك — فموضوعه البحث في المعنى على مستوى الكلمة والعبارة والجملة جميعاً، ولا يكتفي بتسجيل المعنى العام، بل لا بد له من التعرض للألوان والظلال

أو القالب ، وجانب المضمون أو المحتوى أو المدلول أو المعنى . وهذه الثنائية تنبئ عنها صراحة تلك الثنائية ، الأخرى التي ذهب إليها بلومفيلد في تقسيم علم اللغة . فعلم الأصوات — طبقا لهذا التقسيم — يقابل الجانب الأول ، ويقوم في الوقت نفسه بدراسة هذا الجانب والنظر فيه ، أما علم المعنى فيقابل الجانب الآخر الذي يمثل موضوع البحث في هذا العلم ، وهذا كله يعنى - بالتضمنين أو بالتصريح - إمكانية الفصل بين جانبي الأحداث اللغوية ، وإمكانية دراسة كل جانب منهما على حدة .

ونحن — وإن كنا لا ننكر وجود هذين الجانبين في الكلام الانساني — لا نرى إمكانية الفصل بينهما أو جواز عزل أحدهما عن الآخر في الدراسات اللغوية بوجه خاص . لأننا — كما قررنا فيما سبق — ننظر دائما إلى الحدث اللغوي — كلمة كان هذا الحدث أو عبارة أو جملة — على أنه وحدة متكاملة لا انفصام بين عناصرها أو أجزائها المسكونة لها ، ودراستنا لهذا الحدث لا تحيد عن هذا الأساس في كل مراحل الدراسة وعلى كل المستويات اللغوية ، من صوتية وصرفية ونحوية ؟ و للبحث بقية ،

هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة قد أثارت السامع أو دفعت ، إلى القيام بعمل معين ، على نحو ما يفهم بلومفيلد من معنى المعنى . وهكذا نرى أن مسلك بلومفيلد في جعله علم القواعد بطرفيه — وهما الصرف والنحو — تابعا لعلم المعنى يؤدي إلى الخلط بين علمين متميزين : علم القواعد الشكلى .

formal grammar وعلم المعنى الذى يجرى البحث فيه على أساس استخلاص معاني الكلمات والعبارات والجل من السياقات المختلفة على مستوى اجتماعى .

وليس معنى ما تقدم على أية حال أن علم القواعد منفصل انفصالا تاما عن علم المعنى : إن جميع فروع علم اللغة بلا استثناء يتصل بعضها ببعض اتصالا من نوع ما ، وكلها تستهدف هدفا عاما واحدا ، هو بيان الحقائق اللغوية للكلام المدروس وعلم القواعد بالذات من شأنه أن يمهّد الطريق لدراسة المعنى دراسة دقيقة على مستوى اجتماعى ، ولكنه مع ذلك ليس تابعا لعلم المعنى وإنما هو نده وقرينه .

أما النقطة الثانية : التي تختلف فيها مع بلومفيلد فتتمثل في تقسيمه علم اللغة قسمين اثنين رئيسيين ، هما علم الأصوات وعلم المعنى . إن هذا التقسيم يتضمن فكرة « الثنائية » في الكلام الإنسانى ، تلك الفكرة التي تعنى أن الأحداث اللغوية لها جانبان متميزان ، هما جانب الصوت أو اللفظ أو الشكل

دكتور كمال بشر

مدرس علم اللغة العام بكلية دار العلوم

القيمة الحقيقية للفنون الشعبية في العصور الإسلامية للأستاذ عبد المجيد وافي

جدران الكهوف ، وما نراه في عصرنا الحاضر من إنتاج الفنان الربيعي ، أو البدائيين من شعوب آسيا وإفريقيا .

والفن الإسلامي ، منذ أن استوى على سوقه خلال المائة الثانية للهجرة ، تحقق فيه هذان اللونان من ألوان التعبير الفني ، رغم اختلاف البقاع التي ولدت فيها نماذج الفن الإسلامي ، من أقصى الشرق في الصين والهند ، إلى بلاد المغرب والأندلس ، فترى الأعمال الفنية الخالدة لفنانين متفرغين في المساجد والخانات وقصور الخلفاء ، وما حوته السكتب من صور توضيحية رائعة ، أو ما روته تلك السكتب من أخبار الروائع التي عكف عليها الفنانون شهورا أو سنوات لإبداعهم ومساجد الفاطميين في مصر ، ومساجد الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ، وما حوته المتاحف من آثار القصور ومخلفاتها مثال لذلك .

وترى ذلك أيضا ما عثر عليه في حقريات الفسطاط والقطائع والعسكر بالقاهرة ، من أعمال فنية لم تصل إلى حد روعة تلك

جرت عادة المشتغلين بالفنون أن يقسموا الإنتاج الفني إلى نوعين :

النوع الأول : هو إنتاج الفنان الذي تعمق ودرس وتخصص ، فأصبح له لون من الفن يعرف به وينسب إليه .

ويمثل هذا اللون من الإنتاج ، ما احتوته القصور بين جنباتها في كل العصور ، من تحف قائمة بذاتها - صورة أو تمثالا ، أو أداة صيغت صياغة خاصة جمعت الجمال والمنفعة ، أو أعمالا زخرفية أو تشكيلات دخلت في تصميم البناء نفسه ، أو ما أنتج للدولة معبرا عن مرحلة من مراحل تاريخها ، مصورا فترة من حضارتها .

والنوع الثاني : ما أنتجه الفنان الذي لم يدرس دراسة خاصة ، ولم يتعمق في خواص المواد أو الألوان ، وإنما دفعه إلى ما أبدع من فن ، انفعاله بالبيئة وعناصر الجمال فيها ، وهذا النوع من الفن التلقائي هو ما يعرف بالفنون الشعبية .

ويمثل هذا اللون ما صورته البدائيون على

في رياضة «التحطيب» ، في حركة رشيقة وتعبير بسيط واضح ، على وعاء خزفي آخر ، ولكنه ليس مجلوباً من قصر ، ولم يصنعه فنان صناع ، بل هو من صنع عامل تأثر بهذا الشكل فسجله تسجيلاً بديماً .

وأطلق اسم الفنون الإسلامية على هذين النوعين من أنواع الإنتاج ولم يفرق المشتغلون بذلك بينهما كما يفعل المعاصرون في أنواع الفنون غير الإسلامية ، ودرج المؤرخون على اعتبار ذلك تنوعاً في مدارس الفن أو الإنتاج .

وقد لفت النظر إلى حقيقة هذا التنوع أستاذنا العلامة الكبير حسن عبد الوهاب ، الذي أشار إلى هذا الفرق في بحث من بحوثه الأخيرة .

وإذا كان المؤرخون للفنون الإسلامية قد قاتم ذلك الأمر ، فإنه قد فات أيضاً نقاد الفنون المعاصرة ، ولكن لسبب آخر : — هو نظرهم إلى طبيعة الفن الشعبي .

فهؤلاء النقاد هم الملون للعمل المنسوب إلى الفن ، وإن كان شديد التمسك بعميداً عن عرف الناس وذوقهم ، مفرقاً في التشويش والبدائية ويعدون ذلك عملاً شعبياً حقاً .

وأكثر من ذلك أنهم ينظرون نظرية الإكبار والتقدير إلى الفنان المتخصص الذي

التحقف التي ذكرتها في المثال السابق ، ولكنها لم تفقد طرافتها وبساطة التعبير ، وجد من ذلك بعض الألوان الخزفية ، والرسم على الجدران ، والنسيج والبسط مما صنعه سيدات الحذور شغلاً لوقت فراغن فيما ينفع .

والمسأمل في فنون الأمم الأخرى يرى فرقا كبيرا بين النوعين - الفن الشعبي والفن الخاص - في القوة الفنية ودقة التعبير والخبرة في استعمال الخامات ، مما يجعله يحكم بانفصال المستويات .

بينما لو تأمل فنون الإسلاميين لوجد أن الفرق بين طابع العمليين لا يكاد يذكر ، إلا إذا اعتبرنا تنوع الخامات من ذهب وفضة يكفت بهما النحاس ، أو العاج يطعم به الخشب ، أو الديباج والذهب في النسيج ، في مقابل الكتان والقطن ، والنحاس العاطل من الذهب أو الفضة ، وإن لم يخل من نقوش جميلة ، والخشب الذي زخرف دون تطعيم ، دليلاً على الفرق بين النوعين ، وما عدا ذلك فالأسلوب واحد أو متقارب في معالجة الرسوم أو الزخرفة ، وإن اختلف الموضوع ، فقد تجد رسماً لفتى جالس بين خاصته وخلاته في ثياب حسنة وسمت جميل ، على وعاء خزفي ذي بريق معدني مجلوب من أحد القصور ، وقد تجد رسماً لاثنتين يتقابلان بالعصى

بقى أن نبهت عن السبب الذي أدى إلى وجود الفرق الشاسع بين مستويات الفنون ، شعبيها وخاصها ، عند الأمم الأخرى ، وأدى إلى التقارب الملبوس بين مستوى للفن الشعبي الإسلامى والفنون الرفيعة .

وفى رأى أن سبب الاختلاف هناك هو انفصال المجتمعات عندهم انحصالا بينا ، فالعامة فى واد والخاصة فى واد ، لا يحس أحدهم بما يحس به الآخر ، لا يجمع الحب أو الفرح بينهم بل فرقهم أحقاد الطبقات ، حجزت بينهم الفردية وباعدت بينهم .

بيننا المسلم بجمعه ، وأخاه المسلم وحى عقيدة واحدة ، قربت بين طوائف الأمة ، ووحدت بين أهل الإسلام على تراثى بلادهم ، فى الاجتماع بعيد واحد أحيانا ، وجمعة واحدة أحيانا أخرى ويتجهون إلى قبلة واحدة ، يصومون شهراً واحداً ، وتلزمهم الزكاة فتؤلف بين الأمة على تفرقها فى مطالها .

هذا هو المعنى الذى قارب بين الفنان الشعبي المسلم وأخيه المخصص ، اتحدت رؤاهم واشتركوا فى منابع خيالهم فتقاربت أذواقهم فى الجملة وإن لم يتحدوا فى التفاصيل .

ذلك هو أثر الإسلام يقرب بين أبناء الأمة حتى فى عناصر الوحي الفنى وإلهامه .

عبد المجيد رافى

يتخلل عن حصيلة دراساته ، وينحدر إلى هذا اللون من التشويه — رغم اصطناعه لهذا الأسلوب مما يجعله فسه متكهما فى بدائيته ، ويعرضون عن العمل العفوى الذى وافق الذوق ونبع عن فطرة سليمة وذوق حساس .

وهنا نقف لتناقضهم الحساب فى هذا المبدأ ، فإن الفن إما أن يكون فكرة جميلة أو موضوعا استشار شاعرية الفنان فتناوله بالأصول المتعارفة ، فيكون كالشاعر المجيد الذى هزه الموضوع وحركته اللوحة فصاغ ذلك فى قصيد من بحر معين وروى خاص ، هذا هو الفن الأصيل .

كذلك يقال فى الفن العفوى الذى هو وإن خلا عن الأدوات التى تجعله يرتفع إلى مستوى الفنان الأصيل ، فإنه فن أيضا يمش تلقائية الفنان الشعبي .

أما أن يتجرد الفن حتى عن الفكر وعن الإعداد وعن الذوق والحساسية الفنية ، حتى ولو كان تلقائيا فليس ذلك بفن بل هو عبث لا يرق إلى أى مستوى من مستويات الفنون .

وهنا نعود إلى الفن الإسلامى الشعبي الذى امتاز عن غيره من الفنون الشعبية الأخرى بالدقة واحترام القيمة الفنية ، لنقرر أنه حقيق أن يعرف له مكانه الحقيقى بين الفنون الشعبية .

المثل العليا في التشريع الإسلامي

للأستاذ عبّاس طه

وقوانينه الوافية ، على أن تقرر من النظم ،
وتسن من الأحكام ما ينتشلهم من مهادي
الرديلة ويقضى على سوء أثرها وما يخرجهم
من ظلمات الجهل ويبدد سبحانه الكشافة ،
بل رسم من يحكم التعاليم وأنشأ من أقوم
المنامج ، وأهدى السبل ، ما هو أعلى مثل
في كل فكرة نادى بها ، وكل دعوة دعا إليها
وما هو أكبر شاهد له على أنه خير دين
تعبد الله به عباده ، واختتم به شرائعه الأولى
وجعله دستوراً كاملاً متسعاً لشئون الناس
جميعاً ، وشاملاً لكافة حاجاتهم وصالحا لكل
زمان ومكان .

اتجهت للتعاليم الإسلامية في تشريعها ثلاثة
اتجاهات رئيسية :

الاتجاه الأول :

العقائد ، فأسسها الإسلام على أوحد دعائم
وأعلى مثل في التوحيد الخالص ، والالوهية
الحقة .

انظر إلى القرآن الكريم تجده يقرر في كثير
من آياته وحدة الالوهية ، ويبطل التعدد ،
قال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله ، وقال :
« وما من إله إلا إله واحد ، وقال : « واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئاً » .

جاء الإسلام والناس في جمالة عمياء
وضلالة شاملة ، وتنكب عن طريق الحق ،
وتشبث بأهداب الباطل واتباع لحافة
الهوى ، وابتعاد عن هداية العقل .

فمن نأليه للأصنام ، وعبادة الأوثان ،
وتعظيم الأنصاب ، واتخاذ للطواغيت - إلى
استقسام بالأقداح ، واعتقاد في الكهانة ،
والعرافة ، وزجر الطير والعيافة .

ومن تمسك بالدوروثات والتقاليد ،
وئمة في الخرافات والأوهام وانحطاط في
النظر والفكر ، وتعويل على الأقاصيص
والأساطير ، إلى عصبية قبلية وفكرة جنسية
وتفاضل بالأحساب وتفاخر بالأنساب .

ومن فهم للأخلاق الفاضلة على غير وجهها
وإسراف في سوء تقديرها وإباحية مطلقة
وتبذير لا حذله . إلى أكل الميتة ، وإتيان
الفواحش ، وقطع الأرحام ، وإساءة الجوار ،
وقسوة في الانتقام ، وإفراط في الأخذ
بالتأثر ، واعتداء القوى على الضعيف ،
وشن الغارات لأقل حدث ، وأتفه سبب .

نقول : جاء الإسلام وحال الناس على
ما وصفنا من طغيان الجمالة وشيوع الضلالة
وانتشار المنكرات فلم تقتصر مبادئه السامية ،

وركزتها في التوحيد الصرف ، ووصف الله تعالى بكل كمال ، وتنزيهه عن كل نقص ، كما أنها قد اهتمت أيضا بما وراء هذه الحياة من حياة أخرى ، من ثواب أو عقاب .

قال تعالى : « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الاتجاه الثاني :

محاسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، فقد عنى الإسلام بها عناية شديدة ، وطلب إلى المسلمين أن يتخلقوا بأئبلها ، ويأخذوا بأفضلها ، ويخالقوا الناس بأحسنها وأجملها ، وأن يكونوا جميعا أمثلة حية ، وصورا ناطقة للعدل والإحسان ، والوفاء بالعهد ، والصبر في الشدائد ، والعفو عند المقدرة ، والشعور بالواجب ، وعزة النفس وعلو الهمة وطهارة الضمير ، وما إلى ذلك من الخصال الجليلة والخلال الكريمة ، قال تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، وقال « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، وقالوا صبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » . وقال « خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » ، وقال « ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

ثم انظر إليه في آيات أخرى تجده يقرر شمول الألوهية وعمومها وإحاطتها وبين أنه تعالى ليس إله قبيلة من القبائل ، ولا إله أمة من الأمم ، ولا إله عنصر من العناصر ولا إله معنى من المعانى ، كالإنس والجن والملائكة والخنير والشر والجمال ، بل هو إله كل شىء ورب كل موجود ، وأن جميع ما فى الكون من أسرار ومظاهر ، وكل ما محتويه من معالم ورسوم مملوك له تعالى ، وصادر عنه ، ومسخر بأمره ، وأنه قادر على كل شىء وأنه قد أحاط بكل شىء علما ، قال تعالى : « الله ربكم ورب آبائكم الاولين » ، وقال تعالى : « الله ما فى السموات وما فى لأرض » ، وقال : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » ، وقال : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » ، وترى الملك موافقيه ، وقال : « وألقى فى الأرض رواسى أن تُميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون » ، وقال : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

وهكذا حينما تتبعنا آيات القرآن الكريم نجد أنها قد اهتمت اهتماما عظيماً بأمر العقيدة

إليها فى وجازة وتلخيص ، تتجلى دقة التشريع الإسلامى ، وتظهر متانة أصوله ، وقوة تعاليمه ويتبين فى وضوح أنه فى كل ناحية من هذه النواحي الأساسية ، قد أتى بأرقى النظم ورسم أعلى المثل ، ووضع خير الأسس وأتمها ، موافقة لطبيعة العمران ، وروح الاجتماع .

ولا غرو فى ذلك ، فهو يرافق الإنسان فى جميع أطواره ، ويتممه فى كل أحواله بالترية والتهديب ، ويعلمه فى كل مرحلة من مراحل حياته كيف ينظم شؤنه ، ويدبر أموره .

فملافة المرء بربه يضع لها أقوى الروابط وأوثق العرا ، وحياته البيشية وما يتعلق بها من زيجة ونظام أسرة ، وتربية أولاد ، يؤسسها على ما يكفل لها السعادة ، ويضمن لها الطمأنينة والراحة ، ويجعل جوارها نقياً صافياً ، لا يلوح فيه شئ من قتامة الظنون وكدورة الريب والشكوك .

ووسائل الكسب والحصول على المال ، يبين له طرقها المشروعة ، وأبوابها التى لا ضرر فيها ولا ضرار ، ومواردها التى لا غبن فيها ولا اعتداء .

وصلاته الاجتماعية العامة والخاصة يبينها على أتم القواعد ، وأنشأ لها من النظم وشرع لها من الأحكام ما هو خير كفيل بسعادة الناس وهناءهم فى الدنيا والآخرة .

عباس طه

فهذا النمط العالى من التهديب الكامل ، والأدب السامى ، والخلق الرفيع ، هو الذى دعا إليه الإسلام ، ورغب فيه ، وحرصت عليه تعاليمه ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ما جاء إلا لإتمامه وإكماله فقال د بمثت لاتمم مكارم الاخلاق .

المنهاج الثالث :

الأعمال المتعلقة بأفعال المكلفين ، فقد شرع الإسلام منها ما هو خير مظهر من مظاهر الانقياد لله تعالى ، والإخلاص له والإقرار بنعمه والشكر عليها ، وما هو أباح تعبير عما يكنه العبد فى نفسه من عاطفة الإجلال والتعظيم لخالفه كما شرع ما يعتبر — بآثاره ونتائجه — أرقى نظام ، وأكفل وسيلة لمساعدة الفقراء والمعوذين ، والترفيه عنهم ، وللساهمة فى مصالح المسلمين عامة . والقيام بأعباء ما تتطلبه حالة الجماعة . وذلك كفر يضيق الصلاة والزكاة ، وما إليهما من بقية ما شرعه الإسلام من أحكام وأعمال كثيرة ، تختلف فى صورتها وأدائها باختلاف الغرض المقصود منها ، والحكمة الداعية إلى تشريعها ، وآيات القرآن الكريم فى هذا الصدد كثيرة ، لا تحتاج إلى ذكرها .

من مجموع هذه الاتجاهات الثلاثة التى ألمعنا

مَا يُقَالُ عَنِ الْأَسْلَافِ

إِفْرِيقِيَّةُ التِّي لَا تَقْبَلُ التَّصَدِيقَ

لِلْأَسْتَاذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَفَّادِ

توافق ما عندهم من سوء الظن وسوء الدخلة ، وقد يعترفون بالحسنة ولكنهم يقصدون تشويهها لاعتقادهم أنه أقرب إلى هوى قرائهم وأوفق للخدمة التبشيرية أو الاستغلال وهم يعملون لحسابه .

ولقد رأينا بعض هؤلاء الرحالين يصدقون في النقل والوصف لأنهم يتحرون الدقة الجغرافية والتاريخية ، ويعلمون أن هذه الدقة أنفع لهم وأجدي على قرائهم وأوطانهم ، إذ كان تضليل هذه الأوطان عن فهم الواقع على جليته تفويتا لهم عن سبل المنفعة التي يسلكها من يواجهون الحقيقة بغير تضليل . ولا يندر بين الرحالين من يصدقون النقل

والوصف أن يكون منهم من يصدرون عن عاطفة حسنة تعطفهم نحو البلاد الشرقية ويبعثها فيهم أنهم ناقون على ولاية الأمر في بلادهم ثائرون على سلطان رؤساء الدين فيها ، معتقدون أن اطلاع إخوانهم على حسنات الشرق وسيلة أخرى من وسائل الاطلاع

بعد خمسة قرون من بدء اهتمام الغربيين بالرحلة إلى الشرق ، أصبحت كتابة هذه الرحلات مذاهب متفرقة ، وأصبح كل مذهب منها ذا طرائق مختلفة ، على حسب كتابها وأغراضهم منها ، أو قدرتهم على كتابتها . وقد التقينا على هذه الصفحات بكثير من هذه المذاهب وكثير من هؤلاء الكتاب وأولهم وأسبقهم أصحاب مذهب الإغراب الذين يجتذبون قراءهم برواية الأعاجيب والخوارق المجهولة ، ويحسبون أنهم مطالبون بإعطاء أولئك القراء صورة يدهشون لها بديلا من كل صورة يألّفونها في بلادهم ، ولو عمدوا إلى المبالغة والاختلاق .

ومن هؤلاء الرحالين أناس مطبوعون على تشويه كل صورة يلقونها في البلاد الشرقية والبلاد الإسلامية على التخصيص ، وقد تبدو لهم مشوهة منكرة وهي لا تشويه ولا نكر فيها . ولكنهم يكرهون الاعتراف بالحسنات بينهم وبين أنفسهم فيحيلونها إلى سيئات

له بغير تهويل أو تحريف أو مبالغة في عرض الصحيح من كل مألوف مطروق .

ولا بد أن يكون صاحب الكتاب الذي بين أيدينا واحداً من هؤلاء المغربين توافر له السببان : سبب التزويق الشعوى وسبب العجز عن التشويق بغير خبر غريب لا يقبل التصديق . لأنه جعل عنوان كتابه (إفريقية التي لا تقبل التصديق : Incredible Africa) ليرى فيه ما لا يصدق القارىء . ويلقى الذنب على القارة وأبنائها ولا يلقيه على قلبه ولا على القراء .

ولعله لو استطاع أن يجتذب قراءه بأسلوب غير هذا الأسلوب لما ارتضاه للكتابة عن عقائد المسلمين في مراکش . وهي أقرب إلى معظم الأوروبيين من معظم البلاد الأوروبية وسيأخروهم فيها أكثر من سياحهم في بعض ربوعها

روى عن أحد الفرنسيين في طنجة أنه قال له ولصاحبه : « إن طنجة عصرية بالقياس إلى بعض مدن الأقطار الداخلية . ولنضرب مثلاً ببلدة فاس ... فإننى لم أجد أفرغ من مطالعة كتاب ظهر خلال القرن الرابع عشر ووصفها كما كانت في تلك الحقبة ، ولم تتغير اليوم عادات أهلها التي وصفها في كتابه ، فلو طبع الكتاب وعليه تاريخ هذه السنة لعد القارىء من تصانيف آخر ساحة » .

على سينات المسؤولين في بلادهم عن عيوبها وأوزارها .

وربما أضيف إلى أولئك هؤلاء في الزمن الأخير جماعة الباحثين العلميين الذين يعملون أن الطريق إلى الشرق مفتوح أمام الكثيرين من طلاب السياحة والاستطلاع ويحذرون على سمعتهم العلمية ، من الخط والتزويد في الأمور التي يتناقضها الناس وتتواتر أنبأؤها مع أحاديث البرق والإذاعة ولا يصعب على قاصد التحقيق أن يهتدى إلى وجه الصواب فيها .

وكنا نحسب أن مذهب هؤلاء الباحثين العلميين قد غلب على جماعات الرحالين في الزمن الأخير فضاعت على المغربين مذاهب الإغراب واستغنى قراؤهم عن غرائبهم بالجديد من أخبار البلاد التي تكشف لقارئها الجمدة والطرافة وإن لم تكشف له الدهشة ومباينة المألوف كل المباينة .

ولكن الظاهر من متابعة الرحلات الأخيرة أن طريقة الإغراب لم تنقطع بعد وأنها عند بعض الكتاب ضرورة لا يملكون اختيارهم فيها ، وهي على حال من اثنتين في أكثر الأحيان : ضرورة المزاج الشعوى الذي يضى على الواقع تزويق الخيال ولو كان من مشاهد وطنه ومآلف بصره وسمعه . وضرورة العجز عن كتابة ما يشوق القارىء ويطيب

واسترسل الكاتب قائلا : « إن خرافة التقاط المصورة الأرواح مع الأشباح شائعة في أرجاء العالم ، ولكن الأمر في بلاد المسلمين يداخله عامل آخر من عوامل كراهة التصوير ، فليس في الفن الإسلامي المشروع صور للخلائق الآدمية ، وإنما يسمح هذا الفن بتمثيل الروم الهندسية ليس إلا ، لأن القرآن يحرم تمثيل الإنسان لكون الإله الأعلى نفسه غير منظور ، ولا ينبغي للإنسان أن يظهر والله الذي خلقه غير ظاهر . وشرحت ذلك للمتأمة فلم تقنع بهذا التفسير وأجأتني قائلة إنها ترى صور السلطان في كل مكان ، وهي رأس البواب في هذا الفندق واحد منها ... فقال الفرنسي الذي حدثنا من قبل : إن السلطان مستثنى من هذا التحريم ؛ لأنه نصف إله ، ولا تسرى عليه الأحكام التي تسرى على سائر المخلوقات ... » .

إن عنوان القارة « التي لا تقبل التصديق » ليس بالتعويذة التي تحمي المؤلف من الشك الكبير فيما رواه ، وهبه شهد في طنجة ما لم نشهده معه فأين هو كلام القرآن الذي يحرم على الإنسان أن يظهر والله غير ظاهر؟ وأين هو المسلم الذي يطبق أن يسمع بتأليه حاكم أو تشبيهه بالإله وهو يتلو في الكتاب أن نبيه صلوات الله عليه بشر لا يميزه عن غيره من أبناء آدم وحواء إلا أنه بشر يوحى إليه ؟

« وعلى أثر تناول القهوة بعد الغداء قالت لي فتاة انجليزية : انني سمعت ذلك الرجل يقول عن طنجة إنها عصرية متمدنة ... انظر إلى هذا ... ورفعت ذيلها لترينا ساقها وهما مسودتان مزرقتان من أثر الضربات عليهما .

« ومضت الفتاة تقول : إنني كنت ألتقط بعض الصور في القصبة ولم تسكن غير صور عادية للبيوت والطرقات وفيها طبيعة الحال ألباس من عابري الطريق ، فأخذت النسوة في الصياح وأقبل الرجال والأطفال الصغار فأوسعونني ضربا ورفسا بالأقدام ... » .

قال المؤلف معقبا على حديث الفتاة : « . إنها الخرافة القديمة . فإنهم يعتقدون أن آلة التصوير تلتقط أرواحهم مع أشباحهم ... وقد كاد أحدهم أن يحطم مصورتي حين جئت إلى مراکش لأول مرة لأنه حسب أنني ألتقط صورته ، ولم أكن قد فعلت وإن كان هو موقنا أن الصورة هناك وأصر على ردها إلي ، فلم يسمح لي إلا أن أجاربه على وهمه وأخذت أزمزم وأدمدم وأردد بعض الكلمات التي لا معنى لها ، ثم استخرجت ووحا متخيلة من الحقيبة وناولته إياها ، فتناولها ومضى في طريقه وهو يلغظ باللغة العربية المتواترة : خنزير يهلك على قبر جدك ... » .

مُحَمَّدًا فِي الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

المكفوف

للأستاذ حسن جاد

من لسا في الليل طال سراه ومحا نور ناظريه دجاه
كل ليل يمضي فيا ليت شعري ليله السرمدي ما منتهاه ؟
الضحى والأصيل والصبح والليل تساوت فكلمها أشباه
وضروب الألوان متفقات في سواد تحسه مقلناه
لا يرى جلوة الربيع إذا اختال ولا البدر حين يبدو سناه
لا ولا يحتل سنا الشمس رقرا قأ إذا فضض الوجود ضحاه
وإذا ذهب الأصيل روايته عدا طرفه اجتلاء رباه
وإذا الطير ردد اللحن في الدور ح مضى لا يحس إلا صده
كل ما في الوجود من فتن الدنيا لونه عن سميره دنياه
أبدأ بمحتويه سجن ليليه وما فيه من سجين سواء

* * *

إن مشى سار مرعش الخطو وثيداً تخشى الأذى قـمـاه
وإذا لم يجد رفيقاً وفيماً أرشدته إلى الطريق عصاه
أودع الله نفسه دقة الحس في حسه الدقيق هداه
وجلا سمعه فلا يخطئ الممس ونجوى النسيم في مسراه
يرهف الأذن حين لا تسعف العين خطاه ، فمينه أذناه
وإذا ضل راح يغفر فاه مستغيثاً ولوحته كفاه
لو تراه يحملقاً مصغى الجيد رأيت العجيب فيما تراه
لهفة للرؤى تثير أمانيه فيرجو اجتلاها ناظراه

ثم يرتد شوقه حشرات يالشوق الاعمى وبالمناه
ليس أشقى من فاقد نور عينيه وأعلى ما فى الفقى عيناه
أى طعم للعيش إن لم ير الدنيا ؟ وما حظه ؟ وماذا جناه ؟

* * *

هون الخطب يا أخى إن هذا زمن لم تعد تسر وژاه
حسبك العزلة التى أنت فيها حين شامت دنيا بنيه وشاهوا
إن فى نفسك الجميلة دنيا من جمال يغنيك عما هدها

* * *

لك يارب فى النوازل سر عى فهم للعباد عن معناه
كل خطب قدرته ياد رحما ، لك فيه لطف يدق خفاه
قد سلبت الاعمى وأعطيت حتى صبح عدل القضاء فيما قضاه
إن تكن قد حرمته نور عينيه ففى قلبه يشع ضياه
ليس بالعين مبصر أو كفيف بصر المرء قلبه أو عماه
رب أعمى منحه منك نورا ورفعت الحجاب حتى رآه
وسكبت الذكاء فى حسه المرهف حتى أنسيته ما دهاه
يدرك الخاطر الخفى بحس يسمع النمل فى ديب خطاه
وأديب ماضى اليراع براه خالق النابغين حين براه
ومجل فى شعره عبقرى ينفث للسحر أو يفض رقاہ
وصناع تجيل أنمله النول على لحة الكسا أو سدها
وشجى الألحان إن رتل الذكر أتى الله تائبا من عصاه
وفناء غطى الجمال عماها وكساها من سحره وحلاه
نعم هانت المصائب فيها وعزاء ينسى المصاب أساه

* * *

أبها الناعمون بالحدق النجل وما فاتهم غنى أو جاء
اذكروا نعمة الإله عليكم وأعينوا الاعمى على بلواه

أطلعوا صبح ليله بالاماني وأصيخوا إلى مرير نداء
 وانشلوه من بحره الهادر الموج ومن لجه الذي قد طواه
 اوكلوه فربما صار يوما علما يهتدى الحى بهداه
 شر ما يقتل المواهب لغفال وداء النبوغ أن تنساه
 لا يضيع الإله حسن صنيع فاعنموا شكره وحوزوا رضاه

حسن جاد

مدرس بكلية الدراسات العربية
 بجامعة الأزهر

(بقية المنشور على صفحة ١٣٩٤)

من عظمة مراكش بالامس كما سلكه للتحويل
 عليه وعلى عامة القراء بغرائب العقائد
 والعادات فيها اليوم ...

فإن ابنه كان يسأله عن المراكشيين :
 هل هم مستوحشون ؟ فيقول له : إنهم إن لم
 يكونوا متمدنين حق التمدن فهم الذين علوا
 الأوروبيين المدنية قبل حين .

وتصبح به زوجته : لا تبلبل دماغ الغلام
 يا صاح ، فيدفع هذا البلبال عن دماغها
 ودماغ وليدها ووليده بصفحة وافية يشرح
 فيها فضل العرب على حضارة الغرب ، بعد
 زوال الحضارة من ربوع اليونان والرومان ؟

عباس محمود العقاد

وكيف يستطيع مسلم أو غير مسلم أن يفهم أن
 تمثيل الإنسان مستكثراً عليه ولكن هذا التمثيل
 الظاهر لا يستكثراً على الحيوان والجماد ؟ .

إن إفريقية التي لا تقبل التصديق هي
 إفريقية على صفحات هذا الكتاب وليست
 إفريقية كما خلقتها الله ظاهرة للأعين قبل
 أن تظهر مصورة على الخرائط أو على الصفائح
 الشمسية ، وليست القصة التي نقلناها هنا غير
 مثل واحد من أمثلة شتى رويت عن البلاد
 الإسلامية وسائر البلاد المعروفة من
 أقطارها ، وقد يكون شفيهاً للكاتب أنه سلك
 هذا المسلك للتحويل على ولده بما يستغربه

علمتني الحياة

علمتني الحياة أن أنغي بهال الحياة كل صباح
فأراني قد عدت طيراً سعيداً يتسامى بين السنا الواضاح
وأراني قد صرت روحاً طليقاً يتهاوى في عالم الأرواح
وأحس الحياة تنفّس في نفسي ، وتحضر كالربيع المتاح
وأرى قلبي الرقيق ... من الفرحة يشدو كالبلبل الصداح
قل لمن يملأ الحياة بكاء وهو ناء في ظلة الأتراح
إن من يزرع المدامع يوماً ليس يجني غير الآسى والنواح
فأزرع الفرحة العميقة في نفسي — سكّ — تُنبِتُ حديقة الأفراح

* * *

علمتني الحياة أن حبير للود يُهدى للروح عطر الصفاء
فطلبت الوداد في كل قلب من قلوب الأصحاب والنظراء
ومنحت الوداد صفوا من القلب بلا منة ، ودون رياء
غير أني — ويا لشقوة نفسي — قد عدت الوفاء في أصدقائي
بعضهم خاني لتنعم بالغد و نفوس كالحية الرقطاء
وفريق قد شام مجدى سماء فأثار الرعود حول سمائي
أتراني ألومهم ؟ هل ألومهم — يوم إن ساءها بريق الضياء ؟
إن أردت الوفاء يا قلب قائم في الأمانى بطيفه الوضاء

* * *

علمتني الحياة أن أتمنى فتغنى نفسي بسحر الأمانى
إن — المنى يحيل حياتي جنة شاعرية الألوان
هو — المجهول يذهب عنه كل سحر إذا بدا للعيان

رب أمنية قضيت حياتى
أشتهيها بمهيجى وكيانى
ثم جاءت وقد خبت نار شوقى
حين جاءت إلى بعد الأوان
أى نفع فى نسمة الصيف تأتى
إذ يكون الشتاء فى الغنوان ؟
حسب نفسى من الأمانى نداء
دائب الشوق ، دائم التحنان
ولقاء فى جنة الوهم إن عزّ (م) لقاء فى عالم الإنسان

* * *

علتنى الحياة أن عذاب النفس (م) أقسى من نار كل عذاب
فى فؤادى الحزين جرح عميق
أى جرح هذا ؟ أخرج غرام
عاش فيه من قبل عهد الشباب
ذاك سرى ، وإن أبوح به ما
من عيون كحيلة الأهداب ؟
أنا وحدى سأكتوى بلهيبى
عشت ... حتى للأهل والأصحاب
لنما الناس يا فؤادى ، عدو
من عذابى وحيرتى واضطرابى
أو حبيب يأسى لمابى ، وإنى
شامت لو درى بسر مصابى
ولهذا سأختفى بدموعى
لا أسوق الآسى إلى أحبابى
حين أبكى ، وأرتمى خلف بابى

* * *

علتنى الحياة أن ليس فيها
كم عزيزاً كنا نراه منى العمه
وقضى نجبه فقلنا سنقضى
ر ، فلو مات لم نعش بعض عام
ومضت فترة ، فضاع أسانا
عمرنا فى الدموع والآلام
ومضت فترة . فصرنا لغنى
فى غمار الأحداث ، بين الزحام
لو ندوم الأحزان فى هذه الداء
لحياة صحريه الأنعام
أو تدوم الأفراح فيها ، ستمنا
يا ، لكنت حياتنا كالخطام
آفة العيش أن يكون رتبنا
كل شيء فى عمرنا البسام
رب فوضى تضم روح النظام

الكتاب

نقد وتعريف : للأستاذ محمد عبد الله السمان

- ١ - الفكر الإسلامى الحديث :
 للدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر
 هذه هى الطبعة الثالثة لكتاب : الفكر الإسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى ،
 التى قامت بنشرها مكتبة وهبة بعبدين .
 فى قائمة الكتاب يعرض الدكتور تسلسل
 الاستعمار الغربى إلى العالم الإسلامى منذ بداية
 منتصف القرن التاسع عشر ، كما يعرض نظرة
 للغرب المستعمر إلى العالم الإسلامى ، ثم يقدم
 صوراً من وسائل هذا الاستعمار فى إضعاف
 المسلمين فى إسلامهم ، وأبرز هذه الصور :
 * قيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تقديمية
 فى الإسلام لتقرير سلطة المستعمر ...
 * قيام بعض مفكرى الغرب بحركة تهدف
 إلى بعث الخلافات المذهبية فى الإسلام ...
 وفى مقابل هاتين الصورتين تبرز صورة
 ثالثة ، هى حركة المقاومة للاستعمار الغربى .
 فى الباب الأول يناقش الدكتور الاتجاه
 الفكرى المالى للاستعمار لحمايته ، فيسلط
 أضواء على حركة السيد أحمد خان ، وحركة
- ميرزا غلام أحمد ، مؤسس الحركة القاديانية ،
 وكلا الحركتين نشأت بالهند ، وكانت بمثابة
 أداة انجليزية طيبة لخدمة الاستعمار الغربى ،
 وبمآلاته على حساب الفكر الإسلامى .
 أما الصورة الأخرى للمآلة الاستعمار ،
 فتتمثل فى الدراسات الاستشراقية التى تستهدف
 إضعاف القيم الإسلامية ، وتمجيد القيم
 الغربىة المسيحية ، وفى مقدمتها دراسات
 المستشرقين الغربىين : رينان وكيمون .
 وفى الباب الثانى يعرض الدكتور البهى
 اتجاه مقاومة الاستعمار الغربى ، والمقاومة هنا
 مزدوجة ، تقوم على النقد للنظرى ، والمنهج
 العملى ، فنرى نقداً لحركتى أحمد خان وميرزا
 غلام أحمد ، ونقداً للدراسات الاستشراقية ،
 والناقدون لهذه العناصر من أمثال الأفغانى
 ومحمد عبده ، وإقبال ، لم يفهم أن يضعوا
 منهجاً فكرياً آخر لتقوية المسلمين فى
 معارضتهم للاستعمار .
 وفى الباب الثالث : يناقش الكتاب
 التجديد فى الفكر الإسلامى ، وكيف اعتبره
 بعض المثأثرين من المسلمين محاولة لا احتياط

والكفانة ، تأثر بكتاب الغرب الماديين الاشتراكيين ضد الكنسية الكاثوليكية ، والآخر تأثر ببعض الفلاسفة الوضعيين ومنهم الفيلسوف الألماني فير باخ ، أما تسلل الماركسية في التجديد في الفكر الإسلامي ، فقد وضع في الأدب العربي أو أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد اتسعت صفحات الصحف لهذا التسلل وكذلك السلاسل الدورية .

وفي الباب الرابع : يتحدث الكتاب عن الإصلاح الديني ، في مجال الإسلام ، وهو تفكير ومنهج ، يقوم على نقد وبناء ، وقد ظهر على مسرح الإصلاح الديني شخصيتان ، إحداهما عربية مسلمة هي شخصية الإمام محمد عبده ، والأخرى آرية هندية هي شخصية محمد إقبال ، أولها كان يعنى من الثقافة الإسلامية بقدر ما كان يعنى الآخر من الثقافة الغربية ، وإن كانت محاولة الإمام قريبة من منطق الإسلام ، ومحاولة إقبال قريبة من منطق الفكر الغربي والدافع لإقبال في الحركة الإصلاحية هو تخلف المسلمين عن المشاركة في السيطرة على الطبيعة والواقع

وإقبال صاحب تجديد الفكر الديني في الإسلام ، يمرض المؤلف منهجه كسلم أولا ، ومفكر غربي في الصناعة والمنهج ثانيا ، ويلاحظ عليه ملاحظات ، فيما يتعلق بالبعث

فيها — لمتابعة التفكير الأوروبي في اتجاهه ، وكيف تأثر بعض المجددين في مصر بالفكر الغربي إلى حد بعيد ، ففكرة بشرية القرآن التي حفلت بها دراسة المستشرق الانجليزى د جيب ، والتي تعتبر القرآن انطبعا في نفس محمد ، وتعبيرا عن الحياة التي عاش فيها ، هذه الفكرة تجلّت واضحة في كتاب الشعر الجاهلي ، للدكتور طه حسين ، وفكرة فصل الدين عن الدولة ، والتي بدت واضحة في كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للأستاذ على عبد الرازق ، إنما هي فكرة مستمدة من تفكير الغرب في فصل الكنيسة عن الدولة دون ما نظر إلى الفرق بين طبيعة المسيحية وطبيعة الإسلام .

وإذا كانت فكرتنا د بشرية للقرآن وإبعاد الدين عن الدولة ، تمثلان اتجاه الاستشراق الغربي ونفوذه في تفكير د المجددين ، في تاريخ الفكر الإسلامي ، فإن هناك اتجاها آخر تناول فكرتين أخذتا طابع الرواج في الشرق الإسلامي ، هما : « خرافة الدين ، والدين مخدر ، الأولى وليدة الفكر المادى السابق على ظهور الشيوعية ، والأخرى شعار الشيوعية أو الماركسية ، وهاتان الفكرتان واختتان بعض الوضوح في كتابي : « من هنا نبدأ » ، الأستاذ خالد محمد خالد ، والله والإنسان » للدكتور مصطفى محمود ، والأول في فصل الدين

محاولة جديدة وجدية أيضا ، هي إيجاد تفسير بياني لكتاب الله عز وجل ، حيث ظل التفسير الأدبي له حتى اليوم محصورا في نطاق مادة التفسير دون أن ينتقل إلى مادة الأدب العربي مع المعلقات والمفضليات والنقائض ، والمقامات والرسائل والآمال .

فالأصل في منهج التفسير كما ترى الدكتورة هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، وقد طبق بعض الأساندة هذا المنهج تطبيقا ناجحا في موضوعات قرآنية اختاروها في دراسات لهم .

والدكتورة بنت الشاطي* اختارت لهذه المحاولة بعض السور المسكية القصارة الضحى . الانشراح ، الزلزلة ، النازعات ، للعاديات ، البلد ، التكاثر ، واستطاعت أن تعرض تفسير هذه السور تفسيراً بيانياً ذا قيمة أدبية لها تقديرها ، فهي تناقش أسباب النزول أولاً ، وتناقش آراء المفسرين ثانياً ، ثم تبرز في النهاية نصيب البيان من آيات القرآن .

وهي حين تعرض هذا وذلك تسبقه الآراء التي لا تنفق وذوق القرآن في إعجازه البياني ، سواء في أسباب النزول أو في أغراض المعاني ، وليس بمستساغ مثلاً أن يكون سبب انقطاع الوحى فترة ، هو وجود كلب ، تحت سرير الرسول ، لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو تمثال .

والخلود في النار أو الجنة ، وفي حسن ظنه بدراسات المستشرقين ، وتأثره بالمذهب الوضعي ، لا وجست كومت ، وإن لم يرض عما فيه من إلحاد .

وفي الباب الأخير ، الإسلام غدا ، يرى الدكتور أن العالم الإسلامي اليوم يواجه الصليبية والماركسية معا . وأنه قد أصاب الإسلام منهما كما أفاد الإسلام منهما أيضا في إيقاظ الوعي الإسلامي وإيجاد المحاولات للفكرية الإسلامية الواعية .

وبعد — فالدكتور بهذا الكتاب القيم يزجى للفكر الإسلامي خدمة جليلة . والشجاعة الأدبية التي وضحت من خلال هذه الدراسة تعتبر مثلاً أعلى لمن يتصدون للكتابة عن الفكر الإسلامي . ليدفعوا عنه غوائل العدوان من الصليبية الباغية ، التي لا تمت إلى روح المسيحية الأصلية بصلة ، ومن الماركسية المادية التي لا تمت إلى العقل بسبب ، والتي لا زال لها أتباع في الشرق الإسلامي يحترفونها احترافاً ، لينالوا الثن الأدبي والمادى على السواء .

٢ — التفسير البياني للقرآن :

للدكتورة بنت الشاطي* .

هذا الكتاب الجديد نشرته دار المعارف بالقاهرة للدكتورة بنت الشاطي* ، وهو

سكت عن تحديدها ، وكان الأفضل أن تلزم أدب القرآن في هذا . وتعز المؤلفة بالراغب الأصفهاني الذي اتجه إلى شيء من الاهتمام بتدقيق اللفظ ، بينما أهمله معظم المفسرين من القدامى .

والدكتور بنت الشاطي . اكتفت بعدد قليل من تفاسير المفسرين القدامى ، ولعلها أبرزها ، وتجاهلت بقيتها ، مع أن لهذا الجزء المهمل مذهبه في التفسير ، واكتفت أيضا من التفسير الحديث بآراء الإمام محمد عبده ، مع أن بعضا من التفاسير ظهر بعد الإمام ، ولعل أبرزها ، في ظلال القرآن ، للأستاذ مسيد قطب ، وكتابات المرحوم الشيخ عبد الوهاب خـلاف في مجلة لواء الإسلام ، وغيرها .

كما أن سيادتها قد جانبا التوفيق في قليل من آرائها ، فهي في صفحة ٥٩ تعقب على الزخشري في قوله « ومعنى اصطحاب اليسر والعسر أن الله أراد أن يصيهم - يعني المؤمنين - يسر بعد عسر ... » ، تعقب بقولها : هو ملحظ دقيق وإن كان التعبير عنه قد خان الزخشري في موضعين : الأول حين قال : يصيهم يسر ، واستعمال الإصـابة في مقام البشـرى غير مقبول

وحسبنا أن نذكر سيادتها ببعض من آيات القرآن :

كما عنت الدكتور باحصائيات مقبولة لبعض الألفاظ القرآنية ، في محيط دراستها هذه السور ، والهدف من ذلك إيجاد وحدة تربط بين معانيها ، وعنت أيضا بالربط بين السورة والأخرى تارة ، وبين الآيات وما يقابلها أو ما يجانسها تارة أخرى ، لتبرز أيضا الإعجاز البياني للقرآن .

والمهمة الشاقة التي اضطلعت بها الدكتورة بنت الشاطي هي مناقشتها لآراء المفسرين القدامى - وهي مهمة ليست باليسيرة ، فالمفسرون مثلا اختلفوا في تفسير « والنازعات غرقا » ومعظمهم فسر النازعات بشيء معنوي ، إلا الزخشري الذي فسرها « بالخیل » ، والمؤلفة ترى أن السور المفتحة بواو القسم ، فلاحظ أن القرآن يتجه فيها غالبا إلى أن يلفت إلى مادي محسوس وواقع مشهود ، ويجب أن ينطبق على « والنازعات » ، وأن تفسر بالخیل المغيرة دون تحديد لها بخیل الغزاة كما رأى الزخشري وغيره .

والدكتور في منهجها هذا ، تطرح جانبا ، الخلافات الشكلية التي زخر بها كثير من كتب المفسرين ، فمقدمة انقطاع الوحي عن الرسول ، لا تعنينا بالمرة ، وكان من الحشو الذي لا جدوى منه ، أن يقدم هؤلاء المفسرون عقولهم في تحديد فترة انقطاع الوحي بالأسابيع أو الشهور ، مادام القرآن

تناولت « الله ، ذاتا وموضوعا ، فناقشت ماهية الدين كصلة روحية بين الإنسان وربّه ، وكغريزة ضرورية وحيوية لاستكمال وجود الإنسان ، واستقرار حياته ، كما ناقشت مجالات البحث عن الله ، وحركة العقل في مواجهة الحقيقة الكبرى ، ومدركه فيما وراء الطبيعة ، وقصوره في مواجهة هذه الحقيقة الكبرى . . الله ، وتهافت الفلاسفة في هذا الصراع الفكري ، كما ناشت نظرية وحدة الوجود بين الفلاسفة والمتصوفة ، وموقف الإسلام منها - ومعارضته إياها ، وكذلك ناقشت هذه الدراسة ، وحدانية الله وتجسيد الذات وتجريدها - حيث لا تجسيد ولا تجريد ، ومفهوم هذه الذات عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأرسطو وفيثاغورث - والمحدثين كبرجسون ورايم جيمس .

وفي الباب الأخير عرض الكاتب الأديب قضية الألوهية في الإسلام ، تحدث عن المنهج السامى في الدعوة إلى الله ، وعن أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله ، وعن مفهوم الإلهية في شريعة الإسلام ، ومفهوم الذات عند المعتزلة والأشاعرة ، والفلاسفة الإسلاميين : كالغزالى وابن سينا وغيرهما ممن لم يرضوا أن يكونوا مع المعتزلة أو أن يكونوا مع الأشاعرة ، فالتخذوا لأنفسهم

« نصيب برحمتنا من نشاء » يوسف ، « إن نصيبك حسنة تسوهم ، التوبة » ، « فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون » أى المطر « الروم » ، « فإن أصابه خير أطمان به » ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، الخ .

فأنت ترى أن الإصابة تستعمل في مقام البشرى وضدها .

هذه لفظة لا تمس هذه المحاولة القيمة فتحن في حاجة إلى أمثالها ، ولعل الدكتور بعد هذه المحاولة الموفقة تلجأ بمحارلات ، فالقرآن سيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في ميسر الحاجة إلى إبراز إعجازه البينى . .

٣ - قضية الألوهية بين الفلاسفة والمبشرين :

للأستاذ عبد الكريم الخطيب هذا الكتاب الجديد للأستاذ الخطيب والذي نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ، دراسة تنازلت قضية لها شأنها وخطورتها وأثرها في سير التفكير في العالم بأسره .

غاية هذه الدراسة : الدعوة إلى الإيمان بالله ، والوقوف في جبهة المدافعين عن الدين في وجه المذاهب الإلحادية .

هذه الدراسة بحق على مستوى رفيع ، جاءت بمشابة جولة عقلية ممتعة مجردة من جفاف الأسلوب وعنت اللفظ ، وقد

الأزهر، وهو مدير الشؤون الدينية بالإذاعة، ومنذ أربع سنوات وهو يتابع البحث عن حياة الشاعر وشعره، معتمداً أولاً على ديوانه المطبوع منه الجزء الأول والثاني، ثم على ديوانه المخطوط «مجد الإسلام»، وقد ألزمته الأمانة العلمية الانتقال إلى بيئة الشاعر، ولقاء معارفه وذويه والاطلاع على الصحف المعاصرة له، والتي طالما غناها بأدبه في الشعر والنقد معاً.

جاء الكتاب في بابين : في الأول تناول أهم وأبرز الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية التي كان لها صدى في شعر محرم، كما تناول ترجمة وإفاية عن الشاعر نفسه، أما الباب الثاني فتناول فيه شعر محرم ورسالة الشعر في نظره، ومصادر شعره، ثم الموضوعات التقليدية التي سار الشاعر فيها على منوال من سبقه، ثم الموضوعات التجديدية التي أوحى بها العصر، وفي الفصل الأخير من هذا الباب، عقد المؤلف موازانات بين حافظ وشوقي من جهة، وبين محرم من جهة أخرى، خاصة في حقل الوطنية والإسلام. كما عرض للسمات الفنية لشعر محرم، وعرض لرأى النقاد فيه، ومكانته في الشعر المصري الحديث.

ثم عقد في الخاتمة فصلاً لخص فيه الدراسة، الحقائق الجديدة فيها.

موقفاً خاصاً بهم، أرادوا أن يوفقوا فيه بين مختلف الآراء المتنازعة في صفات الله عز وجل، بين نفي وإثبات، أو في ذات الله بين تجريد وتجسيد.

الحق - أن الكتاب دراسة عميقة في أخطر قضية عقلية، والمجهود الذي بذله المؤلف بمجهود واضح فيه الإجماع الذهني، إلا أن عنوان الدراسة «قضية الألوهية»، يفهم منه الشمول لا الخصوص، فالجانب الفلسفي وفاه حقه، وأما الجانب الديني فيكاد يكون قاصراً على الإسلام وحده، دون ما تعرض واضح لهذه القضية في الأدبيات السنية أو الأدبيات الوضعية. وهي قضية البشرية عامة فوق ظهر البسيطة.

كما أن المؤلف أسهب في النقل عن فلاسفة الغرب، وأرجز في النقل عن فلاسفة المسلمين، ونصيب التحليل والتعقيب على آراء هؤلاء الفلاسفة جميعاً متواضع، لأن معظمها مؤيد لدراسة الكتاب نفسها... والكتاب بعد ذلك جدير بكل تقدير...

٤ - شاعر العروبة والإسلام :

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي.
نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ الجيوشي عن شاعر العروبة والإسلام «أحمد محرم»، والمؤلف من شباب علماء

وفرنسا على المغرب العربي والشام ، وانجلترا
على العراق وشرق الأردن ، والهندوكية على
مسلمى الهند وغير ذلك .

المؤلف ينفرد بهذه الدراسة المستقلة عن
شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ،
وخفف قليلا من وصمة الجحود لهذا الشاعر
الفحل ، وكنت أود أن ينال تحليل المؤلف
لشعر محرم نصيبا أوفى حتى يتبين بوضوح
منهجه ومذهبه الشعري ، كما كنت أود أن
لا يفوت المؤلف عقد موازنة واسعة بين
ديوانى الشاعر : المطبوع والمخطوط ، ليتجلى
بوضوح انتقال الشاعر بشعره من مرحلة
إلى مرحلة .

والدراسة بعد ذلك بجهود له تقديره
والاعتراز به .

يرى المؤلف أن من الأحداث التى أثرت
فى الشاعر ، الاحتلال البريطانى لمصر ، ودعوة
الأفغانى إلى الجامعة الإسلامية ، ودعوة
الإمام عبده إلى الإصلاح الاجتماعى عن طريق
الدين ، وحركة مصطفى كامل لتحرير البلاد
من وصمة الاحتلال الأجنبى ، ودعوة قاسم
أمين إلى تحرير المرأة ، ومقتل بطرس غالى ،
الذى نتج عنه إهاجرة الفتن بين المسلمين
والأقباط ، فانبرى لها الشاعر يطفى لهيب
الفتنة بشعره ، ومن الأحداث كذلك ثورة
١٩١٩ الوطنية ، وقضية فلسطين والجامعة
العربية والحرب العالمية الثانية .

وأنت ترى هذه الأحداث تكاد تكون
محلية إذا استثنينا قضية فلسطين ، مع أن
هناك أحداثا ضد الوطن الإسلامى عاصرها
الشاعر ، أبرزها عدوان إيطاليا على ليبيا ،

إلى السادة القراء

بهذا العدد ينتهى المجلد الثالث والثلاثون ، وبه فهرس أبجدى عام لموضوعاته .

وسيصدر عدد المحرم فى موعده .

بريد المجلة

الجفرى والعرب في أندونيسيا :

في أثناء زيارة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر، الشيخ محمود شلتوت لمدن أندونيسيا استقبال بمدينة وصولو الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى وسأله عن أحوال المسلمين والأندونيسيين بوجه عام . وعن شئونهم الدينية والاجتماعية بوجه خاص . ثم طلب منه أن يفصل حديثه في دراسة شاملة تبين مقدار حظهم من التعليم ومبلغ فهمهم لرسالة الإسلام ، وتكشف عما يعوزهم من الوسائل لبلوغ الغاية المرجوة من فقه الدين وتحصيل العلم وجهادهم في الحياة .

فقام السيد الجفرى بهذه الدراسة وبعث بها إلى الإدارة الثقافية بالأزهر ، وعن طريق هذه الإدارة جاءت المجلة فنشرتها معتمدة على سعة اطلاع الكاتب وحسن نيته ومموغرضه ، نشرت من هذه الدراسة الطويلة قسمين في عددین متتاليين ثم كفت عن نشر الباقي ، لأن القراء في أندونيسيا نهوا على أن للكاتب كتب ما كتب متأثرا بعلويته لا بأندونيسيته وكان المفروض في مثل هذا المقام أن يكون

لسان صدق لجميع مواطنيه يعبر عن أعمالهم وآمالهم بالكلمة الجامعة والحقيقة الواقعة ، لا أن يتبع غير سبيل المصلحين من إمارة العصبية وإحياء الطائفية . أنكر عليه القراء تعصبه لقومه وتحامله على قوم آخرين . وكان مظهر هذا الإنكار جملة من الردود اخترنا منها ردين أحدهما للأستاذ شوكت البحري الأستاذ بجامعة شكر وأمينوتو والآخر للأستاذ عمر سليمان ناجي من جاكارا نشرناهما في عدد شعبان من هذه المجلة وقدمنا لها بقولنا :

« وردت إلى المجلة تعليقات على هذه الدراسة التي كتبها الأستاذ عبد القادر الجفرى . وسنكتفي بنشر كلتين من هذه الكلمات نرى فيهما غناء . ونرجو أن ينزه كل مسلم لسانه وقلبه عن العصبية البغيضة التي فرقت كلمة المسلمين في الماضي فإن ديننا الحنيف يقوم على التوحيد والوحدة ، ويدعو إلى الوئام والمحبة ، وائس منا من دعا إلى عصبية ، .

وبعد فلعل في هذا بلاغا لقوم لا يزالون يعيشون في البيئة الإسلامية بالعقلية الجاهلية فينسبون لأنفسهم ما ليس لهم ، ويرمون

النفس في (مشكل الآثار ج ٤) في تمحيص هذا البحث مما لا يتجدد مثله في كتاب سواء وبما قاله هناك : إن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه وإن كان الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم إنما نزل بالاعاظ واحدة ، : فإقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقية نسخت في عهد المصطفى صلوات الله عليه بالعرضة الأخيرة المشهورة .

عبد الله معروف

تعليق على تعليق :

لم أقل فيما كتبت في تعليق على كلمة الأستاذ المحرم أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام إن معنى قوله تعالى : دوله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ، الخضوع للشرائع طوعا وكرها كما نسب إلى الأستاذ محمد نجر الدين حتى يرتب على ذلك ما رتب بما قرأه للقراء في العدد السابق وإنما قلت بالنص : إن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية بتامها وهي د أنغير دين الله يبغون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ، وليس فيها بتامها ما يشعر بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين ، كما قال رحمه الله وغفرله وإنما يفهم منها أن الترد على دين الله نشاز في النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن ماله إليه . ولأن الله

غيرهم بما ليس فيهم ، وينسون أن الإسلام أخوة بين الناس ومساواة بين الأجناس ووحدة بين الشعوب ، وعسى أن تكون في هذه الكلمة تعزيراً لمن أخطأ ومعدرة لمن غضب) .

هل كانت الأحرف السبعة لضرورة زادت ؟

قال الأستاذ محمد زاهد الكوثري أستاذ علوم القرآن في معهد التخصص ، الآستانه تواترت الأحاديث في إنزال القرآن على سبعة أحرف ، لكن اختلفوا في تفسيرها إلى نحو أربعين قولاً لا تعويل إلا على القليل الأقل منها : وقال الطحاوي في مشكل الآثار إنما كانت السبعة للناس في الحروف لمعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم موسعاً لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً فكانوا كذلك حتى كثرت فيهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على حفظ ألفاظه فلم يسمعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها .
 ١ ه قال القرطبي : د قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك . ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد ، اه د وقد أطال الطحاوي

في الصومال فترسل بعثة تجارية بحرية تسير
عبر البحر الأحمر إلى الخليج ثم تلتقي مراسيها
هند أول ميناء صومالي في « بواصو » ...
ويخرج حاكم الصومال في ذلك الوقت مع
زوجته وحاشيته لمقابلة تلك البعثة المصرية ،
ويتقبل الهدايا التي حملها السفينة الكبيرة
وقلوب الجميع تخفق بالود والإخلاص ...
ثم يكرم الوفد ويحييه ... وتمتلئ المراكب
بالعطور والبخور والتحف وتعود أدراجها
في أمان وسلام ويكون ذلك الغرس أول
بذور الود والإخلاص والصدقة التي تنمو
مع الأيام ، وتسجل الملكة تلك الرحلة
الخالدة على جدران (معبد الدير البحري)
حيث تظل مكتوبة إلى الآن تقرؤها الأجيال
ويذكرها الأبناء والأحفاد ، ويفخر كل
مصري وصومالي بذلك اليوم المجيد :

يوم أن كانت وفود حرة

تعب الشاطئ في عز وجاه

فتنادى ها هنا إخوتنا

ها هنا أبناء إفريقيا الحماة

فليص التاريخ ودا خالداً

لبنى الصومال والنيل الآباء

ثم يبرز فجر الإسلام الحنيف ، وينتشر
نوره في الآفاق هنا وهناك وتصبح العقيدة
المقدسة رباطاً وثيقاً طاهراً يشد القلوب ،
ويجمع الأفئدة ويوحد الأهداف .

قادر عليه إن يشأ يذهب أذهبه وإن يشأ يعذبه
عذبه . وإن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه
يوم يرجع إليه بعد الموت ، .

هذا ما قلته . أرجو أن ينأمله الكاتب
مرة أخرى . فسيعرف بعد التأمل أن قوله :
« وله أسلم من في السموات والأرض ،
تشيع عليهم أن يبتغوا غير الإسلام ديناً
وإنكار عليهم أن يكونوا بتمردهم على الإسلام
نشازاً في النظام العام ، وهذا القدر يكفي في
معرفة أنهم لم يطلق عليهم كلمة الإسلام ،
وحسبنا هذا القدر من الكلام ؟ »

عبد الرحيم فودة

صوت ... مصرية صومالية

صلوات عريقة خالدة تضرب جذورها في
أعماق تاريخنا القديم ... ثم تمتد عبر فترات
التاريخ المتعاقبة حيث عاش آباؤنا وأجدادنا
هنا وهناك على ظهر الأرض الطيبة من قارة
إفريقية الحبيبة يكدون ويكدحون ويصنعون
لديننا أصول الحضارة .

هنا في الصومال وهناك على ضفاف النيل
الخالد حيث قامت حضارة مصر العريقة ...
ونرجع إلى أغوار التاريخ نستشرف
تلك الروابط الأصلية فنجد (حتشبسوت)
الملكة المصرية القديمة في أزهى عصور تاريخنا
القديم تمتد يد الأخوة والصدقة إلى أشقائنا

لهجة ولكن الآن تجمعها لغة واحدة هي لغة أندونيسيا — وهي اللغة الرسمية للبلاد ، ويربطها رباط واحد وهو الإسلام فسكان أندونيسيا تسعون مليوناً تقريباً ، تسعون في المائة منهم مسلمون وخمسة في المائة ديانات مختلفة والخمسة الباقية لادين لهم .

وعلى الرغم من كل ذلك فالقضاء في أندونيسيا قسمان : قضاء شرعى ، وآخر مدنى أما القضاء الشرعى فهو يتمثل فى المحاكم الشرعية المنتشرة فى المدن وقليل من المحاكم الشرعية العليا وهو يختص بالفصل فى شئون الزواج والطلاق والميراث والنفقة والحضانة . ولايست لهذا القضاء سلطة تنفيذية ؛ ولكن إذا رفض أحد المتخاصمين تنفيذ الحكم يرفعه المتخاصم الآخر إلى المحكمة المدنية لتقوم بالموافقة على الحكم السابق أو تغييره ثم تنفيذه .

وبالقرى والمدن أيضاً موظف حكومى مهمته توثيق عقود الزواج ، والصالح بين الزوجين المتخاصمين فإن لم يمكن فيقوم بعملية فسخ العقد عند الطلاق — لأن الطلاق لا يتم بدونه — وإذا رفضت الزوجة الطلاق لسبب من الأسباب كأن يكون لها على زوجها بعض المال أو غير ذلك فلها أن ترفع الأمر إلى المحكمة الشرعية لتفصل فى الموضوع . وهناك عادة غريبة وهى أن الرجل إذا طلق

ورباط شده الله بإخلاص وإيمان . وتزدهر الصداقة المصرية الصومالية مع ازدهار الإسلام فى مصر والصومال معا وتقوى معها الروابط التجارية والوطنية وتجند المصنوعات المصرية فى الصومال سوقا وأنجحة ...

يقول المؤرخ الإسلامى الرحالة ابن بطوطة : إنه لما نزل الصومال أنعم سلطانها عليه بكسوة تشريفية — وهى قوطة من الحرير يلفها على وسطه وذراعه وهى من صنع مصر وأنعم عليه بعمامة مصرية أيضاً وقال له باللسان العربى : « قدمت خير مقدم ، وشرفت بلادنا ، ... »

ويقول الرحالة أيضاً : إنه رأى فى الصومال تجارة واسعة وتجارا أمناء وإن التجارة المصرية رانجة ولأنهم يعتزون بما يرد لآلهم من المصنوعات المصرية ...

القضاء فى أندونيسيا :

أندونيسيا دولة آسيوية — تقع فى الشرق الأقصى — تحررت من الاستعمار الهولاندى بعد كفاح طويل ، وهى الآن تعتنق سياسة الحياد الإيجابى ، وأندونيسيا هذه تتكون من ثلاثة آلاف جزيرة تقريباً لكل منها عاداتها وتقاليدها ولغتها الخاصة ، فى أندونيسيا خمسة وعشرون لغة تقريباً ومائتان وخمسون

والنفقة وغير ذلك كما أنها تدرس التاريخ الإسلامي باختصار أيضا .
هذه خلاصة موجزة عن القضاء في أندونيسيا الشقيقة الحبيبة المسلمة المسكينة .

محمود جاد عطاري

مراسل مجلة الأزهر بأندونيسيا

تصويب :

كتب لنا الأستاذ إسماعيل عبد الحميد برغوث مراقب معهد شبين الكوم أنه وقع خطأ في مقال الأستاذ محمود الشرفاوي :
« ربكم أعلم بما في نفوسكم » المنشور في عدد رمضان الأخير من المجلة .
والخطأ المطبعي وقع في آيتين كريمتين نعيد تصحيحهما فيما يلي :

- ١ - « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .
- ٢ - « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » .

قراءة القرآنة منه أواسط السور :

في تعقيب على مقال : « قراءة القرآن من أواسط سورة » ، نشرت مجلة الأزهر رأيين :

الأول لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد اللطيف السبكي مؤداه أن في قوله تعالى :
« اقرأ باسم ربك » ما يغنيها في الاستدلال

زوجته يصبح لها الحق في أخذ نصف المال أو العقار الذي جمعه بعد الزواج - ولو كان هذا المال اكتسبه الرجل وحده - وكذلك إذا مات أحد الزوجين فلآخر نصف ما جمع أثناء فترة الزواج والنصف الآخر يقسم تقسيما شرعيا . أما المال المملوك قبل الزواج فليس لأحد الزوجين أخذ نصفه عند الطلاق أو الوفاة .

كما يوجد أمر غريب آخر : وهو : أنه لو حدث أن تزوجت مسلمة - وهذا نادر - من غير مسلم فإن القضاء الشرعي لا يملك التدخل وكذلك القضاء المدني لا يتدخل حيث إن الدستور لم ينص على علاج تلك المشكلة . كما أنه لم ينص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام .

بقي أن تعرف - أيها القارئ الكريم - أن القضاء الشرعي يتبع وزارة الشؤون الدينية .

أما القضاء المدني فإنه يتبع وزارة العدل وهو يختص بشئون الحياة الأخرى التي لم يتناولها القضاء الشرعي ، وهذا القضاء متأثر لحد بعيد بالقضاء الهولندي وبعض القوانين الفرنسية والانجليزية والرومانية كما أنه يقتبس قليلا من القوانين الإسلامية ولهذا فمكليات الحقوق بأندونيسيا تدرس بعض أبواب الفقه الإسلامي كالميراث والزواج والطلاق

ولو سلمت له هذه المعارضة ، واجهته بدليل آخر وهو فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا يسوغ بعده قياس مخالف أو رأى مضاد ، فلنترسم طريقة صلى الله عليه وسلم فى القراءة من أواسط السور باعتباره المبين لما أجمله القرآن والموضح لما أشكل من أمره ، وكتب القراء على اختلافها وتباين أفهامها تقرراً أقول وتؤكد أن ذلك لم يثبت رواية والسبب الأول والآخر لهذا إنما هو اللين والبركة ، والأصل بقاء المعلوم على عدمه حتى تقوم البيئة بإثبات جديد ، أما ردى على ما أورده السيد المعترض من قصة سليمان عليه السلام فهو أنى لا أعارض فى بدء الأعمال أى أعمال بالبسملة ؛ ولكنى هنا بصدد تخطيط قرآنى محدد لطريقة قراءة القرآن ، وبعد :

فإن الفسكرة فى ذاتها قديمة وهى فى الوقت نفسه حية ما ثلث فى أعراف أهل نجد والصومال وغيرهم كثيراً وأختم هذه المناقشة بأن الخير كل الخير فى ترسم أعمال الرسول وأقواله ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

محمد محمد الشرقاوى

المدرس بمعهد الإسكندرية

على البداءة بالبسملة عن التماس ذلك فى حديث « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع » ، ومن ثم لا داعى للبحث عما فى الحديث من ضعف وصحة ورفع وإرسال . وفى الآية أيضاً غناء عن الاستناد إلى قواعد أصولية مذهبية لإجماعية فى تقرير الاستدلال بآية ، وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ، وردى على هذا أنه لم ترو عن الرسول صلى الله عليه وسلم رواية واحدة تدل على أنه بسمل مرة واحدة حين قرأ القرآن من أواسطه وهذا محل إجماع بين القراء ، كما أن الآراء فى تفسير الآية التى استند إليها فضيلته فى تقرير البسملة فى أواسط السور كثيرة ، والوجه الذى اعتمده فى فهم الآية لبعض المفسرين عورض بأوجه كثيرة لمفسرين آخرين ، فضلاً عن اصطدام هذا الوجه بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم

أما التعقيب الآخر فهو الأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم ، ويعتمد فيه السيد المعقب وراء ما تقدم من الاستدلال بالآية السابقة على معارضة القاعدة الأصولية التى أوردتها بقاعدة أصولية أخرى : وهى « أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال » ،

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق - عبد الرحيم فوده

تعالوا أيها الاشتراكيون ، فاعرفوا نبيكم الأعظم

وفيه الطبيعة التامة التي يكون بها الحقيقي هو الحقيقي ١٠٠

يا بنت النبي العظيم ١٠٠ إن زينة بدرهمين ونصف ، لا تكون زينة في رأى الحق إذا أمكن أن تكون صدقة بدرهمين ونصف ، إن فيها حينئذ معنى غير معناها : فيها حق النفس غالبا على حق الجماعة ؛ وفيها الإيمان بالمنفعة حاكما على الإيمان بالخير ، وفيها ما ليس بضروري قد جار على ما هو الضروري ؛ وفيها خطأ من الكمال إن صح في حساب الحلال والحرام لم يصح في حساب الثواب والرحمة .
تعالوا أيها الاشتراكيون فاعرفوا نبيكم الأعظم ؛ إن مذهبكم ما لم تحيه فضائل الإسلام وشرائعه - إن مذهبكم لك أشجرة الذابلة تعلقون عليها الأثمار تشدونها بالخيوط ... كل يوم تحلون ، وكل يوم تربطون ، ولا ثمرة في الطبيعة ..

مصطفى صادق الرافعي
من كتاب وحى القلب

... وجاء (صلى الله عليه وسلم) من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها ، فرأى على بابها سترأ . وفي يديها قلبين من فضة ، فرجع : فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي ، فأخبرته برجوع أبيها ، فسأله في ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : من أجل الستر والسوارين . فلما أخبرها أبو رافع هتكت الست ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت : قد تصدقت به ، فضعه حيث ترى . فقال لبلال : اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة . فباع القلبين بدرهمين ونصف (نحو ثلاثة عشر قرشا) وتصدق بها عليهم .

يا بنت النبي العظيم ١٠٠ وأنت أيضا لا يرضى لك أبوك حلية بدرهمين ونصف وإن في المسلمين فقراء لا يملكون مثلها ... ؟

أى رجل شعبي على الأرض كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيه للأمة كلها غريزة الأب ، وفيه على كل أحواله اليقين الذى لا يتحول ،

إيضاح :

(١) القلب بضم القاف سوار من الفضة غير ملوى هو الذى يقال له اليوم : الغويشة . وهو خفيف .

(٢) أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه .

قاعدة نظام الحكم

كانت للقاعدة الأساسية التى أقام أبو بكر وعمر عليها نظام حكمهما هى أن يسير سيرة النبي فى المسلمين ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، وسيرة النبي فى المسلمين معروفة إلى أبعد حد ممكن ، وكان قوام هذه السيرة تحقيق العدل الخالص المطلق بين الناس ، وما تحتاج فيما نظن أن نقيم على ذلك دليلا ، وحسبنا أن نذكر من لا يذكر أن الإسلام إنما جاء قبل كل شيء بقضيتين اثنتين : أولهما التوحيد ، وثانيتهما المساواة بين الناس ، والله عز وجل يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وكان أغبط ما غاظ قريشا من النبي ودعوته أنه كان يدعو إلى هذا العدل وإلى هذه المساواة ولم يكن يفرق بين السيد والمسود ، ولا بين الحر والعبد ، ولا بين القوى والضعيف ، ولا بين الغنى والفقر ، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعا سواء كأسنان المشط ،

لا يمتاز بعضهم عن بعض ، ولا يستعلى بعضهم على بعض ، وقد يقال : إنه لم يبلغ الرق ولم يمنع الناس من أن يملك بعضهم بعضا ، ولكن الذين يفقهون الإسلام ويعرفونه حق معرفته لا ينكرون أن هذه الخطوة الهائلة التى خطاها الإسلام حين سوى بين الحر والعبد أمام الله كانت وحدها حدثا خطيرا فى تاريخ الناس ، وحدثا خطيرا له ما بعده لو مضت أمور المسلمين على وجهها ولم يعترضها ما اعترضها من الفتن والمحن والخطوب فآله فرض الصلاة على الأحرار والرقائق ، كما فرض عليهم الصوم . وكما فرض عليهم أن يخلصوا قلوبهم له ، والله قد عصم دماء أولئك وهؤلاء على السواء ، والله قد شرع دينه واحدا لأولئك وهؤلاء ، لم يشرع بعضه للأحرار وبعضه للعبيد ، وهذا وحده خليف لو مضت الأمور على وجهها أن يمحى الرق محوا ويحرمه تحريرا ، فكيف وقد جعل الله فك الرقة وإعتاق الرقيق من الأمور التى يتنافس فيها المسلمون يدخرون بها الأجر من الله والمثوبة عنده ، وكيف والله قد فتح فى الدين أبوابا كثيرة لا يكاد يلجها الرقيق حتى يعتق ، والله قد مد فى أسباب الإعتاق والتحرير لمن شاء أن يتصل بها ، فجعل الإعتاق كفارة لبعض الخطايا ، ولم يدع وسيلة تيسر الإعتاق وتغري به وتعين عليه وتفرضه على الناس فرضا إلا دعا إليها ورغب فيها وشرعها للمسلمين . وقد سخطت قريش أشد السخط وأعنفه

تعليق :

لم يهدر الإسلام مكانة البيت ، الذي كان العرب يحجون إليه وكانت قريش تنفع بما يجبي إليه من ثمرات بل لقد أعلى الإسلام مكانته وجعله قياما للناس ، لا للعرب وحدهم ، ولم يكن حرص قريش على مكانتها من العرب هو السبب الأكبر فيما كانت تبديه من سخط على النبي . فقد كان النبي من قريش ثم كان الأئمة من قريش ، وإن لم نجد في القرآن ولا في حديث النبي عليه الصلاة والسلام ما يدل دلالة قاطعة على ضرورة أن تكون الإمامة في قريش ، ولم يكن الإسلام قد اكتمل نزوله حتى يفسر سخط قريش عليه بأنه كان لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض لنظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل لا يلائم منافع ساداتها وكبرائها ، إنما كان سبب سخطها لذلك ولكثير من الأسباب غير ذلك كما يفهم من قول وفدها لأبي طالب : يا أبا طالب . إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا . وسفه أحلامنا ، وظلل آبائنا . فإما أن تسكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فسفسك فيه . وكما يفهم من قول جعفر ابن أبي طالب للنجاشي :

« أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية . نعبد

على النبي لما أظهر من ذلك ، حتى لا كاد اعتقد أنه لو قد دعاها إلى التوحيد دون أن يعرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ، ودون أن يسوى بين الحر والعبد وبين الغنى والفقير وبين القوى والضعيف ، ودون أن يلغى ما ألغى من الربا ، ودون أن يأخذ من الأغنياء ويرد على الفقراء — أقول لو قد دعاهم النبي إلى التوحيد وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي والاقتصادي لأجابته كثرتهم في غير مشقة ولا جهد ، فما كانت قريش مؤمنة بأوثانها إيماننا خالصا ، ولا كانت قريش حريصة على آلهتها حرصا صادقا ، وما كانت قريش إلا شاكسة ساخرة ، تتخذ الأوثان وسيلة لا غاية ، وسيلة إلى استمراء العرب واستغلالها ، أو لأجابه من قريش من أجاب ، وامتنع عليه منها ما امتنع ، دون أن يلقى في ذلك مشقة أو عنتا ، إلا أن يكون حرص قريش على آلهتها نتيجة حرصها على مكانتها من العرب وانتفاعها بما كان يجلب إليها من الثمرات ، ومهما يكن من شيء فقد سخطت قريش على النبي لأنه عرض لنظامها الاجتماعي وفرض عليها نوعا من العدل لا يلائم منافع ساداتها وكبرائها أكثر مما سخطت عليه لأنه عاب آلهتها ودعاها إلى أن تلغى الوساطة بينها وبين الله .

المركنور طه حسين

من كتاب الفتنة الكبرى وعثمان

أباطال بهذه السمات وهو فرد أعزل لا يملك غير إيمانه بدعونه : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ولا غبار بعد ذلك على كل ما قاله الدكتور في هذا الفصل الرائع الممتع من كتاب «عثمان» .

إباء سائر :

كان « محرم » يتحرق غيظاً من زمانه الذي تأخر به عن أفرانه ، ووقف به دونهم ، وربما فاقهم في الطاقة الشعرية . وسببهم في محراب الفن .

وسارت الحياة بمحرم سيرة قلانة مجحفة ، فلم تلن قناته ، ولم يتخل عن مثله ، أو يتنكر لمبادئه ، بل ظل وفيها لها . حفيظاً عليها حتى لقي ربه .

وكثيراً ما كان هذا الإباء وعلو النفس سبباً في حرمانه من خير كثير كان يستحقه بماله من مكانة أدبية وقدم راسخة في فقه العربية وآدابها ، فقد حدثني ابنه سليمان محرم ، أن اتجهت النية في العقد الرابع من هذا القرن إلى الانتفاع بمواهب محرم في المجموع اللغوي ، وسار الأمر في طريقه الطبيعي ، وكان في حاجة إلى توقيع من رئيس الحكومة - وكانت حكومة ... إذ ذاك - فنأخر القرار

الأصنام . ونأكل الميتة ، ونأني الفواحش . ونقطع الأرحام . ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول لزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ... إلخ .

فالظاهر من هذه النصوص أن الإسلام كان ثورة عامة على كل ما كان عليه العرب من عرف فاسد جامد ، وفساد في العقل والشعور والضمير والسلوك ، وأنه كذلك كان ثورة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي كان قائماً على الظلم والإثم والعدوان بل كان ثورة عالمية على الذين يعبدون الأصنام والأوثان من العرب ، والذين يعبدون النار من المجوس ، والذين اتخذوا آحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، والذين يعبدون الكواكب والجن والملائكة من أولئك وهؤلاء وغير أولئك وهؤلاء . وقد ووجه الإسلام بكل هذه القوى قصبر وانتصر ، وكأنا كان صلى الله عليه وسلم يشعر بهذه القوى ويسخر منها ويتحداها حتى أجاب عمه

وما كاد الحفل ينتهى ، وينفض سامره ، حتى
خرجت الصحف فى اليوم التالى وفى إحداها
قصيدة لمحرم يسخر فيها من المحتفين وأسائهم
سمها : (الموكب الذائب فى دمنهور)
ومطلعها :

ها هنا الأعلام كانت تنصب
ها هنا بالأمس كان الملعب

من كتاب شاعر العروبة والإسلام
د أحمد محرم ،

للأستاذ

محمد إبراهيم الجبوسى

عرو نزع :

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء أعرابى فقال : يا رسول الله . إن
امرأتى ولدت غلاما أسود . فقال : هل لك
من إبل . . ؟ قال نعم . قال : ما ألوانها . . ؟
قال : حمر قال أفها أورق . . ؟ قال : نعم .
قال : فأنى ذلك . . ؟ قال : أراه عرق
نزعه . قال فاعمل ابنك هذا نزع العرق .

قال صاحب الإصابة : وقد قدم بعد ذلك
عجائز من عجل - قبيلة المرأة - فشهدن بأنه كان
للرأة جدة سوداء .

من كتاب المرأة العربية

للأستاذ المرحوم

عبد الله عفيفى

عن مواعده كثيراً ، ولما ذهب ابنه يستطلع
الخبر ، ويقف على سبب هذا التأخير ، -
وكان يومئذ طالباً بكلية الآداب بجامعة -
للقاهرة - أخبره وزير المعارف أن اعتماد
القرار متوقف على التوقيع ، وأن أبياتنا
معدودة من الشعر يبتها الشاعر ، ويطرى
فيها الحكومة كفيلة باعتماد القرار على الفور ،
فذهب الطالب إلى أبيه فى دمنهور ، وخيال
النعمة ورياح الاستقرار تطوف على أحلامه ،
وحاول أن يظفر من أبيه بهذه الأبيات
المنشودة فكان جوابه ابتسامة مشفقة ساخرة ،
وربت الوالد على كثف الابن المشوق إلى برد
الراحة من عناء الحياة ومشقاتها وقال : محال
أن يكون هذا يا بنى .

ومن هذا القبيل فى حياة الشاعر ، أن حاول
بعض رجال الأحزاب استغلال شاعريته ،
ورأوا أن ينتزعوا منه بعض الأبيات يحى
بها زعيمهم الذى اعتزم زيارة مدينة دمنهور
فأبى عليهم ذلك ، فأغروه بالمال - وهو
الفقر - ولوحوا له بالذهب - وهو المعدم -
وجعلوا له على كل بيت ينشده - جنيناً ،
أملأ منهم أن يسيل لعابه . وينزله المسال
عن كبريائه ، ويفارق عناده ، فرفض
فى اعتزاز وشتم ، وقال قولة مشهورة حينما
أكثروا عليه . تعبر عن روح الشاعر الذى
لا يهتف بالشعر إلا استجابة لإحساسه
ووجدانه (يأبى على الشعر ولا يطاوعنى) ،

فهرس أجدى عام

لموضوعات المجلد الثالث والثلاثين

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|--|---------|---------------------------------------|
| ٥١٦ | أحمد شفيح السيد وفاته ، | | حرف (١) |
| ٨٦٠ | أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام | ١٢٤٢ | ابتداء القراءة بالسمة في أوائل السور |
| ٥٩٧ | اختلاط الجنسين في الإسلام ... | ٦٤١ | أبحاث ودراسات... لحرب الإسلام |
| ٣٥٠ | أخذت خمسة كتب فحسب | ١٣٠٥ | ابراهيم مصطفى « تأيينه » |
| ... | الإخلاص في تقدير الشريعة وعلما | ١٦٢ | ابن قيمية « شيخ الإسلام » |
| ٦٩٩ | النفس | ١٠٤٦ | ابن خلدون إمامته في المعرفة ... |
| ٦٦٥ | الأزهر في نظامه الجديد | ٧٤٦-٦١٩ | ابن خلدون « مؤسس » |
| ٩٧٠ | الأزهر والحملة الفرنسية | ٩٨٧ | علم الاجتماع |
| ٣٧٧ | أسئلة علمية وأجوبتها | | ابن خلدون وكلمة الإمام الأكبر { |
| ٥ | أسباب البدع ومضارها | ٩٠٧ | في مهرجانه ، |
| ٢٩ | أسس التعامل في الإسلام كما يقررها القرآن الكريم | ١٠٢٩ | ابن خلدون - مهرجانه |
| ٢٣٤ | الأسرة في الإسلام « كتاب ، | ٤٤٨ | ابن قيم الجوزية |
| ٣٦٦ | الإسلام دعوة عالمية | ١١٣٠ | إبليس الأول - أو إبليس آدم |
| ٦٠١ | الإسلام دين الوحدة الكبرى | | أثر الحضارة الإسلامية في المدنية |
| ١١٥٤ | الإسلام . لفظه ومعناه | ٣٣٠ | الأوربية |
| ٦٣٥ | إسلامنا « كتاب ، | ٣٥٢ | أجاب تحريريا (استعمالها) ... |
| ١٢٩٦ | أسلوب الدواعيات البعري | ١٠٥ | أحبه كالم يحب والد ولده (استعمالها) |
| ١٧٥ | الإسلام فوق كل اعتبار | ٥١٣ | أحمد بن حنبل « كتاب ، |
| | الإسلام في التاريخ الحديث لولفريد | ٨٧٧ | أحمد الغزالي |
| ٨٨٢ | كانتويل سميث | | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|---------------|--------------------------------------|-------------|--|
| ١٢٨٤ | الاقتباس من القرآن | ١٧٠ | الإسلام في سيلان |
| ٨٧١ | اقتصاديات السكان عند ابن خلدون | ٣٩ | الإسلام في أوغندة |
| ١٠٤٢ | أقدم اللغات | ٦٤٥ | الإسلام في فيلين |
| ٦٥٥ | أمانة القومية العربية في ذمة الأزهر | ... | الإسلام واللغة العربية في مستقبل إفريقيا الجديدة |
| ٣٦٢ | ألا رحم الله الشعر | ٨١٨ | الإسلام ونزعة الفطرة وكتاب، ٩٠١ |
| ٦٦٧ | ألفاظ القرآن وألوان الطيف | ٧٦١ | الإسلام لا الشيوعية، وكتاب، ٧٥٧ |
| ٦٣٣ | إلى إخواننا العرب من الإمام الأكبر | ... | الإسلام والتقدم و قصيدة، ٩١٠ |
| ... | إلى السيد الرئيس من الإمام الأكبر | ... | الإسلام والتكافل الاجتماعي |
| ٦٣٢ | وبمناسبة الحركة، الانفصالية في سورية | ٣٨٦ | الإسلام والقومية العربية وكتاب، ٢١ |
| ٥١٨ | إلى صاحب اللغويات | ... | الإسلام والمجتمع |
| ٢ | أوبة الإسلام ونوبته | ١١٣٤ | الإسلام والمسلمون في أمريكا |
| ٦٤٦ | أوربا والإسلام | ١٠٧٦ | الاشتراكية فضيلة إنسانية |
| ٨٩٩ | الأم للإمام الشافعي - وكتاب، ٦٦٩ | ... | اشتراكية الإسلام |
| ١٣٣٤ | الإمام الغزالي والفلسفة | ١٠٩٨ | الاشتراكية في الإسلام حقيقتها |
| ١١٠٨ } | الامن في القرآن | ١٢٤٥ | أصالة الفقه الإسلامي |
| ١١٣٢ } | ... | ٢١٧ | أصول التشريع الإسلامي وفلسفته |
| ١٢٥٦ | أنماط من الأدب العربي الرفيع | ... | أصول الإثبات والتعاقد في الشريعة الإسلامية |
| ٤٩٤ } | إنما حائدون | ١٢٠٥ | إصلاح وكتاب، ٥١٥ |
| ٦٠٧ } | ... | ٦٢٧ | أطلس العالم العربي والشرق الأوسط |
| ١٣٥٦ | أول أضواء الفجر | ١٠٠٠ | إفريقيا الجديدة |
| (ب) | | ١٣٩٢ | إفريقية التي لا تقبل التصديق |
| ٩٢١١ | بحث مقارن في المنازعات الدولية | ٨٩٠ | أفلسفة جديدة للبوذية ؟ |
| ٤٦٨ | بدء هجرة المسلمين إلى أمريكا | | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|-------------|-----------------------------------|--------------|--------------------------------------|
| ٥١٥ | أسلية المحزونين وكتاب | ٧٧٦ | بين رئيس البعثة الأزهرية في الصومال |
| ٢٢٤ | تطور الأزهر كان حلم المفكرين | ٧٦٤ | ومدير التعليم بوزارة المعارف |
| ٩٢٢ | التعريف والعدد في اللغة العربية | ١١٥١ | الصومالية |
| ٩٤٦ | واللغات الأوروبية | ١٢٥ | بركن الدماء |
| ١٤٠٢ | تعالوا نجاحهما معاً | ١٠٤ | البسملة في قراءة القرآن |
| ١٢٦٨ | التفسير البياني للقرآن وكتاب | ٧٦٤ | بطولات عربية وكتاب |
| ٥٣٧ | التفسير والمفسرون | ٣٠٥ } | بعثك الدار بما فيها الأمان (استمأنا) |
| ٢٧٥ | التمكير الفلسفي في الشعر العربي | ٤٣٤ } | بناء الاقتصاد في الإسلام |
| ٨٠ | التقابل دون التشابه عامل من عوامل | ١٢٦ | بين العربية والفارسية |
| ٤٠٨ | النمو الاجتماعي | ٥١٣ | بين الأدب والصحافة وكتاب |
| ٧٩٥ | التكبير في أوائل السور هل له | ٢٣٦ | بين يدى عمر وكتاب |
| | أساس صحيح ؟ | | البيان في تصحيح الإيمان وكتاب |
| | تسكافو الفرص في رسالة الإسلام | | (ت) |
| | التكافل في الإسلام | | تأملات في المجتمع العربي وكتاب |
| | | | تأنيث أفعال على فعلى و بين عضيمة |
| | | | والزيات |
| | | | التبشير بالخير |
| | | | تليانا لسكل شيء من رب كل شيء |
| | | | التجديد في الدعوة الإسلامية |
| | | | يبتدى من المفاهيم |
| | | | التجارة في القرآن |
| | | | التدين ضرورة لحياة الأمم |
| | | | تركستان وسكانتها في التاريخ |
| | | | والإسلام |

(ث)

| | |
|-------------|-----------------------------|
| ١١٢٦ | الثورة الباقية |
| ١٢٩ | الثورة الرابعة تتحقق |

(ج)

| | |
|------------|---------------------------------|
| ١٢٧٠ | الجانب العاطفي من الإسلام وكتاب |
| ٧٥٩ | جرائم الحدود وكتاب |
| ٩٨٢ | جرم السرقة في التشريع الإسلامي |
| ٨٣٧ | ولقانون الوضعى |
| | جريمة الزنا هل تحرم المصاهرة ؟ |

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|--------------------------------------|------------|-------------------------------------|--------|
| الجريمة والعقاب في الشريعة الإسلامية | ٢٠٩ | حول وفلان كيف للعمل ، | ٢٢٦ |
| والشرائع الوضعية | ١٠٢٢ { | حول كتاب محو في تفسير القرآن | ٢٣١ |
| الجفرى والعرب في أندونيسيا | ١٤٠٧ { | حول مشكلة الأغاني | ٦٤٢ |
| الجلال السيوطى والتفسير | ٣٢٠ | حول المهدي المنتظر | ٣٨١ |
| الجمهورية العربية المتحدة تتلقى | ٣٩٦ | الحياة من كلام النبوة الأولى | ٥٤٥ |
| نور محمد بالين | ٣٩٦ | حياتنا الدنيا مرحلة اختبار في العمل | ٣٤ |
| | | حيرة الأوهام | ٤٧٨ |

(خ)

(ح)

| | | | |
|--------------------------------------|------|---------------------------------------|------|
| خطأ المقارنين لا خطأ المقارنة | ٢٢٠ | الحاجة إلى هداية الرسل | ٧٦٦ |
| خطأ في فهم التبعية الروحية | ١١٩٩ | حديث الاشتراكية | ٨٩٣ |
| خطوات في النقد وكتاب ، | ٦٣٥ | الحروف والمعاني في اللغة العربية | ١٧ |
| | | حرية الكلمة في الإسلام | ١١١٥ |
| | | الحضارة الإسلامية تقاس بالكيف | |
| | | لا بالسكم | ١٣٩ |
| | | الحقوق الطبيعية للمواطنين كما قررها | |
| | | الإسلام | ١٣١٣ |
| | | حكاية الشعر الجديد | ٧٨٣ |
| | | حكم الشريعة في التلقيح الصناعي | ٨٩٤ |
| | | الحل الأول هو الحل الأخير | ٧٦٥ |
| | | حول الأولياء والقديسين | ٢٣٠ |
| | | حول رأى الأستاذ أحمد أمين في | |
| | | معنى الإسلام | ١٢٨٤ |
| | | حول عقوبة الإعدام | ٧٧٣ |
| | | حول فلسفة الفكر الإسلامى | ٨٩٦ |
| | | | |

(د)

| | |
|-------------------------------------|-------|
| دراسة تاريخ العلم عند المسلمين واجب | |
| الكلية بجامعة الأزهر | ٦٧٩ |
| دراسة عن العرب في أندونيسيا | |
| والرد عليها | ١٠٢٠ |
| | |
| دراسات في علم المعنى والسمانتيك ، | ٤٨٢ { |
| ١٢٧٧ { | ٦١٣ |
| درس من جزيرة مالطة | ٢٧١ |
| الدعوات الإسلامية | ٥٠١ |
| دور الأدب في المجتمع الاشتراكي | ١٢٨٨ |
| ديموقراطية رعوية في شمال الصومال | ١١٢٧ |
| الدين والسياسة في باكستان | ١٢٥٩ |
| ديوان شاعر آل البيت وكتاب ، | ١٢٧٤ |

| الصفحة | الموضوع |
|-------------|------------------------------------|
| ٦٣٦ | السرقفة في التشريع الإسلامي وكتاب، |
| ١٢١٥ | سلطان الضمير |
| ٦٣٩ | سلمت يا بلادي |
| | السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي |
| ١٢٤ | د كتاب ، |
| ١٥٩ | سوء الاختيار مملوكة |
| ٦٣٦ | السياسة الشرعية لابن تيمية وكتاب، |

(ش)

| | |
|-------------|---------------------------------|
| ٤٥ | شاعر أعشى يصف العمى وقصيدة ، |
| ١٤٠٥ | شاعر العروبة والإسلام |
| ٥٦٧ | الشخصية الأدبية ومقوماتها |
| ٥٢٣ | شخصية البحترى |
| ١٢٩١ | الشخصية الدينية لجماعة المسلمين |
| ٩٤ | شعر القاضي الفاضل |
| ١٢٨٣ | شتمائل د مفردما ، |
| ١٠١٠ | الشوقيات المجمولة وكتاب ، |

(ص)

| | |
|-------------|-----------------------------|
| ٨٢٨ | صحيفة بشر بن المعتز |
| ١٤٠٩ | صلوات مصرية صومالية |
| ٧٨٧ | الصنعة في اللغة العربية |
| | صفحات مشرقة من تاريخ القضاء |
| ٥٧٨ | في الإسلام |
| ١٢٢١ | صفحات من العروة الوثقى |
| ١٠٠٣ | صهيب بن سنان |
| ١٠٣٥ | صوم رمضان اشتراكية روحية |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------|
|--------|---------|

(ذ)

| | |
|------------|----------------------|
| ٦٤٣ | ذو القرنين عربي مؤمن |
|------------|----------------------|

(ر)

| | |
|-------------|-------------------------------------|
| ٧٠٧ | رائد الفضاء |
| | رأى الأزهر في الاتجاهات الحديثة إلى |
| ١٨٦ | تدريس النحو |
| ٤٥٨ | الرأى العام في الإسلام |
| ٤٨٨ | رأى في الشعر الجديد |
| ١٠٦٠ | ربكم أعلم بما في نفوسكم |
| ١٢٨٩ | ربيعك في نفسك |
| ٧٧٩ | رسالة الأزهر في ضوء قانونه الجديد |
| ٥٨٥ | الرسول ... الإنسان |
| ١٠٩٣ | رمضان بين الأمس واليوم |
| ١٠٢٨ | رمضان من شعائر الوحدة الإسلامية |

(ز)

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ١٩٧ | زعماء المسلمين في الهند وموقفهم |
| ٣٢٥ | من الاستعمار الانجليزي |
| ٨٤ | |
| ١٩٢ | زواج المسلم بغير المسلمة |
| ٣٥٤ | |
| ٧٧٥ | الزيات يعقب على رثاء الجزيرة إياه |

(س)

| | |
|------|--------------------------------------|
| ١٣٥١ | السبعة الأحرف التي أنزل عليها القرآن |
|------|--------------------------------------|

| الموضوع | الصفحة |
|---------------------------------|----------|
| العلمية الجديدة في نيجريا | ١٠٩ ... |
| عناصر التأثير في خطابة الرسول | ١٠٧٨ ... |
| العيد في الدين وفي اللغة | ١١٦٣ ... |
| العيد ولمن يكون | ١٢٧٦ ... |
| عيد الثورة التاسع - عيدان - عيد | |
| الإصلاح الدينى وعيد الإصلاح | |
| الدينى | ٢٦٩ ... |

(غ)

| | |
|--------------------|----------|
| الغزالي والمتكلمون | ١٠٧٢ ... |
| غزوة أحد ، كتاب | ٩٠٠ ... |

(ف)

| | |
|------------------------------------|----------|
| الفاعل في اللغة العربية بين المبني | |
| للمعلوم والمبني للمجهول | ٥٣٣ ... |
| فتاة من جنوب إفريقيا تشيد بجامعة | |
| الأزهر وترغب الدراسة فيها | ١٠١٩ ... |
| فريضة الصلاة تطهير للنفس | ٧١٩ ... |
| الفصل والفصلة ، استعمالها | ١٠٥ ... |
| فضل بعض الأيام بدعة | ٥٢٠ ... |
| الفقة في الدين أمان من الزلل | ٧١٤ ... |
| الفكر الإسلامى والتطور ، كتاب | ٢٣٥ ... |
| الفكر الإسلامى الحديث وصلته | |
| بالاستعمار الغربى ، كتاب | ١٤٠٠ ... |
| فلان كف. للعمل ، استعمالها | ١٠٢ ... |
| فلسفة أرسطو للاماراتى ، كتاب | ٦٣٤ ... |
| فلسفة تاريخ محمد ، كتاب | ٢٣٢ ... |

| الموضوع | الصفحة |
|--|----------|
| الصوم عبادة توجيهية | ١٠٥١ ... |
| (ط) | |
| طاعة الله ورسوله شيء واحد | ١٠٥٥ ... |
| الطرق الحكيمية لابن القيم الجوزية ، كتاب | ٣٨٤ ... |
| (ظ) | |
| الظرف في اللغة العربية | ١٣٦ ... |

(ع)

| | |
|--------------------------------------|----------|
| عاد الشعر في العالم كما بدأ | ١٢٢٩ ... |
| عاش شتيا في الدنيا ومات سعيدا بالدين | ٦٥١ ... |
| عاشوراء في تاريخ الإسلام | ٧٣ ... |
| العاطفة الدينية في شعر أحمد شفيص | ٥٧١ ... |
| عبد الله بن سبأ ، كتاب | ٧٦٠ ... |
| عبد الله بن عباس إمام المفسرين | ٨٠٤ ... |
| عبرة في حياة أديب | ٧٠٠ ... |
| العرب في أندونيسيا | ٥٤٩ ... |
| عروبة مصر | ١١٤٧ ... |
| على بشر أريس ، من ذكريات ربيع | |
| الأول في طبية | ٢٦٥ ... |
| علينى الحياة ، قصيدة | ١٣٩٨ ... |
| على مبارك ، دراسة | ٤٢٤ ... |
| على مبارك ، دراسة | ٥٥٨ ... |
| على مبارك ، دراسة | ٦٨٣ ... |
| على مبارك ، دراسة | ١١٨٨ ... |
| على مبارك ، دراسة | ١٢٣٨ ... |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|-------------------------------------|--------|---|
| ٧٩١ | القوى الشعبية وكيف تعبأ نحو | | فلسفة الفكر الإسلامى لا كاتب |
| ٩٢٦ | الاشتراكية العربية | ٩٠٠ | الفرنسى هنرى سيروبا ، كتاب ، |
| | القيم الحقيقية للفنون الشعبية | ١٢٧١ | فن كتابة السيرة الشعبية ، كتاب ، |
| ١٣٨٦ | في العصور الإسلامية | ١٢٢٦ | الفنون الشعبية في العصور الإسلامية |
| ١١٤٣ | قيم جديدة للأدب العربى ، كتاب ، | ٦٤٥ | فولثير ومأساته ، محمد ، |
| | (ك) | | في الانجازات الحديثة إلى تدريس النحو ٦٣ |
| ٤٠٢ | كان مولد محمد مولد عالم جديد | ٩٤٠ | في إطار الاشتراكية الإسلامية |
| | كراهية الحق نزعة جاهلية ونقيصة | ٣٥٩ | في ذكرى مولد الرسول الكريم |
| ٩٩٧ | خلافة | ١٠٦ | في ذكرى الهجرة النبوية |
| ١٢٧٣ | كما نحدث القرآن ، كتاب ، | ٩٠١ | في ظلال الهجرة ، كتاب ، |
| ١١٥٦ | الكوكب المعبذب | | (ق) |
| ٧٧٧ | كيف تبلى الأوطان | | قانون الأزهر الجديد ومذكرته |
| ١٣٢٤ | كيف تخرج أيها المسلم | ٢٣٧ | الإيضاحية |
| ٦٦١ | كيف دخلت في الإسلام | | قانون الأزهر الجديد في حديث |
| ٤٩٩ | كيف انتشر الإسلام | ٣٧٥ | الإمام الأكبر |
| ٣٩١ | كيف عرفت للشذية يطى | ١٢٧٤ | قبسات من الرسول ، كتاب ، |
| | (ل) | | القدوة الحية لأخلاق الحركة ... ٣٤٦ |
| ٤٦٣ | اللغة العربية في إفريقيا | | قراءة القرآن من أواسط سورة ٩٧٥ |
| ٢٢٩ | اللغة العربية في مدارسنا | ١١٤١ | قصة الإيمان |
| ١١٧٩ | الله أعلم حيث يجعل رسالته | ١٤١٠ | القضاء في أندونيسيا |
| | (م) | | قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ١٤٠٤ |
| ٣٧٠ | مؤتمر أديان لإقرار السلام | | القضاء والقدر ، كتاب ، ... ٥١٤ |
| ١٢٨٢ | ماذا صنع بنا الاستعمار | ١١٤٩ | قلة ذوق في مآثم مجاهد |
| | | ٢٩٧ | قولوا الجنس العربى لا الجنس السامى |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|----------|-------------------------------------|-----------|------------------------------------|
| ٢٩٢ ... | مصر تحنفل بالمولد النبوى | ٩٩٢ ... | ماذا يراد بالإسلام فى إفريقيا |
| ٦٧٥ ... | المطامع مثار الفرقة بين الناس | ٧٦٣ ... | مبادئ ومثل « كتاب » |
| ١٠٨٥ ... | مع البحرى فى ذكره | ١٣٨٩ | المثل العليا فى التشريع الإسلامى |
| ١٣٤٦ ... | المعرفة الصوفية عند ابن سينا | ١٢٣٨ ... | مناهج الحياة فى نظر الإسلام |
| ٨٦٥ ... | مع المرابطين على الحدود | ١٠٢٦ ... | متى يحدد إقامة هذه الكتب |
| ١١٤٤ | مع المسيح فى أناجيله الأربعة | ٥٨ ... | مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر |
| ٦٤٨ ... | « كتاب معنى العلم فى الإسلام » | ٢٢٨ ... | مجمع الأولياء |
| | مقارنة بين الشريعة الإسلامية | | مجلس البحوث العلمية والشرعية |
| ٧٥٠ ... | والشرائع الأخرى | ١١٥٣ ... | بأندونيسيا |
| ٦٥٨ | مقارنة لغوية بين الجنس والعدد | | مجمع البحوث الإسلامية مجال أمين |
| | مقارنات ومفارقات بين الجن | ٩٦٤ ... | لدراسة تاريخ المسلمين |
| ٢٨٧ ... | والإنس والأنعام | ١٠٣ | محمد كاتب أجود منه شاعر واستعمالها |
| ٦٢٥ ... | مقومات التطور فى الإسلام | ٣٥٢ | محمد يرى ما أمامه جيدا ، ولا يخطئه |
| | المكابرة فى الحق بلاء والتأدى | ٨٥٢ | محمود الخفيف ، صفحة من كمامه |
| ١٣١٨ ... | فى الباطل شقاء | ٧٧ ... | مخالفات دينية فى فيلم |
| ١٣٩٥ ... | المكفوف « قصيدة » | | مدينة كانوا أكبر مراكز الإسلام فى |
| ٢٠٢ ... | مناجاة الهلال لحافظ إبراهيم | ٦٩١ ... | إفريقيا الغربية |
| ١٢٦٩ ... | مناهج تجديد « كتاب » | ٧٣٣ } ... | مراكز اللغة العربية فى الهند |
| ٦٢٧ ... | من تاريخ الصحابة | ٥٩٠ } ... | مراكز اللغة العربية فى الهند |
| | من خصائص الرسالة الأمانة | ٧٥٣ | مراكش مستقلة بقلم روم لاندو |
| ٤١٩ ... | فى العلم | ١٣٢٩ ... | مرحبا بالجزائر |
| ٤٦ ... | من شعر شوقى بعد المنفى | ٢١٤ ... | المسرح والتوجيه الدينى |
| | من شؤون المجتمع - هدى القرآن | ٨٩ } ... | المسلمون فى الهند أيضا |
| ١١٨٣ | فى الآمانات والأموال والأولاد | ٤٧١ } ... | المسلمون فى اليونان |
| | من الشيخ الأكبر إلى العالم الإسلامى | ٦٥٠ ... | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|-------------|-----------------------------------|-------------|--------------------------------------|
| ٣٥١ | هل محمد يحضر استمائها | ١١٦ | بمناسبة عيد الأضحى المبارك |
| ٨٩٨ | هل نحن مسلمون؟ كتاب لمحمد قطب | ٦٦٩ | من قفص الاتهام |
| ٥١٨ | هل يجوز بناء حوانيت تحت المسجد | ٣٩٩ | من المغارنة بين اللغات الجلة الاسمية |
| | | ٣٤٢ | من وحى الروضة النبوية |
| (و) | | ١٣٣ | من وحى الهجرية |
| ٥٤ | الوحدانية في الأديان الإفريقية | ٨٤٢ | مهرجان للشعر في دمشق |
| ١٥١ | الوحدة العربية | ٣٣٥ | مولد الرسول في المدايح النبوية |
| ١٠٣٢ | الوحدة العربية والخلافة الإسلامية | ١١٦٨ | موقف الإسلام من المستغلين |
| ١١٩٥ | وحدة الحق وتعددته في أصول الفقه | ١٨١ | موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفة |
| ٥١١ | وسطية الإسلام كتاب | ٩١٤ | موكب النور قصيدة |
| | وزارة الداخلية تشكر الأزهر على | (ن) | |
| ١٠٢٨ | محاربة المخدرات | ١٤٤ | نظرات في فقه عمر |
| ١٢٨٦ | وللرجال عليهم درجة | ١٨١ | |
| ٩٥٩ | الولى ضرورة في عقد الزواج | ٤١٤ | |
| (ى) | | ١٣٧٠ | نهج البردة في شعر البارودي |
| ١٢٦٦ | يا شباب الفصحى قصيدة | ١١٤٥ | النور أولى كتاب |
| ٨٩٢ | يُجادِلونك في الحق | (هـ) | |
| ١٠٢٥ | | ٦٣٨ | هكذا أنشد قصيدة |
| | | | هل كانت الأحرف السبعة لضرورة |
| | | ١٤٠٨ | زالت ؟ |

سقط في طباعة بعض أعداد المجلة التي صدرت للقراء
الإشارة إلى أنه استؤنس في تقسيات الفقرات ٤، ٥، ٦ من هذا
الموضوع بما جاء في كتاب (اشتراكية الإسلام) للدكتور
مصطفى السباعي من ص ١٩١ - ٢٣٤ طبع الدار القومية
للطباعة والنشر سنة ١٩٦١ الحلقة ١٠٨ من سلسلة اخترنا لك .

وجدت هذه القصاصة في الصفحة ٩١٣

THE NATIONAL POWER

HOW TO BE MOBILIZED TOWARDS
THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

chancellor of Al-Azhar University

— 2 —

corrupted condition of the past. They were able to raise their belief to be above the level of the happenings — without being involved in its direction or by its impression — and this will enable them to observe the happenings and to put plans to face them, then to turn them to the side of welfare, to restore the social equilibrium or to realize the arabic Socialism.

Leaders, mostly, are those who naturally elected, in the atmosphere which has its effect on some people and has no effect on the others.

The work which should be done now is to prepare an intellectual and spiritual atmosphere for directing the specific national towards the arabic socialism.

In fact, I do not believe neither in what so called in west "Democratic" nor in its way. West had illustrated it as the true and the correct system, inspite of the fact

that a little number of the individuals direct and take care of the affairs of the selection, they control and turn it to right side or to the left one, according to their will. So, in my opinion, the european countries have no freedom or abstract policy from the external influence, and consequently, they turn in the cycle of subordination as that their production is of no human services, Therefore, the people of these countries cannot be at all discribed as human societies. because they permanently involved in a friction, cold and hot war. These features denote that the human values have a little share among these societies. In these countries, the authority is given to those who have wealth, and not to those who have human values. If there is freedom in these societies, it will be nothing but selfishness. But as a matter of fact, the human civilization is the consequence of the human relations which are based on peace, security, fraternity and co-operation.

either repeated or obscure. This was because he studied in the second stage the same that he studied in the first one, in spite of the fact that his thinking is growing as any other human being.

But indeed, the reorganization of Al-Azhar gives the society complete opportunities in order to get a strong scientific and educational studies which can steadily face all the various differentiations, as it will

surely give a permanent shelter to those who receive its studies.

Really, it is a new law for a new life with a new organization. Its results will surely be to bear the pure heritage and restore the advantage of the islamic values in their heydays.

Praise be to God for the advent of the revolution and its leader, and we beseech Him to support Al-Azhar in order to perform its duty towards the Islamic message and its principles.

United Arab Republic is as similar as any other student who comes as a delegate student from both Asian and African countries.

The university of Al-Azhar — according to the new law — has become the holder of the higher studies in all the islamic and the arabic fields, and also in all the different aspects of the human knowledge under various names of colleges. The new law also imposed itself on the azharite institutes in its three stages to, strongly and clearly, prepare the students for such standard of studies. Hence, the graduates of these institutes and then of the university of Al-Azhar, will have a clear knowledge and a pure belief in Islam and its message. The new law also imposed on the Academy of the islamic researches, in its different aspects, whether by means of reviving haritage, writing books and essays, translation, publishing researches, sending missions of the learned men to abroad or receiving delegates students to receive education in both islamic and arabic studies.

These are the three united organizations which aim at one objective. This objective is the revival of the islamic values, calling to them, guiding people according to their teachings and declaring them in a

modern style. Therefore, the society will be benefitted by the guidance of Al-Azhar which leads it to be a human one in its aims, in the relation between the individuals, in carrying out their duties and understanding their rights. Doing that, our society will be a strong and a united one which works hard to fulfill its supreme goals and removes the causes of weakness, such as : Selfishness of the souls, illness of the bodies, stupidity of the minds and emptiness of the hearts from the belief in God.

Surely, what had happened — before the reorganization of Al-Azhar — was only as a painting for a weak building which could not face the various differentiation, or at least to protect those who get shelter through it. It was not more than a kind of keeping certain style or ways of research and studies, and keeping certain books with a specific way for the mental arguments, and a certain direction in selecting problems and clearing how to solve them. These books were nothing but repeated pictures to each other. The stages of education which student spends a long time of his life to pass them were nothing but repeated stages as it was the state of the books since they were similar to each other. Consequently the knowledge of the student of Al-Azhar was

duty in this concern, is to call people to that society. And our laxness in performing that duty will be considered as a laxness in performing our duty towards preaching the islamic message itself.

The Re-organization of Al-Azhar :

Because the leadership of the to revolutionary society conceives the importance of Al-Azhar in calling that revolutionary and socialist society; it promulgated the law No, 103 o 1961, concerning the re-organization of Al-Azhar. This was to enable it to perform perfectly its message and to revive the islamic values on which stands the society. The aim of the re-organization of Al-Azhar is to perepare its graduates, and scholars to have a full understanding for Islam and its message, and also to be of powerful ways in preaching that message and guiding the society. On the other hand, its purpose is to restore the heydays of the islamic message and the position of the preacher at the time of the prophet. The preacher who fully understands his message, lives for the sake of the call and who does not use it as a mean to earn his living. Its aim also is to remove the separateness and the loneliness which were caused

by the stagnation of the past relations between Al-Azhar and the society. Consequently, the society misunderstood the message of Al-Azhar and its scholars who also misunderstood the society, and this by turn led to the creation of the sectarianism which was followed by the fanaticism and this also led man to turn the back upon the other people.

Thence, the new law of Al-Azhar contains the establishment of new scientific and practical colleges beside the theoretical ones which should be applied solely to the arabic and the islamic studies, in order to realize the objectives that we previously mentioned. Such colleges will be established to enable the students of Al-Azhar to have more studies — besides that which they accustomed to receive at Al-Azhar — in order to help them to penetrate the different fields of which they cannot do by means of preaching and sermons alone. Getting throug that, the student of Al-Azhar will he an active member of the society who produces scientific and practical services, while in the same time, he will be a preacher and caller to truth and the islamic value by means of his character, behaviour, deeds and talking. In this connection, the student of the

moment, by means of misusing fortune which surely leads to slavery or to the social injustice which is represented by the prevalent needs of the majority of people. But how socialism can be realized? It will be realized, if the production of the individual becomes — in its value — more than what he charges as a recompense for it.

As a matter of fact, the professional people, whether they work in the educational, medical, engineering or industrial fields, will not be true socialists; unless they produce a free human services to those who badly need them. The renters, workers and farmers will not be true socialists; unless they save some of their production to cover the needs of the other individuals who lack the technical experiences in the industrial and the agricultural fields. Hence, the needy people can use the excessive production to cover their needs, and it can be said that the community gives the individuals. And also every person who has the ability to work will give the spare goods which he produces to the others, so we can say that the individual gives the community. Consequently, if the aim of the socialism is to realize equilibrium in the society and covers the needs of the needy people" Surely the society will be a co-operative and united one.

Our socialist society is a human one :

The aim of the socialist society is to realize a human society which looks after the human values and utilizes them in its practical life. If the society is not an Islamic one; it will be at least a human society which revives the picture that Islam has called people to it since its advent, such as : to liberate the slaves, to remove the social injustice and to restore the human consideration to those who were deprived of it by means of misusing fortune and properties.

Our socialist society is an Islamic one :

If the socialism of our society is an arabic one which based on religion and considered Islam as the source of the human values; it will be indeed an Islamic one.

The attitude of Al-Azhar :

The attitude of the Azharite people towards the mobilization of the national power, in order to realize the aims of the arabic socialist society, is surely the attitude of those who recall the islamic values and their advantage in the human life to the memories of the people. Our

reconciled (to truth); for those in bondage and in debt; in the cause of God; and for the wayfarer." [S. The Repentance, V. 60.], its purpose was to pave the way to the human consideration for those who were deprived of it, by means of another factor beyond the humanity itself, such as : misusing fortune in order to enslave the human kind, and monopolizing money which led to the slavery and wide-spread poverty. Consequently, the misusing of fortune led to the humiliation of the slaves and the poor people. So, when Islam calls to manumission, it intends to restore the slaves humanism. And when it calls to alms giving, it intends to restore the poor consideration after the humility of neediness.

Verily, Islam ordains fasting, prayer and pilgrimage to create readiness and abilities in the hearts of the Muslim people, in order to achieve gladly its teachings and principles, especially with regard to manumission, alms giving and modification with the other people in a mutual understanding and co-operation to realize the good and remove the harm. In fact, the Islamic treatments are the fields of the mutual feelings in their relations with each other.

In this concern, we can say

that ordaining these worships — though it seems in a coercitive way — leads at the end to a human meaning which urges one to do an active work needless to any external observance. Consequently, the obligation of worship in Islam differs from that of the modern legislative laws. As a matter of fact, these laws mostly deals with the external surface of the human life without going deeper into the individual's soul. But gradually the human souls accept them and carry them out too.

The new society is a socialist one :

Since July 23rd, 1962, the revolutionary society has described itself as a socialist one. It also used the term "Socialism" to be going with the terms which are used by the thinkers in our present time. But is the description of "The socialist society" changes it from being a revolutionary society which was existed to restore the human consideration, especially for those who were deprived of it?

Really, the socialism, by which this revolutionary society called itself, can be explained as follows : "One is for all, and all are for one" or in other words, solidarity and unity in order to prevent the demolition of the human consideration at any

for the benefits of the wealthy people. The Revolution did not arise to prevent the individuals to own, to express their ideas freely or to impose on them a certain belief, but it stood for organizing their freedom, to direct them towards the common welfare and to prevent them to gain an illegal fortune or to suppress the opinions of the others, in order to force them to follow a certain policy which will be against the interest of the society.

Further more, it did not stand to bless the sectarianism and the partiality of the people into classes, or to confirm the separation among the people; but it stood for removing that partiality and sectarianism, and to realize the attainment of equality according to work and ability.

Lastly, this Revolution only arose to restore the consideration to those who lost it, or those who were prevented from it. It did not happen to realize equality among people in properties, the power of production or opportunities of work because they are out of the human capacity and against the nature of man. And though the individuals of the society may be nearer in their views of life or in their tenacity and co-operation for realizing aims and purposes of their society; they surely differ in

understanding and mentality, in determination and activity, in comprehension and impressionability, in hope and expectation and also differ in abilities and energy which help them to perform their duties. Thence, the stages—through which they pass in order to realize their aim—are different, and the results which they acquire are also different according to the kind and the easiness or the difficulty of the individual's striving. Consequently, it is rarely to find similarity in the human struggle in its various stages and kinds.

So, the aim for which arose the Egyptian revolution at July 23, 1952; is actually the equality in the human consideration and values, not equality in what the human beings gain by means of their personal qualities and abilities.

If we come back to the previous Islamic society and the Islamic message too, we will find that its aim was to realize and keep the consideration of the individuals. So, when Islam called for manumission "And what will explain to thee the path that is steep. (it is) freeing the bondman." (S. The city, Vs. 12 — 13.) and when it superimposed alms giving "Alms are for the poor and needy, and those employed to administer the (funds); for those whose hearts have been (recently)

aspects of the islamic society : When it calls to Islam, when it stands upon the examples of the islamic message, when it strives hard to realize these examples and when it revives the principles of Islam and the human values. Surely, the Message of Al-Azhar is the message of the human values. It is the message of Islam which clarifies these values and calls people to put them into practice whether in one's belief, thought or behaviour. The Azharite man is only a caller and a preacher makes his utmost to clarify the Islamic values, whether by means of saying or by action.

As a matter of fact, Al-Azhar is nothing but a pioneer and a guide of the society to realize its objectives which will be very useful to the while, if it has a full understanding for its message. But if Al-Azhar grows weak in preaching these values, it will be a dangerous guide for the society and also for the values.

The Part of Al-Azhar in our new society :

The first question which we should now ask is : What is the socialist society ? Is it differs from the diviated one which is wanted to be revived and be become a human one ?

In order to have a clear answer to these questions, we should review the history of the Egyptian revolution, since its birth up till now, to know its objectives.

Actually, the Revolution of 23rd July 1952, had arisen for nothing, but to remove the corruption and the deviations : disruption of tyranny, and obliquity of richness, capitalism and the political parties which aimed at realizing only the personal needs of their members, and which neglected the benefits of the society as a whole.

Moreover, the Revolution stood up against the despotism of royalty and the arbitrariness of capitalism in misleading the governing policy, and misusing the authorities in order to gain richness on the account of the majority of people. It aimed at the liberation of the egyptian society from the hindrances and the obstacles which prevented people to be equal to each other, and which prevented them to enjoy the fruits of their struggle.

Surely, the Revolution did not only stand to remove the royalty and to put it in the hands of the state and the society; but also to prevent it from being a mean of despotism and tyranny, or to become a mean of domination which leads

in the different ages and places and who were supported and helped by the believers and suffered from the obstinates. Of course they are well known stories and they still preach and give sermons to every one. Moreover, Islam did not neglect to use the happenings, which took place in the heydays of Islam, to confirm the advantage of belief in God and human values and utilizing them in the practical affairs of life. In this respect, the holy Qur'an says about Badr campaign and its result "God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force; then fear God; thus may ye show your gratitude." (S. The Family of Imran, V. 123,), and about "Al-Ahzab" parties campaign and its results "And God turned back the unbelievers for (all) their fury : no advantage did they gain; and enough is God for the believers in their fight, And God is full of strength, able to enforce His will." (S. The Angels, V. 25.). This is actually to clarify the superiority of the belief, and how it leads people to success, victory, spiritual mastery, security and settlement of the society and individuals.

The glorious Qur'an also tells us the happenings which took place

in OHOD campaign and its results "Behold ! Ye were climbing up the high ground, without even casting a side glance at any one, and the messenger in your rear was calling you back. There did God give you one distress after another by way of requital, to teach you not to grieve for (the booty) that had escaped you and for (the ill) that had befallen you. For God is well aware of all that ye do." (S. The family of Imran, V. 153.), and the happenings of Honain campaign and its results "Assuredly God did help you in many battle — fields and on the day of Hunain : Behold ! your great numbers elated you, but they availed you naught : The land, for all that it is wide, did constrain you, and ye turned back in retreat." (S. The Repentance, V. 25.), which illustrate the abstract influence that emanated from the belief in another thing beside the human values.

Thinking in the verses in which the Qur'an relates Honain campaign, we shall observe that the numerical power is not as valuable as the specific one which mostly represented in the sincere belief in God and the values.

Al-Azhar and the islamic values :

Undoubtedly, the Azharite people have a full understanding of the whole

to believe in justice, co-operation, unity in doing good and removing aggression "Held ye one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour" (S. The Table. V. 3.), and also to believe in the mutual kindness, amity and in the other significances of the humanity in its supreme level. This is because, it is quite impossible to find an actual belief in the Almighty God; where no justice and co-operation are existed.

Really, Justice is one of the main attributes of God who supports righteous people to do good, to remove harm, danger and evil. Sura "Omul ketab" which is the first chapter of the holy Qur'an — and which every Muslim repeats it several times a day during prayers — illustrates the main human values which are actually extracted from the attributes of the Almighty God. Consequently, when Muslim reads in this sura the verse "Thee do we worship and thine aid we seek", surely he asks God to help him in doing good, and in the same time he should help himself and support the others to do good. Also when he reads "Show us the straight way", he asks God to guide him to be just—whether in saying or in action — owing to the fact that the straight path is not something other than justice, balance and non-inclination

to one side more than the other.

So, belief in God is the main prop on which stands the belief in the human values. Therefore, belief in God is not separable from belief in the human values. One who separates between belief in God and human values in understanding or utilizing, his belief is not of his heart but it is only mere expression in words. The desert Arabs say, "we believe" say, "Ye have no faith; but you (only) say 'we have submitted our wills to God', for not yet has faith entered your hearts" [S. The Rooms, V. 14.]. This verse really means : O Mohamad, say to them "surely you are not believers, so do not say "we are believers" but say "we are Muslims" related to this nation. In order to enable Muslims to have a deep and hearty belief in it, Islam used history and the happenings of the past which show that the belief in God and His message, is the way which leads humanity to happiness and security. These happenings show also that the rejection of faith is the way which leads mankind to hostility, anxiety and confusion. In several verses, the holy Qur'an details the novels of the different messengers and prophets who bore the responsibility to convey the divine message to their people

THE DUTY OF AL-AZHAR

Towards the Mobilization of the National Power

by

Dr. Mohammad El-Bahay

The chancellor of Al-Azhar University

The National power is a specific one :

The national power is not only a quantity; but it is also a quality, it is not only individuals; but it is also activities. It is the factor and the motive power which realizes the aims and the objectives.

In fact, every society composes of individuals, but in its unionization, duration and struggle; it really needs a power other than the numerical one in order to create an attentive society and to help in materializing its aims.

The specific power differs in its definitiveness according to the aim and the purpose of the society. For instance: the islamic society — since its existence — had devoted itself for the revival of the human values, as it urges people to utilize them through their practical life. Actually, the message of Islam — in

its main principle — is a human one which expresses these values, and calls people to embrace them.

In the islamic society :

Since the main purpose of Islam was the revival of the human values, it used the belief in these values as a way to realize that goal. Then it assured that belief in the hearts of the people by the history of humanity and the previous nations, as well as by the happenings and the occurrences which successively took place in the islamic society as they are mentioned in the history of the islamic wars.

Islam, when it discussed the human values, and the belief in them; it used only the belief in God as a way to attain a complete understanding for these values and also a way to carry them out through the practical life of the human beings. Therefore, the belief in God entails belief in the human values, such as

"For the scum disappears like forth cast out; while that which is for good of mankind remains" (S. The Thunder, V. 17). He shows His faithful bondmen, how to protect themselves and their call against the lies of the unbelievers. He promised that He will support them if they follow His right way and fight in His cause "And those who strive in our (cause), We will certainly guide them to our paths" (S. The Spider, V. 69.). God asserted that all what the unbelievers will do in order to weaken Islam or to cause harm to its followers, they will surely gain its wicked results. He says: "The unbelievers spend their wealth to hinder (men) from the path of God, and so wilt they continue to spend; but in the end they will have (only) regrets and sighs." (S. The Spoils of war, V. 36).

He also asserted that the believers - because of their true belief, faithfulness and patience - will be always the victorious "God is with those who restrain themselves, and those who do good." (S. The Bees, V. 128.) "In the case of those who say "our Lord is God" and, further, stand straight and steadfast, the angels descend on them (from time to time) "fear ye not" (they suggest), "nor grieve! but receive the glad tidings of the garden (of bliss,) that which ye were promised." [S. Fussilat, V: 30]. Then God guided

the believers to their super position because of their sacrifice for the sake of the call "Who is better in speech than one who calls (men) to God, works righteousness, and says "I am of those who bow in Islam?" (S. Fussilat, V. 33.)

As a matter of fact, the call of truth has many aspects, for instance: The call of people to believe in the oneness of God, the struggle against tyranny doing justice, purifying the souls and the societies of the bad habits, the liberty of their countries from the imperialists, accomplishing right and prohibiting wrong and not to be loyal to the unbelievers, all that is a call for truth. To call people to deny their personalities and to make their utmost in order to benefit the common, and to preach Islam and its teachings faithfully among mankind, is a call for truth. The call to truth is a call to God whatsoever it will be, and those who call people to God are his faithful bondmen who had been promised to be supported and helped by God. This was the way of God towards the first Muslims and it will last to the Day of judgement, the holy Qur'an says: "Already has our word been passed before (this) to our servants sent (by us,) that would certainly be assisted. And that our forces, they surely must conquer." (S. Those who ranged in ranks, V. 171 : 173.)

nature, correct conception and pureness of souls. Hence, before Truth people are divided into two sections: The first one are those who do righteous deeds and those who in order to satisfy God, they guide people into the correct way of life and call them to believe in Truth and to be far away from the falsehood. The second section are those who have bad spirits. They are similar to the wild animals; oppress people and steal their money and properties — They make their utmost to lead the other people astray and to inculcate doubts in their hearts. Verily, people are of two sections: The first guides people to the right way "Of those we have created are people who direct (others) with truth and dispense justice therewith." (S. The Heights, V. 181.) And the second leads them a chase "Yet there is among men such a one as disputes about God, without knowledge, without guidance and without a book of enlightenment. (Disdainfully) bending his side in order to lead (men) astray from the part of God: For him there is disgrace in this life, and on the day of judgement we shall make him taste the penalty of hurning (Fire) (S. The Pilgrimage, Vs. 8 — 9.)

In the different ages, God's messengers and their followers were the representatives of the first section.

They knew truth, believed in it and, faithfully, made their utmost to call people to it. But the hypocrites and those who rejected faith were the representatives of the second section. Periodically, the Almighty God examined his faithful bondmen by such people who rejected faith in truth and induced people not to believe in. In the Qur'an, God explains: how they rejected Faith "They Say: "our hearts are under veils, (concealed) from that to which thou dost invite us, and in our ears is a deafness and between us and thee is a screen." [S. Fussilat, V. 5.], how they prevented people from following the Islamic call "The unbelievers say: "listen not to this Qur'an, but talk at random in the midst of its (reading) that ye may gain the upper hand." [S. Fussilat, V. 26.], or the messengers "They are the ones who say: "spend nothin on those who are with God's messenger." (S. The Hypocrites. 7).

In all the different ages, the unbelievers denied the truth and tried to frighten people lest they should follow it as they also fought against those who believed in it. Hence, the conflicts happened especially between truth and the falsehood. In fact, God is the Truth, and truth is His call. Also the Satan is the falsehood, and falsehood is his call. God gives an example for truth and falsehood

religion of both spirit and material, heart and mind, individual and society and this world and the Hereafter. So, we call all humanity to embrace it and to carry out its worships and treatments and its systems and morals. The Qur'an says: "O mankind! Verily there hath come to you a convincing proof from your God: For we have sent unto you a light (that is) manifest. Then those who believe in God and hold fast to Him, soon will He admit them to mercy and grace from Him and guide them to Himself by a straight way." [S. The women, Vs. 174 — 175.]

Peoples before the truth:

"Say" O ye men! Now truth hath reached you from your God! Those who receive guidance, do so for the good of their own souls, those who stray, do so to their own loss: and I am not (set) over you to arrange your affairs." (S. Younis, V. 108.)

Verily, the instructions and the teachings of Islam — which is the general religion of God that all messengers were ordered to convey it and all the holy books were revealed to clarify it — are turning around one word. That is the Truth of which the pure natures only admit, the faithful hearts trust and by which the life of those who are righteous people will be calm.

Actually, Truth is divided into many kinds such as: Truth in faith "Say:" He is God, the one and only; God the eternal absolute; He begetteth not, nor is He begotten, and there is none like unto Him." (S. purity of faith). Truth in worship "That is God, your Lord! there is no God but He, the creator of all things: then worship ye Him: and He hath power to dispose of all affairs." [S. The Cattle, V. 102.]. Truth in treatment "O ye who believe! stand out firmly for justice, as witnesses to God, even as against yourselves." (S. The women, V. 135). Truth in conduct "It is part of the mercy of God that thou dost deal gently with them. Wert thou severe or harsh — hearted, they would have broken away from about thee: so pass over (their faults), and ask for (God's) forgiveness for them and consult them in affairs (of moment)." (S. The family of Imran, V. 159.) "Nor can goodness and evil be equal. Repel (Evil) with what is better: Then will be between whom and thee was hatred become as it were Thy friend and intimate!" (S. Abbreviated letters, V. 34.). in souls, furthest regions of the earth and societies: There are signs that distinguish Truth from false and guide people to follow it. But people are not alike, there are some differences among them in goodness of

As a result of what we above mentioned, Islam orders Muslims to establish the prayers in their fixed times, and to empty their hearts — during their performance — from all the worldly affairs to declare their faithfulness to God. The Qur'an says: "Guard strictly your (habit of) prayers, especially the middle prayer' and stand before God in a devout (frame of mind). [S. The cow, V, 238.]

The effect of patience and prayer on soul's rectification :

The glorious Qur'en states that patience and prayer are of a great effect in rectifying the souls of people, as they purify them from the state of despair in facing difficulties, and from at receiving wide provisions. In the tyranny respect of patience Godsays in the holy Qur'an : "IF we give man a taste of mercy from ourselves, and then withdraw it from him, behold ! he is in despair and (falls into) blasphemy. But if we give him a taste of (our) favour after adversity hath tauced him, he is sure to say "all evil has departed from me : " behold ! he falls into exultation and pride. Not so do those who show patience and constancy and work righteousness; for them is forgiveness (of sins) and a great reward." [S. Houd, vs. 9 : 11]. And with regard to prayer, He says also "Verily, man was created very impatient; fretful when evil touches him, and neg-

gantly when good reaches him : Not so those devoted to prayer, those who remain steadfast to their prayer." [S. The ways of Ascent, vs. 19 : 23].

In fact, patience and prayer are the strongest articles of the believer in his life. By them wishes can be realized and distress may be removed as well as the believer will gain and score the support of God "Verily God supports those who are Patient" and this is enough for man to keep him in a permanent happiness because he feels always that God is with him.

This is the actuality of the religion, and that is its blessed effects which purify the soul, please the human being and direct the affairs of life to the good direction. Surely, religion is one of the human necessities which neither an intellectual idea, nor a civil law can replace it. Actually, man in the present time, is in need of religion. This is because he failed to realize happiness and security, although he succeeded in conquering the universe's space. This scientific advancement led to destructive and international wars, and will lead to another great one with unimaginative results. Verily, no salvation to humanity, unless it has a faith in the true religion which is Islam (the last message). It is the

perservere, their reward according to the best of their actions." [S. The Bees, V. 96.]

An excellent reward for those who do (good). Those who perservere in patience, and put their trust in their God and cheersh." (S. The Spider, V. 58.)

God ordered His prophet to give glad tidings to those who patiently face the hateful results and the bad events, He did not explain what are these tidings to show that they combine all what please the human being. He also showed how to know those who are patient in His sayinh "Who say, when afflicted with calamity", wheter it was great or simple, they receive it with faithful hearts and have a consolation when they repeat the saying of God "To God we belong" who is our creator and provider "And to Him is our return". The next verse cleared their merit "They are those on whom (descend) blessings from God, and Mercy, and they are the ones that receive guidance."

The Prayer :

It is the second factor which helps one to face the difficulties of life. It is the prayer which is mentioned in the following verse "And establish regular prayer : For prayer

restrains from shameful and unjust deeds" [S. The spider, V. 45.]. As a matter of fact, the prayer is a divine Journey which God superimposed his bondmen to perform it five times a day. It is the worship in which man departs from the enjoyments of the world, and communicates with his God to ask Him support and guidance. It was the habit of the prophet Mohamad "peace may be upon him" to establish prayer if he met any difficulty, and to repeat the saying "I used prayer as a factor of tranquility".

Hence, the prayer has become one of the five pillars of Islam as it is the first worship known with the religion, the Qur'n says : "And remember We took a covenant from the children of Isreal (to this effect): Worship none but God, treat with kindness your parents and kindred, and orphan and those in need; speak fair to the people; be steadfast in prayer; and practise regular charity." [S. The cow, V. 83.]

Actually, through prayer man presents the greatness of God and be frightened of His punishment, then he will obey him and carries out faithfully his constitution and instructions. This, by turn, will purify the souls, fill the minds with conception and improve the condition of the society.

order to enjoin the right and to forbid the wrong, not to transgress the limits that which God "exalted be He" ordained, to make their utmost to realize the happiness for their nation and to sacrifice their souls and properties in the cause of their society's security, stability and freedom. The glorious Qur'an says "And fight them on until there is no more tumult or oppression and there prevail justice and Faith in God" [S. The cow, v. 193.]

The calamities of the life and its problems :

The believer-as the other people-may be exposed to the calamities and the problems of life, such as : death after life, illness after health, poverty after richness and humiliation after honour. But the struggle among one's wishes will leave him alone facing these calamities and problems. Unless man was supplied with the guidance of God - which he believe in - in case of his failure in overcoming the problems of life, he would lose his position to be the vicegerent of God on the earth and to be the bearer of the deposit which skies, earth and mountains refused to bear it. Therefore, God supported his faithful bondmen, inculcated in them the spirit of work and guided them to what helps them towards the performance of their social duties and what enables them to face the

difficulties of life. In this respect the glorious Qur'an says : "O ye who believe ! Seek help with patient perseverance and prayer : For God is with those who patiently persevere. And say not of those who are slain in the way of God : "they are dead" Nay, they are living, though ye perceive (it) not. Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the fruits (of your toil) but give glad tidings to those who patiently persevere. Who say when afflicted with calamity : "To God we belong, and to Him is our return" : They are those on whom (descend) blessings from God and mercy and they are the ones that receive guidance." [S. The cow, vs 153 : 157.]

The patience :

It is to face the difficulties of life with a bold heart and to perform the social duties and the religious, obligations without despair. God "exalted be He" guides people not to be hopeless, because despair is one of the qualities of those who reject faith. The Qur'an says : "And never give up hope of God's truly soothing mercy, no one despairs of God's soothing Mercy, except those who have no faith." [S. Yousof, V. 87.] In the holy Qur'an, God mentioned work following the patience through many verses : "And We will certainly bestow, on those who patiently

the fact that no one can conquer it. So make it easy not difficult and give glad tidings not seary ones."

It was the duty of those who misunderstood the religion to look into its partial legislations to be assured of its facility and easiness. For instance: In belief, to be a true believer, it is enough to raise one finger as to denote the belief that there is no God but one. In worship, if Muslim can not use water for the ablution, Islam gives him permission to use dust instead of water "Taimom". In prayer, Muslim can perform it sitting or by means of moving his head up and down instead of bow and prostration if this causes him troubles. In Fasting, Islam allows the ill person and the traveller one to break their fast. From all what we mentioned above, we come to the conclusion that the Islamic religion is very easy and that its legislations and regulations are based upon facility and at the same time Islam calls Muslim to complete himself and to maintain his dignity and honour.

The aim of the religion :

In fact, religion intends to purify souls and hearts, to clarify the spirit of obedience and feeling of the greatness of God and to affirm the goodness and the piety on earth on a strong base that links man to his creator. The religious

legislations have mentioned that, and the religion does not oblige people to carry out all its partial legislations, but it gives them a chance to put law in order to control their affairs according to their needs and circumstances, and the common welfare. With regard to these laws, religion asks Muslims to do nothing but to issue them after consultation, and mutual understanding among themselves. This will realize equality, justice, mercy and goodness. In this respect, the prophet Mohamad "peace may be upon him" said : " Verily, God superimposed the obligations, and it is your duty to obey Him, He ordained limits, so do't neglect them, He prohibited some other things, so do't disobey Him and He does not mention somethings — not because of forgetfulness, but as a mercy for you — so, do't seek them" The holy Qur'an says : " But God knows the man who means mischief from the man who means good. And if God had wished, He could have put you into difficulties : He is indeed exalted in power, wise." [S. The cow, V. 220.]

The demands of belief :

As a matter of fact, believer — by the regulations of their religion — have been ordered to keep their faith away and pure from doubt, to purify their souls and to avoid any bad inclination, to strive hard in

Actuality of the Religion is very obvious :

It was the duty of those who misunderstood Religion and who led people astray to 'purely' think in two aspects :

Firstly, to behold all that is in the universe and what God "exalted be He" Created and harnessed for them, such as animals, plants planets and other things. Actually, God had created the universe and what it contains and He also had revealed the religion in which He ordered people to seek the secrets of that universe to benefit themselves and the others too. It is impossible that the universe was created in such way that induce every one to think on its marvels, and at the same time be prevented by the regulations of the religion to think upon it and knows its secrets to benefit himself and his society. It is impossible also that God who created the universe and brought man into being and provided him with the mind which is the article of thinking, to prevent him from thinking. knowing, moving. and also from completing himself. Hence, it is one of the necessities of the religion - which is the guidance of God - to direct people to think upon the universe and its wonders. The glorious Qur'an urges people to use their minds and to think on that

universe and to seek its secrets for the advantages of themselves and their societies.

Secondly, they should deeply think upon the true sources of the religious teachings, to know if they prohibit man to enjoy his life or they do not, and to realize whether all the instructions of the religion are going with the nature of the human beings or not. Verily, these sources are taking a moderate position in responding the needs of people, the Qur'an says : " Say : who hath forbidden the beautiful (gifts) of God, which He hath produced for his servants, and the things clear and pure, (which He hath provided) for sustenance ? " [S. The Heights, V. 32]. It was the duty of those who misunderstood the religion to know the basic fundamentals on which religious legislations were built and to read the sayings of God " exalted be He " " On no soul doth God place a burden greater than it can bear. " [S. The cow, V. 286.] " God intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties. " [S. The cow, V. 185.] " He had chosen you, and has imposed no difficulties on you in religion " [S. The pilgrimage, V. 78.] It was their duty to hear the saying of the prophet Mohamad " peace may be upon him " " Verily, religion causes no difficulties, in spite of

this connection the holy Qur'an says : "Verily, this Qur'an Doth guide to that which is most right (or stable) and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward" [S. The children of Israil, V. 9.]

From what we above mentioned, we come to conclusion that religion is one of the human being life necessities. But what is the religion which has this effect in the life of man ? Some people are of the opinion that the religion is the facts which revealed to them in a form of the divine message. And other people claimed that it is something other than that. The latter opinion is the consequence of different intellectual aspects which lead people astray and take them away from the right way. Verily, it is not God that has wronged them, but they wrong themselves.

The misunderstanding of Religion :

During certain ages, people misunderstood " the Religion ". They prevented themselves from receiving education, free thinking and also from enjoying a better life. They lived in a complete loneliness where no mercy or kindness for themselves. They subjected themselves to the happenings and humiliated their bod-

ies and souls. Consequently, some people claimed that the religion is of no use to the human being in the world, but it will benefit him only in the Hereafter, and hence, they called people not to take the religion as a constitution or as a system for their life. They asked them to enjoy themselves irrespective of the instructions of the religion and to spend their life according to their wishes. This is because they believed that the religion and revelation are only for the heaven, while power and wantonness are for the earth. As a result of that, people considered the human estimation as a reckoning, and this by turn exposed the world to a confusion and conflicts and led people to be ill-mannared and to the disintegration. In this respect the holy Quran says : " But whosoever turns away from My Message, verily for him is a life narrowed down and we shall raise him up blind on the Day of judgement. He will say : " O my Lord ! why hast thou raised me up blind, while I had sight (before) ? " God will say. " Thus didst thou, when Our Signs came unto thee, disregard them : So wilt thou, this day be disregarded. And thus do we recompense him who transgresses beyond bounds and believes not in the signs of his God : and the penalty of the Hereafter is far more grievous and more enduring." [S. Taha, vs. 124 : 127.]

The religious conscience is the base of goodness :

Surely, God knows that the religious conscience is the sole factor which leads people to the straight path and which shows them the right way. It is the factor that God "exalted be He" intended when He said to the angels "surely I know what ye know not". God has considered it as the fundamintal of the human life since he created the first human being "Then learnt Adam from his God words of inspiration, and his God turned towards him; for He is oft-Returning, Most merciful. We said : Get ye down all from here; and if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, on them shall be no fear, nor shall they grieve." [S. the cow, Vs. 37 — 38] "But if, as is sure, there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from My message, verily, For him is a life narrowed down, and we shall raise him up blind on the day of judgment." [S. Taha, Vs. 123 — 124,]

Abraham, the great father of the Arab people, and his son Ismail believed in the religious conscience. To create happiness for their predecessors, so they prayed to God in

order to send one from among themselves as to guide them in the straight path and to teach them God's signs and teachings, the holy Qur'an says : "Our God ! Send amongst them a Messenger of their own who shall rehearse Thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom and sanctify them for thou art the exalted in Might, the wise" [S. The Cow, V. 129.]

Surely, they knew that their sons have minds to think and to put laws to control the different affairs of their life, but they were also sure that the human thinking-whatsoever it might be-is very weak, as it is also in need to be supported by the divine power. Hence God took care of the human beings through the different stages of their life and directed them to the right way : He sent to them His Messengers, revealed to them books and prepared them to receive the great Message of Islam which combined all what man needs, whether in the present time or in the future. This Message was revealed to Mohamad "peace may be upon him". To guide His bondmen to the straight path and to grant them His blessings, God revealed the holy Qur'an to them to be the last book sent down to the last Prophet. As a matter of fact, the way of happiness is very evident in the glorious Qur'an to those who have a faithful vow. In

and the people who promulgated them claimed that the aim of these laws was to maintain peace and to keep on the human rights. But as a matter of fact, they were issued for nothing but to realize personal wishes and special aims. And to deceive people the promulgators claimed that the laws were for the benefits of all people.

3 — Because the minds are of a limited conception, they have no ability to foretell what will be the needs and the happenings of the future which God "exalted be He" prepared. For instance: we notice that many laws were issued, then their weakness obviously appeared and other laws replaced them, but also their weakness appeared and so on. This led the nation to live in a confusion and the promulgation of the laws put the hindrances in the way of the people's superiority and completeness.

4 — As the people always believe in the law which they optionally put it, they will respect and carry it out faithfully. But if they are obliged to secure it, they will pay no respect or appreciation to it. This is because they carry out the regulations only to avoid the punishment. So, if they know that there is no eye to watch them, they will act against that law. Hence, the

laws which are issued on the basis of the intellectual idea do not prevent man to commit crimes at all, but they may prevent him only to commit them openly.

From all what we above mentioned, we come to the conclusion that the dependance upon the human idea in organising the international affairs, surely means a dependance on nothing. Moreover, it will lead to an international calamity and wordly distruction. So it is our duty to seek other basis than the intellectual idea. And this basis should have the ability to affect man within and without.

The Religious Conscience :

It is the only basis which humanity should depend upon it, because it links the human being to the attentive Observer who never sleep, the most knower who does not ignore and the strong who all people believe in His indefinite power "God exalted be He". Surely, God supplied man with the systems of life, and man respects these systems as he appreciates their source. He makes his utmost to satisfy God, and hence he accomplishes the good deeds, as he performs his duties without treachery or deception and spends his life in security and peace.

prophecy of the angels when God said to them "I will create a vicegerent on earth, "they said" wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood? whilst we do celebrate The praises and glorify thy holy (name)?" [S. The cow, V. 30.]

But to realize the divine wisdom of the ceation of the human beings and to declare the meaning of God's words to His angels "Veriy I know what you do not know", the goodness power of the human beings is in need of a support in order to help it against tyranny and the evil power on one hand, while on the other hand to use the two powers of desire and anger in the cause of his own benefits. But what is supposed to support goodness against evil? We suppose that it is the intellectual idea which man put its measurements and uses it to demonstrate right from wrong and good from bad. Besides, man considers this intellectual idea as the constitution of his lfe which he follows whether choicefully or compulsory - according to the will of his society - This hypothesis is that which the civilized nations are following now and which philosophers, thinkers, rich and strong people are using as a way to enslave people and to organize the human life according to their wishes.

As a matter of fact, the intellectual idea can not realize the reason of the human being creation as to be the vicegerent of God on the earth and to establish security and peace everywhere. This is because humanity tried it during a period of its history and this led it to spend its life in a complete darkness : Permanent wars, tyranny and slavery. Actually these were the consequences of following the intellectual idea for the next reasons :

1 — There is a distinction among the minds which are the source of this idea. Also, some minds accept what the others refused. In our present time, we notice many aspects of the intellectual idea which cause peoples to spend their life in astonishment and confusion. For example : There are the systems of communism, capitalism, Democracy and Dectatorship. These systems are of bright in appearance but they are implicitly false.

2 — The minds in their thinking are exposed to be conquered by the human lusts and to be influenced by the other personalities, nationalities or by the other factors which existed in the human souls and which neither science nor philosophy can purify souls from them. For instance, many laws were issued on the basis of the intellectual idea,

PEOPLE AND RELIGION

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

People in need of Religion :

It was the will of God to create the human being — according to His knowledge about the nature of His bondmen — and to supply him with two immaterialistic powers. The first power is that which urges him to do evils, as to commit adultery crimes, to usurp the rights of the others or to shed blood. The other power is that which guides him to the straight path, as to call him to do Justice, to spread equality, to help the needy people, to support the helpless ones and to direct the society to the way of success and goodness.

As a matter of fact, man is standing in a moderate position between these two powers. But the beauty of the world, its decorations and lusts induce him to do wrong or to incline to evil. In this respect the glorious Qur'an says : " Nor do I absolve my own self (of blame) : The (human soul) is certainly prone to evil, unless my God do bestow

Him mercy : But surely my God is oft — forgiving, most merciful." [S. Jousef, V. 53.]

" By (the token of) time (through the ages). Verily, man is in loss. Except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of Truth and of patience and constancy." [S. Time through the ages] " Truly, man was created verily impatient. Frèful when evil touches him. And niggardly when good reaches him. Not so those devoted to prayer." [S. The way of Ascent, V. 16 — 22.]

Consequently, if man had been left alone to himself, under the effect of these two powers, he would fail in realizing balance between them. And hence, his sentimentals would conquer his mind and the inclination towards evils would defeat his good one, and this by turn would reflect the wisdom of the human being creation and realize the